

سَنَوَات مَاقِبَل الثَّوْرَة

يناير ١٩٣٠ - ٢٣ يوليو ١٩٥٢

صَبْرِي أَبُو المَجْد

الجزء الثاني

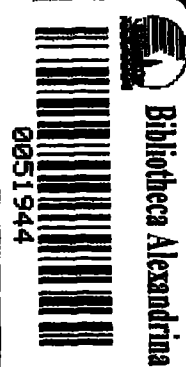


المكتبة القومية العامة للجمهورية العربية

١٩٨٨

صبري أبوالمجد

صبري أبوالمجد



الخراج الفنى والغلاف : محمد قطب

الى أرواح هؤلاء : أهلى هذا الكتاب

● الى كل شهيد ، قاتل وقتل في سبيل الله والوطن وروى بدمه الطاهر
ثرى مصر الطاهر .

● الى كل مواطن مصرى ، والى كل مواطنة مصرية آمن بحق بلده ، فى
الحرية والاستقلال والديمقراطية وبذل جهدا - أى جهد - لتحقيق ما يؤمن به .

● الى كل من قال ، أو كتب ، أو أذاع أو نشر ، أو تغنى بكلمة حب
فى مصر ، لخير مصر ، ولتحرير مصر .

● الى أرواح كل زعمائنا وقادتنا الأخيار الذين عشقوا مصر ووقفوا على
خدمتها أرواحهم ، وأموالهم ، وأهليهم وحافعوا عنها ضد كل قوى
البغى والظلم فأسابوا أم أخطأوا : أرواح أحمد عرابى ، عبد العال
حلمى ، على فهمى الديب ، طلبة عصمت ، محمود سامى البارودى ، يعقوب
سامى ، محمد عبيد ، وعبد الله نديم وغيرهم ، وغيرهم ممن أشعلوا أهم ثورات
القرن التاسع عشر - ثورة ١٨٨١ - ثم كانوا - بسبب التدخل الأجنبى والخيانة
والرشوة - وقودها وضحاياها : الى أرواح مصطفى كامل ، ومحمد فريد
وعلى فهمى كامل ، وأحمد لطفى ، وأحمد وفيق وعبد اللطيف الصوفانى
وعبد العزيز الصوفانى ، وأمين ، وعبد الرحمن الرافعى ، وعبد الحميد سعيد ،
ومجنوب ثابت وحافظ رمضان ، ومحمد محمود جلال ، وعبد المقصود
وعبد الغفار وعبد الحليم متولى ، وفكرى أباطة ، وغيرهم وغيرهم من أبناء الحزب
الوطنى الذين ملكوا وما تركوا وكانوا خير الأبناء فى مدرسة الصوفية الوطنية
المصرية .

● الى أرواح محمد عبده وقاسم أمين ، وطلعت حرب وأحمد شوقي ،
وحافظ ابراهيم وغيرهم ، وغيرهم من ذوى الفكر المستنير الذين ساهموا فى
حركات الإصلاح الاقتصادية والأدبية والفكرية .

● ثم الى ارواح سعد زغلول ومحمد محمود ، واسماعيل صدقي ،
وعبد الخالق ثروت ، وعدلى يكن ، وعبد العزيز فهمى ولطفى السيد ، ومصطفى
النحاس ، ومكرم عبيد ، وأحمد ماهر ، ومحمود فهمى النقراشى ، وغيرهم وغيرهم
ممن شاركوا فى إشعال ثورة ١٩١٩ ، فى بداياتها الأولى وكان لهم جهدهم الذى
لا ينكر وفضلهم الذى يجب أن يذكر ويذكر ، ويذكر ! .

● الى ارواح حسن البنا ، وأحمد حسين ، ومصطفى الوكيل الذين
نحتوا فى الصخر أفكارا جديدة . وكانوا جنودا أوفياء لدينهم ، ولصرهم
الحبيبة .

● الى ارواح كل هؤلاء وأمثالهم ومن على شاكلتهم ، الى تلاميذهم
وأنصارهم ، ومن اقتدى بهم : أهدي كتابي هذا ، عن سنوات ما قبل ثورة
٢٣ يوليو ١٩٥٢ : تلك الثورة التى شاركوا جميعا فى التمهيد لها .

والله ولى التوفيق

صبرى أبو المجد

يوليو ١٩٨٨

مقدمة ومدخل الى الكتاب :

مصر في ٦٠ سنة [١٨٦٥ - ١٩٢٥]

ايجائيات وسليبيات : « ما لنا ، وما علينا »

عندما بدأت أكتب - في مجلة المصور القاهرية - عن سنوات ما قبل الثورة - ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - لم أكن أتوقع أن أستمّر طويلا في الكتابة ، كما لم أكن أتوقع أن تستقبل كلماتي بتلك الدرجة من الحماس والفرحة والقبول ، كنت في البداية ، أعتقد أن قرائي سوف يكونون من أولئك الذين عاشوا ، وعاشوا تلك السنوات والذين يمكن أن يروا في كتابتي انعكاسا ، لماض عاشوه ، أحبوه ، أم كرهوه ، شقوا ، أو نعموا به : سيرون أنفسهم فيما أكتب . وساعيد عليهم ذكريات علفت بنفوسهم ، ووجدانهم .

وما أن مضيت في الكتابة بضعة أسابيع حتى اكتشفت ، فيما تلقيت من رسائل ومكالمات وفيما استقبلت من زوار ، أن شباب مصر ، هم أكثر الناس اقبالا على ما يكتب عن تلك السنوات من غيرهم .

وأذكر أن بعض الوزراء يومها اتهموني بأننى أفسد عليهم أبنائهم فهم يسألونهم كل خميس : لماذا لم تقولوا لنا هذا الذى يكتب ، وينشر ؟؟ .

لماذا أخفيتم عنا كل ذلك التاريخ المشرق ؟ لماذا حاولتم ، أن تقطعوا الصلة بين هذه الأيام ، وما سيقها من أيام ؟ ولست بناس أبدا خطايا جاءنى من الاستاذ محمود نجم ، وكان وقتئذ مديرا لمدارس الليسيه بمصر الجديدة ، قال فى خطابه انهم فى المدرسة - وهى للعلم مدرسة لغات - قد أجروا استفتاء بين طلبتها وطالباتها عن الكاتب الذى يرغبون فى الحوار معه ، والموضوع ، الذى يفضلون أن يكون موضوع الحوار وأن الأغلبية فى هذا الاستفتاء كانت معى ، ومع الموضوع الذى أكتب فيه وهو « سنوات ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ » ، وما أكثر الدعوات ، التى تلقيتها من الجامعات المصرية ، كل الجامعات المصرية والمعاهد والمدارس ، والكثير من تجمعات الشباب وقصور الثقافة وغيرها ، لكى أتحدث عن سنوات ما قبل الثورة ولقد قضيت عامين كاملين ،

متحدثا في ذلك الموضوع ، من أقصى البلاد الى أقضاها : من استوان الى الاسكندرية حتى لقد خشيت أن يطغى الحديث عن سنوات ما قبل الثورة عما أكتبه ، أو أؤمن به من قضايا أخرى ، وفي كثير من البلدان العربية ، التي زرتها ، في تلك الفترة ، التي بدأت فيها أكتب عن سنوات ما قبل الثورة كانوا يدعونني الى الحديث عن تلك السنوات .

وكننت أعجب لاهتمام الاخوة العرب ، بالحديث عن تلك السنوات رغم أنها مصرية في الغالب عربية في حالات قليلة .

وعرفت أن الاخوة العرب يتحمسون للكتابة عن تلك السنوات لأنها أولا عن تاريخ مصر ، التي يحبونها ، بل يعشقونها ولأنهم يعتبرون تلك السنوات جزءا من تاريخهم أيضا .

ولأن الكثيرين منهم سمعوا الكثير عن تلك السنوات ، من آبائهم ، وأجدادهم .

واكتشف أن كثيرا من الأخوة العرب في الثلاثينات والأربعينات كانوا كابناء مصر تماما : بعضهم يتحمس لهذا الحزب المصري أو ذاك ، بعضهم يؤيد هذا الزعيم المصري أو ذاك . حتى في الأندية الرياضية ، كانت هناك - في بعض الأقطار العربية - انتماءات لهذا النادي المصري أو ذاك .

وحتى في دنيا الغناء كنت تجد فريقا من هذا البلد العربي أو ذاك يتحيز لهذا المظهر أو ذاك أو لهذه المطربة أو تلك .

وعندما دخلت في العمق - كما يقولون - ورحت أقول قولة الحق مجردة . انغضبت الجميع ، جميع من ينتمون أو كانوا ينتمون الى الأحزاب السياسية في سنوات ما قبل الثورة ، حتى أساتذتي وزملائي من أبناء الحزب الوطني أخذوا على أشياء كثيرة : انتقادي لهجرة محمد فريد الى أوروبا سنة ١٩١٢ وتفضيلي ، لبقائه في مصر فالجهاد في سبيل الوطن داخل الحدود أفضل وأقوى مرات عديدة من الكفاح خارج الحدود ، وكذلك أخذوا على انتقادي للذين قبلوا أن يرشحوا أنفسهم في الانتخابات على أساس دستور ١٩٣٠ الذي أصدره اسماعيل صدقي باشا .

وكان بعضهم يقول لي : لقد جنينا المر من دستور ١٩٢٣ ، فهل تطالبنا بأن نتحمس له ونوقف عجلة الزمن حدادا عليه ؟

وكننت كلما أشدت بحزب معين أو بشخصية حزبية معينة أتلقى رسائل ، التهئة والتشجيع ، فان انتقدت ذلك الحزب ، أو أية شخصية أخرى من رموزه

تلقيت رسائل غنيّة بعضها موضوعي أو يمكن أن يكون موضوعيا وأكثريتها تمتلئ بالشتم والسخائم .

ولقد أعلنت عن ضيقي وتبرمي من ذلك ، وفي ذات مرة فكرت في أن أتوقف عن الكتابة . وكفاني ما نلت بسببها من خصومات .

وأعلنت عن ذلك الصيق والتبرم والعزم على الاكتفاء بما كتبت .

وكانت المفاجأة تلقيت العشرات من الرسائل ممن أعرف وممن لا أعرف تدعوني الى الصبر والتحمل . وعدم التأثر بتلك الحملات .

ومن بين تلك الرسائل التي هزنتني بحق رسالة من الدكتور محمود محفوظ وزير الصحة الأسبق وأستاذ علاج الأورام بالإشعاع والطب النووي ورئيس مجلس ادارة الجمعية المصرية ، لنشر الثقافة والمعرفة العالمية – ولم أكن قد شرقت بمعرفته – وقد جاء في هذه الرسالة التي زادني قوة وبعثت في – كما قلت يومذاك – الأمل الذي أرجو أن يبقى ما بقيت الحياة : أهديك تحية الاسلام . والسلام وأكتب اليك بعد أن قرأت لك مؤخرا تعقيبا على من لم يتفق معك فيما تكتب عن تاريخ مصر المعاصر ، وذلك في عدد ١١ يناير ١٩٨٠ والذي قرأته عند عودتي من الخارج أخيرا : لقد أحسست ، في تعقيبك مرارة وأسى ، تسيل من قلبك الى قلمك ، وكلمك فخشيت عليك انقباض النفس وانحباس الفكر ، وعزوف الارادة ، وانزواء القلم ، عما تقوم به من عمل تاريخي ثقافي حضارى شامخ فبادرت بالكتابة اليك لأعبر عن تقدير متواضع لما تقوم به من عمل رائع فأنت تسجل لأهم قضايا التاريخ السياسى : الحقبة من الزمن اعتورها تغيير اجتماعي ، وثقافي سريخ الخطوة ، متعدد الاتجاهات ، كانت فيه مصر والمصريون بوتقة تفاعلت فيها روح مصر الشابة ، المتطلعة للخيرية والتقدم والمتعلقة بالقيم الانسانية الأصيلة المتصارعة مع دكتاتورية القصر ، وأطماع القوى الأجنبية وعلى رأسها الانجليز . فأنت تكتب وتسجل لتاريخ هذه الحقبة ، والتاريخ ركن من أركان الثقافة والمعرفة ولذلك أفردت الكتب السماوية له فيها مكانا واهتماما لما فيه ومنه ، من رسالة حضارية وانسانية يحملها من السلف الى الخلف .

وما كان التاريخ ليخلو من اختلاف في تفسيره وتلك سنة الخالق في الخلائق ولكن الخطأ كل الخطأ أن نخرج في الرأي عن الموضوعية العلمية ، الى حدود الاسفاف والنزق والخروج عن المألوف والمعروف حاجبا تلك الاشرقة الحضارية والثقافية والعلمية ، فهل لى – دكتور محمود محفوظ – أن أسالك العفو عن من جهل قدر المعرفة والعلم والتاريخ ، كما أسالك المزيد ، وفقك الله الى كل ما تريد فالله سبحانه وتعالى بارك في المعرفة والعلم وجعلهما فى أعلى مراتب التقوى والايمان والسلام عليك ومنك ولك ، ، .

وكننت أنفر من كثير من الضغوط حتى لا أقول ما عندى وحتى أجيب الوثائق التى جات الى عن طريق اخوة أعزاء لا هم لهم ، الا نشر الحقيقة كاملة .

وكانت ثمة اغراءات مادية هائلة ، قدمها من يملكون المال ولا يريدون للحقائق أن تظهر وخاصة بعض فلول الأحزاب القديمة الذين كانوا يرون أن استمرارى فى هذا الطريق كشف لبعض المستور من أعمالهم التى يتنكرون لها اليوم . على أننى وقد أيقنت أن هذا الذى أقوم به أخطر عمل ثقافى وحضارى قمت به قررت الاستمرار فى العمل مهما تكن النتائج ومهما تكن المصاعب والمتاعب خاصة وأن كل ما كنت ألقاه من عنت وإرهاق ومصاعب ومتاعب كان يهون الى جانب موجات الإعجاب والتقدير ، والرضا .

ولم ألبث أن عرفت عند كثير من القراء والأصدقاء والعاملين فى الحقل العام ، أننى مخزن الوثائق التاريخية وأن من الأفضل بالنسبة لمن يملك بعض الوثائق التاريخية أن يوافينى بها لأنها عندما تكون لدى تكون أفضل من بقائها فى الأدراج عنده لا يستفاد منها .

وقد سبق أن ذكرت قصتى مع عبد الخالق فريد الذى غضب لأن الدولة استولت على مذكرات أبيه بقرار وأبلغ اليه عن طريق أحد «المحضرين» ، فقدم الى أكثر من مائتى خطاب لوالده محمد فريد لم يعرف أحد بها حتى كتابة هذه السطور سواء ، وسوى والدته ، العظيمة طيب الله ثراها .

كما سبق أن ذكرت قصتى مع الأخ الصديق جمال مذكور ابن عبد الخالق باشا مذكور سر تجار العاصمة وأخذ عمالقة الوطنية المصرية قبل ، وفى أثناء ، وبعد ثورة ١٩١٩ وذلك عندما جاءنى ذات صباح يحمل حقيبة ملأى بالصور والأوراق القديمة قائلا : لقد اجتمعنا بالأمس كمجلس أسرة وقررنا إهداءك كل هذه الصور والوثائق التاريخية القديمة ، التى كانت ضمن مخلفات أبى لكى تبيتفد منها خاصة وأنتا لم تستفد منها فى الماضى ، ولا أعتقد أننا يمكن أن نستفيد منها فى الحاضر ، أو المستقبل .

وأذكر اليوم قصة جديدة لم يعرفها أحد من قبل .

كان فى مقدمة زملائى فى مجلس الشورى الأخ والصديق والزميل سميح طلعت أحد وزراء العدل السابقين ، وقد ربطتنى به علاقة قوية متينة لما كان يجمعنا من آراء واتجاهات فى كثير من الأحيان ودعائى يوما الى زيارته فى منزله بشارع الهرم ولم أعرف المناسبة التى دعائى لزيارة بيته بسببها وبعد أن شربنا القهوة ، وتجاوزنا أطراف الحديث قام الى مكتبه وأخرج بعض

الملفات البصرية للغاية . قائلا : هذه الملفات كانت لأبى ، وأبى كما تعلم . هو عبد اللطيف طلعت باشا . الذى كان وكيلًا للديوان الملكى ، ولعب أخطر الأدوار فى بدايات الحرب العالمية الثانية .

وقد أصر الانجليز - بعد أن أحكموا قبضتهم على الحكومة المصرية - على اقضاء أبى من السراى .

وقد اخترتك لأهديك تلك الوثائق وأنا على ثقة من أنك سوف تستفيد منها .

وكان الرجل متحمسا ليذا الذى قام به الى أبعد حدود التحمس . وفى بعض الأحيان ، كان يوقظنى من نومي فى ساعة متأخرة من الليل ليؤلف الى نبأ عثوره على ورقة ، أو وثيقة هامة ضمن الأوراق ، المبعثرة هنا وهناك فى منزله .

وأكثر من ذلك كان يقوم هو وعلى نفقته بتصوير بعض الأوراق . التى كان يرى الاحتفاظ بها ، ويعطينى الأصل أو يعطينى الصورة حسب أهمية الأوراق بالنسبة له .

ووفاه الأجل المحتوم . بعد أسابيع من قيامه بتلك العملية ، عملية اهدائى بعض الأوراق والوثائق التاريخية وكأنما كانت تلك الأوراق والوثائق التاريخية أمانة لديه أداها كاملة قبل أسابيع من رحيله المفاجئ .

وآخر المفاجآت السارة بالنسبة لى ، عندما حمل الأخ والصديق - رفيق ، العمر - أحمد سعيد فى سيارته . مجلدات من جريدة النظام ، التى كان يصدرها المرحوم والده الاستاذ سيد على أحد صحفيينا الكبار الذين لم يأخذوا بعض حقوقهم فى التكريم والذى كان واحدا من بضعة صحفيين أرسلهم الزعيم مصطفى كامل ، الى فرنسا ، فى بعثة دراسية يتلقون فيها دروسا فى الصحافة العملية فى باريس مثل الفيجارو ، وغيرها من كبريات الصحف الفرنسية .

وكان من بين تلك الأعداد التى أحضرها - مشكورا - أحمد سعيد ، أعداد من عام ١٩١٩ ، وهى أعداد نادرة للغاية ذلك لأن السلطات البريطانية كانت تصدر الصحف الوطنية وكانت دار الكتب السلطانية - وقتئذ - لا تحصل على تلك الأعداد بطبيعة الحال فخلت منها الدار .

وقد أفادتني مجلدات النظام الى درجة كبيرة خاصة انها كانت فى حالة جيدة عكس المجلدات الموجودة فى دار الكتب عن تلك السنوات التى تطرقت اليها عوامل البلى لكثرة تداولها ، ولقدّم العهد بها .

وأستطيع أن أزعـم أنه قد أصبحت لدى اليوم ثروة هائلة من الوثائق التاريخية لا أعتقد أن كثيرين في مصر ، يملكونها .

وهذه الثروة كانت ولا تزال سندا لي ، في كثير مما أكتبه .



وكان الإلحاح على شديدا في ضرورة جمع ما كتبتـه عن تلك السنوات في مجموعة من الكتب وشجعني على ذلك الأخ الصديق الدكتور سمير سرحان رئيس مجلس ادارة الهيئة المصرية العامة للكتاب الذي قام ورجاله ببـهـد كبير في اخراج الجزء الأول من سنوات ما قبل الثورة وكذلك الجزء الثاني الذي أقدمه اليـثـوم لقراء العربية .

وكما أنني لم أكن أتوقع ذلك النجاح الذي تحقق « لسنوات ما قبل الثورة » . عندما نشرت بعض الفصول منها في المصور ، فأنني لم أكن أتوقع ذلك النجاح الهائل الذي تحقق للجزء الأول من سنوات ما قبل الثورة .

كل الصحف المصرية تقريبا كتبت عنه .

كثير من مجلاتنا الكبرى : المصور ، آخر ساعة ، أكتوبر ، روز اليوسف نشرت فصولا منه : كثير من كتابنا تناولوا الكتاب بالتعليق ، وكانوا في تعليقاتهم من الكرماء .

واختار ما كتبه اثنان من الزملاء الأعزاء لا شيء الا لأنه لم تكن تربطني بهما صلة صداقة سابقة على ما كتباه عن سنوات ما قبل الثورة ، أولهما الزميل الأستاذ حسن عامر ، ولقد هزنى ما كتبه عن الكتاب ، ومؤلفه الى درجة أنني ذكرت ذلك أكثر من مرة فيما كتبت من مقالات وفيما أذعت من أحاديث : كان ما كتبه حسن عامر ، أشبه بوسام هام :

« واذا كنا قد تعودنا ألا نكرم كتابنا ومفكرينا الا بعد رحيلهم ، فان حسن عامر قد خرج على هذه القاعدة فكرمني في حياتي » .

واختار فقط هنا – للذكرى وللشكر في نفس الوقت وللتاريخ أيضا – فقرأت مما كتبه حسن عامر عن الجزء الأول من كتابي سنوات ما قبل الثورة : هذا كتاب جدير بالترشيح لدرجة الدكتوراه صاحبه ليس باحثا ، هاويا ، راويا للتاريخ ، لكنه صانع للتاريخ ، شريك بأدوار مختلفة في أحداث مختلفة : بقدر علمه ، ومساهمته في العمل الوطني ، بقدر احترامه ، لشرف الكلمة ، وأمانة الحكم ، وعدالة القاضى ، بقدر ما لديه من وثائق ، ومعلومات ، والمهـد المضنى الذى بذله في جمعها وتصنيفها فهو جدير بإنشاء كرسي جامعى ، يحمل اسمه ، رمزا للفضل ، والعلم ، والأمانة والوطنية .

الانطباع الذى يترك فى الذهن عند رؤية الكتاب لأول مرة : بساطة
العنوان و « عاديته » ، وإخاؤه بأن ما فيه ليس جديداً .

ماذا يضيف عن هذه الفترة التى قتلت بحثاً ، ودراسة من المؤلفين
والأكاديميين ؟ لكن الانطباع السلبي سرعان ما يتلاشى بمجرد أن تفتح الصفحة
الأولى .

الصفحات تسرقك ، تسلمك لا إراديا إلى خير ما تطوف به على أحداث
جديدة ، شواهد لم تختبر بعد ، أسماء تفاعل عنها المؤرخون وأولو الأمر ،
أحكام باطلة رغم أدلة البراءة ، شرفاء ظلمهم التاريخ الذى نعيشه : أستشهد
على ذلك بقول أحد المؤرخين الذين قرأوا الكتاب قال : ان هذا القطع
المستعرض من التاريخ المصرى ، منحه صبرى أو المجد أصالة وعمقا ، وأضاف
إليه ما يجبرنا على إعادة النظر فى كثير من الأحكام المستقرة .
صبرى أبو المجد أنكر فضله الذاتى ، .

الى أن يقول حسن عامر : مصر اليوم فى الكتاب : ربما كان صدور هذا
الكتاب فى هذا الوقت بالذات صدفة ، لكنها صدفة تخدم موضوعها أيضا
ما يسعى إليه فريق من الباحثين لإعادة كتابة التاريخ الوطنى .

وقد شهدت القاهرة مراجعة جزئية لهذا الجديد فى مؤتمر عقد منذ
شهرين حول الموضوعية والذاتية فى كتابة التاريخ : صدفة الصدور تخدم
موضوعيا أيضا ما يجرى الآن من تفاعلات على الساحة المصرية بعد أحد عشر
عاما من التعددية الحزبية ، فى هذا الكتاب تقرأ تاريخ مصر ، تعرف على الزعماء
القدامى ، الكاتب كان موضوعيا عندما تناول الوفد والايوان المسلمين . وحزب
مصر الفتاة والآخرين :

ان ضخامة الجهد والعمل الذى بذل فى هذا الكتاب وتعدد مصادر البحث
وموضوعية الأحكام ، وثناء أرشيف الكاتب بالوثائق ، والشواهد ، والمذكرات
تسمح بعرض بعض الاقتراحات الى من يهمه الأمر .

● أن يتفضل أحد عمداء كليات الآداب بتشكيل لجنة لدراسة الكتاب
واعداد تقرير عنه بما يستحق درجة علمية .

● أن تدرس إحدى الجامعات انشاء كرسي فى دراسة التاريخ المعاصر
باسم المؤلف .

● أن يعاد تكريم الرجل بجائزة الدولة التقديرية أو بوسام ، رفيع
المستوى فى العلوم والآداب :

وفي جريدة الأيام التي تصدرها كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، وتحت عنوان ، مع عاشق التاريخ تلميذ الرافعي أبو المجد الجبرتي ، كتب الزميل أحمد الجابري يقول : علمت أن الدكتور عاطف غيث عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية قد رشح كتاب « سنوات ما قبل الثورة » للأستاذ صبرى أبو المجد ليكون ضمن الوثائق الأساسية لمكتبة الاسكندرية وأنه في سبيله الى عقد مائدة للحوار في الجامعة يدعى لها أساتذة التاريخ والاجتماع والعلوم السياسية والاجتماعية لمناقشة المؤلف .

وعن الكتاب يقول الكاتب الصحفي : تعرضت مصر في فترات تاريخية لحالات حادة من الصعود ، والهبوط ، وكنا نفاجأ خلالها بالأسرار التاريخية. تذاع عبر الأثير من الاذاعة البريطانية من بعض كتاب انجلترا بالرغم من أن لدينا العديد من الأساتذة الأفاضل في جامعاتنا المصرية ، وبالرغم من أن لدينا العديد من المراكز العلمية ، التي تحتوى المذكرات والوثائق لتاريخية وبالرغم من أن لدينا مؤرخون في العصر الحديث مهتمون بكتابة التاريخ : « وقد أطن علينا هلال جديد في سماء مصر ، بين نجوم الكتب التاريخية قلب نظرتنا الى الأحداث رأساً على عقب : نوع جديد من الوثائق : كشف أسرار كثير من الوقائع ، صفحاته من أخطر وأهم ما قدمه عاشق التاريخ في تاريخ حياته كلها : مؤلف الكتاب : مؤرخ مصر الحديث وعاشق تاريخها ، الصحفي الكبير ، والكاتب المحقق الذي ارتفع رصيده السياسى ، كمحارب ومقاتل في مهنة البحث عن المتاعب ،

وتمضى الأيام قائلة : « ان الكتاب الجديد - « سنوات ما قبل الثورة » - ثمرة جهاد مضى منذ سنوات وسنوات ، ونحن نرشح مؤلف هذا الكتاب للحصول على درجة الدكتوراه : انه ليس مجرد باحث هاو للتاريخ ، ولكنه - وبحق - واحد من صناع التاريخ وبالتالي فهو مؤرخ من نوع جديد .

نحن نطالب بكرسى جامعى يحمل اسمه رمزا للوفاء وللأمانة العلمية التي يتميز بها ورمزا للكلمة الشريفة التي يحمل لواءها .

وفي نفس الوقت تكريما للوطنية المصرية التي يبذل المؤلف جهده لزرعها في قلوب وأفئدة شباب مصر : - وخاصة شباب الجامعات والمعاهد والمدارس - نصف الحاضر ، وكل المستقبل » .

وأبادر فأقول أننى ما اخترت ما كتبتة الجمهورية الا لأضرب المثل على اهتمام الصحف بالكتاب لا لغرض آخر .

كما أننى لم اختر ما كتبه أصدقاء ، وأبناء عديدون كمحمود عبد المنعم

مراد ، وأحمد زكى عبد الحليم وغيرهما من كبار الاخوة والزملاء ، خشية أن تكون العلاقات الشخصية التي تربطني بهم لها دخل فيما كتبوه عني وعن كتابي وان كان هؤلاء الكتاب لا يمكن أبدا أن تكون للعلاقات الشخصية - أية علاقات شخصية - أى تأثير على ما يكتبونه فهم من خيرة الكتاب والأدباء .

أما ما كتبتة الأيام فقد اخترته لأنه يمثل رأيا لصحيفة تصدر عن كلية من أعرق كليات الآداب في مصر .



أردت من الإشارة الى ما سبق ذكره ، التأكيد على أن الشعب قد أصبح - وتلك ظاهرة جديدة أو متجددة - يولى اهتماما بالغا ، بتاريخه وخاصة إذا ما كتب هذا التاريخ بوعى وأمانة ، وموضوعية وكان كاتبه مشاركا في كثير من الأحداث التاريخية وعلى معرفة وثيقة بكل الشخصيات - أو بأغلبها إذا أردنا الدقة - التي لعبت أخطر الأدوار في تلك السنوات المشرقة بالأمل الحلو المورقة بالكفاح الوطني الذي لم تر مصر له مثيلا من قبل .

على أننى للأمانة التاريخية أحب أن أقول أننى عاشق للتاريخ لأننى فى الأصل عاشق لمصر ، وربما كان عشقى لمصر ، هو الذى خرضنى على عشقى تاريخ مصر .

عشقى لمصر هو الذى دعانى الى كتابة تاريخ مصر :

فى كثير من الأحيان أرى أن الكتابة عن تاريخ مصر تختلف عن غيرها من الكتابات وعندما أكتب أنا بالذات عن تاريخ مصر ، لا أستهدف نشر حلقات فى الصحف تثير بعض الجدل ، ولا أستهدف اضافة كتاب جديد الى المكتبة العربية ، انما أريد بما أكتبه عن مصر وتاريخ مصر المشاركة فى اعداد أجيال جديدة تعشق ، مصر ، وتاريخ مصر ، وتبذل قصارى جهدها لفرض ارادتها على التاريخ ، وتغيير مجراه الى ما فيه الأفضل ، والأحسن ، والأكثر تحقيقا لآمال الجماهير : وفى بعض الأحيان يستبد بى الحماس وأنا أكتب ما أكتبه عن التاريخ فأخرج عن هدوء المؤرخ وأعود الى ما كنته فى شبابى ، نائرا ، ولكن بالكلمة ، مكافحا ولكن غن طريق إعادة كتابة التاريخ : وقد اتهمنى الصديق الكبير ، الدكتور يونان لبيب رزق ، بأننى وأستاذى عبد الرحمن الرافعى والأستاذ فتحى رضوان من مدرسة التعظيم والتأثير التى تعظم أعمال شخصيات الحزب الوطنى ، وتؤثم أعمال غيرها من الشخصيات .

وقد رددت عليه فورا مؤكدا له ، أننى ما كنت فى يوم من الأيام من تلك المدرسة : مدرسة التعظيم والتأثير .

صبيح انبى من أبناء الحزب الوطنى ، وأنصار مصطفى كامل ومحمـ
فريد ، بل انبى كتب ولا أزال من غلاة أولئك الأبناء والأنصار ، ولقد قضيت
زهرة شبابى سجيناً ، بسبب انتمائى الى ذلك الحزب ، وتحسنى لقادته ،
الأوائل ، ومع كل ذلك كانت لى آرائى الخاصة فيما يتعلق بالتاريخ وشخصه :

ما أكثر ما كتبت عن أحمد عرابى ورفاقه ، وثورة ١٨٨١ وما أكثر
ما ناديت برد اعتبار هؤلاء الزعماء والقادة ورد ممتلكاتهم اليهم ، بل ما أكثر
ما دعوت الى إعادة رفات من مات منهم فى سيلان (سبرى لانكا) .

وما أكثر ما كتبت عن قاسم أمين ، ودعوته ، وما أكثر ما انتقدت فى
نفس الوقت بعض زعماء الحزب الوطنى وخاصة محمد فريد وهجرته ،
والانقسامات التى حدثت داخل صفوف الحزب الوطنى فى اثر تلك الهجرة .

وكذلك ما أكثر ما انتقدت عدم قدرة زعماء الحزب الوطنى ، على الاندماج
فى ثورة ١٩١٩ والمشاركة فيها مشاركة تبيح للحزب أن يلعب دوراً هاماً فى
توجيهها .

ثم انبى كتب من أوائل من اعترف من أبناء الحزب الوطنى بزعامة سعد
زغلول وإشهاد بدوره الوطنى الكبير ، فى قيادة ثورة ١٩١٩ ، رغم اختلافى
معه فى كثير مما قام به قبل ذهابه فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ للقاء ، المعتمد
البريطانى فى مصر ، سير ريجنالد وينجت هو وعلى شعراوى وعبد العزيز
فهمى ، ورغم اختلافى معه فى قبوله الحكم وترؤسه الوزارة المصرية عقب فوز
حزبه [الوفد] فى انتخابات عام ١٩٢٤ .

وقد خصص الأستاذ محمد زكى عبد القادر يومياته ، فى الاختصار
(١٩٥٤/٤/٢٩) عندما كتب عن كتابى « الجلاء أقوى طريق للسلام » تحت
عنوان « ما لهم ، وما عليهم » .

وقد جاء فيما كتبه أستاذنا زكى عبد القادر بالحرف الواحد : أتممت
اليوم قراءة كتاب الجلاء للأستاذ صبرى أبو المجد وهو من الشبان الذى نشأوا
فى حضن الحزب الوطنى وآمنوا بمبادئه ، وأعجبني منه أنه كان مخلصاً فى
عرضه لأدوار القضية المصرية ، لم يحجب الحزب الوطنى ولم يخس غيره من
الأحزاب حقهم : فبينما مجد مصطفى كامل وإشهاد بجهاد ، أخذ عليه أنه لم
يقطع صلته بالحدىو عباس الا فى عام ١٩٠٤ .

وعنده - عند صبرى أبو المجد - أن مصطفى كامل كان يجب أن يفعل
ذلك حينما بدأ الحدىو يتنكر للحركة الوطنية ويمالى المحتلين ، ويساند وزارة
مصطفى فهمى التى باعت بواخر مصلحة البوستة الجديوية وعيد بواخرها

أحد عشر ب ١٥٠٠٠ جنيه وكانت الحكومة قد اشترت ثلاث بواخر منها بمبلغ ٢٠٠٠٠ جنيه وكان الثمن الذي بيعت به تلك البواخر يعادل صافي ربحها في أربع سنوات فقط .

ويقول الأستاذ الكبير محمد زكي عبد القادر فيما كتبه أيضا بالأخبار : « ومع تمجيد صبرى أبو المجد لجهاد محمد فريد يأخذ عليه أنه بعد خروجه من السجن ترك مصر ، وكان من واجبه ألا يفعل فإنه إذا كان قد تابع جهاده في أوروبا إلا أن الجهاد الحقيقي الفعلي في مصر . »

وإذا كان مؤلف كتاب الحياذ قد أخذ على سعد زغلول « دفاعه عن مد امتياز قناة السويس في الجمعية العمومية على الرغم من أنه ليس الوزير المختص » كما أخذ عليه قبوله تولي الحكم وكان الأجدر به - في رأى المؤلف - أن يظل حيث هو زعيما للثورة متحررا من قيود الحكم ومع ذلك فقد أنصفه فقال : أنه أول زعيم مصري فلاح اختار لأعضائه الوزارة « أفندية » وحارب الانجليز والسراى جريا مكشوفة . وأول زعيم فلاح تجهل أعباء الكفاح من نفي وتشريد وهو في سن الشبيخة » .

وبعد أن تناول زكي عبد القادر بعض موضوعات الكتاب قال : يجرى المؤلف على هذا النحو في كتابه من ذكر المفاخر والمثالب ووزن الرجال دون تمييز أو تأثر ، يذهب من المذاهب أو انحراف إلى جيب أو جماعة .

وهذا - زكي عبد القادر - ما نرجوه من كل من يعرضون لتاريخ جهادنا فإن ما من زعيم ظهر في مصر ، إلا كالت له أخطاؤه وكان له ضعفه وكان له في الوقت نفسه فضله وجهده ، ومن الخير أن نكون منصفين وعلى الأقل ، مع من أصبح الموت يحول بينهم وبين رد الهجمات الظالمة عليهم .



وقد أحسست بأننا ظلمنا مصطفى النحاس ظلما بينا ، حتى لقد اعتقل الكثير من شيعوا جثمانه وظلوا في غياهب الاعتقال شهورا عديدة .

وكان من الصعب بل من المستحيل على أو على غيرى الكتابة عنه .

ولم تكف الرقابة على الصحف ترفع وتجل الذكرى العاشرة لوفاته حتى انبريت في المصور وبصورة أذهلت الجميع حتى لقد عاتبني أحد المسئولين الكبار عتابا كان أشبه باللوم على ما كتبت .

كتبت تحت عنوان : مقال تأخر نشره ١٠ سنوات ، « مصطفى النحاس .. زعيم وطنى شجاع كان قائد مصر ، وضميرها » ، كان المقال في أربع صفحات ،

ثم أعدت الكرة في الاسبوع الثاني والاسبوع الثالث والاسبوع الرابع :
١٦ صفحة كتبت عن مصطفى النحاس ورئيس الدولة يهاجم مصطفى النحاس
في كثير من خطبه وكنت أنوى الاستمرار في الكتابة لولا أن أستاذنا فكرى
أباطلة رئيس تحرير المصور وقتئذ رفض أن أستمّر خوفا على من ناحية .

ومن ناحية أخرى حتى لا يتعرض المصور للمساءلة . .

ومن ناحية ثالثة - كما قال لى فكرى أباطلة - « لا تنس أننى وأنت من
أبناء الحزب الوطنى الذين وقفوا من النحاس باشا موقف الخصومة عندما جاء
بالمعاهدة المصرية البريطانية فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ ، وعندما قبل الحكيم فى
٤ فبراير ١٩٤٢ » . ولم يكن أحد فى مصر وقتذاك - أغسطس ١٩٧٥ - يجرؤ
على أن يكتب كلمة واحدة عن مصطفى النحاس .

وكتبت ما كتبت عن مصطفى النحاس الزعيم الوطنى الشجاع . . وأنا
لست من حزبه وإنما من حزب يختلف باستمرار مع حزبه .
ولكن كتابتى كانت عن اقتناع بأن مصطفى النحاس كان ولا يزال لم
يأخذ بعض حقه : وأذكر من بين ما كتبت وقتئذ عن مصطفى النحاس : أصدر
القاضى مصطفى النحاس حكما ضد محب باشا فثار اللورد كتشنر - المعتمد
البريطانى فى مصر - وهدد مصطفى النحاس بالفصل .

وفى ثورة ١٩١٩ فصل القاضى مصطفى النحاس وكان معاشه ١٥ جنيها
فقط ! ، ، .

وقد ناديت فيما كتبت عن مصطفى النحاس - ٢٩ أغسطس ١٩٧٥ -
كتاب التاريخ أن يقتصدوا فى الدفاع أو الهجوم وألا يكيلوا التهم جزافا لمن
مات فليس هناك أقسى ، ولا أمر على النفس من الهجوم على من لا يستطيع
الدفاع عن نفسه لأنه مات : لقد تعرض مصطفى النحاس فى حياته لأقسى
الحملات ، التى وجهت الى زعيم معاصر ، كانت بعض القوى تختلف فى كل
شئ ، وتلتقى عند الهجوم على مصطفى النحاس :

كان الرجل فى حياته يهاجم من أجل الشئ ، ونقيضه فى نفس الوقت .
فالبعض يهاجمه لأنه ارتقى فى أحضان السراى والبعض الآخر ، يهاجمه لأنه
كان « عدوا للسراى » والحقيقة التاريخية الثابتة تؤكد أن الرجل لم يكن صديقا
لهذه الجهة أو تلك ، ولم يكن عدوا لهذا الشخص ، أو ذاك الا بقدر ما يرى
أن الصداقة أو العداوة يمكن أن تفيد قضية البلد حسبما يرى ويعتقد .

وقد يكون الرجل فى اعتقاده مصيبا أو مخطئا ولكنه فى كل من الحالتين ،
حالة الخطأ ، وحالة الصواب لا يعبر الا عن فكر وطنى صادق لا يستهدف عرضا
شخصيا أو مصلحة ذاتية .

ومصطفى النحاس يعتبر بحق نموذجاً صادقاً للمواطن المصري في نبذه
وصراحته وإيمانه ، ورجولته وفي شجاعته ، وفي نزاعته الخ .

ومن المضحكات المبكيات أنه في أحد المؤتمرات «المنظمة» من الخارج والتي
أريد بها تعليمنا الالتزام والموضوعية في كتابة التاريخ المعاصر قال أحد الزملاء ،
ممن لم يسبق لي أن قرأت له عملاً تاريخياً واحداً : قال إن بعض الكتابات
الصحفية تستخدم في الصراع السياسي وليس من باب العلم التاريخي وضرب
مثلاً بما أكتبه قائلا : اننى لا اكتب تاريخاً لأننى متحيز للحزب الوطنى ولثورة
يوليو وهذا ليس تجريحاً فى « زميلنا » - هكذا قال الأستاذ نبيل عبد الفتاح -
ولكنه مثال يضرب لوضع هذه النوعية من الكتابات فى حدودها عندما تستخدم
فى البحث العلمى » ومثال آخر ذكره الأستاذ عبد الفتاح « كتابات صالح العشماوى
» التى لا يمكن أن نعتمد عليها قط فى كتابة تاريخ الاخوان لأن العشماوى كان
منخرطاً فى المعارك السياسية التى دارت بين الاخوان ورجال يوليو .

وكل هذه الكتابات تعكس الانقسام الذى حدث منذ مطلع الدولة الحديثة
والتفكك فى البنية الفكرية والاجتماعية للمجتمع المصرى « ولعل لم أقرأ من
قبل مثل هذا الكلام ولعل لم أجد سبيلاً ، الى فهمه فمن ناحية أنا لا أخلط أبداً بين
كتاباتى السياسية اليومية ككتاب سياسى له فكره الخاص وبين الكتابات
التاريخية بدليل أننى لم أتحيز للحزب الوطنى الذى انتسبت اليه منذ مطلع
حياتى والى أن القى وجه ربى وبدليل أننى كتبت كتابات عديدة عن مختلف
واياهم فى رأى : مصطفى النحاس ، محمد محمود ، أحمد ماهر ، ثم أننا اذا
أسقطنا ما كتبه عبد الرحمن الرافعى لأنه حزب وطنى وأسقطنا ما كتبه
د. محمد حسين هيكل لأنه حر دستورى وأسقطنا ما كتبه لطفى السيد
وعبد العزيز فهمى لأنهما بالفكر والاتجاه مع الأحرار الدستوريين ، وأسقطنا
ما كتبه حسن البنا عن الاخوان المسلمين لأنه قائد الاخوان المسلمين .

ولأننا - مثلاً - اذا أسقطنا ما كتبه مصطفى كامل ، ومحمد فريد وعلى
يوسف وغيرهم وغيرهم لأنهم حزبيون ، ماذا يبقى لنا إذن من الكتابة التاريخية .
خطورة هذه الدعوة تكمن فى أنه لن يكتب التاريخ - فى رأى الكاتب -
من له علاقة بالتاريخ .

وللعلم فأننى لم أقل فى يوم من الأيام أننى مؤرخ أو أننى أكتب تاريخاً
وإنما أقول باستمرار وأركز على هذا الذى أقوله : اننى أقدم كتابات
لشخصيات مصرية وطنية ولأحداث مصرية وطنية فيها تاريخ ، وفيها أدب وفيها

سنوات ما قبل الثورة ج ٢ - ١٧

شعر ، وفيها اقتصاد وفيها فلسفة وأهم من ذلك كله فيها دفء الحياة لا برودة القبور .

وهذا حسبي : دروس لمواطني عن شخصيات مصرية ، وعن أحداث وطنية ، أريد بها العظة والعبرة وبعث الصوفية الوطنية المصرية الأصيلة من جديد .

اننى فى كثير من الأحيان أومن بأن لدى الكثير ، الكثير ، مما يجب أن أقدمه لبني وطني كل ما أعرفه من حوادث - وأخبار وأسرار ، ودراسات لبعض الأحداث وللبعض الأشخاص ودائماً أدعو الله سبحانه وتعالى ، أن يمكنني من أداء هذه الأمانة ، كما أحب وكما ينبغي أن تؤدي الأمانات .

بل اننى أدعو الله أن يطيل الأجل حتى أتمكن من أداء ما أريد أداءه لمواطني الأعداء .

وقبل أن أنتقل الى الحديث عن بعض الأعمدة ، والثوابت فى تاريخنا الوطنى والقومى فى المائة عام الأخيرة ، أريد أن أتوقف عند بعض الآراء والمعتقدات ، التى لها أكبر الأثر فيما أقدمه من دراسات :

● تاريخ كل أمة من الأمم ، حلقات تتصل بعضها ببعض ، متشابكة ، متواصلة ، لا يمكن فصل حلقة عن بقية الحلقات ، كل حلقة تؤثر وتتأثر بغيرها من الحلقات ، وهذه الحلقات ميراث حضارى تتوارثه الأجيال تلو الأجيال ، وما يحتويه هذا التاريخ من قيم حضارية يجب أن تستفيد منه كل الشعوب وكل الأمم ، باعتبار أن تلك القيم الحضارية ميراثاً للإنسانية جمعاء ، وليس لشعب من الشعوب .

● اذا كنت قد أوليت اهتماماً خاصاً بالفترة من ١٨٦٥ حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مروراً بافتتاح قناة السويس ، والابتلاء بالديون الخارجية الكثيرة ، وتركيزاً على ثورة ١٨٨١ التى قادها أحمد عرابى وثورة مصطفى كامل وفريد التى بدأت مع بدايات القرن العشرين ، وثورة ١٩١٩ التى قادها سعد زغلول باشا وكذلك ثورات ١٩٣٥ ، ١٩٤٦ ، ١٩٥٢ التى قادها شباب مصر ، كل شباب مصر ، فمرد ذلك ايماني الوثيق بأن هذه الفترات أغنى فترات التاريخ المصرى وأكثرها خصوبة فى العمل الوطنى بالاضافة الى أننى أؤمن ايماناً قاطعاً بأن هذه المراحل من حياة شعبنا المصرى ، لا تزال بكراً لم تكتشف بعد رغم كثرة ما كتب عنها وما صدر حولها من مجلدات : لا أزال أرى أن هذه المراحل بحاجة الى بحث جديد ، وإلى رؤية جديدة ، لما بها من أحداث كما أنها بحاجة الى إعادة نظر فيما صدر عنها من أحكام تصور البعض أنها قطعية وما هى بقطعية : انها أحكام مؤقتة آن الأوان ، لنقضها ، أو ابرامها .

● لقد مضى حين من الدهر ، كنا نسمى الثورة العربية « هوجة عرابي » وكنا نطلق على زعيمها لقب « العاصي » ، أحمد عرابي . ثم راحت تلك الظروف . التي استوجبت اصدار تلك الأحكام . وأصبح واجبا علينا تغيير تلك الأحكام وقد حدث ، ولكن ليس بالدرجة الكافية والمنقعة : في العاصمة المصرية - القاهرة - تمثيل لسعد زغلول ومصطفى كامل . ومحمد فريد وطلعت حرب ولا يوجد تمثيل لأحمد عرابي ورفاقه بالرغم من أن عرابي ورفاقه يسبقون في العمل الوطني الثوري مصطفى . وفريد وسعد . وهذا دليل اكيد على أن نظرنا لتلك المراحل ، ولا بطلان تلك المراحل ، لاتزال ضيقة الأفق وغير عادلة ، بل أقول لا تزال نظراتنا وأحكامنا غير منصفة الى حد كبير .

● يجب أن ننظر الى كل دراسة من دراسات تلك المراحل ، على أنها وجهات نظر خاصة بأصحابها ، ليس هناك أبدا من أحكام قاطعة . أو يمكن أن تكون قاطعة ، ثم ان وجهات نظرنا لا تعني أن وجهات النظر الأخرى ، المناهضة لها ، غير سليمة ، أو غير ناضجة .

● يجب أن نحترم كل الدراسات وكل وجهات النظر مهما اختلفنا وإياها فكل واحد له رأيه ومن الواجب علينا أن نحترم كل الآراء اتفقنا معها أو اختلفنا وإياها لأنه اذا كان كل واحد منا سوف يتحيز ويتعصب لوجهة نظره فلن نصل أبدا الى الحقيقة التي ننشدها أو يجب أن ننشدها جميعا .

● لي رأى خاص فيما يتعلق بنشر الوثائق الأجنبية ، أيا كانت الجهة التي صدرت عنها تلك الوثائق ، انها بالنسبة لي ، وأرجو أن تكون بالنسبة لغيري ليست أكثر من تحقيقات البوليس أو النيابة تعرض على القاضي وله أن يأخذ بها أو ببعضها وله أن يهدرها كلها : الوثائق الأجنبية ليس لها حجية الا قبل الجهات التي صدرت عنها أما ما عدا تلك الجهات فلا « حجية » لها على الإطلاق : ماذا يمكن أن نسمى - مثلا - وثيقة صدرت في أيام الاحتلال عن شخصية مصرية فأدانتها تلك الوثيقة أو مجدتها ؟ هل في الادانة ، جريمة ، وهل في التمجيد شهادة طيبة ؟ : لا أستطيع أبدا أن أعطي الآخرين سلطة اصدار الأحكام على شخصيات مصرية ، وعلى أحداث مصرية مهما حسنت نوايا هؤلاء الآخرين .

● على كل من يريد أن تكون له وجهة نظر سليمة في شخص ما أو في حدث ما أن يحاول أن يعيش في الظروف التي أحاطت بذلك الشخص ، أو بذلك الحادث والا كان حكمنا على الأحداث والأشخاص غير سليم : لا أتصور أننا في أواخر الثمانينات نجلس في مكاتبنا المكيفة الهواء ، وأماننا آلات الكمبيوتر والتلكس وأحدث أدوات الاتصال بالخارج ثم نحكم على علاقة مصطفى كامل بفرنسا ، أو بالخديو عباس حلمي بدون أن نحاول تصور تلك الظروف الداخلية والخارجية ، والشخصية ، والحزبية التي أحاطت مصطفى كامل ،

والخديو والعلاقات المصرية الفرنسية بعد الاتفاق الفرنسي ، البريطاني ١٩٠٤ .

● البعض يتصور أن تحمسه لشخصية ما يدفعه الى أن يتحمس لما كانت تتحمس له تلك الشخصية وأن يعادى الشخصيات التي كانت تعادى تلك الشخصية ، ومن الممكن ، بل من الضروري أن أكون مؤيدا لشخص ما وفي نفس الوقت ، مؤيدا لمن وقف من هذا الشخص يوما ما موقف الحصومة والا كان معنى ذلك أننا سنظل دائما داخل دوامة الحزازات الشخصية والحزبية ، وأضرب على ذلك مثلا اذا جاز لمصطفى النحاس مثلا ، أن يختلف مع الأحرار الدستوريين في سنة ١٩٢٨ أو سنة ١٩٣٧ فلا يمكن أبدا لمن يعيش في أواخر الثمانينات أن ينعكس حبه لمصطفى النحاس الى عداوة ، لمحمد محمود ، وللدكتور هيكال والا كان معنى ذلك - أيضا - أنه بعد ذهاب بعض الشخصيات التاريخية وبعد انتهاء بعض الأحزاب نطل متحيزين ، متحمسين ، كما كان آباؤنا وأجدادنا : ان هذا التمزق وهذا التشدد في الحزب ، ضار بالحاضر ، قاتل للمستقبل .

● أكرر ما سبق أن قلته مرارا وتكرارا ، لست مؤرخا وان كان يشرفنى أن أكون كذلك كما أننى لست راوية ، وفي نفس الوقت لست مصورا فوتوغرافيا ينقل بالصورة أحداث الماضي وانما أنا سياسى ، مصرى ، عربى ، وطنى قومى له آراؤه ، وأفكاره واتجاهاته ورؤياه الخاصة فى بعض الأشخاص وبعض الأحداث ولديه كم كبير من المعلومات ، يريد أن يوصله الى كل مصرى وكل مصرية ليثير فيه العاطفة الوطنية المصرية وليحثه على أن يعمل بحماس لخدمة الشعب والوطن : وانطلاقا من ذلك فان آرائى الخاصة لا أسعى الى فرضها . بل لا أدعو الناس الى الاقتناع بها .

كل ما أريده حقا وصدقا ، أن يضعها الجميع فى اعتبارهم ان شاءوا أخذوا بها وان شاءوا رموا بها عرض الحائط .

● لدى - مثلا - فكرة مؤداها أن الصهيونية لعبت أخطر الأدوار في التمهيد لاحتلال مصر في السنوات الأخيرة من حكم اسماعيل معتمدة على القروض التي كانت بعض البيوت الاقتصادية ، كبيت آل روتشيلد تقرضها لاسماعيل باشا وتكلمة لهذا الراى أقول ان الصهيونية والاستعمار وجهان لعملة واحدة .

● رأى آخر فى تقسيم التاريخ المصرى فى المائة عام الأخيرة .

من رأى أنه منذ فتح قناة السويس الى نفي اسماعيل باشا يشكل وحدة زمنية وسياسية مستقلة أو شبه مستقلة كما هو الحال بالنسبة للفترة التي تبدأ بتولية الخديو توفيق باشا وتنتهى فى ١٤ سبتمبر ١٩٨٢ تاريخ دخول

القوات البريطانية العاصمة المصرية وكذلك بالنسبة للفترة التي تبدأ من ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ وتنتهى بوفاة توفيق باشا .

وكذلك الفترة التي تبدأ بتولية الخديو عباس حلمى العرش الى اليوم الذى هاجر فيه محمد فريد مصر [٢٦ مارس ١٩١٢] ومن ذلك التاريخ ، الى ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، ومن ٢٨ فبراير ١٩٢٢ - تصريح ٢٨ فبراير - الى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ [توقيع معاهدة ١٩٣٦] ومن ذلك التاريخ حتى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ومن ٤ فبراير ١٩٤٢ الى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ [اقالة وزارة النحاس] ومن ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ، تشكيل وزارة د. أحمد ماهر الى ٢٦ يناير ١٩٥٢ [حريق القاهرة] ومن حريق القاهرة الى ٢٢ يوليو ١٩٥٢ : كل فترة من تلك الفترات تمثل من وجهة نظرى وحدة سياسية وزمنية مستقلة ، أو شبه مستقلة .

● وفى مقدمة ما أؤمن به الى حد كبير ، أنه لكى ندرس سنوات ما قبل الثورة جيدا ، ولكى نعى أحداثها جيدا ولكى يكون حكمنا على الأشخاص جيدا ينبغي أن نعود الى الوراء الى السنوات الأخيرة من حكم الخديو اسماعيل باشا : لا أتصور - مثلا - أن نتحدث فى سنوات ما قبل الثورة (١٩٣٠ - ١٩٥٢) عن الأحزاب المصرية الحزب الوطنى ، حزب الأحرار الدستوريين ، دون أن نعود الى الجذور القديمة للأحزاب المصرية ، وخاصة الحزب الوطنى الذى قامت على أكتاف أعضائه بعض أعباء ثورة ١٨٨١ .

وكذلك لا أتصور أن أتحدث عن الامتيازات الأجنبية والغاؤها فى مصر دون أن نتحدث عن القروض الأجنبية التى اقترضها اسماعيل باشا والتى دخل الفرنسيون والانجليز مصر أول ما دخلوا لضمان حقوق أولئك الدائنين وفى الجزء الأول من هذا الكتاب حرصت فى المقدمة - أو المدخل كما أسميته - على الإشارة الى أهم الأحداث والوقائع والشخصيات التى تناولتها فى الكتابة عن سنوات ما قبل الثورة على ضوء ما لدى من وثائق وأوراق تاريخية لم تنشر من قبل .

وفى هذه المقدمة - أو فى هذا المدخل كما أسميته أيضا - حرصت على أن أتوسع فى الحديث عن بعض الأحداث وبعض الموضوعات التى رأيت أن لها أهمية خاصة بالنسبة للتاريخ المصرى ولسنوات ما قبل الثورة بالذات وقد تعبت فى اختيار تلك الأحداث وتلك الموضوعات وتعبت أكثر وأكثر فى تقديمها بتلك الصورة الموجزة والجديدة فى نفس الوقت .

وقد وجدت لها فرصة طيبة لكى أعطى قرائى وقارئاتى جرعات من مركز -بضم الميم - التاريخ المصرى اعتمادا على كتب ودراسات غير متداولة وعلى

وثائق لا أعتقد أنها متوافرة لدى الكثيرين ولا أقول عندى وحدى أخذاً بمبدأ التواضع الذى التزم به باستمرار فى كتاباتى بل فى حياتى .

وأرجو من كل قارئ ، وكل قارئة أن يؤمن بأن ما سأقدمه هنا فى هذه المقدمة أو فى هذا المدخل له علاقات وثيقة بما سيكتب عن سنوات ما قبل الثورة ان لم يكن فى الجزء الثانى ، الذى أقدمه اليوم فى الأجزاء التى تليه بمشيئة الله .

● وقد اخترت بداية المقدمة أو المدخل ، السنوات الأخيرة لحكم اسماعيل باشا لأنها كانت من أسباب ثورة ١٨٨١ - ثورة حرابى ورفاقه - ولأن آثارها - وخاصة كثرة القروض كانت من الأسباب التى أدت الى الاحتلال البريطانى لمصر ، بل لقد امتدت الى ما بعد الاحتلال البريطانى لمصر وقد كان اسماعيل باشا - مهما تكن أخطاؤه بل جرائمه الكبيرة والخطيرة - مصلحا له بصماته القوية على كل ما جرى فى مصر فى أيام حكمه : كانت له فتوحاته الخارجية ، وكانت له غزواته السياسية وكانت له نزعته الاستقلالية عن الباب العالى ثم كان له جهده البارز فى اتمام حفر قناة السويس وفى بيع أسهم مصر فيها «بتراب الفلوس» ، وكانت له اهتماماته الكبيرة والخطيرة بالنسبة للجيش المصرى فاليه الفضل كل الفضل فى انشاء العديد من المدارس الحربية : المدفعية ، الفرسان ، المشاة ، مدرسة أركان الحرب ، مدرسة صف الضباط ، وكانت له اهتماماته البالغة بالأسطول المصرى ، فهو الذى بعث الحياة فيه من جديد وهو الذى جدد المدرسة البحرية بالاسكندرية ، وهو الذى أحيا البحرية المصرية حتى لقد جاء - كما جاء فى احصاء اسماعيل سرهنك باشا - أن عدد سفن الأسطول المصرى بلغ ١٨ سفينة بالإضافة الى ثلاث سفن حربية أخرى مخصصة لتنقلات الحُدُود .

ومن بين تلك السفن : محمد على ، سفير ، جهاد ، لطيف ، كورفت ، الخرطوم ، دنقلة ، وبعض هذه السفن صنع فى أمريكا والبعض الآخر فى انجلترا وفرنسا وإيطاليا والأهم أن بعض السفن قد صنع فى الاسكندرية .

وكان لمصر ثمانية طرادات وسفن للنقل ، من بينها : الطور ، أسوان ، أسيوط ، الجعفرية ، سمبود ، عجمى . وكان لمصر أسطول تجارى هائل ، لا مثيل له فى كثير من دول أوروبا .

والجدير بالذكر أنه - طبقا لاحصاء سرهنك باشا - وصل عدد الجيش المصرى الى ٨٩٠٠٠٠ جنديا وضابطا بالإضافة الى ١٨٩٠٠ تلميذا فى المدارس الحربية المصرية و٣٠٠٠٠ مقاتل يرابطون فى السودان أى أن جيش مصر فى مصر والسودان بلغ عدده (١٢٠٠٠٠ مقاتلا) .

● أكبر جرائم اسماعيل باشا ديونه وفوائدها الباهظة تلك الديون التي استغل معظمها في كثير من الأمور التي لا أهمية لها والتي لم تكن الا تحقيقا لنزواته الشخصية حتى تصبح - كما قال - مصر قطعة من أوروبا .

بدأت ديون اسماعيل باشا في عام ١٨٦٤ بقرض قيمته ٧٠٤٢٠٠٠ جنيهها انجليزيا وفي العام التالي كان القرض الثاني ٣٢٨٧٣٠٠ جنيهها انجليزيا .

ثم كان في ١٨٧٣ ما سمي بالقرض المشنوم وقيمه ٣٢٢٠٠٠٠٠ جنيهها وهذا القرض الكبير المشنوم ، لم يدخل منه الخزنة العامة سوى ٢٠٧٧٤٠٠٠٧٧ أى أن ٣٧٪ من قيمته ضاع .

وكانت إيرادات الدولة - مثلا - في ١٨٧٧ قد بلغت ٩٥٨٩٠٠٠ جنيهها خصص منها لحملة الأسهم وحدهم ٦٠٠٠٠٠٠٠ جنيهه وقد قدرت ديون اسماعيل باشا في الفترة من ١٨٦٤ الى ١٨٧٨ بمبلغ ١٢٦٣٥٤٣٦٠ جنيهها وكانت تلك القروض - كما سبق أن قلنا - بداية التدخل الأجنبي في شئون مصر فمن لجنة كيف التي جاءت في ديسمبر ١٨٧٥ لفحص مالية مصر ، الى انشاء صندوق الدين والرقابة الثنائية [البريطانية والفرنسية] على مالية مصر الى لجنة عليا أوربية للتحقيق في ٢٧ يناير ١٨٧٨ الى الاحتلال البريطاني لمصر في ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ .

● كان الاحتفال بافتتاح قناة السويس حدثا عالميا غير مسبوق في أى بلد من بلدان العالم ، وصفه فرديناند دلبسس في مذكراته بقوله : ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ في قرننا هذا ولعله لم يحدث في أى قرن من القرون كلها أن اقيم احتفال يشبه احتفالنا في عظمته وجلاله ، لقد ظلت شركات العالم الملاحية شهرا كاملا قبل الاحتفال تنقل الى مصر ، مدعوى الخديو اسماعيل من ملوك أوروبا وملكاتها ، وأمرائها وعظماؤها السياسيين وقد أدهش خديو مصر كل ملوك أوروبا بجمال ما أعده لهذا الاحتفال وقد أكد الملوك أنفسهم بأنهم لم يعرفوا في حياتهم أياما كالتى أمضوها في ضيافة مصر .

وكانت الامبراطورة أوجيني قد أقلت البارجة الفرنسية ليجل [النسر] .

وكان من كبار الضيوف الذين حضروا الافتتاح الأمير عبد القادر الجزائري أمير الجزائر الذي كان - كما قال دلبسس - قد اشتهر بحروبه ضد فرنسا وببسالته في تلك الحروب .

وكان موضع الحفاوة من كل المدعويين خاصة عربان مصر الذين اشتركوا في الاحتفال .

● وصف المسير فونتان أحد الذين حضروا الاحتفال بافتتاح قناة السويس في كتابه « رحلة غربية في قناة السويس » حفلة الافتتاح بقوله : أقيمت أمام رصيف الامبراطورة أوجيني ثلاث صفوف من المقصورات الجميلة أولها وأقربها من الرصيف للعظماء من الضيوف ، ثانيها بين الرصيف والبحر كان الجزء الأيسر للعلماء المسلمين والأيمن لرجال الدين المسيحي ، بدأ الاحتفال بموكب تقديمه رئيس تشريفات الحديو زكي بك وتلاه أركان حرب الدوارع ثم أميرة البلاد الواطنة معطية ذراعها لولى عهد مصر ، توفيق باشا ، ثم البرنس هنرى أمير البلاد الواطنة و . و .

ثم سارت خلف الأعلام الامبراطورة أوجيني متأبطة ذراع الامبراطور فرانسوا جوزيف ثم سار خلفهما خديو مصر ، ثم الأمير عبد القادر .

● وصف احمد شوقي يوم الافتتاح وما بعده بكلمات أدبية رائعة أشار فيها الى مشاركة مشايخ الإسلام . وأساقفة النصارى وكهنة اليهود فى الاحتفال والى الألف سرادق التى نصبها الحديو فى الصحراء ، والى إطلاق المدافع وتقدم يخت الامبراطورة أوجيني فى القناة . وبعده يخت فرانسوا جوزيف امبراطور النمسا ويخت فريدريك غليوم أمير بروسيا .

وذكر أن عدد السفن التى أقلت المدعوين كان مئتها ٦٨ سفينة .
وكان مما قاله شوقي مخاطباً ولديه والمناسبة مروره بالقناة فى طريقه الى المنفى :

تلكما يا ابني القناة لقومكما فيها حياة ، ذكرى اسماعيل ورياه وعليها
مفاخر دنياه : دولة الشرق المرجاة وسلطانها الواسع الجاه : طريق التجارة
المناورة ومشعر الحضارة » .

ثم قال شوقي وهو يتحدث عن نفيه الى اسبانيا : ان للنفى لروعة وأن
للنأى للوعة وقد جرت أحكام القضاء بأن نعبّر الماء ، حين الشر مضطرم واليأس
محتدم والعدو منتقم والخصم محتكم ، وحين الشامت جذلان مبتسم : نفانا حكام
عجم أعوان العدوان والظلم . ضربونا بسيف لم يطبعوه ولم يملكوا أن يرفعوه
أو يضعوه سامحهم (المحتل) فى حقوق الأفراد وسامحوه (الحكومة المشرية)
فى حقوق العباد .

وما ذنب الشعب اذا لم يستح الجلال .

ويقول شوقي مرة أخرى عن القناة :

القناة وما أدراكا ما القناة : حظ البلاد الأغبر من التقاء الأبيض والأحمر
بيد أنها أحلام الأول وأمانى الممالك والدول : الفراغة حاولوها والبطالسة

زاولوها والقياصرة تناولوها والعرب لأمر ما تجاهلوا الى ان جرى انقدر لغايته وأتى اسماعيل بآيته ، فانفجح البرزخ بعنايته والتقى البحران تحت رايته غي جمع من التيجان لم يشهدوا اكليله قد كان يتوج فيه نو شيدته جيوشه وأساطيله .

وما اسماعيل الا قيصر لو أنه وفق . والاسكندر .و لم يخفق : ترك لكم عز الغد ، وكنز الأبد والمنجم الاوحد والوقف الذي ان فات الوالد ، فلن يفوت الولد ، .

ويحاول شوقي أن يستنطق الصحراء ورمالها فيقول : فيها هنا وضع للنبوة المهدي ، وابتدأ بها العهد فأقبل صاحب المقام ، ومحطم الاصنام ، وبناء البيت الحرام خليل ذى الجلال والاكرام : هاجر الى مصر اكرم من هاجر . ثم انقلب منها بأم العرب هاجر .

وفي هذه الثنيات طلع يوسف يرسف في القيد وعمر للسيارة يسير من كيد الى كيد . .

والى هذا الفضاء خرج موسى حين ذيل زويله (أى زال جانبه ذعرا وفرقا) وطلبه قتيله وزين له الفرار خليله فحوته هذه الرمال فاذا الأمن سبيله واليمن دليله .

وعلى هذه الارض مشيت السماء الطاهرة والنيرة الزاهرة والآية المتظاهرة أم الكلمة وطريدة الظلمة سرحوا فى عرضها فأخرجوها من أرضها . .

وينهى شوقي قصيدته غير المنظومة بقوله : وتريا اسماعيل بعث الحاشرين وحشد الحافرين وقرب المسافة للمسافرين ، غير وجه السفر فليل ما بلغ غاية الظفر وقيل وقع الحافر فيما حفر ثم انظروا اليوم تريا القناة فى يد القوم (الانجليز) ان امنوا ركزوها وان خافوا هزوها .

وفى كلام شوقي هذا تورية تحتل معنى الرمح وقناة السويس . .

الجانب الكئيب فى قناة السويس

. . أما الجانب الكئيب والحزين فى قناة السويس فيتمثل - مثلا - فى السخرة : لقد حدث فى حفر قناة السويس ، أفضع ألوان السخرة والتعذيب . ومنذ يوم ٢٥ ابريل ١٨٥٩ الذى أقيم فيه - فى بور سعيد - احتفال مهيب قام فيه دلسبيس بضرب أول معول فى أرض القناة واقتدى به الحاضرون من أعضاء مجلس ادارة شركة القناة . . . منذ ذلك اليوم ، بدأت أخطر عمليات السخرة فى التاريخ .

لم يكن عدد سكان مصر يزيد وقتئذ عن ستة ملايين من البشر .

وكان عدد الذين استخدموا في حفر قناة السويس يزيد عن ٥٠ ألف عامل ، وكان بعضهم يموت في الطريق الى القناة من الجوع ، أو البرد ، أو المرض أو الخوف .

وكان عمال الحفر يستبدلون مرة كل شهر وكان الجباة يتولون خطف الفلاحين من قراهم بقوة القانون ، ويبعثون بهم - وأحيانا يربطونهم في سلاسل - الى مناطق الصحراء الجرداء .

وكانت شركة القناة القائمة على الحفر لا تهتم أبدا بتغذية أولئك العمال ولا بصحتهم بطبيعة الحال .

وكانت لا تدفع لهم أجورا مناسبة بل وفي معظم الأحيان لم تكن تدفع لهم أجورا على الإطلاق .

وفي عام ١٨٦٢ - بالذات - ضج العمال بالشكوى من العفن الذي أصاب البسكويت الذي كان يقدم اليهم - تصور عمال حفر يتغذون بالبسكويت العفن الذي كانت عليهم توزيعه «لشركة» - كما ضجوا بالشكوى من ندرة الماء ومن الأوبئة التي انتشرت بينهم وقتلت الكثير منهم فكانوا يموتون كالدباب .

وليس أدل على سوء الحالة الصحية ، التي ذهب ضحيتها آلاف المصريين من العمال والفلاحين بسبب إهمال الشركة - ما نقله عن مذكرات نوبار الخطية والوثائق الرسمية المستمدة من محفوظات وزارة الخارجية البريطانية في لندن ووزارة الخارجية الفرنسية في باريس جمعها د . محمد صبرى وقدمها في دراسة له عن « فضيحة السويس أكبر فضيحة مالية في القرن التاسع عشر » :

● أرسل الوالى من الصعيد ٥٠٠ جندي كانوا موضع عنايته ورعايته فأركبهم سفينته البخارية الخاصة في النيل حتى القاهرة ومنها انتقلوا بالسكة الحديد الى الزقازيق ومن هناك ذهبوا الى وجهتهم فى البرزخ .

وعلى الرغم من احتياطات الحكومة فانهم لم يستطيعوا البقاء يوما واحدا وثاروا على ضباطهم فى اليوم التالى لوصولهم وفروا هاربين .

وقد قدر بعض الكتاب الفرنسيين عدد العمال (الحقيقى) بـ ٢٥ ألفا ونحن لا نمارى فى صحة هذا الرقم اذا أسقطنا من الحساب المثل - ٢٥ ألفا أيضا - من عدد العمال الذين يتجمعون بأمر السلطات من شتى النواحي وهذه العملية الدقيقة قد تستنفد مدتها شهرا ، .

ومهما كان من الأمر فإن أولئك الكتاب يعترفون صراحة بالحسارة الكبيرة التي أصابت الزراعة والأشغال العامة بسبب تسخير هذا العدد الضخم في أعمال القناة دون أعمال الزراعة .

● كتب أوليفيار بریت أحد كبار مهندسي الشركة في كتاب له أصدره عن تاريخ قناة السويس في عام ١٨٦٢ كتب يقول : « وحتى بعد انزال عدد العمال الى رقم ٢٥٠٠٠ فإننا نعترف بأن الزراعة قد حاقّت بها خسارة جسيمة بسبب حاجة الشركة الملحة ومطالبها التي لا تنتهي : صحيح أن الحكومة المصرية قد استعملت أحيانا عددا أضخم من العمال وربما اجتمع منهم في صعيد واحد مائة ألف ، ولكن كان ذلك لفترة قصيرة من الزمن نسبيا .

وفي أوقات من السنة كانت العناية بالزراعة تتطلب اليد العاملة كلها ، في حين أن الشركة منذ ١٨٦١ ولسنوات طويلة مقبلة تحتاج بصفة مستديمة الى ٢٥٠٠٠ عامل .

وهذا بلا ريب وضع غير طبيعي » .

● وفيما تقدم اعتراف صريح بأن الشركة خرقت اتفاقية ٢٠ يوليو ١٨٥٦ التي نصت المادة (٢) منها على أن عدد العمال يجب أن يراعى فيه حاجة الزراعة الى اليد العاملة في مراقبتها وعبثا حاول نوبار باشا انقاص عدد العمال الى ٦٠٠٠ مع زيادة الأجور الحالية غير المجزية ، ولكن مجلس ادارة الشركة اجتمع في ٢٩ أكتوبر ١٨٦٣ ورفض الطلب الذي تقدم به نوبار باشا .

● للمعلم كان الفلاح الذي يجبر على العمل في حفر القناة يتحمل نفقات الطريق والأسفار ، ولا يتقاضى من الشركة - اذا تقاضى - الا قرشين صاغ في البرم مع أنه يأخذ من العمل في الحقل ستة قروش .

ولم تكن المدة التي يسخر فيها الفلاح أو العامل في الحفر أقل من ٥٠ يوما .

والمعلم أيضا - كما تؤكد سجلات وزارة الخارجية الفرنسية عن بركة لنوبار - ان مصر كانت تخسر سنويا نتيجة لقصور الانتاج المترتب على نقص الأيدي العاملة المسخرة في القناة ما لا يقل عن ٤٠ر٤٠٠٠٠٠٠٠ فرنك .

السخرة في حفر القناة

● وتقول الكاتبة الفرنسية الكبيرة مدام جوليت آدم في كتابها : « انجلترا في مصر » عن موضوع العمال المصريين الذين سخرُوا لحفر القناة ، وما قالتها - وهي الكاتبة الفرنسية المرموقة - يكمل ما قاله بعض الكتاب

والسياسيين الفرنسيين عن هذا الموضوع الخطير : « كان العمل في القناة بطيئا في البداية لقلة خبرة العمال بالعمل وقلة عددهم ولأن المياه العذبة كانت ترد الى مكان حفر القناة بكل صعوبة قبل ان تحفر ترعة الاسماعيليه » .

ولما رأى دى لسبس هذه الصعوبات استعان بوالى مصر سعيد باشا فزاد عدد العمال عشرة آلاف عن العدد الذى كان مقدرا من قبل فى شرائط الشركة فصار خمسة وثلاثين الف عامل .

كان هؤلاء العمال - مدام جوليت آدم - يساقون الى العمل بلا أجر عن طريق السخرة وكانوا يسامون سوء العذاب من شدة الهجير وقلة الغذاء ومشاق العمل حتى ان عددا كبيرا منهم يربو على ٢٠٠ ألف نسمة قد مات بسبب الأمراض التى ولدتها لهم هذه المتاعب دون أن تقدم الشركة أو الحكومة المصرية عوضا عنهم لأسرهم وأهلهم : « ودام جوليت آدم ، التى تشهد تلك الشهادة من كبريات الكاتبات الفرنسيات ، وكانت زوجة لرجل فرنسا الكبير ادمون آدم من أكبر زعماء الحزب الجمهورى الفرنسى ولها أكثر من خمسة وأربعين كتابا من أنفس الكتب فى كافة الموضوعات وهى الأم الروحية لمصطفى كامل » .

● وقد ذكر الأستاذ نجيب مخلوف فى كتاب له غير متداول عن نوبار باشا : أن نوبار باشا طلب انقاص عدد الفعلة الذين يشتغل الواحد منهم بأجر فرنك بل أقل فى اليوم ، وتقدر حق لنوبار يطلب انقاصهم وينظر اليهم بعين الأهمية وهو لم يطلب سوى الغاء الاشتغال الشاقة وقد خفى على الموسيو - هكذا فى الأصل - ديليسبس ما لطلبه نوبار باشا من الأهمية فاحتج ببراعته المعروفة على طلب انقاص العدد وبني احتجاجه على أن القوانين العثمانية كلها تجيز السخرة ومع ذلك كان اشتغال الفلاحين المصريين فى السويس لا يعد سخرة فى رأى ديليسبس .

ولكن فات الموسيو ديليسبس ان الدستور لا يجيز تلك السخرة وان المادة ١١٠ من قانون الجزاء العثمانى تحرمها تحريما صريحا . أما قوله أن اشتغال الفلاحين المصريين ليس بسخرة فلم يكن يقنع نوبار باشا بأكثر من قوله ان القانون العثمانى يجيزها ، ونوبار - هكذا يقول مؤرخه نجيب مخلوف - ولعلها أول كلمة طيبة تقال فى نوبار باشا - كان ميلا أشد الميل الى الأفكار الحرة ويتألم كل التألم من نزع حرية الألوف حيا بمنافع الأجانب وكان اذ ذاك عشرون ألف عامل يشتغلون بشركة السويس تاركيين عيالهم وحرفهم وزراعتهم بالقصر عنهم .

زد على ذلك انهم كانوا مضطرين للرجوع وقت صرفهم على نفقتهم الخاصة وبعضهم كانت منازلهم بعيدة جدا فاذا أضيفت هذه المتاعب الى خسارتهم فى

زرعهم وضرعهم وتجارتهن وسائر مرافقهم اتضح مقدار العناء والبلاء الذى كانت تقاسيه البلاد من جراء استخدام أبنائها قسرا واضطرابا .

ويمضى مؤرخ نوبار باشا قائلا :

« ولو كان العناء مقصورا على العشرين ألف المذكورين لكان الأمر قليلا ولكن العشرين ألفا كانوا يشتغلون ونحو أربعين ألفا كانوا قادمين أو آخذين بالاستعداد للقدوم محل الشغل فليس بالهين السهل على نفس الوطنى الأبي أن يرى نحو ستين ألفا مبعدين عن عيالهم وعن الزراعة والصناعة والتجارة وليس لهم من فائدة تعوضهم عن بعض الحسارة وتهون عليهم المتاعب » .

● شهادة أخرى لها وزنها :

قال المدير الأول للاشغال فى أحد تقاريره : ان من اعظم المنافع هو استطاعتنا أن نحفر بأيدي العمال معظم ما يمكننا حفره من القنال البحرى بين بحيرة التمساح والبحر الأحمر وما يجب ملاحظته ان هذه الطريقة لحفر القناة لا تنحصر منفعتها فى تسهيل العمل والاسراع به بل تعود بتقليل النفقات كثيرا فان المتر المكعب من اليابسة بأيدي العمال لا يقتضى من النفقة سوى ثلثي ما يقتضيه المتر الذى يحفر بالآلات .

فالظاهر مما تقدم أن الذى يحمل كبار رجال الشركة على استخدام ذلك العدد العظيم كان حدا للاقتصاد لا للضرورة العظيمة والحاجة الماسة .

وكان ديليسبس قد وعد بأنه لن يحتاج الى أكثر من خمسة آلاف عامل ولكنه الجشع !!

كنا أسبق دول العالم فى انشاء حياة نيابية حقيقية

● وكان من أخطر ما مر بمصر طوال القرن التاسع عشر تلك الحياة النيابية التى عاشتها مصر بين مد وجزر ، بين قوة وضعف ، وقد سبقت مصر كثيرا من الدول الأوروبية فى الحياة النيابية . والجدير بالذكر أن محمد على باشا قد أسس ديوانا عاليا يتداول مع أعضائه فى الشئون المتعلقة بالحكومة قبل الشروع فى تنفيذها وكان رئيس هذا المجلس يسمى كتخدا بك ، أو كتخدا باشا وهو بمثابة وكيل محمد على ، أو نائبه ثم ألف محمد على - فى عام ١٨٢٩ - مجلسا أسماه مجلس المشورة يتألف من كبار رجال موظفى الحكومة والعلماء والاعيان برئاسة ابراهيم باشا .

عدد أعضاء ذلك المجلس ١٥٦ منهم ٣٣ من كبار الموظفين والعلماء ، ٢٤ من مأموري الأقاليم ، ٩٩ من كبار أعيان القطر المصري . وكانت مهمة المجلس قاصرة على مسائل الإدارة والتعليم والأشغال العامة وكان رأيه استشارى بحت وقد عقد المجلس أول اجتماع له فى ٢ سبتمبر ١٨٢٩ فى قصر ابراهيم باشا (القصر العالى) . ومن الاعضاء الذين حضروا ذلك الاجتماع السيد البكرى نقيب الاشراف ، حسن أغا رئيس بوابى الركاب العالى وناظر المواشى الاميرية ، و خليل أفندى ناظر الترسانات ، ومحمد أمين أفندى ناظر الابنية الاميرية ، حسين بك ناظر الارز والقلال ، وحافظ أفندى معاون الفابريقات ، محمد أفندى ناظر المنسوجات ، كاشف أفندى باشكاتب الوقائع المصرية ، وسامى أفندى محرر الوقائع و ابراهيم أغا مأمور طنطا و ابراهيم بك مأمور نبروه ويوسف أفندى مأمور فوه وصالح أفندى مأمور ميت غمر والسنبلاوين والحاج عبد الرازق أغا مأمور محلة دمنه .

● ومن قرارات المجلس فى اجتماعه الأول - على ما ذكر الأستاذ عبد الرحمن الرافعى - أن يكون عمل الفلاحين فى التطهيرات وبناء القناطر واصلاح المسور فى أشهر توت وبابه وكيهك وطوبه وأمشير وبرمهات وبؤونة لأن الفلاحين بقية أشهر السنة يكونون مشغولين بالزراعة والحصاد وجنى القطن .

ومن قراراته أيضا أخذ ألف غلام من القاهرة وبولاق ومصر القديمة لتشغيلهم بالأجرة فى فابريقات الحكومة وكذلك أخذ الصالحين من المتسولين للعمل بهذه الفابريقات مع ترتيب أرزاق يومية لهم . ومن قراراته أيضا الزام الموظفين ومشايخ البلاد والعمد الذين تمتد أيديهم الى الرشوة - أو كما جاء فى القرار البرطيل - أو سلب أموال الأهالى برد ما أخذوه ومجازاتهم بالعقوبات الشديدة .

ولم يطل عمر هذا المجلس ، لأن محمد على حصر السلطة فى سبعة مجالس أولها الديوان الخديوى وديوان الإيرادات وديوان الجهادية ودواوين البحر والأسطول والترسانة وتجهيز المهنات والقروض وسائر حاجات الصناعة والمستشفيات البحرية ثم ديوان المدارس (الابتدائية والتجهيزية والخصوصية العالية) والكتبخانات ودور الكتب والاسطبلات الكبرى فى شبرا ثم ديوان الامور الافرنجية والتجارة المصرية .

وديوان العلاقات الخارجية ثم - أخيرا - ديوان الفابريقات . إدارة فابريقات الطرابلش فى فوه وكافة الفابريقات التى توجد فى كل أنحاء مصر .

مجلس الشورى يمثل الشعب

● وعندما تولى اسماعيل باشا فكر فى انشاء مجلس شورى على نظام جديد سماه مجلس شورى النواب وقد أنشأ اسماعيل فى ١٨٦٦ ذلك المجلس ووضع له نظاما فى لائحتين : أسمى الأولى « اللائحة الأساسية » وأسماى الثانية « اللائحة النظامية » .

ولم يكن للمجلس - كما تقول أحكام اللائحتين - سلطة قطعية فى أى أمر من الأمور وقراراته بمثابة رغبات ترفع الى الخديو وله فيها القول الفصل وعدد أعضاء المجلس لا يزيدون عن ٧٥ عضوا ينتخبون لمدة ثلاث سنوات ، ويتولى انتخابهم عمد البلاد ومشايخها فى المديرية وجماعة الأعيان فى القاهرة والاسكندرية ، وكان عدد نواب كل مديرية بحسب تعداد سكانها وينتخب واحد أو اثنان عن كل قسم من أقسام المديرية بحسب كبر القسم وصغره . وينتخب ثلاثة نواب من القاهرة واثنان من الاسكندرية وواحد من دمياط .

وسن النائب لا يقل عن ٢٥ سنة ولا بد من أن يكون ملما بالقراءة والكتابة ، وكان هذا الشرط قد وضع بعد مضي ثمان عشرة سنة على تأسيس هذا النظام ، وقد كان الخديو هو الذى يعين رئيس مجلس شورى النواب ووكيله ويتمتع أعضاء المجلس أثناء انعقاد المجلس بشىء من الحصانة البرلمانية فلا ترفع عليهم دعوى جنائية فى أثناء الانعقاد الا اذا ارتكب أحدهم جريمة القتل .

● وتنص لائحة المجلس على أن أعضاء المجلس يحضرون الى المجلس بملابس الحشمة ويكون جلوسهم فيه بهيئة الأدب ، ولا يجوز لأى عضو نشر مناقشات المجلس أو طبعها الا باذن من رئيس المجلس والا كان عرضة للجزاء الذى يوقعه المجلس . وكان تشكيل المجلس يعتبر منحة من الخديو ولذلك كانت سلطته شكلية .

ومن أبرز أعضاء مجلس شورى النواب :

نواب القاهرة - مثلا - موسى بك العقاد ، الحاج يوسف عبد الفتاح ، السيد محمود العطار .

نواب الاسكندرية - مثلا - الشيخ مصطفى جميعي ، السيد عبد الرازق الشوربجي .

نواب روضة البحرين (الغربية والمتوفية)

الغربية : أتربى بك أبو العز ، على كامل عمدة القصرية .

المنوفية : الحاج علي الجزار عمدة شبين الكوم ، محمد أفندي شعير عمدة كفر
عشما ، أحمد أبو حسين عمدة كفر أبو ربيع .

من نواب البحيرة : الشيخ محمد الصيرفي عمدة قلمبشات ، حسنين حمزة
عمدة البرنجات ، أحمد دبوس عمدة نكلة العنب ، الشيخ محمد الوكيل
عمدة سمخراط .

ومن نواب الشرقية والقليوبية الحاج نصر منصور الشواربي (قليوب)
الامام الشافعي أبو شنب (عمدة الخانكة) محمد الشواربي (قليوب)
أحمد أفندي أباطة (منيا القمح) .

ومن نواب الدقهلية هلال بك ، سيد أحمد أفندي نافع عمدة دنديط ،
محمد بك سعيد (نوسا البحر) الشيخ العدل أحمد عمدة جزيرة القباب .

من نواب الجيزة عامر أفندي الزمر ، ابراهيم المنشاوي عمدة زاوية دهشور .
من نواب المنيا وبنى مزار ابراهيم الشريعي (عمدة سمالوط) ميخائيل
اثناسيوس عمدة اشروبية ، حسن أفندي شعراوى عمدة الطاهرة .

ومن نواب أسيوط : سليمان أفندي عبد العال (ساحل سليم) عثمان
غزالي (عمدة بنى رزاح) ، رميح شحاتة (عمدة القوصية) وحמיד أبو ستيت من
أولاد عليوة (جرجا) ومن نواب قنا واسنا محمد سحلي (عمدة فرشوط)
وأحمد علي اسماعيل عمدة السليمية ، أما نائب دمياط فقد كان علي بك خفاجي .

وقد افتتح المجلس في ٢٥ نوفمبر ١٨٦٦ وكان رئيسه اسماعيل راغب
باشا . وقد ألقى الخديو خطبة العرش في حفله الافتتاح ، التي ركزت على
الشورى « وشاورهم في الأمر » ، وأمرهم شورى بينهم » . وجاء في خطاب الرد
على خطبة العرش اشادة بالعزیز ابن العزیز ذلك الجناب الأفخم والداوری
الاکرم ، الذى قام بتنظيم أمورهما على ساق وقدم وشمير عن سباعد الجهد والاجتهاد
من تجديد ما انهدم واحياء ما انعدم وأخذ يداوى تلك العلل ويسد ما تخلل
بعد أبيه من الخلل الخ ، الخ . وقد أعلن الرئيس ختام الدورة في ٢٤ يناير
١٨٦٧ ، وألقى خطبة وجيزة شكر فيها الخديو على منشأته العظيمة الموجبة
لازدياد عمران الوطن وعلى الأخص انشاء هذا المجلس . وانعقد المجلس لدورة
ثانية في ١٦ مارس ١٨٦٨ انتهت في ٢٣ مايو ١٨٦٨ . وكان الانعقاد الثالث
في ٢٨ يناير ١٨٦٩ وانتهى في ٢٢ مارس ١٨٦٩ .

● أجريت الانتخابات الجديدة في ١٨٧٠ وكان من أبرز نواب المجلس
الجديد في القاهرة السيد أمين الدنف ، السيد يوسف العقبي .

ومن نواب الغربية والمنوفية الشيخ عيسوى الشريف (ايار) السيد
اللقى (عمدة كمشيش) شاهين أحمد الجنزورى عمدة تلمشط والشيخ أحمد
عبد الغفار عمدة تلا ، على محمود كفر المصيلحة .

• وكان الانعقاد الأول فى أول فبراير ١٨٧٠ .

وكان دور الانعقاد الثانى قد بدأ فى ١٨٧١ ، ثم بدأ الانعقاد الثالث فى
٢٦ يناير ١٨٧٣ .

وقد توقفت أعمال المجلس فلم يدعى للانعقاد أو لم تتم انتخابات جديدة
فى عامى ١٨٧٤ . ١٨٧٥ . وفى عام ١٨٧٦ دخلت الحياة النيابية عصرا جديدا .

● وكانت الهيئة النيابية الثالثة مفخرة لمصر وللحياة النيابية ونذكر هنا -
التاريخ وللإشادة بهذه الهيئة - بعض أعضائها : نواب القاهرة : محمود بك
القطار ، عبد السلام بك المويلحى ، يوسف العقبى .

نواب الاسكندرية : سليمان العزبى ، عبد الرزاق الشوربجى .

الغربية : عثمان الهرميل (عمدة محلة مرحوم) محمود سالم (عمدة
كفر سالم) أحمد سالم (عمدة دهنورة) مصطفى هرجة شيخ أبو صير . ومن
نواب المنوفية مصطفى غنيم الانبائى (عمدة جزى) ابراهيم حسن (عمدة
الباجور) سليمان حسين عامر (عمدة جنزور) ومن نواب البحيرة : ابراهيم
الديب (عمدة صفط العنب) أبو زيد الحناوى (عمدة كفر عفرانة) ومن نواب
الدقهلية : متولى أنسى أبو شريف (عمدة ديرب) عبد الوهاب الشيخ
(عمدة دقادوس) شلبى حسين (عمدة سلكا) .

ومن نواب الشرقية أيوب أيوب (عمدة الصوة) محمد رجب كساب
(عمدة غيته) سيد أحمد رضوان (عمدة ميت العز) على عامر (عمدة العزيزية)
على خليل (عمدة السعدين) .

ومن نواب القليوبية : مصطفى علام (سنديس) وعبد الفتاح زغلول
(ميت كنانة) .

ومن نواب الجيزة : رزق عكاشة (عمدة المنيا والشرفا) وحسين عطا الله
(عمدة برنشت) وفضل الزمر (عمدة ناهيا) .

ومن نواب بنى سويف : محمد راضى (عمدة أنفسط) وعلى كساب
(عمدة نزله كساب) .

ومن نواب الفيوم : أحمد جاد الله (عمدة السيليين) وأحمد الدهشان
(عمدة اهرنت) .

سنوات ما قبل الثورة ج ٢ - ١٩١٣

ومن نواب المنيا وبنى مزار : بدينى الشريعى (عمدة سمالوط) محمد
محمد أبو طالب (عمدة برطباط) خليل عبد الرحيم (عمدة الفشن) حنينا
يوسف (عمدة نزلة الفلاحين) .

ومن نواب أسيوط محمد عبد الوهاب (عمدة السهامية) وعبد الرحمن
وافى (عمدة بنى عدى) ميخائيل فرج (عمدة دير مواس) .

ومن نواب جرجا : ابراهيم حسن أبو ليلة (عمدة الريانية) عثمان أحمد
همام (عمدة أولاد اسماعيل) محمد حساب عمدة داود وميت سهيل (
وعبد الشهيد بطرس (البلينا) .

ومن نواب قنا محمد عبد الله (عمدة دشتلة) وطايح سلامة (عمدة القبلى
قامولا) .

ومن نواب اسنا : أحمد عبد الصادق (أسوان) محمد سلطان (اسنا) .

● وقد اجتمع مجلس شورى النواب فى طنطا اجتماعا غير عادى فى
٧ أغسطس ١٨٧٦ وذلك لتقرير ابقاء نظام المقابلة وفى هذا الاجتماع برز
فكرة محاسبة الحكومة والرقابة على تصرفاتها . ولأول مرة يؤلف المجلس لجنة
من بين أعضائه للذهاب الى وزارة المالية ، لاستحضار الكشوف المطلوبة ولبحث
المتحصل من المقابلة قدره ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات . وقد افتتح الحديو
اسماعيل دور الانعقاد الأول فى ٢٣ نوفمبر ١٨٧٦ وكان بصحبة توفيق باشا
وزير الداخلية ، وحسن كامل وزير المالية ، وحسن باشا وزير الحربية وشريف
باشا وزير الحقانية والخارجية وانهى الدور فى ١٥ فبراير ١٨٧٧ وبدأ الدور
الثانى فى ٢٨ مارس ١٨٧٨ وانتهى فى ٢٧ يونيو ١٨٧٨ .

وكان آخر دور لانعقاد المجلس فى عهد الحديو اسماعيل ذلك الذى بدأ
فى يناير ١٨٧٩ ، وانتهى فى يونيو ١٨٧٩ .

وقد لوحظ أن هذه الدورة تميزت بالمناقشات البرلمانية الواعية والحرص
على كرامة البلاد .

وقد أبدى النواب استياءهم من تأخير ارسال المشروعات المالية اليهم مع
مضى عشرين يوما على افتتاح المجلس .

وقد وصف الأستاذ الدكتور سيد صبرى أستاذ القانون الدستورى بكلية
الحقوق (جامعة فؤاد) بأن هذا المجلس أخذ يعارض الحكومة ويطالب بحقوق
دستورية . وقد شجعت الصحافة على المضى فى هذا الطريق وعندما ذهب رياض
باشا وزير الداخلية فى ٥ ابريل لينهى دورة اجتماعه رفض المجلس ان ينفذ
وقام عبد السلام المويلحى زعيم المعارضة وصرح باسم البرلمان بأن أعضاءه

لم يفعلوا شيئا وإن مهمة الاشراف على أعمال الوزارة لاتزال أمامهم وهذا يدعوهم الى البقاء ، وقد أيده جميع الأعضاء بالاجتماع والتفوا حوله وظل المجلس يوالى اجتماعه ، عاد رياض باشا الى الحديو برأى المجلس . وأيد الحديو حركة النواب والأعيان وكبار الموظفين والعلماء ورجال الجيش بمنح السلطة المتمتعة بها المجالس النيابية الأوروبية وإن تكون الوزارة مسئولة أمام المجلس عن الشئون المالية والداخلية وأن تكون الوزارة من المصريين .

● الفلاح المصرى يحتضر ويفقد أرضه وانتاجه .

● ولا بد من كلمة عن الفلاح المصرى فى تلك السنين المرة التى وصل التدخل الأجنبى فيها بعد اشتداد أزمة الديون الى الذروة : كان الفلاح المصرى بين شقى الرخى : الحديو اسماعيل والأسرة الحاكمة التى تستغل الفلاحين المستأجرين باستمزار استغلالا بشعا ، والحكومة التى تشفى غلها - باستمرار أيضا - من الطبقة الكادحة . اما بفرض ضرائب باهظة واما بالاستيلاء على المحاصيل الزراعية الخاصة بصغار المزارعين ، هذا بالإضافة الى ما يلقاه الفلاحون من المرابين الأجانب الذين كان يحميهم النفوذ الفرنسى والنفوذ البريطانى الذى أخذ يتزايد باستمرار فى شئون البلاد الداخلية وخاصة فى أمورها المالية والاقتصادية : وصفت صحيفة التيمس البريطانية فى ١٥ ابريل ١٨٧٨ ما يقاسيه الفلاحون من جيش الموظفين الأجانب الذين جيء بهم لاصلاح اقتصاد مصر فلم يفعلوا أكثر من انهم ضاعفوا من خطورة الأزمة الاقتصادية ، وحددوا لأنفسهم مرتبات ضخمة ، زادت فى مجموعها عن ٦٠٠٠٠ جنية فى السنة فى مقابل الأعمال التافهة التى يقومون بها . وتمضى التيمس قائلة : الفلاحون الذين جرفهم السيل يساقون الى المحاكم لدفع المتأخر عليهم من الضرائب ، لقد استمر تحصيل الضرائب من أولئك الذين جرفهم السيل من منازلهم كما جرف منازلهم ، ودواهم وآلاتهم الزراعية . . . استمر تحصيل الضرائب على شدته وقسوته : ويؤكد كثير من سكان الوجه البحرى أن الربع الثابت من ضرائب هذا العام (١٨٧٩) يجرى تحصيله بنفس الوسائل الشديدة . التى كانت متبعة من قبل .

ولعمري - مراسل التيمس فى القاهرة - أن ذلك ليحمل على الاستغراب اذا قرن بما سمعه من الاشاعات عن موت الفلاحين فى منعطفات الطرق . وخراب مساحات واسعة من الأراضى واقتنارها من جراء الاعباء المالية الفادحة وبيع الزراع لدواهم والنساء لخليهن وتهافت المرابين على دور الرهن وملئها بسنداتهم وازدحام المحاكم بقضايا نزاع الملكية والواقع - التيمس أيضا - أن حالة الفلاحين قد تخرجت وضائق بهم السبل وسدت فى وجوههم المنافذ حتى أن أسلستهم قيادا ، بدأ يسمع أنينه .

ويقول مراسل التيمس أيضا في ٢٣ يناير ١٨٧٩ : يوجد في القاهرة الآن مئات من عمد والمشايخ كل يمثل قرية من القرى جاؤا لتقديم العرائض بطلب تخفيض الضرائب ، ولقد حاصروا أبواب الوزارات حتى أنك تراهم متربصين حولها ينتظرون دخول الوزراء وخروجهم بينما عرائضهم قد غطت بلاط المصالح الحكومية .

وقد نقل عن التقارير الرسمية المصرية والأجنبية أن المحاكم المختلطة التي أنشئت في عام ١٨٧٦ كانت بمثابة أداة مروعة لاستعباد الفلاحين من الوجهة الاقتصادية وقد أدى نظام المحاكم المختلطة - كما جاء في تقرير لورد دوفرين - إلى تقوية رغبة الفلاحين في الاستدانة لأن أملاكه أصبحت تعتبر ضمانا قانونية لما يستدينه ، ولم يكن الأمر كذلك قبل إنشاء تلك المحاكم ومن وجهة أخرى أعطى هذا النظام للدائنين سلطة بيع أملاك الفلاحين المدينين ، متى تقلت ديونهم . وقد قيل فعلا أنه في سنة ١٨٧٦ . أصبح معظم الفلاحين لا يملكون الأراضي التي يزرعونها وأن تسعة أعشار الأراضي تابعة لطبقات أخرى ، وقد زادت الأموال المدونة في قوائم الرهن من ٥٠٠.٠٠٠ جنيه عام ١٨٧٦ إلى ٧.٠٠٠.٠٠٠ في عام ١٨٧٩ خاصة في الدين ، وفي ٢٠ أغسطس ١٨٨٠ يشير مراسل التيمس أيضا إلى أن الفلاح المصري أصبح غارقا في الديون أكثر مما كان غارقا فيها في زمن مضى . فهبوط النيل ، وعجز المحصول يؤديان إلى انتقال قسم كبير من الأراضي إلى الأجانب .

القروض بداية التدخل الأجنبي

● ولابد لنا من أن نشير ولو بإيجاز شديد إلى بداية التدخل البريطاني في شئون مصر باندفاع شديد خاصة بعد شراء بريطانيا أسهم مصر في قناة السويس ، وكانت بريطانيا في البداية تعارض حفر قناة السويس عن طريق شركة فرنسية وكانت فرنسا باستمرار تخشى من التدخل البريطاني في الشئون المصرية ، ونذكر أنه عندما قام اسماعيل باشا بمساعدة فرنسا في مد الخطوط الحديدية في بعض أنحاء مصر صاح المحامي الفرنسي المشهور باروش : أن هذه الخطوط أشبه ما تكون بسيف نارية امتدت إلى أحشاء فرنسا .

وكانت وجهة نظر المحامي الفرنسي الشهير أن هذا العمل الذي قام به اسماعيل باشا بمساعدة من فرنسا سوف تستفيد منه بريطانيا التي راحت تفكر في العودة من جديد إلى البحر الأبيض المتوسط بعد أن كانت قد قامت بالجلاء عن بعض الجزر التي كانت قد احتلتها . وبعد أن كانت فعلا قد تاهبت

للجلاء عن مالطة وكان من رأى باروش وغيره من السياسيين الفرنسيين ، المعارضين للتوسع البريطانى فى أفريقيا وآسيا أن فتح قناة السويس للملاحة البحرية سوف تستفيد منه انجلترا اكثر مما تستفيد منه فرنسا ، وقد ذكرت احدى الصحف الفرنسية (صوت باريس) أننا نحن الفرنسيين الذين جذبنا بريطانيا الى وادى النيل : لقد كنا - صوت باريس - وحدنا أصحاب الخطوة فى مصر قبل أن يذهب اليها دلسبس بمشروعه عن القناة ذلك المشروع الذى عارضته بريطانيا بكل قوة ، ثم دعونا بريطانيا لكى تجيء الى وادى النيل ، دعونا خصمنا اللدود بل عدونا اللدود . دعونا لكى يطردها رويدا ، رويدا وها نحن - صوت باريس - الجانون على أنفسنا العامتون على تأييد نفوذ عدونا فى مناطق نفوذنا واحلال سلطته مكان سلطتنا ، وقد تحقق ما حذر منه روش وما تنبأت به صحيفة صوت باريس عندما نجحت بريطانيا فى شراء أسهم مصر - فى قناة السويس - لقد كان لمصر من أسهم القناة ١٧٦٦٠٢ سهمها تعادل نصف أسهم الشركة التى بلغت ٤٠٠.٠٠٠ سهم ، وكان سعيد باشا قد اشترى تلك الأسهم بمبلغ ٣٤٢٦٠٠٠ جنيه ولكن اسماعيل باشا - وتلك كبرى خطايه - عرض تلك الأسهم للبيع وكان عددها فى الأصل ١٧٧٦٤٢ سهمها باع منها اسماعيل قبل عام ١٨٧٥ ، ١٠٤٠ سهمها وفد عرض اسماعيل باشا تلك الأسهم - أولا - على فرنسا وكان اثنان من كبار المالىين الفرنسيين يتفاوض مع وزير المالية المصرى (اسماعيل باشا) لشراء تلك الأسهم نظير ٩٢ مليون فرنك ، وسافر أحدهما الى باريس للتفاهم مع حكومته على تلك الصفقة التى كان يرغب فى عقدها كل من ادوارد درفيه وشقيقه أندريه ، غير أن الحكومة الفرنسية لم ترحب بالعرض فى البداية ثم اذا بدزرائيل رئيس الوزراء البريطانية يتصل بزميله رئيس الوزراء الفرنسية ليفهمه خطورة تدخل الحكومة الفرنسية فى شراء تلك الأسهم ، مؤكدا أن المسألة - مسألة شراء الأسهم - ليست مسألة اقتصادية بل مسألة سياسية تمس المصالح البريطانية فى الصميم وكان ما قاله دزرائيل أن بريطانيا ستقف موقف العداء لكل من يتقدم لشراء تلك الأسهم ، وتراجع المالىون الفرنسيون عن الشراء كما تراجعت الحكومة الفرنسية ، وراحت الحكومة البريطانية التى لم تكن قد اشترت سهمها واحدا من أسهم القناة تفكر فى شراء تلك الأسهم وجرت مفاوضات بين قنصل بريطانيا فى مصر الجنرال ستانتون باشا وبين اسماعيل صديق باشا وزير المالية المصرية وفى ١٥ نوفمبر ١٨٧٥ اتفق اسماعيل وستانتون على دفع مبلغ ٣٩٧٦٥٠٠ جنيها ثمنا لـ ١٧٦٦٠٢ سهمها من أسهم القناة .

ولكن من أين لبريطانيا - الحكومة البريطانية - بهذا المبلغ والبرلمان الانجليزى فى أجازة ولاسييل الى دعوته ، وهنا تطل الصهيونية العالمية من جحرها ممثلة فى بيت روثسيلد المالى الاسرائيلى الذى ناب عن الحكومة

الانجليزية فى تقديم المبلغ المطلوب حتى انعقاد البرلمان البريطانى فى فبراير ١٨٧٦ لقرار الصفة .

فى يوم ٢٥ نوفمبر ١٨٧٥ - بعد عشرة أيام فقط من بداية المفاوضات - تم توقيع العقد بين الحديو اسماعيل باشا وبين حكومة جلالة ملكة بريطانيا وكتب دزرائيل الى ملكته مبشرا بالخبر السعيد . وبعثت الملكة الى رئيس وزرائها بهنئة بهذا الحادث الحظير والعظيم « فى تاريخ امبراطوريتنا ولكن المبلغ الضخم المطلوب هو الذى يؤلمنى » يزلملكه بطبيعة الحال .

الصهيونية العالمية والاستعمار وجهان لعملة واحدة

● وحول الصفة الكبرى التى اعتبرها بداية نجاح بريطانيا فى تحقيق مشروعها القديم الخاص باحتلال مصر ، ودور الصهيونية العالمية فى تحقيق تلك الصفة يقول الأستاذ عباس محمود العقاد فى بحث له عن ١١ يوليو ١٨٨٢ - ضرب الاسكندرية - يقول بالحرف الواحد : من العوامل التى مهدت للاحتلال البريطانى لمصر عامل هام لايجوز اهماله عند تقدير الواقع فى كل مسألة خطرة ولاسيما المسألة المصرية وهو عامل الصهيونية التى تسمى أحيانا باليهودية الدولية .

وقد رأينا طائفة من المؤرخين يتكلمون عن هذا العامل الهام ، فى سياسة العالم ، كأنه هيئة منظمة تتألف من شيوخ محنكين يجتمعون فى عواصم مختلفة ويصدرون فى كل اجتماع قرارا يتبع الى موعد الاجتماع التالى ويوشك أن تنطبق الحوادث فى هذه الفترة حرفا حرفا على ما رسموه ورتبوه . ومن بين تلك الحوادث التى لعبت فيها تلك الهيئة المنظمة والتى لعب فيها التدبير المقصود بين أقطاب الصهيونيين من وحدة الغرض والقدره على اغتنام الفرص والانتشار فى جهات العالم ، التى تفتح لهم منافذ الفرصة فى أماكن متعددة مع استقباليهم جميعا بأسواق المال والتجار التى تتصل سرا وجهرا بمسائل السياسة وسنرى فيما يلى مثالا للتدبير ، الذى يتم فى حينه خطوة بعد خطوة على غير تفاهم سابق فيظهر بعد حين كأنه خطة مرسومة وضعها أناس متفاهمون أملوها على أتباع يدينون لهم بصدق الطاعة وإخلاص النية ولا تفاهم فى الحقيقة والا املاء : اتفق فى سنة ١٧٩٨ سنة الحملة الفرنسية أن يهوديا فرنسيا أذاع فى باريس خطابا الى قومه يدعويهم فيه الى تأليف مجلس عام يضم اليه مندوبين من اليهود المنتشرين فى أنحاء العالم ويكون اجتماعه الأول فى باريس لتقديم طلب الى الحكومة الفرنسية يسألونها أن تساعدكم على رد وطنهم القديم ويشفعون هذا الطلب بالسعى الى الاستئانة لاقتناع السلطان العثمانى بقبوله ، وقد جاء فى ذلك الخطاب أن البلاد التى

يريدونها تشمل الوجه البحرى فى مصر ، الى عكا والبحر الميت وشواطئ البحر الأحمر وهى رقعة من الأرض تجعلهم سادة التجارة الهندية والعربية والفارسية وان فرنسا يمكن أن تستمال الى هذه المهمة بما يخصها به من الربح ، والعوض والمقايضة على النفوذ ، وقد بلغ النفوذ الصهيونى أوج القوة والشهرة بين الانجليز - كما يقول العقاد - فى تلك الحقبة وكان رئيس الوزراء الاسرائيلى - لورد بيكنسفيلد - دزرائيلى - يتولى الحكم من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٨٨٠ وهو الذى اشترى أسهم مصر فى قناة السويس من الخديو اسماعيل وخطابه الى الملكة فيكتوريا عن هذه الصفقة يدل على كثير حيث يقول :

الآن تمت ، وهى فى يدك سيدتى ، أربعة ملايين من الجنيئات وتكاد تؤدى فوراً ، ولم يوجد غير بيت واحد ، يعقدها هو بيت روتشيلد : لقد سلخوا مسلكاً عجبا ، بذلوا المال بهائلة قليلة وباتت حصة الخديو اليوم كنيها ملك يديك سيدتى .

وقد يتراءى لنا أهمية العمل الذى أقدم عليه دزرائيلى بتشجيعه بيت روتشيلد على اقراض الخديو اذا عرفنا أن حملة الاحتلال قد حدثت فى عهد وزير الأحرار غلادستون وأن غلادستون كان معارضا فى الاحتلال . وقد استقال أحد وزرائه استنكارا لضرب الاسكندرية ولكن قروض روتشيلد وغيره قد صورت المسألة بصور الحيلة لحماية حق الدائنين . وقد كان دزرائيلى وراء اقناع دلبسبس بالترحيب بشراء الحكومة الانجليزية لتلك الأسهم ، مغريا له بالمعونة الدولية التى تضمنتها شركة القناة اذا تعددت الحكومات التى تنتفع بها ولما حصل دزرائيلى على الأسهم ، قال فى جلسة أمام مجلس النواب البريطانى يوم ٢١ من فبراير ١٨٧٦ : اننى لم أزل من زمن أوصى بالحصول على أسهم القناة . وقد عقدتها صفقة مالية وسياسية واعتبرتها صفقة لازمة لتمكين الامبراطورية وهذا الذى أعنيه اليوم ، وقد ارتاحت اليه البلاد التى تفهمنى جيدا وتقبلته بالغبطة والسرور ، أما الذين انتقدونى من أجل هذه الصفقة فهم كما يخيل الى لا يفقهون المسألة على هذا الوجه . من هذا القبيل - العقاد - أثر النفوذ الصهيونى فى السياسة الدولية وفى المسألة المصرية على الخصوص : اتفاق فى الغرض ، واغتنام للفرصة ، وتوزيع للعمل بين دوائر السياسة والمال فى مختلف الجهات .

● ويقول تيودور رودستين - الذى كان سكرتيرا للزعيم السوفييتى لينين فترة من الزمن - يقول عن تلك الصفقة التاريخية : حدث ان اسماعيل باشا عندما أخرجته دائنوه فى سنة ١٨٧٥ ووجد نفسه فى حاجة شديدة الى المال لسد نهم دائنيه أن عرض أسهم مصر فى شركة قناة السويس وما أسرع ما وقف المستر دزرائيلى - رئيس الوزارة البريطانية اذ ذاك - على رغبة

الخدوي هذه ، وفي الحال قرر شراء هذه الأسهم بمساعدة بيت آل روتشيلد
في لندن .

ولعمري لقد كان هذا عملا ليست له سابقة في تاريخ إنجلترا لأنه كان
عملا من أعمال المضاربة الجريئة . نعم ان الأسهم عادت بالربح الوفير فيما
بعد ولكن لم يكن من حق الحكومة أن تقامر بأموال الأمة في مشروع ربما عاد
بالخسارة والضرر وفي الواقع لم يوجد في إنجلترا يومئذ من أنحى بالأئمة على
المسترد ذرائيل على عمله هذا . ومن جهة أخرى كان من البدع المستحدثة
أن تشترك الحكومة الانجليزية في عمل تجارى خاص بلون اذن من البرلمان
وبمساعدة أهل البيوتات المالية .

ولكن السر في هذا العمل الذى لا نظير له يمكن ادراكه من الأطماع
السياسية التى كانت حكومة ذرائيل تحلت نفسها بها حيال مصر بعد أن
خفت صوت فرنسا ، فقد علقت كبيرة صحف لندن « التايمز » بتاريخ ٢٦
نوفمبر ١٨٧٥ على تلك الصفقة أن الجمهور هنا وكذلك في البلاد الأخرى
سينظر الى هذا العمل العظيم الذى قامت به الحكومة من وجهته السياسية
لا من وجهته التجارية فهو بمثابة مظاهرة للاعلان عن نيات معينة والمبادرة
بالعمل الى تحقيقها فمن المستحيل أن نفرق فى أذهاننا بين شراء أسهم
قناة السويس وبين علاقات إنجلترا بمصر أو بين مصر مصر وما يحيط
بمستقبل الامبراطورية العثمانية من المخاوف ، فإذا أدت الثورة والاعتداءات
من الخارج والرشوة من الداخل الى سقوط تلك الامبراطورية سياسيا وماليا
فقد يتعين علينا ايجاد الوسائل التى تكفل سلامة ذلك القسم من أملاك السلطان
لما لنا به من الصلة الوثيقة .

● ويمضى روزستين قائلا : وليس من ريب فى أن الباعث على شراء أسهم
القناة كان توقع ما يؤدى اليه اعلان تركيا إفلاسها من انهيار تركيا ومصر معا .

واذا كان القدر لم يجر بما توقعوه لتركيا ، فقد عزموا أن يحققوه فيما
يختص بمصر ، وهكذا رأينا إنجلترا بعد شراء أسهم القناة تخطو أول خطوة
علنية للتدخل فى شئون مصر .

وكما هي العادة فى كل المشروعات الاستعمارية اتخذت الأمور المالية أداة
الاعتداء فانه لم يمض ثلاثة أسابيع على ما رزئت به مصر من هبوط سنداتهما
فى بورصة لندن حتى بادر الجنرال استانتون قنصل بريطانيا العام فى
القاهرة الى اخطار اللورد دربي بما أظهره له الخديو منذ أيام من الحاجة الى
رجال أكفاء يلمون بالنظم المتبعة فى مالية حكومة جلالة الملكة لمعاونة ناظر
المالية المصرية على معالجة الفوضى التى اعترف بها سموه فى تلك النظارة
و . . و . .

ولم يمض سوى يومين على عقد الصفقة الخاصة بشراء الأسهم ، حتى
بادر وفي ٢٧ نوفمبر ١٨٧٥ الجنرال استانتون باخبار اللورد دربي برغبة الحكومة
المصرية فى ارسال لجنة خاصة الى مصر وكان هذا دليلا على ما بين هاتين
المسألتين من الارتباط ف شراء الاسهم كان عملا سياسيا أرادت انجلترا أن يكون
لها حق قوى يسوغ لها امتلاك مصر اذا ما انحلت أجزاء الدولة العثمانية كما
أنه لم يكن ارسال البعثة من ناحية انجلترا الا سعيا وراء تعزيز هذا الحق بأسرع
ما يمكن لتحمل الخديو نظير صنيعها عنده على قبول ارسادها فى شكل
رقابة مالية أيا كان نوعها .

● ووصلت بعثة « كيف » التى فشلت فشلا ذريعا بسبب طيارة الخلق
وشرف النفس اللذان تمتع بهما مستر كيف شخصيا وبسبب معارضة الخديو
للتدخل البريطانى ، وكان كيف قد أكد فى تقريره أن موارد مصر اذا أحسنت
ادارتها قامت بسداد الديون المصرية وإن حالة مصر المالية لا تدعو الى اليأس . بل
انها حسنة ودخلها كاف لوفاء الديون وفاء عادلا ، حالة مصر ثابتة ، لأن لها
موارد كافية قد نمت فى الماضى وزادت زيادة عجيبة وليس ثمة ما يحول دون
نموها وزيادتها كذلك فى المستقبل ، ولكن بريطانيا لم تقبل ما جاء فى تقرير
مندوبها كيف وانما راحت تلجأ الى أساليب أخرى لتسيطر - ماليا - على
مصر ، وبعد السيطرة المالية تجيء السيطرة العسكرية التى بدأت تأخذ أولى
خطواتها فى ١١ يوليو ١٨٨١ حيث بدأ الأميرال سيمور يطلق قنابل مدافعه
وبوارجه على الاسكندرية .

● ويروى مستر بلنت - صديق مصر والمصريين والانجليزى الحر - كيف
ان الخديو اسماعيل أقام وليمة لمستر كيف وبعثته الى مصر أقاما فى الكشك
الخديوى القائم على سفح الأهرام ، وكانت من المآدب الشائقة التى تعود
اسماعيل أن يبهز بها عيون الأوربيين فلم يكن يعوزها شيء مما يدل على الفرق
الشاسع بين غنى صاحبها وفقر أولئك الذين أقيمت المآدب فى الحقيقة على
حسابهم ، ومد لنا السمات على مرأى جمهور من الفلاحين الذين يكادون
يموتون جوعا والذين جاء السير كيف لانقاذهم من الخراب ، ومع ذلك لم
يظهر على أحدا أنه فطن الى هذا التناقض فاكلنا كما شئنا وشربنا أفخر
الشمبانيا ، ومضى كل منا فى وجهته ولم أستطع الى الآن وبعد الاحاطة بكل
ما هنالك أن أدرك حقيقة الحال وما فيها من الشقاء .

● بعد بعثة كيف Cave (الانجليزية ، التى أرادت بها انجلترا تمهيد
السيبل للتدخل العسكرى البريطانى أنشئ صندوق الدين فى ٢ مايو ١٨٧٦
ليكون وصيا على مصر ، لا على أموالها وحسب ، ثم أنشئ مجلس أعلى للمالية
فى ١١ مايو ١٨٧٦ ثم فرضت الرقابة الفرنسية والانجليزية على مصر فى ١٨

نوفمبر ١٨٧٦ وأن يتولى الرقابة انجليزى وفرنسى ، الأول - وقد سمي مفتشاً عاماً - يراقب الايرادات والآخر - وهو مفتش عام أيضاً - يراقب المصروفات ، و ٠ و ٠٠ وعهد اسماعيل باشا الى نوبار برئاسة مجلس النظار وحدد الخديو فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ مهام ذلك المجلس كهيئة مستقلة عن ولى الأمر تتميز بتضامن أعضائها فى المسئولية وكون قراراتها تتخذ بأغلبية ، وقد بادر الخديو فاعتبر اختصاصات ذلك المجلس - حتى لا يقال أنها تمت بضغط أجنبى - متفقة مع أحكام الشريعة الغراء .

● ورأس نوبار باشا تلك الوزارة التى سميت بالوزارة الأوروبية ، لوجود وزيرين أجنيين أحدهما انجيزى والآخر فرنسى فيها . وأصبح نوبار باشا وزيرا للخارجية والحقانية واختير رياض باشا للداخلية وراتب باشا للحربية والسير ريفرس ويلسون للمالية ومسيوى دى بلنير لدشغال وعلى باشا مبارك للمعارف والأوقاف ومن « مميزات » أعمال تلك الوزارة أنها « نجحت » فى الحصول من بيت روتشيلد على قرض الثمانية ملايين من الجنيهات ونصف المليون مقابل رهن الأملاك التى نزل عنها بعض أفراد الأسرة الخديوية ومقدارها ٤٢٥٧٢٩ فداناً ، وعهد بإدارتها الى اللومين الذى تديره لجنة دولية من ثلاثة أعضاء أحدهما فرنسى والآخر انجيزى والثالث مصرى ، وقد كان تأليف الوزارة الأوروبية وفيها وزيران أجنيان من المسائل التى أصابت الكبير ، المصرى فى الصميم فلأول مرة يشترك وزيران أجنيان فى وزارة مصرية بالإضافة الى عدم ثقة المصريين فى رئيسها نوبار باشا ، وكانت أولى مهام تلك الوزارة حماية اللدائن الأجانب . وكانت تلك الوزارة تبسط الرزق على الأجانب وتقترب على الموظفين المصريين ، وقد أحالت ٢٥٠٠ من الضباط المصريين على الاستبداد ، وذلك توفيراً للنفقات ، وقد أبلغ بالقرار وزير الحربية ، الأمر الذى أدى الى ثورة ستمائة منهم - فى ١٨ فبراير ١٨٧٩ - برئاسة البكباشى لطيف بك سليم ، وقد أحاط المتظاهرون بعربة نوبار باشا ، على مقربة من وزارة الخارجية ، ولكن نوبار باشا لم يكثر بهم وأمر سائقه بالمسير ، وقد تعدى المتظاهرون على السائق ، وأمسكوا بتلابيب رئيس مجلس النظار وطرحوه أرضاً واعتدوا عليه بالضرب ، وعندما أراد سير ريفرس نجده وقام بضرب المتظاهرين بعصاه هجم المتظاهرون عليه وشدوه من لحيتته وأدخلوه هو ونوبار باشا الى سراى الوزارة واحتلوا غرفها وقاعاتها ، ولجأ القناصل الأجانب الى الخديو لاعادة الأمر الى نصابه وقد لى الخديو دعوتهم وذهب اليهم فأفسح له المتظاهرون الطريق وهتفوا بحياته .

● ولكن بعض المتظاهرين لم يتوقفوا عن الهياج ، واقترب - كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى - واحد منهم من الخديو يريد أن يمسكه من ذراعه فاجفل منه الخديو وأمر الحرس أن يفرقوا المجتمعين بالسلاح فشهز الحرس

سلاحهم ، وعندئذ دوت طلقة رصاصة لم يعرف مصدرها وأطلق الجنود النار ولكن فى الهواء فلم يصب أحد من المتظاهرين بسوء وان كان قد جرح بعضهم ، كما جرح تشريفاتى الخديو وهو الى جانب مولاه اذ أصابته ضربة سيف من أحد الضباط . ومن ثم تفرق الضباط وأطلق سراح الوزراء المحبوسين وأمر الخديو بحراستهم الى منازلهم .

بدايات الثورة العربية

● وحول غضب الضباط على نوبار باشا وولسون يقول تيودور روزستين : أهاج هذا الحادث وقتئذ النفوس وكان بلا ريب نذير سوء بما سيتمخض عنه فانه دل على أن الشعب المصرى مهما بلغ ضعفه شأن كل شعب زراعى يعيش جماعات متباعدة فانه لن يضعف أمام الاستبداد الداخلى والخارجى فان هذا الجيش المصرى أو بالأحرى ضباطه يستطيعون مقاومة الأوربيين وأنهم لن يحجموا عن ذلك اذا تغلب عليهم اليأس ، ومن العيب أن نسمى هذا الحادث وما تلاه من الحوادث المماثلة له ، مجرد شغب عسكرى فان ما شعر به الشعب عن بكرة أبيه ولكنه لم يكن قادرا على ابداء رغبته أو العمل بطريقة منظمة ، وقد ضج الناس مطالبين بتخفيض فائدة الدين وعودة السلطة الى الخديو باعتبار ذلك العلاج الوحيد لتخفيف سخط المصريين الشديد ، ثم أخذت أنهار الصحف تفيض بوصف سوء الحالة التى يعانىها الفلاحون ومع أن التقارير الرسمية أكدت ان معظم الاشاعات مبالغ فيها فان الأشخاص الذين كانوا وقتئذ في مصر وصفوا المجاعة وصفا يفتت الأكباد وأعلنوا أن الفلاحين المصريين أشبه شىء بالأشباح .

على أن العمل الجرى الذى قام به الضباط لم يفتح عين أوروبا فحسب بل فتح عين مصر أيضا ، فقد كان بمثابة شرارة كهربائية فى جو مفعم بالسخط والتذمر فلا تسلسل عما أدى اليه انفجار ذلك النذير من مظاهرات الى اجتماعات عقدها المشايخ والأعيان والعلماء أقروا فيها التعجيل بوقف النظام الحاضر وألفوا منهم وفودا قابلت الخديو ووعدته بالمعونة فى نضاله مع الأوربيين وطلبت أن يكون للأمة نصيب فى حكم البلاد .

ويؤكد روزستين أن الخديو اسماعيل برى من تهمة اعداد مؤامرة الضباط وكل ما فعله أن استفاد من أمور الواقعة !!

● ويؤكد روزستين أن الأوربيين لو كانوا صادقين فى دعواهم الخاصة بتحسين الاحوال المالية لمصر ما كلفهم الأمر أكثر من أن يردوا فوائد الدين

الى الحد المعقول وأن يستعينوا بنواب الأمة في تجديد نظام البلاد ماليا واقتصاديا ولو أنهم فعلوا ذلك لأقاموا مصالح الدائنين على أسس وطيدة ، وحالوا دون عودة استبداد الخديو اسماعيل الذي كانوا يعتبرونه أساس البلاء . ولكن - رودستين - لم يكن في نية سادة مصر الأوروبيين أن يقدموا على أحد هذين الأمرين ، فاما عقد البرلمان فأمر لا سبيل الى النظر فيه لأن مصر الدستورية كانت تقضى قضاء مبرما على ما كانت إنجلترا وفرنسا تبنيانه سرا من النيات السياسية لمصر واما تخفيض فوائد الديون فقد كان ولا بد من اللجوء اليه ان عاجلا وان آجلا .

ويقول مؤرخ نوبار باشا - نجيب مخلوف - أن الخديو قد أوعز للضباط بأن يتظاهروا ثم يقول واذا لم يكن قد أوعز اليهم فانه على الأقل أظهر رضاه على ما فعلوه ، وادعى ويلسون الوزير البريطاني في وزارة نوبار باشا - في رسالة بعث بها الى مسنر بلنت في ٣٠ أبريل ١٨٧٩ أن الخديو هو الذي دبر مؤامرة لقتله لم تنجح ولكنه عومل أسوأ معاملة وأن حكومته - الحكومة البريطانية - تركته تحت رحمة القضاء وان الخديو يعصر البلاد لآخر قرش وليس في الطاقة تأخير الحراب : والبلاد بأسرها سائرة الى الدمار وهي موبوءة بالفساد .

● وكان مجلس النظار قد كلف - في ٢٧ مارس ١٨٧٩ - رياض باشا وزير الداخلية للتوجه الى مجلس شورى النواب لابلاغ أعضائه بفض انعقاد المجلس ولم يكده رياض باشا يتلو المرسوم الخاص بفض الدورة حتى نشبت معركة عنيفة هي الأولى من نوعها حيث قال النائب محمد أفندى راضى ان مدة المجلس لم تتم بعد ، وقال عبد السلام المويلحي بك أن المجلس طالب عدم قطع أى أمر فى أى شئ الا باشتراكه وعاد محمد أفندى راضى ليؤكد ان المجلس لا يمكن صرفه الا اذا نظر فى المسائل التى طالب بها وكذلك الميزانية ، ووجه الكلام الى رياض باشا قائلا : لقد أحضرتكم أصحاب الجرائيل وأكدت عليهم بعدم درج شئ فى جرائيلهم مما يتعلق بمجلس الشورى والأجانب ، وفى هذا نوع من التضيق وقال رياض باشا انه لم ينبه على كتاب الجرائد الا فيما يتعلق بدرج أشياء فى جرائدهم تخدش أذهان العامة .

ويقول محمد أفندى راضى اننا ننتظر من جناب الخديو أن يوافق على اعطاء المجلس حقوقه وطلباته ، ويستقر رأى المجلس على أن يرسل صورة من المحضر للمعية السنوية وصورة أخرى لمجلس النظار .

● وبعد يومين - أى فى ٢٩ مارس ١٨٧٩ - يتقدم النواب بعريضة الى الخديو يستنكرون فيها مسلك الوزارة فى امتحانها حقوق المجلس معترضين على المشروع ، الذى أعدته - وقتئذ - الوزارة - وكانت تنوى إصداره والذى

تعلن فيه الحكومة المصرية في حالة افلاس ، وأكد الأعضاء رفضهم لقرار الوزارة بفض المجلس وأعلنوا امتناعهم عن تنفيذ المرسوم ، وقد اجتمع الأحرار في دار السيد البكرى في هيئة جلسة وطنية مطالبين - في بيان لهم - بتأليف وزارة وطنية مستقلة واقصاء الوزراء الأوربيين عنها واقترح اسناد الوزارة الى شريف باشا تكون مهمتها انقاذ البلاد من التدخل الأوروبى ومن الحكم الاستبدادى وتقرير نظام دستورى يحقق أمانى الشعب .

● وفى ٢ ابريل ١٨٧٩ اجتمع بدار اسماعيل راغب باشا كل من شريف باشا وشاهين باشا وحسن راسم باشا وجعفر باشا والسيد على البكرى والشيخ الخلفاوى والشيخ حسن العدوى ، وكثير من الأعيان والعلماء والنواب والمأمورين حيث وضعوا ما سمي باللائحة الوطنية التى تتضمن تسوية مالية تقوم على أساس أن ايرادات الحكومة تكفى مصروفاتها بما فيها أقساط الديون العامة ونصبت اللائحة أيضا تقرير مبدأ المسئولية الوزارية أمام المجلس : أى تعيين رئيس مجلس للنظار بأمر الحضرة الحديوية يختار النظار وبعد قبولهم من الحضرة الحديوية تتشكل هيئة النظارة وتكون مسئولة أمام مجلس النواب . . .

● وقد وقع على اللائحة أعيان البلاد وذواتها ، ونوابها وعلمائها وشيوخ الاسلام وبطريك الأقباط وحاخام الاسرائيليين ، ٩٣ من ضباط الجيش . وقدم وفد من (الجمعية الوطنية) العريضة الى الحديو اسماعيل باشا فأقر مطالبهم واستجاب لهم ووافق على اللائحة الداخلية وبعث بنسخ منها بعد ترجمتها الى قناصل الدول فى مصر واستدعى الحديو وكلاء الدول الأجنبية فى مصر فى ٧ ابريل وأبلغهم بنبا اللائحة الوطنية التى رفعت اليه وطلب منهم ابلاغ نصها الى الدول وأخبرهم باستقالة وزارة محمد توفيق باشا وأنه عهد بالوزارة الجديدة الى شريف باشا وقد استدعى شريف باشا وطلب منه أن تكون نظارته مصرية وطنية وتكون مسئولة أمام مجلس النواب ورأت وزارة شريف باشا - فى أول عمل لها - اقرار مجلس شورى النواب على استمرار انعقاده وعقد المجلس جلسته الأولى فى ١٧ مايو ١٨٧٩ وحضر شريف باشا الجلسة وأعلن انه مفوض من الحكومة ليقدم الى المجلس اللائحة الأساسية (الدستور) ووعد بتقديم لائحة الانتخاب بعد أيام وقد وعد النواب بأنه لن يضع أى قانون ولا يبدل أى شىء من القوانين الموجودة الا بأقرار مجلس النواب . ثم تقرر - فيما بعد - عزل الحديو اسماعيل فى ٢٦ يونيو ١٨٧٩ .

٣ أيام لها تاريخ

● وإذا كان يوم ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ - يوم افتتاح القناة يذكرنا باسماعيل باشا المسرف المتلاف فان يوم ٢٦ يونيه ١٨٧٩ يذكرنا بنهاية كل مسرف متلاف ، فى ذلك اليوم وصلت رسالة تلغرافية الى سراى عابدين تسلمها أولا زكى باشا السر تشريفاتى ، وكانت الرسالة مصدرة بعنوان : اسماعيل باشا خديو مصر السابق ، وخشى السردار أن يحمل الرسالة الى الخديو السابق وكذلك أجفل خيرى باشا المهردار (حامل الختم) الى أن أقبل شريف باشا فرأى من واجبه أن يحمل الرسالة بنفسه الى الخديو الذى تسلم الرسالة وقرأها وطلب الى شريف باشا ، أن يدعو اليه الأمير توفيق باشا فوراً ، وكان توفيق باشا قد تلقى رسالة برقية أخرى باسناد منصب الخديوية اليه وصحب شريف باشا الخديو الجديد الى الخديو السابق وخاطب الخديو السابق « اسماعيل باشا » الخديو الجديد ، ابنه توفيق باشا بقوله : يا أفندينا ، وسلمه الحكم ، وقد رحل اسماعيل باشا - بعد أن تقرر من الباب العالى اعفاؤه من مهمته - الى ايطاليا فى ٣٠ يونيو وقال الخديو السابق ، للخديو الجديد مودعا : لقد اقتضت ارادة سلطاننا المعظم أن تكون يا أعز البنين خديو مصر ، فأوصيك باخوتك وسائر الأمراء واعلم انى مسافر ويودى لو استطعت قبل ذلك أن أزيل بعض المصاعب التى اخاف ان تؤجب لك بعض الارتباك على اننى واثق بحزمك وعزمك ، فاتبع رأى ذوى شورك وكن أسعد حالا من أبنائك » وقد أقلت الباخرة « المحروسة » ، الخديو السابق أقلته الى نابولى الذى قضى سبعة عشر عاما يحكم مصر بارادته المنفردة .

● ويذكرنى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ كما يذكرنى ٢٦ يونيو ١٨٧٩ بيوم ثالث يختلف عن اليومين السابقين وذلك يوم ٢ مارس ١٨٩٥ يوم وفاة الخديو اسماعيل باشا فى تركيا ونقل جثمانه - بحرا - الى الاسكندرية وكان حفيد اسماعيل باشا ، الخديو عباس حلمى الثانى فى انتظار جثمان جده فى سراى رأس التين وقد رافقه الى محطة السكة الحديد ، وقد أقلت زوجة الخديو السابق ونحاشيتها قطارا خاصا وأقل السردار الأسبق وغيره من كبار رجال الدولة قطارا خاصا خصصت عربة منه لجثة الفقيد ، وقد بقيت الجثة فى حراسة جيش الاحتلال الى جانب الجنود المصريين ، وقد وقف فى ساحة ميدان الأوبرا عشرون جملا على كل منها صندوقان مملوءان طعاما ووراء الجمال ست جاموسات كبار وكانت الجاموسات وحمولة الجمال ما يسمى بالكفارة واشترك فى الجنازة ضباط الجيش بملابسهم العسكرية مشاة على الأقدام ثم حرس السردار على ظهور الجياد بملابس زرقاء ، كما اشترك الفقهاء ومشايخ الطرق والذاكرون والأشراف ومشايخ التكايا والدرائش ورواد طلبة العلم بالجامع الأزهر ثم تلاميذ دار العلوم ، والرؤساء الروحانيون وقائد الاحتلال

وكبار ضباطه ثم وكلاء الدول وقناصلها وبعد كل أولئك سار الخديو عباس حلمي ، والى جانبه صاحب الدولة الغازي مختار باشا عن يساره ، وكان الخديو يرتدى ملابس المشير ، وفي ميدان الأوبرا انفصل الجثمان عن المشهد وكانت عربة الخديو في انتظاره فركبها عائدا الى سراى القبة ، وعاد القناصل ووكلاء الدول الى منازلهم : أيام ثلاثة تحمل دلالات خطيرة : يوم تشرى . ويومان سوداوان بل مفرقان في السواد .

● كان التدخل الأجنبي في مصر قد وصل الى كل مرافق البلاد في السنوات الأخيرة من حكم الخديو اسماعيل باشا ، فيما عدا الجيش الذي لم يحاول الأوروبيون - الدخلاء - الوصول اليه لأن معظم قياداته كانت شركسية أو غير مصرية ، وكان هناك - من قبل الدول الدائنة - ثقة مطلقة في قيادات الجيش والاطمئنان الى عدم خروجه على الشرعية ولذلك لم يكن أحد يتوقع أبدا أن يتحرك الجيش المصرى وأن ينوب عن الشعب فى التعبير عن غضبه وسخطه على التدخل الأوروبى وضرورة العمل على التخلص من هذا التدخل والقضاء عليه .

● وبعد عزل الخديو اسماعيل باشا الحاكم القوي ومجىء الخديو توفيق باشا الحاكم الضعيف بدأت فى الجو السياسى احتمالات التغيير والتبديل فى صورة الحكم . وقد كان الفرمان الخاص بتولية توفيق باشا قد تأخر عن مواعده مما بعث القلق فى نفس الخديو توفيق باشا وما جعله يحاول الارتقاء - بصورة مؤقتة - فى أحضان شريف وما جعله يؤكد عزمه على بذل الجهد وصرف الهممة الى التماس أحسن الوسائل لازالة هذا الاخلال المفسد لكثير من المصالح فيقرر الاقتصاد الحق القانونى فى نفقات الحكومة وقد أعاد شريف باشا تشكيل وزارته وقد دخلها محمود سامى البارودى كوزير للمعارف والأوقاف .

● وقد حرص الخديو توفيق باشا على أن ينص فى أمر اعتماده تاليف الوزارة على ضرورة أن تكون الحكومة دستورية ونظارها مسئولين وأنه - توفيق باشا - اتخذ هذه القاعدة - مسئولية الوزارة - للحكومة مسئلكا لا أتحوّل عنه فعلىنا - الخديو توفيق - تأمين شورى النواب وتوسيع قوانينها لكي تكون لها اقتدار فى تنقيح القوانين وتصحيح الموازين .

وبادر الخديو بتخفيض مخصصات أسرته ، وغير ذلك من الخطوات التى أعادت بعض الرضا الى النفوس الشائرة القلقة !

ولكن لم يكده يصل الفرمان السلطانى فى ١٧ أغسطس ١٨٧٨ حتى أراد الخديو التخلص من شريف باشا وتولى هو - الخديو - رئاسة الوزارة فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ ولكنه عاد فى ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ فكلف رياض باشا بتشكيل

الوزارة وقد ترك رياض باشا لقنصل انجلترا وفرنسا مهمة نصريف الأمور الهامة والحظيرة وفقا لمصالح الدول الدائنة .

● وكان من الأخطاء التي وقعت فيها وزارة رياض التنازل عن أرباح مصر في فناة السويس وكان قدره ١٥٪ من مجموع الأرباح وذلك مقابل ضئيل جدا (٢٢ مليون فرمك) وهو مبلغ كان من الممكن لمصر أن تجنيه من أرباحها في القناة ، لبضع سنوات .

وفي عهد رياض باشا بدأ تحرك الجيش اما بسبب تسريح عدد كبير من الضباط بدعوى عدم قدرة الدولة على مواجهة مرتبات الضباط والجنود وكان الجيش قد تعود أن يتأخر صرف المرتبات الشهرية لأيام أو لأسابيع وكان التحرك غنيقا وفويا ابتداء من انهجوم على قصر النيل واطلاق سراح ثلاثة من الضباط (عرابي ، علي فهمي الديب ، عبد العال حلمي) كانوا قد اعتقلوا في أول فبراير ١٨٨١ أثر تقدمهم بعريضة احتجاج على وزير الحربية رفقي باشا ومرورا باجبار الخديو على اقالة رفقي باشا الى أن بلغت الثورة أوجها في ٩ سبتمبر ١٨٨١ حيث قام الجيش بمظاهراته الكبرى مطالبا - باسم الأمة - بعزل رياض باشا وتشكيل مجلس النواب وإبلاغ عدد الجيش الى العدد المعين في فرمانات السلطانية (١٨ ألفا) ثم كان ما كان من تأليف شريف باشا وزارته الثالثة .

الثورة في قمة النجاح

● وعن أثر نجاح عرابي وزملاؤه في يوم عابدين قال الفريد اسكاون بلنت : استيقظت مصر في صباح اليوم التالي لتعرف أن المسألة لم تكن مسألة عصيان فقط بل كانت ثورة أيضا وأنه قد وضع حد المحكم الاستبدادي الذي طال عليه الزمن .

وقد وعد الخديو أن يجمع الأعيان ويمنح الدستور وأن تحكم بلاد القراعة والماليك والباشوات الترك من الآن فصاعدا على مقتضى قوانين الحق والعدل لا بواسطة الاجانب ولكن بواسطة نواب الشعب المصري أنفسهم .

● وكانت الأشهر الثلاثة التي أعقبت هذه الحادثة الشهيرة من أسعد الأوقات التي مرت بمصر ، من الوجهة السياسية ، ويسرني أني حظيت بمشاهدتها بعيني رأسي ولو أني كنت سمعت بها سمعا لشككت فيها وعندي أنها لم يكن لها شبيه في الأيام التي رأيتها في مصر ، وأخشى أن تكون مقطوعة النظير من الأيام التي يمكن أن أراها ، فجميع الأحزاب الوطنية وجميع سكان القاهرة اتحدوا لتحقيق الفكرة الوطنية وشاركهم الخديو في ذلك على ما ظهر يومئذ للناس : وكان قد سر عنه انقضاء الأزمة بنجاح دسيسنته ضد رياض والمراقبة

الثنائية البغيضة وقد وثق بأن شريف لابد ان يخلصه عاجلا أو آجلا من
عرايى .

● ثم ان شريف وزملاءه من وجهاء الأتراك لم يكونوا لذلك أقل سرورا
بعودة السيطرة اليهم بل ان الأتراك الرجعيين أنفسهم قد سروا بما سموه
انتصارا على أوروبا ونجا العسكريون من كابوس الخطر الذى طالما هددهم وارتاح
المصلحون المدنيون للحرية التى اعتقدوا اليوم أنهم لابد حاصلون عليها .
أما الذين شكوا وأساءوا الظن لنهاية فقد اعترفوا كذلك بأن النتائج قد بررت
الالتجاء بدا لهم فجأة كما يبدو الفجر بعد ليل مخنق طويل .

وتصاعدت من أنحاء مصر صيحة فرح وسرور لم يسمع مثلها على جوانب
النيل منذ مئات السنين .

وقد حدث فعلا أن الناس كان يستوقف بعضهم بعضا فى شوارع مصر،
ويتعانقون على غير تعارف سابق ، ويتتهجون معا لعصر الحرية المدهش الذى
بدا لهم فجأة كما يبدو الفجر بعد ليل مخيف طويل .

وكانت الصحف قد أسرعت بنشر الانباء السارة وقد حررتها رقابة الناس
أن يجتمعوا ويتكلموا بلا خوف اينما شاءوا فى الاقاليم وبلا وجل من تدخل
البوليس والجواسيس .

وقد سرت عدوى السرور الى كل الطبقات فالمسلمون والمسيحيون واليهود
قد سروا جميعا وشاطرهم السرور جماعة الأوربيين الذين كانت لهم صلات
وثيقة بالحياة الوطنية .

وقد اعترف القناصل الاجانب أنفسهم بأن العصر الجديد خير من العصر
القديم وان رياض قد أخطأ وان أعمال عرايى اذا لم تكن كلها سيديدة فليسبت
كلها خطأ .

● بعد تأليف وزارة شريف باشا التالية وهى الوزارة التى رحب بها
الشعب على نحو ما جاء فى كلمات اسكاون بلنت توالى الاحداث السياسية
فى مصر بسرعة غريبة على ما هو معروف من استمرار التدخل الفرنسى
والانجليزى بصفة خاصة والأوربى بصفة عامة حتى فى وضع الدستور المصرى
بين مصر وبريطانيا والهزيمة الكبرى لنا فى موقعة التل الكبير ودخول الانجليز
ومن استقالة وزارة شريف باشا الى تأليف وزارة سامى البشاروى التى
الها بضغط من العسكريين وكان أحمد عرابى باشا فى تلك الوزارة وزيرا
للحربية والبحرية ، وبعد استقالة تلك الوزارة ووقوع مذبحة الاسكندرية
فى ١١ يونيو ١٨٨١ وضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨١ ونشوب الحرب
بين مصر وبريطانيا والهزيمة الكبرى لنا فى موقعة التل الكبير ودخول الانجليز
العاصمة المصرية فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ وبداية عهد جديد من الاجتلال

البريطاني لمصر ، أسوأ أنواع الاحتلال الأجنبي اذا جاز القول بوجود احتلال سيء واحتلال أسوأ .

ولاننا أكثرنا من الحديث عن وجهات نظرنا في كل تلك الأحداث عند الكلام عن ثورة ١٨٨١ (ثورة عرابي) أو هوجة عرابي كما كانوا يسمونها فإني أستاذن في نقل بعض وجهات نظر الأجانب وخاصة من عاصروا تلك الأحداث ووجدت لديهم معلومات دقيقة عن تلك الأحداث :

● يقول سير أوكلند كولفين ، وكان عضوا في هيئة الادارة المدنية بالهند قبل أن ينقل الى مصر وقد حضر مظاهرة الضباط في ٩ سبتمبر أن عرابي قد جاء الى قصر عابدين في القين وخمسمائة جندي وثمانية عشر مدفعا « ان الماء الهاديء لا يوجد الا في الأعماق وهو المبدأ المنقوش تحت صورة (دارنج هاسننج) على جدران المجلس الاستشاري في كلكتا بالهند .

وكان كولفين قد نصح الخديو بأن يسبق خصومه الى العمل ومادام رياض يزعم أن هناك آلايين موالين له فعليه أن يستدعيهما الى ساحة عابدين مع من يمكن جمعهم من رجال البوليس المسلحين وأن يقف على رأس هذه القوة ويقبض بنفسه على عرابي فور حضوره ولكن الخديو رفض رغم تأييد ستون باشا الأمريكي لهذا الاقتراح .

● يقول كولفين : ركبت عربة خلف الخديو وركب الوزراء أيضا كما ركب خمسة أو ستة ضباط مصريون في عربة ستون باشا وذهبنا الى عابدين حيث خرج آلاي الحرس هاتفا بأحر عبارات الولاء للخديو . ثم استأنفنا السير الى القلعة حيث رحب بنا الآلاي الموجود بها ترحاب آلاي عابدين ولو أننا علمنا أنه كان يبعث قبل وصولنا ببعض الاشارات الى آلاي عرابي بالعباسية مما جعل الخديو يصمم على الذهاب توا الى قشلاق العباسية .

وبما أن الساعة بلغت وقتئذ الثالثة والنصف بعد الظهر فقد الحجت على الخديو ليعود الى القصر مستصحبا آلاي القلعة ويرأس هذه القوة بعد ضم آلاي الحرس والبوليس الحربي اليها . ولكنه سار قدما الى العباسية . حتى اذا بلغنا في الرابعة مساء (وكان الوزراء قد انفصلوا عنا في القلعة ليعودوا الى القصر) عرفنا ان عرابي سار بالايه الى عابدين . فرجعنا إدراجنا الى المدينة . ولما بلغنا مدخلها سلك الخديو طريقا طويلا . ودخل القصر من أحد أبوابه الخلفية . حيث قفزت من العربة ورجوته عدم البقاء في القصر والخروج توا الى الساحة . فوافق على طلبي وخرجنا معا وجاء في أثرنا خمسة من الضباط الوطنيين وستون باشا وضابط أو اثنان من الأوربيين تفصل بيننا وبينهم مسافة غير قليلة .

● وقد كانت الساحة ممتلئة بالجنود المصطفين حتى أطرافها ليزدودوا عنها الجماهير . ودلف الخديو إليها في شيء من الثبات متجنباً صوب جمهرة من الضباط في وسط الساحة بعضهم راجلون والبعض الآخر راكبون . فقلت له اذا وفد عرابي عليك فاطلب منه سيفه . ومر من معه بالتفرق والانصراف ثم در حول الساحة وكلف كل آلى على حدة بالانصراف . وهنا تقدم عرابي على صهوة جواده . فأمره الخديو بالترجل حيث ترجل وتقدم لتأدية التحية العسكرية ومن خلفه عدد من الضباط وحارس شرع حربة على يمينه . وفى تلك الآونة همست فى اذن الخديو قائلاً « هذه لحظتك » فأجاب : « نحن بين أربع نيران » فقلت له : « تشجع » . ولكنه مال على ضابط وطنى فى يساره ليأخذ رأيه . ثم اذا به يكرر عبارته السابقة قائلاً : « ماذا يمكننى عمله . نحن بين أربع نيران ولا شك أننا مقتولون » !! .

● التفت الخديو بعد ذلك الى عرابي وطلب اليه اغماد سيفه فأغمده . وسأله الأمير عن معنى حركته . فأجاب عرابي بأن الجيش جاء الى الساحة باسم الشعب الذى يمثلته . ولهذا فهو باسم الشعب المصرى يصير على تحقيق مطالب ثلاثة لن ينصرف بقواته قبل اجابتها . . . وعند ذلك تحول الى الأمير قائلاً : « هل سمعت ما يقول ؟ » فنصحته بالعدول عن مناقشة مثل هذه المسائل مع قائممقامات فى جيشه . واقترحت أن يرجع الى القصر ويتركنى لمعالجة الموقف . فرفض لرأى وبقيت أناقش عرابي وحدى محذرا من خطورة الموقف بالنسبة له ولأعوانه . وموضحاً ضرورة انصراف الجند قبل فوات الوقت . وبعد ساعة تقريبا حضر السير تشارلز كوكسن ووقف الى جانبي أثناء المناقشة .

أما مطالب عرابي الثلاثة فكانت :

أولا - اسقاط وزارة رياض بأكملها .

ثانيا - دعوة البرلمان للانعقاد .

ثالثا - زيادة عدة الجيش الى ١٨٠٠٠ جندي .

وبعد انتهائى من المناقشة استأنفها السير تشارلز مع عرابي والعصاة بعض الوقت . وانتهى الأمر بموافقة الخديو على عزل الوزراء بشرط تأجيل المطلبين الباقيين الى ما بعد الرجوع بشأنهما الى الباب العالى . فوافق عرابي على هذا الحل . غير أنه قامت صعوبة أخرى حول الرجل الذى ينتخب لرئاسة الوزارة . وذلك لان عرابي وأتباعه رفضوا اسما أو اسمين عرضهما الخديو عليهم . ومع هذا لم يكذب يدى الخديو استعداداه لدعوة شريف باشا حتى قبل تصريحه بالهاتف بحياته ، وسارع عرابي وزميلاه الى التماس مقابلته لتحديد ولائهم له . فأذن بالمقابلة . وانصرف الجيش عقب ذلك الى معسكراته فى هدوء .

● وكانت المفاوضات مع شريف باشا لكي يرأس الوزارة الجديدة قد تعثرت ولكنه ، ازاء تعهد النواب والعسكريين بتأكيد ولائهم للنظام ، قبل فكرة تأليف الوزارة مع شرطين تقدم بهما عرابي وهو إعادة محمود سبامى البارودى الى وزارة الحربية والثانى تنفيذ القانون العسكرى المعتمد من القومسيون فى الحال وان كان قد احتفظ لنفسه بحق استبعاد أهم مادة فى القانون العسكرى وهى الخاصة بزيادة الجيش الى ١٨٠٠٠ جندى ، ومما قاله سير شارلز كوكسن : كان لحادث عابدين دلالاته ونتائجه فقد دل على وجود حزبين ضد الخديو أحدهما جيش متمرد يرتعد خوفا من معاقبته ، والآخر رجال مدنيون من بقايا اسماعيل بتظاهرون بحب الدستور ويتطلعون - كما قال كرومر - الى تحقيق أهداف وطنية « مغشوشة » ولكن نظرا لأنهم يمثلون العناصر المدنية فى المجتمع فانهم يعارضون أية فكرة ترمى الى تأليف حكومة عسكرية بحتة .

● ولا شك - كرومر أيضا - أن اهتمام السياسة كان منصرفا الى فصل هذين الحزبين عن بعضهما والحيولة دون اندماجهما معا لأنه اذا اعتقد الحزب الوطنى المكون من أولئك المدنيين أن آماله لن تتحقق الا بتأييد الجيش ٥٠ فان سلطة الخديو لا تقوض وتتلشى فقط ، بل إن كل أمل فى انشاء نظام للحكم تسود به السلطة المدنية على السلطة العسكرية لن يتحقق ومن الحكم الماثورة عن البرنس بسمارك قوله : « ان السياسة هى الحرفة التى تعلمنا كيف نساير أسلوب الزمن وكيف ننتفع من الظروف والاحوال التى لا تكون فى صالحنا ٥٠ » وقد كان أحجى بالخديو فى ذلك الظرف أن يتصرف بوحى من هذا المبدأ السياسى ، سيما وأنه يكره هذا الحزب وذاك على السواء وان مصلحة أسرته المالكة من جهة ومصلحة بلده من جهة أخرى توجبان عليه مدارة الحزب الثانى (الحزب الوطنى) ليستطيع كسر شوكة الحزب (العسكرى) على الدوام ولكنه لم يكن مع الاسف من الكفاية السياسية بحيث يدرك كيف يفتنم الفرصة حين تسنح له . ويضيف كرومر الى ذلك قوله - وهو يتحدث عن غدر الحكام الشرقيين ودسائس القصور الحاكمة وعن العقبة التى لها ما يبررها - وهى أن وراء كل اجراء حكومى مؤامرة ! وقد كان أحجى بالخديو أن يدرك أن أقل همسة تنم عن سوء نيته تكفى للقضاء على سمعته واخلاص شعبه له وان الحذر التام هو الواجب الذى يتحتم عليه اتباعه ولو اتبع الخديو خطة تقوم على الشجاعة والصراحة مع القضاء على دسائس القصر بشدة لكان من المحتمل ان ينجح فى ازالة مخاوف الضباط .

● فى برقية بعث بها سير ماليت الى حكومته فى ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ وصف فيها حركة الشعب والجيش بأنها حركة مصرية لا شبيهة فيها بغيره استبداد الحكم التركى ومع انها موجهة فى الاصل ضد الاتراك فانها فى

صميمها مصرية وطنية تعنى فى الوقت الحاضر بتجنب الاساءة الى الاوروبيين
لحاجتها اليهم. فى الصراع القائم ، بينها وبين خصومها المباشرين ورغم ذلك
لا تستطيع أن تبذل ودها للأوروبيين أو تمنى شيئا غير التخلص منهم فى يوم
من الأيام .

● ويقول كولفين بصراحة ووضوح : ليس من الحكمة عدم تشجيع حركة
التحرر التى تسير قدما الآن ولعل من الحق أنها تواجه بين الأوروبيين خصوصا
لا يقولون عنهم من الأتراك ولكنى أعتقد أن الحركة ترجع على الأخص الى نمو
الروح الوطنية وتهدفت الى منفعة البلاد واذن فمن خطئ السياسة ان نحطمها
وبما اننى اتمنى لها النجاح يبدو لى انها يجب ان تعلم من الابتداء حدودها التى
لا ينبغي تخطيها والا فاق رغباتها تزداد وآمالها تتسع بحيث يؤدى العجز عن
بلوغها الى هزيمة تكراه ، ويجب كذلك فى كل ما تم عمله الى الآن - أو الذى
ينبغي عمله مستقبلا أن لا يتاح للحكومة المصرية أو الاعضاء النواب نسيان
أن للدولتين هيمنة مباشرة على مالية البلاد ، وأنهما مصممتان على الاحتفاظ بتلك
الهيمنة .

● ويقول كولفين أن خط السير الذى يشير بإتباعه فى الظروف الدقيقة
الخاصة ينظم الأحوال المدنية هو تنويه الدولتين بواسطة وكلائها السياسيين ،
تنويعا صريحا حازما عما يملكان من مصالح مادية فى الادارات الأوربية وعزمهما
على المحافظة عليها . مع ترك الحرية للمصريين فى اتخاذ ما يروق لهم من
الاجراءات التى يديرون بها شؤون البلاد الداخلية ما دامت لا تتعارض مع
الاوراض التى اكتسبتها الدولتان .

وإذا كان الواقع أن ثلاثة شركاء يتقاسمون الادارة المصرية فإن واجب
الدولتين المحافظة على نصيبهما فى هذه الشركة وتقويته وذلك اذا لم تكونا على
استعداد لتعديل هذا النصيب . سيما وإن المصريين الآن فى حالة تطوّر
وتبدل .

لا يمكن للمصريين أن ينظروا الى المسائل بغير اهتمام أو يسمحوا
بمناقشتها واقرارها بغير أن يدلوا برأيهم فيها . فإذا لم تفاهم معهم من الابتداء
بغنى من الصراحة . فإن الموقف يتمخض عن كثير من سوء التفاهم الذى يزيد
فى مرازة علاقاتنا بهم . أكثر من تأثير البلاغ المزمع ارساله عن نوايا الدولتين .
وبخاصة فى هذا الوقت الذى يوشك مجلس النواب أن يجتمع فيه .

● وينقل كرومر واقعة لا أدري مدى صحتها وإن كنت فى نفس الوقت
لا استبعد حدوثها : الواقعة أن ضابطا من ضباط الجيش مر على الفلاحين فى
حقولهم وابلغهم بأن الاطيان المملوكة لأصحاب الاراضى هى ملك حلال لهم .
ويقل كرومر على الواقعة بقوله : « فى كلمة مختصرة كانت جميع العلاهات

العادية. للثورات قد تكاملت ، ويقول سير كوكس : ان الاضطراب وعدم الاستقرار في المديرية دفعوا الاعيان وغيرهم من ذوي الاملاك الى التحلل من التحالف الذي تسرعوا في عقده مع الحزب العسكري والى محاولة التخلص من سيطرة هذا الحزب . وكان عرابي وزملاؤه قد حاولوا عزل الخديو واسقاط حكم اسرة محمد علي وقد ايدتهم فرنسا في عزل الخديو ، ثم عادت - كماداتها وقتئذ - في التراجع عن موافقتها على عزل الخديو .

● والذي يهمنى قبل أن أنتهى من الحديث عن تلك المرحلة الهامة من تاريخ مصر والتي كانت أساسا لما حدث في مصر بعدئذ فمأساة الديون التي اقترضاها اسماعيل كانت من الأسباب التي أدت الى وقوع الاحتلال البريطاني ، الذي ظل جانبا فوق أرض مصر حتى عام ١٩٥٦ والهزيمة العسكرية المرة التي وقعت في التل الكبير في ١٢ ، ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ دعته الانجليز الى تسريح الجيش المصرى والى ضرورة السيطرة على عملية اعادة بناؤه من جديد ، كما أن الحياة الحزبية التي بدأت في السنوات الأخيرة من حكم اسماعيل والتي تمثلت في قيام الحزب الوطنى الذى كان الجناح المدنى لثورة ١٨٨١ كانت المناخ الذى ثبتت فيه بقية الأحزاب السياسية الأخرى كحزب الأمة وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية : يهمنى أن أركز على رأى اللورد كرومر عميد الاحتلال البريطانى لمصر والذي ظل بحكم مصر ، بجيش الاحتلال البريطانى أكثر من عشرين عاما ؛ حكمها بالحديد والنار ، ولا شيء غير الحديد والنار : يهمنى أن أنقل عن كرومر هذا رأى في الثورة العربية كخصم عنيد لتلك الثورة :

● يقول كرومر : لا شك أن عرابي - كتابع للخديو - كان مذنباً بتهمة التمرد ، فلو أنه حوكم بعد القبض عليه أمام محكمة عسكرية ثم أعدم فوراً لما جانب هذا العمل أصول العدالة ، ولكن عرابي كان من الناحية الأخرى بطلاً فى أذهان طائفة من الانجليز بينما من الوجهة السياسية المحضه كثر البحث والتساؤل عما اذا كان من الحكمة أن يتسبب اعداؤه فى رفعه الى مرتبة الأبطال الشهداء وفوق هذا ليس من السهل تفصيل حدود الثورة المشروعة بعقلية الجماهير وبيان أين تبدأ وأين تنتهى : أى تحديد المرحلة التى ينتقل فيها معسكر للسلام وعدو للمجتمع ، الى مرتبة القائده الذى يتزعم حركة سياسية نشأت لبلوغ أهداف سياسية وتستحق العطف عليها الى حد ما على الأقل : ان ما اصطلح الناس عليه من مبدأ النجاح يصلح للبت فى هذا السؤال فمن المعلوم أنه يصعب تبرير الثورة الفاشلة . أو اعفاء الذين أثاروها من تحمل النتائج المترتبة على تصرفاتهم وحتى من وجهة النظر هذه لم يكن من السهل البت فى مصير عرابي .

فلو أن هذا التأثير ترك وشأنه فى ثورته لما كان هناك أدنى شك فى انتصاره ولكن بما أن خذلانه يرجع الى التدخل البريطانى ، فمن الحق المطلق

لبريطانيا أن تقرر هي مصيره • ولم يكن من الممكن الارتياح في نوع ذلك القرار • فالرأى العام البريطانى لم يوافق على اعدام المسجونين في جرائم سياسية • ومن الطبيعى أن تساير الحكومة الى نهاية من هذا النوع • وتأييدا لهذا كتب لورد جرانفيل وزير الخارجية يقول :

(ان حكومة جلالة الملكة طلبت الى الخديو أن يعالج الأمر بطريقة أكثر إنسانية وتمشيا مع قواعد المدنية الحديثة • وأن يباشر حقه السامى في استعمال الرأفة اذا تبين أن عرابى لا يمكن أن يتهم بجرائم أخرى غير الخيانة والثورة) •

على أنه كان مشكوكا فيه من الابتداء امكان تطبيق أى جرم من الجرائم التى تستحق أقصى عقوبة في شرعة الشعوب المتقدمة على عرابى وكان من المحقق أيضا عدم مناسبة اطالة الاجراءات • وبقاء البلاد في حالة غليان • ومن هنا كان أفضل ما تنتهى الحكومة البريطانية اليه هو تقرير نفى عرابى وأعوانه الرئيسيين في الحال •

ولكن من الأسف أن هذا لم يحدث ، وأن الأمر العجيب الذى حدث هو أن مصير المسجونين لم يوكل الى الحكومة القوية التى دحرت الثورة • وانما وكل الى الحكومة الضعيفة التى أثبتت عجزها عن قهرها !!

لقد سلمت الحكومة البريطانية عرابى وزملاء المعتقلين الى الخديو وربما كانت هناك ندحة ولو قليلة تبرر هذا المسلك • لو أن تسليمهم للخديو كان حقيقيا - أو كانت الحكومة البريطانية باعتبار تقرير جلاء جنودها عاجلا • قد وقفت بعيدة • بينما الحزب التركى يعنى - تحت حماية الحراب البريطانية - في الانتقام من العرابيين • واشاعة الهلع في قلوب من تحدثهم نفوسهم على الثورة مستقبلا •

ولكن كلا الأمرين كان غير مرغوب فيه ومستحيلا حصوله • ولذلك كان تسليم المسجونين غير حقيقى في الواقع • وكان على الخديو أن يتظاهر بالنظر في أمر عرابى على أن لا يخطو خطوة واحدة بغير موافقة الحكومة البريطانية •

وأكثر من ذلك أنه عندما ألفت الحكومة المصرية محكمة محاكمة عرابى استقر الرأى بلا شك وبحق أيضا على أن تكون المحاكمة وهمية • ومن هنا نشأت عند الحكومة المصرية فكرة انتقامية غير منتظرة • شرعت بها في خلق أشياء تزيد في الظروف التى تسوغ اعدام عرابى • في حين أصرت الحكومة البريطانية على أن تكون المحاكمة علنية عادلة يتمثل فيها مستشار أوربى يدافع عن المسجونين •

ولقد اضطرت الحكومة المصرية الى الخضوع • وتلا ذلك اقرار شروط المحاكمة بعد مناقشات طويلة • وفي ٧ نوفمبر وصل لورد دوفرين الذى أوّله

لمصر في مهمة خاصة الى القاهرة فاستشف لأول وهلة ان الضرورة تقضى بانهاء الاجراءات الخاصة بعرايى وتاكيد من التحقيق الابتدائى انه لا يمكن اتهام عرايى الا بتهمة الثورة وقد وضع دوفرين الترتيب الآتى ، يعترف عرايى بأنه مذنب لثورته على الخديو : تحكم المحكمة عليه بالاعدام ، يعزل الحكم الى النفى الى سيلان ، وقد استقال رياض باشا احتجاجا على نجاة عرايى من عقوبة الاعدام ، وكان رياض باشا يرى ان اعدام عرايى ليس مجرد اجراء عادل بل ضرورة تحتّمها مصلحة الدولة .

وقد حمل الأوروبيون والباشوات على ليونة المحاكمة ، بينما من الناحية الأخرى استقبلت الجباهير تعديل الحكم بالاستحسان .

نهاية مؤلة للثورة العرابية

● كانت بعض قيادات الحزب الوطنى - الجناح المدنى لثورة ١٨٨١ - ثورة عرابى - قد اختلفت مع الحزب العسكرى الذى كان قد انفرد بالسلطة فى منتصف ١٨٨٢ ، وكان ذلك الاختلاف من أهم الأسباب التى أدت الى هزيمة تلك الثورة ، ولو قيض للوثام بين الحزبين العسكرى ، والوطنى أن يستمر لما نجحت بريطانيا ومن خلفها الخديو توفيق باشا فى إلحاق الهزيمة بالثورة ، كان من الممكن - مثلا - أن تنهزم الثورة فى معارك القنال لأنها تقاتل الامبراطورية البريطانية بجيوشها البرية وأساطيلها البحرية ، التى تخيف وقتئذ الدول الكبرى ، ولكن كان لابد من أن تبقى إرادة الأمة ، حتى بعد هزيمة الثورة موحدة .

وكان سلطان باشا ، رئيس مجلس النواب ، والمتزعم الجناح المدنى للثورة قد نكص على عقيبه فمن تأييد للثورة فى البداية ، الى مجاهرة بالعداء لها فى النهاية ، وكان سلطان باشا - أداة قوى البغى والطغيان - قد تحالف مع الخديو ، وكان السلطان - العوبة الدول الكبرى والصغرى وقتئذ - قد تنكر بدوره لأحمد عرابى بعد أن منحه الوسام المجيدى ، وبعد أن علق عليه الآمال الكبيرة فى التخلص من الأسيرة الخديوية التى خرجت - الى حد ما - على طاعته ، لجبنه وضعفه وارتفعت فى أحضان القوة الكبرى الناشئة « بريطانيا العظمى » ، ووجد عرابى نفسه وحيدا : فرنسا ، وانجلترا وتركيا والخديو وبعض قيادات الحزب الوطنى ضده الى جانب فرسان الملك جورج التى لعبت أخطر الأدوار فى القضاء على ثورته ، وأعنى بها الرشاوى ، التى لجأت اليها بريطانيا لاستمالة بعض الناس ، وبعض القبائل ، وكم كان محزنا بالنسبة لهؤلاء الخونة أنهم وجدوا صفائح الذهب ، التى أعطتها بريطانيا لهم - ليقتفوا الى جانبها ضد الثورة - مغشوشة ، سطوحها فقط هو الذى وضعت فيه جنيهاات ذهبية أما الجزء

الأكبر من تلك الصفائح ، فقد كان مملوءا بالحديد الحردة ، وهذا جزء كل من يخون بلده ، وشعبه : استسلمت الثورة ، ودفع الألوف من أبنائها الثمن ، وجيء الى مصر ، بداهية من أكبر دهاة الاستعمار ، ودهاقنته ليسيطر على مصر ، وأعطى كل الصلاحيات ليفعل في مصر ، وبمصر ، ما يشاء دون رقيب أو شريك .

● ونجح كرومر في أن يفرض بقوة السلاح سيطرته على مصر ، وأجرى التغييرات ، والتبديلات في مرافق البلاد كما أراد حتى باع السفن الحربية : والمصانع المدنية والحربية بتراب الفلوس ، وحتى ألفى أو كاد يلغى تدريس اللغة العربية في المدارس ، مستبدلا إياها باللغة الانجليزية ، وكانت الكتب الانجليزية التي تدرس للنلاميذ والطلاب في المدارس مليئة بالشتائم . والانتهاكات ، ضد الاسلام والمسلمين ، والعرب والعروبة .

● ولكن كل ذلك الذي قام به كرومر لم يصل الى جوهر الشعب . لم ينجح في النيل من صلابة المصريين : لم يستطع أن يغير ذلك المعدن الشعبي النفيس الى صفيح ، ولئن كان الشعب المصري قد هزم في ثورة ١٨٨١ ودخلت القوات الغازية عاصمته ، ولئن كان حيل بين المصريين وبين انشاء جيش قوى ، ولئن طرد وعذب كل من كانت له انتماءات أية انتماءات الى الثورة ، و . و . الا أن جوهر الشعب ظل نفيا . فما أن ولى الحكم والى متفتح يتميز بالشباب والرغبة في خدمة الشعب ، اما لأنه أو لأن مستشاريه رأوا في ذلك مصلحته ، واما لأنه كان في بداية حياته ، راغبا رغبة أكيدة في خدمة بلده . . . ما أن وضعت السلطة الشرعية الاسمية في يد هذا الشاب - عباس حلمي الثاني - حتى بدأت الوطنية المصرية تظهر من تحت السطح ، وحتى راحت القوى المصرية الوطنية المنظمة في الحزب الوطني ، تلتف حول الحديو وتحاول تأييده في كل ما اتخذه من خطوات ايجابية لصالح مصر والمصريين ، ثم جاء مصطفى كامل الزعيم الملهم ، ليبعث الحزب الوطني من جديد وليقود البعث المصري ، الوطني ، القومي ، من جديد أيضا .

وقد كانت الأوضاع في نهايات القرن التاسع وبدايات القرن العشرين مختلفة ومتشابهة ، ومعتدة أيضا .

ولذلك لم ينجح بعض الكتاب الذين كتبوا عن تلك المرحلة في ، أن يتعمقوا في تفهم تلك الأوضاع ، تفهما حقيقيا ، حتى تجيء آراؤهم صائبة ، وتجيء كتاباتهم منصفة .

● كانت بريطانيا العظمى في تلك الفترة قوة كبرى ناشئة ، تتميز بالحيوية والانطلاق وكانت قد حققت انتصارات كبيرة في آسيا وأفريقيا وأوروبا ، وكانت قد أقامت بعض التحالفات مع القوى الجديدة الناشئة كالمانيا وهولندا ،

وكانت قد سيطرت سيطرة تامة على مساحات شاسعة من الأراضي في الهند ، واستراليا وأفريقية مكنتها من أن تزعم الدول الأوروبية عامة ، وكان انتصارها في مصر - ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ - ساحقا للغاية . وكانت قد نجحت في تكميم أفواه الشعب المصرى وفي أن تستولى على كل خيرات وفى أن تتحكم الى حين فى كل مقدراته ، وكانت فرنسا - شريكها فى التآمر على مصر - قد خرجت من الحرب السبعينية مضعضة ، منخنة الجراح ، وكان شعورها بالنسبة لبريطانيا مملوءا بالعداء ، ذلك أن فرنسا هى التى كانت قد بدأت تتجه الى استعمار مصر ، وفرنسا هى التى تحملت فى البداية : عبء مشروع قناة السويس من ناحية بحث الفكرة وتنفيذها فى المرحلة الأولى ، وكانت بريطانيا معارضة لذلك المشروع . حتى أنها لم تكتب بسهم واحد فى شركة القناة .

● وكان الدائنون الفرنسيون بمصر يمثلون فى البداية قوة ضغط خطيرة على مصر ، وقد اتفقت فرنسا وانجلترا على السير معا خطوة ، خطوة ، ويدا : بيد ، للتدخل فى شئون مصر ، ووضعها تحت السيطرة الفرنسية البريطانية : كانت - مثلا - المراقبة الثنائية ، من ممثلى ، انجلترا ، وفرنسا ، فى الوزارة الأوروبية كان وزيران أحدهما فرنسى بلنير والآخر انجليزى هو ويلسون ، وكان الضغط على الخليفة العثمانى من أجل تنفيذ بعض الخطوات التى تريدها بريطانيا وفرنسا ، كان دائما ضغطا فرنسيا بريطانيا : بريطانيا وفرنسا أصرتا على عزل الخديو اسماعيل باشا وضغطتا على السلطان لاصدار فرمان بذلك .

● فرنسا وانجلترا كانتا وراء اختيار ولى العهد توديق باشا ليكون « خديويا » لمصر ، وقد ضغطتا على السلطان للموافقة على هذا الاختيار فلما تأخر فرمان الخاص بتولية توفيق باشا حكم مصر من قبل السلطان قامت فرنسا وبريطانيا بالضغط على السلطان لاصدار فرمان ، وكانت فرنسا وراء العهد التى قطعها دلسبس لعرابى ، بأن يحمى القناة من دخول القوات البريطانية الغازية لمصر ، كما كانت أيضا فرنسا وراء اذن دلسبس للقوات البريطانية بالدخول الى الاسماعيلية ومنها الى الوادى والتل الكبير ولكن فرنسا أحسست - ولها الحق - بأنها خرجت من العملية كلها بصفقة المغبون : انجلترا أكلت كل شئ ولم يبق لفرنسا ، الا الفتات ، بل ان هذا الفتات أبت انجلترا الا أن تقاسمها فيه ، ولذلك راحت فرنسا تحقد على انجلترا وتحاول أن ترد لها الصاع صاعين فبدأت تثير الخديو الجديد (عباس حلمى الثانى) ضد التدخل البريطانى ، وراحت تدس له فى قصره العناصر التى تدفعه الى الثورة على كرومر ، وكذلك بدأت تحتضن حركة مصطفى كامل التى قامت فى الأصل لمحاربة الاحتلال البريطانى ، الذى تنظر فرنسا نحوه نظرة حقيد وكراهية لمصالحها الخاصة ، بطبيعة الحال .

● وكان هناك السلطان ، رجل أوروبا المريض ، الأسد الرابض على ضفاف البوسفور والذي لم يعد يملك الا سلطات أدبية على امبراطوريته الواسعة الأرجاء التي بدأت تمرض وتشيع ، وكانت مصر لا تزال حتى بعد احتلال القوات البريطانية أراضيها جزءا من دولة الخلافة ، السلطان هو الذى يعين والى مصر .

● مصر تدفع الجزية للسلطان . . السيادة التركية على مصر اسمية ظاهرة وواضحة لا يمكن محاربتها ، لأنها من ناحية لا ضرر منها بالمقارنة الى العدو الجاثم فوق صدور البلاد ، وهو الاحتلال البريطانى ثم انها متعلقة بالخلافة الاسلامية ، وللخلافة الاسلامية وقتئذ - رغم عدم وجود قوة مادية لها - تتمتع بنفوذ أدبى ضخم فى جميع أنحاء العالم الاسلامى : الرباط بين مصر وتركيا رباط قوى ولكن الكلمة فى مصر ، ليست لتركيا ، ولا لمصر ، وانما للاحتلال البريطانى : حتى الحديو لم يكن يستطيع أن ينعم على رعاياه بالألقاب : بك ، باشا . وكان يقترح على السلطان والسلطان هو الذى يصدر القرارات الشاهانية الخاصة براءات تلك الألقاب .

● وكان الدعاء للسلطان على منابر المساجد كلها ولا يمكن أبدا لأى امام أن يخطب الجمعة ، دون أن يدعو للسلطان ، حتى بعد أن أعلنت الحماية على مصر ، وراحت بريطانيا تقطع ذلك الرباط الذى بين مصر وتركيا لم تنجح فى أن تقطع الدعاء على المساجد وانما غيرته من الدعاء له بالنصر ، الى الادعاء له بالتوفيق ، والى جانب بريطانيا وفرنسا ، وتركيا ، كان يوجد خديوى شاب ، بدأ بداية طيبة وخطا خطوات هامة نحو معارضة الاحتلال ، ويوجد حزب وطنى يقوده شاب ملهم لا هم له الا تحرير بلده .

● وقد أخطأ بعض الكتاب فى تصورهم للعلاقة التى قامت بين الحديو ومصطفى كامل ، والعلاقة التى قامت بين الحركة الوطنية المصرية وبين تركيا ، والعلاقة التى قامت بين الحركة الوطنية المصرية ، وبين فرنسا .

ولو أنصف هؤلاء لأعادوا كل شئ الى أصوله ، ولنظروا الى كل تلك العلاقات نظرة موضوعية : عندما يقوى مصطفى كامل علاقته بتركيا - دولة الخلافة الاسلامية - لا يكون مصطفى كامل تابعا لتركيا وانما هو - مصطفى كامل - قائد لحركة وطنية لا يريد ان يفضب دولة لها سيادتها الاسمية على مصر ، ثم هو لا يريد أن يفضب الجماهير المصرية ، المنضوية تحت لوائه ، والتي ترى فى الخلافة العثمانية ، رمزا يجب الالتفاف حوله .

● وعندما تتقرب فرنسا الى مصطفى كامل ، أو يتقرب مصطفى كامل الى فرنسا فليس فى ذلك الا السياسة الحكيمة من الجانبين : مصطفى كامل ضد

الاحتلال البريطاني ، وفرنسا ضد الاحتلال البريطاني ، وعدو عدوى صديقي ، ثم ان هذه العلاقة ليست علاقة تبعية بدليل أنها تغيرت عام ١٩٠٤ بعد أن غيرت فرنسا توجهاتها السياسية ورأت مصلحتها في الاتفاق الودي مع إنجلترا تطلق بريطانيا يد فرنسا في الجزائر ، وتونس ومراكش ، وتطلق فرنسا يد إنجلترا في مصر والسودان ، وكذلك كان الأمر مع الخديو : الخديو يقف الى جانب الحركة الوطنية ويناصرها ويمادى الاحتلال البريطاني ، اذن لابد من أن تقف الحركة الوطنية بقيادة مصطفى كامل الى جانبه ، الى أن يغير موقفه فتتقارب مع الاحتلال البريطاني ويتفق واياه على اقتسام السلطة ، أو اقتسام المنافع فتخرج الحركة الوطنية على الخديو (الحاكم الشرعي) .

● الخديو يرى في الحركة الوطنية قوة ضخمة هو في أمس الحاجة اليها للانتصار في معركته ضد كرومر : انه يدعم الحركة الوطنية يقويها ، يمدّها بالمال والنفوذ ، و . و . وهو الحاكم الشرعي للبلاد ، ليس أجنبيا وليس معاديا للتوجهات الوطنية ، ولكن عندما يعمل الخديو على تفتيت الحركة الوطنية وخلق أحزاب جديدة تتصارع وتتقاتل ، لابد من الخروج على الخديو ، ومناصبته العداء ، وليس في ذلك ما تؤاخذ عليه الحركة الوطنية المصرية بل انه ليحسب لها أنها يقظة : تستفيد من كل الظروف وكل الأشخاص ، مادامت تلك الاستفادة لا تغير لها مبدأ ، ولا تفرض عليها أية التزامات تعوق حركتها .

بداية ثورة صحفية شعبية

● ولكي تتضح الصورة تماما لابد أن نشير الى صحافتنا في تلك الفترة ولو من قبيل التسجيل : كانت « الحوادث اليومية » - كما يقول طانيوس عبده - يكر الصنف العربية في العالم أجمع أصدرها الجنرال بونايرت في القطر المصري ١٧٩٩ ، وعهد بتحريرها باللغة العربية الى اسماعيل بن سعد الخشاش وعاشت ثلاث سنين اختفت حين رجع نابليون بونايرت الى فرنسا من مصر ، سنة ١٨٠١ .

... ثم تلتها « الوقائع » في ٢٠ نوفمبر ١٨٢٨ التي أصدرها محمد علي باشا الكبير لنشر اعلانات وأوامر الحكومة الرسمية بعناية الدكتور كلوث بك وقد فوض ادارتها وتحريرها الى رفاة بك بن رافع الطهطاوي .

وفي ١٨٦٣ صدرت : موسوعة الطب لصاحبها محمد علي باشا البقلي رئيس الأطباء بمصر وساعده بتحريرها ابراهيم الدسوقي وهي أول مجلة صبيدوت باللسان العربي في القطر المصري وكان شعارها : يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس . ثم صدرت في ١٨٦٦ صحيفة وادي النيل (عنايته علمية- أدبية) لعبد الله أبو السعود .

ثم نزهة الأفكار (سياسية أسبوعية) صدرت بالقاهرة ١٨٦٩ لصاحبها إبراهيم المويلحي بك ومحمد بك عثمان جلال، ولم يظهر من هذه الجريدة غير عددين واحتجبت.

وفي ١٧ أبريل ١٨٧٠ صدرت «روضة المدارس» المصرية لصاحبها علي فهمي بك نجل رفاعه بك الطهطاوى.

وفي ١٨٧١ صدرت «النحلة الحرة» لصاحبها القس لويس صايونجى.

وصدرت جريدة أركان حرب الجيش المصرى وكان يحمرها نوري بك فائقم.

وفي ٣١ ديسمبر ١٨٧٥ صدرت الأهرام - بالاسكندرية لصاحبها سليم وبشارة تقلا، ثم أصبحت يومية تصدر من القاهرة.

وفي ١٨٧٧ أصدر الشيخ يعقوب صنوع «أبو نظارة زرقاء» صدرت في القاهرة ثم غضب على يعقوب الخديو اسماعيل فنفاه الى الخارج وفي باريس أصدر هناك يعقوب صنوع الجريدة وصدرت «مصر» لسليم نقاش وأديب اسحاق، كما صدرت «الوطن» لميخائيل عبد السيد وهي أول جريدة قبطية في مصر.

وفي ١٨٧٨ صدرت «القاهرة الحرة» لسليم فارس الشدياق و«البوسفور» باللغتين العربية والفرنسية لصاحبها بول جيرو.

ثم أصدر أديب اسحاق وسليم نقاش «التجارة» في ١٨٧٩، وأصدر سليم نقاش - في ١٨٨٠ - المحروسة.

وفي عام ١٨٨١ أصدر أحمد بك حمدي «المنتخب» كما أصدر أديب اسحق «مصر» وصدرت جرائد الثورة العربية: «التبكيك والتنكيك والتواد وتوفيق»، والحجاز التي سماها عرابي «لسان الأمة» وكان صاحب معظم هذه الجرائد عبد الله نديم.

● وأصدر حمزة فتح الله - بالاسكندرية - (١٨٨٢) البرهان والاعتدال. كما أصدر عبد الله نديم اللطائف وأصدر حسن الشمسي «السفير».

ولم تصدر جرائد جديدة في ١٨٨٣.

وفي عام ١٨٨٤ صدرت الزمان لصاحبها الكسان صرفيان.

وفي عام ١٨٨٥ أصدر الشيخ محمد بيرم (الاعلام) وأصدر يعقوب صروف وفارس نمر، وشاهين مكاريوس (المقتطف) أقدم مجلة علمية في مصر.

- وفي ١٨٨٦ صدرت « الشفاء » للدكتور شبلى شميل .
- وفي ١٨٨٧ صدرت « الأحكام » لنقولا توما المحامى . « والصحة »
 لحسن بك رفقى (تفتيش الصحة العمومية ، وإبراهيم بك مصطفى بالمدرسة
 الطبية) .
- وفي ١٨٨٨ صدرت الراوى - فكاية - لخليل زينة والمنارة لسليم
 الخورى .
- وفي ١٨٨٩ أصدر صروف ومكاريوس « المقطم » وكان صدورها فى
 شهر فبراير - وأصدر - فى سبتمبر - الشيخ على يوسف « المؤيد » كما صدرت
 « الآداب » لمحمد مسعود وأصدر فى ١٨٩٠ يوسف آصاف المحامى (المحاكم) .
- وفي ١٨٩١ أصدر جمال الصويح « الاعلان » لخدمة التجارة والصناعة
 « والفرائد » لجرجس زكى وفوزى حنا .
- وفي ١٨٩٢ أصدر جورجى زيدان مجلة « الهلال » و « الاستاذ » لعبد الله
 نديم وأخيه عبد الفتاح نديم .
- و « الفتاة » وهى أول مجلة نسائية للسيدة هند نوفل وقد صدرت فى
 ٢٠ نوفمبر ١٨٩٢
- وفي ١٨٩٣ أصدر أحمد عبد اللطيف « النديم » و « المهندس » لأحمد كامل
 المهندس و « المدرسة » لصاحبها مصطفى كامل .
- (وفي ١٨٩٤ صدرت « الفيوم » لصاحبها إبراهيم رمزى و « الأهالى » عن
 الجمعية الأهلية وصاحب امتيازها رئيس الجمعية اسماعيل أباطة (بك)
 و « المشير » لسليم سركيس . وأصدر فى عام ١٨٨٥ إبراهيم المويلحى بك
 « مصباح الشرق » و « سوق العصر » وهى جريدة هزلية .
- وفي ١٨٩٦ أصدر محمد توفيق وبطرس المصرى مجلة « حمارة منيتى »
 و « الصاعقة » لأحمد فؤاد و « الحماية » لشاكر أباطة ومحمد توفيق الأزهرى
 « والكرباج والعفريت » لصاحبها عبد الله القدس و « الغمدة » لحسن بك يونس
 عمدة منفلووط .
- وفي ٣١ يناير ١٨٩٨ صدرت « أنيس الجليس » لصاحبها البرنسيى
 السكندر فيرينوه .
- (وفى عام ١٩٠٠ صدرت مجلة « التمثيل » لمحمد أمين ، وبيومى
 إبراهيم ، ومجلة المجلات لمحمود حسيب ، « اللواء » لمصطفى كامل « والهوانم »
 - مجلة نسائية - لهنرى برى وأحمد حلمى ، والمرأة فى الاسلام لإبراهيم بك
 رمزى تنظيم .

وفى ١٩٠٢ ظهرت « ظريفة المعانى » وكتب فى أول صفحة منها « مجلة هبلة لابسة لها سبله تشوق الناس لها احساس تنبع أثر كل حرة » ، والحلاعة لراغب حسن والمودة « نسائية » لابراهيم رمزى وعزت حلمى . والزمار لشاهين الحازن وسليم العازار .

وفى ١٩٠٦ صدرت فتاة الشرق (١٥ أكتوبر) للسيدة ليبة هاشم وفى ١٩٠٧ صدرت (٩ مارس) « الجريدة » شعارها : من حقق النظر وراض نفسه على السكون الى الحقائق وان آلتها فى أول صدمة كان اغتباطه بدم الناس اياه أكثر من اغتباطه بمدحهم اياه : ابن حزم .

ورأس تحرير الجريدة أحمد لطفى السيد وكانت المجلة لسان حال حزب الأمة .

كما صدرت خيال الظل لأحمد حافظ عوض ، وفى ١٩٠٨ صدرت السياسة الأسبوعية (بالألوان) لصاحبها عبد الحميد زكى .

وفى يوم السبت ٢ مايو (١٩٠٨) بالاسكندرية ظهرت جريدة وادى النيل لمحمد الكلزة ، كما صدرت مجلة الجنس اللطيف لصاحبيتها ملكة مسعد . كما صدرت البعير لرضوان فريد .

والبلاغ المصرى لاسماعيل بك شيمى .

وفى ١٩١٥ صدرت اللطائف المصورة (١٥ فبراير) لصاحبها اسكندر مكاريوس والسفور لعبد الحميد حمدى .

والجدير بالذكر انه فى عام ١٩١٨ صدرت جريدة فلسطين أصدرها الجيش البريطانى باسم أخبار فلسطين وكانت تصدر كل يوم خميس فى سيناء وتوزع مجاناً فى مصر وفلسطين . كما صدرت صحيفة « الهوانم » لعبد الحميد سالم ، ولم يصدر منها سوى عدد واحد ثم اختفت .

وفى أيام الثورة - ثورة ١٩١٩ - صدرت صحيفة باسم « الوفد المصرى » كانت توزع سراً ومصدرها غير معروف وذلك بعد اندلاع نار الثورة .

وفى ١٩٢٠ صدرت جريدة الأخبار (٢٢ فبراير) عن شركة الصحافة الوطنية برئاسة فؤاد بك سلطان يحررها أمين الرافعى ، وكان مؤسسها يوسف الخازن .

وقد ظهرت صحيفة باسم اسرائيل (أول إبريل) للدكتور البرت موصيرى ، وروضة البلابل - أول مجلة موسيقية - والمرأة المصرية لبلسم عبد الملك .

وفي ١٩٢١ صدرت الاستقلال (١٥ مايو) لسان حال الحزب الديمقراطي
ولم تصدر منها غير بضعة أعداد كما صدر الكشكول المصور لسليمان فوزي .
وفي ١٩٢٣ (أول يناير) صدرت البلاغ لعبد القادر حمزة أفندي والصورة
المتحركة (أول مجلة سينما فوتوغرافية) (١٠ مايو) لمديرها محمد توفيق .
ثم مجلة ترقية الفتاة لنبوية موسى (٥ يونيو) الخ ، الخ .

وكانت للشعر الوطني دولة وصولة

● وكان للشعر الوطني دوره الرئيسي في الثورة العراقية وفي الحركة
الوطنية التي قادها مصطفى كامل ومحمد فريد ثم كان له دوره الأقل تأثيراً في
ثورة ١٩١٩ وفي أعقاب ثورة ١٩١٩ وحتى عام ١٩٣٠ حيث عادت للشعر
دولته وصولته .

ورافع لواء الشعر الوطني - بلا جدال - هو محمود سامي البارودي باشا
أحد أقطاب الثورة العراقية .

وقد نفى مع من نفى عن زعماء الثورة العراقية إلى سيلان أو سرنديب كما
كانوا يسمونها وقتئذ (سيري لانكا الآن) .

وصف البارودي الفساد في أيام اسماعيل باشا فقال :

قامت به من رجال السوء طائفة . أوهى على النفس من يؤس على ثكل
من كل وغد يكاد الدست يدفعه . بغضا ويلفظه الديوان من ملن
ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت . قواعد الملك حتى ظل في خذل

● وقال في بعض المعارك التي خاضها كجندى مقاتل :

ولما تداعى القوم واشتبك القنا . ودارت كما تهوى على قطبها الحرب
وزين للناس القرائن من الردى . وماجت صدور الخيل والتهب الضرب
صبرت لها حتى تجلت سماؤها . وانى صبور ان ألم بى الخطب

● ووصف نفسه وهو في السجن قائلا :

شفنى وجدى وأبلانى السهر . وتفشنتى سمنادير الكدر
فسواد الليل ما أن ينقضى . وبياض الصبح ما أن ينتظر
لا أنيس يسمع الشكوى ولا . خبر يأتي ولا طيف يمر
بين حيطان وباب موصد . كلما حركة السجنان صر

الى أن يقول :

كلما درت لأقضى حاجة
ظلمة ما ان بها من كوكب
قالت الظلمة مهلا لا تدز
غير أنفاس ترامي بالشرر

● وفي المنفى قال البارودي « أجمل » و « أحلى » و « وأقى »
و « أعنف » شعره :

قال مثلاً :

أبيت حزينا في سرنديب ساهرا
إذا خطرت من نحو حلوان نسمة
شباب واخوان رزئت وداهم
طوال الليالي والخليون هجد
نزت بين قلبي شعلة تتوقد
وكل امرئ في الدهر يشقى ويسعد

وقال ولعله من أجود شعره

ولما وقفنا للوداع وأسبلت
أهبت بصبري أن يعود فعزني
رما كنت جربت النوى قبل هذه
ندامعنا فوق الترائب كالمنز
وناديت حلمي أن يثوب فلم يغن
فلما دهنتي كدت أقضى من الحزن

● ويرثي زوجته قائلاً :

يا دهر فيم فجعتني بحليلة
ان كنت لم ترحم ضناى لبعدها
ألا عللاني بالتعازي وأقنعنا
والا أعيناني على النوح والبكا
كانت خلاصة عدتي وعتادي
أنلا رحمت من الأسى أولادي
وؤادى أن يرضى بهن تعازيا
فشأنكما شأنى وما بكما بيا

● وقال اسماعيل صبرى باشا عندما سقطت وزارة مصطفى فهمى باشا
(نوفمبر ١٩٠٨) :

عجبت لهم قالوا سقطت ومن يكن
فأنت امرؤ ألصقت نفسك بالثرى
فلو أسقطوا من جيث أنت زجاجة
مكانك يأمن من سقوط ويسلم
وحرمت خوف الذل ما لم يحرم
على الصخر لم تصدع ولم تتعظم

سنوات ما قبل الثورة ج ٢ - ٦٥

● ومن « شوقيات » أحمد شوقي في وداع كرومر (١٩٠٧) :

أيامكم أم عهد اسماعيل
أم حاكم في أرض مصر بأمره
يا مالكا رق الرقاب ببأسه
لما رحلت عن البلاد تشبهت
أم أنت فرعون يسوس النيل
لا سائلا أبدا ولا مسئولا
هلا اتخذت إلى القلوب سبيلا
فكأنك الداء العياء وببيل

● وقال شوقي بعد مرور عام من مأساة دنشواي :

يا دنشواي على ربك سلام
شهداء حكمك في البلاد تفرقوا
مرت عليهم في اللحد أهلة
كيف الأرامل فيك بعد رجالها
ذهبت بآنس ربوع الأيام
هيئات للشمل الشتيت نظام
ومضى عليهم في القيود العام
وبأى حال أصبح الأيتام ؟

● ومن رثائه - أحمد شوقي - في مصطفى كامل :

يتساءلون أبالسلال قضيت أم
الله يشهد أن موتك بالحجا
ان كان للأوطان ركن قائم
بالله فتش عن فؤادك في الثرى
وجدانك الحى المقيم على المدى
فلو أن أوطانا تصور هيكل
أو كان للذكر الحكيم بقية
بالقلب أم هل مت بالسرطان
والجد والأقدام والعرفان
في هذه الدنيا فانت الباني
هل فيه آمال وفيه أمان
ونرب حى ميت الوجدان
دننوك بين جوانح الأوطان
لم تأت بعد رثيت في القران

● ومن أروع ما قال شوقي بعد عودته من منفاه (١٩٢٠) :

ويا وطني لقيتك بعد بأس
ولو أنى دعيت لكنت ديني
أدير اليك قبل البيت وجهي
كأنى قد لقيت بك الشباب
عليه أقابل الماتم المجاب
إذا فहत الشهادة والمتاب

● ومن قول شوقي في وحدة السودان ومصر :

فمصر الرياض وسودانها
وما هو ماء ولكنه ،
عيون الرياض وخلصانها
وريد الحياة وشرانها

تقسم مصر ينابيعها
كما تم العين انسانها
وأهلوه مذ جرى عذبه
عشيرة مصر وجيرانها

● وقال أحمد شوقي في رثاء عبد اللطيف الصوفاني قطب الحزب الوطني
يصف أبناء الحزب الوطني ورجاله ، القدامى وعلى رأسهم مصطفى كامل شهيد
الوطنية المصرية .

فتاهم بالشباب ضحى
وما أبطالهم جياعا
لو أرادوا متاع دنيا
لأدركوا الحكم والثراء
ما أعظم الذبح والفداء
في غير أوطانهم ظمأ

الى أن يقول مخاطبا أبنا الحزب الوطني :

شرعتموا للشباب دينا
لما أتيتم به جعلتم
جمعهم مصر ثم سرتهم
وما عرفتكم نعيم مصر
لم تمسحوا نعيم دينا
ولا نفضم نه حذاء
كدينهم بيننا سواء
رأس تعاليمه الجلاء
فكنتم الجمع واللواء
وغير أحبائها ولاء
والعميد هنا هو كرومر رجل الاحتلال البريطاني العتيد .

● ومن روائع حافظ إبراهيم في دشواى وهو يخاطب المحتلين لمصر :
أيها القائمون بالأمر فينا
خفضوا جيشكم وناموا هنيئا
واذا اعوزنكم ذات طوق
انما نحن والحمام سواء
هل نسيتم ولاءنا والوداد
وابتغوا صيدكم وجوبوا البلاد
بين تلك الربا فصيدوا العباد
نم تغادر أطواقنا الأجياد

● وتبلغ بحافظ إبراهيم المراتبة : فيقول :

أمة النيل أكبرت أن تعادى
نيس فينا الا كلام والا
من رماها وأشرفت أن تعادى
حسرة بعنه حسرة تتهادى

● ويصل الشعر بدولة الشعر درجة مخيفة حتى ليقول أحمد شوقي
مخاطبا مكماهون المعتمد البريطاني في مصر :

أوضح لمصر الفرق بين السيادة والحماية
وأزل شكوكا بالنفسوس تعلق منذ البداية

ودع الوعود فانها فيما مضى كانت روائية
أضحت ربوع النيل سلطنة وقد كانت ولاية
فتعهدوها بالصلاح وأحسنوا فيها الوصاية

● ثم يقول شوقي - وهذا أضعف ما قاله في حياته - مخاطباً
الانجليز .

أنتم أطباء الشعب وأنبل الأفوام غاية
أنى حللتكم فى البلا د لكم من الاصلاح غاية
أن ننصروا المستضعفين فنحن أضعفهم نكاية
أو تعملوا لصلاحنا فتداركوه الى النهاية
لا تأخذون بالكلام لا تأخذونا بالكلام

من رسائل مصطفى الى مدام جوليت آدم

من رسائل مصطفى كامل الى مدام جوليت آدم حقائق وأفكار وآراء
واتجاهات وسياسات واسرار يحسن - من وجهة نظرى - التركيز عليها نختار
بعضها على سبيل المثال لا الحصر . فى ٣٠ مارس ١٨٩٧ رسالة تقول
ان فرنسا تظهر بمظهر من يريد الكل أو لا شئ : فى استطاعة فرنسا أن تزام
انجلترا فى ميدان التعليم ، ومن المؤكد أن المصريين كانوا يهجرون فى الوقت
الحاضر مدارس الحكومة الانجليزية ليؤموا المدارس الفرنسية اذا كان لها
وجود .

وفى ١٢ مايو ١٨٩٧ يكتب مصطفى كامل قائلا : أنت تعلمين خطتى نحو
تركيا وما أراه واجبا نحوها وقد اعترف كثير من أصدقائنا اليونانيين بأنه من
للسياسة الحكيمة لمصر . أن تكون مع تركيا بما ان الانجليز محتلون وطننا
العزیز .

وفى ٢١ يونيو ١٩٠١ كتب مصطفى كامل يقول : يسافر الحديو بعد
عشرة أيام الى ديفون لا الى لندرة وكان الانجليز يؤملون سفره اليها لتقديم
واجب الاحترام ، للملك ولكن يقلب على ظنى أنه رأى كيف كان عليه تأثير
سياحيته متواليتين الى لندرة على أنه لا يزال وطنيا فلا تعتقدى فيما يتقولونه
عنه ، نعم ان عنده بعض الاندفاع ولكن هل يمكنه أن يستسلم لحماسته بعد
حادثة فاشودة .

● وفى ٢٨ مارس ١٩٠٤ كتب مصطفى كامل : لدى نبأ أزه اليك ،
ذلك أن جلالة السلطان قد أنعم على بلقب باشا وقد نشرته التلغرافات الرسمية .

وجرائد الاستانة كافة وان سرور والدتي وأهلي وأصدقائي لعظيم : التهناني
تتقاطر من كل صوب والوطنيون المصريون قد سروا ، لبلوغى هذا الشرف فى
سن الثلاثين ولو أن ذلك لا يهمنى ، وفى ١٥ إبريل ١٩٠٤ يقول : أساء لنا مسيو
دلكاسيه بالاتفاق الانكليزى الفرنسى ، لأن تعهد فرنسا بعدم مطالبتها بريطانيا
بالجلاء دفن للمسألة المصرية وحكم علينا من قبلكم : الانجليز أظهروا رسميا حنقهم
على الخديو بسبب الحفاوة التى قابلك بها ، فقد أرسل اليه اللورد كرومر
هذين اليومين مذكرة من نظارة الخارجية الانجليزية يبدى فيها استياء الحكومة
البريطانية من تعدد المقابلة التى وجهت الى من اشتهرت بعدواتها لانجلترا .

● وفى ٢٨ أكتوبر ١٩٠٤ كتب مصطفى كامل : سيدنى العزيزة وصلت
الى القاهرة الاثنين الماضى ٢٤ الجارى وأول عمل عملته كان ارسال مكتوب للخديو
أعرب فيه عن قطع علاقاتى بالسراى وقد اشتغلت به الصحافة جميعها وجريدة
ليجيت التى تنشر بالفرنسية والانجليزية والتى طالما هاجمتنى أنصفتنى
وأطرت عملى ، وكذلك ذكرت الجرائد الانجليزية هذا التقاطع : اللحظة الراهنة
أهم لحظة فى حياتى بعون الله وقد اتخذت طريق الاستقلال التام ، والجهاد
الكبير ووثوقى عظيم .

٣ فبراير ١٩٠٥ : اختتمت حركة الصحافة على مشروع الجامعة بمقالة
ارسلها اليك مع هذا والناس جميعا موافقون استحسانا على هذه الفكرة ولكن
لا أمل لهم فى الأسرة الخديوية وقد كتب الى حسين باشا واصف يقول أنه مستعد
ان يدفع ألف جنيه فى اليوم الذى تتألف فيه لجنة افتتاح الاكتتاب وكذلك
وعد عمر سلطان بمبلغ كهذا أما الأمراء فانى معهم لمن الصابرين .

● ● ٢٢ مايو ١٩٠٥ رأتى بعض الأفراد أن الجامعة تقتضى نفقات طائلة
وعلى ذلك فرروا ارسال فريق من الشبان لتلقى العلم فى أوروبا فجمعوا خمسة
آلاف جنيه فى جلسة واحدة غير أنهم أرادوا أن يكون الخديو منهم فأوفدوا
انبرنس حيدر لمقابلته بالاسكندرية فلم يحصل على شئ وانتهى لفى بأس من
مساعدة الخديو !! .

٩ يونيو ١٩٠٥ ان فكرتى بانشاء الجامعة الوطنية قد توجت بالنجاح
فانها انتقلت الى أيدي أمراء بيت حليم وقد قرروا مبدئيا ايفاد فريق من الطلاب
الى أوروبا ليتخرج منهم أساتذة وطنيون ، وبلغ الاكتتاب حتى الآن ثمانية
آلاف جنيه ٢٠٠.٠٠٠ فرنك وسنشرع فى بقية الاكتتاب بعد انقضاء
الصيف .

● وعما قام به مصطفى كامل في إنجلترا في أعقاب حادث دنشواي ، كتب مصطفى الى مدام جوليت آدم يقول : سفرى الى لندرة كان مفيدا وقد تعرف الى كثير من النواب وبعض النظر وكبار الكاب وكلهم متاهفون على معرفة الحقيقة في مصر وأحدثت حادثة دنشواي تأثيرا سيئا في إنجلترا من شأنها افهام العالم أجمع أن المصريين يكرهون الاحتلال خلافا للتأكيدات الرسمية ولفت نظره الى مصر ، أكثر من دى قبل وكان ذلك الخطاب بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٠٦ .

● وفي ١٣ أغسطس ١٩٠٦ كتب مصطفى كامل : غدا تذكاري ميلادي اذ أبلغ الثانية والثلاثين وما عساي أن أعيش ايضا لأخدم مصرنا العزيزة وعلى كل حال فاني لا أترك لحظة تمر من حياتي بدون أن أغرس حبها في قلوب مواطني ، وأتم عملي الى النهاية .

وفي ٢٣ نوفمبر ١٩٠٦ : توصلت الى انشاء شركة توصية وطنية رأس مالها عشرون الف جنيه (٥٠٠.٠٠٠ فرنك) لتأسيس جريدة فرنسية انجليزية وقد عينت مدبرا لها بذا مراقبة مدة حياتي ويرون في هذا العمل أكبر مظهرة من الحزب الوطني ، اني أود أن يكون لي مساعدون من كبار كتاب فرنسا يكون من بينهم شخصك الموقر واثنان أو ثلاثة من اصدقائك من كتاب السياسة والأدب فهل لك أن تتفضلني وتعطني بذلك .

● وكان آخر خطاب بعث به مصطفى كامل الى مدام جوليت آدم بتاريخ ٧ يناير ١٩٠٨ ، وقد جاء فيه : اني مريض منذ السابيع عشر من نوفمبر وقد بذلت مجهودا فوق الطاقة لالتقاء خطبتي في الجمعية للحزب الوطني وأن نجاحي السياسي ونجاح المسألة المقدسة ، التي اناضل عنها يفوقان كل ما آملته ، أما صحتي فهي بين اليأس والرجاء والاطباء مطمئنون الآن والسبب في انتكاسي بعد خطبتي راجع الى وفاة صديقي حميم ، كان من أشد ، وأكبر نصرائي ، (المرحوم لطيف باشا سليم) واذا تحسنت صحتي بعد اسبوعين أسافر لأقيم في أسوان شهرا هذا ما يختص بالسياسة والصحة .

وأما ما يختص برسالتك فانها تفتن كل العالم وانك تؤلميني كثيرا بمنعها ، حدثينا عن البرتغال ولا تكوني في صف الملك ، وعن المجهودات التي بذلها التشيك في سبيل نهضتهم وغير ذلك مما يعد عندك بالألوف وأعفى عنى اذا لم أكتب اليك كثيرا فان كثرة الكتابة تعبني كثيرا ، المخلص لك بكلياته .

● وبعد أيام وصل الى مدام جوليت آدم - في ٢٧ فبراير ١٩٠٨ - خطاب لا من مصطفى كامل واندا من شقيقه على فهمي كامل وقد روى أنه أثناء حديثه مع شقيقه صبيحة الاثنين لاحظ أن لونه أخذ يتغير وعينه تحديق فيه ثم أخذ يوصيه في كلمات قصار بالاهتمام بعمله بحكمة ، وروية ، وما جاء عليها حتى لزم الصمت وكاد يغيب عن الوجود .

● وعن جنازة مصطفى كامل قال علي فهمي كامل : « ما حدث في الاوائل والأواخر أن رجلا بلغ أربعة وثلاثين ربعا صار خلف نعشه حوالى نصف مليون نسمة وهم جميعا ييكونه ، وقد بلغ ما تقاطر على الى الآن من اشارات البرق ١٢٣٣٤ اشارة و ٨٤٢٠ مكتوب حزن ورناء وحملت نابغة مصر ذكرانا وانانا شارة الحاد عليه أربعين يوما بالرغم من شدة معارضة مستشار المعارف دانلوب : ظن الانجليز أن المعارضة قد ماتت بموت مصطفى في مصر ولكنى أؤكد لك أيتها السيدة الموقرة أن العمل الذى أسسه أخى سيثمر ثمرا يانعا وانه خدمنا حتى فى موته » .

● وقد كان فى مقدمة الأسباب التى أدت الى نجاح مصطفى كامل ، ومن بعده محمد فريد والحزب الوطنى أن الاعتماد فى الحركة الوطنية المصرية كان على الشعب وان العمل كان فى مختلف الميادين . فى الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وفى الميادين التعليمية ولعلنا نستطيع أن نوفى تلك النقاط عندما نتحدث عن جذور الأحزاب السياسية فى مصر .

زوجة الخديو عباس تكتب عن المرأة المصرية

● وقد نجحت زوجة الخديو عباس حلمى - ومطلقة فيما بعد - جويدان هانم - دى اعطاء صورة للحياة الاجتماعية فى اوائل عهد عباس حلمى الثانى وفى اعطاء صورة للعلاقات التى كانت تربطه بكرور ، وبغيره من الأمراء والنبلاء قالت - مثلا - عن زفة عروسين اتيح لها أن تشهدها : كانت العروس ترتدى ثوبا من الأطلس موشى بالذهب وعلى رأسها تاج مرصع بالجواهر يتدلى من تحته نقاب يشمل كل جسمها وفى هذا النقاب اربعة اجار كريمة عند الجبهة والذقن والخدين وفى أذنيها قرطان من البرلنت وفى جديها ويديها عقود وأساور لا عدد لها : أعلنت ربة البيت بأن الزفة ستبدأ ، وهربت السيدات الى غرف الاستقبال ووقفن صفين وحملت الجوارى الى الهوانم أكياس الذهب ، ثم فتحت الصالون ووقفت العروس على بابة برهة ثم بدأت تسير بخطوات صغيرة وقد تدلت من التاج الذى على رأسها خيوط طويلة من الذهب وسارت الدادة وبعض الجوارى أمام العروس يدعون لها بالوقاية من العين والحسد وكلمتا تقدمت انحلت لها السيدات والقين الذهب والزهور تحت اقدامها وكل سيدة تحاول أن تأخذ خيطا من الخيوط الذهبية لأنهم يعتبرون أن هذا يجلب الحظ ، وبعد ان أتمت العروس طوافها عادت الى الصالون وجاءت الراقصات : كانت أجسام الراقصات تقريبا عارية وجعلن يثنين ويتولين على أنفاس الموسيقى ثم يقرن برؤوسهن من الزائرات وينظرن اليهم بتوسل وكانت الهوانم يلصقن الذهب فى وجوه الراقصات فلما لم يعد فى وجوههن مكان خال أخذت قبضات من الذهب تتناثر عليهن وهن يلتقطنه من صيحات الفرح والسرور وبعد ذلك عدن الى الشرفات لنرى ما يجرى وبعد أن فرغن من تناول العشاء وشرب

القهوة طُبت ربة البيت من السيدات ، السماح للعريس بالحضور بنفسه يشكرهن على التنازل بالتشريف : وقف العريس بالباب مبهورا وقد أخذه بريق الجواهر ولألة الوجوه التي تنظر اليه ثم انحنى حتى كاد يلمس الأرض . ثم أخذته أمه من يده وقادته الى مكانى حيث قدم لى القهوة بيد ترتعش ولما انتهت من شربها انحنى مرة أخرى وغادر الصالة .

● وتقول جويدان هانم - أو خانم كما كانوا يقولون وقتئذ - أنها أرادت أن تحضر افتتاح قناطر النيل فتكرت فى زى رجل وارتدت طربوشا ، وبدلة ، وردنجوت وعطرت مندليها . ولم يكده الخديو يرانى أمامه حتى تملكته الدهشة فانه لم يتوقع أن يرى مثل هذا السكرتير الأمين وفرح كلانا لهذا الموقف فرحا شديدا وطلب منى الخديو ألا أتكلم حتى لا ينفضح أمرى وتقول ان أحدا لم يعلم بسرهما الا طورنسين باشا والدكتور كاوتنسكى بك والخدام فريدريك ورأيت فى الأقصر - النيران تدير السواقي لرفع الماء لرى أرض ذلك الفلاح الفقير الذى يعيش مع حيوانه فى كوخ متبدم من الطين ، سقفه من فئس الأذرة وتقول ان النيل يظعم هذا الفقير وذاك الغنى على السواء : وسارت السفينة نحو السد الذى سيضمن تنظيم الري وتوزيع الماء على أرض الشمس الدائمة وتمضى زوجة الخديو غنى وصف ذلك الاحتفاء . وكيف أن ابنة الدوق أوف كنوت سألت طورنستين باشا « عن ذلك الثمنى الذكى الجميل فأدخل هذا على نفسى الزهو شأن كل رجل يعرف أنه أعجب سيده من الطبقات العالية » .

وفى ٨ فبراير ١٩٠٩ وضع الخديو الحجر الأساسى فى بناء سد النيل وكان قد مضى عليه ثمانية عشرة عاما فى الحكم وكان قد أصبح فلاحا يحب الأرض ويحيد العناية بها حتى أصبح من أشهر مزارعى القطر المصرى تنتج أرضه احسن المحاصيل .

● وتقول جويدان هانم : جلس الخديو على العرش وهو فى الثامنة عشرة من عمره ولم تكن الظروف حسنة ولم يجد فى بداية حكمه تعاضيدا كافيا ثاا اللورد كرومر لم يكلف عناء الاتصال بنفسية ذلك الخديو الصغير فان السياسة الحجرية لاتعرف معنى العواطف والشعور فكان اللورد كرومر لاينظر الى الخديو الا كرئيس عنيده للرأى وربيب غير محبوب :لأنه كان يضطر لمخاطبته بلقب يا صاحب السمو وهو يعلم .أن الخديو ليس له من الأمر الا هذا اللقب على حين انه كان يشعر بأنه هو الحاكم الحقيقى وكان هذا كافيا لأن ينظر اللورد الى الخديو كدمية يجب عليها الطاعة ولكن الطاعة كانت غريبة على خلق الخديو من الصغر ، كان قوى العزم عبيد الرأى وفوق ذلك كان يحب الكفاح ، ولعل هذا الخلق تولد فى نفسه عندما شعر بالمسئولية الملقاة على عاتقه والتبى كان فى امكانه الاضطلاع بها دون أن يضطر الى الوقوف موقف الدفاع ، أمام هذا العدو القوى الذى كان فى امكانه أن يذله كحاكم وكانسان .

وليس من المعقول أن خديويا - ولو كان نصف وطني فقط - يتقبل صداقة ديكتاتور أرغم على قبوله من قوت معادية وكل نظرة اليه نذيرة بضعف بلاده وهزيمة أسلافه فكان أصعب وقت مر على الخديو هو الوقت الذي امتد إليه ظل كرومر في مصر ، فانه كان يعامل الخديو باعتبار أنه فنى فى الثامنة عشرة غير عابىء بحدته ولا احتجاجه وانى - جويدان - اتهم اللورد كرومر بأنه السبب فى بعض خبث الخديو .

● وتقول زوجة الخديو أنه كان تاجرا أكثر من التجار يزن الأشياء بمقدار ما تدره من الأرباح فكانت ميناء المنزلة مؤجرة الى أحد الصيادين الذى كان يبيعنا ما يلزمنا من الجمبرى .

وما يلزم السراى من الفاكهة كنا نأخذها من متعبد آخر ، وأثناء سفرنا كانت كل الزهور والرياحين تناع وكل ذلك من أجل الكسب والكسب منبوع بالاقتصاد والتوفير فى الغالب وكانت الملابس اذا تلفت بطانتها لا ترمى ولا يرمى بل تعمل لها بطانة جديدة ، وتقول ان الخديو - فيما يتعلق بأرقام القواير - لم يكن ينظر الا الى المفردات ولذلك كان كثير من الموردين يضعون الأثمان دائما بالأرقام الصغيرة فلا يرى فيها الخديو شيئا .

● وتقول زوجة الخديو : لم يكن نعباس الثانى أصدقا ، بمعنى الكلمة فرفقاء الصبا أصبحوا ياورانا :و تشريفاتية فقد ، وأما صداقة الماضى فلا ذكر لها ، وعلى العموم فان التاج يفصل بين الملوك وبين الماضى والحكام يعيشون دائما فى دائرة منعزلة فلا هم بقادرين على النزول عن مستواهم ، ولا أفراد الشعب بقادرين على النظر اليهم الا باعتبار انهم حكام ، ومنذ عرفت عباس الثانى وددت ان لو كنت رجلا لكى أصبح صديقا يخلص له ، باعتباره صديقا لا سبدا ، بيد أنى لو كنت رجلا لما استطعت التعرف به .

● وعن جد زوجها اسماعيل باشا وزوجاته قالت جويدان هانم : فى فيسى رأيت أرملى اسماعيل باشا جالستين فى شرفة الفندق وعلى وجهيهما النقاب الأبيض وهما تدخنان وتستمعان الى نغمات الموسيقى : كان لاسماعيل باشا أربع زوجات وعلى عكس المألوف كان هؤلاء الزوجات صديقات لا سحناء بينهن ولا بغضاء ، وقد ألف بينهن حبهن لرجل واحد هو اسماعيل وقد استطاع اسماعيل أن يضم اليهن صديقة خامسة وهى امرأة قد وقع اسماعيل وقد فى حبها : كان اسماعيل اذا أحب لم يترك لمحبه بعده مجالا ، واذا أهدي أغدق حتى أغرق واذا أراد البناء فانه يهدم حيا بأكمله ليشيد عليه ما يريد ويستعمل آلاف الأيدي فى البناء يعملون على ضوء الشمس نهارا وتضى لهم المشاعل ليلا ، وعلى هذا المنوال قامت سراى الجزيرة التى بناها خصيصا للامبراطورة أوجينى لتكون لها مقاما أثناء زيارتها لمصر ولو استطاع لأحال مصر ، كلها الى روضة غناء تخطر فيها هذه الملكة الجميلة .

تحرير نصف المجتمع المصري

● وقد كان في مقدمة الاحداث السياسية والاجتماعية التي حدثت بمصر تلك الحركة الاجتماعية والسياسية ، التي قادها قاسم أمين (١٨٦٣ - ١٩٠٨) لقد كان صدور كتاب « تحرير المرأة » بمثابة بعث جديد للحياة الاجتماعية الجديدة وقد أحدث ذلك الكتاب ثورة سياسية وفكرية هائلة ، وبالرغم من أننا عندما ننظر اليه اليوم نجده كتابا عاديا لا يحمل أية ثورة بل أى اصلاح ولكننا لكي نعي جيدا أهمية صدور ذلك الكتاب في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ حركتنا الوطنية المصرية ينبغي أن نعود الى الماضي ، لنعيش ذلك المناخ ، الذي كان موجودا وقت صدور الكتاب وعندما نعود الى تلك الأيام ونعيش في مناخها نرى أن الكتاب - تحرير المرأة - كان يحمل بين طياته ثورة سياسية وفكرية واجتماعية غير مسبقة ، وقد قسم قاسم أمين لكتابه بكلمة موجزة قال فيها : كل مسألة من المسائل التي أجعلتها في هذه الأسطر القليلة يمكن أن تكون موضوعا لكتاب على حدة وقد تعمدت الاختصار فيها حتى ترتبط تلك المسائل ببعضها كأنها حلقات سلسلة واحدة ، وغاية ما أريد هو أن أستلفت الذين الى موضوع قل عدد المفكرين فيه لا أن أضسح كتابا يوفى الكلام في شأن المرأة ومكانتها من الوجود الانساني وقد وضع مثل هذا الكتاب بعد سنين مني نبتت هذه البذرة الصغيرة ونمي نباتها ، في اذهان أولادنا وظهرت ثمراتها ، وعملوا على اقتطافها والانتفاع بها .

ويقول قاسم أمين انه طرق بابا من أبواب الاصلاح والتمس وجهها من وجوهه في قسم من أفراد الأمة له الأثر العظيم في مجموعها « وأتيت في ذلك بما أظنه - قاسم أمين - صوابا فان أخطأت فلي من حسن النية ما أرجو معه غفران سيئة خطئي ، وان أصبت كما أظن وجب على المتعلمين أن يعملوا على نشر ما أودعته في هذه الوريقات وتأييده بالقول والعمل » .

● ويحرض قاسم أمين على التفكير وعلى القوة في الجدل وأن يعمل المسلم على أن يغير أسلوب حياته بما يناسب الزمان والمكان ، فمن الذي يمكنه أن يتصور أن العوائد لا تتغير بعد أن يعلم أنها ثمرة من ثمرات عقل الانسان ، وان عقل الانسان يختلف باختلاف الأماكن والأزمان : المسلمون منتشرون في أطراف الأرض ، فهل هم أنفسهم متحدون في العادات وطرق المعاش من ذا الذي عليه أن يدعى ان ما يستحسنه عقل السوداني يستحسنه عقل التركي أو الصيني أو الهندي أو أن عادة من عادات البدوي توافق أهل الحضر او يرغم أن عوائد أمة من الأمم مهما كانت بقيت جميعها على ما كانت عليه من نهج نشأتها ، بدون تغيير .

● ويعلو صوت قاسم أمين - في كتابه تحرير المرأة - قائلا : من احتقار

الرجل للمرأة أن يملأ بيته بجوار بيض أو سود أو زوجات متعددة يهوى الى أيهن شاء منقادا الى الشهوة سواقا يباعث الترف وحب استبقاء اللذة غير مبال فيما فرضه عليه الدين من حسن القصد فيما يعمل .

من احتقار المرأة أن يطلق الرجل زوجته بلا سبب !

من احتقار المرأة أن يقعد الرجل على مائدة الطعام وحده ثم تجتمع النساء من أم وأخت وزوجة ويأكلن ما فضل منه .

من احتقار المرأة أن يعين لها محافظا على عرضها مثل أم ، أم خادم يراقبها ويصحبها أينما تتوجه .

من احتقار المرأة أن يسجنها في منزل ويفتخر بأنها لا تخرج منه الا محمولة على النعش الى القبر .

من احتقار المرأة أن يعلن الرجال أن النساء لسن محلا للنقة والإمانة .

من احتقار المرأة أن يحال بينها وبين الحياة العامة والعمل في أى شئ يتعلق بها فليس لها رأى في الأعمال ولا فكر في المشارب ولا ذوق في الفنون ولا قدم في المنافع العامة ولا مقام في الاعتقادات الدينية ، وليس لها فضيلة وطنية ولا شعور .. بلى !!

ويقول قاسم أمين ، المرأة انسان مثل الرجل لا تختلف عنه في الأعضاء ولا في الاحساس ولا في الفكر ولا في كل ما تقتضيه حقيقة الانسان من حيث هو انسان اللهم الا بقدر ما يستدعيه اختلافهما في الصنف .

ويقول قاسم أمين - فى كتابه - ان من رأى أن المرأة لا يمكنها أن تدير منزلها الا بعد تحصيل مقدار من المعارف العقلية والأدبية ، وأنه لا شئ يمنع المرأة المصرية من أن تشغل مثل الغربية بالعلوم والآداب والفنون الجميلة والتجارة والصناعة الا جهلها وإهمال تربيتها : المرأة تحتاج الى التعليم لتكون انسانا يعقل ويريد وينقل قاسم أمين عن الفونس دوبريه - الكاتب المحيد فى بعض كتبه « ان كنت أستحق فخرا فان لامراتى نصفه ، ويقول : ان من رأى أن من يعتمد على جهل امرأته مثله كمثله أعمى يقود أعمى مصيرهما أن يقعاً فى أول حفرة تصادفهما فى الطريق .

ويقول قاسم أمين ، انه لا زال يدافع عن الحجاب ويعتبره أصلا من أصول الآداب التى يلزم التمسك بها غير أنه يتطلب أن يكون منطبقا على ما جاء فى الشريعة الاسلامية ، ويقول انه اذا كان الغربيون قد غلوا فى اباحة التكشف للنساء الى درجة يصعب معها أن يقصون المرأة من التعرض لمناظر الشهوة ولارضاء عاطفة الحياء ، فقد تغالينا نحن فى طلب التحجب والتحرج من ظهور

النساء لأعين الرجال حتى صيرنا المرأة أداة من الأدوات أو متاعا من المقتنيات. وحرمانها من كل المزايا العقلية والأدبية التي أعدت لها بمقتضى الفطرة الانسانية وبين هذين الطرفين وسط هو الحجاب الشرعى الذى أدعو اليه وينقل قاسم أمين عن لاروس تحت كلمة خمار : كانت نساء اليونان يستعملن الخمار اذا خرجن ويخفين وجوههن بطرف منه كما هو الحال عند الأمم الشرقية وقال : ترك الدين المسيحى للنساء خمارهن وحافظ عليه ، عندما دخل فى البلاد فكان يغطين رؤوسهن اذا خرجن فى الطريق وفى وقت الصلاة ، وكانت النساء تستعملن الخمار فى القرون الوسطى خصوصا فى القرن الثالث عشر حيث صارت النساء تخفف منه الى أن صار كما هو الآن نسيجا خفيفا يستعمل لحماية الوجه من التراب والبرد ولكن بقى بعد ذلك بزمان فى اسبانيا وفى بلاد أمريكا التى كانت تابعة لها .

ونقل قاسم أمين عن ابن عابدين : وعورة الحرة جميع بدنها حتى شعرها النازل فى الأصح خلا الوجه والكفين والقدمين على المعتمد ، وصوتها على الراجح وذراعيها على المرجوح وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه لا لأنه عورة بل لخوف الفتنة ، ولا يجوز النظر اليه بشهوة ، أما بدونها فيباح ولو كان جميلا .

ويقول قاسم أمين فى نهاية كتابه : آن الوقت الذى يجب فيه على الحكومة وعقلاء الأمة وأرباب الأقلام أن يوجهوا التفاتهم الى حال المرأة المصرية ، فانى لا أرى مسألة تمس بحياة الأمة أكثر منها ولا أحق منها بأن تكون موضوعا لنظرم ، ومجالا لأرائهم وأفكارهم .

وقد تعرض قاسم أمين بعد كتابه تحرير المرأة وبعد كتابه « المرأة الجديدة » لموجة من السخط حتى لقد كان عدد الساخطين عليه أكثر من أولئك الذين عرفوا فضله .

وكان مصطفى كامل من زاوية سياسية من بين المهاجمين لكتاب تحرير المرأة لقاسم أمين .

وقد كان قاسم أمين أصدق وأرق من رثا مصطفى كامل وهل هناك كلمات أرق من تلك الكلمات : ١١ فبراير ١٩٠٨ يوم الاحتفال بجنازة مصطفى كامل هى المرة الثانية التى رأيت فيها قلب مصر يخفق ، المرة الأولى كانت يوم تنفيذ حكم دنشواى . أما فى يوم الاحتفال بجنازة صاحب اللواء فقد ظهر ذلك الشعور ساطعا فى قوة جماله وانفجر بقوة هائلة سمع دويها فى العاصمة ووصل صدئ دويها الى جميع أنحاء القطر : هذا الاحساس الجديد ، هذا المولود الحديث الذى خرج من أحشاء الأمة ، من دمها وأعصابها ، هو الأمل الذى يتسم فى

وجوهنا البائسة : هو الشعاع الذى يوصل حرارته الى قلوبنا الجامدة الباردة :
هو المستقبل .

قضايا شعبية كبرى

ومن القضايا التى كان لها تأثيرها البالغ فى نفوس الجماهير والتى أحدثت
دويا هائلا فى رأى العام المصرى قضية دنشراى . وقضية ذكرى دنشواى ،
وقضية محاكمة محمد فريد ، لأنه حسن « بتشديد السين » كتاب وطنيتى ،
وكذلك قضية مقتل بطرس غالى باشا ، وكان رأى العام يولى هذه القضايا أهمية
بالغة وكانت الصحف تنشر بتوسع شديد مرافعات النيابة والدفاع ، يوما بيوم .
وقضية دنشواى أولى تلك القضايا الهامة والخطيرة التى أيقظت من جديد
الشعور الوطنى . وقال فيها حافظ ابراهيم :

قتيل الشمس أورثنا حياة وأيقظ هاجع القوم الرقود
فليت كرومر قد بات فينا يطوق بالسلاسل كل جيد
ويتحف مصر آنا بعد أن بمجلود . ومقتول شهيد
لننزع هذه الأكفان عنا ونبعث فى العوالم من جديد

كانت هيئة المحكمة برئاسة بطرس غالى باشا وعنونة المستر جودفنا
هيبنز وفتحي بك زغلول ومستر بوند وقد مثل الادعاء ابراهيم الهلباوى بك .
وقد ورد فى مرافعة الادعاء أن الجريمة أم محمد قد أصيبت بعيار نارى من
الضباط ولكن البندقية لم تطلق الا وهى فى يد الأهالى حال أخذها من الضباط :
ان حرق الجرن والادعاء بالاصابة هما دعوتان كاذبتان لأن المتهمين كانوا لا يريدون
فقط الانتقام لصيد الحمام ، أو لحرق الجرن ، أو لاصابة الجرحى بل الغرض
الحقيقى هو رغبتهم فى اعدام الضباط .

وترون فى التحقيق وفى شهادة الضباط أن الضرب كان على الرأس وان
اصابة الميجر بين كوفين على الذراع لم تكن قصدا ، بل كانت حال دفاعه عن
رأسه بذراعه وكل الاصابات لم تكن فى غير الرأس والعنق والاكتاف لأنهم كانوا
يريدون الاجياز عليهم وقتلهم قتلا وقد أغمى على الميجر بين كوفين ثلاث مرات
ولم يكتف المتهمون بذلك بل انهم قصدوا العربات وأنزلوهم منها وضربوا
السائقين وكسروا المركبات فأراد الضباط النجاة ، ركضا فأمسكوكم ،
وأخذوهم ، حتى لا يصلوا الى الحكومة ويخبروها بما أصابهم لأنهم لم يكتفوا
بالقتيل بل أرادوا أن يسلكوا معهم بما يناسب مقامهم ، فحاولوا أن يفعلوا
بجمعهم ما كانت تفعل محكمة التعيش فى أسبانيا مع المذنبين فأخذوا يضعون

التبن حولهم لاحراقهم ويشيرون لهم بأنهم يرغبون فى ذبحهم ٠٠ ما بالكم أيهم القوم نار صدوركم تشتعل وتزيد اشتعالا .

ويقول ممثل الادعاء : أن بنة القتل - قتل الانجليز - كانت موجودة عند الزعماء وكذا الاصرار عليها وان المشاركين لهم متفقون فى ذلك الاصرار وأمل القتل حصل بموت المستر بول وان بقية الضباط شرع فى قتلهم .

وجاء فى كلام محمد يوسف بك أنه من القحة أن نعتدى على جيش الاحتلال بسبب حماسة أو حمائمات اذ لم يسمع عن العرب شيء من ذلك فجيش الاحتلال يكرم حيث ينزل ولكن الذين اعتدوا عليه لم يكن اعتداؤهم الا فى ظروف لا يترتب عليها ما يقول المدعى العمومى .

أما اسماعيل بك عاصم فقد ذكر أن هذه هى المرة الثانية التى تنعقد فيها المحكمة المخصصة ، وقد كانت الأولى فى عام ١٨٩٧ فى حادثة قليوب وكنت محاميا فيها ، وكان الاعتداء على أورطة وهى سائرة بهيئتها العسكرية . وكان الاعتداء من صغار لا يعرفون وحكم فيها بالرأفة ، فكان الحكم مما ارتاحت له الأمة والهيئة الحاكمة والمرة الثانية - وهى هذه الحادثة - لم يكن فيها طابور عسكرى ولا رجال الجيش بصفة عسكرية وانما كان المعتدى عليهم أفرادا سائرين أما للنزهة أو للصيد ولم يكن الأهالى يعرفون أنهم من جيش الاحتلال الا بعد ان حصل ما حصل ٠٠ وأسفاه !!

وقد قضى فى هذه القضية - كما هو معروف - باعدام على حسن محفوظ وبوسف حسين سليم والسيد عيسى سالم ومحمد درويش ، على ان يتم الاعدام شنقا فى قرية دنشواى كما قضت المحكمة بالأشغال الشاقة المؤبدة على محمد عبد النبى ، المؤذن ، وأحمد عبد العال محفوظ ، وعلى أحمد محمد السيسى بالأشغال الشاقة ١٥ سنة وكذلك قضى على محمد على أبو سمك ، وعبد الباقى ، وعلى على شعلان ومحمد مصطفى محفوظ ورسلان السيد ، والعيسوى محمد محفوظ بالأشغال الشاقة سبع سنين وكذلك قضت المحكمة على حسن اسماعيل السيسى وابراهيم حسنين السيسى ومحمد السيد على بالحبس مع التشغيل سنة واحدة ويجلد كل واحد منهم خمسين جلدة . وان ينفذ الجلد أولا بقرية دنشواى وكذلك قضى على السيد القولى ، وغريب عمر محفوظ والسيد سليمان خير الله وعبد الهادى حسن شاهين ومحمد أحمد السيسى بجلد كل واحد منهم خمسين جلدة ، بقرية دنشواى .

وكان ضحايا الحوادث من الجانب البريطانى الكابتن بول الذى أصيب اصابات عادية ، ثم مات بسبب ضربة شمس أصابته بعد ساعات من الاعتداء عليه واصابة اناجور بين كوفين بكسر واصابات أخرى ، وكذلك الكابتن.

يوسنك والملازمان سمويك ، وبورتر ، باصابات عادية ! هؤلاء هم الضحايا الذين اقتضت لهم المحكمة بتلك الأحكام الظالمة التي سبق ن أشرنا اليها .



● قضية أخرى نتصل بحادث دنشواى اطلق عليها ذكرى دنشواى ، وكان الشيخ عبد العزيز جاويش قد كتب فى اللواء - ٢٨ يونيو ١٩٠٩ - مقالاً تحت عنوان « ذكرى دنشواى » بدأه بقوله : سلام على أولئك الذين كانوا فى ديارهم أمنين مطمئنين فنزل بهم جيش الشؤم والعدوان فأزعج نفوسهم . وأحرق حصادهم فلما هموا بصيانة أرزاقهم التى عملوا فى سبيلها أجسامهم ، ودابتهم ، وأرضهم وقاموا عليها نحو حول يتعهدونها بالسقى والخفارة ويرقبونها فى البكرة والعشى قيل انهم مجرمون ، فسيقوا فى السلاسل والأغلال . وصلبوا على مرأى ومسمع من زوجاتهم وأمهاتهم وبناتهم . وعيالهم وأصدقائهم وجيرانهم .

سلام على تلك الأرواح التى انتزعها بطرس باشا غالى رئيس المحكمة المخصوصة بقضائه من مكانها فى أجسامها كما تنزع سلوك الحرير من خلال الشوك : قبضها بيده فقدمها قربانا الى ذلك الجبار الظالم الغاصب القاهر . القائم فى بلادنا بنفاقنا وضعة مقاصدنا . المستبد بالأمر فينا بسبب تفرقتنا وضعف عزائنا ، المسيطر علينا بنفر يخشون الانجليز أكثر مما يخشون الله . ويرغبون فى المال والرقى ولو شقيت فى سبيل ذلك بلادهم ، واستبيحت حرماهم .

وانهى الشيخ عبد العزيز جاويش مثاله بقوله : فلتذكر الأمة اليوم الذى أيقظها من سباتها ، وبصرها بعدالتها ، وملأ قلوبها بالعظة والعبرة ونفوسها بالحمية والغيرة . ألا فلنذكر الأمة الثامن والعشرين من شهر يونيو ولتذكر أن للاحتلال أعوانا من بينهم يجب محاربتهم بالبغض ومعاملتهم بالحذر ، وسوء الظن ، أولئك الذين روى فى أمثالهم على أمير المؤمنين عن النبى عليه السلام الحديث الشريف « انى لا أخاف على أمتى مؤمنا ولا مشركا ، أما المؤمن فيمته الله بإيمانه ، أما المشرك فيقمعه الله بشركه ولكنى أخاف كل منافق الجنان . عالم اللسان ، يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون » اذكروا هذا اليوم . واذكروا معه من أخذ بأيدي هذه الأمة الى النهوض ، اذكروا معه مصطفى كامل باشا أمام الحرية الوطنية وأستاذ الأمة المصرية واقتدوا به لعلكم ترشاون .

وحوكم الشيخ جاويش أمام محكمة جنح عابدين برئاسة القاضى محمود بك على سرور وكان فى كرسى النيابة عبد الحميد بدوى ، ووقف الأساتذة المحامون اسماعيل بك الشيمى وأحمد لطفى بك ومحمود بسيونى يترافعون عن الشيخ . وكانت التهمة الموجهة اليه اهانة القضاة ومحمد بك يوسف المحامى المدعى بالحق المدنى فى قضية دنشواى ، وقد حكم على الشيخ فى محكمة أول درجة بالغرامة ثم استأنفت النيابة الحكم .

وأمام محكمة جنح مصر الابتدائية المنعقدة بصفة استثنائية وقف الشيخ ، كانت المحكمة برئاسة بوغوص بك أغوريان وكيل المحكمة وعضوية ابراهيم بك بولس والمستتر كك بكوث القاضيين ، وكان عبد الحميد بدوى ، وكيلًا للنائب العام الذى قال ان مقالة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش قد امتلأت بالمطاعن والاهانات .

وقد جاء فى مرافعة الأستاذ اسماعيل الشيمى ، أن الشرع الشريف بين مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لغير الحاكم أربع وهى : التعريف ، الوعظ . والكلام اللطيف . السب والتعنيف ، ثم المنع قهرا بطريق مباشر ، وردد الشيمى بك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له « وقال الشيمى بك : لا يجوز للقاضى أن يمتنع عن استماع ما يقدمه المدعى عليه من الدفع الشرعى الذى لو صح لترتب عليه عدم توجيه الخصومة عليه بل يجب على القاضى شرعا الاستماع ليذا الدفع وتكليف الدافع اثبات صحة ما دفع به .

وكان من بين ما قاله أحمد بك لطفى قوله : ان واجب الصحفي كواجب ربان السفينة الجارية فى بحر لظى متنائى الساحلين : كلاهما متى تبين الخطر عن بعد وجب عليه أن ينبه الناس أولا الى ما هو وشيك الوقوع وأن يعمل على ما ينجيه من هذا الخطر ويجنبهم وقوعه ثانيا ، والا كان كل منهما مفرطا فيما عليه وكان أول الهالكين .

ويقول الأستاذ أحمد لطفى فى النهاية : مأمورية القضاء فى هذه القضية سامية كبيرة وعمل الدفاع شريف ومركز النيابة حرج يخرجه الحق والقانون ، فالملطوب من حضراتكم أن ترجعوا الى القانون ، ثم ترجعوا الى ضمائركم : ترجعوا الى القانون ثم الى العدل بعد أن تصموا أذاناً عن كل قول غير الذى تسمعون فى المرافعات العلنية فان فى ضمائركم السليمة روح العدالة والانصاف لا تردد لحظة فى القضاء بالحق : واننا واثقون بعدالتكم ، وانا مطمئنون لحكمكم فابحثوا قضيتنا وان كان بحنها يكلفكم عاء واعلموا أن حكمكم سيكون موضوع بحث العالم المصرى . والعالم العربى واعلموا أنكم بحكمكم العادل ستكتبون لأنفسكم فى التاريخ مجدا عظيما وتشيدون للحق صرحا عاليا .

وكان الحكم بحبس الشيخ عبد العزيز جاويش ثلاثة شهور حبسا بسيطا قضاه الشيخ بكل جنان واطمئنان ، وقد احتفى الشعب بالشيخ بعد خروجه من السجن فكرمه أجمل تكريم وقلده فى فندق شبرد - الفندق التاريخى - وسام الشعب وقد كتب عليه . وهو من الذهب الخالص : تذكرا الشعب الى الشيخ عبد العزيز جاويش اعترافا بوطنيته انصا دقة كما نقش عليه الآية الشريفة « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونتلو أخباركم »

وكان بين ما قاله أحمد لطفى بك : يقولون بم يحتفلون وعلام تختلفون ؟
 أتمجدون سجيناً قضت عليه المحاكم بالحبس ، أو ترفعون الى درجات الكمال
 وجلالاته السجن ؟ ، يقولون وهم يحتفلون بالخائنين ، يسعون لزيد لأنه عاد
 من سفر ولأنه يتزوج ولخالد لأنه رزق بولد ، يحتفلون بالغنى ، يحتفلون بالمال
 أما نحن فنحتفل بالبؤس ، لأننا نحفل بالآلام ، نحفل بالمصائب ، نحفل بكل
 جمل مادام السبب فيه خدمة للوطن فلهم أعيادهم ولنا أعيادنا .

وكان من قصيدة للشاعر عبد الحليم حلى المصرى وهو يخاطب الشيخ
 جازيش :

وجعلت تقتحم الصعاب لما تشاء بلا نصير
 ورأيت كيف نرى احتفاء الناس بالرجل الغيور
 هذا جزاء مجاهد ذاق العسير على اليسير

● وأخطر تلك القضايا - بلا جدال - قضية مقتل بطرس غالى باشا رئيس
 وزراء مصر فى ٢١ فبراير ١٩١٠ ، وقد تعدد كثير من الكتاب والمؤرخين اغفال
 تلك القضية ، خشية ما بها من حساسيات فالقاتل مسلم ، والقتيل قبطى ، وقد
 لعب الانجليز على اختلاف الديانة بين القاتل ، والقتيل ، بخت ، بالرغم من
 أنه لا علاقة على الاطلاق بالدين والأسباب التى استند اليها القاتل - ابراهيم
 ناصف الوردانى - لقتل رئيس النظار ، ولعل فى مقدمة مايلفت النظر فى ملف
 تلك القضية : ماكتبه الأستاذ ناصف أفندى جندى المنقبادى المحامى : الى رئيس
 تحرير جريدة « الاكلير » التى تنطق بالفرنسية ، وقد جاء فى رسالته : حضرة
 رئيس التحرير : اسمح لى بصفتى مصرى أن أقرر بعض نقاط تتعلق بمقتل
 بطرس غالى باشا رئيس الوزارة المصرية : ليس من اختصاصى تقدير عمل ابراهيم
 الوردانى ولكنى أريد أن أبدد التهم التى أشاعها الانجليز فى العالم كله ضد
 هذا الشاب ليقبلوا من النتيجة السياسية لعمله فلقد اتهموه بأنه فتن مختل
 الشعور ، قليل الذكاء وأنه أطلع داعى التعصب (الاسلامى) بقتله بطرس
 باشا غالى المسيحى ، الذى يقولون انه كان حراً ووطنياً : أنا أعرف الوردانى
 شخصياً وهو فتن شديد الذكاء كثير المعارف ملء صدره الوطنية الحرة ، وليس
 رجلاً متعصباً ولم يقدم على عمله الا ، بداعى الوطنية المتحمسة بعد أن ضاق صدره
 - كما ضاق صدرنا جميعاً - من السياسة الانجليزية التى كان بطرس باشا غالى
 ينفذها باجتهاد ، وأنا بصفتى قبطياً - أعنى مصرى مسيحياً - أصرح بأن حركتنا
 هى حركة وطنية مجردة ، ترمى الى الترقى والحرية وما تهمة التعصب الاسلامى
 الا من إشاعات الانجليز التى يشيعونها ليبرروا المظالم التى يرتكبونها فى
 مصر .

● اغتال ابراهيم ناصف الورداني بطرس غالي باشا ، لأنه رأس المحكمة المخصوصة التي حكمت بالاعدام على قرية دنشواي كلها ، وهو - بطرس غالي باشا - الذي أعاد قانون المطبوعات وسلط سيفه على رقاب الصحف والصحفيين ولأن - بطرس غالي باشا - كان له دور كبير في مشروع مد امتياز قناة السويس وقد وجه الى مثلئ الأمة - أعضاء الجمعية التشريعية - الذين رفضوا المشروع عبارات عنيفة ، وكان الورداني في الجلسة التي تفوه بها بطرس غالي هذه العبارات التي أهاجت نفس الورداني وجعلته ينتقم على بطرس غالي ، وقد خرج الورداني من تلك الجلسة وهو يقول : يجب ان تسقط تلك الوزارة لأنها تستمد سلطتها من الانجليز لا من الأمة . قبض على الكثيرين من معارف الورداني وأصدقائه على أساس أنهم شركاء في الجريمة فصمم على أنه الفاعل وأنه لم يشترك معه الا اثنان يده وعقله ، وظل ثابتاً على رأيه هذا ، الا أن حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه الحكم شنقاً ، وكان قد قدم الى محكمة الجنايات كل من محمود أنيس وعلى مراد المهندسين وعبد البرقوقي ، وسفيق منصور الطالبين بمدرسة الحقوق وعبد الخالق عطية المحامي وعبد العزيز رفعت المهندس ، وحبيب حسن ومحمد كمال طالب بكلية الهندسة الى جانب ابراهيم الورداني ، ولكن قاضي الاحالة متولى بك غنيم أفرج عن المتهمين جميعاً ما عدا الورداني المعترف بأنه قتل بطرس غالي باشا مع الاصرار بالترصد ، والذي ضبط متلبساً بالجناية وشهد شهود الرؤية عليه ، أحيل الورداني الى محكمة الجنايات ، وكان الحكم عليه في ٢٢ مارس ١٩١٠ - أي بعد شهر من وقوع الجريمة - ترافع في القضية عبد الخالق ثروت باشا النائب العمومي وطالب بشنق المتهم وترافع عن المتهم محمود أبو النصر وأحمد بك لطفى وإبراهيم الهلباوي : كانت المحكمة برئاسة دلبراوغي وعضوية أمين بك علي وعبد الحميد بك رضا وكان الحكم في ١٨ مايو ١٩١٠ باعدام ابراهيم ناصف الورداني شنقاً وقد نفذ فيه الحكم .



● ومن القضايا الهامة التي كان لها دويها الشعبي الهام ، قضية السيد السادات ضد الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد والنسب صفية السادات ، وكان الخديو عباس حلمي يقف الى جانب الشيخ علي يوسف وقد كان وقوف الخديو عباس حلمي الثاني الى جانب الشيخ علي يوسف من الأسباب التي أغضبت مصطفى كامل من الخديو ، وقد كتب أحمد شفيق باشا في الجزء الثاني من كتابه « مذكراتي » في نصف قرن ، ما يلي : لما ثارت قضية زواج صاحب المؤيد ، وعمل الخديو لتأييده من وراء الستار زاد نفور مصطفى كامل من خطة الخديو فلما سافر سموه الى ديفون هذا العام (١٩٠٤) زازه هناك مصطفى كامل وصارحه برأيه في مضار هذه الخطة وبين له أن الرأي العام ، لا يعطف على الشيخ ، ثم حدثه في أمور أخرى من هذا القبيل وكان حديثه للخديو بلهجة شديدة فغضب الخديو وغضب مصطفى كامل أيضاً فلما عاد الثاني الى

مصر ، اعتزم قطع العلاقات بينه وبين الخديو فارسل إلى الخطاب النالى لتسليمه للخديو ، وينقل أحمد شفيق نص الخطاب الذى كتبه مصطفى كامل فى ٢٥ أكتوبر وأرسله من القاهرة الى الخديو ، ويعقب أحمد شفيق على هذه القطعة بقوله : وقد دامت الحال كذلك حتى كانت ١٩٠٦ حيث وقعت حادثة دنشواى فرجعت الصلات بينهما بوساطتى ، ويقول أحمد شفيق فى مكان آخر من كتابه : فوجدنا فيما سلف بقطع العلاقات بين الخديو ومصطفى كامل فى ١٩٠٤ فمزم مصطفى كامل على السفر لأوربا لقيامه بالدفاع عن شناعة حادث دنشواى . رأى أنه من الواجب عليه أن يعيد العلاقات الحسنة بينه وبين الخديو ، حتى يستتير برأيه ويظهره على إثارة الرأى العام فى أوربا وانجلترا ضد هذا الحادث فكانت الخديو بوساطتى ، فوافق عباس وأبلغت مصطفى كامل ذلك فسافر الى باريس فلندرة وقام بحركة ضد كرومر ، وخطب هناك خطبا كثيرة فى مجمع من الكبراء . كما كتب عدة مقالات فى الصحف الفرنسية ، وخصوصا الفيجارو . وانتيت جهوده بإثارة الرأى العام الانجلىزى نفسه على شناعة الاجراءات التى اتخذت وما وقع فى مجلس العموم الانجليزى من استجوابات كان له أثره فى صدور العفو عن مسجونى دنشواى .

● وانتقل الى حكم المحكمة الذى صدر فى ١١ أغسطس ١٩٠٤ ، معتمدا على نص الحكم ، الذى صدر فى ١١ أغسطس ١٩٠٤ بحضور حضرة العلامة الفاضل الشيخ أحمد أبى خطوة أحد أعضاء محكمة مصر الشرعية .

● وقد ورد فى الأسباب الخاصة بفسخ العقد : حيث أن الخصوم اتفقوا على حصول عقد زواج الشيخ على يوسف صاحب المؤيد بصفية بنت السيد عبد الحالى السادات بدون علم والدها ، ورضاه بمنزل السيد توفيق البكرى بوكالة الشيخ حسن السقا خطيب الأزهر الشافعى المذهب الأجنبى منها على الكيفية المبينة بقسمة الزواج الوارد ذكرها وخصل النزاع بينهم فى صحة هذا العقد وفساده فقال وكيل المدعى السيد أحمد عبد الحالى السادات أنه غير صحيح لعدم علم ورضاه والدها وعدم كفاءة الشيخ على يوسف المدعى عليه لموكله بوجه من الوجوه لأن موكله شريف حسيني والشيخ على ليس بشريف بل ليس بعربى ولاحترافه بخرفة لا يكون بها كفؤا لموكله الذى هو شيخ السجادة الوقائية وناظر على أوقاف أجداده التى يعيش منها ... و ...

وقد قال وكيل المدعى عليهما أن العقد صحيح خاصة وأن والدها رضى بالشيخ على خطيبا لها المدعى وأخبر بذلك كثيرين وأنه قبض مهرها ولأن الشيخ على كفء لابنته ، وإن المدعى والمدعى عليه متكافئان نسباً وحسباً ومالاً ، وديانة وحرفة وفى كل شئ يتعلق بالكفاءة وهما شريفان المدعى حسنى ، والمدعى عليه حسيني .

وقال وكيل الشيخ على أن موكله أكثر كفاءة من المدعى لأنه ليس بشريف وموكله شريف حسيني وهو أكثر مالا من المدعى وصاحب حرفة شريفة والمدعى لا حرفة له ولأن موكله عالم ، وأكثر من المدعى حسبا لأن الحسب هو الجاه وأما الاسلام والحرية فلم ينكر واحد منهما على الآخر شيئا منهما :

وعن الصحافة جاء ما يلي في الحكم بالحرف الواحد ، وحيث أن حرفة الصحافة التي نسبها المدعى عليه لنفسه قسما ، قسم يبحث فيه عن فنون وعلوم مخصوصة للارشاد . كالجالات الغير يومية وهذه شرفها ، بمقدار شرف ما تبحث فيه وهي صحافة جلييلة وهذا القسم لا يدعيه المدعى عليه لنفسه ، وقسم لا يختص بموضوع مخصص وهو عبارة عن ارشاد من تتكون منهم الامة أى المملكة بارشاد الأفراد والعائلات والهيئة الاجتماعية والحكومة فهي معدة لارشاد الامة وبالجملة فهي عبارة عن الارشاد بما يلزم من سياسات النفوس والعائلات والملك والمراقبة وهي صحافة جلييلة جدا ، ولا يمكن القيام بها الا بعد الاستحصا على كل معداتها من العلوم الاجتماعية وغيرها من علوم تهذيب الأخلاق ، ودراسة أخلاق الناس ، وعوائدهم وسياسة الحكومات والتميز فيما عليه والصحيح منه ومعرفة كيف يعالج الفساد ، وكيف يزيله ويرقى الامة ويهذب الاخلاق ويلزم لذلك أن يكون القائم بها أشد الناس محافظة على الكمالات والآداب حتى يمكنه أن ينفع بنصحه وارشاده ، وأن يرقى الامة المنحطة ويستمر في ترقيتها ان لم تكن منحطة وهذا لا يتأتى الا اذا كان القائم بها من الطبقة الأولى ذكاء وعلماء بالسياسة الداخلية والخارجية وعلماء اشتغل بها في غير هذه الديار آباؤهم الناس عقلا وفضلا واشتغل بها في هذه الديار بعض الفضلاء برهة من الزمان ولا يمكن المدعى عليه أن يدعي لنفسه بالأخلاق وتهذيبها وأن يعلم كيف ينصح وكيف يستفاد من نصحه ولذلك هذه الصحافة لأن قلبه في المبادئ بغير سبب وتعرضه للشخصيات في ثوب المصالح العامة وسكوته عن بعض ما يلزم الكلام فيه لارضاء بعض من يهمه رضاه وكثرة أضراره عندما يريد أن ينفع ، وغير ذلك مما هو معروف يمنعه من دعوى القيام بهذه الصحافة لنفسه ولا تذهب به بعيدا ببرد شيء من ذلك لأنه معروف مشهور ، ونقف معه في هذه الحادثة التي هي موضوع النزاع والبحث اليوم ولا نزيد عليها فاذا يكون المدعى عليه ليس مشتغلا بالصحافة قائما بها وانما هو مشتغل بشيء يشبهها ، اشتغل بها لأغراضه ملبسا له ثوب الارشاد والمصلحة العامة وهذا اشتغال نعتبر اشتغالا بأخس الحرف فلا يكون محترقا بحرفة شريفة .

وفي الحكم أن الشهادة في الكفاءة يكفي فيها أخبار الشهود للقاضي بما يعلمون ولا يشترط فيها لفظ أشهد ولا التزم لأنها لاستكشاف حال المتخاصمين ، وحيث انه بهذه الحالة يكون عقد نكاح الشيخ على يوسف صاحب المؤيد بصفية

بنت السيد أحمد عبد الخالق السادات حصل مع عدم كفاءة الشيخ على السيد أحمد عبد الخالق السادات و . و .

ولهذه الأسباب حكمنا للسيد أحمد عبد الخالق السادات المذكور على السيد على يوسف صاحب المؤيد وصفية بنت السيد أحمد عبد الخالق المذكور بعدم صحة عقد زواجهما المذكور وعدم جواز اجتماعهما ، وقد نظرت القضية أمام محكمة استئنافية برئاسة قاضى أفندى مصر وعضوية العلامة الشيخ أحمد ادريس والعلامة الشيخ محمد ناجى وقضت المحكمة بتأييد الحكم المستأنف وصحته !!

صفحات من كتاب الحزب الوطنى

● ولعل آكون أول من أزاح الستار عن جهود الحزب الوطنى فى أثناء الحرب العالمية الأولى وفى أعقابها . بين يدي وأنا أكتب هذه الكلمات مذكرة الحزب الوطنى المصرى الى الحكومات المحاربة والمحايدة تبدأ بالعبارة الآتية : ان الحزب الوطنى المصرى الذى كان ولا يزال من مبادئه «مصر للمصريين» والذي وقف نفسه للدفاع عن وطنه العزيز ضد أى اعتداء أو احتلال أو تدخل أجنبي ، تحت أى اسم أو بأية صورة يخاطب اليوم بهذه المذكرة كل الحكومات بلا استثناء حتى انجلترا وحلفاءها تاركا للعواطف والميول جانبا ملقيا بنفسه فى أحضان السياسة العالمية الحقبة : اننا نريد أن نبين أن الحاجة الى السلم التام والى العدل والى الحق تحتم على كل الحكومات أن تساعد الحزب الوطنى على تحرير مصر من الاحتلال الإنجليزي الذى تحول ظلما وعدوانا الى حماية فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ .

● وينهى محمد فريد تلك المذكرة - التى كتبها فى استوكهلم فى ١٠ فبراير ١٩١٧ ووقعها باسم رئيس الحزب الوطنى المصرى - بقوله : ان مصر اذا أعطيت الحرية والاستقلال لجديرة بأن تبرهن للعالم انها ما فقدت شيئا من خصائصها الأصلية وانها لم تهدم ما لبنة الأهرام من ميزات أولئك الذين بهروا العالم بالهيكل ومقابر الملوك ، ان مصر لا تعرف المطامع الاستعمارية ، وليست لها آمال خارجية ولا تطمح فى أن يمتد ملكها أكثر من حدوده الطبيعية وانما تطلب أن تعيش حرة وأن ترتع فى بحبوحة السلم ، وأن يكون لها تحت الشمس مكان يليق بها بنا لها من خصائص ، وما لأهلها من ذكاء وأن الحزب الوطنى المصرى يطلب من الحكومات المحايدة الا تعترف بما قامت به انجلترا فى مصر فى أيام الحرب والا كان هذا الاعتراف خروجاً على حقوق الحياد ، ويجب أن يظلوا على انكار هذا العمل وأن ينكروا جوازات السفر التى تعطيها السلطات هنا والسفراء هناك وأن قبول مثل هذه الأعمال الصادرة عن قوة غاشمة غير معروفة من الحقوق الدولية العامة يساوى الاعتراف المضر بهذه الأفعال التى لا تستند الى حق ولا تعتد على صنواب وأن حزينا ليطالب من حكومتنا العثمانية ومن حلفائها

تقديم المسألة المصرية الى مؤتمر السنثم القادم لأجل تسويتها نهائيا بما يهوى الشعب المصرى حسب فائدته وان الصلح الذى يترك مصر لاتجلبترا سيكون صلحا أعرج وسيحمل الانسانية على حرب تكون أفظع من الحرب الحاضرة .



● وبين يدي أيضا صورة من المذكرة التى قدمها الحزب الوطنى المصرى فى ١٠ أكتوبر ١٩١٧ الى اللجنة الاشتراكية الدولية التى كانت تمهد لمؤتمر استوكهلم ، والمذكرة أكثر تفصيلا من المذكرة السابق الاشارة اليها ، وقصد بدأت تلك المذكرة بالاشارة الى سياسة بريطانيا الكاذبة ذات المواعيد الحادعة والايمان الخائنة والى تبديد الاحتلال البريطانى للثروة المصرية وبيع المحصولات بأبخس الأثمان والى ما قامت به سلطات الاحتلال من اعتقال للمواطنين ومن التجاؤها الى التجنيد الاجبارى وحشد مليون ونصف مصرى لمساعدة ذلك الاحتلال . وفى النهاية - نهاية المذكرة تطالب المذكرة باسم مصر أن يكون لمصر حقها الطبيعى فى أن تحكم نفسها بنفسها ذلك الحق الذى اعترفت به وقررت جميع الدول فى مؤتمر لاهاى والذى تزعم دول الحلفاء أنها تستمر فى الحرب من أجله ، وقد نشرت صحف استوكهلم هذه المذكرة ، كما نشرت ملخصات لها العديد من صحف العالم .

● وعندما دعا رئيس لجنة السلام بمدينة استوكهلم النسيو كارل لندهاجن العضو بالبرلمان السويدى ومحافظ المدينة مندوبى الأمم المستعبدة الى اجتماع خاص فى ٩ نوفمبر ١٩١٧ فى قاعة فيكتوريا لسماع شكواهم وحضر ذلك الاجتماع أكثر من ستمائة مدعو من أقطاب السياسة وقطاع قادة الراى العام وكان الشيخ اسماعيل الصفايحي القاضى - سابقا - بتونس أكبر الحاضرين سنا فقد تولى القيام بتوجيه الشكر الى اللجنة ورئيسها نيابة عن ممثلى الشعوب المضطهدة : القى كلمة باللغة العربية وقام بترجمتها محمد فريد بك الى اللغة الفرنسية وكان ما قاله الشيخ الصفايحي أننا لا نستطيع أن نتحمل تلك العبودية وسنبحث عن الوسيلة الفعالة للخلاص منها الا وهى القيام جماعة ضد الظالمين واغلاق السلام العام ، بطريقة أفظع من الحرب ، وكانت الأنسة ساكوك قد قامت بترجمة تلك الكلمة عن الفرنسية الى اللغة السويدية ، وتكلم الشيخ عبد العزيز جاويش فى ذلك الاجتماع عن مراكش بالنيابة عن السيد محمد العتبى الذى منعه مرضه عن الحضور ونجح الاجتماع نجاحا هائلا وأعد المؤتمر تقريرا عظيما ، وكان ممثلى مصر فى ذلك المؤتمر : محمد فريد بك والشيخ عبد العزيز جاويش والدكتور على علوى ، وفيما يلى مقدمة ذلك التقرير : اجتمع مندوبو أمم الجزائر ، وتونس ، ومصر ، والقوقاز ، والهند ، ومراكش وطرابلس والطورانية بمدينة استوكهلم فى شهرى أكتوبر ، ونوفمبر ١٩١٧ للبحث عن الطرق الفعالة لتحرير بلادهم من نير الاحتلال الأجنبى ، وحل جميع

المسائل الخاصة بأوطانهم بواسطة مؤتمر الصلح المقبل طبقا للحق الطبيعي لكل أمة في أن تحكم نفسها . بنفسها .

وأشار التقرير الى أن كل من تكلم بالنيابة عن الأمم المستبعدة حرر مذكرة تفصيلية عن الأسباب التي بنى عليها مطالبه وقد وزعت تلك المذكرات في جميع الأرجاء .

● ولم تكن مذكرات الحزب الوطني التي كان يكتبها فريد بك ، ومعاونوه ويبحث بها الى المؤتمرات الدولية والى الشخصيات المعروفة في العالم كله بمناصرتها لقضايا الحرية والاصرار : لم تكن تلك المذكرات قاصرة على شرح المسألة المصرية من الوجهة القانونية وحسب وانما ركز بعضها على حالتنا الاجتماعية والعلمية والأدبية في سنوات الحرب العالمية الأولى وخاصة حالة العمال المصريين وبؤسهم ، والزراع المصريين وشقائهم والطلبة المصريين وفقرهم العلمي . . . من تلك المذكرات ، تلك التي تقدم بها الحزب الوطني الى مؤتمرات برست ليتوفسك وقد وزعت على جميع الأعضاء . كما وزعت في جميع أنحاء العالم الا مصر بطبيعة الحال ، وقد أنهى فريد بك تلك المذكرة بقوله : تطلب مصر من مؤتمر برست ليتوفسك أن يعترف صراحة بحقوقها في أن تقرر بنفسها أمر المصير الذي ترغب فيه وشكل الحكومة الذي يتفق ومركزها وأخلاقيها وعاداتها ، اما مباشرة بأخذ رأى الأمة واما بجمعية دستورية تنتخبها الأمة بحرية تامة ولكن ضمانا لسير الانتخابات أو اقتراح الأمة على أحسن و « أفضل » حال يكون من الضروري سحب الجيش الانجليزى من مصر ، وكذلك جميع الموظفين المدنيين الانجليز ، وكان المصريون المقيمون في برلين وهم عبد الملك حمزة ، وأحمد طاهر ، ومنصور رفعت ، وعلى علوى ، والشيوخ جاويش وفريد بك قد بعثوا بتلغراف بتاريخ فى ٢٣ ديسمبر ١٩١٧ الى مؤتمر برست ليتوفسك يلفتون به النظر الى ضرورة تحرير مصر طبقا لمبدأ الجنسيات الذى اقترته جميع الدول والذي أعلنه سوفيت بتروجراد . وبنى المصريون في برلين طلبهم الخاص بتحرير مصر على الحق الطبيعي لكل أمة أن تحكم نفسها بنفسها وتبت في مصيرها و . و .

وفي نهاية التلغراف جاءت العبارة الآتية : ان حرية البحار التي هي أحد المبادئ الأساسية للديمقراطية على وجه عام والاشتراكية الروسية على وجه خاص لا يمكن أن تضمن ضمانا كافيا مادامت قناتنا تحت اشراف أية دولة كبرى ، ومصر وحدها ، مصر الحرة هي التي تستطيع أن تحميها وتضمن لجميع الأمم حرية المرور فيها وقت الحرب والسلام .

● وربما كنت أول من لفت الأنظار الى ذلك التلغراف الذى أرسله الحزب الوطني - بعد أيام من عقد مؤتمر برست ليتوفسك الى لينين ، رئيس الحكومة

السوفيتية شكرا له على ما صرح به من ضرورة تحرير مصر ، وحصولها على استقلالها ، وفيما يلي ذلك التلغراف الذي توصلت اليه بعد جهد جهيد ، وأكون بذلك أول من ينشره في العالم بأسره :

تشرف لجنة الحزب الوطني بأن تعزب عن شكرها الأدبي لحكومتمكم الديمقراطية بمعنى الكلمة بمناسبة تصريحها بأسمى وأغلى ما يمكن أن تصبو اليه الانسانية من المبادئ المتعلقة بالحرية والمساواة ، ان هذه المبادئ ، التي صرحتم بها وأنتم مجردون عن الهوى والغرض قد أنعشت النفوس وأحييت في الأمم المستعبدة ميت الآمال في حياة جديدة ملؤها السعادة والرفاهية : حياة قائمة على تحريرها من أغلال أصحاب رموس الأموال وأصفاد محبى الاستعمار : ان اللجنة تشكركم بصفة خاصة على التلغراف اللاسلكي الذي أرسلتموه الى جميع الحكومات طالبين فيه تحرير مصر ، وترجو منكم أن تكلفوا مندوبيكم في مؤتمر برست ليتوفسك بأن يطلبوا تحرير مصر من نير الاحتلال الانجليزي : ان المسألة المصرية مسألة دولية في الواقع نظرا لمركزها الجغرافي . الخ ، الخ .

● وكان خليل مذكور الذي كان من أقرب أصدقاء محمد فريد وتلاميذه والذي عمل سكرتيرا لفريد في أخريات أيامه قد ذكر لي أن محمد فريد كان على علاقة طيبة بلينين ، عندما كانا يعيشان في شارع واحد في مدينة جنيف ، وقد حاولت أن أعثر على رد لينين ، على برقية الحزب الوطني. ولكنني لم أعثر على هذا الرد ، ولعله ، ضمن محفوظات الحكومة السوفيتية أيام كان يرأسها لينين .

● وقد كان للشيوخ عبد العزيز جاويش جهوده الرائعة في الحرب العالمية الأولى وقد اختلف مع فريد بعض الوقت ، ثم عادت الأمور الى مجاريها الطبيعية والشيوخ جاويش لم يعرف طوال تلك السنين طعما للراحة ، جاب - كما يقول الأستاذ أحمد وفيق - سهول وجبال أوروبا من الدردنيل الى سويسرا ، ثم منطقة القتال النمساوية الى السويد وطوى فيافي آسيا من البوسفور الى قناة السويس ، دون كلل أو ملل ينتهز وقت الراحة عقب تحرير المقالات أولقاء الخطب والمحاضرات العديدة : لتأليف الكتب وتصنيفها وكلها دائرة حول المسألة المصرية : كان يكتبها باللغات الانجليزية ، والعربية أو الألمانية التي أتقنها كما أتقنها محمد فريد وصحبه ، وسافر الشيخ جاويش مع الحملة المصرية ، وبقي في القدس الشريف ثم عين مديرا لجامعة القدس وجامعة المدينة التي كان يراد انشاؤها وعاد الى الاستانة واستمر في اصدار مجلة العالم الاسلامي وكانت لا تقل أهمية واهتماما بالاخراج واختيار كتابها من كبار الساسة وعظماء الرجال عن أية مجلة أوروبية كبرى ولدى مذكرات خطية للشيخ جاويش اعتقد ان نشرها سوف يحدث دويا وطنيا هائلا !! .

● ومن قيادات الحزب الوطني في أوروبا - أيام الحرب العالمية الأولى - اسماعيل لبيب الذي هاجر مع الزعيم محمد فريد منذ عام ١٩١٢ وسار معه

أينما رحل وقد عاد الى مصر عام ١٩١٤ ، ثم عاد الى الآستانة ليكون في مقدمة قادة الحملة المصرية التي أعدت لتحرير مصر من ناحية سيناء ! وعندما أصدر المسيو دلو ز كتابه « الحالة في مصر » مؤيدا فيه الاحتلال البريطاني ، رد عليه اسماعيل لبيب في كتاب أسماه « مركز مصر » تحدث فيه عن المسألة المصرية من نواح عديدة : مالية وصناعية وزراعية وصناعية ، وحربية وبحرية .

وقد ألف اسماعيل بك مع محمد فهمي وعلى الشمسي ، ويحيى الدرديري وكيل جمعية أبى الهول بجنيف كتابا عن مصر أسموه : مصر ، ومؤتمر السلام ، وتكلموا فيه عن مصر ، ومبادئ ويلسون واستقلال مصر قبل احتلال إنجلترا لها .

● وقد وضع محمد فهمي في سنة ١٩١٧ كتابا أسماه المسألة المصرية منذ عهد محمد علي حتى اعلان الحماية على مصر ، وكان يلقي المحاضرات والخطب في المؤتمرات الدولية ، ويكتب المقالات الطنانة في كثير من كبريات الصحف العالمية وقد شنت عليه جريدة الطان الفرنسية حملة شعواء بمناسبة خطبة عن مصر في المؤتمر الاشتراكي الذي عقدت بمؤتمر لوزان سنة ١٩١٥ وكانت صحيفة الطان قد حرقت كلامه لتستثير الحكومة السويسرية ضده . ولتحملها على اخراجه من بلادها ارضاء للمستتر لويد جورج السياسي ، البريطاني المعروف الذي كان محمد فهمي قد انتقله نقدا مرا ، لموقفه وموقف حكومته من مصر .

● وكان د. منصور رفعت يقيم في سويسرا ، وقت أن أعلنت الحرب ، وقد حقق معه البوليس السويسري وأذره بأنه اذا وزع صحيفته في سويسرا فلن تتوانى الحكومة السويسرية في اخراجه من بلادها ، ولكن د. منصور رفعت - كما يقول أحمد وفيق - لم يلتزم بتعليمات البوليس السويسري فعهد الى توزيع الصحيفة على صناديق البريد الخاصة وقامت السلطات السويسرية باخراجه من أرضها وبالفعل اتجه الى ألمانيا وبقي بها الى أن أعلنت الهدنة وقد أصدر عوض البحراوى واسماعيل كامل - من قادة الحزب الوطنى مجلة أسماها « مصر » ، وكانت تصدر في سويسرا في الخامس عشر من كل شهر .

● ومن قادة الحزب الوطنى - فى الخارج أيضا - عبد الملك حمزة ، الذى هاجر الى مصر مع رفاقه فى أغسطس ١٩١٤ وعاش فى الاستانة ثم برلين وأصدر هو والشيخ جاويز مجلة العالم الاسلامى باللغة الألمانية وكتب فيها كبار السياسة الألمان ، والأتراك ، والعرب . ومن بين هؤلاء القادة بل وفى مقدمتهم أحمد وفيق الذى أقام فترة طويلة فى إيطاليا كان فيها - كما فى غيرها من العواصم الأوروبية - صوت مصر ، المدوى وكانت له علاقات وثيقة بكبار الاشتراكيين فى إيطاليا ، ولقد أوشكت على الانتهاء من كتاب عن جهود فريد بك ورفاقه فى المنفى معتمدا على كثير من الوثائق التى لم تر النور بعد وفى مقدمتها

أكثر من ٢٠٠ خطاب بعث بهما محمد فريد من المنفى ، الى أهله وأصدقائه وتلاميذه في الحزب الوطني : لقد كان هؤلاء الأبناء بقيادة فريد بك في المنفى المعبرون الحقيقيون عن آمال شعب مصر بعد أن قام الاحتلال بكبت أنفاس الشعب المصري طيلة سنين الحرب فلم يسمع للشعب المصري صوت ، ومن الغريب أن هؤلاء الذين كافحوا وقاتلوا وتعذبوا في سبيل خدمة القضية المصرية سنوات عديدة لم يذكرهم أحد من بنى جلدتهم ، بينما ذكروا أولئك الذين كانوا يتمسحون بأعتاب الاحتلال البريطاني في مصر وبأذيال سلطان مصر وقتذاك .

مذكرة سرية للتخديو عباس حلمي الثاني

● وقبل أن تنتهي من الحديث عن جهاد الشعب في أيام الحرب العالمية الأولى يسعدنا أن ننشر نص مذكرة كان قد بعث بها التخديو السابق عباس حلمي الثاني الى ملك البلجيك (في ١٥ أبريل ١٩١٦) وهي ضمن المذكرات التي لم تنشر من قبل والتي شرح فيها التخديو للملك ألبير ظروف منعه من العودة الى مصر ، وسوف ننشر تلك المذكرات في كتابنا عن محمد فريد في المنفى اذا ما كان في العمر بقية : قال التخديو عباس حلمي :

وصلت الى الاستانة بارحة عيد الدستور التركي ، وحضرت في الساعة النامنة من صباح اليوم التالي العرض العسكري لسنة ١٩١٤ حيث دعاني الصدر الأعظم الى حفلة استقبال في المساء . وهناك تعرفت بمستشار السفارة الانجليزى الذى كان يقوم بأعمال السفير .

وفي اليوم التالى ذهبت لتأدية الزيارة الرسمية الى الباب العالى ، وعند خروجى منها وقع على اعتداء ، ولم تكن سفارة انجلترا بأمرى لدى السلطات التركية التى أجرت تحقيقا مدنيا أرسل تقريره الى مجلس الحرب دون أن تترتب عليه ولا على التحقيقات القضائية أية نتيجة .

• وكان من أمر سفارة انجلترا أن أظهرت عدم اكتراثها التام .

وقع الاعتداء في ٢٦ يوليه وفي ٢٨ من الشهر ذاته كان اعلان الحرب من النمسا على صربيا ، وتلك الاعلانات الأخرى المعروفة التى انتهت في ١٣ أغسطس باعلان انجلترا وفرنسا الحرب على النمسا .

ولما رأيت الحوادث تتداعى بسرعة قررت العودة الى مصر في الحال - على الرغم من حالتى الصحية - كي أقوم بواجباتى نحو بلادى . فأصدرت الأوامر ليختبى بالاستعداد للسفر ، كما أخطرت بذلك جميع أعضاء الأسرة التخديوية المصطفين في ذلك الوقت بالاستانة .

وعاد سر لويس مالت السفير من اجازته ولم يعدنى ليسأل عن صحتى ، بل لم يعلنى بعودته . زاعما أن المراسم تقضى بأن تكون أولى الزيارات المتبادلة من قبل أنا .

فلما أصبحت قادرا على الخروج قصصت سفارة انجلترا وأدبت زيارته دون أن أقابل السفير لأنه كان متغييا عن الدار . ومضت الأيام الى أن جاء اليوم الرابع والعشرون من شهر سبتمبر ، فزارنى ترجمان شاب أعلنتنى أن السفير يريد مقابلتى ليبلغنى أن انجلترا لا تنظر الى وجودى فى الاستانة بعين الرضا .

ويوم الاثنين ٢٦ أكتوبر زارنى السفير وأكد لى فى بداية حديثه أن العلاقات بين الحكومة البريطانية والحكومة العثمانية قد وصلت الى حالة تجعل استمرار اقامتى فى الاستانة أمرا غير مرغوب فيه من جانب الوزارة الانجليزية . فافهمته انى لا أتمسك اطلاقا بالبقاء وأنى مستعد للعودة الى بلادى فى الحال .

عندئذ صرح لى السفير فى وضوح بأن الحكومة البريطانية ليست على هذا رأى وأعلننى أن حكومته ترغب فى أن ترانى مسافرا الى ايطاليا حيث تتعهد الحكومة باستئجار دار لى فى مدينة ايطالية أختارها .

ولما كنت حرا فى حركاتى وتنقلاتى الى حيث أشاء فقد عرضت عليه أن أقصد الى سويسرا أو الى أى بلد محايد آخر ، فاعترض بأن المجاعة ضاربة أطنابها فى سويسرا فلا أستطيع الذهاب اليها ، وأن الحالة الوحيدة التى تقبلها انجلترا انما هى حالة اقامتى فى ايطاليا .

وأمام رفضى نهض وانسحب ، ولم تكن بينى وبينه بعد ذلك علاقة . وغادر السفير الاستانة فى ٣ نوفمبر .

وانى أود أن لاحظ أن السفير قبل انتهاء الحديث - وحين كان يتهيأ للانسحاب - سألنى هل لدى شىء أقوله له ، فأجبته أنى معتمد على عدم تحيزه فى نقل أنباء حركاتى وأعمالى فى الاستانة الى الحكومة البريطانية .

ثورة الشعب فى ١٩١٩ (جلور الفعل الفئائى)

● لى رأى خاص أومن به الى أبعد حدود الايمان ، ومنذ فترة طويلة واعتز به فى الوقت ذاته الى أبعد حدود الاعتزاز وهذا رأى يتلخص فى أن ثورة ١٩١٩ من أعظم ثورات العالم ، فهى - مثلا - أول ثورة فى افريقية وأسيا بعد إعلان الهدنة فى نوفمبر ١٩١٨ .

وهي - مثلا من ناحية أخرى - كانت نموذجا لغيرها من الثورات وخاصة بالنسبة للهند حيث أكد المهاتما غاندى زعيم الهند ، أن الهند اقتدت بمصر في ثورتها ضد الاحتلال البريطاني .

ومن ناحية ثالثة ، كانت هذه الثورة تلقائية ، لم يقم أحد بتنظيمها ولا للاعداد ليا بدليل أن زعماء مصر وقتئذ : سعد زغلول وعبد العزيز فهمي ، ومحمد محمود . قد فوجئوا بها .

وبدليل أن بعضهم قال لزعماء الشباب الذين بدأوا الثورة في ٩ مارس ، بدون تخطيط : دعونا نعمل في هدوء .

ومن ناحية رابعة - مثلا - أنها كانت شعبية بكل ما في كلمة شعبية من معان ، فقد جمعت الشعب كله ، وهي كانت للمسلمين والمسيحيين ، وهي ليست ثورة طبقة معينة ، وإنما هي ثورة جميع الفئات والطبقات والاتجاهات والميول ، والعقائد ، وقد أحببت تلك الثورة منذ طفولتي وكنت أحب الاستماع الى قصص أبطالها من أبي وأعمامي وأخوالي وأقاربي ، وكل أبناء قريتنا ، الذين كانوا يحلو لهم الكلام عن تلك الثورة ، وأكثر مما كان يحلو لهم الكلام عن « هوجة عرابي » و « الولس » - الحيانة - الذي كسر عرابي .

وكان يوجد على مقربة من قريتنا بعض المعالم التاريخية والاماكن الاثرية ذات العلاقة الوثيقة بتلك الثورة .

وكم تمنيت - حتى وأنا طفل صغير غير مميز - لو أنهم أقاموا متحفا صغيرا في كل قرية أو مدينة شهدت أحداثا من أحداث تلك الثورة .

وعندما كبرت وانتقلت الى العاصمة ، كان يحلو لي باستمرار أن أسعى الى أولئك الذين شاركوا في أحداث تلك الثورة .

وكنت باستمرار أسميهم الشهداء الأحياء .

وكان هؤلاء الشهداء يقصون على ما لم أقرؤهم في الصحف ولا في الكتب وكان بعضهم وقد صام عن الكلام سنوات حتى لا يضار باعتباره من قيادات ثورة ١٩١٩ قد انطلق في الحديث . معي عن : أسرار تنشر للمرة الاولى .

بطولات ، لم يعرف أحد عنها شيئا بدأنا نسمع عنها .

وفي عام ١٩٥٣ ، حملت آلة تصوير وكنت قد اقتصدت ثمنها من مرتبي المتواضع بل الهزيل يومئذ وانطلقت أطوف مصر من أقصاها الى أقصاها باحثا عن أولئك الشهداء الأحياء .

• وكلما سمعت عن واحد من زميل له ، أخذت عنوانه ، وانطلقت اليه .

واذكر اننى قضيت أكثر من اسبوعين فى أسيوط ، من أسيوط الى دبروط ومن دبروط الى كل الاماكن التى شهدت احداثا ثورية هامة فى مديرية أسيوط وقتئذ .

وفى الشرقية قضيت أيضا أكثر من أسبوعين باحثا ومنقبا حتى بعض القبائل التى تسكن فى أماكن ثائية ، كنت أسعى اليها .

وقد حز فى نفسى وأنا فى التل الكبير ان الانجليز كرموا قتلهم فى موقعة التل الكبير ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ فى لوحات تذكارية قائمة بينما نحن لم نكرم شهداءنا ولم نرفع لوحة واحدة تشير الى أنه كان هنا أعنف قتال عرقته مصر فى تاريخها الحديث .

وفى الاسكندرية عشت فى مهرجان وطنى هائل ، وخطير ، فلم يكد الحاج رمضان زيان شيخ فدائيى الاسكندرية يعرف الهدف من رحلتى الى الاسكندرية حتى قادنى الى كل زملائه وغير زملائه ممن شاركوا فى تلك الثورة .

وقد أسعدنى أنهم جميعا - وبدون استثناء - لم يفقدوا أبدا أرواحهم الثورية ولم يحزنوا أبدا لأنهم أنفقوا شبابهم فى خدمة تلك الثورة بل كانوا يؤكدون لى أنهم لو أعيدوا الى شبابهم ، لعادوا الى ما كانوا عليه ثوارا مقاتلين .

كانوا يقولون ذلك والمجتمع قد ظلمهم ظلما بينما فلم يعرف لهم سبابق جهادهم وحسب وانما تعمد الانتقام منهم ، فسلبهم حقوقهم ا

● وقد أعجبت الى حد كبير بشخصية د سيد محمد باشا - وباشا كنية لا لقب - كان أحد زعماء الطلبة فى ثورة ١٩١٩ وكان أشجعهم وأقدرهم على الانتقال من مكان الى مكان .

ثم كان صاحب ذاكرة حديدية وما أكثر الجلسات التى استمعت فيها الى أحاديثه عن تلك الثورة كيف بدأت وكيف سارت ثم كيف بلغت الذروة ، ثم كيف أصابها دواعى الضعف بعد أن تسرب الى قادتها وباء الفرقة والانقسام . كان يروى لى الكثير من أغاني الثورة ، وأناشيدها :

يا عم حمزة ، اجنا التلاميذة ، ما يهناش ، فى القلعة نبات ولا فى الحافظة .

مستبيعين ، ناس وطنيين ، واخدين ع العيش الحاف والنوم من غير لحاف .

ومرة ذكر لي أن وفدا من زعماء الطلبة ذهب الى بيت زعيم الأرمن في مصر ،
الذين انضموا للإنجليز وكان الإنجليز قد سعوا لاجداث انشقاق بين مصر والنزلاء
الاجانب لكي يظهروا أن الثورة ليست ثورة تحررية وانما هي ثورة ضد النزلاء
الاجانب .

وبعد حوار شاق ، ومرير ، نجح الطلبة في اقناع زعيم الأرمن ومن معه
بأن الإنجليز هم وراء دفع الأرمن الى معاداة مظاهرات الشباب .

وقد استطاع زعيم الأرمن بتفاهمه مع رئيس الجالية أن يوقف الخوارج
من الأرمن عند حد .

ويذكر لي أنهم - زعماء الطلبة - لم يكونوا يجدون أسلحة يستخدمونها
في تلك الثورة ضد قوات الاحتلال البريطاني بعد أن اعتمدوا على العصي والوطوب
والخناجر ، والسكاكين ، فليجأوا الى أصحاب صالونات الحلاقة ليأخذوا منهم
الأمواس التي يستخدمونها في بقر بطون الخيل التي يركبها الإنجليز وهم
يطاردون المواطنين حتى اذا سقط الجواد كان من السهل القبض على راکبه .

● وعن جريدة المصرى الحرة التي أصدرها سيد باشا وزملاؤه من الطلبة
قال سيد باشا : اكتشف الإنجليز أمر تلك الجريدة فراينا أن نسرع في نقل
مطابعها الى مكان آخر فحملناها على ثلاث عربات كارو وانزويها بها في زقاق
بعيد ، وكنت أرتدى الثياب البلدية ، فرجعت الى رأس الشارع خشية أن يكون
أحد جواسيس الإنجليز قد تبعنا وصبح ما توقعت فقد رأيت بعضهم يتابع خطانا ،
ولكن هذا البعض لم يكشف أمرى فاقترب منى وسألني : هل رأيت عربة محملة
بالحديد ، فأجبته بلهجة أولاد البلد : اننى رأيته تتجه بسرعة الى ناحية بعيدة
أشرت اليها .

وهكذا اتجهت المطابع التي أخفيها عند أحد أصحاب الكارو ثلاثة أيام
حتى نقلناها الى بيت مواجه لقسم الخليفة .

وقد رأينا أن وجودنا بالقرب من القسم يبعد عنا الشبهة اذ لا يخطر ببال
أحد أن يباشر الثائرون نشاطهم في مواجهة قسم البوليس .

● وكان زعماء الثورة يتنكرون في أزياء وسمات مختلفة الا أن أحدهم
وهو الحاج أحمد جاد الله ، وكان عمره يزيد على ستين سنة ، كان يكتفى بترك
لحيته البيضاء مرسله أمامه وكانت لحيته هذه تبعد الشبهات عنه ، عندما كان
في حوادث القاء القنابل على الإنجليز واغتيالهم .

وكان الأستاذ حسن كامل الشيشيني أستاذا في مدرسة التجارة ، ولكن
دروسه كانت دروسا وطنية ، رأيت الأستاذ الشيشيني لأول مرة عند الحاج

أحمد جاد الله بشبرا - وكان الحاج أحمد جاد الله أحد زعماء العنابر - وقد توثقت الصلة بيني وبينه ، وأزعم أن الرجل النائر من داخله الهادي في مظهره ، كان أحد الذين نجحوا في دفعي الى مجال العمل الفدائي .

● وكان الشهود يقولون أنهم رأوا بين النائرين رجلا طويلا ذا لحية بيضاء ولكن الانجليز كانوا يبعدون هذه الاوصاف من قائمة المتهمين وهم يظنون أن اللحية مستعارة ، وكانت زوجة الحاج جاد الله وهي شبيخة مسنة تعاون زوجها وزملاءه في حركة الكفاح فتجلس على مقربة من المكان المعين لفـرزو النائرين وتظهر بانها تضرب الودع وتشوف البخت ، فيأتي زملاء زوجها ويتظاهرون بأنهم يودون معرفة طالعهم ، بينما هم يمدون أيديهم خلسة الى السفط (السبت) الذي تضعه بجانبها ويلتقطون منه القنابل ، والمفرقات والمسدسات التي يستأنفون بها نشاطهم ضد المستعمرين حتى اذا ما انتهت عملياتهم عادوا اليها وأخفوا المسدسات التي يستأنفون بها نشاطهم ضد المستعمرين فتعود بها الى المنزل بينما هي تنادي في الطريق : نشوف البخت ونضرب الرهل ، زين نيين .

وقد ظل الحاج جاد الله مستترا خلف لحيته البيضاء فأبعدت عنه الشبهات مدة أربع سنوات ثم كشف أمره وألقى القبض عليه وقدم للمحاكمة .

وفي المحكمة جلس القضاة الانجليز يحاكمونه فكان يطلب منهم أولا - عندما يوجهون اليه سؤالا - أن يصلوا على النبي وكان يرفض الاجابة على أى سؤال الا اذا صلوا على النبي بصوت مرتفع ، ويصلي القضاة الانجليز على النبي ولكن أحمد جاد الله ، يقول : وكان صلوا على النبي .

ويظل كذلك سبع مرات ثم ينفي الاتهام عن نفسه قائلا : بقي واحد شيخ زبي يقدر يمسك مسندس ويقتل ، يا ناس دانا رجلى والقبر كمان زيدوا النبي صلاة .

وكانت محاكمة أحمد جاد الله قفيفة الظل فكان الحاج أحمد يكثر من القاء الطرف والنكات حتى اضحك المحكمة أكثر من عشرين مرة ولم يفقد الشيخ أعصابه الا مرة واحدة ، عندما زارته أمه في السجن وقد بلغت من العمر ما جعلها لا تستطيع السير ، الا على عكازين فلما رآها كذلك بكى ، ففضضت الأم ، وقالت له : أتبكي ؟ اذن أنت لست ابني ولا أعرفك ، ان ابني كما أعرفه لا يبكي وهو يجاهد .

وصرخت به وهو الذي بلغ الستين : كن رجلا ، يا ولد .

● ويروى في غريبات سعد - وكان صديقا عزيزا - قصة تحوله من

طالب فى كلية الطب الى قاتل ، لقد تطوع - وهو المسيحى - لقتل يوسف وهبه باشا ، المسيحى ، حتى لا تقوم فتنة طائفية كتلك التى حدثت أيام أن قتل إبراهيم ناصف الوردانى بطرس غالى باشا رئيس الوزراء .

وكان يوسف وهبه قد خرج على اجماع الأمة ، فقبل رئاسة الوزارة .

ذكر لى عريان سعد ، كيف كان بعض الشيوخ والقسس يصيحون فى الكنائس : أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا .

ورأى أن يقوم هو بقتل يوسف وهبه باشا ولم يكن قد بقى على تخرجه من كلية الطب سوى أسابيع قليلة .

وعندما ألقى القنبلة على يوسف وهبه باشا لم يترك مكانه ، والا فان الغرض من ارتكاب جريمته ، لن يتحقق . اذ من المحتمل ، أن يتهم أحد المسلمين بقتله .

واعترف عريان سعد بأنه القاتل وأنه قبضى كرئيس الوزراء .

ولكنه يفترق عنه بأن دينه الوطنية .

وتجا رئيس الوزراء من الموت وعرض على عريان مبلغ عشرين ألف جنيه ليدل على شركائه فى الجريمة ، ولكنه رفض .

وقال محاميه الانجليزى ، أن كل قاتل ، يبقى عنده بعد ارتكاب الجريمة أمل فى الهرب وواحد فى المليون هو الذى لا يمكن أن يكون عنده هذا الأمل ، والواحد فى المليون هذا هو عريان يوسف سعد ، وقضى عليه بالاعدام ولكنهم خففوا عنه الحكم الى الأشغال المؤبدة ، وقد بقى فى السجن عشر سنوات حتى أفرج عنه ، وكان كل زملائه قد اصبحوا رؤساء وزارات ، ورؤساء مجلس نواب ووزراء ولكنه .. قنع بوظيفة صغيرة الى أن أنشئت الجامعة العربية فكان أحد موظفيها ! الفتيين ! وللعلم سيد باشا هرب من مصر بعد أن دخل الشقاق بين زعماء الثورة واتجه سرا الى ايطاليا ، عاش هناك ست سنوات حصل فيها على دكتوراه فى العلوم وظل عاطلا حتى سنة ١٩٣٦ حيث عينه النقراشى فى احدى وظائف وزارة المعارف !!

● وإذا كان الشىء بالشىء بذكر كما يقولون فان تقرير شفيق منصور الذى كتبه عن حوادث الاغتيالات فى مصر فى ٢٠ يونيو ١٩٢٥ الذى أرسله رسول باشا حكمدار البوليس مع مخصوص (ملازم أول بندرس المين بسجن مصر للمحافظة على المحكوم عليهم فى قضية مقتل (الماسوف عليه السردار) قد اشار الى حادثة يوسف وهبه باشا وانه تقرر اغتيال يوسف وهبه باشا فى منزل الصوفائى بحضور الصوفائى بك وعبد الرحمن الرافعى بك ، وأحمد

ماهر ، ومصطفى حمدي (ضابط بوليسي) وأنه أخذ رأى النقراشي (بك) على الأفراد وانتدب مصطفى حمدي من فرع تابع الى عبد الحى كيرة الذى كان تابعا الى مجموعة د. أحمد ماهر ، وذهب مصطفى حمدي مع عريان سعد للقيام بتمرينه .

وأنه فى يوم الحادث سلمت الى القائل قنبلتان ومسدسان وبالطو
أصفر .

وقد كذب الراقى وماهر ، والنقراشى ما جاء فى تقرير شفيق منصور ، كذلك كذبه عريان سعد الذى اعترف بأن القنبلة قد اشتراها من أحد الإيطاليين وان مصطفى حمدي لم يرافقه وأنه لا يعرفه مطلقا وأنه لم يذهب الى منزل الصوفاني مطلقا ، ولم يكن عضوا فى جمعية سرية لارتكاب الجرائم والمحاكمة وقعت فى ١٥ ديسمبر ١٩١٩ .

وكان تقرير شفيق منصور قد ذكر أيضا أن القرار الخاص باغتيال اسماعيل سري باشا قد اتخذ فى منزل الصوفاني . وبحضور ماهر ، وشرارة بك والراقى بك وشفيق منصور .

وانتدب ماهر للعمل واختير أحمد توفيق للتنفيذ وهو من فرع كيرة وجرح فى ظهره من القنبلة ، كما يشير التقرير أيضا الى حادث محاولة اغتيال محمد شفيق باشا وكيف أخذ القرار بالطريقة السابق الإشارة إليها وتم أخذ رأى النقراشى بواسطة ماهر .

● كما أشار التقرير أيضا الى حوادث محاولات قتل كل من حسين باشا درويش وتوفيق نسيم باشا وثروت باشا ومستتر براون بوزارة المعارف والمباشى كفيف والسير ينجوت وحسن باشا عبد الرزاق واسماعيل بك زهدى وغيرهما ، الحوادث التى اتهم بالاشتراك فيها محمود فهمى النقراشى وأحمد ماهر ، والحاج أحمد جا الله وآخرين ، وهى التى عرفت بقضية الاغتيالات السياسية .

● كان المحامون أمام قاضى الاحالة عن ماهر ، والنقراشى ، مصطفى النحاس ، مكرم عبيد ، محمد نجيب الغرابلى وكان دفاع مكرم عبيد عن زميله ماهر والنقراشى قطعة من الأدب الرفيع وقد بدأها بقوله : ارجو ان يعذرونا حضرة القاضى اذا ما طمعنا فى الكثير من وقته وسعة صدره فهذا الكثير انما هو قليل بازاء ما نطمح فيه من عدله وحسن تقديره ، ولقد شاء الله أن يبلوك فجعل حياة المتهمين ودعة بين يديك وان يشرقك فيصور العدل كلمة تخرج من بين شفتيك فاقض بما أنت قاض فاننا لقضائك مطمئنون ، غير أن القضية ليست قضية المتهمين فقط بل هى من وجهتها العامة قضية خطيرة فى ذاتها ، وفى نتائجها وليس ذلك لأنها قضية حزب من الاحزاب فان شفيق منصور

كان سخيا في توزيع التهم على أحزاب مختلفة أو بالاحرى ، على أفراد ينتسبون الى أحزاب مختلفة .

ولكن القضية قضية الوطن المصرى والنهضة المصرية من وجهتها السياسية وقضية الحرية الشخصية أو مؤسساتها من وجهتها الجنائية فمن الوجة السياسية تنحصر القضية فى نقطة واحدة . وهى هل حدث حقيقة أن عددا من كرام المصريين الذين اشتركوا فى النهضة المصرية ووهبوا أقصى ما فى نفوسهم من خير ومن جهد قد اشتركوا فى جرائم القتل السياسى فكانوا قتلة سفاكين لدماء الابرياء من الانجليز وغير الانجليز .

أقول كلا وأنادى بملء فمى كلا : ويكفى للتدليل على براءتهم أن أقول أنهم وطنيون مخلصون فى وطنيتهم لأن الوطنية وهى الفضيلة القصوى لا تتفق مع القتل ، وهو الرذيلة السفلى ولأنه من المحال أن يكون الشر سبيلا الى الخير ، كما انه لم يقل أحد أن الخير طريق الى الشر .

ولأنه ما من حق مهما سما يتعارض مع الحق الأسمى وهو حق الحياة .

فإذا استنكرت الوطنية المصرية جرائم القتل فليس ذلك لأنها ضارة بنا أو بغيرنا فحسب بل لأنها شر فى ذاتها وما نحن الا طلاب خير ، ولأنها اعتداء على حياة الغير وحريتهم وكل ما نطلبه هو أن نعيش تحت الشمس احرارا ولأنها ظلم بين ، وما نحن الا طلاب عدل ، وحرام ألف حرام أن نضيف الى مظالم الغير ظلما من أنفسنا لأنه اذا صح ان الظلم فى يد القوى قوة فهو فى يد الضعيف ضعف ، ان اليد التى مددناها ولا زلنا نمدها الى الانجليز والأجانب يد شريفة طاهرة كما أنها يد أبية فان أخذوها فهى لهم وان رفضوها فإلله لنا .

ويستأذن مكرم عبيد فى ان يطعن فى تصرفات هيئتتين محترمتين من نظامنا المصرى الا وهما البوليس والنيابة ، ويقول : ويزيد اسفى لأننى كرجل من رجال القانون فى نصه وروحه .

ويسمى مكرم عبيد تلك القضية بأنها قضية الاستثناءات فالأفضل أن يسأل المتهم ، ولكن فى هذه القضية يجرى التحقيق بعيدا عن المتهم ، ولا يسأل الا مرة أو مرتين .

والأصل أن لا يحبس المتهم حبسا احتياطيا حتى يقوم عليه الدليل ، أما هنا فالمتهمون حبسوا أشهر عسى ان يقوم عليهم دليل .

الأصل أن لا يسجن انسان سجننا انفراديا لمدة أكثر من أسبوع بشرط أن يكون محكوما عليه فى جريمة أولا وارتكب ما يخالف لوائح السجن ثانيا ،

أما هنا فقد حبس المتهمون حبسا انفراديا بدل الاسبوع الواحد ، أربعين أسبوعا ، تقريبا ولم يحكم عليهم فى تهمة ما .

● ويطيل مكرم عبيد الحديث عن الحالة النفسية لشفيق منصور فيقول ضمن ما يقول : انى واثق أنه لو تنسى لآى محكمة أن ترى شفيق وحالة الحجل أو الجمون التى كان فيها لما أقامت لأقواله أى وزن .

ولست فى ذلك مستنتجا بل تقرر حقيقة واقعة : والبحث فى نفسية شفيق والتعمق فى هذا البحث قد يحتم على الباحث أن يفعل كما فعل دانتى اى ينزل الى الجحيم ، فقد كان شفيق فى جحيم من نفسه ومن سجنه واذا كانت الحكومة تظن أنها قد عاقبته باعدامه فهى مخطئة فقد مات المسكين مرات عديدة قبل ان يموت موته الاخير .

وقال مكرم : وعد شفيق بتخفيف العقوبة اذا هو اعترف على شركائه وثبت أن اسماعيل صدقى باشا والهلباوى بك وعبد الملك حمزة أبلفوه هذا الوعد .

وقد كان الوعد أقسى من الوعيد فكان أثره عليه أقسى من الحمى على الجسم ولذلك كان يندفع اندفاع المحموم ويهذى هذيانه فى اتهام الأبرياء بدون حساب أو ضمير ، وكلما عاد الى صوابه عاوده شبح المشنقة المخيف وهكذا كان الوعد مصدر عذاب لهذا المسكين حتى أنه حرم من راحة اليأس واليأس احدى الراحةين .

ويقول مكرم عبيد مخاطبا قاضى الاحالة ، أما هؤلاء المتهمون الابرياء فقد تعذبوا كثيرا ولم يذنبوا لا قليلا ولا كثيرا .

ولقد وضع الله هناءهم وشقاءهم فى كفة الميزان الذى بين جنبيك فاذا خلوت الى نفسك يا حضرة القاضى فاذكر ما عاناه ويعانيه هؤلاء المتهمون وأحمد الله انك قاض وأن العدل من حقا بل من واجبك ، اذكر ما يعانيه هؤلاء المتهمون من ظلم ، واظلام وما هم عليه من ثبات ورباطة جأش واذا رأيتهم رجالا لا يكون ولا يستبكون فارحم شجاعتهم فهى شجاعة الصابرين والصبر أحر من البكاء .

وأذكر ألامهم فهى فى طيات الحفاء والجبان يجزع دون أن يتألم بينما الشجاع يتألم ولا يجزع ، وما ذلك الا أن الألم يتغلغل فى نفسه لا ترطبه دمة ولا تسلبه أنة !!

صحف الثورة

● ولكي نعطي صورة جيدة وجديدة - في نفس الوقت - للحياة في مصر ، في عام ١٩١٩ بعد أن نشبت فيها الثورة الشعبية التي أسمينها ثورة ١٩١٩ تعتمد في اعطاء تلك الصورة على أعداد من الصحف التي صدرت في ذلك الوقت ، والتي يعتبر تواجدها سليمة غير منقوصة ثروة تاريخية هائلة وفي مقدمة ما نعلم عليه أعداد من جريدة النظام التي كان يصدرها الصحفي الوطني الكبير الأستاذ سيد علي الذي كان في مقدمة من بعث بهم مصطفى كامل الى فرنسا لدراسة الصحافة هناك دراسة علمية متطورة ، والتي أهدنيها صديق العمر الأستاذ أحمد سعيد الاعلامي الكبير ومدير صوت العرب الأسبق فكان كريما للغاية .

وسأحاول في تلك الصورة التي أرسم بها الحياة وقتئذ أن أهتم بالجوانب السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والتعليمية ، لتكوين الصورة كاملة غير منقوصة ، ولكي ينتقل القارئ من أيامنا هذه ، ليعيش مع شعبه في ١٩١٩ مع ملاحظة أن الرقابة على الصحف وقتئذ كانت قاسية وعنيفة وكانت لا تسمح بنشر أخبار الثورة الا نادرا .

وكان بعض الصحفيين الأذكياء يتحايلون على تلك الرقابة فينشرون بعض ما يريدون نشره من أحداث ووقائع بطرق مختلفة وأساليب متباينة - اهتمت مثلا - الصحف في ١١ أغسطس ١٩١٩ باعتصاب (أى اضراب) عمال الترام مؤكدة أن عمال المترو يتوعدون باضراب لهم أيضا وذلك بسبب غلاء المعيشة الذي بلغ مبلغا لا يطاق وقيام المدير الجديد لشركة الترامواي باستبدال العمال بغيرهم ، رويدا رويدا فيطردهم واحدا وراء الآخر بلا محاكمة ولا مناقشة .

ويؤكد هذا المدير الجديد أن كل ما يقوم به من أعمال بوجي من مجلس ادارة الشركة في بروكسل .

وتشهر الصحف الى مطالبة عمال المترو بجعل ساعات العمل ثمانية وزيادة ثلاثين في المائة من الأجر وثلاثة أيام راحة في الشهر ومعالجة المريض ومكافأة من يترك الخدمة بمرتب شهر عن كل سنة وأن يكون للعامل الحق الركوب مجانا وعلاوة سنوية وأن يكون لكل قسم من أقسام العمل لائحة تقرأها تقابتهم .

وتنشر الصحف أنباء عقد اجتماع لمحافظ القاهرة بحضور أحمد لطفى بك وزكى أفندى العريبي ، وأمين أفندى عز العرب وحسين أفندى رياض صبحي

المحامون عن عمال ترام العاصمة : كما تشير الى المذكرة التي قدمها لخفي بك عن حقيقة مطالب العمال القاضية بأخذ فائدة على تأميناتهم المودعة لدى الشركة .

و « يعتصب » في ٣٠ أغسطس ١٩١٩ عمال محاليج القطن بدمنهور زانهم يعملون من ستة عشرة ساعة الى ثمانية عشرة ساعة كل يوم ويتقاضون على ذلك أجورا تافهة لا تقوم بلوازم العيش في هذه الأيام التي اشتد فيها الغلاء الى حد لم يكن في الحسبان .

ويشكو العمال في نفس الوقت من تشغيل الاطفال انانا وذكورا فوق طاقتهم وتشغيل النساء ليلا في ظروف تدعو الى تداخل من يمه الآداب العامة .

● وتنشر الصحف - في ٨ سبتمبر ١٩١٩ بيان الحزب الديمقراطي ودعوة الجماهير الى الانضمام اليه ليقوى وكيف أنه لا يقصد هدم بناء غيرنا إنما نرفع صرحنا ونكتب على أبوابه آمالنا ونرسم فيه خطتنا التي نتبعها في الأمن ، والعمل .

ويعلن بيان الحزب عن شعار الحزب « حقنا نطلبه وواجبنا نؤديه » وكان مجلس ادارة الحزب من ابراهيم الشواربي المحامي ، وأحمد أبو النصر المحامي ، وأمين عامر المحامي وحسين يوسف المحامي ومحمد سامي كامل الطبيب ، ومحمود عزمي المحامي ، مصطفى عبد الرازق سكرتير المعاهد الدينية ، الدكتور منصور فهمي ، عزيز سيدهم المحامي .

ومبادئ الحزب الديمقراطي تتلخص في استقلال مصر داخليا وخارجيا وتفويض الشعب سلطته الى هيئة نيابية تنتخب على أكمل طريقة لتمثيله تمثيلا صحيحا .

ويكون من اختصاص تلك الهيئة فرض الضرائب ومحاسبة الحكومة والمساواة بين المصريين في الحقوق والواجبات وحرية القول والكتابة والاجتماع وجعل التعليم الابتدائي عاما واجباريا ومجانيا للبنين والبنات وترقية الطبقات العاملة ادبيا وماديا واعانة من لا يستطيع العمل والاعتراف بحق كل شعب في حكم نفسه .

● والجدير بالذكر أن كل الطوائف كانت قد أنشأت نقابات خاصة حتى كان البعض من أعضاء أية فئة يعلنون عن انشاء نقابة لهم مهما كان عدد الأفراد ، وغالبا ما يتخذون شخصية بارزة ليعهدوا اليها بمهمة المستشار الخاص بنقابتهم وأذكر أن عمال الاسبرتو قد اختاروا الاستاذ منصور فهمي مستشارا لنقابتهم ، وأذكر أنه كان لكتبة المحامين نقابتهم ولماذوني الشرع نقابتهم بل ان

الكثير من فئات الطلبة كانت لهم نقاباتهم ، فلطلبة دار العلوم نقابتهم ولطلبة المعاهد نقابتهم ولطلبة مدرسة المهندسخانة نقابتهم وعمال الكنس والرش بهذه المدينة أو تلك لهم نقابتهم .

● وكان للمرأة المصرية نشاطها في كل المجالات فالى جانب اشتراكها وتنظيمها للمظاهرات ، كان لها نشاط آخر ، من بينه - مثلاً - : جمعية السيدات المصريات ببورسعيد مثلاً تحيط علم الأمة بأنها قررت الاعلان بطريق النشر على صفحات الجرائد الحرة بتحذير الشعب المصرى فردا فردا من الجنس اللطيف والنشيط من التوقيع على أية ورقة كانت لها علاقة بلجنة اللورد ملنر لا بوجه من الوجوه ولا بسبب من الأسباب حيث أننا فيما سبق قد وكلنا نحن جميعا الوفد المصرى الكريم فى المطالبة بتحرير بلادنا ونحن نحتج بشدة ونعتبراً من كل انسان يخالف ذلك) .

وتنشر الصحف للآنسة سعاد أحمد ببنى سويف بياناً قالت فيه أنها فتاة مصرية تحب بلدها من كل قلبها ، « وباسم مصر ، أطلب الى كل مصرى وكل مصرية أن يعمل على مقاطعة لجنة للنر ، مقاطعة ترددها بخفى حنين » .

وتنشر الصحف كلمة لحنيفة أحمد كشك (الاسكندرية) قالت فيها أنها تأملت جدا لمرض محمد فريد بك وأنها تضم صوتها الى صوت المطالبين والمطالبات بعودته الى وطنه ، وان كنت - حنيفة - على ثقة مطلقة من أنه يفضل أن يبقى فى الخارج مجاهداً فى سبيل الوطن الى أن تنال البلاد استقلالها .

● وتنشر الصحف - فى أواخر أكتوبر ١٩١٩ بيانات موجزة عن مظاهرات القاهرة وكيف أن مصلحة التنظيم طلبت من وزارة الحربية عدم ايفاد الموسيقى العسكرية الى حديقة الأزبكية حتى تصدر أوامر أخرى ، وبذلك لم تصدح الموسيقى فى يوم الأحد الماضى خشية حدوث مظاهرة كالتى وقعت فى مساء الجمعة السابق .

وقد تظاهر طلبة مدرسة الجمعية الاسلامية الثانوية وخرجوا بمظاهرة مروا بها على بعض المدارس الالهامية والرشاد ، وغيرها وكانوا يهتفون بتضامن الطلبة وبحياة سعد باشا وسقوط الاستبداد .

وتشير الصحف الى مظاهرات قامت بها صغار الطالبات فى مدارس البنات وتخللت بعض الشوارع وهن يهتفن لمصر ، وللحرية وقد انتهت مظاهرتهن بسلام .

ويحضر الأستاذ محمد أفندى كامل البندارى المحامى ، أمام محكمة الجنيح الجزئية فى عابدين يوم ٤ نوفمبر للدفاع عن الطلبة المحتجزين فى قسم

الأزبكية • ومن بين أولئك المتهمين محمود عبد السلام ، ومحمود رشدي وعبد المجيد أحمد زكي نجيب والشيخ أحمد عمار بالأزهر الشريف وكامل محمد من الفلاحين وراتب يوسف (حمال) وعوض حسن (طباح) وصديق محمد (خادم) •

● وتنشر الصحف في ٢٩ أكتوبر ١٩١٩ تلغرافا بعث به طالبات مدرسة المعلمات الى رئيس الوزراء محتجات على اطلاق الرصاص على المتظاهرين العزل بالاسكندرية وكذلك أضربت طالبات مدرسة المعلمات بيا يوما كاملا وأرسلن تلغراف احتجاج الى رئيس الوزراء على ما حدث بالاسكندرية من قتل النفوس وعدم سحب الجنود الانجليز من شوارع الاسكندرية •

وقد أمر قاضي محكمة عابدين ، بالافراج عن المقبوض عليهم في الحوادث التي سبق الاشارة اليها لأن النيابة لم تحصل على اذن بالقبض من القضاة الجزئي المختص •

● وتنشر جريدة النظام في ١٤ نوفمبر ١٩١٩ ورقة من أوراق الشاعر الكبير حافظ ابراهيم وتهديها الى الأمة المصرية وقد كان من بين أبيات قصيدة حافظ ابراهيم التي لم تنشر من قبل :

ولت بشاشة دنيانا ودنياك	وفارق الأنس مغنانا ومغناك
حماك دوني أسود لا يطاولها	شاكى السلاح فكيف الأعزل الشاكى
وجشمنوني على ضعفى وقوتهم	أن أمسك القول حتى عن تحاياك
وارصدوا لى رقبيا ليس يخطئه	هجس الفؤاد اذا حاولت ذكراك
يحصى تردد أنفاسى ويمنعنى	نفخ الشمائل ان جازت برياك
منعت حتى من النجوى وسلوتها	وكم تعللت فى البلوى بنجواك
ما كاد يأتى على نفس ويوردنى	موارد الحثف الا حبك الذاكى
تناولت ما وراء النفس غايته	وقر فى خلجان القلب منواك
قالوا سلا عنك غدرا وابتغى بدلا	وكان بالأمس من أوفى رعاياك
كم لى أحاديث شوق لا تنافحها	زهر الرياض ولا يسمو بها الحاكى
أن تنكريها فكم طار الرواة بها	الى حماك وكم قد عطرت فاك
ستعلمين اذا ما الغمرة انحسرت	من صد عنك ومن بالنفس فداك
رميت عنك الى أن خائنى وترى	ولم أضن فى اسارى عهد نعامك

● وتنشر الصحف في ١٤ ، ١٥ نوفمبر احتفالات مصر بعيد الجهاد ، ولم يكن قد سمي بعد عيد الجهاد وانما سمي ببدء النهضة الوطنية •

وكان الاحتفال الأكبر قد أقامه الشيخ الوقور محمود سليمان باشا رئيس لجنة الوفد المركزية حيث اجتمعت - كما قيل في الصحف - الأمة بأسرها وكان من بين الذين شهدوا الاحتفال الأكبر : ابراهيم باشا سعيد ، ومحمود باشا أبو حسين وعبد الحالق باشا مذكور وعبد الرحمن فهمي بك وحافظ بك عفيفي ، وويصا واصف بك وسينوت حنا بك والدكتور محبوب ثابت وأحمد بك الشيخ وأمين بك الرافعي وحفني بك محمود ، ومحمد عبد الكريم بك عسران وعبد الحليم البيلي بك ونحو خمسة آلاف مصرى هتفوا للوفد وللحرية والاستقلال وقد ألقى في الاحتفال الشيخ مصطفى القاياتي قصيدة قال فيها :

قد سعينا نطلب الحق وما بين أيدينا رصاص أو أسل
فاشهدوا فينا وعنا أبلغوا أنكم أنتم مع الحق رسل
قد خلعنا النير عنا فانثروا ، أن شعب النيل بالنيل استقل

وكان من الخطباء في ذلك الحفل الأب القصص سرجيوس .
وعندما ذكر بعض ما حدث له في معتقل رفح قوبلت كلماته بالتصفيق
والهتاف ودعت كلماته محمود باشا أبو حسين الى تقبيله في جبينه بين هتاف
عال وتصفيق حاد .

وألقي الشيخ زكي مبارك أبياتا وأعقبه الشيخ مهدي علام الطالب
بدار العلوم .

وألقي قصيدة عصماء من بين أبياتها :

سعد وكيل القطر من شيخ الى طفل وليد
كل يعضد رأيه والرأى من سعد سديد
والله يجعل نجمه رغم الأعادي في صعود
يا سعد والأنباء تنمى ما تشاء وما تريد
قالوا سنجعله رئيسا للوزارة من جديد
ظنوا بأن حقوقنا سلع تساوم كالعبيد
ليست مطالبنا لتقبل أن تنقص أو تزيد

الى أن يقول :

فليحيى سعد مجاهدا عن حوضنا أبدا يذود
ولنحيى عيد جهادنا عيد الهناء والسعود

وتوالى الخطباء وخرج الجميع الى الأزهر الشريف حيث كان قد سبّغهم اليه
أكثر من ثلاثين ألف مصرى . ووقف المشيخ محمود أبو العيون وببده العلم

المصري ، وعلى رأسه علم أخضر نقشت عليه آيات التضامن والوحدة ووقف الى جواره الأب سرجيوس والاستاذ العالم مصطفى افاياتى الخ . الخ .

● وتنشر الصحف - وخاصة النظام - فى ٢٠ نوفمبر نبأ وفاة الزعيم الفريد محمد فريد وتنشر تاريخه بالتفصيل كما تنشر آخر خطاب له بعث به الى صهره اسماعيل بك لبيب يقول فيه : اننى فى حدود ألمانيا الآن ، وسأثر فى طريقى الى برلين لأجرا عملية جراحية وأنا متوكل على الله .

وكان فى مقدمة المعزين محمود سليمان باشا واسماعيل صدقى باشا . وأرسل سعد باشا زغلول الى على بك الشمسى تلغرافا هذا نصه : « موت فريد بك أحزننا فنعزيكم العزاء الجميل » .

وأرسل حمد باشا الباسل وعبد النظيف المكياتى ، ومصطفى النحاس البرقية التالية : « تأثرنا تأثرا شديدا لموت فريد بك فنعزيكم العزاء الجميل » .

● وقد تألف الحزب المستقل فى منزل الدكتور عبد الحميد بك العربى بعضوية محمد أفندى ابراهيم علال وشريف باشا وعزمى باشا وحسين بك تيمور وتوفيق بك شهاب الدين وحسن بك مراد أعضاء مجلس الحزب وانضم الى مجلس الحزب الأساتذة عبد الباقي سرور محرر الأفكار السابق وعبد الحليم أفندى الغمراوى المحرر بالنظام ، وثلاثة من الطلبة أولهم من الحقوق ، وثانيهم من المهندسخانة وثالثهم من دار العلوم و . و .

نهضة اقتصادية

● وطلعت حرب محرر النهضة الاقتصادية التى قامت بمصر فى أعقاب ثورة ١٩١٩ بل وقبلها بقليل من مواليد قصر الشوق بجهة الجمالية بالقاهرة وكان أبوه من عائلة حرب بناحية ميت أبو على من رجال أعمال الزقازيق ، وقد آمن - منذ مطلع شبابه - بأن النهضة السياسية لابد وأن تسير الى جانبها نهضة اقتصادية وأن الأعمال المالية والصناعية والتجارية يجب أن تعتمد على المصريين بعد أن تهرب منها الكثيرون وقد دعا طلعت حرب الى ضرورة علاج مشاكلنا الاقتصادية ، بالاعتماد على المصريين وأموالهم فى مؤتمر عقد بالقاهرة سنة ١٩٠٨ ولم تجد دعوته النجاح المرجو فأعادها فى ١٩١٠ ونشر كتابا كان عنوانه « علاج مصر الاقتصادى ومشروع بنك للمصريين أو بنك الأمة » وراح يكتب فى الصحف مؤيدا دعواه بكل الأدلة وما أن اشتعلت ثورة ١٩١٩ حتى رمى بفكرته فى أتون تلك الثورة ونجح فى ربط الاقتصاد بالسياسة ونجح فى ذلك الى حد كبير واستطاع مع بعض رفاقه أن يعلنوا - فى ٧ مايو ١٩٢٠ - ميلاد بنك مصر ، الذى كان - وحده - ثورة اقتصادية : بأل البنك متواضعا

للفاية برأس مال قدره ثمانون ألف جنيه ، كانت أسهم البنك مصرية لا يملكها الا المصريون ، وتعرض قيام بنك مصر ، لمزيد من السخرية بضالة رأسماله وتوقع الكثيرون للبنك ، الفشل الذريع ولكن طلعت حرب لم يأبه بتلك الحملات الساخرة فاعلن أن برنامج البنك يتلخص في تشجيع المشروعات المشروعات الاقتصادية المختلفة التي تعود على البنك وعلى البلاد بالخير الجزيل وفي المساعدة على انشاء الشركات المالية والصناعية والتجارية والزراعية وكذلك انشاء الغرف التجارية والنقابات التعاونية للزراع والصناع والتجار وبث روح العمل والتضامن في الشبيبة المصرية والبحث على وضع أساس سليم للتربية الاقتصادية .

وأشرف طلعت حرب على أعمال البنك مبتعدا - ومنذ اليوم - عن السياسة الحزبية حتى يكون بنك مصر ، لجميع أبناء مصر وزاد بسرعة رأس مال بنك مصر وأصبحت له شهرة عالمية .

وبدأ طلعت حرب المرحلة الثانية من برنامجها الاقتصادي فأنشأ - أول - ما أنشأ - مطبعة ومكتبة مصر ثم وجه عنايته الى القطن - المحصول الرئيسى للبلاد - فجعل له سلسلة حلقات متصلة بعضها ببعض كالحليج والنقل ، والغزل والنسيج والتصدير والتأمين .

وبعد القطن جاء - فى التصنيع - دور الحرير والكتان، واتجه طلعت حرب بعد القطن والحرير والكتان الى النقل فى البحر ، وفى النهر وفى الجو ، ثم اتجه الى السينما وكان أول من وظف السينما لصالح مصر والمصريين وأول من ساهم فى توجيه السينما وجهة وطنية قومية أثرت الى حد كبير فى وجدان الشعب المصرى .

ولم يكن بنك مصر ، بقيادة طلعت حرب ينافس المشروعات الحكومية ولا الحكومة ، وانما كان يتعاون معها ، فى كل المجالات : فى البناء والانشاء والتعمير وكسب ثقة الوزارات المتوالية ، كلها اذ لم يكن الرجل يؤيد وزارة ويعارض وزارة ، وانما كان متعاوناً مع جميع الوزارات ، حتى راحت الوزارات كل الوزارات - بعد أن قويت شوكة البنك - تخطب وده ، وليست بقيادة - حتى اذا أرادت وصممت - أن تنال من البنك شيئاً .

وكان طلعت حرب من دعاة الوحدة العربية ، وأول من طبق الوحدة العربية تطبيقاً عملياً دون شعارات أو هتافات . كان بنك مصر ، سوريا - لبنان ، أول لجنة فى الوحدة العربية فكان اعلاؤه لبواخر مصرية تقوم بنقل الحجاج ، وانشاؤه للعديد من الفنادق المصرية فى الأراضى المقدسة وقيامه بسك عملة سعودية ، للتشبيت أسعار النقد هناك .

ونجحت الثورة المصرية . العربية الاسلامية في مجال الاقتصاد الى أبعد الحدود ، ثم عاد طلعت حرب بعد أن ارتفع بناء الاقتصاد المصرى الى مجال الآداب والفنون فشيده دار التمثيل العربى بحديقة الأزبكية وشجع المسرحيات المصرية والعربية والغنائية ونجح طلعت حرب ، ومن ورائه بنك مصر فى هذا المجال – مجال الفنون والآداب – نجاحا باهرا . ثم تسلسل الحقد السياسى . الى قلوب بعض السياسيين – كما جاء بالتفصيل فيما أثبتناه فى سنوات ما قبل الثورة – فتآمروا ضد طلعت حرب وخيروه بين أمرين من أخطر الأمور ، إما أن يترك البنك ، وإما أن يقوموا هم باغراق البنك وكانت ظروف الحرب وإعلان الأحكام العرفية وفرض السيطرة الأجنبية على البلاد . تمكن هؤلاء الحاقدين من تنفيذ تهديداتهم فآثر طلعت حرب ، أن يفتدى البنك ، بنفسه ، وأن يقدم له بتلك التضحية وثيقة الخلاص ، ولم يطل به المقام بعد تلك التضحية الغالية فاستأثرت به رحمة الله فى بلدة العنانية بالقرب من دمياط فى ٢١ أغسطس ١٩٤١ .

● ويطيب لى أن أنقل لمحات لطلعت حرب ، من خطبة ألقاها فى مساء الجمعة ، ٧ مايو ١٩٢٠ فى الاحتفال بتأسيس بنك مصر ، فى دار الأوبرا وذلك لاعطاء صورة عن آمال الرجل ، وطموحاته والحياة الاقتصادية وقتئذ ! ان فكرة تأسيس بنك مصر برعوس أموال مصرية ، يعمل لمصلحة مصر قبل كل مصلحة سواها ليست بالحديثة بل هى فكرة قديمة قد أراد الله تحقيقها الآن فى أنسب الأوقات ، وأوفق الظروف فما علينا الا أن نشمر عن سواعد الجد والاخلاص للسير به الى الأمام ، ففى البلاد أموال عظيمة بعضها مخزون ، معطل ، وبعضها فى بنوك أجنبية وكلاهما لا تستفيد البلاد منه شيئا مذكورا :

أحصى جناب المستشار المالى للحكومة المصرية ودائع الحكومة المصرية ودائع الأفراد فى بنكين اثنين – البنك الأهلى ، وبنك الانجلو – بما يربو على ٣٥ مليوناً من الجنيهات ، ولو أننا قلنا أن نصف تلك المبالغ للمصريين ، وكان توظيف هذا النصف لصالح مصر ، وشئوننا الاقتصادية ، أليس فى ذلك أكبر خدمة للبلاد وأهلها .

ويقول جناب المستشار المالى أن مجموع المبالغ التى شغلتها مصر ، فى الخارج فى المدة المنقضية من سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩١٩ مبلغ ١٥٢ مليوناً : ١٣ مليوناً المودع من الحكومة ومن الحراسة الرسمية لأموال الأعداء : ٦٥ مليوناً لحساب اصدار البنوك ، ٦٠ مليوناً من البنوك والشركات ، ١٤ مليوناً من الشركات والأفراد ، وهذا تقدير تقريبي أيضا .

ويطرح طلعت حرب فى خطابه سؤالا ، خاصا بتأسيس مدارس للتجارة العليا والمتوسطة واليلية : هل قامت البنوك والشركات بتشغيل أحد منهم ؟ اللهم لا ، الا النادر الذى لا يحكم له بينما نجد الباقين فى الغالب كتابا فى المصالح الحكومية .

ويرد طلعت حرب على الاعتراضات التي وجهت الى فكرة انشاء بنك مصرى، وفي مقدمة تلك الاعتراضات : اننا أردنا لبنك مصر ، ورأس ماله صبغة مصرية فأثبتنا تعصبنا وتأخرنا فى المدنية وأنه ليس فى مصر ، من يصلح لأعمال البنوك وأن الأمة مع كل الطبل والزمر اللذين أحاطا بالمشروع لم يمكن أن يجمع منيا سوى ٨٠.٠٠٠ ر. جنيه من أسماء كثيرين اكتتب كل منهم ، بمبلغ زهيد مما يدل على أن الأمة غير مستعدة للأعمال الاقتصادية ثم ماذا يراد أن يعمل بمثل هذا المبلغ الزهيد الذى قد لا يفى ربحه لدفع أجرة « المحل » ومرتبات بعض الموظفين .

واننا - طلعت حرب - نرد على هذه الانتقادات ضاربين عرض الحائط بالسباب والشتم اللذين تخللا ويتخللان عبارات هؤلاء المعترضين الذين لا يرضيهم طبعاً أن يشاركهم مصرى فى تلك الأرباح التى يربحونها من المصارين كان الله تعالى قد خصهم بها دون غيرهم ، فتراهم ، يعادون شخصيا كل من يحاول من أبناء البلاد أن ينال شيئاً منها ويقاثلونه ويعتبرونه معتدياً عليهم .

● ويرد طلعت حرب على تلك الحملات والانتقادات ، ويذكر - ضمن ما يذكره - أن أحد المحلات الفرنسية التجارية باسكندرية قد نصح تجار بلاده بأن لا يوكلوا عنهم فى مصر ، غير فرنسيين ويبلغهم استياء مواطنيه من وجود وكلاء ، غير فرنسيين عن بعض البيوت التجارية الفرنسية .

« وما هى ذى أمريكا تشترط فى سفن الملاحة المملوكة لها أن تكون « أهلية » أى يكون جميع أصحابها أمريكيين وأركان حربها أمريكيين ، وأن تكون مصنوعة فى دار صناعة أمريكية ، وكذلك اليابان ، وسويسرا ، يقصرون الأعمال التجارية على مواطنيهم ويبلغ بطلعت السخرية بنقاده ومعارضيه الى أن يقول أنهم يرموننا بأننا جهلاء لانصلح لإدارة بنك ، فحقهم أن يشكرونا على أننا من أول الأمر أردنا أن نحصل نتيجة جهلنا - لا قدر الله - لأنفسنا ولا يشاركنا غيرنا فيها فما بالهم يناقضون أنفسهم ! ويكون طلعت حرب واضحاً ، فبنك مصر ، لن يستثمر أمواله الا فى وجوه سليمة مأبونة تنحقق أرباحها فى الأجل المحدد لها بالأصل والربح ، وبربح آخر ، للعمل ولن يشغل بنك مصر فى المضاربة لنفسه ، ولن يساعد الغير عليها ، وهو - بنك مصر - ليس جمعية خيرية ولا ملجأ للعاطلين ولكنه محل تجارة يعمل عملاً تجارياً على مبادئ وأصول قوية لن يجحد عنها ان شاء الله .

وعندما احتفل بافتتاح فرع مصر فى المحلة الكبرى فى ١٤ سبتمبر ١٩٢٤ قال طلعت حرب : ان فى القطر المصرى عيباً جوهرياً فى تكوين طبقاته العاملة وتوزيع جهودها على مختلف نواحى الانتاج .

● وقد نشأ هذا العيب اخلال في التوازن الاقتصادي والمالى ويكفى للتبديل عليه أن نقارن بين العاملين فى الانتاج الزراعى ، والعاملين فى الانتاج الصناعى ، ثم العاملين فى التجارة ، عندئذ نرى أن العاملين - بين مصريين وأجانب ذكورا واناثا - يبلغون فى الأعمال الزراعية ٥٢٦١٥٧ فى الأعمال الصناعية أى أن المشتغلين بالصناعة لا يزيدون عن ثمن العاملين فى الزراعة فى حين لا يزيد عدد المشتغلين بالتجارة عن ٢٧٦٥١٠ أى نصف المشتغلين بالصناعة ، $\frac{1}{4}$ من المشتغلين بالزراعة ، ويذكر طلعت حرب عن صناعة النسيج فى مصر أنه لما أقامت فرنسا معرضا عاما فى ١٨٦٧ وأراد الحديو اسماعيل أن تشترك مصر فيه وقع الخيار على أحسن ما يعرض من منسوجات البلاد ومصنوعاتهما فكان مما وقع عليه الاختيار منسوجات من المحلة الكبرى قطنية عرضت فى مجموعة رقم ٢٧ من هذا المعرض ، وصوفية عرضت فى مجموعة ٢٨ منه وفوط من الصوف والحرير عرضت فى مجموعة ٢٩ وقد أثبت هذه الحقيقة مسيو شارك ادمون المكلف من قبل الحكومة المصرية وقتئذ بتنظيم القسم المصرى فى هذا المعرض ، أثبتته فى مؤلف له طبع فى نفس العام (١٨٦٧) .

● وقال طلعت حرب أيضا فى دمشق فى ٧ يوليو ١٩٢٥ عندما كرمه المجمع العلمى العربى : أنشأنا أول بنك مصرى قومى ، بأموال مصرية بحتة وبإدارة مصرية بحتة وقررنا أن تكون المراسلات فيه بين عملائه باللغة العربية وأن تكون حساباته باللغة العربية ، فهزأ بنا الهازئون ، وقالوا أن المحاسبة من واردات الغرب وأنها فن من فنونه غير قابل للانتقال الى الشرق بغير لغة الغرب ولكننا أهملنا استهزاءهم وأجرينا مراسلاتنا وكتبنا تقاريرنا باللغة العربية ، وعن بنك مصر قال ان أرباحه تدرجت من ثلاثة آلاف جنيه فى سنة ١٩٢٠ الى ٩٢ ألف جنيه فى سنة ١٩٢٤ وأن الودائع والأمانات فيه وهى بارومتر الثقة العامة به بدأت بمائتى ألف جنيه فأصبحت حوالى ثلاثة ملايين من الجنيهات فى سنة ١٩٢٤ .

● وعندما احتفل بمشاهدة بعض الصور المتحركة التى صنعتها شركة مصر للتمثيل والسينما وعرضتها فى تياترو حديقة الأزبكية مساء يومى ٢٩ - ٣٠ ١٩٢٧ تحدث - أمام المشاهدين - طلعت حرب قائلا : منذ يوم أن اخترعت السينما فى مصر ١٨٩٥ والرواية مظهره الأعظم ، ومن أجل الرواية اتسعت صناعات السينما فوجدت مصانع لصنع الأشرطة الخام ، ووجدت مصانع تصنع آلات لأخذ المناظر ولتحميض الأشرطة وتلوينها وتشغيلها وطبعها و . . . ومن أجل الرواية ومن أجل اقبال الجماهير عليها تكونت طبقات جديدة من الفنانين : ومن أجل الرواية وجدت أنحاء كاملة بل وجدت مدن كاملة قائمة بذاتها ، شجباتها ووديانها وأنهارها ، وبحيراتها وبيوتها ، ليجرى فيها التصنوين بالآلة

التصوير الخاطفه ، ومن اجل الروايه ومن اجل اقبال الجمهور عليها تكونت الشركات السينمائية ، ودور السينما و ٠٠ و ٠٠ .

وأشار طلعت حرب الى انشاء مصنع كامل الاستعداد لأخذ المناظر بماكينات و ٠ و ٠ في شقة كبيرة من عمارة مطبعة مصر في شارع الدواوين . وقد استحضرننا هذه الماكينات من الخارج لاستحالة صنعها في مصر ، وللوصول الى نتيجة مرضية - أى اخراج أشرطة مصنوعة صناعيا فنيا - عانينا الكثير من المتاعب حتى انتهينا بعد عامين الى استخدام جماعة من الفنيين الأوروبيين القادرين على مزاوله هذه الأعمال الفنية ، وتبعنا لحظتنا وهي أن تكون المعاهد التي نقيمها بمثابة مدرسة لتدريب المصريين الحقنا بجوار كل فنى أوربى مصرياً يتعلم منه وطماناً الأوروبى على مستقبله حتى لا يبخل بتعليم المصرى و ٠ و ٠ .

وقد أشار طلعت حرب الى ضرورة استخدام أشرطة السينما المصرية للتعليم ولقاومة الدعاية الأجنبية الباطلة وللأغراض العلمية وللدعاية لمحاصيل البلاد الزراعية وعن منتوجاتها الصناعية وعن تجارتها . ويقول طلعت حرب : - أننا أنشأنا شركة مصرية تجارية تؤدي خدمات عامة ليس من خصائص الدولة أن تقوم بها مباشرة ولهذا فان عملنا لا ينظر فيه الى الربح ولكننا لا نريد لشركة مصرية مساهمة أن تعيش بخسارة لأن الشركة التي تؤدي وظيفتها بخسارة لا تستطيع أن تعيش طويلا ، لا نقصد الى الربح فى ذاته فالغاية العامة مقدمة على ربح الشركة الخاص .

وعندما احتفل بنك مصر فى ٧ مايو ١٩٣٥ على مرور خمسة عشر عاما على انشائه كان من بين ما قاله طلعت حرب عن نشاط البنك : لقد أنشأنا مطبعة وشركات لصناعة الورق ولحليج الأقطان وللنقل والملاحة وللمتمثيل والسينما ولنسج الحرير وللغزل والنسيج لمصايد الأسماك للكتان لتصدير الأقطان ، وللطرق ، وللسياحة و ٠ و ٠ .

وان سبب نجاح بنك مصر هو الابتعاد عن زحام السياسة والحزبية وليس ذلك ناتجا عن عدم اكتراث بمصالح البلد العليا ، وانما أخذا بالحكمة الماثورة لكل عمل رجال ، .



● ومن الأمور التي اعتبرها البعض بديهيات أو مسلمات - بضم الميم وفتح السين واللام - لايجوز مناقشتها موضوع تصريح ٢٨ فبراير : لقد رفضناه عند صدوره وربما كانت هناك وقتئذ ظروف تبرر ذلك الرفض ولكن بعد انتهاء الظروف الوقتية التي أدت الى الرفض بعد أن تولى سعد زغلول الذي كان فى مقدمة المهاجمين لذلك التصريح ، بناء عليه كان من الضروري أن نبحت - من جديد - أمر ذلك التصريح وان نفتح أذاننا ، وقلوبنا وأذهاننا لسماع أصوات

المدافعين عنه ، ولكننا لم نفعل ، فنحن - وبكل أسف شديد - في كثير من القضايا التاريخية ، ننظر نظرة عاطفية بحتة ، ونصدر أحكاما قاطعة لانعود عنها ، حتى بعد ان تنكشف لنا الحقيقة ، وهي أننا كنا في أحكامنا من المتسرعين .

● وربما كان من الأمور التي شددت الجماهير ، الى ما كتبه وكتبه عن سنوات ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ انه لا توجد بديهيات أو مسلمات وانني لا أتقيد برأى سابق أو حتى باتفاق الآراء من زمن معين حول الحكم على موضوع معين وانما أناقش الأمر بعيدا عن التأثير بأى حكم سبق ، محاولا ان اعيش في الظروف الموضوعية التي كانت موجودة ، وقت حدوث ذلك الأمر ، ثم لا أقيد نفسى - وأنا أصدر حكمى - الا بما أعتقد أنه الحق ، والا بما يتفق مع ما أراه من منطق ! .

وقد كنت في مقدمة الذين رفضوا تصريح ٢٨ فبراير بل ونددوا به ولكني سمعت اسماعيل صدقي يدافع عنه ، ثم قرأت في مذكراته فيما بعد أوجه الدفاع عن هذا التصريح ، وقلت في نفسى ، لماذا لاندع الرجل يدافع عن عمل شارك فيه وكان مؤمنا بجدواه .

● قال اسماعيل صدقي باشا في مذكراته ، انه بعد استقالة عدلى يكن باشا وبعد ان اقتنع اللورد اللنبى بضرورة تغيير السياسة البريطانية في مصر ، التي تقوم على العنف ، واغتصاب الحقوق ، وانه لابد من الالتجاء الى سياسة التفاهم والمسالمة ، بدا اللورد اللنبى يتصل بعدلى يكن باشا وبشروت باشا وبه . - اسماعيل صدقي باشا - وذلك بغية وضع مشروع يمكن أن يكون أساسا للمفاوضات المقبلة ولاتفاق مقبل بيننا وبين الانجليز دون أن تلتزم مصر ، بشيء .

واتصل اللنبى بكثير من الأوربيين أصحاب المصالح في مصر ، وفي مقدمتهم البارون فرمان فان دى بوش الذى كان نائبا عموميا بالمحاكم المختلطة وقتئذ وكان البارون يتمتع بثقة السلطان فؤاد وصداقته وكنا - ثروت باشا وأنا - نداوم الاتصال بعدلى يكن باشا نستمع الى اشاراته وقد وضعنا مشروع تصريح ٢٨ فبراير وتوليت كتابة هذا المشروع باللغة الفرنسية .

واتفقتنا مع اللورد على أن يقدمه الى حكومتهم وان يصرح به دون أن تلتزم به مصر .

وأهم ما فى التصريح : اعلان رفع الحماية عن مصر ، والاعتراف باستقلالها وما يترتب عليه من نتائج دولية وداخلية والغاء الأحكام العرفية التي أعلنت فى نوفمبر ١٩١٤ كل هذا مع احتفاظ انجلترا ، بتأمين المواصلات البريطانية والدفاع عن مصر ضد كل اعتداء خارجي وحماية الأجانب ومسألة السودان ، وذلك الى حين يتسنى إبرام اتفاقية بين مصر وانجلترا . وفى أوائل يناير ١٩٢٢

سافر اللورد الى لندن ، وبعد تباطؤ ، وتردد من الحكومة البريطانية وافقت الحكومة البريطانية على اعلانه في ٢٨ فبراير من تلك السنة ثم قدمه الى مجلس العموم لمناقشته ، وفي يوم ١٥ مارس ١٩٢٢ أعلن استقلال مصر ، وأصبح السلطان فؤاد ملكا .

ويقول صدقي باشا عن أعمال وزارة ثروت باشا : لقد أعلنت تلك الوزارة استقلال مصر ، وأعلنت ان لجنة الدستور التي أنشأتها قد انتهت من وضع ذلك الدستور أنها ألغت الحماية وألغت وظائف المستشارين الانجليز في وزارات الحكومة ولم تستبق منهم سوى مستشارى المالية ، والحقانية مع قصر مهمتهما على ابداء الرأى والمشورة ، ومما يؤسف له أن البلاد قد سمعت بدعايات ضد تصريح ٢٨ فبراير كانت من أهم ما سبب استقالة وزارة ثروت باشا .

وشهاد شاهد من أهلهم

● ويكتب المارشال ويفيل فى كتابه « اللبى فى مصر » فضلا عن تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ مستهلا اياه بكلمة شكسبير « طمئنوا أنفسكم أيها السادة فسأنهى هذا الصراع .

ثم يقول ويفيل : كان تصريح حكومة الملك فى فبراير ١٩٢٢ وهو الذى ألغى به الحماية على مصر وأعلنت فيه مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، إلخ الفاصل الملحوظ فى تاريخ العلاقات بين بريطانيا ومصر ، وهو أعظم عمل قدمه اللبى فى تاريخه السياسى .

ولقد انتقد منه هذا العمل وأسىء فهمه بل لقد قدم للناس مشوها .

ويمكن تلخيص وجهة نظر اللبى وجهة نظر الحكومة البريطانية حتى ذلك الوقت فيما يلى : بعد عرض المسألة على البرلمان لالغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر على شريطة أن يرتبط المصريون بشروط خاصة ببعض المصالح والحقوق الانجليزية وأنها سلامة مواصلاتنا الامبراطورية وحماية الأجانب فى مصر ، ومركزنا فى السودان وهذا ما رفضه المصريون ثم نصح اللبى الحكومة البريطانية بوجوب الغاء الحماية واعطاء مصر الاستقلال فى الحال كما يجب على بريطانيا العظمى أن تعلن احتفاظها بحرية العمل اذا تطلبت مصالحها ذلك فى بعض المسائل التى عرفت فيما بعد باسم التحفظات .

وعارضت الحكومة البريطانية .

● وغاد اللبى يؤكد وجهة نظره من جديد ، واتهم اللبى بالهجوم وتضويب غدايته الى رأس الحكومة ، وقد أبلغ اللبى بأن الحكومة البريطانية لا تستطيع

الموافقة على مقترحاته ، واقترحت الحكومة البريطانية - في ١٨ يناير ١٩٢٢ عن النبي ارسال اثنين من مستشاريه الى لندن (سير جلبرت ومستر ايموس) ليوضحا المسألة أكثر . وأجاب النبي بأن مستشاريه موافقان على وجهة نظره وان ارسالهما الى الوطن (إنجلترا) فيه مضیعة للوقت .

وأرسل أحد مستشاريه مستر سلبى وكرر فى برقية شخصية لوزير الخارجية البريطانية (كيرزون) حججه الرئيسية مینیا له خطر التأخير ، وختمها بتقديم استقالته اذا رفضت مشورته .

● واعتبر بعض الوزراء البريطانيين الذين يجهلون أن النبي عندما ارسل الاستقالة أرسلها فى برقية شخصية ولم يقدم استقالته بصورة نهائية ، اعتبر هؤلاء الوزراء استقالة النبي ، كما لو كانت محاولة من قاطع طريق راجل يريد أن يلحق بعربة الحكومة .

وفى ٢٤ يناير بعثت الخارجية البريطانية باقتراح ان يوافق المصريون على مطالبنا أولا ثم تلغى الحماية .

وأجاب النبي بأنه سيجادل وأن لم يكن له أقل أمل فى أن يرضى العمل بتلك الشروط وزير مصرى .

وقدم النبي استقالته رسميا وبصورة نهائية وقدم المستشارون الأربعة فى الحكومة المصرية استقالتهم ، بعد أن ربطوها باستقالة النبي ، وغادت وزارة الخارجية البريطانية تتهم من جديد النبي الذى أعطى الأمل فى امكان ایجاد وزارة مصرية جديدة تستطيع العمل بتلك السياسة ، و . . .

وكان ما أعلنته الوزارة . وقد قررت تعيين بديل للنبي . وكان النبي قد أصر على وجهة نظره بأن الأزمة لن تنتهى (بين مصر وبريطانيا) الا بتصريح من جانب بريطانيا .

وغادر النبي مصر فى ٣ فبراير ، ولقد كانت أخار الحماس البالغ الذى ودعه به المصريون والبريطانيون والأجانب لا فى القاهرة فحسب بل فى سائر المحطات الأخرى على طول الطريق ثم فى الاسكندرية أول سبب جعل مناويته فى الوطن يشكون فيما اذا كان من السهل عليهم التخلص من شخص بلغ حب الناس له هذا المبلغ .

وقد استقبله سير هنرى ويلسون رئيس هيئة أركان حرب الامبراطورية والسير فيليب شتوود والمستر سلبى وكانت حالة النبي المعنوية طيبة فلم يلبث ان أعلن لاصدقائه فى الحال أنه لن يتزحزح قيد أنملة كما أنه لن يحاول اقناع

سنوات ما قبل الثورة ج ٢ - ١١٣

أحد رافضا بذلك من أصدقائه النصيحة التي توقع مجيئهم من أجلها • وعلى الرغم من تحذيره بأن الوقت لم يحن بعد للتوجه الى وزارة الخارجية الا أنه صمم على سرعة الذهاب الى دوننج ستريت ليترك لهم الرسالة التي يرد بها على ما أسماه الاتهام الخبيث في برقية ٢٨ يناير التي أرسلتها له وزارة الخارجية •

وقد منع وزير الخارجية عرض تلك الرسالة التي تركها للنبي على الملك وعلى حكومته كما هو المعتاد في مثل تلك الرسائل •

وعندما قابل - في المساء - كيرزون وزير الخارجية اللورد النبي مازحا بقوله : انها رسالة قوية تماما ، وثيقة هامة ولا بد أن الشخص الذي كتبها ماهر جدا • قال النبي بعد أن صدم بتلك المبادرة غير اللبقة : كلا لم أكتبها أنا ولكني موجود في كل كلمة من كلماتها ومستعد إن أمضى كل سطر منها اذا كانت لاتعجب حضرة اللورد •• لقد كتبها رجل حاذق بانفعل •

وأنفق كيرزون وقتا طويلا مع النبي لكي يقنعه بأن يسحب استقالته مؤكدا له أن ماحدث بالنسبة له حدث بالنسبة لكيرزون ذاته عندما كان نائبا للملك في الهند ، ولم تكن الحكومة البريطانية تقبل مقترحاته ولكنه مع ذلك لم يكن ليستقبل •

والغريب ان كيرزون سأل النبي عن طريق ايجاد خلف له في مصر ، وأردف قائلا : انها ستكون أكثر صعوبة •

وقال النبي : لو سألتني النصيح لقلت لك أرسل رجلا في مثل كفاءتي أو خيرا مني لو استطعت أن تجده •

ويحاول كيرزون بعد ذلك النقد المر الذي وجهه اليه النبي ترطيب الجو فيسأله - يسأل النبي عن مكان اللادي اللني ويرد عليه النبي بطلقته الأخيرة : لقد تركتها ورائي في مصر خشية وقوع الاضطرابات لو صحبتها معي •

ويحاول مستر لويد جورج رئيس الوزارة اخراج النبي من الوضع الذي خندقه فيه والذي لم تجده في اخراجه منه أدلة وزارة الخارجية •

وقابل رئيس الوزراء المعتمد البريطاني في مصر ، لورد النبي وكان معه مستشاروه وقد جرى مناقشة مقترحات النبي ، وتولي المستشار ايموس للدفاع عنها و •

ولكن رئيس الوزراء ، لم يقنع بتلك الأدلة التي ساقها ايموس فما كان من النبي الا أن انهي المناقشة قائلا : لا فائدة من المناقشة أكثر من ذلك ، لقد أخبرتك بما أعتقد ضرورته ولا تريد أنت ذلك وليس من شأنى أن أرغمك عليه

ولقد انتظرت خمسة أسابيع ليصدر القرار فلن أستطيع الانتظار بعد اليوم أكثر من ذلك وسوف أخبر أنا لادى اللنبى لكى تعود الى الوطن . . . فنهض حينئذ رئيس الوزارة ووضع يدي على ذراع اللنبى قائلا : لقد انتظرت خمسة أسابيع يالورد اللنبى فهل يضريك أن تنتظر خمسة دقائق أخرى .

ثم أعلن موافقته على مقترحات اللنبى مع بعض تعديلات - فى الصيغة - لا أهمية لها .

ووافقت الحكومة البريطانية على مقترحات اللنبى رغم معارضة تشرشل وكيرزون الذى كان يتحدث عن غباوة أولئك الجنود .

● حتى فى البرلمان حاولت الحكومة أن تطفى فشلها فى اقناع اللورد اللنبى بالصدول عن مقترحاته وقبولها - فى النهاية - فادعى مستر أوستن تشمبرلن الذى كان يتحدث باسم الحكومة فى المجلس فان الحكومة لم تتراجع ، كل ما فى الأمر ، أن اللحظة التى جمعتنا بلورد اللنبى وجها لوجه قد أزلت كل خلافاتنا معه ، اذ أدرك فى الحال أننا لا نستطيع تغيير الحالة القائمة فى مصر فيما يختص بتلك المسائل من غير أن نحصل على ضمان نهائى بقدرتنا على حماية مصالحنا والقيام بتعهداتنا ، ولم يحتج اللنبى على هذا الكلام ماداً قد حقق هو ما أراداه ولا يزال الكثيرون - المارشال ويفيل - لا يغفرون للنبى هذا الموقف اذ باع جواز المرور وضيع مركزنا - كبريطانيين - فى مصر .

وقد ظل اللنبى يذكر للويد جورج موقفه الشجاع هذا حينما عارض مقترحات اللنبى - فى البداية - بكل شجاعة ، أيدها - فى النهاية بعد ان اقتنع بها - بكل شجاعة أيضا .

ويذكر ويفيل أن واحدا من أصدقائه - أصدقاء اللنبى - قال له ، أثر خطاب فى مأدبة أقيمت بعد ذلك بسنوات . لقد خيبت أمل الصحافة اذ جاءوا وفى ظنهم أن يسمعوا منك هجوما على لويد جورج فأجابه اللنبى فى الحال : « أهاجم لويد جورج ، انى لأحب هذا الرجل . لقد كسب هو الحرب ، ولكن بحق السماء لا تقل له ذلك » .

● يمضى المارشال ويفيل فى الحديث فى فصل آخر « مصر الاستقلال » بعد أن يصدره بكلمة لجيبون : « أول النعم الأولى الاستقلال » وبآيات لردبارد كبلنج تقول :

كانت الناس يهديها الآلة ، أو تصوبها أغلى الحناجر .

أو كان الأسرع أن يموت المرء بالسيف أو الأرخس أن يموت بالانتخاب !

الدولة المقدسة أو الملك المقدس ، أو ارادة الناس المقدسة .

فلا شأن لهذه مع شيء لا يحس : هيب المدافع ، ثم اقتل !!

● يشير المارشال ويفيل الى أن المشكلة الأولى بعد اعلان تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ كان وضع الدستور والغاء الأحكام العرفية التي استمر العمل بها زهاء ثمانى سنين وتعويض الموظفين الأجانب و... وقد حلت هذه المشكلات بنجاح .

ويذكر أن المصريين قبلوا الى حد ما وعلى كره منهم ، وباعتبارها دفعة من الاستقلال التام ، قبلوا تصريح ٢٨ فبراير .

ويقول ويفيل ان أعوام ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ كانت أعوام صراع ثلاثي أطرافه الثلاثة الملك والجماعة التي تضم معظم المثقفين من المعتدلين ، والتي يصح تسميتها بحزب الأحرار ، ثم الحزب الشعبى الذى ينادى بزغلول رئيسا له .

ويقول ويفيل أن اللبى كان الحكم الذى يتدخل أقل تدخل مستطاع لكنه ينقح في صفارته بحزم عندما تقع أسوأ الأخطاء وأشدّها وضوحا متجاهلا - شأن كل حكم نزيه - صياح الجماهير ونقدها عند كل قرار لا يحبونه .

● ويقول ويفيل أن الملك فؤاد بعد أن أصبح - ملكا وقد كان قبل تصريح ٢٨ فبراير سلطانا - زاد غروره وأصبح عاملا هاما في السياسة المصرية . ولم يكن كذلك من قبل أن يصبح ملكا ، وكانت المبارزات بينه وبين اللبى قوية ، وعنيفة وكان كل من الطرفين - في هذه المبارزات يميل الى الآخر ، ويحترمه .

وكانت المناقشات بينهما - أحمد فؤاد واللبى - يغلب عليها المودة ، ولقد قدر اللبى دهاء الملك كما احترام الملك وفاء اللبى .

● ويشير ويفيل الى أن عام ١٩٢٢ انتهى بجريرة وحشية حقاء اذ ضرب بالرصاص في ٢٧ ديسمبر الدكتور رويسون المجاهر بمدرسة الحقوق في وضع النهار بينما كان عاكدا على دراجته من عمله الى بيته .

ولقد أثارت هذه الجريمة أعماق الشعور بالغضب في نفوس الجالية البريطانية وكان معظمه موجها ضد ضعف اللبى المزعوم .

ويصدر الدستور ، ويلغى الحكم العرفى وتجل مسألة التعويضات الخاصة بالموظفين الأجانب .

وعاد سعد زغلول من المنفى في ١٨ سبتمبر ١٩٢٣ . وكانت الانتخابات الجديدة وجاء عام ١٩٢٤ - عام زغلول كما أسماه المارشال ويفيل ، والذي بدأ بالنصر في الانتخابات ، ويتولى سعد الوزارة ،

ثم كانت كارثة مقتل السيرى ستاك سردار الجيش المصرى والحاكم العام للسودان
والتي كانت كما قيل عند اغدام دون رانجتون - وكما قال ويفيل - أسوأ من
جريمة أنها غلطة فاحشة !

صفحات من الكتاب الأبيض

● وأستسمح القارئ فى أن أنقل له عن الكتاب الأبيض الذى أصدرته
الحكومة البريطانية عن الإعداء التى وقعت فى عامي ١٩٢١، ١٩٢٢ :

● من الفيلد مارشال فيكونت اللنبى الى المريكيز كيرزون أوف كدلسن
(١٧ نوفمبر ١٩٢١) ان مستشار وزارة الداخلية ونائب المستشار المالى
ومستشار وزارة المعارف ونائب المستشار القضائى مجمعون على أن كل قرار
لا يسلم بمبدأ استقلال مصر ، ويستبقى الحماية يجر لا محالة الى خطر جدى من
نشوب ثورة فى البلاد جميعها ويفضى على أى حال الى الفوضى التامة فى الادارة
فتصبح الحكومة مستحيلة .

من الفيلد مارشال اللنبى ٠٠ الى كيرزون : ٧ ديسمبر ١٩٢١ زارنى على
باشا بعد ظهر اليوم وقال انه سيقابل السلطان غدا وانه سيقدم على الأرجح
استقالته التى تحدث فى شأنها عظمتة قبل ذلك ، وفى هذه الحالة يعرض
السلطان على الأرجح على ثروت رئاسة الوزارة .

أكد لى على أنه هو شخصيا سيظل مؤيدا لحكومة السلطان ولقوى القانون
والنظام ، وزاد على ذلك أنه ليس عنده يأس من المستقبل وإن كان قد خاب أمله .

● من الفيلد مارشال اللنبى الى كيرزون بالتلغراف .

٢١ ديسمبر ١٩٢١ : لايسغنى الا أن أطلب اليكم والى حكومة جلالة
الملك أن تصدقوا أنى قلت انه ليس ثمة مصرى - كائنا ما كانت آراؤه
الشخصية - يستطيع أن يوقع أية أداة لا تتفق فى رأيه مع الاستقلال التام
وكذلك فانه من الضرورى العدول نهائيا عن الفكرة القائلة بأن المسألة المصرية
يمكن تسويتها بواسطة معاهدة . . اذا لم تكن مستعدين أن تثبت بعملنا أن
لنا ثقة بالمصريين فيخيل الى انه ليس من المحتمل ان نحملهم على التعاون معنا .

من الفيلد مارشال ٠٠ ٢١ ديسمبر ١٩٢١ نشر زغلول فى الصحف
احتجاجا على أمرى بمنع اجتماعه يوم الجمعة ونعت أمر المنع هذا بأنه أول قسط
من السياسة البريطانية الجديدة وناشد المصريين ان يظهروا بمثل هذا المظهر .

كانت القاهرة أمس مسرحاً للاضطرابات بمناسبة عودة الأستاذ مكرم
وكيل زغلول من لندن وقابله زغلول في المحطة وهتفت له الجماهير المصطفة في
الطُرقات وسمعت نداءات ضد البريطانيين .

وفي المساء ضرب جنديان أحدهما من آلاى الملك والثاني من آلاى « است
سرى » بالرصاص في الشوارع في الحي الجنوبي من القاهرة فمات أحدهما
وجرح الثاني وفر القتلة .

وأتى مصدر اليوم أمراً - تحت الأحكام العسكرية - بمنع زغلول من كل
اشتراك في السياسة وستحذر جرائده كذلك من التهييج ، وصدر الأمر الى كبار
أنصاره : عاطف بركات بك وفتح الله بركات باشا ومصطفى النحاس باشا
وسينوت حنا بك وأمين عز العرب أفندى وجعفر فخرى بك ووليم مكرم عبید
أفندى . أن يلزموا بيوتهم تحت مراقبة البوليس وأن يكفوا عن الأعمال
السياسية .

● من النيله مارشال (٢٣ ديسمبر ١٩٢١) .

تلقيت رد زغلول على تعليماتى التى أصدرتها اليه بأن يذهب الى منزله
فى الريف وان لا يشتغل بالسياسة .

وتلقيت كذلك أسماء من تضامنوا معه ، مكرم سينوت حنا ، النحاس ،
أما الآخرون فلم يجيبوا بعد ما عدا صادق حنين الذى أضيف الى القائمة
وقد أطاق .

وأعطيت البارحة تعليمات بالقبض على زغلول وزملائه الثلاثة وقد نفذ
القبض على زغلول دون أن يقع حادث ما ، اذ أرسلته الى السويس حيث يظل
فى معسكر النقل الهندى منتظراً الإبعاد .

ويسرنى أن اتلقى بالتلغراف تصديقك على إبعاده ، وشركائه واذ ذاك
أبعدهم بأسرع ما استطاع وعندى أن سيلان أوفى مكان لأنها مقرونة فى الأذهان
باعتقال عرابى ، فمن شأن اسمها أن يحدث تأثيراً عظيماً .

● كان رد سعد زغلول على النبى : بما أنى موكل من قبل الأمة للسعى
فى استقلالها فليس لغيرها سلطة تمنعنى عن القيام بهذا الواجب المقدس ،
لهذا سأتبقى فى مركزى مخلصاً لواجبى وللقوة أن تفعل بنا ما تشاء أفرادا
وجماعات فاننا جميعاً مستعدون للقاء ما نأتى به بجنان ثابت وضمير هادى علما
بأن كل عنف تستعمله ضد مساعينا المشروعة انما يساعد البلاد على تحقيق
أمانيتها فى الاستقلال التام .

● من الفيلد مارشال - ٢٣ ديسمبر ١٩٢١ : قامت البارحة مظاهرات خارج منزل زغلول وفرق البوليس المتظاهرين ، وقتل اثنان من المشاغبين وجرح تسعة والقى القبض بعد ظهر اليوم على سبنوت حنا ومصطفى النحاس ومكرم والبركاتين - عاطف بك بركات وفتح الله بركات باشا ، اذ كانوا قد أبوا أن يطيعوا تعليماتى وسيذهبون على الفور الى السويس ، وقد أحدث هذا العمل الذى اتخذناه هرجا عظيما وطلت حالة القاهرة مضطربة أثناء النهار وارتكب الرعاع أعمالا عنيفة ، وتخريبا .

وفي الساعة العاشرة صباحا استولت السلطات العسكرية على أزمة المدينة طبقا لترتيبات سابقة .

وقد اضطر الجنود الى اطلاق النار فقتل مصريان وجرح آخر على ما ثبت الى الآن .

وكان أحد القتيلين زعيم عصابة تقيم منراسا لتعوق سير الجنود إما ثانيهما فقتل على اثر طلقة من مسدس رميت بها سسيارة ملأى بالجنود . قامت بالاسكندرية مظاهرات فرقت ووزع عدد عظيم من النشرات المحرصة على الفتنة والخبر الوحيد الذى ورد من الأقاليم يقول ان طنطا قامت بها مظاهرات ، ولكن الجنود البريطانية أرسلت اليها ونحن قابضون على ناصبة الحال .

ويوافق كيرزون على نفى زغلول ورفاقه الى سيلان وكيرزون يضيف الى ذلك قوله : اذا ظهر أن هناك اعتبارات تحولت دون اعتقالهم فى سيلان فيمكن نفيهم الى سيسل .

● من الفيلد مارشال ٢٤ ديسمبر ١٩٢١ (أيضا) هذه قائمة الخسائر فى القاهرة بعد المراجعة : من البريطانيين لا أحد ومن المصريين ثلاثة قتلى وأربعة عشر جريحا .

وهذا بيان الأمكنة الموجودة بها التسعة أشخاص الذين أمرتهم بالكف عن الأعمال السياسية : ستة منهم الآن فى السويس ينتظرون الابحار منها على باخرة نقل فى ٢٨ ديسمبر .

وثلاثة هم صادق حنين وأمين عز العرب وجعفر فخرى أطاعوا أمرى وهم تحت مراقبة البوليس .

● ٢٤ ديسمبر : من الفيلد مارشال .. قبل السلطان أمس استقالة عدلى يكن باشا ، وكان الاضطراب الفعلى أقل ولكن الحالة مازالت غير مستقرة ، وقد هوجمت مدرسة بنات تابعة للحكومة صباح اليوم وحدثت خسارة جسيمة والمدارس جميعها مضطربة واضراب موظفى الحكومة عام الآن .

وقد أعلن انه لثلاثة أيام وهو ينفذ بالارهاب وأنا اتخذ التدابير لحماية
من يرغبون في العمل .

● بلغ عدد القتلى من الصريين في القاهرة أحد عشر ، وقتل الرعاع في
٢٢ ديسمبر أوروبا وهو رجل فيه شذوذ. ويقطن حيا فقيرا . وكانت سيدة
انجليزية مستقلة مربية مفتوحة فهاجمها الرعاع وقذفوها بالحجارة في حي
بولاق وقد نجت من الأذى البليغ بأن اتخذت مظللتها درعا فمزقت الأحجار المظلة
وهذه أول مرة اعتدى فيها على امرأة في كل السنوات الثلاث الماضية .

وجملة المقبوض عليهم الى اليوم ١٨٦ .

● الاسكندرية : لم يطرأ تغيير والحالة مملوكة الآعنة وجملة المقبوض
عليهم ٢٨٩ من بينهم مائتان وثلاثة وعشرون صبيا .

وصلت الطرادتان سريس وسناتور منطقة القناة .

بورسعيد قامت اليوم مظاهرات مسلحة وأخيرا سلمت المدينة للجند
الذين اضطروا أن يطلقوا النار على جمهور أبي يتفرق بعد اندازه .

الاسماعيلية : يصل غدا الطراد سباروهوك .

السويس : تسلم الجيش اليوم المدينة يصل الطرد (شيخ) صباح الغد .

يجزى القبض على مهيجين مشهورين من القاهرة في جملتهم كامل حسين
محامي حركة النقابات في هذه البلاد .

● من الفيلد مارشال ٠٠٠ ١٢ يناير ١٩٢٢ ، حدث انشقاق في الوفد
الذي أعيد تكوينه .

استقال أمس عبد العزيز فهمي والمنتظر أن يعلن ستة أعضاء آخرين
انفصالهم غدا .

من الفيلد مارشال ٠٠٠ ٢٣ يناير ١٩٢٢ : نشر الوفد منشورا مساء
اليوم ، يدعو المصريين الى رفض التعاون مع الانجليز بأية طريقة ، وأن يقطعوا
كل البضائع الانجليزية والمنشور مفرغ في قالب حاد وهو تحد مباشر لسلطتي
وقد أمرت بتعطيل الجرائد التي نشرته جميعا . وعملت على منع إذاعته ،
وأمرت بالقبض على موقعيه وهم حمد الباسل وويصا واصف وعلى ماهر ،
وجورج خياط وواصف غالي ومركض حنا وعلوى الجزار ومراد الشريعي والثلاثة
الأخرون أعضاء منتخبون حديثا ، وقد أبرق وكيل روتر بالنص الكامل للمنشور .

● من الرئيس كيرون أوف كدليستون الى الفيلد مارشال فيكونت اللنبى :

القاهرة : هذا هو بيان الحال المشار اليه ترسله ، لكم لنشره يوم الاثنين :
دعى فخامة نائب الملك للذهاب الى انجلترا لكي يقدم لحكومة جلالة الملك المعلومات
الواقعية ويبدى لها رأيه فى الحال الحاضرة وعما دار من المخاطر بينه وبين
الوزراء السابقين فيما يختص بحكومة هذه البلاد فى المستقبل ويظهر أن هناك
شعورا فى بعض الدوائر ، بأن بريطانيا قد رجعت أو أوشكت أن ترجع عن
موقفها المنطوى على التسامح والعطف على أمانى المصريين وأنها تنوى الانتفاع
بمركزها الخاص فى القطر المصرى لاستيفاء نظام سياسى وإدارى لا يتفق والحرية
التي صرحت باستعدادها للاعتراف منها .

وتمضى المذكرة فى تبيان المبادئ التي تسير عليها الحكومة البريطانية ومن
بينها - وعلى سبيل المثال - ان الحكومة البريطانية لا تنوى مطلقا ان تسلم
تحت ضغط الاضطراب والعنف بما هي على استعداد لمنحه مراعاة لأنه حق فى
ذاته فأنها قد جاهرت بأنها مستعدة لأن تطلب من البرلمان البريطانى رفع الحماية
المعلنة على مصر والاعتراف بمصر دولة ذات سيادة بشرط ضمان المواصلات
البريطانية و . و .

● من الفيلد مارشال : طبقا لتعليماتك سأصل الى لندن عن طريق
تريستا برفقتى السير جلبرت كليتون ، ومستر ايموس وغدا أصدر البيان الذى
يشمل ثانى تلغرافيككم المؤرخ فى ٢٨ يناير .

● من المريكز كرزون أوف كهلستين الى الفيلد مارشال (٢١ فبراير
١٩٢٢) .

يا جناب اللورد

أرسل اليك مع هذا صورة من الوثائق الآتية :

(أ) تصريح بانهاء الحماية على مصر وسستطلب حكومة جلالة الملك من
البرلمان أن يوافق عليه .

(ب) كتاب ترفعه الى السلطان عند ابلاغ عظمتة التصريح السابق .

(ج) وحكومة جلالة الملك مقتنعة بأن أهل مصر سيثبتون أنهم أهل
للاستقلال الذى نالوه الآن وانهم سيبرهنون باستعمالهم اياه على أن الثقة التي
وضعت فى أيديهم ليست فى غير محلها .

وكان ذلك التصريح أهم حدث سياسى فى مصر منذ قيام ثورة ١٩١٩
وكانت له نتائج خطيرة ، كما يتضح فيما بعد .

الباب الأول

الفصل الأول

من تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الى معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦

● استسمح - عذرا - فى أن أتيج لاسماعيل صدقى باشا ، فرصة الدفاع عن وجهة نظره فى الأمور السياسية التى أعقبت صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، بعد أن أكثرت وغيرى من ترديد الأمور المسلم بها من جانبنا دون أن تتيح للرأى الآخر أن يظهر واضحا وجليا ، قال صدقى باشا : استقالت وزارة عبد الحالى ثروت باشا التى كنت أحد أعضائها فى نوفمبر ١٩٢٢ وكانت هذه الوزارة هى التى وقعت الحماية وأعلنت استقلال مصر وألفت لجنة الدستور .

وتم فى عهدنا وضعه وإحالة الى اللجنة التشريعية ونجحت فى ضمانته أثناء وجودها من أن تعيث به العناصر الرجعية التى كانت ممثلة فى بعض رجال السياسة والمستوزرين .

وكان همنا نحن الثلاثة - على و ثروت ، وأنا - بعد استقالة هذه الوزارة ان يسان الدستور من أى عبث ، وأن يصدر سريعا وألا تنجح تلك العناصر فى الحيلولة دون إصداره أو تعمل لتأخيره أو تعديله بحيث تضعف فيه الصفة الديمقراطية . وكان الانجليز وقتئذ متفاهين معنا على الدستور اذ كان كل خوفهم من الطابع الاستبدادى للحكم ولم يكن بيننا وبينهم خلاف الا على المادة الخاصة بلقب « ملك مصر والسودان » .

وقد نجحت مساعيها فى الوصول الى اصدار الدستور فى سنة ١٩٢٣ ثم أعلنت الانتخابات لبرلمان ١٩٢٤ فرشحت نفسى لمجلس النواب فى دائرة « سندابسك » التى تتبعها بلدتى ، « الغريب » .

واذ ذاك نشأت فكرة الأغلبية الساحقة برباسة سعد زغلول باشا فرشح الوفد أمانى الأستاذ نجيب الغرابلى ، وعلى الرغم من كونه رجلا فاضلا الا أنه لم

يكن ابن الدائرة ولم يكن معروفا بها وكنت أعتقد اننى سأنجح فى دائرتى لأن جهودى فى خدمة بلادى وماضى فى الجهاد واشتراكى فى الفوز باستقلال مصر بنصرى ٢٨ فبراير كان كل ذلك يضمن النجاح ، ولكن شخصية سعد زغلول فى ذلك الحين كانت شخصية جبارة وفى الوقت نفسه جذابة غمرت البلاد بقوتها وشدة تأثيرها واجتاحت أمامها كل شىء .

وأصبح الاعتقاد فيه يشبه الاعتقاد بالأنبياء فلم أفر فى الانتخابات الا بأقل من ثلث الأصوات وسقطت أمام منافسى الوفدى غير المعروف اذ ذاك لأهل الدائرة .

وهنا أستطيع أن أقول ان الانتخابات لم تكن حرة ولا أقصد من ذلك أنه كان هناك ضغط ادارى استعمل ضدى بل أعنى انه كان هناك ضغط نفسانى أوجدته شخصية سعد زغلول وهو والضغط الادارى سواء فى بلد لم تصل بعد الى درجة التضجج السياسى ولم تتكون فيها الروح الدستورية .

● ويمضى اسماعيل صدقى باشا قائلا : على الرغم من سقوطى فى الانتخابات وعدم اشتراكى فى البرلمان أنا والذين حصلوا على الاستقلال والدستور فاننى كنت مرتاحا لهذه المرحلة الأولى التى فازت بها البلاد ، وقد لزمتم وقتئذ الحياء فلم أشارك فى أى نشاط سياسى طوال مدة قيام وزارة المغفور له سعد زغلول باشا فى الحكم حتى وقعت كارثة مقتل السردار ، وأقول كارثة لأنها كادت تعصف باستقلال البلاد وتضيق علينا ما كسبناه ، ولهذا حين دعيت للاشتراك فى وزارة زيور باشا التى خلفت وزارة سعد باشا لم أتردد فى القبول لأنى شعرت أنه من واجبى فى هذه الظروف أن أساهم فى انقاذ البلاد من ورطتها وأن أعمل على صيانة استقلالها .

وقد توليت فى تلك الوزارة الداخلية وكانت مسئولياتها عظيمة بعد تلك الكارثة .

● وفي إبان الاضطرابات الشديدة كان همى أن يعود الأمن الى نصابه كما كان من أول واجباتى ان أعنى بالقبض على قتلة السردار ، لأنه لو لم نفعل أو قصرنا فى ذلك لازدادت الحالة سوءا بيننا وبين الانجليز خصوصا وقد نص عليه فى الانذار الموجه لسعد باشا فضلا عن أنه كانت هناك أيد أجنبية تعمل لإهدم الاستقلال وضياح حقوق مصر والسودان .

● ويمضى اسماعيل صدقى باشا - أيضا - قائلا : لا أنكر أننا فى وزارة زيور باشا قد أقدمنا على اجراءات جريئة أملت بها علينا الظروف العصيبة فى ذلك الحين ، وقد كان الوفد يعتبرونى فى ذلك الحين علوا متحدثيا لهذه الدولة خصوصا بعد مقتل السردار التى أثهم فيه بعض المنتسبين الى الوفد ، لذلك أقدمنا على

تعديل قانون الانتخابات ، ومع ذلك فاز الوفد في تلك الانتخابات ، ولما انعقد مجلس النواب فاز سعد زغلول بمائة وثلاثة وعشرون صوتا ضد عبد الخالق ثروت باشا الذي فاز بخمسة وثمانين صوتا فأقسمنا على حل مجلس النواب وكان اجراء الحل من الجانب المصرى فقط .

● وأستأذن فى اضافة كلمات أخرى .

● بدأت الهيئة النيابية الاولى وكان دور الانعقاد العادى الأول فى ١٥ مارس ١٩٢٤ وانتهى الدور فى ١٠ يوليو ١٩٢٤ وكان رئيس المجلس ، أحمد مظلوم باشا ووكيله أحمد محمد خشبة وحمد الباسل وبدأ دور الانعقاد الثانى فى ١٢ نوفمبر ١٩٢٤ وانتهى فى ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ ، أى بعد ١٢ يوما ، وكانت هيئة المكتب كما هي .

● الهيئة النيابية الثانية بدأ دور انعقادها الأولى ٢٣ مارس ١٩٢٥ وقد اختير سعد زغلول لرئاسة المجلس الأمر الذى أغضب الحكومة فاستصدرت مرسوما ملكيا بحل المجلس بعد ساعات من بدء انعقاده ، وكان وكيل المجلس على الشمشى ، ووصى واصف .

● بدأ الانعقاد العادى الأول للهيئة النيابية الثالثة فى ١٠ يونيو ١٩٢٦ وانتهى فى ٢٠ سبتمبر ١٩٢٦ وبدأ الانعقاد العادى الثانى فى ٢٨ نوفمبر ١٩٢٦ ، وانتهى فى ١٤ يوليو ١٩٢٧ وكان رئيس المجلس سعد زغلول ووكيله وصى واصف ، ومصطفى النحاس .

● أما الدور الثالث ، للانعقاد العادى فقد بدأ فى ١٧ نوفمبر ١٩٢٧ وانتهى فى ٢٨ يونيو ١٩٢٨ وقد اختير مصطفى النحاس لرئاسة المجلس فلما أُلِف الوزارة فى مارس ١٩٢٨ اختير بدلا منه وصى واصف ، وكان وصى واصف قد اختير ، وكيل للمجلس فى نفس دور الانعقاد هو وحسن هلال فلما أصبح رئيسا للمجلس ، وخلا منصب الوكيل اختير أحمد رمزي بدلا منه .

● كانت الهيئة النيابية الرابعة قد بدأت انعقاد دورها العادى الأول فى ١١ يناير ١٩٣٠ وانتهت فى ١٧ يونيو ١٩٣٠ وكان رئيس المجلس وصى واصف ووكيله عبد السلام فهمى جمعة وعبد الخالق عطية ثم صدر مرسوم ملكى فى ١٢ يوليو ١٩٣٠ بفض دور الانعقاد الأول للفصل التشريعى الرابع ثم صدر مرسوم ملكى آخر فى ٢٢ أكتوبر ١٩٣٠ بإبطال العمل بدستور ٢٣ وحل مجلس الشيوخ ، والنواب .

● أما الهيئة النيابية الخامسة التى جاءت وفقا لدستور ١٩٣٠ الذى أصدره اسماعيل صدقى ، فقد بدأ دور الانعقاد الأول فى ٢٠ يونيو ١٩٣١

وانتهى فى ٢١ يوليو ١٩٣١ وكان رئيس المجلس محمد توفيق رفعت باشا
ووكيلا المجلس محمد علام وعلى المنزلاوى .

وكذلك - وبفس هيئة المكتب - بدأ دور الانعقاد العادى الثانى فى ١٧
ديسمبر ١٩٣١ وانتهى فى ٧ يوليو ١٩٣٢ ، وكان دور الانعقاد الرابع قد
بدأ فى ١٥ ديسمبر ١٩٣٢ وانتهى فى ٢٧ يونيو ١٩٣٣ ، وكان رئيس
المجلس محمد توفيق رفعت ووكيلاه محمد علام ، ثم محمد زكى ، على
المنزلاوى ، ثم حسين هلال .

وكان دور الانعقاد العادى الزايع قد بدأ فى ١٤ ديسمبر ١٩٣٣ .
وانتهى فى ٢٨ يونيو ، وكان الرئيس هو محمد توفيق رفعت والوكيلان ،
ابراهيم دسوقي أباطة ومحمد حسين ، وفى ٣٠ نوفمبر ١٩٣٤ صدر أمر
ملكى بإبطال العمل بدستور ١٩٣٠ وحل مجلسى الشيوخ والنواب ثم صدر
أمر ملكى آخر فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ بالعودة الى العمل بدستور ١٩٣٠
وحل مجلسى الشيوخ والنواب ثم صدر أمر ملكى آخر فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥
بالعودة الى العمل بدستور ١٩٣٣ ، وكانت الهيئة النيابية السادسة ، وقد
بدأ دور الانعقاد الأول فى ٢٣ مايو ١٩٣٦ وانتهى فى ٢٤ أغسطس ١٩٣٦ ،
بينما بدأ دور الانعقاد الثانى فى ٣١ نوفمبر ١٩٣٦ وانتهى فى ٢٤ يوليو
١٩٣٧ وكان رئيس المجلس الدكتور أحمد ماهر ، ووكيلاه على حسين وكامل
صدقى و . و .

● هذا عن الحياة النيابية فى تلك المرحلة ، أما فيما يتعلق بالوزارة ،
فنذكر أن سعد زغلول كان قد ألف وزارته الأولى فى ٢٨ يناير ١٩٢٤ .

وكان الوزراء فيها : محمد سعيد باشا (وزارة المعارف) محمد توفيق
نسيم باشا (المالية) أحمد مظلوم باشا (الأوقاف) حسن حسيب باشا
(الحربية والبحرية) محمد فتح الله بركات باشا (الزراعة) مرقص حنا بك
(الأشغال العمومية) مصطفى النحاس بك (المواصلاات) واصف بطرس غالى
أفندى (الخارجية) محمد نجيب الغرابلى أفندى (الحقانية) وقد كانت المرة
الأولى فى تاريخ الوزارات المصرية أن يختار اثنين من الأفندية وزيران !!

● وفى ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ ألف زيور باشا على النحو التالى : أحمد زيور
باشا للرئاسة والداخلية والخارجية .

- وكان سعد زغلول قد احتفظ بوزارة الداخلية فى وزارته الأولى
والأخيرة - : أحمد محمد خشبة (للمعارف) والحقانية مؤقتا (عثمان محرم
باشا) (الأشغال) محمد السيد أبو على باشا (الزراعة) محمد صدقى باشا

(الأوقاف) يوسف أصلان قطاوى باشا (للمالية) نخلة جورجى المطيعي
(المواصلات) محمد صادق يحيى باشا (للحربية والبحرية) وقد أجزيت
تعديلات كثيرة على وزارة زيور باشا ، اذ تم تعيين أحمد موسى باشا للحقانية
واسماعيل صدقى باشا للداخلية ثم عبد العزيز فهمى للحقانية ونقل يوسف
أصلان قطاوى للمواصلات وتعيين على ماهر للمعارف ومحمد على علوبة للأوقاف
وتوفيق دوس بك للزراعة .

وكان هذا التعديل الجوهري قد تم عندما استقال زيور باشا فى ١٣
مارس ١٩٢٥ ، وعهد اليه الملك بتأليف الوزارة الجديدة ثم كان ما كان من
عودة زيور باشا (٣٠ نوفمبر ١٩٢٥) الى الداخلية والخارجية ونقل حلمي
عيسى باشا الى المواصلات ونقل محمد توفيق رفعت الى الأوقاف .

● استقال زيور باشا فى ٧ يونيو ١٩٢٦ وتولى الوزارة بعده - فى ٧
يونية ١٩٢٦ - عدلى يكن باشا ، وقد احتفظ عدلى يكن باشا الى جانب
الرئاسة بوزارة الداخلية وتولى عبد الخالق ثروت باشا وزارة الخارجية
وأختر فتح الله بركات باشا للزراعة ومحمد نجيب الغرابي باشا للأوقاف ،
أحمد محمد خشبة بك للحربية والبحرية ومحمد محمود باشا للمواصلات
وأحمد أبو السعود باشا للحقانية . وقرص حنا باشا للمالية وعلى الشمسى
للمعارف ، وعثمان محرم بك للأشغال .

ولكن وزارة عدلى يكن لم تستمر طويلا فى الحكم ، ففي ٢٦ ابريل
١٩٢٧ استقال عدلى يكن باشا وعهد الملك الى عبد الخالق ثروت باشا بتأليف
الوزارة الجديدة فالفها فى نفس اليوم ، وكان من بين وزرائه : جعفر ولى
باشا (الحربية والبحرية) أحمد زكى أبو السعود باشا (الحقانية) فتح
الله بركات باشا (الزراعة) مرقص حنا بك (الخارجية) محمد نجيب الغرابي
باشا (الأوقاف) على الشمسى باشا (المعارف) أحمد محمد خشبة باشا
للمواصلات (ويلاحظ أن الأفندية أصبحوا باشوات والبكوات أصبحوا
باشوات أيضا) وعثمان محرم باشا للأشغال ، ومحمد محمود باشا للمالية
وعم أعضاء الوزارة السابقة مع تغيير فى بعض المناصب الى جانب دخول
جعفر ولى باشا .

وهذه الوزارة قد واجهت العديد من المصائب ، من بينها أزمة (مايو
- يونيو ١٩٢٧) وقد بدأت تلك الأزمة باقتراح للجنة المالية فى مجلس
النواب بإلغاء منصب سرداء الجيش المصرى ، وكان المنصب شاغرا بعد مقتل
السير لى ستاك و . و .

وفى عهد هذه الوزارة توفى سعد زغلول فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٧
وانتخب مصطفى النحاس باشا خلفا له .

سنوات ما قبل الثورة ج ٢ - ١٢٩

تم استقالة وزارة ثروت باشا في ٤ مارس ١٩٢٨ وخلف النحاس باشا ثروت باشا في رئاسة الوزارة .

● وقد ألف النحاس باشا وزارته الائتلافية من جعفر ولي باشا (للحربية) واصف بطرس غالى باشا (للخارجية) الغرابي باشا للأوقاف ، على الشمسي باشا (للمعارف) ، أحمد محمد خشبة باشا (الحقانية) محمد محمود باشا (المالية) محمد صفوت باشا (الزراعة) ابراهيم فهمي كريم بك (الاشغال) مكرم عبيد أفندي (للمواصلات) .

وقد واجهت هذه الوزارة أزمة قانون الاجتماعات الذي اعترضت عليه بريطانيا بدعوى أنه يعرض للخطر سلامة الأجانب .

وقد اندرت بريطانيا الحكومة المصرية بضرورة سحب مشروع قانون الاجتماعات هذا فاستجابت الوزارة للأنذار البريطاني ثم كانت اقالة وزارة النحاس في ٢٥ يونيو ١٩٢٨ بسبب نقض الائتلاف الذي قامت عليه الوزارة ، وكانت اقالة وزارة النحاس أول اقالة لوزارة مصرية منذ جندوز دسيتور

● ألف محمد محمود باشا وزارته : بعد اقالة وزارة النحاس في ٢٧ يونيو ١٩٢٨ وقد احتفظ محمد محمود باشا لنفسه الى جانب الرئاسة بالداخلية وشارك معه في الوزارة جعفر ولي باشا (الحربية والبحرية) والاوقاف مؤقتا (عبد الحميد سليمان باشا (المواصلات) أحمد محمد خشبة باشا (للحقانية) ، نخلة المطيعي باشا (للزراعة) ، على ماهر (للمالية) ، ابراهيم فهمي كريم (للاشغال) ، حافظ عفيفي بك (للخارجية) ، أحمد لطفي السيد بك (للمعارف) .

وهذه هي الوزارة التي حلت البرلمان ، وعطلت الدستور لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

بعد استقالة تلك الوزارة في ٢ أكتوبر ١٩٢٩ وتألفت وزارة عدلي يكن باشا الثالثة في ٤ أكتوبر ١٩٢٩ وتولى وزارة الخارجية في تلك الوزارة أحمد مدحت سليم باشا وتولى عبد الرحيم صبرى باشا (صهر الملك فؤاد) وزارة المواصلات كما تولى حسين درويش باشا وزارة الحقانية ومصطفى ماهر باشا (المالية) وحسين واصف باشا (الاشغال) وواصف سمكة باشا (الزراعة) وأحمد على باشا (الأوقاف) وحافظ حسن باشا (المعارف) ومحمد أفلاطون باشا (الحربية) واعيدت الحياة الدستورية واجريت الانتخابات : وفاز حزب الوفد في تلك الانتخابات ، كما هو الحال في كل انتخابات حرة .

واستقالت وزارة عدلي يكن باشا وألف النحاس باشا وزارته الثانية في أول يناير ١٩٣٠ على النحو التالي . مصطفى النحاس باشا للرئاسة والداخلية ، حسن حبيب باشا للحربية والبحرية ، واصف بطرس غالي باشا للخارجية ، محمد نجيب الغرايلى باشا للحقانية وعثمان محرم باشا للأشغال ومحمد صفوت باشا للزراعة ومكرم عبيد أفندى للمالية ، محمود فهمى النقراشي للمواصلات ، بهى الدين بركات بك للمعارف ، محمود بسيونى أفندى للأوقاف .

ولم تستمر الوزارة النحاسية الثانية طويلا فى الحكم اذ استقالت وجاء اسماعيل صدقى باشا لرأس الوزارة الجديدة التى ألغيت دستور ١٩٢٣ وجاءت بدستور جديد وكانت بحق وزارة انقلابية .

وقد دخل مع صدقى باشا فى الوزارة التى ألفها فى ٢٠ يونيو ١٩٣٠ - وقد احتفظ بالرئاسة والداخلية والمالية - : محمد توفيق رفعت باشا (الحربية والبحرية) عبد الفتاح يحيى باشا (الحقانية) حافظ حسن باشا (الأشغال والزراعة) على ماهر باشا (المعارف) توفيق دوس باشا (المواصلات) محمد حلمى عيسى باشا (الاوقاف) حافظ عفيفى باشا (الخارجية) .

● ومن رأى ضرورة الاهتمام بوجهة نظر الاجانب فى كثير من المسائل الوطنية وخاصة اذا ما كان هذا الاجنبى على صلة وثيقة بمصادر الأخبار وبالشخصيات المهمة صانعة التاريخ ، ومن تلك الشخصيات - مثلا - المارشال ويفيل الذى أرحخ للورد اللنبى .

وقد اخترت بعض ما كتبه ويفيل عن وزارة سعبه زغلول فاتحة الحياة النيابية الحديثة ، وكان مما كتبه عن تلك الوزارة :

كانت سنة ١٩٢٤ فى مصر عام زغلول ، فلقب طلعت عليه وهو سيد مصر الأعلى لو استثنينا القوة الساحرة لبريطانيا العظمى وراء الموقف . وكان فى اعتقاده أن يستطيع شل هذه القوة بمفاوضات مع حكومة العمال التى تألفت فى انجلترا منذ عهد قريب .

كان سعب زغلول حاكما غيورا يغير الحنكة السياسية او الادارية ، ومفاوضا طنانا ضيق الألق لا كفاءة عنده فى التفاهم . ثم عجلت بسقوطه - الذى لم يكن بد من حدوثه بسبب هذه العيوب ان عاجلا وان آجلا - آخر العام جريمة يعتبر فشل فى قيادة أنصاره مستولا عنها الى حد كبير . وانتهى العام بالتخلص منه - فى الواقع - كشخصية رئيسية فى محيط السياسة المصرية كما سبق له ذلك مدة طويلة ولو بقى اسمه بعد ذلك يحتفظ بتأثيره فى الشعب . لقد وضعت أول محاولة للحكم الوطنى فى مصر منذ آلاف السنين فى الكفة فشلت به .

ابتداءً العام ولا تزال وزارة يحيى ابراهيم فى الحكم ولو أنها خضعت - تماماً - لمشينة الملك فؤاد . ولما أدرك بفطنته أن انتصار الزغوليين فى الانتخابات أمر لا مفر منه راح يعلن عن مجاملته للوفد ، ومع ذلك فقد كان يؤمل فى خلق معارضة قوية من أصحاب الأملاك ربما تتألف منها نواة حزب ملكى فى يوم ما . وكان يوم ١٢ يناير اليوم المحدد لأول انتخابات لبرلمان مصر الجديد فسافر للنبيى فى ٧ يناير برحلة الى السودان ظناً منه أن الحكمة تقتضيه التغيب فى اثباتها وترك مهام دار المعتمد يتولاها الوزير كير مدة غيابه .

ولو أنه لم يكن هناك شك أبداً فى نتيجة الانتخابات إلا أن نجاح الزغوليين التام قد أدهش الجميع ، الملك ودار المعتمد والمتدلين من المصريين بل والزغوليين أنفسهم ، إذ أعلن فى مجلس النواب ١٩٠ عضواً من أعضائه البالغ عددهم ٢١٤ عن تأييدهم لزغول . حتى أن رئيس الوزراء نفسه سقط فى الانتخابات ثم قدم استقالته بعد قليل .

ومضى ويفيل قائلاً :

● نظمت حتى فى حفلة افتتاح البرلمان المظاهرات ضد الحكم البريطانى فى السودان ، وما فتئت حقوق المصريين فى إدارة السودان التامة موضوع التهيج فى البرلمان والصحافة واستمرت الدعاية فى السودان نفسه بغير هوادة وبعنف خطير . وثمة علامات أخرى مزعجة . فقد قتل فى ابريل طالبان مصريان جاويشاً من قوة الطيران الملكى ، وكانت هذه أولى الحوادث من نوعها من منذ سنة تقريباً ، كما هوجم فى البرلمان بعنف مركز السير لى ستاك كسردار للجيش المصرى ، ورفض البرلمان الموافقة على الدفعة السنوية التى تدفعها مصر لجيش الاحتلال ، ورفض الموافقة على قرار تعويض الموظفين الأجانب الذى أصدرته وزارة يحيى ، وهددت الأمور بخلق أزمة فى أواخر يونيه عندما أعلن لورد بازمور فى مجلس اللوردات أن الحكومة البريطانية لم تكن لتتوى التنازل عن مركزها فى السودان ، فلقد أثار هذا الاعلان الاحتجاجات والمظاهرات فى مصر ، وصرح زغلول فى مجلس النواب بأن لن يمكن كسب شئ بالمفاوضات ما دامت هذه وجهة النظر البريطانية ، وبأنه نوى أن يستقيل : ولكن لم تكن استقالته بالجديدة على الرغم من تقديمها للملك إذ سرعان ما أقنع باستمراره فى الحكم . ثم خفف من حدة هذا التوتر التصريح السلمى الذى أدلى به مستر رامزى ماكدونالد فى مجلس العموم ، وأعدت بعد ذلك العدة لعقد اجتماع فى لندن فى نهاية سبتمبر .

وعن وزارة سعد زغلول وخادث اغتيال السير لى ستاك كسردار الجيش المصرى قال ويفيل :

قبض زغلول على البلاد بيد من حديد بتعيينه بعضا من أشد المتطرفين من أنصاره فى المناصب الهامة دون نظر الى مقدرتهم الادارية . وبفصله من يشك فى ولائهم له من مديرى الأقاليم ، وباتخاذ اجراءات صارمة لقمع خصومه السياسيين . ثم صمم بعد ذلك على خلق أزمة ما كما صمم على حرمان القصر من القدرة على مقاومة أوامره الديكتاتورية . ونفذ ذلك فى ١٦ نوفمبر باستقالة مفاجئة وبتعبئة جيشه من الطلبة والرعاع ليمروا فى الشوارع ويتظاهروا مطالبين بعودته . وبلغت مناورته غايتها بعد اجتماع دام ساعتين مع الملك اذ سحب استقالته بعد أخذه لبعض التعهدات منه . بينما كان الطلبة - جنوده المدربون - يواصلون الهتافات خارج القصر « سعد أو الثورة » . فلما غادر زغلول القصر شكرهم علانية وصرفهم .

بلغ حينئذ زغلول القمة فى قوته وربما كان يحلم بديكتاتورية كدكتاتورية مصطفى كمال بتركيا . فلقد بلغ من اعتقاده بقوته أن عامل رئيس موظفى اللبى - وقد أرسل لمناقشته فى الاستشارة القضائية - بخشونة وتهور مما أوجب تذكره بأنه انما يخاطب ممثل الحكومة البريطانية . ولكن نذر أن وقع العقاب على سوء استعمال القوة بمثل السرعة التى وقع بها هذه المرة . اذ حدثت - بعد ثلاثة أيام من انتصاره فى القصر - جريمة سببها فشله فى كبح عنف المتطرفين الذين لا يبالون من أنصاره . فأدى ذلك الى سقوطه من الحكم .

بعد الظهر بقليل من يوم ١٩ نوفمبر فى الساعة الواحدة والنصف أطلق الرصاص على السردار سير لى ستاك بينما كان عائدا الى منزله من وزارة الحربية وجرح فى مواضع ثلاثة ، كما أصاب الرصاص ياوره الكاتب بـ.ك من فرقة Blackwatch وسائق السيارة وكان استراليا وجنديا سابقا يدعى مارش .

وتوفى السير لى ستاك قبل منتصف ليل اليوم التالى بالمستشفى الانجليزى الأمريكى ، لقد كان رجلا ذا جاذبية شخصية فائقة ، مضى عليه فى مصر والسودان ٢٣ سنة وقد خدم مصر وانجلترا باخلاص وأجبه كثيرا المصريين والانجليز واحترموه ولقد تركت هذه الجريمة أعظم الأثر فى القاهرة ومصر . أما استنكار الجالية البريطانية فكان شديدا وجه بعضه لـ لألبنى اذ اتهمه كثيرون بتخطيه حدود التحمل لهياج المصريين هذا ، بينما انتشرت الدهشة والذعر فى اندوائر السياسية المصرية من نتائج هذه الجريمة .

كان ٢٢ نوفمبر - يوم جنازة السير لى ستاك - يوم درامة مثيرة . فلقد استشاط بعض من أعضاء الجالية البريطانية غضبا عندما علموا بأن زغلول والوزراء المصريين - وهم المسئولون فى نظرهم عن الجريمة الى حد كبير - سيحضرّون صلاة الجنازة بالكنيسة الانجليزية ، حتى قامت بينهم محاولة لارغام اللبى على تغيير الترتيبات التى ستتخذ ، الا أنها فشلت تماما حين قال لهم

ان السردار رئيس للجيش المصرى ومستول أمام الحكومة المصرية فمن الصواب
والحق ان يشترك أعضاؤها فى جنازته .

ولا يمكن ان ينسى ذلك المنظر الذى كان فى كنيسة « القديسين » . فقد
أرسل الملك فؤاد ياوره نائباً عنه ، بينما لاج على وجوه الوزراء المصريين - وعلى
رأسهم زغلول - ما كانوا يحسونه من التوتر وما كانوا يرونه من عداء لهم فى
نظرات البريطانيين الموجودين بالكنيسة وازدحمت الكنيسة الصغيرة فى نفس
أوقت برجال البحرية البريطانية ، والجيش والمدنيين من أعضاء الجالية ،
وبرجال السلك السياسى فى كامل ثيابهم ، كما حضر ممثلو جميع الجنسيات
الأجنبية فى مصر . بينما قد تألف فى الخارج موكب كبير يضم كل الجنود
البريطانيين حتى كادوا يبلغون فى طول موكبهم المقبرة نفسها كما تجمعت
الجماهير الغفيرة على طول الطريق وبدأ اللبى فى داخل المقبرة فيبذلته الحاكية
شخصية جليلة مرهوبة تشعر بوطاة الانفعال العميق ولو أنه انفعال مكتوم .
ثم وقف وحده قبالة النعش ما يقرب من عشر دقائق ينتظر وصول لادى ستاك
وابنتها . ثم حمل النعش أخيراً الى القبر - بعد صلاة بسيطة قصيرة - على
أكتاف ثمانية من الضباط الانجليز ممن يعملون بالجيش المصرى . ولقد اشتد
الأمراء المصريون والشيوخ والنواب فى الموكب الطويل الذى كان يستغرق
مروره بأحد الأماكن ساعة من الزمن حتى كاد يخيل الى المرء أن القاهرة خرجت
كلها لمشاهدة تلك الجنازة ، فلما وقف اللبى بجوار المقبرة عليه التأثير الشديد
كما تجلج فى وجهه أنه مقدم على قرار خطير ، ولم يقع فى تصرف الجماهير فى
القاهرة ما يمكن أن تغلب عليه ، أما فى الإسكندرية فقد وقعت بعض المظاهرات
التي كان يهتف فيها « يسقط الانجليز » وذرك خارج الكنيسة التي أقيمت
بها الصلاة التذكارية .

ولكن لم تنته درامة ذلك اليوم بالجنازة ، فقد كان مقرراً أن يجتمع البرلمان
فى الخامسة من ظهر ذلك اليوم وراخوا ينتظرون فى قلق ما سوف يتخذ من
قرارات بينما ظن أن الحكومة ربما تستقبل . وراخ اللبى بدوره فى دار المعتمد
ينتظر بصبر فارغ برقية من وزارة الخارجية إذ كان مصمماً على تقديم الأنداز
النهائى للحكومة المصرية بعد ظهر ذلك اليوم . وكان قد أبرق للوطن بشروطه
المقترحة وطلب منهم الرد ظهر ٢٢ نوفمبر . فلما أن انقضى الظهر ولم يأت
الرد بلغ نفاذ الصبر باللبنى مداء ، فقد كان مصراً على تسليم المذكرة لرئيس
الوزراء قبل أن يجتمع البرلمان فى الخامسة . كان يخشى أن يقدم زغلول
استقالته قبل أن يتم هو ذلك ، فلما بلغت الرابعة والربع رأى أنه لا يستطيع
انتظار موافقة وزارة الخارجية أكثر من ذلك وكان قد أمر فرقة فرسان لانسرز
Lancers بأن تقف بجانب ثكنات قصر النيل بعد انتهاء الجنازة ثم أمرها
الآن بالقيام بحركة استعراض أمام دار المعتمد لتخرسه فى ذهابه الى مكتب

رئيس الوزراء • لقد نذر أن استخدم النبي الاستعراض والاحتفال ، ولعلها المرة الوحيدة التي تعمد فيها استخدام الأساليب المسرحية • ولكن كان لا يزال أمامه قرار خطير ليتخذه ، فبينما هو يغادر دار المعتد ليركب عربته اذا بأحد موظفيه يهرع اليه • لقد وضعت البرقية التي طال انتظارها من وزارة الخارجية وراحوا يحلون شغرتها ، وكانت برقية طويلة وبذلك وضع أنها ليست موافقة تامة منهم على مقترحات النبي • وانتظر نحو حتى اذا أدرك أنه مستحيل أن يتم حل شغرتها قبل الساعة الخامسة قرر أن يمضي في تنفيذ انذاره بغير تردد فسار - ببذلة الرمادية العسادية - بين حرسه من اللانسز يقصد رئيس الوزراء ، وكان مكتبه في مواجهة دار مجلس النواب حيث راح النواب يتجمعون فيه انتظارا لعقد الجلسة وبعد أن تلقى من الفرسان تحيتهم وصدح موسيقاهم دخل النبي الى غرفة رئيس الوزراء ثم قرأ عليه بالإنجليزية مطالبته وترك له نسخة منها بالفرنسية ثم عاد الى داره •

● ورغبة في اعطاء صورة كاملة عن الحياة السياسية في مصر بعد تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ نستأذن في الاستعانة برأى كاتب أوروبى مستنير هو مارسيل كولومب ، الذى لعب دورا هاما في الحركة الاشتراكية فى الشرق الأوسط والذى قدم - وبحق - دراسات مستنيرة ، وناضجة عن فترة هامة من فترات تاريخنا المعاصر : يقول مارسيل كولومب : ابتداء من عام ١٩٢٤ وحتى عام ١٩٣٦ لم يعتل الوفد منصة الحكم الا لمدة تقل عن عامين من مارس ١٩٢٤ الى ديسمبر ١٩٢٤ ، ومرة ثانية وعلى فترتين برئاسة مصطفى النحاس باشا • أولاها من مارس الى يونيو ١٩٢٨ والثانية من يناير الى يونيو ١٩٣٠ وهكذا يتبين لنا أن أى مجلس نيابى لم يستطع ان يكمل دورته ومدتها خمس سنوات كما حددها الدستور ولذلك فان الدورات البرلمانية التى انتهت دون حدوث أزمة دستورية تفضاها فجأة قبل الموعد المحدد لفضها من الأمور النادرة •

ويشير مارسيل الى أن سعد زغلول منذ وصوله الى الحكم أعلن عن استعداده لأن يبدأ مع بريطانيا العظمى مفاوضات حرة من كل القيود ، وكان عليه بعد ذلك أن يؤكد فى مجلس النواب أنه بوصفه رئيسا للوزراء سيواصل تنضله من تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى سبق أن استنكره بوصفه رئيسا للوفد •

وقد شهد نوفمبر ١٩٢٤ أول صراع بين الملك ومجلس الوزراء ، فقد تصور رئيس مجلس الوزراء - سعد زغلول باشا - باسم الدستور أن بمقدوره أن يطاع فى أن يفرض على القصر سلطة اشرافه على تعيين كبار موظفى البلاط وقدم سعد استقالته فى ١٥ نوفمبر وعلى الفور اجتمع مجلس البرلمان وجدد الثقة به واجتاحت المظاهرات شوارع القاهرة متجهة نحو قصر عابدين ، وتوجه وفد من مجلس الشيوخ لمقابلة الملك الذى اضطر فى النهاية الى أن يرضخ وأن يقبل

الاقتصار على حدود دوره كحاكم دستوري ليست لأرائه التي تتصل بشئون الدولة فاعلية الا اذا صادق عليها رئيس مجلس الوزراء والوزراء المختصون ، وأعلن سعد زغلول للجماهير التي كانت تهتف له انه قد يبقى في السلطة بفضل الله واردة الأمة ، أما والأمر كذلك فانه ل يبدو الآن أن الوضع الداخلي في مصر جد مناسب لتدخل من جانب بريطانيا العظمى تدخل كأنما قد حدث بكل ما فيه من شدة وحزم كفايين لتخدم بطريقة مباشرة قضية الملك بتخليصه من رئيس وزارة مشاغب ومتعب دون أن يكون عليه - على الملك - أن يتحمل أمام الرأي العام مسئولية الأزمات الوزارية ، وحسب المعلومات التي لدينا الآن فليس ثمة ما يمكن أن يسمح لنا بأن نؤكد وجود اتفاق ولو ضمنى بين الملك فؤاد واللورد اللتبي ومع هذا فمن الممكن الافتراض بأن التوتر بين الملك فؤاد ومجلس الوزراء لم يكن منبت الصلة كلية بالتشدد والعنف في السياسة البريطانية الذي أعقب اغتيال سير لي ستاك الحاكم العام للسودان والمأجور بالجيش الانجليزى وسردار الجيش المصرى .

وهنا نقطة غامضة معتمة بطريقة تندو ولو أن بريطانيا العظمى كانت متأكدة ان بإمكانها أن تعتمد على صمت القصر ، وموافقته على قيامها - قيام بريطانيا العظمى - بتوجيه ضربة قاصمة للوطنية المصرية التي كان زعيمها بالنسبة البريطانية خصما صعب المراس ، كما لو كان بالنسبة للملك حكومة تشدد وتمسك بروح الدستور ونصه .

● وعن أحمد زيور باشا يقول مارسيل كولومب : هو رجل مسالم ، لطيف ولين العريكة يأخذ الناس والاشياء بشكل تهكمى مرح ، لكنه كان في نفس الوقت أقل صلاحية مما يلزم لكي يلعب الدور الذي فرض عليه ولذلك لم ينجح في أن يحول دون حدوث الانقسامات التي سرعان ما بدت لتهدد الحكومة ذلك أن آراء ومقاهيم حزبي الأحرار الدستوريين والاتحاد بالرغم من الرغبة المشتركة التي تحركهما وهي تفتيت نفوذ الوفد كانت غير متفقة الى حد لا يمكن معه دوام الوفاق الذي قام بينهما ، فالأتاحاديون الملتفون حول رئيس الديوان الملكي لم يروا في الصراع ضد الوفد الا خطوة أولى نحو اعادة قيام الحكم الفردى فى مصر ، وحيث أنهم يعيشون فى كنف القصر ، فقد كان حكم القصر هو ما كانوا يعملون على تدعيمه هادفين بذلك الى ضمان استمرارها فى السلطة . لذلك تحملوا على مضض أن يوجد بينهم ثلاثة من الوزراء الذين لا يشاركونهم لا وجهات نظرهم السياسية ولا مطامحهم البعيدة . أما عن الآخرين - الأحرار - فلم يكن اغفسال الدستور فى الواقع بالنسبة اليهم فى ديسمبر ١٩٢٤ سوى اجراء وقتى فرضته الظروف ، لكن الدستور سوف يعود حتما بمجرد أن تسنح الفرصة ويسمح الوضع الداخلى فى مصر بعودة الحياة انيابية . ولهذا السبب فقد ساورهم شئ من القلق وهم يوافقون على حل

مجلس النواب للمرة الثانية ، كما زاد تأخير إصدار قانون الانتخابات وكذا القيود التي وضعت على حرية الصحافة في يولية ١٩٢٥ من معارضيتهم وبالإضافة الى ذلك فان سلطة رئيس الديوان الملكي المتزايدة والنفوذ الذي كان يمارسه على بعض المصالح الحكومية والتصرفات المالية التي انغمس فيها ، كل ذلك مما جعلهم يتململون من ائتلاف كان يتأكد لهم يوما بعد يوم وبشكل ملموس أنه أكثر اضرارا بمصالح حزبهم وبمصالح مصر من « ديكتاتورية الوفد البرلمانية » .



● وبعد سفر رئيس الوزراء في بداية صيف عام ١٩٢٥ زادت الخلافات لدرجة ملموسة وفرض يحيى إبراهيم باشا - الذي أصبح رئيسا للوزراء بالنيابة - على مصر « وزارة قصر » حقيقية ، حتى أن الأحرار الدستوريين لم يستطيعوا أن يقنعوا أنفسهم بقبول اداة هيئة كبار علماء الأزهر للشيخ على عبد الرازق الذي ألف كتابا عن « الاسلام وأصول الحكم » عد مخالفا للشريعة الاسلامية فعندما تباطأ وزير العدل عبد العزيز فهمى باشا في إصدار الأمر بعزل الشيخ على عبد الرازق من وظيفته في القضاء الشرعى قدم رئيس الوزراء استقالته ، لكن رفضها الملك . وللخروج من الأزمة أصدر الملك مرسوما بأقالة وزير العدل الذي اتهم في حميته الدينية ، وعندما أصبح وزراء الأحرار الدستوريين الآخرين وحيدون في غيبة رئيسهما استقالا وجرا معهما اسماعيل صدقي باشا الذي كان في ذلك الوقت في باريس وأرسل استقالته تلفرافيا . وبذلك انقض الائتلاف .



● وعين الملك في المناصب التي خلت في ١٢ سبتمبر - ودون انتظار لعودة زيور باشا - رجالا معروفين على وجه الخصوص بولائهم لقضيته ، وبذلك فقدت الحكومة أكثر أعضائها تمثيلا للأمة ، ولم تعد الحكومة المشكلة الآن من وزراء اتحاديين صرف سوى أداة في يد الملك ، اذ انتهى - على الأقل - ما كن يحيط بتشكيلها من غموض ، واتخذ الصراع ضد الوفد شكلا سافرا ، فكل ما ينبغي على الحكومة الآن عمله هو أن تهى الفرضة التي تسمح للملك بإعادة تأكيد سلطته عن طريق وزارة مالية تماما لوجهات نظره . ولم يكن ثمة ما يمكن ان يعيد الوحدة الى كل الأحزاب السياسية أكثر من هذا . وعلى الفور لم يتردد لا الأحرار الدستوريين ولا اسماعيل صدقي في التقرب الى (أعداء الأمس) وفي ضم جهودهم الى جهود الآخرين لخوض الصراع ضد حكومة ليس لها نفوذ داخل البلاد بل تستمر في الحكم بإرادة الملك وحدها ، صراع تحتم أن يكون الهدف منه هو إعادة الحياة البرلمانية الى البلاد - وكان هذا في النهاية ما يتحتم حدوثه - ففي فبراير سنة ١٩٢٦ أعيد قانون انتخابات ١٩٢٣ وفي مايو انتهت الانتخابات بثالث انتصار مدو للوفد وقدم زيور باشا استقالته في ٧ يونية

وكان على الملك فؤاد أن يقبلها مغترفا هذه المرة بالهزيمة في أولى محاولات لحياء تلك الأتمنة الخوئي التي قرر فيها جده محمد على مؤسس الأسرة الحاكمة مضير مصر باعتباره ملكا مستتبدا .

● ويقول مارسيل كولومب ان لورد لويد ، المعتمد البريطاني الجديد - ذلك الموظف الكبير والحاكم العام السابق لبومباي ، والذي كان يجب أن يحيط نفسه بالابهة والملكية ، تظاهر بالعودة الى الوسائل التي أتبعها اللورد كرومر بنجاح ، كما كان يشك كثيرا في أن تكون الوطنية المصرية . قد استطاعت ان تفيد من الأحداث السابقة . وفي يوم ٢٥ مايو وبعد ثلاثة أيام فقط من الانتخابات برأت محكمة الجنائيات العليا بالقاهرة التي كانت تتكون من قاضيين تحت رئاسة القاضي الانجليزي كرشو Kershow سبعة متهمين من بينهم وزيران وفديان سابقان كان يشتبه في تورطهم في عدد من حوادث الاغتيال التي ارتكبت في عام ١٩٢٢ ضد البريطانيين ورأت لندن في هذا أن الوطنيين المصريين لم يدركوا كما ينبغي قيمة الفرص التي تتاح - هكذا قال مارسيل كولومب - فاتخذت الاحتياطات اللازمة على الفور ، وفي ٣٠ مايو اجتمع لورد لويد مع سعد زغلول طويلا وغداة ذلك درس مجلس وزراء لندن التقارير الواردة من القاهرة ثم تقرر ارسال مدمرة الى مياه الاسكندرية ، وفي ٢ يونية عبرت الحكومة البريطانية في مذكرة منها الى مصر عن تحفظاتها على الحكم الذي أصدرته محكمة الجنائيات العليا وأكدت من جديد « كامل حريتها في اتخاذ أية اجراءات تراها مناسبة في المستقبل وتسمح لها بالقيام بالالتزامات المفروضة عليها لسلامة وأمن الأجانب في مصر » . وفي نفس اليوم قدم القاضي كرشو استقالته معلنا بحركته الاستعراضية تلك عن احتجاجه على « الأخطاء القانونية » التي وقع فيها زميله المصريان .

وتجنب سعد زغلول الأثمة التي كانت تبدو بوادرها وضرف النظر عن تولى رئاسة مجلس الوزراء حقه الطبيعي .

والح على عدلي باشا في أن يشكل الوزارة الجديدة التي دخلها ستة من الوفديين وثلاثة من الأحرار الدستوريين ومستقل واحد . . ولكنه لم يلبث طويلا اذ استقال في ١٩ ابريل ١٩٢٧ وولى بعده الوزارة عبد الخالق ثروت باشا وزير الخارجية في وزارة عدلي يكن باشا المستقيلة .

ويشير مارسيل كولومب الى أن النائب الوظتي عبد الحميد سعيد قد وجه سؤالا في البرلمان لمعرفة ما اذا كان صحيحا أن ممثل انجلترا بمصر ، لم يقدم أوراق اعتماده للآن واذا كان صحيحا فكيف سماع للحكومة أن تسنكت على ذلك و . و .

وكان بعض الأعيان قد وجهوا دعوة الى لورد لويد لزيارة المنيا ، فلبى الدعوة في ٣٠ ابريل وقوبلت الزيارة بعاصفة من الاستهجان ووصفت بأنها

انتحاز سياسى أخلاقى ووصمة عار لانتمجى وخيانة عظمى ، ووجهت اتهامات بالغة الى أعيان المنيا الذين وجهوا الدعوة ، وغاملوا المعتمد البريطانى فى مصر ، وكأنه ملك غير منوج ، وأكفهر الجو السياسى ، وسيرت المظاهرات وما أن اقترحت لجنة الشئون الحربية بمجلس النواب زيادة عدد الجيش وتقليل السلطات الواسعة المخولة لسبينكس باشا المفتش العام للجيش المصرى الذى كان يقوم بأعمال السردار وان لم يحمل اللقب ، حتى تدخل لؤيد وصدرت الأوامر لثلاث سفن حربية بريطانية بالتوجه الى المياه المصرية ، اثنتان بالأسكندرية والثالثة فى بورسعيد ، وأعلنت وزارة ثروت باشا برأسها للعاصفة وهددت تعيين سبينكس باشا ، لمدة ثلاث سنوات مع منحه لقب فريق ، ثم بدأت المفاوضات المصرية البريطانية التى انتهت بالقفل وباستقالة ثروت باشا ، وكانت وزارة النحاس التى ووجهت أيضا بالعديد من الأزمات من بينها وعلى سبيل المثال لا الخصر أزمة قانون الاجتماعات ، وكان مجلس النواب قد بدأ مناقشة قانون خاصا بالاجتماعات العامة ومظاهرات للشوارع فى الطرق العمومية وكان لدى الوزراء حينئذ أسباب تدعوها الى ان توضح ان هذا القانون لم يكن بالشئ الجديد . فقد سبق اعلانه فى مايو ١٩٢٣ ، فى الفترة ما بين إعلان الدستور ووضع موضح التنفيذ . وكان قد قدم بعد ذلك للتعديلات عليه ، ووفق عليه فى نهاية عام ١٩٢٧ مع بعض تعديلات أهمها الحد من تدخل رجال البوليس فى الاجتماعات العامة . ولكن نتيجة لخطأ فى الاجراءات اقتضى الأمر إعادة القانون الى مجلس الشيوخ فى بداية عام ١٩٢٨ . وهنا فقط اكتشفت الحكومة البريطانية فجأة أن فى الأمر خرقا لتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وتبذلت مذكرات ، وتلقت سفن الأسطول البريطانى المراقبة فى مألظة الأمر بالتوجه الى المياه المصرية وفى ٤ أبريل أرسلت لندن الى القاهرة تذكرا بالتحفظات الأربع الواردة فى تصريح ١٩٢٢ التى تحتفظ الحكومة البريطانية بتوليبتها بصورة مطلقة . ورغم ذلك فقد أدرج مشروع القانون فى جدول أعمال لمجلس الشيوخ وفتح باب المناقشة فيه ٣٠ أبريل وفى عشية ذلك اليوم وجهت بريطانيا لمصر انذارا تطلب فيه من رئيس مجلس الوزراء « أن يتخذ فى الحال الاجراءات اللازمة لمنع مشروع القانون المنظم للاجتماعات العامة والمظاهرات من أن يصبح قانونا وأن يقدم يوم ٢ مايو قبل الساعة السابعة مساء تأكيدا كتابيا قاطعا بأنه لن يستمر فى نظر هذا المشروع والا فان بريطانيا العظمى تعد نفسها حرة فى أن تقوم بأى عمل ترى أن الحالة تستدعيه » .

● وعن رضوخ النحاس باشا للانذار البريطانى يقول مارسيل كولومب
بالحرف الواحد :

ولما كان مصطفى النحاس باشا قد أفاد من درس عام ١٩٢٤ فقد تراجع ووافق مجلس الشيوخ بناء على طلب من رئيس الوزراء على تأجيل المناقشات

حتى دور انعقاده التالى . وهكذا فشلت الخطة ، وعلى ذلك فلم يكن ثمة ما يمنع من عودة المشكلة من جديد فيما لو لم يتخذ الملك فؤاد زمام المبادرة منتهزا فرصة التوتير الناشب بين القاهرة ولندن والخلاف الذى دب فجأة بين الأحزاب المؤتلفة فى الحكم ليطلب الى رئيس وزرائه تقديم استقالته وحين رفض ذلك أقاله الملك وعهد الى رئيس حزب الأحرار الدستوريين محمد محمود باشا بمهمة تشكيل الحكومة الجديدة . ثم أتبع هذا الاجراء باجراءات أخرى مكملة أعطته فى الواقع شكل انقلاب قصر حقيقى . وفى ٣٠ يونية ١٩٢٨ تأجل انعقاد البرلمان بمجلسيه لمدة شهر وفى ١٨ يولية أعلن حله لمدة ثلاثة أعوام قابلة للتجديد وأوقف تطبيق المادتين ٨٩ و ١٥٥ من الدستور ثم المادة ١٥٧ والفقرة الأخيرة من المادة ١٥ وقد أوضح هذا الاجراء العنيف نية الملك وعزمه على أن يعمل خارج نطاق البرلمان وفى غيبته .

ويحمل مارسيل كولومب السراى ودار المعتمد البريطانى مسئولية ما حدث ويركز على خشونة خطاب الاقالة التى جاءت مخالفة للمألوف .

ويشير الى أن محمد محمود الذى ولى الوزارة الجديدة بعد اقالة الوزارة فشل فى مهمته ، كما فشل من قبل زيور باشا .

ويقول أن بريطانيا هى التى أجهضت وزارة محمد محمود وأجبرت الملك - حرضا منها على الوصول الى معاهدة مصرية بريطانية يوقعها حزب الأغلبية - على أن يعدل عن إقامة نظام فردى ، يعمل لصالحه .

ويؤكد مارسيل ان بريطانيا العظمى وجدت نفسها تتيج للوفد من جديد أن ينتصر ويعود الى الحكم .

لقد ولى عدلى يكن باشا الحكم وأجرت وزارته الانتخابات حيث حصل الوفد على ١٩٨ مقعدا من ٢٣٢ ، واستسلم الملك فطلب الى مصطفى النحاس أن يشكل وزارة جديدة لم تصمد طويلا ، فاستقالت بسبب السودان . و . و .

● وكذلك على وحدة المشاعر والعواطف بين كل أبناء الأمة العربية تجاه مصر تسوق مثلا يحمل فى طياته أقوى الأدلة على وحدة الأمة العربية : مات سعد زغلول فى ٢٧ أغسطس ١٩٢٧ ، ولم تكن وفاته رزا للشعب المصرى وحسب ، ولكن للأمة العربية كلها : فى العراق مثلا ، أقيمت عشرات من حفلات التأبين فى العاصمة العراقية ، بغداد . وفى كثير من المدن الكبرى كالموصل ، والبصرة والنجف وكربلاء .

وتبارى السياسيون والشعراء والأدباء فى الافاضة عن مشاعرهم تجاه سعد زغلول ، وكانت سلطات الاحتلال فى العراق وأذنانها وعملاؤها ، تنظر الى هذه الاحتفالات نظرة كلها ريبة وحقد ، وتحفز حتى أن أحد خطباء حفل من تلك

الحفلات وهو الأستاذ رفائيل مطي ، وكان يعمل في وزارة الداخلية لاحظا
لديوان الرسائل ، ما كان ينتهي من القاء خطبته في ذلك الحقل مؤنبا سعد زغلول
حتى صدر قرار بفصله نهائيا من عمله .

وكان ذلك الفصل خيرا وبركة على الأستاذ رفائيل ، فما أن فصل من عمله
في وزارة الداخلية ، حتى تفرغ للصحافة ، ليصبح واحدا من أشهر الصحفيين
العراقيين .

ومما يجدر بي أن أذكره ان الكاتب العراقي خلف شوقي أمين الداودي
يادر بجميع العديد من القصائد ، والكلمات التي ألقيت في الاحتفالات بذكرى
سعد زغلول والتي نشرت في كثير من الصحف العراقية وغيرها ، جميعها في
كتاب أسماه ذكرى سعد زغلول والتي نشرت في العراق وقامت المكتبة الوطنية
في بغداد بطبع هذا الكتاب على نفقتها .

وقد قدم الكاتب لكتابه بكلمة رقيقة قال فيها : قلب مصر ، يخفق للمرة
الرابعة : المرة الأولى يوم تنفيذ الحكم في مسجونى دنشواى والثانية يوم
الاحتفال بجنائزة مصطفى كامل والثالثة يوم وفاة البطل محمد فريد أما اليوم
(٢٣ أغسطس (آب) ١٩٢٧ فقد خفق قلب مصر للمرة الرابعة يوم نعى
الغاة ، سعدا .

وقد ترجم حياة سعد الأستاذ روفائيل بطي ، واشترك في تأبينه ،
الأستاذ عبد الرزاق الناصري وعطا عوم ، ومظفر الزهاوى وكمال الزهير ورؤوف
خطاب والأنسة ف. ح ، ويوسف رجب ، وعلى محمود ، وسليمان قصي سعيد
الحاج ثابت وابراهيم حليبي عطا .

وضم الكتاب عشرات من القصائد في مقدمتها قصائد جميل صدقي
الزهاوى ، ومصطفى جواد ، ومحمد علي الشيخ يعقوب وأكرم أحمد وابراهيم آدم
الزهاوى وخضر عباس الطائي ، وعبد الحسين الآزري ورباب الكاظمي ،
ولجميل صدقي الزهاوى في هذا الكتاب أكثر من قصيدة كان مطلع أولها :

لقد كان سعد خير قرم مجاهد ولكن سعدا قد مضى غير عائد
وكان لجيش الحق في مصر قائدا فخر وظل الجيش من غير قائد
وكان مطلع ثانيها :

كذبنا الحياة فهي تداجي وأرى الموت واضح المنهاج

وفيها

كبير الحزن في العراق لسعد فهو في ماتم على البعد شاجي
شاركت بغداد الكنانة فيه فهي في لهف مثلها وهياج

ان سعيدا لمصر ، مصر لسعد
وقد تفدى كلاهما لبنان النيل
كشيقين في الهوى والتساجي
حسني تشابها في المزاج
وقد جاء في القصيدة الثالثة :

فوجئت مصر بالنعى فكبرت أرضها من هول المصائب تمور
وكانت قصيدة بشارة أفندى الخورى صاحب جريدة البوق قد اختارها.
أدياء لبنان في اجتماعهم بنقابة الصحافة لتلقى باسمهم في حفل الأربعين لتفقد
الشوق العظيم سعيد زغلول باشا وقد جاء فيها :

قالوا دمت مصر دمياء فقلت لهم
قالوا أشهد وأدهى قلت وبحكم
هل غيض النيل أم هل زلزل الهرم
اذن لقد مات سعد وانطوى العلم
تيتبوا كان زغلول أيا لهم
لم لا تقولون ان العرب قاطبة

وكان شاعر لبنان العظيم شلى ملاط قد قال في سعد :
نعي النعاة لنا سعد فروعنا
ومر بالهرمين النيل ملتها
لا مصر جنت مآقيها ولا بلد
ان المقطم قد مادت رواسيه
كانيا الجمر في أضلاع واديه
فى الشرق ضنت على سعد مآقيه

الى أن يقول :

يا أم مصر ، وبنت الأكرمين يدا
هيهات ينسى ولن ينسى صفيته
قد رافقت سعدا فى أيام محنته
يا سعد قل لى وذابت حين قالها
وزوج سعد التى تبكى تنائيه
بيت صفية ركن من مبانيه
وشباطه العينا فى مآقيسه
أنا انتهيت وأغفى فى دياجيه

وكان شاعر القطرين ، خليل مطران قد قال فى سعد

صفية الطهر آتاك الجهاد حلى
لك الجمالان فى خلق وفى خلق
لم تؤتها فى الحذور الأنفس السقم
وزينتاك بكل منهما تؤم

ويا دمنا قد تجدنا عن الشعر فأننى أذكر ما قاله أحمد شوقي فى رثاء
ثروت باشا حيث قال :

يموت فى الغاب أو فى غيره الأسد
قد غيب الترب شمسا لا يقيم بها
كل البلاد ومساد حين تتسد
كانت على جناب الشرق تتقد

الى أنه يقول :

يا ثروة الوطن الغالي كفى عذبة
لنفسك الحكيم في شتى مظاهره
تغدو على الله والتاريخ في ثقة
لنفسك كنز في الثرى بيد
ولا استخفك لين العيش والرغد
ترجو فتقدم أو تخشى فتتشد

أما عبد المحسن الكاظمي شاعر العراق العظيم فقد قال في سعد أروع قصائده بعد عام من وفاة سعد ومنها :

ولي القضاة فقال شاهد عدله
ان التي فتحت بفضل جهاده
دار النياية ليس تنسى بآبائه
لم يمض علم والحياة عزيزة
واذا الحوادث خص مصر لهيها
عبدل منذ اليوم - عاش دواما
قد أحكموا ايصادها احكاما
يعلو بها فتحاسب الحكاما
حتى تراجع عزها أعواما
عم العراق شرارها والشماما

عبثوا باجيكام الشرايع واعتدوا
حفلوا بأنفسهم وقالوا حفلة
هل جاز عند الله أمر منافق
ولربما خضع الأخس نزلفا
ودعوا التحكك بالنظام نظاما
عنيت البلاد لوجهنا اكراما
صلي الصلاة برية أو صبابا
ليصيب جاها أو يصيب حلاما !

إلى أن يقول :

ومن المصائب والمصائب جمّة
ذو العى يصبح بيننا متكلما
وهو هو الإصغار مهما حاولوا
والعسف سبل على الرقاب جنباما
يفصحننا لا يستطيع كلاما
أن يجعلوا اصغارهم أرقاما

ورغبة منا في اتاحة الفرصة للرأي الآخر بعد أن طال حديثنا ، في هذا الكتاب وفيما سبق عن الرأي الذي نؤيد به والذي نسلّم بصحته - نترك المجال - مرة أخرى لاسماعيل صدقي ليتحدث وبأسهاب عن حكمه . ابتداء من عام ١٩٣٠ خاصة وأن رأى اسماعيل صدقي باشا في هذا الموضوع ظل باستمرار محتجبا وغير معروف - يقول صدقي باشا :

كانت الرغبة متجهة الى اختيارى لتأليف الوزارة على أثر اقالة النجاسي باشا في يوليو ١٩٢٨ وخطبت في ذلك خطابه شبه رسمي وتحيات لتأليفها بل ووضعت أسماء الوزراء الذين وقع عليهم اختياري ليتعارفوا معي :

وكان المندوب السامي البريطاني في ذلك الحين هو لورد جورج لويد وكان من الطبيعي أن يكون أميل الى شخص تربى في انجلترا كمحمد محمود باشا بتأثير البيئة العلمية الواحدة والمدرسة الانجليزية الواحدة وقد أدت المشاورات العليا الى اختيار محمد محمود باشا لتأليف الوزارة .

وفي مساء ٢٦ يوليو من تلك السنة بينما أنا منتظر في بيتي الدعوة الى القصر فوجئت بالتليفون بالقرار الجديد .

كان اللورد جورج لويد - كما يقول اسماعيل صدقي باشا - قد نقل الى انجلترا وحل محله في مصر سير برسي لورين ، وكان المندوب السامي الجديد يختلف عن سلفه بأنه سياسى يمتاز بالرونة .

جاءت وزارة محمد محمود باشا وكان هدفها أن تقضى على الأوتوقراطية البرلمانية التي أقامها دستور ١٩٢٣ بطغيان الاكثرية على الأقلية فاستقر الرأي عندها على أن تؤجل الحياة النيابية وتوقف الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد فاصبحت البلاد بذلك تحكم حكما غير برلمانى .

ولم تعمر وزارة محمد محمود باشا طويلا فقد استقالت في أكتوبر ١٩٢٩ وخلفتها وزارة المرحوم عدلى يكن باشا الثالثة وكانت وزارة انتقال أعقبتها وزارة النحاس باشا ، ولكن هذه الوزارة لم تلبث غير خمسة أشهر وثمانية عشر يوما واستقالت في يونيو ١٩٣٠ على أثر عدم نجاحها في مفاوضات هندرسون .

وفي اليوم الذى استقالت فيه وزارة النحاس باشا قابلنى زكى الأبراشى باشا في نادى محمد على ونقل الى رغبة الملك فؤاد في دعوتى لتأليف الوزارة فرجوته أن يبلغ جلالتة ما يأتى : اننى أفخر بثقة جلالتة ، ولكنى أود أن أخبره أنه اذا تم اختيارى لهذا المركز الخطير فستكون سياستى أن أمحو الماضى بما له ، وما عليه وأن أنظم الحياة النيابية تنظيما جديدا يتفق ورأى فى الدستور واستقرار الحكم . فنقل الأبراشى باشا ذلك الى جلالة الملك ثم عاد فأبلغنى ارتياح جلالتة الى هذه السياسة ، وتم تعيينى لتأليف الوزارة فأخذت فى اختيار زملائى وخاطبت بعض أصدقائى من المستقلين والاحرار الدستوريين وحزب الاتحاد وكنت انتظر من الأحرار الدستوريين أن يتعاونوا معى فرفض محمد محمود باشا و . و .

وذهبت اليه أنا وعلى ماهر باشا وتحدثت معه فى ذلك وأفضيت اليه باننى جئت لنفس الغرض الذى ألف وزارته عام ١٩٢٨ من أجله مع اختلاف فى الطريقة والأسلوب وعاهدته أمام بعض زملائنا أن أترك الحكم بعد أداء رسالتى وتحقيق هذا الغرض ، وقلت له بالنص : اننى عابر سبيل ومضى انتهت مهمتى فى القضاء على الفوضى تخليت عن الوزارة .

فاصر محمد محمود باشا على موقفه ، وأبى أن يتعاون معى فسمحت لنفسى أن أتجه الى بعض رجاله فانضم الى منهم حافظ عفيفى باشا مستقلا عن الاحزاب ، وبعد أن اخترت زملائى استأذنتهم وتركتهم فى منزلى ريثما أقابل المندوب السامى البريطانى سير برسى لورين للتحديث معى فى بعض الشئون السياسية وقد أبلغته فى هذه المقابلة نبأ تكليفى بتأليف الوزارة ولم يكن حتى هذه الساعة قد وصله النبأ ، فقال سعادته : اننى لا أعلم شيئا قبل الآن ، عن هذا التكليف ولكنى أرى أنك أتيت فى وقت غير مناسب .

فقلت له : لماذا ؟ فاجاب لاننى أمضيت نحو شهر فى مفاوضة زعماء الاغلبية فوضعت مشروع اتفاق بين مصر وبريطانيا وكان أملى أن نجد المخرج للوصول الى اتفاق ، وأبديت له استعدادى للتفاوض معه . وقال لى المندوب السامى . مادام الملك فؤاد قد كلفكم بتأليف الوزارة فلا اعتراض لى على ذلك وعدت الى زملائى وكنت قد تغيبت عنهم مدة طويلة حتى قلقوا فأخبرتهم بما حدث .

● ويقول اسماعيل صدقى انه — بعد أن أجل انعقاد البرلمان شهرا — لم يكن ينتظران تكون المعارضة تشبه حربا أهلية مبعثها كراسى الحكم ولكن للأسف حدثت حوادث مؤلمة سواء فى القاهرة أو فى الاسكندرية أو بعض مدن الريف ولم يكن للحكومة فيها الا المحافظة على النظام ، ومنع العابثين من الاخلال بالأمن وتحلى القوانين .

وعلى الرغم مما كان يدبره البعض من أعمال لا تتفق ومصلحة البلاد فقد استطعت وقتئذ أن أحافظ على هيبة الحكومة وأن أقضى على الاضطراب .

ويقول صدقى باشا أنه فى ١٦ يوليو ١٩٣٠ صرح مستر ماكدونالد رئيس الوزارة البريطانية بأن بريطانيا تلتزم — فى الأزمة الدستورية فى مصر — الحياد الدقيق — ونظرا للحوادث التى وقعت بمصر وقد أرسلت التعليمات الى المندوب السامى لتبليغ صدقى باشا أنه لا بد أن نعهده مسئولنا عن حماية أرواح الأجانب وممتلكاتهم فى مصر كما كلف السير برسى لورين أيضا بأن يبلغ النحاس باشا أنه يجب أن تحل مشاكل مصر الداخلية دون أن تتعرض أرواح الأجانب للخطر واننا نعهده كذلك مسئولنا مع الحكومة ، وقد ورد صدقى باشا مؤكدا أن هذا التبليغ الخاص بمسألة مصرية داخلية فيه عدوان على تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ويؤكد أيضا أن المحافظة على أرواح الأجانب فى مصر ، من مسئوليات الحكومة المصرية ولم يبق الا أن أرجو سعادتكم أن تعربوا للحكومة البريطانية عما تراه الحكومة المصرية فى عبارة التبليغ التى تشير الى مسئولية غيرها ، فانها وان كانت لم يهملها طبعا الا الحرص على أزواج الأجانب وأموالهم قد تحمل على أنها غرض من سلطان الحكومة القائمة ، وتشكيك فى انفرادها بالمسئولية وهى وحدها

سنوات ما قبل الثورة ج٢ - ١٤٥

التي تسأل عن حالة البلاد وتخطب في هذا الشأن فيجبر ذلك الى ما قصد اليه من تلك الإشارة مما قد يعيق من قوة التدابير التي تقضى بها إعادة النظام ،

● وعن الدستور الجديد الذي أصدره اسماعيل صدقي باشا يقول صدقي باشا : لا أراني مسرفا اذا قلت ان فريق الاوتوقراطية كان قد جرب عدة مرات في الحكم فأبدى فيها عجزا وأوشك أن يلحق في كل مرة بالبلاد وسمعتها ضررا بليغا ولا شك أن داء البلاد الوبيل كان في ذلك الحين ، طفيان فتنة اتخذت من الدعاية التي تنشرها بين الناخبين والنواب جميعا سببا محدودا للحكم والتحكم فان هي أقصيت عن الحكم حاولت استشارة عطف الجماهير بدعوى اضطهادها لدفاعها تارة عن استقلال البلاد وعن الدستور تارة أخرى فهي في سبيل مصلحتها الخاصة كانت تصرف البلاد عن سبيل الخير وتشغلها عن حل مشاكلها واصلاح شؤونها .

اذلك رأيت أن مصلحة البلاد الكبرى تفرض على القائمين على أقدارها أن يمحوا الماضي بما له وما عليه وأن يصدر دستور جديد ، يستفتح به صفحة جديدة في تاريخها الحديث واذا كانت الضرورات الجأتني الى انتهاج هذا السبيل ، فالتاريخ العام للحياة النيابية حافل بمثل هذه الظاهرة : ظاهرة إبدال دستور بدستور .

● وقد وضع نسيم باشا - وكان وقتئذ رئيسا للديوان الملكي - مذكراً ضمنها عدة ملاحظات على بعض مواد الدستور المقترح ولكن الملك لم يوافق على هذه الملاحظات وكان يميل الى استقرار الحكم .

واستطعت في خلال الفترة التي حكمت فيها بعد صدور الدستور الجديد أن أقوم بأعمال هامة في الاصلاح العام ، مازالت آثاره حتى الآن سواء في نواحي الاصلاح الزراعي كمشروعات الصرف والري وتعلية خزان أسوان أو في الاصلاح العمراني كإقامة الجسور وتجميل المدن ، وإنشاء طرق الكورنيش بالاسكندرية ، أو في الاصلاح الاقتصادي كمعالجة الأزمة الاقتصادية والعمل لتخفيف وطأتها في مصر بعد تدابير لا تزال بقية آثارها ولا يخفى أن الأزمة التي كانت قائمة لم تكن مصرية فحسب ، بل كانت أزمة عالمية لم يشهد العالم مثلها فعملت على الأخذ بيد السكان فقراء وموسرين ، ممن كان أثر هذه الأزمة واقعا عليهم أكثر من غيرهم وهم المزارعون ، فعملت على إبعاد أيدي المرابين عنهم وأكثرهم سراً لأجانب وقد دام أثره الطيب الصالح حتى وقتنا الحاضر .

● وعن الذين لم يؤيدوه من حزب الأحرار الدستوريين قال : ومن العجيب أن الباقين من الأحرار الدستوريين ائتلفوا مع الوفد وكانو قد عانوا منه ما عانوه بحجة أنني اعتديت على دستور ١٩٢٣ .

وفاتهم أنهم هم الذين أجلوا الحياة النيابية وأوتقوا الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد وحكموا البلاد أربعة عشر شهرا حكما وصفوه هم بأنه حكم ديكاتورى .

● وعن نظام اسماعيل صدقى قال مارسيل كولومب : عندما قدم مصطفى النحاس استقالته فى ١٧ يونيو ١٩٣٠ ظنت السراى أن فرصتها قد حانت وكانت تدخر لاسماعيل صدقى مهمة الغاء دستور ١٩٢٣ واعطاء مصر بموافقة بريطانيا العظمى دستورا ، وقانون انتخابات جديدين .

ومع ذلك فان هذه المحاولة الأخيرة لم تصمد لاختبار الزمن - وهو بالغ القسوة بالنسبة الى حكومة تركزت على قوة الشرطة والجيش ولا تكثر لمعارضة الوفد التى تحظى بأغلبية برلمانية كبيرة للغاية انضم اليها الأحرار الدستوريون الذين ظلوا أوفياء لسياسة التوازن بين القوى المتصارعة ، كما كان العهد الجديد يتضمن نقاط ضعفه التى عجلت هى وعدم شعبيته باندحاره فقد تفجرت فضائح مالية مست بعض الوزراء المشتركين فى الحكم ثم حدث ما هو أخطر اذ لم يتردد اسماعيل صدقى صانع الدستور - الذى كان الهدف الأساسى منه تقوية سلطات العرش - فى أن يصطدم بتزايد سلطات الملك فقد تولدت فى سياق الأحداث اليومية أمور وخلافات أدت برئيس الوزراء الى الاستقالة من منصبه فى سبتمبر ١٩٣٣ بعد عهد شبه ديكاتورى استمر فى الحكم لما يقرب من تسعة وثلاثين شهرا . وكان ذلك بمثابة اذانة ضمنية لنظام ١٩٣٠ وجهها اليه نفس الرجل الذى كان يعد محركه الأول طيلة ثلاث سنوات . عندئذ وغداة استقالة الوزراء التابعين لحزب الأحرار الدستوريين وكما حدث عام ١٩٢٥ بدأت السراى تمارس ديكاتورية شبه مطلقة من خلال حكومة لا قوة لها ولا نفوذ يشغل مقاعدها تحت رئاسة عبد الفتاح يحيى باشا وزراء ينتمون لحزب الاتحاد . ولم يتردد اسماعيل صدقى باشا نفسه فى أن يضم صوته الى أصوات المعارضة القائمة على الوفديين والأحرار الدستوريين . وساد القلق الرأى العام وانفجرت فضائح مالية جديدة . وفى مجلس النواب ارتفعت أصوات تطالب بتشكيل لجنة تحقيق برلمانية وأتهم وزيران كان يساندهما موظف كبير غير مسئول بالسراى يشغل منصب مدير القصور والخاصة الملكية هو محمد زكى الإبراشى باشا بالفساد والاختلاس . وسرعان ما أصبح الأبراشى باشا هذا وهو خادم للتاج بالغ الحماسة وتابع أمين للملك كما أنه هو الذى يدير للملك ثروته ويزيدها حتى تضاعفت بمهارة نادرة يمكن أن يقال عنها أنها مهارة عارية من كل حيلة ، سرعان ما أصبح هو المنفذ الأمين لرغبات سيده ، وبدأ دوره يتزايد بسبب تدهور صحة الملك . لقد كان هذا الرجل الطموح الدساس يمارس وظيفة رئيس الديوان دون أن يشغل هذا المنصب ويحمل لقبه كما كان تدخله فى شئون حكومة عبد الفتاح

يحيى الضعيفة أمرا ملموسا مما أضعاف الثقة بالعهد الذى بدأ يضمحل شيئا فشيئا أمام الضربات الموجهة اليه . وكما حدث عام ١٩٢٥ فقد حاولت بريطانيا العظمى عن طريق نصائحها أن تقاوم هذا الوضع الصعب واضطر الملك تحت إلحاحها الى أن يبعد تابعه المخلص . أما مجلس الوزراء فقد تلقى هو الآخر « نصيحة » باستبعاد كل الوزراء الذين أحاطت الريبة بسلوكهم واستنقالت الوزارة فى ٦ نوفمبر ١٩٣٤ . وفى ٣٠ نوفمبر ١٩٣٤ عطل رئيس الوزراء الجديد محمد توفيق نسيم باشا دستور ١٩٣٠ وسعى الى حل البرلمان . ورأى الملك « صاغرا » وقد هزمه حلفاء أمس انهيار محاولته الثالثة لاقامة حكم فردى . على أن دستور ١٩٢٣ لم يعد على الفور . ولكن كان على الملك أن يتعهد - وحتى اعلان دستور جديد - بأن يحكم بوساطة وزرائه وعلى مسئوليتهم « طبقا لمبادئ الحرية والمساواة التى كانت دائما قوائم النظام الدستورى فى مصر

ومن الجائز هنا أن تكون بريطانيا العظمى قد داعبها الأمل فى قيام عهد جديد يقيم على ضوء التجارب السابقة مصالحة بين دستورى ١٩٢٣ و ١٩٣٠ إلا أن - الملك فؤاد رفض ذلك وأعلن فى ١٨ ابريل ١٩٣٥ أن من الأوفق أن يعود دستور ١٩٢٣ . ولعله كان بذلك يريد أن يعجل بعودة الوفد الى السلطة مع أمل ظل يراوده بأن شيئا لن يقف بعد فى طريقه بمجرد أن تفشل التجربة الوفدية الجديدة فى أن يحقق حلمه الخاص بقيام حكم فردى . ولقد كان هذا على الأقل هو الرأى الذى عبرت عنه بعض الصحف الانجليزية وهى تفسر ذلك الدعم الذى يهيؤه للوفد هذا التحول العجيب فى موقف الملك .

ولا أن الخطر الايطالى كان يتعاطم خلال هذه الفترة وكانت بريطانيا لاتقل عن مصر شعورا بخطورته . وفى القاهرة بدأ جميع المعارضين للنظام وأنصار دستور ١٩٢٣ يلحون فى ضرورة بدء المفاوضات . وحينئذ بدا أن من السهل الوصول الى اتفاق واستطاعت بريطانيا بسهولة أن تعدل عن مشروعاتها فسحبت تأييدها لتوفيق نسيم الذى استقال فى ٢٢ يناير . وشكل على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى وزارة انتقالية لاجراء الانتخابات . لكن الأجل لم يطل بالملك فؤاد ليشهد انتصارا جديدا للحزب الذى لم يكف ، هو مطلقا عن محاربته ، فمات .

وننتقل بعد ذلك الى أهم حدث مصرى سعودى ، ونعنى به عقد معاهدة صداقة بين البلدين الشقيقين .

الفصل الثاني

معاهدة صداقة بين مصر والمملكة العربية السعودية أول معاهدة بين دولتين عربيتين مستقلتين

● كانت مسألة العلاقات بين مصر والمملكة العربية السعودية كما يقول د. محمود عزمي من المسائل الشائكة التي طال انتظار تسويتها ، والتي طالما ناقشت الأمة المصرية الى التغلب على العقبات التي كانت « مصر الرسمية » ، تقيمها في سبيل هذه التسوية .

وقد حاول أكثر من رئيس وزارة مصرى أن يتغلب على هذه العقبات فلم يكن التوفيق حليفه .

- حاول سعد باشا ، ولم يفلح .
- وحاول ثروت باشا ، ولم يفلح .
- وحاول عدلى باشا ، ولم يفلح .
- كما حاول النحاس باشا ، ولم يفلح .

ذلك لأن الخلاف بين المملكة العربية السعودية ، ومصر الرسمية لم يكن راجعا الى مسائل ذات صفة عامة ، بل كان ممتزجا باعتبارات شخصية متصلة بمقامات سامية يدق ، أمر التفاهم معها في مثل هذه الحالات » .

ونفتح قوسا ، لنؤكد على حقيقة هامة لم يستطع د. محمود عزمي أن يصرح بها وقت أن كتب كتابه « على هامش التاريخ المصرى الحديث : الأيام المائة » تلك الحقيقة التي نقولها اليوم هي أن الملك فؤاد ، كان بصفة شخصية ، غير راغب على الاطلاق في تسوية المشاكل ، التي بين مصر والمملكة ، العربية السعودية .

وليس هذا وقت شرح الأسباب التي كانت تدفع الملك أحمد فؤاد ، الى الوقوف في سبيل أية تسوية بين مصر والمملكة العربية السعودية » .

• ونقفل القوس •

ويستطرد محمود عزمى قائلا : « أقدم على ماهر باشا ، على معالجة هذه المشكلة الشائكة التي فشلت فيها أولئك الرؤساء السابقون ووفق فيها توفيقا عظيما ، استند الى تقدير اخلاصه غير المشوب والى احسان تصوييره ، للمصلحة المصرية ، واحكام تضامنها مع اعتبارات « التاج » •

وتولى ماهر باشا بنفسه المفاوضات مع مندوب المملكة العربية السعودية ، الذى جاء الى مصر ، تلبية لطلب الحكومة التى أظهرت من تلقاء نفسها اكيد ورغبتها فى تسوية المسائل المعلقة بين البلدين وانتهى الأمر الى اقرار معاهدة تستند ، اليها العلاقات بينهما •



وقد تحدث بإفاضة فى هذا الموضوع • محمد حسين هيكل ، فى كتابه « مذكرات فى السياسة المصرية » ، فأشار الى موضوع ارسال المحمل من مصر ، وحدث خلاف بين السعودية حول القوة ، التى ترافقه وامتناع مصر ، عن ارسال المحمل نفسه فى عام ١٩٢٦ • والى موضوع الخلافة وذهب الشيخ محمد مصطفى المراغى الى الحجاز فى عام ١٩٢٦ ، للحديث فيه مع جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وعن اضطراب الجو بين الدولتين منذ ١٩٢٦ حتى ١٩٣٦ ، الى أن يقول : « علمت قبيل سفرى الى الحج ان على ماهر باشا يريد أن يعيد العلاقات بين الدولتين ، فذهبت اليه وعرضت عليه معاونتى لتحقيق مقصده فذكر لى انه يسره تمهيد الجو لمحادثات تكفل نجاح هذا المقصد وكنت مقتنعا من جانبى بأن بقاء القطيعة لا خير فيه •

سافرت الى الحجاز على ظهر الباخرة كوثر وانى لفى بهوها يوما بعد أن ارتديت رداء الاحرام ، اذ تقدم الى حاج محرم ، لم آكن قد رأيته من قبل وقدم نفسه • ذلك هو الشيخ حسن البنا ، وقد ذكر لى يومئذ أنه ألف جمعية الاخوان المسلمين ، لتهذيب الناس تهذيبا اسلاميا صحيحا وانه يطمع فى تعضيد مؤلف « حياة محمد » - أى الدكتور هيكل - لهذه الجماعة بل يطمع فى قبولى رياستها • والرجل لبق حسن الحديث حلو الالقاء وعرفته بعد ذلك أثناء مقامنا بالحجاز ، اذ كان الحجاج من بلاد الأرض المختلفة يجتمعون ويتحدثون فى مختلف شئونهم فكان يقف فى كل جمع خطيبا واعظا ، يتلو آى القرآن فى مناسباتها ويلقى خطبة فى عبارة بليغة وعربية فصيحة •

وقيل لى وأنا بالحجاز ان له صلة بالحكومة السعودية وانه يلقي منها عطايا ومعونة -

فلما فاتحنى فى أمر جمعيته ذكرت له ان بث الدعاية لتهذيب الناس على هدى الدين الحنيف أمر حسن جدير بالتشجيع ولكن أعمالى فى التأليف وفى السياسة لا تدع لى مجالا ، لقبول ما دعائى اليه .

وقضيت بالحجاز ستة أسابيع اتصل أثناءها على ماهر باشا بالحكومة السعودية وقد أوفدت الى مصر ، السيد فؤاد حمزة وكيل خارجيتها ، ليتم المفاوضات وليوقع مع مصر ، معاهدة مودة ، وصداقة ، ولم آل جهدا خلال هذه الأسابيع فى التحدث الى ذوى النفوذ من رجال الحكومة السعودية حديث مودة خالصة .



ولأن معاهدة الصداقة بين مصر والمملكة العربية السعودية كانت أول معاهدة صداقة توقعها مصر ، مع دولة عربية شقيقة ، ولأن نصوص هذه المعاهدة قد اشتملت على كثير من المبادئ الهامة فى العلاقات بين الاخوة الأشقاء أجد لزاما على أن أشير ، الى بعض نصوص تلك المعاهدة التى وقعت فى ٨ مايو ١٩٣٦ - آخر يوم فى وزارة على ماهر - وقد وقعها ، عن الجانب المصرى ، على ماهر . وعن الجانب السعودى ، فؤاد حمزة .

● سميت المعاهدة - أولا - باسم معاهدة الصداقة ، بين المملكة المصرية ، والمملكة العربية السعودية وفى ديباجة المعاهدة : مجلس وزراء ، المملكة المصرية متوليا حقوق خلافة ملك مصر الدستورية وحضره صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية - نظرا لما لدى الملكتين المصرية ، والعربية السعودية من خالص ، الرغبة فى توثيق عرا الصداقة بينهما قد اتفقا على عقد معاهدة تثبت فيها قواعد علاقاتهما الودية .

● والمادة الأولى من هذه المعاهدة تنص ، على أن تعترف الحكومة المصرية بأن المملكة العربية السعودية دولة حرة مستقلة ذات سيادة مستقلة استقلالاً تاماً مطلقاً .

● بينما المادة الثانية تقول : يكون بين المملكة المصرية . والمملكة العربية السعودية ، وبين رعاياهما سلام دائم وصداقة خالصة ، ويتعهد كل من الطرفين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الطرف الآخر وأن يسعى بكل ما لديه من الوسائل ، لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة ، الموجهة ضد السلم ، والسكينة فى بلاد الطرف الآخر .

● وتنص المادة الثالثة من معاهدة الصداقة ، على أنه تنشأ بين الملكتين المصرية والسعودية علاقات التمثيل السياسى والقنصلى

● والمادة الرابعة : يتعهد صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية بتسهيل أداء فريضة الحج ، وإقامة الشعائر الدينية الإسلامية للمسلمين من الرعايا المصريين ويعلن انهم يتمتعون اثناء اقامتهم فى الحجاز بالامن على اموالهم وانفسهم بالحرية الشخصية وفى الحدود الشرعية ، وعلى العموم بالمعاملة والحقوق الممنوحة أو المعترف بها لرعايا أولى الأمم بالتفضيل .

● وتنص المادة الخامسة من المعاهدة على : أنه عملاً بالتضامن والتعاون الإسلامى يوافق صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية على تمكين الحكومة المصرية اذا رأت من مصلحة الحجاج وزوار المدينة التطوع ، لعمارة الحرمين الشريفين أو اصلاح المرافق المتصلة بهما من تلك العمارة وذلك الاصلاح ، كما يوافق على عمل كل التسهيلات اللازمة لقيام الحكومة المصرية بهما وتشمل المرافق المشار اليها تعبيد الطرق التى يسلكها الحجاج أو الزوار ، واضاءة الحرمين ، وما حولهما وتوفير مياه الشرب وغير ذلك من الأعمال والمنشآت التى تهدف الى توفير راحة الحجاج والزوار ، أو المحافظة على صحتهم . وتتفق الحكومتان مقدما على التصميمات الخاصة بالأعمال المشار اليها .



ويرسل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود .. طيب الله ثراه . الى على ماهر باشا البرقية التالية فى ٨ مايو ١٩٣٦ :

« حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا رئيس الوزارة الأفخم ..

« اطلعنا على نص المعاهدة ، التى وقعتها مع مندوبنا فؤاد حمزة والمحتوية على سبع مواد ، واشعارا بموافقتنا عليها نرسل لكم هذه البرقية ونسأل الله أن يتولى الجميع بتوفيقاته ويجعله فاتحة عصر ، سعيد بين البلدين »



ويرسل على ماهر باشا ، البرقية التالية الى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود : « حضرة صاحب الجلالة المعظم « مكة المكرمة » ..

« انى سعيد بتلقى برقية جلالتك بالموافقة على المعاهدة التى نرجو أن تقوى العلاقات الودية بين البلدين وتسهل أداء فريضة الحج ، على جميع المسلمين . وتفضلوا جلالتك بقبول عظيم الشكر وأخلص التمنيات » .

« على ماهر »

ولست أعتقد ، انه في دنيا التعاقدات ، الدولية معاهدة اتسمت بمظاهر الحب والود والاخاء والتعاون المشترك كمعاهدة الصداقة بين المملكة العربية السعودية ومصر .

ولست ، أعتقد أيضا أن معاهدة سعد بتوقيعها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وفي مقدمة هؤلاء : المسلمون في مصر . وفي المملكة العربية السعودية سعادتهم بتوقيع تلك المعاهدة .

والجدير بالذكر أن العلاقات بين مصر والسعودية كانت قد قطعت في أعقاب ما عرف بأزمة المحمل ، تلك التي وقعت في مكة المكرمة في ٢٨ يونيو ١٩٢٦ الموافق يوم الأربعاء ١٨ ذى الحجة ١٣٤٤ .

وكانت صحيفة أم القرى التي كانت تصدر في مكة المكرمة قد خصصت افتتاحيتها في العدد الصادر بتاريخ ١٩ ذى الحجة ١٣٤٤ - ٢٩ يونيو ١٩٢٦ للحديث عن تلك الأزمة بمقال عنوانه : نزعة وقى الله شرها ، وقد جاء في ذلك المقال : سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك لك الحمد كله ، ولك الشكر كله لأنك الدافع لكل شر والواقى من الفتن ولولا عنايتك ولطفك ، يارب لهلك كثير من عبادك المؤمنين ، وتفصل أم القرى التي اتخذت شعارا قول الله تعالى : (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها) على أن صحيفة « أم القرى » تكتب عن تلك الأحداث - من وجهة نظرها - قائلة :

ان ركب المحمل المصرى جاء من جدة الى مكة المكرمة واستقبل بكل ترحاب وايناس ونزل في مكانه المعتاد ، وزاره جلالة الملك مع أولاده وبعض حاشيته في نزله ومساء الثامن من ذى الحجة قبل الغروب سار المحمل من مكانه قاصدا عرفات وكان يحيط به نفر من حرس جلالة الملك يمنعون الناس من المرور في طريق المحمل ليكون المحمل في راحة من زحام الناس .

ولقد سار المحمل بكل راحة وهناء حتى بلغ آخر منى حيث كانت خيام النجديين تملأ ذلك الوادى واذ ذاك لم يسمع الناس الا أصوات الأبواق تتصاعد من رجال ركب المحمل وهذه ينكرها أهل نجد ولا يعرفونها ولم يكن أحد ليعلم سببا لصوت البوق في ذلك المكان وما درى غير الذين يفقهون اشارة الأبواق ، ماذا كان يراد من تلك الأصوات وماذا فهم الجند منها لأنها كانت تضرب مشعرة الجند بأوامر تتعلق بالموقف .

تصاعدت أصوات الأبواق من المحمل وعلا التكبير والتهليل وتراجع صدهاء في بطن الوادى واذ ذاك أقبل بعض البدو من النجديين الذين كانوا يخيمون بالقرب من طريق المحمل الى جهة المحمل ينكرون بالسنتهم ضرب الأبواق في ساعة من ساعات العبادة . وفي مشعر من مشاعر الحرم فردهم رجال الحرس

الملكى الخاص بعنف وشدة فلم ينتهوا وكان ذلك قريبا من بهو جلالة الملك فأوصل الجند الخبر لجلالة الملك فأمر نائبه سمو نجله الأمير فيصل أن يسير الى محل الحمل ليمنع أى اعتداء هنالك ولكن سموه سار مسرعا بغير أن يأخذ قوة معه فلما وصل الى المكان وجد بعض البدو يتفوهون بالفاظ السباب ويتبادلونها وتجاوز بعضهم فرمى الحرس ببعض الحجارة فطلب من رجال المحمل أن لا يتجاوزوا موقعهم وانكفأ على البدو يعرفهم بنفسه لأن الليل كان قد أقبل ويطاردهم بمن معه من حرسه وحرس جلالة والده ، وأرسل لجلالة والده يطلب منه زيادة على ما معه ، ففي الحال أمر جلالة الملك أكبر أنجاله الأمير سعود أن يذهب لنجدة أخيه بقوة من الجند وبينما الأمير سعود يسرع بجمعه والأمير فيصل يكافح بنفسه وهو يهدى روع رجال المحمل لم يشعر الحجيح الا والرصاص ينفذ من أفواه بنادق جنود المحمل الى صدور الحجيح ووراء ذلك قنابل تضرب يمنة ويسرة تقتل الآمنين المطمئنين وما هي الا لجة والناس بين ملب ومهلل حتى أقبل معظمهم من كل حذب يهرع نحو مخرج النار وفيهم العدد العظيم الذى لم يعلم شيئا عن الخبر ، ولا درى الا وقذائف النار تقع عليه ، وعلى من حوله ، كانت الفتنة صغيرة ، فى طور السباب والشتائم فلم يشعر الناس الا والنار تقذف وقوة الأمير سعود لم تصل ولو تريت رجال المحمل حتى تصل القوة لما أصابهم شيء ولا وقع ، ما وقع ، ! .

وتنضى أم القرى من وجهة نظرها فى رواية ما حدث من صدام وكانت أم القرى قد اختارت فى مكان بارز من صفحتها الأولى قول الشاعر :

قومي هم قتلوا أميم أخى فاذا رميت أصابنى سهمى

وكانت قد اختارت أيضا - فى ٢١ ذى الحجة ١٣٤٤ - ٢ يوليو ١٩٢٦ أبياتا من الشعر جاء فيها :

قال ابن جنى التغلبى :

لتغلب أبكى اذا ثارت رماحها غوائل شر بينها مثلم
وكانوا هم البانين قبل اختلافهم ومن لا يشد بنيانه يتهدم

وقال بن وقاص الحارثى :

الا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا فما لكما فى اللوم خير ولا بيا

وكانت جريدة أم القرى قد أصدرت قبل هذا العدد ، ٧٨ عددا اذ كانت تصدر مرة في الأسبوع . وكان مدير الجريدة الشيخ يوسف ياسين .

وبتوقيع المعاهدة المصرية السعودية في ٨ مايو ١٩٣٦ انتهت تماما تلك الأزمة التي تسببت في قطع العلاقات بين مصر والسعودية منذ ٢٩ يونيو ١٩٢٦ حتى توقيع تلك المعاهدة .

الفصل الثالث

انتخابات عام ١٩٣٦ ومشكلة الوصاية على الملك فاروق

وكانت وزارة على ماهر باشا قد تألفت فى ٣٠ يناير ١٩٣٦ لاجراء انتخابات حرة لا تتدخل فيها الحكومة ، وكان من وزرائها : أحمد على باشا ، محافظ حسن باشا ، ومحمد على علوبة ، وكان قد استقال من حزب الأحرار الدستوريين قبل أن يدخل الوزارة وحسن صبرى بك ، وأحمد عبد الوهاب باشا ، وصادق وهبة باشا ، وعلى صدقى باشا ، وكانت قد استصدرت مرسوما ملكيا فى ١٣ فبراير ١٩٣٦ بتعيين وفد يتولى التفاوض مع الحكومة البريطانية من أجل توقيع معاهدة صداقة ، برئاسة مصطفى النحاس باشا وعضوية محمد محمود باشا ، واسماعيل صدقى باشا ، وعبد الفتاح يحيى باشا ، وواصف بطرس غالى ، د. أحمد ماهر ، على الشمسى باشا ، عثمان محرم باشا ، حلمى عيسى باشا ، الأستاذ مكرم عبيد ، حافظ عفيفى باشا ، الأستاذ محمود فهمى النقراشى ، وأحمد حمدى سيف النصر بك .

وكان هذا الوفد يمثل أحزاب الوفد ، والأحرار الدستوريين ، والشعب ، والاتحاد ، كما يمثل المستقلين أيضا . وقد اعتذر الحزب الوطنى ، عن المشاركة فى ذلك الوفد ، استمسكا بسياسة « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » ، ولأن الجلاء لا يجب أبدا أن يكون موضع مساومة أو اشتراط « شروط » فى مقابل تحقيقه ، هذا بالإضافة الى أن كل الأحزاب المشتركة فى الانتخابات قد أنفقت على تقصير مدد الانتخابات لمجلس الشيوخ حتى يتمكن الشيوخ المنتخبون من المشاركة فى تشكيل مجلس الوصاية على الملك فاروق الذى لم يكن قد أكمل السن الدستورية . وكانت النية قد اتجهت على أن تتفاهم الأحزاب على توزيع الدوائر الانتخابية فيما بينها غير أنها لم تنجح فى تحقيق ذلك الهدف وقد ترك حزب الوفد لأعضاء هيئة المفاوضة دوائرهم الانتخابية فلم يرشح من جانبه أحدا فى تلك الدوائر .

وتعتبر انتخابات مايو ١٩٣٦ من أبرز أحداث ذلك العام .

والجدير بالذكر أن حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى لم ينجح فى انتخابات مجلس النواب ، وكان يرى أن اجراء أية مفاوضات مع بريطانيا مع وجود الاحتلال البريطانى فيه يعنى الاكراه ، الذى يضعف من ارادة الدولة ، التى هى الطرف الضعيف فى تلك المفاوضات .



● أجرت وزارة على ماهر ، الانتخابات لمجلس النواب والشيوخ حيث صدر مرسوم دعى بمقتضاه الناخبون الى انتخاب أعضاء مجلس النواب فى ٢ مايو على أن تكون الاعادة فى حالة عدم حصول المرشحين على الأغلبية المطلقة فى ١٠ مايو ، وكذلك نص المرسوم على دعوة الناخبين لانتخاب أعضاء مجلس الشيوخ فى ١٦ ، ٢٤ مايو ١٩٣٦ ، فلما توفى الملك عدل الموعد الى ٧ ، ٨ مايو بعد مجلس النواب وقد سقط فى تلك الانتخابات عبد الرحمن فهمى بك عميد الفدائيين المصريين والزعيم العمالى المعروف - وقتئذ - وذلك فى دائرة نقطة بوليس العزب رقم ٢ ولم يحصل الا على ٢٦٤ صوتا ، رغم الجهود التى بذلها كثير من السياسيين المصريين من كافة الأحزاب لانجازه وحصل منافسه محمد عبد الصمد أفندى على ١٥٥٠ صوتا وقد انتخب .

وفى دائرة سنباط غربية لم ينجح مرشح الوفد عوض أحمد الجندى الذى حصل على ٢٦٥٠ صوتا ، بينما نجح منافسه محمد راغب عطية على ٦٦٧٨ صوتا وقد أعلن انضمامه للوفد فور نجاحه فى تلك الانتخابات .

وقد نجح فى دائرة سخا غربية الدكتور عبد الحميد سعيد وحصل على ٤٧٠٥ أصوات وحصل منافسه فؤاد خير الدين على ٢٣٤٣ صوتا . وعبد الحميد سعيد كما هو معروف من أقطاب الحزب الوطنى .

وكان فى مقدمة الصحفيين الفائزين فى تلك الانتخابات الأستاذ محمد توفيق دياب عن دائرة سنهوا ومنشأة فتحى : وفى دائرة منيا القمح حصل رياض المصرى أفندى على ١١١٧ صوتا وحسن مرعى بك ، ب ٧٤٤٧ صوتا وقد انتخب .

وأعيدت الانتخابات بين الأستاذ فكرى أباطة أفندى « ٢٨٧٠ » والشيخ محمد عثمان عبد القادر « ٣٠٠٦ » فى دائرة أبو حماد « شرقية » وقد نجح الأستاذ فكرى أباطة فى الاعادة وحصل على ٤٠٢٣ صوتا وكان من الفائزين فى هذه الانتخابات محمد صبرى أبو علم أفندى « وفدى » وقد حصل على ٥٠٤٩ عن دائرة منوف وأحمد أحمد عبد الغفار بك دائرة تلا وقد حصل على ٤٦٨٩ صوتا .

وحصل اسماعيل رمزي باشا على ٦٤١٢ صوتا في دائرة تمي الامديد ولم يحصل د. محمد حسين هيكل بك الا على ٢٧٠١ صوت .

وكذلك نجح محمود نصير بك « دائرة المنصورة » وحصل على ٢٩٤٢ صوتا وحصل د. محمد حلمي الجيار على ١٩٥٥ صوتا ، ونجح أيضا في دائرة كفر داود عبد العزيز عبد اللطيف الصوفاني من أقطاب الحزب الوطني وحصل على ٥٦٢٣ صوتا وحصل منافسه الجارحي عبد السيد حميدة أفندي على ٤٥٦٣ صوتا .

ونجح من أقطاب الحزب الوطني أيضا محمد محمود جلال في دائرة بني مزار - المنيا - وحصل على ٦٥٥٣ صوتا ، ونال منافسه محمد سعودي أفندي على ٥٠٢٦ صوتا .



وفي دائرة الحسكة « أسبوط » فاز رشوان محفوظ باشا « حر دستوري » على منافسه عبد الرحمن حفي الطرزي .

وانتخب محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين عن دائرة البربا « أسبوط » وحصل على ٧٠٣٠ صوتا وحصل منافسه علي عثمان حماد على ٢٩٧٤ صوتا .

وفي دائرة البلينا « جرجا » فاز فؤاد أبو ستيت أفندي « ٦٤٢٤ صوتا » وفي دائرة كفر بداوى القديم « الدقهلية » فاز محمد عبد الجليل أبو سمرة وفي دائرة القلينى « شرقية » فاز محمد عزيز أباطة .



وفي مقدمة التعليقات على الانتخابات ، التي أعجبتني ما كتبه الأستاذ عبد الرحمن فهمي سكرتير عام لجنة الوفد المصري وقطب الحركة العدائية ومن أبرز الوجوه التي لم تنجح في الانتخابات حيث قال تحت عنوان « يوم الانتخابات ، وما حدث فيه » : في فترة الترشيحات من جانب الوفد المصري ، عرض على الوفد بعد حديث لي مع صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا أن يترك لي دائرة الصف من مديرية الجيزة فاعتذرت له مع وافر الشكر ، ثم عاد الوفد مرة أخرى ، فعرض على أن يترك لي دائرة ثانية هي دائرة « ناهيا » إحدى دوائر الجيزة أيضا .

ولكنني كررت الاعتذار وكررت الشكر ذلك اننى رأيت لنفسى ألا أبارح القاهرة فترة الانتخابات وفيها من وجوه السياسة بظروفها الدقيقة ما يشغلني عن كل شيء .

على أننى وقد التزمت هذا الموقف حيال ما عرضه الوفد المصرى على فى مرتين متتابتين اذا وفد من جمهرة كبرى من الموظفين والأهالى والعمال المنتمين الى الدائرة الثانية فى شبرا ، فقد على أكثر من مرة ملحة فى أن أرشح نفسى عن هذه الدائرة ، والواقع أن سابقة على للعمال قبل اعتزالى السياسة والى جانبها احساس آخر ، أكد لى بأن التوفر على معركة انتخابية فى قلب العاصمة لم تقعدنى عن ملابس الظروف التى تجتازها البلاد ، قد مهدي لى اجابة دعوة الداعين ، والتقدم الى دائرتهم مرشحا نفسى .

لقد تحريت فى هذه المعركة الفكرة ، التى دعوت اليها ، وخرجت من أجلها من اعتكافى وهى أنسا مصريون ، وأننا اخوة فلم أستخدم فى معركة ، الانتخابات اذن سلاح المهاترة أو النزول الى مستوى الاسفاف أو شراء الثقة بأى ثمن كان ، وانما حرصت جهدى على أن تكون المعركة من جانبى بعيدة عن هذه الظواهر ، نائية عن كل ما يشين الرجل الشريف .

وجاء يوم الانتخاب فاذا به يتمخض فى طائفة من لجان الانتخاب عن سوء ومخالفات لا أريد أن أفصل أمرها بعد أن بعثت عنها شكاوى الى جهة الاختصاص » .



ويمضى عبد الرحمن فهمى الذى كان سكرتيرا عاما للوفد بالقاهرة أثناء ثورة ١٩١٩ قائلا :

« انتهت نتيجة الانتخابات على نحو لا أستطيع معه الا القول بأن دائرة بلغ عدد الناخبين فيها ستة آلاف ناخب لم يتقدم منهم لاعطاء صوته أكثر من ثمانمائة أو ألف ناخب .

وفى هذا أوضح دليل على ما نرجو أن يشهده المستقبل للناخبين من عناية توحى اليهم بأن يستعملوا حقهم الكامل .

ومن المحقق أنه لا شىء أحب الى من القول بأننى وقد أحصيت عدد الذين سجلوا الأصوات لى وأحصيت الى جانب ذلك جملة المخالفات التى ارتكبت فى بعض لجان الانتخابات قد هنأت نفسى بأولئك الذين كانوا الى جانبى خلاصا من غير سوء لم يدفع بهم لا وعد ، ولا وعيد ولا بيع ولا شراء .

وقد خرجت بهذا كله وأنا كثير الاطمئنان الى أننى أديت واجبى فى نزاهة وامانة وصدق » .



وينتهي عبد الرحمن فهمي بك كلمته القاسية المريرة ، بقوله :

واذا كنت قد أدت الخدمة ، لوطني : في نهضته الكبرى عن طريق اللسان والعمل الى حد قرب عنقي من حبل المشنقة ومن السجين الطويل ، والمعاناة الشاقة فاني أضع اليوم الى جانب هاتين القوتين ، اضع قلبي في الميدان لتكون الخدمة للوطن الخالد ، باليد والقلب ، واللسان ، متجاهلا خصومة أى انسان ، راضيا بالعمل حيث يدعو الصالح الوطني العام » .



ولا تعرف الانتخابات مرشحا أثار عدم نجاحه هزة في الحياة العامة ، قدر عدم نجاح د. محمد حلمي الجيار ، لقد تلبد الجو في المنصورة يوم الانتخابات وتم اعتقال الكثير من أنصار منافسى الجيار .

وبعد ظهور الانتخابات وتاكيد عدم نجاح الدكتور الجيار في تلك الانتخابات قامت مظاهرات عنيفة في المنصورة ، وامتلاً مستشفى الكبر ، بالمئات من انصاره وقد خطب الجيار ، أكثر من مرة في الوفود ، التي كانت تفد على مستشفى حيث كان يكرر أسفه لهذا العراك ، البرلمانى البعيد عن الأخلاقيات ، واعتماد منافسه على الطريق ، غير الشرعية ، لاستمالة الناخبين اليه ، حتى لقد تولى هو بنفسه - اى الدكتور الجيار - القبض على بعض هؤلاء الذين يستخدمون وسائل غير مشروعة وسلمهم الى النيابة .

وكان من بين ما قاله الجيار : ان قضية الاخلاق اذا اصبحت على هذه الصورة وبمثل هذه العلانية فان « الريح » السياسى للبلاد فى قيام برلمانها لا يعوض بعض الذى نخسره من أخلاق الناس .

وقد وجه د. حلمي الجيار الى شعب المنصورة كلمة قال فيها : انه وان لم يكن لي النصر فى الصناديق ، والاوراق فقد ثلته وإحرزته فى القلوب ويكفينى فخرا مظاهر العطف والتأييد من جميع الطبقات مثقفين واهلين .

وينهى الجيار كلمته بقوله : فى النهاية أقول للجميع لنترك ، الجدل فى أمر مضى ، وانقضى .

ولنجدد الجهاد لتأدية رسالتنا : لمصر تحيا وفى سبيلها نموت .

وما كادت معركة الانتخابات لمجلس النواب تنجلي عن فوز الوفد بالأغلبية الساحقة حتى راح الجميع - فى انتخابات مجلس الشيوخ - يتسابقون لانجاح مرشحى الوفد . حتى لقد فاز بالتزكية فى يوم ٥ مايو ١٩٢٦ ، ٤٧ شيخا .

سنوات ما قبل الثورة ج ٢ - ١٦١

وكان فى مقدمة الفائزين بالتزكية اللواء على باشا فهمى « شبرا » الأستاذ عزيز ميرهم (بولاق) محمد صفوت باشا « الوايلى » الشيخ عباس الجمل « الدرب الأحمر » حسين شفيق المصرى « السيدة زينب » .

وفى الاسكندرية ابراهيم بك سيد أحمد «القطارين» فهمى حنا ويصا بك « اللبان » دولة عبد الفتاح يحيى باشا « منيا البصل » ومحمد محمود خليل بك « شبين القناطر » ، والشيخ على رمضان الطوبجى « بندر المنصوره » والشيخ حسن عبد انقادر « المحلة الكبرى » واحمد حنفى أبو الفضل الجيزاوى « الجيزة » وغيرهم ، وغيرهم ممن فازوا بالتزكية ، بدون اجراء أية انتخابات .

ولقد كان عدم وجود منافس أمام مرشح ما ، يعنى فوزه فى تلك الانتخابات عن تلك الدائرة دون حاجة ، الى اجراء انتخابات .

وكان من بين من فازوا فى مجلس الشيوخ - بعد اجراء الانتخابات - حامد الشواربى باشا « دائرة قليوب » وعبد الرحمن فتوح افندى « دائرة زفتى غربية » وحصل على ١٣٢١٤ صوتا بينما لم يحصل منافسه محمد علام باشا الا على ٣٥٠٤ اصوات .

والاستاذ بيومى مذكور بك « دائرة الحوامدية » .



وقد كان الاعضاء ، المعينون فى مجلس الشيوخ هم : محمد توفيق نسيم ، على ماهر ، جعفر ولى ، أحمد مدحت ، محمد توفيق رفعت ، أحمد على ، حافظ حسن ، عبد الحميد سليمان ، أحمد محمد خشبة ، يوسف أصلان قطاوى موسى فؤاد ، محمد على علوبة ، محمد علام ، حسن صبرى ، كامل ابراهيم ، صادق وهبه ، على صدقى ، امين سامى ، محمد طلعت حرب ، محمود يوسف رشاد ، الكسان ابسخرون ، حسن مظلوم غالب ، عبد الحكم عسكر ، عبد الرازق القاضى ، على كمال حبيشة ، ابراهيم الهلباوى ، محمد حسين هيكل ، أحمد كامل ، وهيب دوس ، محمد حافظ رمضان ، احمد جمعة ابو ستيت ، مصطفى راضى ، خليل ثابت ، أنطون الجميل ، زكى ويصا ، أحمد حسين ، محمد على سليمان ، على عبد الرازق ، د. زكى ميخائيل بشارة ، عبد الرحمن عوض ، د . عبد الخالق سليم ، يوسف الجندى ، محمود شاكر عبد اللطيف ، محمد مرزوق ، يوسف عبد اللطيف ، ميشيل رزق ، عبد الرحمن البيلى ، محمد حسين ، حسن محمد الوكيل ، عفيفى البربرى ، محمد عبد اللطيف ، محمد زايد جلال .

وقد وقع على مرسوم التعيين على ماهر رئيس مجلس الوزراء ، ووزير الداخلية ووزير الصحة العمومية بالنيابة ، وزير الأشغال ، حافظ حسن ،

ووزير المالية ، أحمد عبد الوهاب ، وزير الحقانية والأوقاف أحمد على ، وزير
المواصلات والتجارة والصناعة ، حسن صبرى ، وزير الحربية ، والبحرية على
صدقى ، وزير المعارف على علوبة ، وزير الزراعة صادق وهبة .



وتعلق جريدة التيمس البريطانية على انتخابات مجلس النواب قائلة : ان
اغلبية الناخبين أعطت أصواتها للمرشحين الوفدين وبمقارنة الانتخابات الحالية
بالانتخابات الأخيرة « انتخابات اسماعيل صدقى باشا » يظهر أن الانتخابات
الحالية كانت حرة تماما ولم يستعمل أى ضغط ، أو تشديد ، على الناخبين
حتى ان الناخبين فى بعض الدوائر شكوا من أنهم لم يستطيعوا ان يبيعوا
اصواتهم كما جرت العادة .

وقالت التيمس ورغم ذلك القول فان « عشرة » أشخاص قتلوا فى دائرة
سنهوا

وقالت المورننج بوست : ان الانتخابات لمجلس النواب انفضت دون حادث ،
اذا استثنينا حادثا واحدا فى الوجه القبلى قتل فيه شخصان !! ، وقد أصيب
حافظ رمضان بك بهزيمة شديدة فى دائرة قسم الخليفة .



ولم تكن الصحف البريطانية تهتم بالانتخابات المصرية وحسب ، ولكنها
كانت تهتم وربما باهتمام أكبر بمسألة الوصاية على الملك فاروق وفى الوقت ،
الذى كانت فيه تلك الصحف تدعى ، ان بريطانيا تلتزم بالحيد فى موضوع
الوصاية على العرش كانت فى نفس الوقت تحرص على الدعوة ، الى أن يكون
الأوصياء ، على العرش من المعتدلين .

وقد كان من بين ما نشرته جريدة التيمس البريطانية فى هذا الموضوع ،
ان السير مايلز لامبسون اجتمع بالزعماء المصريين وقال لهم ان بريطانيا لا تريد
ان تتدخل فى مسألة الوصاية على العرش ، ولكننا نرجو ان يكون الرجال الذين
يؤلف منهم مجلس الوصاية مستعدين لعقد المعاهدة والمساعدة على اقامة خير
العلاقات بين البلدين .

ويقال - هكذا قالت التيمس البريطانية - ان السير مايلز لامبسون تلقى
من الزعماء تأكيدات تبعث على الارتياح فى هذا الشأن ، ويوجد كذلك من
الاسباب ما يبعث على الاعتقاد ، بان الزعماء ، ارتضوا بان يؤيد البرلمان تعيين
رجال من المعتدلين .

وقد أحدث هذا الخبر - كما تقول التيمس - تأثيرا حسنا جدا في الدوائر التي كانت تخشى الا يقنع الوفد ، بالاغلبية الكبيرة ، التي ينالها في البرلمان فيغيب ان يكون صاحب الكلمة في مجلس الوصاية .

ونقول صحيفة الديلي تلجراف البريطانية بصريح العبارة : « ولم يحزن الوفء بعد للتكهن بأسماء أعضاء مجلس الوصاية ، ولكن يظهر أن حظ نسيم باشا في أن يكون واحدا من أعضاء المجلس قد قل وزاد حظ الأمير محمد على كثيرا .

ولا جدال - هكذا تقول صحيفة الديلي تلجراف - في ان الأمير محمد على باعتباره عضوا من أعضاء الأسرة المالكة سيكون أكفا من غيره للوصاية بما له من مقام محترم .

وتقول صحيفة الديلي هيرالد - البريطانية أيضا : ان الأمير محمد على أعلى أفراد العائلة المالكة مقاما وهو على نقبض الأمراء الآخرين يحصر اهتمامه في الفنون أكثر منه في السياسة وقد تجذبه الحوادث الآن الى الميدان السياسي .



ويصل فاروق الى القاهرة في ٦ مايو ١٩٣٦ قادما من لندن - بالبحر - في الوقت الذي كان فيه البرلمان الجديد يتأهب لاختيار أعضاء مجلس الوصاية على العرش .

وفي ٨ مايو ١٩٣٦ يجتمع البرلمان المصري لأول مرة بعد اعادة دستور سنة ١٩٢٢ .

وتكون جلسة البرلمان ، « مجلس النواب ومجلس الشيوخ » من أخطر الجلسات في تاريخ الحياة النيابية ، المصرية .

وكان أول عمل قام به البرلمان فض المظروفين الخاصين بوصية الملك أحمد فؤاد ، وكان أحدهما مودعا في مجلس الوزراء والآخر مودعا في ديوان جلالة الملك .

وكانت المفاجأة ، لقد كان المظروف المودع في رئاسة مجلس الوزراء ، سليما لم يمس ، أما المظروف المودع في ديوان الملك فلم يكن كذلك ، بل كان مفتوحا .

وتقول جريدة اكسبريس - البريطانية ، في مقال افتتاحي لها - ان الأمير فاروق يتعلم الآن في إنجلترا في مدرسة ضباط المدفعية وأنه لا يمكن أن يعهد بالوصاية الى غير الأمير محمد على صديق بريطانيا .

وتقول المورننج بوست ، ان الملك فؤاد ، الذى كان سلطانا فى سنة ١٩١٧ ، وصار ملكا فى سنة ١٩٢٢ أثبت أن الشرق الأدنى كالشرق الأقصى ، وأن مصر تشبه الهند من أن نظام الحكم البرلمانى غير ملائم لها .

وتشير الصحيفة على الملك فاروق ، ألا يحذو حذو والده فى أوتقراطيته .

وتأمل أن تكون اقامته فى انجلترا قد غرست فيه النزعة الديمقراطية .

وتقول النيوز كرونيكل : لقد كان للملك أحمد فؤاد حدوده ونشاطه ، ولكنه كان عاملا من عوامل استقرار الحكم ، أما وقد ذهب أحمد فؤاد فلا غنى للسياسة المصرية من أن تبحث عن قطب جديد لدائرة سياستها .



وعن الملك أحمد فؤاد قالت صحيفة التيمس البريطانية : ان مصر ، فقدت ب وفاة الملك أحمد فؤاد عاهلا من المدرسة ، التركية ، القديمة . لقد كان يعرف ، كل ما يستحق المعرفة فلم يفته سوى أشياء يسيرة ، ولكن هذه الأشياء اليسيرة كانت أكثر مما عرفه بعض وزرائه من صناعة الحكم .

ويمكن أن يقال عن الملك فؤاد أنه مثال مدهش لتأثير الوراثة .

وقد مالت الحكومة البريطانية فى أول الأمر الى اعتباره من هواة الاشتغال بالأمور العلمية فاذا جاوز ذلك الى الاهتمام بشئ آخر فالاهتمام بالشئون الشخصية ولكن الحرب هيأت له الفرصة فانه بعد وفاة السلطان حسين عرض عليه العرش ، ولكنه فى ذلك الحين وفى أثناء النزاع الذى دار بين الوفد ، والسلطات البريطانية - وقد نشأ ذلك النزاع بعد أن وضعت الحرب أوزارها - ظل الجانبان يعتقدان أن الملك فؤاد ، لا يعنى بالشئون السياسية حتى اذا نودى باستقلال مصر واتخذ السلطان لقب ملك شرع يظهر مطمحه لأن يكون حاكما حقيقيا لمصر .



وكان من جراء وفاة سعد زغلول وتنحى الحكومة البريطانية من التعرض لشئون مصر - هكذا فى الأصل - أن تمكن أحمد فؤاد من ادراك مقصده وتوسل الى ذلك بوزراء بارعين (محمد محمود باشا واسماعيل صدقى باشا : الدكتاتورين) ثم تخلى عنهما حالما أخذوا يبدیان مظاهر الاستقلال ، الأمر الذى خشى منه على انتقاص « حقوق » العرش .

وتعود مرة أخرى جريدة الديلى تلجراف ، لتؤكد - على لسان مندوبها فى القاهرة - على أن مصر تواجه أزمة تجاوز أكبر من كونها نزاع دستورى عادى ،

وتذكر الجريدة البريطانية أن الوفد كان قد أصر على قيام برلمان سنة ١٩٢٧ وإن هذا الاقتراح ، الذى تقدم به الوفد هو آخر ما لدى الوفد من حلول ، وإن الدوائر الحكومية ، وسائر الجهات توجس خوفا من دكتاتورية حزب من الأحزاب ، وتقول ان الوفد ومعهم بقية الأحزاب يرى أن على ماهر ، لا يبقى فى الحكم أكثر من عشرة أيام تيسر فى خلالها دعوة ، البرلمان للانعقاد ، فإذا تجاوز هذه المدة يفقد الوكالة التى جعلته فى منصب الوزارة ب وفاة الملك .



وتشير الصحيفة ، الى ما سبق ان قاله على ماهر ، من انه يسترشد فى جميع أعماله بالرأى الدستورى فإذا اجتمعت الأحزاب كلها على حل آخر فانه يتخلى عن خطته .

وتشير الصحيفة أيضا ، الى ان هناك حركة ضد وجود احد من المتقدمين من اعضاء الاسرة المالكة فى مجلس الوصاية - محمد على توفيق - وهو عضو يظن ان الملك فؤاد لم يدخله فى الذين اختارهم ، واذا كان الملك ، لم يقيم باختيازه ، فمعنى ذلك ، انه لا يريد اشراكه فى الوصاية .

وترى الصحيفة ان مجلس الوصاية يدير ممتلكات الخاصة الملكية ، والأوقاف الخصوصية وهى ممتلكات واسعة ، وعليه ، أن يسوى مسائل مهمة خاصة بالأسرة الملكية فمن الانصاف للأسرة أن يكون واحد من أعضائها نفسها فى المجلس ليدبر هذه الشئون .

ولكن المفهوم ، ان جميع الأحزاب لا تميل الى ادخال أحد من الأسرة الملكية فى مجلس الوصاية وقال وفدى معروف أن فى سلطة البرلمان ، أن يرفض أيا من الذين عينهم الملك فؤاد ، وهذا يثبت ما يسود الأذهان ، وهو أن أكثرية الوفد ، فى البرلمان تصر ، على أن يكون أعضاء مجلس الوصاية من أنصار الوفد ، وقد يقول قائل : « ان هذا الأمر ، لا أهمية له ، لان الملك فاروق يبلغ سن الرشيد بعد سنة » !



وتبلى الصحيفة البريطانية ، فى أكثر من عدد من أعدادها ضرورة أن يكون أحد من أفراد الأسرة المالية من الأوصياء على العرش ، بالرغم من أن الملك فؤاد لم يسم أحدا من أفراد تلك الأسرة من الذين وصى بهم فى الوثيقة التى سبق أن كتبها : لقد كان الملك فؤاد يضع ثقة لا حد لها فى نسيب باشا الذى كان من أعظم المقربين اليه وعدلى يكن باشا الذى توفى واشتهر فى حياته بوساطته بين الأحزاب فى الأزمات السياسية ومحمود فخري باشا صهر الملك .

وتؤكد الصحيفة البريطانية على أن موقف الحكومة البريطانية قد أصبح - في مصر ، صعبا للغاية ، بينما هي - أى بريطانيا ، الملجأ ، الأخير المسئول عن شئون مصر : ان الجو المقبل - كما تقول الصحيفة البريطانية - ليس صافيا والأمل بعقد معاهدة صار أقل مما كان .

وتقول الصحيفة أيضا كلما أمعن المرء في البحث والنظر ، تبين له ما كان عليه الملك فؤاد من بعد نظر في مواقف كثيرة كالموقف الحالي تعقد فيه الاعتبارات السياسية ، المسألة الدستورية ، وكيف كان الملك ركنا من القوة يعول عليه في مثل هذه المسائل .

لقد كان الملك فؤاد يعتقد بنظام الحكم المطلق ويؤثر أن يحكم بدون دستور ولم يكن يؤمن بالبرلمان والانتخاب .

ومع أن بريطانيا هي التي اختارت الملك فؤاد ، لتولى عرش مصر ، إلا أنه لم يكن آلة في يد وزارة الخارجية البريطانية .



● وفي هذا الجو المحموم ، يدخل الايطاليون أديس أبابا بعد أن هرب هيلاسلاسى ، من العاصمة الأثيوبية ويقرر حزب العمال البريطانى فى مؤتمر استثنائى وجه الدعوة اليه ، انه يجب ألا يسمح لاطاليا بأن تقتطف ثمرة اعتدائها ، غير المشروع والوحشى ، على أثيوبيا .

وقد صار من المحتم على الأعضاء المخلصين لعصبة الأمم بأن يتمسكوا بالتدابير ، التى اتخذت ضد ايطاليا وأن يسعوا لتوسيع نطاقها حتى تفوز سلطة عصبة الأمم ، فى الوقت الذى تتقبل فيه الدوائر الرسمية ، البريطانية سقوط العاصمة الأثيوبية بكثير من السكينة مؤكدة ان من الواجب انتظار سير الحوادث فيما بعد : هل تضع ايطاليا ، أحد الرؤوس - الشخصيات الأثيوبية الكبيرة ، من الأسرة المالكة - على رأس نظام الحكم فى الحبشة ، مؤيدة الجيش الايطالى ، أم تقرر ايطاليا تحويل الحبشة الى مستعمرة عادية ! فى هذا الهجوم المحموم - داخليا وخارجيا يدلى السنيور موسولينى بحديث خطير الى المستر واردبرايس مندوب جريدة الديلى ميل البريطانية يقول فيه :

لم يخطر ببالي قط أن أمس مصالح الامبراطورية البريطانية ولم يخطر ببالي أيضا اىذاء انجلترا : ان مصر ، لا تيمنا وكذلك فلسطين وليس لاطاليا مطالب استعمارية أخرى .

وعندما يسأله واردبرايس عن شروط الصلح يقول موسولينى : لا يمكننى أن أقرر الآن ذلك نهائيا ، ذلك لأننى لا أعرف مع من أعقد الصلح ، بعد قرار الامبراطور .

ثم يضيف موسولينى قائلا : لقد استقرت السلطة الايطالية استقرارا
راسخا فى الحبشة ونحن نريد سلاما دائما !



وينشر المحرر الدبلوماسى لجريدة الديلى هيرالد مقالا ، عن المحادثات المصرية
البريطانية فى نفس اليوم الذى سقطت فيه أديس أبابا ، ونشر فيه حديث
موسولينى مقالا هاما - وصريحا - يقول فيه : ان طريقة مواجهة الزعماء ،
المصريين بخبراء بريطانيين ضالعين فى الشئون الحربية ، فى البر والبحر والجو
وتفسير البواعث الفنية ، التى تقتضى زيادة جيش الاحتلال ، والمواقع التى
يحتلها بدلا من نقصه ، وبعضها حبطت حبوطا تاما ، فالمصريون وليس عندهم
مستشارون خبرون فى الناحية الفنية لا يستطيعون أن يحكموا حكما صحيحا ،
على قوة هذه الأدلة أو ضعفها ، فيشعرون أن فى الأمر حيلة عندما يقال لهم
- مثلا - ان الضرورة تقتضى بقاء ، الحاميات البريطانية فى القاهرة والاسكندرية
والسلاح الجوى فى هليوبوليس « مصر الجديدة » ويبدو لهم أن القول ليس
الا محاولة للتوصل فى التسليم بما سلم به الانجليز فى مشروع عام ١٩٢٠
وربما كان الخطأ ، الكبير ، أو الجريمة الكبرى السعى ، المتعمد لجعل مصر غير
قادرة على أن تتولى الدفاع عن نفسها وليس هناك ما يفسر لنا لماذا لا تملك
مصر قوة دفاعية كافية كان يمكن انشاؤها بمساعدة البريطانيين الفنية .

ومن اللغو أن يقال أن المصرى ليس بجندى مجيد فريد .. أثبت المصريون
بقيادة ابراهيم باشا أنهم جنود أكفاء فحاربوا الترك وغلّبهم ثم انهم حاربوا
فى السودان وأحسنوا الحرب ولكن لم يتح لهم فى العهد الحديث أن يخاربوا
بقيادة ضباطهم المصريين . فالضباط المصريون لا يسمح لهم بأن يتولوا مقاليد
القيادة .



وقد احتج اللورد ملنر - من زمن بعيد - على تلك الخطة وما فيها من قصر
نظر ولكن تنفيذ الخطة استمر متعمدا لتسوين بقاء الاحتلال البريطانى فى مصر .

نحن منعنا المصريين من انشاء هيئة أركان حرب على درجة من الكفاءة لتنظيم
جيش مصر ، وقيادته فأصبحت مصر الآن لا تملك خبراء عسكريين أكفاء فى
الشئون العسكرية مع البريطانيين وعلاوة على ذلك تعمدنا ابقاء الجيش المصرى
بغير معلم عسكري واحد ومن دون مدفعية ثقيلة وفرضنا على مصر نزع سلاح
كان أشد فى وقته من نزع السلاح الذى فرض على المانيا اثر هزيمتها فى الحرب
العالمية . والآن نقول للمصريين أيها الأصدقاء : الواقع ، أنكم لا تصلحون
للدفاع عن بلادكم .

ولذلك نريد أن تبقى جيوشنا فى كل مكان للدفاع عنكم أنندهش عندما ترى المصريين يرتابون فى أقوالنا ويظنون أننا سيئون النية ؟ •



ويصل الملك فاروق الى مصر وتسبقه حملة دعائية هائلة من الاشادة بتقواه ، وتأثره بالتعاليم الدينية وتستمر تلك الحملة تزداد كل يوم قوة ، وتركيزا وبطبيعة الحال لا تعرف الجماهير شيئا عما كان يحدث للملك فى لندن وما كان يحدث من الملك • ولو أن عزيز المصرى باشا كان قد فتح فمه وتحدث عن تلك المؤامرات التى كان يحيكها أحمد حسنين وعمر فتحي ضد فاروق فى لندن ، وكيف استطاعا أن يحبلا الفتى الطيب الى شاب منحرف : يدخل عليه عزيز المصرى غرفته - كما روى لأنور السادات - فى الصباح فيجده نائما بما لبس السهرة والخمر تفوح من فمه : كان أحمد حسنين وعمر فتحي يقودان فاروق الى دور الفساد فلا يعود الا فى الرابعة صباحا ويعود مخمورا فينام ويلقى بنفسه القاء على أقرب مقعد أو وسادة • لو أن عزيز المصرى فتح فمه يومئذ لكان فى الامكان انقاذ الملك مما تردى اليه •

على أية حال وصل فاروق الى الاسكندرية فالقاهرة وحظى - أول من حظى - بمقابلته صاحب السعادة سير مايلز لامبسون المنسوب السامى البريطانى •



وفى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٨ مايو ١٩٣٦ يجتمع مجلسا البرلمان « النواب والشيوخ » فى هيئة مؤتمر غير عادى ، فيعلن المرسوم الصادر بدعوة مجلس النواب ، ومجلس الشيوخ ويعلن بعد ذلك وفاة الملك فؤاد •

ويتولى أمين سامى باشا رئاسة المؤتمر باعتباره أكبر الأعضاء سنا : ويتولى السكرتارية محمد متولى بك والى يمينه الأستاذ محمد خطاب فالأستاذ ابراهيم عبد الوهاب بينما يجلس على يساره الأستاذ أمين عثمان والأستاذ عز العرب ، ويقبل على ماهر باشا رئيس الوزراء ومعه الوزراء ويتحدث على ماهر عن الملك ، ويتلوه زعيم الأغلبية البرلمانية ، كما يتحدث محمد محمود واسماعيل صدقى ومحمد حلمى عيسى « رؤساء أحزاب الأحرار الدستوريين والشعب والاتحاد » ثم يتحدث بعدهم حافظ رمضان باسم الحزب الوطنى وينهض الشيخ المحترم لويس فانوس ليقدم اقتراحا فلم يكذب يبدأ الحديث حتى كانت يد زميله القديم الشيخ حسنين عبد القادر قد استقرت على فمه فلم يستطع الكلام وبعد ربع ساعة قضاهما الجميع حدادا على الملك الراحل استمع الجميع الى تبليغ « المنادة بفاروق

الأول ملكا على مصر ، ويعلم على ماهر ان الملك الجديد قد خفض ميزانية مخصصات جلالته من مائة وخمسين ألف جنيه الى مائة ألف جنيه ، ويقول على ماهر قبل أن تأخذ هيئة المكتب في فحص اختتام المظروفين اللذين يحتويان على وثيقة الوصاية : ان المظروف المحفوظ في مجلس الوزراء وجد مقفلا ، أما المظروف المحفوظ في ديوان الملك فقد وجد مفتوحا ، وتتل رسالة من محمد شوقي باشا السكرتير الخاص للملك ومن مراد محسن باشا ناظر الخاصة ومن دولة نسيم باشا الذي كان خاتمه موضوعا على الشمع ، الذي أغلق به المظروفان حيث كان يتولى رئاسة الديوان الملكي ، تقول الرسالتان ان الملك طلب المظروف المحفوظ في ديوانه مرتين متعاقبتين في يوليو وأكتوبر ١٩٣٥ ولكنه بعد فحصه لم يمسسه بتحويل أو تبديل ، ويتولى مصطفى النحاس ومحمود غالب « عضوا مجلس الشيوخ » فحص المظروفين وينتقل بعض الأعضاء الى حيث يوجد المظروفان ولكن النحاس باشا يقتعهم بصواب عملية الفحص .

ويقول على ماهر . ان كنتم في شك من ضم نسيم باشا فاستدعوه ليقرر في ذلك رأيه الاخير ، ولكن هيئة المكتب تفحص المظروفين وتؤكد من ان الذين وصى بهم الملك الراحل ليكونوا أوصياء على العرش هم عدلى يكن باشا ومحمود فخري باشا وبعد الاستراحة ، يقف مصطفى النحاس مؤكدا ان أول شيء في اقرار مجلس الأوصياء ، أن ينعقد عليهم الاجتماع ليكون مظهرا من مظاهر ، رضا الأمة بأجمعها لذلك اجتمع ممثلو الأحزاب والهيئات قبل أن نجتمع هنا واتفقنا على ما نعرضه عليكم لتقبلوه بالاجماع وقد وضعتم تقتكم في مثليكم ولذلك أرجو ان تقروا بالاجماع ان يكون مجلس الاوصياء مؤلفا من صاحب السمو الأمير محمد على باشا وصاحب المعالي عزيز عزت باشا ، وصاحب السعادة شريف صبرى باشا فاذا وافقتم كنتم عند حسن ظننا بكم . . »

ويتطلع المؤتمر الى محمد محمود باشا ليقف مؤكدا الاجماع في هذه الناحية وتلتم الجلسة مرة أخرى ليقسم الأوصياء الثلاثة اليمين الدستورية على أن يحترموا الدستور وقوانين الأمة المصرية ويحافظوا على استقلال الوطن وسلامة أراضيه وأن يكونوا مخلصين للملك وكان مصطفى النحاس قد أشاد في كلمة له بالملك الراحل في تطور أحوال الأمة « واذا لم يكن من حقى أن أسبق التاريخ فيما سجله لجلالته من المجهودات والأعمال فاني أرى لزاما على وقد كان لى الشرف العظيم بأن أتصل بالفقيد عن قرب أثناء قيامى بواجباتى الرسمية ، أن أنه بما كان لجلالته من شخصية ممتازة وجذابة معا وما جبل عليه من موهبة سامية ، ونشاط متصل في تسيير دفة الأمة » .

ولان الوفد المصرى لم ينجح في فرض نسيم باشا كأحد الاوصياء على العرش حرص نسيم باشا منذ أن عرف أن بعض الزعماء في الجبهة الوطنية عارضوا في

اختياره اذ عرفت له سياسة ناهضتها الأحزاب رأى نسيم باشا أن يعتزل الحياة العامة وقد عرضت عليه رئاسة مجلس الشيوخ قبل اجتماع المؤتمر البرلماني فاعتذر عن قبولها وتردد أنه سوف يستقيل من عضوية مجلس الشيوخ أيضا طلبا للراحة ورغبة في العزلة .

ويقدم على ماهر باشا استقالته الى مجلس الوصاية على العرش فتقبل الاستقالة ويكلف المجلس مصطفى النحاس باشا زعيم الأغلبية البرلمانية بتأليف الوزارة الجديدة في ١٠ مايو ١٩٣٦ وهي ثالث وزارة يؤلفها دولته .

الفصل الرابع

مصطفى النحاس يؤلف وزارته الرابعة ويخرج محمود فهمى النقراشى من الوفد

● شكل مصطفى النحاس باشا - فى ٩ مايو ١٩٣٦ - وزارته الثالثة ،
التي تعتبر أهم وأخطر الوزارات الوفدية لا فى تاريخ الوفد المصرى وحسب وإنما
فى تاريخ رئيس الوفد مصطفى النحاس باشا نفسه نظرا لخطورة الأحداث ،
التي وقعت خلال فترة حكم تلك الوزارة ونظرا لما أصيب به الوفد - كحزب -
فى الداخل من ازمات ، وانقسامات •

وكان مصطفى النحاس قد شكل وزارته الاولى فى ١٦ مارس ١٩٢٨
محتفظا لنفسه - الى جانب رئاسة الوزارة - بوزارة الداخلية وكان وزراؤه
هم : جعفر ولى باشا « الحربية والبحرية » ، واصف بطرس غالى باشا « الخارجية » ،
محمد نجيب الغرابلى باشا « الاوقاف » على الشمسى باشا « المعارف العمومية » ،
أحمد محمد خشبة باشا « الحفانية » محمد محمود باشا « المالية » ابراهيم
فهمى بك « الاشغال العمومية » محمد صفوت باشا « الزراعة » مكرم عبيد
افندى « المواصلات » •

ولم يكن حزب الوفد وحده هو الذى شكّل الوزارة وإنما كان الى جانبه
فى الوزارة مستقلون ، ووزراء ينتمون الى حزب الأحرار الدستوريين ولذلك
سميت بالوزارة الائتلافية غير أن الائتلاف الوزارى لم يدم طويلا فسرعان
ما استقال محمد محمود باشا وجعفر ولى باشا « من الدستوريين » وأحمد خشبة
باشا « وقدى » وابراهيم فهمى بك « مستقل » •

وكان السبب الرئيسى فى استقالة هؤلاء الوزراء ، الوثيقة التي نشرت حول
اتفاق مصطفى النحاس ووصفا واصف وجعفر فخرى ، ووالدة الأمير
سيف الدين « أحد أمراء الأسرة المالكة » الذى اتهم بالجنون ووضع تحت وصاية
الملك فؤاد •

وكان قد نسب الى المحامين الثلاثة ، النحاس ، وويصا واصف وجعفر فحرى ، انهم تعاقدوا مع والده الامير سيف الدين للدفاع على رفع الحجر عن ابنها لقاء أتعاب قدرت بـ ١٣٠ ألف حنيه ولما كان هذا المبلغ - وقتئذ - يعتبر باهظا بالنسبة لأتعاب المحامين فقد نسب الى مصطفى النحاس انه استغل مكانته السياسية ، لاجراء هذا التعاقد الذي اعتبره البعض بمثابة رشوة ، وانتيز الملك أحمد فؤاد الفرصة ، فأقال وزارة النحاس باشا فى ٢٥ يونيه ١٩٢٨ بالخطاب التالى :

« عزيزى مصطفى النحاس باشا .

» لما كان الائتلاف الذى قامت على أساسه الوزارة قد اصيب بتصدع شديد ، فقد رأينا اقالة دولتكم ، شاكرين لكم ولحضرات زملائكم ما أدتكم من عمل فى خدمة البلاد .

« فؤاد »

ويحال مصطفى النحاس الى مجلس تأديب المحامين ولكن مجلس التأديب هذا ، يبرى ساحة مصطفى النحاس بشا ، وزميليه . مؤكدا أن الاتفاق لا غبار عليه من ناحية شرف المهنة ، ولا ينال من نزاهة المحامى .

وكان مصطفى النحاس - كما اتضح من التحقيق - قد تنازل عن توكيله فى القضية بعد ان اسندت اليه رئاسة الوزارة . ولكن السراى كانت تريد أحداث سابقة خطيرة فى تاريخنا السياسى ، فأقالت الوزارة النحاسية ، وكانت تلك الاقالة أول سابقة من نوعها .



اما الوزارة الثانية لمصطفى النحاس باشا ، فقد شكلها فى اول يناير ١٩٣٠ ، واحتفظ لنفسه الى جانب رئاسة الوزارة بوزارة الداخلية . واشترك معه فى وزارته الثانية حسن حسيب باشا «الحربية والبحرية» . واصف بطرس غالى باشا « الخارجية » محمد نجيب الغرابى باشا « الحقانية » . عثمان مجرم باشا « الاشغال العمومية » . محمد صفوت باشا « الزراعة » . مكرم عبيد افندى « المالية » . محمود فهمى النقراشى افندى « المواصلات » . محمد بهى الدين بركات بك « المعارف العمومية » . محمود بسيونى افندى « الاوقاف » .

وقد تنازل مصطفى النحاس عن تشكيله الوزارة عن حقه الدستورى . عندما استبعد الملك أحمد فؤاد من التشكيل الوزارى . على الشمسى باشا . والجدير بالذكر أنه عندما خرج مصطفى النحاس من مقابلة الملك - بعد أن عرض عليه أسماء الوزراء وبعد أن وافق على اعتراض الملك على . على الشمسى

باشا - عرض على ، على الشمسي باشا منصب وزير مصر المفوض في روما .
ولكن الاخير رفض هذا المنصب . . الأمر الذي أكد استقامته السياسية
والوطنية .

وكان تعيين محمود فهمي النقراشي أفندي في هذه الوزارة رغم اتهامه في
الكثير من القضايا السياسية . واعتراض المندوب السامي البريطاني على ادخاله
الوزارة . . بمثابة قوة وطنية جديدة . . صارمة ونزيهة ، أضيفت الى الوزارة
الثانية لمصطفى النحاس . والتي كانت وزارة مفاوضات .



وقد بدأت الوزارة عملها بالمفاوضات مع بريطانيا في ٣١ مارس ١٩٣٠ ..
وكانت مفاوضات شاقة وعصيبة ، ولكن الوفد في هذه المفاوضات قد قبل وجود
قوة بريطانية في قناة السويس . غير ان المفاوضات تحطمت على صخر السودان ،
حيث أصرت الحكومة البريطانية على ألا يجيء في المعاهدة ، فيما يتعلق بمستقبل
السودان ، عبارات ملتوية مطاطة .



وفي عهد هذه الوزارة وصل أول طيار مصري الى مصر من أوروبا على متن
طائرته الخاصة في ٢٥ يناير ١٩٣٠ . واعتبر الشعب وصول محمد صدقي
الطيار المصري من الأحداث التاريخية .



وبمجرد عودة الوفد المصري من المفاوضات ، اثر قطعها في ١٨ مايو
١٩٣٠ ، بدأت المؤامرات ضد وزارة النحاس باشا الثانية . وكان حزب الاحرار
الدستوريين في مقدمة اولئك الذين راحوا يكيّدون للوزارة ، ويرفعون الى الملك
ملمتسات باقالتها ، لانها جاءت لمهمة خاصة ، وقد انتهت هذه المهمة . هذا
الى جانب أن الكثيرين من المعارضين للوزارة استغلوا تجميد الوزارة لكبار الموظفين
من غير الوفديين ، واتهام الوزارة بالديكتاتورية أبشع استغلال .

ويقوم الحلاف بين الوزارة والملك أحمد فؤاد ، على تعيينات الشيوخ الجدد .
ويرفع مصطفى النحاس في ١٧ يونيو ١٩٣٠ استقالته من الوزارة لعدم
« تمكننا من تنفيذ برنامجنا ، الذي قطعنا على أنفسنا العهد بتنفيذه » . وكان
الوفد قد رتب مظاهرة شعبية في ٢٠ مايو ١٩٣٠ لمحاولة ارحاب الملك . فكان
الملك أحمد فؤاد أسرع من الوفد في التحرك ، فقبل استقالة مصطفى النحاس
في ١٩ مايو ١٩٣٠ وعهد بالوزارة الى اسماعيل صدقي باشا ، العدو للدود
للوفد وللحياة الدستورية .

وكانت وزارة مصطفى النحاس الثالثة في ٩ مايو ١٩٣٠ مشكلة على النحو التالي : مصطفى النحاس باشا « الرئاسة والداخلية والصحة العمومية » واصف بطرس غالى باشا « الخارجية » عثمان محرم باشا « الاشغال العمومية » محمد صفوت باشا « الاوقاف » • مكرم عبيد « المالية » • محمود فهمى النقراشى « المواصلات » • أحمد حمدي سيف النصر « الزراعة » • محمود غالب بك « الحقانية » • غلى فهمى باشا « الحربية والبحرية » • عبد السلام فهمى جمعة بك « التجارة والصناعة » • على زكى العرابى بك « المعارف العمومية » • وكل الوزارة من الوفدين •



وقد جاء فى كتاب مصطفى النحاس الى مجلس الوصاية المؤلف من الامير محمد على « رئيسا » ، وعبد العزيز عزت باشا ، ومحمد شريف صبرى باشا « عضوين » •• ان الوزارة تجعل نصب عينها تحقيق استقلال البلاد بابرام معاهدة مودة وتحالف مع الدولة البريطانية الصديقة • وجاء فى ذلك الخطاب : ان من اول اغراض الوزارة « تمكين صلات الولاء والثقة بين العرش والامة ، وتوطيد النظم البرلمانية على الاسس الديمقراطية المعمول بها فى البلاد العريقة فى الحكم النيابى •



والجدير بالذكر ان الظروف كانت مواتية للوزارة الوفدية الى أبعد حدود المواتاة • فالسراى - بعد وفاة الملك فؤاد ، وتولية ابنه فاروق ، الذى لم يكن قد بلغ بعد سن الرشد ، ووجود مجلس وصاية ضعيف هزيل - ، كانت مهيضة الجناح ، لا حول لها ولا طول • ورئيس مجلس الوصاية لا هم له الا التزلف للوفد ورئيسه ومحاولة ابعاد الملك الشاب عن السلطة ، الى أن تبلغ سنه الواحدة والعشرين •

كما أن الحكومة البريطانية •• كانت تسعى الى توقيع معاهدة الصداقة المصرية - البريطانية ، قبل ان تتبدد غيوم السياسة الدولية •

كانت وزارة مصطفى النحاس باشا الثالثة لديها القوة لكى تفرض ارادتها • ولكنهما لم تستطع نظرا للظروف الداخلية للوفد ذاته كحزب ، حيث بدأت أخطر الانشقاقات فى تاريخ الوفد المصرى ، ونعنى بها خروج محمود فهمى النقراشى باشا من الوفد ، او اخراجه منه ، وبعده كان خروج الدكتور أحمد ماهر ، الذى كان قد انتخب رئيسا لمجلس النواب • كما ان الوفد فى هذه المرحلة الهامة من تاريخه لم يعتمد على ما كان يتميز به كحزب ، عن بقية الأحزاب الأخرى ، لم يعتمد على صلاته فيما يتعلق بعلاقته بالسراى •

والجدير بالذكر أيضا أنه عندما تولى الملك فاروق سلطاته الدستورية في ٢٩ يوليو ١٩٣٧ عهد في أول أغسطس ١٩٣٧ الى مصطفى النحاس باشا بتشكيل وزارته الرابعة .

وفيما يلي نص خطاب الملك الى مصطفى النحاس :

عزيزى مصطفى النحاس باشا

انى وقد حملت الامانة التى عهد الله بها الى ، معتمدا عليه سبحانه وتعالى لأجد فيكم ، وقد أحرزتم الثقة الكبرى فى عظيم اخلاصكم وولائكم وصادق وطنيتكم ، وقدمتم تلك الخدمات المجيدة بحسن جهادكم وسداد رأيكم ، وثبات عزمكم ، ، ويمضى التكليف الملكى قائلا : « تعهد اليكم رئاسة مجلس وزرائنا وانا على يقين أنكم بوسع خبرتكم وسمو تدبيركم ستواصلون جهودكم الموفقة بمعاونة من تختارونهم على تحقيق أمانى ورغائى فى اسعاد شعبى .. الخ .



وقد أخرج مصطفى النحاس من الوزارة اربعة وزراء هم : محمود فهمى النقراشى ، ومحمد صفوت ، ومحمود غالب ، وعلى فهمى ، وأدخل بدلا منهم وزراء جدد هم : محمود بسيونى « الاوقاف » . محمد محمود خليل بك « الزراعة » . محمد صبرى أبو علم « الحقانية » . عبد الفتاح الطويل « الصحة العمومية » .



ويعتبر استاذنا عبد الرحمن الرافعى اخراج النقراشى باشا من الوزارة نقطة تحول فى حكم الوفد ، فيقول :

« كان اخراج الوزراء الاربعة ، وخاصة النقراشى ، موضع دهشة الرأى العام ، لأن النقراشى كان بلا مراء دعامة كبرى من دعائم الوفد ، وذهب الناس هذه شتى فى تحليل هذا التغيير الخطير فى تأليف الوزارة .

وحجة النحاس فى اخراج النقراشى انه كان كثير المعارضة داخل الوزارة وان سير العمل يقتضى تجانسنا وانسجاما داخل هيئتنا .

وفى الحق - الرافعى - ان ما أخذه النحاس على النقراشى لم يكن يسوغ اخراجه من الوزارة ، لان المعارضة داخل الوزارة ، اذا كانت مبنية على ما يعتقده المعارض ، صوابا وصادرة عن نية صادقة فليس لرئيس الوزارة أن يتبرم بها .. ما دام المعارض يدعن آخر الأمر لقرار الأغلبية ، ولا يخرج عن الجماعة . والتبرم بمثل هذه المعارضة ، معناه تحييد الخضوع والانصياع لاتجاه الرئيس فى الخطا

والنصواب معا ، وليس هذا من الديمقراطية ولا من الوضع السليم فى شيء .
والنقراشى كان يصدر عن حسن قصد ، وعن استمسك بالاستقامة والنزاهة ،
فمن يكن من الحق والانصاف ، أن يجازى على ذلك باخراجه من الوزارة . وكان
واجبا على النحاس أن يكون فى رئاسته نصيرا للنزاهة مؤيدا للحق ، وأن يبذل
كل جهد لاستبقاء النقراشى . كان فى استطاعته أن يفعل ذلك ، ولكنه لم
يفعل . . بل تعمد اقصاءه ، وهذا مأخذ عليه - ولا ريب - كبير .

ويقول الأستاذ الرافعى :

« ان النقراشى ، كان يعارض التصرفات التى تمس سمعة الحكم وسلامته ،
وكان يبنى أن يكون حكم الوفد قوميا نزيها ، فعارض فى الاستثناءات
والحسوبيات . وقد كان فى مقدمة الأشياء أو الموضوعات التى عجلت باقضاء
النقراشى « معارضته انفاذ مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان بالطريقة
التي ارتأتها وزارة النحاس ، وهى اعطاء العملية - عملية توليد الكهرباء -
لشركة الكهرباء الانجليزية ، دون عرضه على خبراء عالميين ، ودون طرحه فى
مناقصة عالمية ، ولم يكن النقراشى وحده هو الذى اعترض على تلك العملية ،
بل شاركه فى الاعتراض محمود غالب ومحمد صفوت . وقد رأى الثلاثة ضرورة
عرض الموضوع على البرلمان ، قبل الاتفاق مع أية شركة من الشركات » .

ويقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى :

« ان اخراج النقراشى من الوزارة كان نقطة التحول فى سياسة الوفد فى
الحكم . لقد أخذ بعد ذلك يسلك فيه سبيلا لا يتفق مع الروح القومية ، ولا مع
الاستقامة والنزاهة . . والنزاهة هى أساس الحكم الصالح فى كل بلد .
ولا يمكن لامة أن تنهض دون حكم نزيه ، عادل سليم . ثم ان اخراج النقراشى ،
معناه أيضا ، تغليب روح الخنوع والخضوع لكل ما يراه الرئيس ، سواء أخطأ
أو أصاب . والحياة السياسية التى أساسها الخضوع لأهواء الرئيس ، هى نوع
من الحكم المطلق . . تختفى فى ظله فضائل الشجاعة والكرامة والحرية والنزاهة
والاستقامة . وقد اقترن هذا التحول باضفاء سمات الزعامة المقدسة على
النحاس ، والدعوة الى الخضوع لكل ما يراه . وأرادوا بهذه الظواهر المفتعلة أن
يرهبوا كل من يخالفونه فى رأى أو يناقشونه فيه ، ويؤلبون عليهم الجماهير
احراجا لهم وتشويها لسمعتهم . وفى هذا انحدار بالبلاد وبالحكم الى هوة
الديكتاتورية البرلمانية ، التى لا تختلف عن الحكم المطلق فى مساوئه وأوزاره ،
ورجوع بالامة الى الوراء فى مجال الحياة السياسية والأخلاقية . .

« هذا وقد سعى النحاس فى استرضاء النقراشى عن طريق الاغراء وعرض
عليه مقابل اقصائه عن الوزارة عضوية مجلس ادارة شركة قناة السويس .

وهي عضوية تدر على شاغلها دخلا ماليا كبيرا يتزاحم عليها طلاب الربح والثراء .. ولكن النقراشي رفض هذه العضوية ، فبرهن على تمسكه بنزاهته واستقامته وكرامته ، وخاصة لأنه لم يكن غنيا ولا ذا مال ، وهذا مثل نادر بين الرجال . ولا سيما في هذا العصر الذي نعيش فيه ، .



ولست أنسى ما حييت ، مرة جئت فيها من قريتي الى العاصمة : القاهرة ، وكنت وقتئذ صبيا ، فرأيت مظاهرة صاحبة ، جمعت أعدادا كبيرة من الجماهير . وكانت تهتف « يسقط النقراشي النزيه » !!

وهذا قد أكد لي فيما بعد ، كيف أن الجماهير توجه في بعض الأحيان توجيهها سيئا ، بدليل أن المظاهرة أو المظاهرات التي كانت توجه ضد النقراشي ، كانت تهتف بسقوطه ، وهي لا تعرف أية جريمة ارتكبها النقراشي المفترى عليه ، وبدليل انها كانت تضيف الى اسمه صفة « النزاهة » .. وهي لا تعرف أنها بذلك تسيء الى نفسها قبل أن تسيء الى الرجل الذي تتظاهر ضده .



وعن تشكيل مصطفى النحاس باشا لوزارته الرابعة ، يقول الدكتور محمد حسين هيكل :

« رفض الملك فاروق أن يكون الأستاذ يوسف الجندي وزيرا ، وكان الأستاذ يوسف نائب زعيم المعارضة بمجلس الشيوخ ، ثم كان الوكيل البرلماني لوزارة الداخلية في الوزارة السابقة .

وكان مشهودا له - وهو المحامي الشاب - بالبراعة البرلمانية الممتازة ، في المعارضة .. لم يكن لنا نحن الأحرار الدستوريين أن نعترض على هذا الحادث بعد أن تألفت الوزارة الجديدة ، فقد اعترض الملك فؤاد من قبل على تعيين أحد الدستوريين لغير سبب .. الا انه لا يطمئن لسياسته . وأريد مني أن أناقش هذا الرفض من الناحية الدستورية . فكان من رأيي أن المسؤولية فيه على الرئيس الذي يؤلف الوزارة ، ولا يتمسك بمن يرشحه . واذ كنا في ذلك العهد نؤيد النظام القائم ، فقد رأينا أن ندع هذا الحادث يمر في غير تعليق . وليس طبيعيا ، وقد أصبحنا في المعارضة ، أن نتخذ موقفا غير هذا الموقف بالنسبة للأستاذ يوسف الجندي . لذلك آثرنا أن ندع الأمر يصرفه الملك الشاب مع رئيس الوزارة ، صاحب الأغلبية البرلمانية » .



وحول اعتراض مصطفى النحاس على رفض الملك تعيين يوسف الجندى وزيرا ، يقول الدكتور هيكل :

« ان مصطفى النحاس بعد أن قبل توقيع مرسوم تأليف الوزارة ، بدون الأستاذ يوسف الجندى معناه انه اقتنع بحجة الملك ، فارتضاها . . فان لم يكن قد اقتنع ، فقد كان واجبا عليه بحكم الدستور أن يرفض تأليف الوزارة ، وأن يتمسك بقائمته التي قدمها ، وللملك عند ذلك رأيه .

ولكن النحاس باشا ، لم يسلك هذا المسلك بل نزل على اعتراض الملك .

ثم بدأت صحفه تنشر أن الوزارة تبحث موضوع الأستاذ يوسف من الناحية الدستورية . وما أحسب النحاس باشا فاته ، أن توقيع مرسوم التأليف يسقط حجته في الاعتراض على ما حدث .

ترى أكان الغرض مما ينشر في صحفه يومئذ عن البحث الدستوري نوعا من الارهاب غير المنتج ؟ . أم كان ترضية أفلاطونية للأستاذ يوسف الجندى ؟ . أم قصد به توجيه الرأي العام وجهة خاصة ؟ .

« أحسب ان البحث لم يكن جدليا ، وأن النحاس باشا ، قبل تأليف الوزارة ، خشية تكليف غيره بتأليفها ، ان هو تشبث بتعيين الأستاذ يوسف ، وخشية ما يترتب على ذلك من حل مجلس النواب ، واجراء انتخابات جديدة ، تدور معركتها . . حول الخلاف بينه وبين الملك الشاب » .



وحول اخراج النقراشي باشا من الوزارة قال د . هيكل : « أدى استبعاد النقراشي باشا ، وغالب باشا من الوزارة بعد الاحتكاك الذي حدث بين النحاس باشا ، والقصر أثناء تأليفها . . الى خلق جو ازدادت فيه الخصومات على ما كانت عليه من قبل وأعان على تزايدها ما أشيع من أن الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب يؤيد النقراشي باشا وغالب باشا ولم يكن من شأن هذا الجو أن يسكن من حدة الخصومة التي كانت قائمة بين المعارضة والحكومة في عهد الوصاية . من بعد أن أبرم البرلمان معاهدة الود والصداقة كما سماها النحاس باشا ومعاهدة الشرف والاستقلال كما سماها مكرم عبيد باشا . اغتبطنا - د . هيكل - نحن الأحرار الدستوريين . بهذا الوضع الجديد ، اذ رأينا فيه اضعافا لشوكة الوزارة التي تناوئنا . وكان طبيعيا . وهذه هي الحال أن تعمل الوزارة على محاربة خصومها لاضعاف شوكتهم كما يحاربونها هم لاضعاف شوكتها » .



● ويضيف د. هيكال الى ذلك قوله : « استأنفت الوزارة عملها في هذا الجو ، فجرت على الوتيرة التي جرت عليها في عهد الوصاية ، وسارت في الحكم سيرة حزبية متطرفة ، ولذلك عززت فرق القمصان الزرق ، التي أنشأتها من قبل على غرار القمصان انسوداء الفاشية ، والقمصان الرمادية النازية ، لتبعث الرهبة الى نفوس خصومها » .

وبدأ الناس يتحدثون في مركز الوزارة ، وفي حظها من البقاء . وكان الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي ، شيخ الجامع الأزهر ، من مستشاري القصر ، وكان من رايه أن يخلف الدكتور أحمد ماهر « عضو الوفد ورئيس مجلس النواب » مصطفى النحاس في رئاسة الوزارة ، لأن الدكتور ماهر يؤيد النقراشي وغالب باشا في موقفهما من النحاس باشا ومكرم باشا . وكنا نعتبر الأحرار الدستوريين نطمح في أن يتولى رئيس حزبنا محمد محمود باشا رئاسة الوزارة المقبلة ، لاننا نحن الذين جاهدنا الوفد ، وقاومنا حكمه وأصابنا ارحابه بالأذى ، ولان الدكتور أحمد ماهر لم يكن له حزب يناصره ، فاذا هو اختلف مع النحاس باشا ، خيف أن يكون مصيره ومصير النقراشي باشا ، كمصير الذين خالفوا النحاس حين الحديث عن الوزارة القومية في سنة ١٩٣١ ، فلا يلبثون حين يخرجون على النحاس باشا ، ان يدعفهم بتهمة الخيانة ، فيضعف مركزهم أمام الرأي العام ، ولا يستطيعون الصمود لنشاط المنظمات الوفدية ، التي تدرت أدق تدريب على التظاهر والاخلال بالنظام » .



وحول الوزارة النحاسية الرابعة أيضا ، يقول د. يونان لبيب رزق :

« النقراشي قطب من أقطاب الوفد ، له فضل على النحاس .. لانه هو الذي رشحه للوزارة . كما ان له صلة نسب بالسيدة أم المصريين ، الى جانب المكانة الخاصة التي كان يتمتع بها لدى الزعيم سعد زغلول . ومن جانب آخر ، فقد كان من أهم العناصر النظيفه في الوفد ، الوحيد من وزراء الوزارة السابقة ، التي سلمت وزارته من المحاباة والاستثناءات . يضاف الى كل ذلك ما عرف عن الرجل من زعامة للشباب الوفدي ، ومن طاقة تنظيمية هائلة » .

ومع كل هذا فقد كانت الذريعة التي استندت الزعامة الوفدية اليها ، لاقضاء النقراشي عن الوزارة هي عدم التجانس وهي ذريعة مطاطة وأن كل ما شاع وقتها أن السبب الرئيسي وراء هذا الاقصاء ، رغبة وزير المالية مكرم عبيد باشا في اقضاء العناصر القوية عن الحزب ، أملا في أن يرث زعامته بعد النحاس .. وكان الانشقاق الذي أصاب الوفد نتيجة لاجراج النقراشي من الوزارة الجديدة ، بالاضافة الى الصراع الذي احتدم بين الملك وهذه الوزارة أهم ما أثر في تاريخها ، وقد ارتبط كل من الحدثين بالآخر ، فبينما أدى انشقاق

الحزب الكبير الى اغراء القصر بالوزارة النحاسية الرابعة وسعيه الى التخلص منها ، فان الاختلافات بين الملك والوزارة ، قد غدت هذا الخلاف ، وأدت الى توسيع شقته » .



ففى خلال الأسابيع التى أعقبت تشكيل الوزارة الجديدة ، بدون النقراشى ، انتهزتها الصحف الموالية للقصر وبالذات البلاغ للهجوم على ما سمته عصابة النحاس - مكرم ، أو عصابة الشر على حد تعبيرها ، وذكرت أن الهدف من استبعاد النقراشى ، هو تمهيد الطريق لفرض أوتوقراطية الرجلين ومع أى احتمال يلوح بتسوية الخلافات داخل حزب الوفد كانت البلاغ نتدخل لافساد هذه الاحتمالات .

وكان أبرزها محاولة تعيين النقراشى فى مجلس ادارة شركة قناة السويس ، واستمر القصر فى طريقه لتعميق الخلافات وبدأت جهوده تثمر ، بتصريحات يدلى بها النقراشى ينتقد فيها سياسة الحكومة رغم أنه لم يكن قد خرج ، أو أخرج من الوفد ، ثم اذا بالبيان السياسى الخطير على حد وصف البلاغ والذي وجهه النقراشى ، الى الشعب المصرى فى ٧ سبتمبر ١٩٣٧ يعلن فيه خروجه على الزعامة الوفدية ، وقد تضمن البيان انتقادات شديدة لسياسة النحاس بالسعى لتقديس زعامته ، هذه السياسة التى صاحبها عصى ذوى القمصان الزرقاء تهوى على رؤوس من لم يؤمن بها من الوفديين ، وتصور الملك الشاب أن الفرصة سانحة لما يمكن أن نسميه بالاستيلاء على الوفد من الداخل فالنقراشى وان كان قد هاجم الزعامة الوفدية الا انه لم يهاجم الوفد ، كما انه عندما اتخذ الحزب قراره بفصل النقراشى ، من عضويته فان زميله الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب أدلى بتصريح يعرب فيه عن دهشته من هذا القرار وعن رأيه بأنه ما زال يعتبر زميله النقراشى ، عضوا فى الوفد .



وكان اصرار النقراشى وأحمد ماهر - كما يقول د. يونان لبيب رزق - على بطلان قرار اخراج النقراشى من الوفد وراءه ما تكشفه لنا الوثائق ، البريطانية ، وما سميناه بمحاولة الاستيلاء ، على الوفد من الداخل ، ذلك انه قد جرت خلال تلك الأيام مشاورات بهدف تشكيل زعامة وفدية جديدة ، يقوم الرجلان بتأليفها مما يؤدى الى سقوط الزعامة النحاسية للوفد والى احلال زعامة جديدة محلها مدينة بوجودها لمساندة القصر وكان الانجليز قد حذروا من خطورة هذه المغامرة على الملك الجديد ، كما أن على ماهر ، المستشار الرئيسى للقصر آنذاك لم ترقه الفكرة ، وخشى من نتائجها .



أما مارسيل كولومب فيقول في كتابه : تطور مصر ١٩٢٤ - ١٩٥٠ - عن إخراج النقراشي من الوزارة ، والوفد : سبق أن تفجرت داخل مجلس الوزراء الخلافات بين وزير المالية ، مكرم عبيد باشا وبين وزير المواصلات محمود فهمي النقراشي باشا ، الذي كان قد تحول عن طريق المصاهرة الى أحد أفراد أسرة صقية زغلول أرملة الزعيم الوطني الكبير التي اعتبرت منذ وفاة زوجها سعد زغلول أما للمصريين وفي أغسطس انجاز رئيس الوزراء الى جانب وزير المالية وأخرج النقراشي باشا من الحكومة مع ثلاثة من مساعديه وبذلك انحاز محمود فهمي النقراشي باشا الى جانب المعارضة وجر وراءه أحمد ماهر باشا رئيس مجلس النواب ، كان هذا الانشقاق بالغ الأهمية وقد أدى - كما أدت كل الانشقاقات السابقة التي حدثت في تاريخ الوفد - الى نشأة حزب سياسي جديد اتخذ لنفسه اسم الهيئة السعدية تمييزاً ، لنفسه عن الحزب السعدي ، الذي أنشأه حمد الباسل باشا عام ١٩٣٠ وقد أدى هذا الانشقاق الى تحطيم وحدة الوفد كما شجع السراي ، على أن تقاوم بمزيد من الفاعلية سياسة التخويف التي كان يتبعها ازماءها رئيس الوزراء .



ومن ناحية أخرى خصص د. محمد فريد عبد المجيد حشيش فصلاً كاملاً ، من رسالته عن « الوفد - ١٩٣٦ - ١٩٥٢ » عن الانسلاخات والانشقاقات في الوفد ، وعن انشقاق ماهر ، النقراشي ، ومحمود غالب ، يقول د. حشيش : في ٣٠ أغسطس ١٩٣٧ خاطب النحاس باشا الجماهير فأشار الى الخلافات المتكررة ، التي كانت تدور في مجلس الوزراء بين النقراشي من ناحية ، ومكرم عبيد من ناحية أخرى « ولذلك فتحقيقاً لعامل الانسجام بين أفراد المجلس رأيت - هكذا قال مصطفى النحاس بالحرف الواحد - إخراج النقراشي ، لكن برضائه مع الاحتفاظ بوفديته » ويشير مصطفى النحاس في خطابه المذكور الى ما تصوره المعارضة بأنه خلاف بين مسلم وقبطي فينفى هذا بشدة ويصف الخلاف بأنه فتنة يراد بها فرض النقراشي على النحاس وبعد أن يوضح د. حشيش وجهة نظره في البيانات التي كان يصدرها غالب باشا ضد مشروع كهربة خزان أسوان وردود مكرم عبيد باشا عليها يشير الى أن الخلاف بين النقراشي باشا وصحبه ، والنحاس باشا ومن معه قد بدأ في اثر توقيع معاهدة التحالف والصداقة بين مصر ، وبريطانيا في ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ فبعد توقيع ، المعاهدة اعتقد النحاس باشا أنه كسب بالمعاهدة صداقة الانجليز وصار محل ثقتهم وقد توصل الى الغاء الامتيازات الاجنبية والخلاص منها شيء ثمين حقيقة بالنسبة لمصر والمصريين يضاف الى هذا ان مصطفى النحاس تخلص من الملك فؤاد ، وهو عدو الوفد ، والدود ، وانتقال العرش الى فاروق الذي لا يخشى شره آنذاك كل هذا جعل النحاس يعتقد ان من حقه ان يتسامى ، ويتكبر - كما يذكر الراحل فزع على

زملائه ، القدماء ، ورفقائه في الوفد أن يظهر بمثل هذا المظهر فأطلقوا ألسنتهم في انتقاده وكان أول من أطلق لسانه بانتقاده محمود فهمي النقراشي ، وشاطره هذا الشعور محمود غالب وصفوت وكانوا لا يكتفون تبرمهم من سوء معاملتهم وتطور حالته النفسية ويرجع البعض هذه الحالة النفسية الى زواج النحاس غير المتكافئ الأمر الذي أدى الى وضعه في موقف غير ملائم فلا شك أن الزوجة الصغيرة ذات النفوذ الكبير على زعيم الوفد ، كان لها تأثيرها الكبير مما أدى الى تعيين الأقارب في مناصب هامة ، الأمر الذي أدى الى تجريح زعيم الوفد ، وخلق له الكثير من المتاعب وكثيرا ما كان محمود غالب يذيع متبرما أن زوجة النحاس تطلب منه - في وزارته - بعض الأعمال التي تتنافى والمصلحة العامة هذا ومن ناحية أخرى - كما يقول د. حشيش - نفوذ مكرم فقد كانت سلطته - كسكرتير لوفد وصديق مقرب لرئيسه - تتزايد باستمرار ، وكان استثنائه بالنفوذ والسيطرة على النحاس باشا يقوى ويشهد فأثار ذلك أعضاء الوزارة ولا سيما أعضاء الوفد منهم ، أمثال ماهر ، والنقراشي ومن ثم تولدت الحساسية والانفعالات في نفوسهم ، الأمر الذي أدى ، الى شقاق ثم الى الانشقاق ، وقد ساعدت السياسة التي اتبعها النحاس باشا بعد عودته ، من مؤثر مؤثره على نمو هذا الاتجاه وفي شهادة نجيب الهلالى أمام محكمة الثورة يقول نجيب باشا ان الخلاف له جذور قديمة منذ وزارة توفيق نسيم وكان من رأى النحاس ومكرم عبيد تأييد نسيم ، كي يعود المستور فتسليم باشا كان همزة الوصل بين الوفد والانجليز . . هذا بينما كان النقراشي وماهر يريان عكس هذا الرأى ، كما أن مصطفى النحاس ومكرم كانا من المتخمين لخروج فاطمة اليوسف وجريدتها روز اليوسف من الوفد لمهاجمتها نسيم باشا ، بينما كان ماهر والنقراشي مؤيدين لفاطمة اليوسف ، وصحيفتها وبعضهم يرى ان اخراج فاطمة اليوسف من الوفد ، كان تمهيدا أو مرتبطا بخروج ماهر والنقراشي من الوفد .

ويرى د. حشيش ان مشروع الكهرباء لم يكن سوى المفجر لشحنة الخلافات ، كما يرى في نفس الوقت ان الوفد ، أو مصطفى النحاس كان حريصا على تهدئة الموقف واسترضاء النقراشي ، عن طريق الاغراء ، فعرض عليه بعد اقصائه من الوزارة عضوية مجلس ادارة شركة قناة السويس .



ويرى د. حشيش وبناء على ما ذكره مكرم عبيد باشا ، أكثر من مرة ، ان النقراشي قد وافق على هذا العرض في البداية ، كما يرى أيضا ، ان النحاس باشا كان يتردد في موقفه ازاء النقراشي ، تتنازعه الحيرة ، بين عواطفه ، وزمالة الكفاح وذكريات الماضى ، وبين رغبة لا قبل له بها . كان النحاس بذكائه ، يدرك أن النقراشي من أكفأ رجال الوفد ، وله بينهم كثير من الأصدقاء ، ولا سيما

صديقه الأكبر ماهر ، وفي الوقت نفسه كان هناك من يلعب ، دورا آخر ، كان هناك مكرم الصانع الأول لكل انقسام حدث في الوفد في الثلاثينات فمكرم هو الذي اختلف مع نجيب الهلالي وأدى هذا الخلاف الى خروج ثمانية أعضاء من الوفد في ١٩٣٢ ومكرم هو الذي غضب على فاطمة اليوسف وطردها هي وجريدتها من الحزب ثم ان مكرم هو الذي حارب العقاد ، كاتب الوفد الأول ، وفصله من الوفد ١٩٣٥ وفي عام ١٩٣٧ سعى سعيًا حثيثًا الى طرد اثنين من دعائم الوفد ، وأركانها القوية ماهر والنقراشي .

ويقول د . حشيش ان الباحث في أمر الانقسامات التي حدثت في الوفد طوال تاريخه لا يجد مثل هذه المعارك وهذا العنف الذي صاحب انقسام عام ١٩٣٧ فقد كان لأحداثه ومعاركه صدى كبير ، ذلك لأن النقراشي - حينئذ - كان معدودا - وبحق - من أركان الوفد القديمة والقوية ، وكان مؤثوقا بنزاهته ، واستقامته ، فلا غرو ان التف حول جماعته كبيرة من أنصار الوفد وشبابه الا انه من ناحية أخرى ، كان هذا الالتفاف حول النقراشي وشعوره بأنه على حق ازاء تصرفات الوزارة التي كانت مثار الانتقاد مثل انشاء فرق القمصان الزرقاء ، والاستثناءات ، لعل هذا أشعر النقراشي وهما أنه سيكسب الجولة ضد النحاس ومكرم فبالغ في قوته ، ومما يفسر هذا الشعور ولا يبرره أنه أجاب عن سؤال ألقى عليه عقب تلك الأحداث عما يريد أن يفعله فقال سأسعى لانشاء حكومة عادلة اعتقد ان مصر ، بحاجة اليها .



وكننت مندهشا لانقسام الوفد على نفسه ، امام الخلاف الذي نشب بين النقراشي من ناحية وبين النحاس ومكرم من ناحية أخرى ، ولا سيما وقد توقع الوفد - وكان صادقا في توقعه هذا - ان غضب أحمد ماهر رئيس مجلس النواب لغضب صديقه وزميل كفاحه ورفيق المشقة في ١٩٢٥ النقراشي أن يقف الى جانبه يسانده ويدافع عنه ، وقامت أم المصريين صفية زغلول بالوساطة فجمعت الزعماء الأربعة: النحاس، ومكرم، وماهر، والنقراشي، وناشدتهم الاتفاق حرصا على وحدة الوفد الا أنها فشلت في رأب الصدع ، الذي أصاب بنيان الوفد . ذلك لأن الأيدي الخفية كانت تعمل فقد قامت لجان الوفد ، بعدة حملات شديدة شنتها على النقراشي بعد هذا الاجتماع بقصد تحطيمه و . و . وكان النقراشي - باعتراف جميع المصادر - عنيدا صلب الرأي ، لا يركن الى المهادنة فأصدر بيانا في ٧ سبتمبر ١٩٣٧ رد فيه على ما سماه الحملة الكاذبة وطالب في هذا البيان بحل القمصان الزرقاء واحترام الشورى ، ودعا في نهاية البيان حكومة الوفد الى المساواة بين المصريين واحترام حرياتهم ، وخطا خطوة أخرى فامتنع عن حضور اجتماع الوفد الذي حضره كل الأعضاء في الاسكندرية .



وفي ١٢ سبتمبر ١٩٣٧ اجتمع الوفد وناقش موقف النقراشي ، ثم أذاع بياناً بأعذاره منفصلاً عن الوفد وكان هذا القرار بإجماع رئيس وأعضاء الوفد ما عدا د. ماهر الذي أعلن أنه لا يزال يعتبر النقراشي عضواً في الوفد كما امتنع عن ابداء الرأي العضو ، إبراهيم سيد أحمد .

ويقول د. حشيش أننا لا نستطيع أن نعتبر خروج ماهر والنقراشي كان انسلاخاً أو تظهيراً لقيادة الوفد فلفظ انسلاخ يطلق على الأفراد الذين خرجوا ، أو أخرجوا من الوفد ، بمفردهم ثم ذابوا ، ولم يتركوا أثراً مثل جماعة صدقي ، وأبو النصر ومجموعة البيلى لكن ماهر ، والنقراشي ومحمود غالب لم يذوبوا ولم يكن من الممكن أن يذوبوا فتاريخ ماهر والنقراشي الممتد من أحداث ثورة ١٩١٩ ، ولا سيما دور أحمد ماهر مع عمه عبد الرحمن فهمي في اللجنة المركزية ، والقد ، القبض عليهما وتقديمهما لمحكمة الجنايات بتهمة الاغتيالات السياسية في يونيو ١٩٢٥ واقتراب حبل المشنقة منهما ثم اشتراكهما في وفد المفاوضات الخاص بمعاهدة ١٩٣٦ وتوليتهما : النقراشي وزارة المواصلات وأحمد ماهر رئاسة مجلس النواب . ورأى ماهر في المعاهدة ، باعتبارها ليست الا خطوة في سبيل الاستقلال ، وكان رأياً جريئاً ، وفريداً ورفيعاً ارتفع من بين رجال الوفد الذين نظروا الى المعاهدة على انها معاهدة الشرف والاستقلال ، بالإضافة الى ظروف خروج ماهر . والنقراشي في عام ١٩٣٧ يجعلنا نرجح تسميته انشفاقاً بمعناه ومفهومه اللغوي والمادى يختلف عن الانقسامات الأخرى التي وقعت في الوفد قبل ١٩٣٦ هذا بالإضافة الى أن الانشقاق الذي حدث بخروج ماهر والنقراشي من الوفد قد تولد عنه انشاء هيئة لها أنصهارها في الأقاليم وفي الريف .



ان خروج النقراشي ثم ماهر من الوفد ، كان انشفاقاً بمعناه اللغوي والمادى ، بمعنى خروج جزء من قاعدته سواء بدافع القربى ، والصلات العائلية بين المنشقين وذويهم كما حدث لعائلة غالب مثلاً أو بدافع الاقتناع بأن موقف المنشقين كان سليماً بينما كان موقف النحاس ومكرم - في تصورهم - تطرفاً ، وتحزباً لا داعي لهما .

ويقول الأستاذ محمد التابعي : ان الوفد - أو النحاس ومكرم - رأى بعد اخراج النقراشي من الوزارة استرضائه فهو - أى النقراشي - معدود يومئذ من كبار أقطاب الوفد وله نفوذه وأنصاره وخصوص بين شباب الوفد ، وأعضاء الهيئة الوفدية رأوا أن يسترضوه فعرضوا عليه منصب مندوب الحكومة المصرية لدى شركة قناة السويس ، وكان المنصب شاغراً يومئذ ، ولمن يشغل هذه الوظيفة أو هذا المنصب مكافأة سنوية قدرها خمسة آلاف جنيه ، ويقول

الأستاذ التابعى ، أن النقراشى قد قبل المنصب ولكن جريدة البلاغ ، قالت فى مقال لها انها لا تصدق خبر قبول النقراشى لهذا المنصب لأنه مشهود له بالنزاهة والاعتزاز بالنفس ، وانه لا يمكن أبدا أن يساوم على مبادئه وعلى نزاهته ، فيتراجع عن خطوة خطاها الى أخرى وقد أعلن النقراشى أنه لم يقبل المنصب المعروض عليه . وانه ماض فى سياسته وفى معارضته مشروعات عثمان محرم وزير الأشغال .



وأفتح قوسا لأقول : « اننى على ثقة مطلقة من أن النقراشى ، - وقد لقي الرجل ربه - لم يقبل على الإطلاق منصب عضو مجلس إدارة شركة قناة السويس ، وقد سمعت منه شخصيا ذلك : « فما الذى كان يدعونى الى قبول المنصب ؟ هل هو المال ؟ اننى لم أفكر أبدا فى المال » ثم انه لا يعقل أبدا أن النقراشى ، الذى حارب الاحتلال الأجنبى لم يكن من المعقول أبدا ، أن يعمل فى خدمة شركة أجنبية تسير فى خط هذا الاحتلال وتعمل ، على تدعيمه ، بل انها لتعتبر نفسها قطعة فرنسية فى أرض مصرية » .

وأقبل القوس ، لأقول ، ان التابعى - رحمه الله ، قد ذكر فى كتابه « من أسرار الساسة والسياسة » ان الملك فاروق أقام حفلة فى حديقة قصر أنطونيادس ، ابتهاجا بخطبته للأنسة صافيناز ذو الفقار - الملكة فريدة فيما بعد - اشترك فيها النحاس ، وجميع الشيوخ والنواب ، والوزراء ، وكبار موظفى القصر ، وتخلف مكرم عبيد ، عن حضور الحفلة لوعكة أصابته وحضر الحفلة أيضا النقراشى باشا وما أن رآه الشيوخ والنواب والوفديون حتى أحاط به عدد كبير منهم يرحبون به ويرجونه أن يسوى الخلافات التى بينه وبين زملائه أعضاء الوفد ، وبينما هم كذلك ، أقبل مصطفى النحاس ورأى النقراشى فتقدم منه ومد اليه يده ، وتصافح الرجلان ، وصفق الحاضرون ، وهتف الأستاذ حسن يس بحياة النحاس وردد الحاضرون الهتاف ثم هتف بحياة النقراشى وردد الحاضرون الهتاف وهنا تعانق النحاس والنقراشى ودوى التصفيق الحاد ، وعلا ، الهتاف وتفاءل الحاضرون خيرا واستبشروا بعودة المياه الى مجاريها بين النقراشى ، ومصطفى النحاس ، ويذكر الأستاذ التابعى ، انه ذهب - بعد الحفلة - ليعود مكرم عبيد فى داره فروى له ما حدث بين النقراشى والنحاس وكيف ان مكرم باشا ، بعد أن استمع منه الى القصة بحذافيرها تحدث الى النحاس باشا قائلا : مبروك يا باشا ؟ ثم قال فيما بعد وكأنما كان النحاس يسأل : مبروك على ايه فقال مكرم : مبروك الصلح مع النقراشى ، وفهم التابعى ، ان مكرم عبيد فهم من النحاس انه لا صلح مع النقراشى وان مكرم قال للتابعى بعد ذلك : أنا كمان استغربت الخبر وقلت مش معقول ، وكان مكرم عبيد - كما يقول محمد التابعى - يؤمن الايمان كله فى ذلك الوقت بان كل عضو يختلف مع رئيس

الوفد مصطفى النحاس يجب أن يبتز ، من جسم الوفد ، بلا تردد أو رحمة :
كان هذا هو مبدأ مكرم عبيد في عام ١٩٣٧ ، وهو نفس المبدأ الذي طبقه
النحاس باشا على مكرم عبيد باننا في عام ١٩٤٢ .



ويقول الأستاذ التابعي ، ان مكرم عبيد قد ذكر له أن غضب أم المصريين
على الوفد ورئيسه لم يكن بسبب اخراج النقراشي باشا ، من الوفد وان كانت
الفرصة الملائمة ، للاعلان عن ذلك الغضب ، وان مكرم عبيد قد قال : لقد
أدخلوا في روعها أنها جان دارك في مصر ، وقالوا لها - أقاربها ، وأنسابها - أن
الوفد أخطأ يوم سافر أعضاؤه لتوقيع معاهدة ١٩٣٦ ولم يصحبوها معهم بصفتها
أرملة سعد زغلول ! وان الوفد ، لم يعد يستشيرها كما كان في الماضي ، بل
يعتبرها كما مهملًا وكسب النحاس ومكرم خصما جديدا قويا في شخص زوج
سعد ، وأم المصريين وكانت صفية هانم زغلول ملكة ، مصر ، وكانت نازلي تحترم
أم المصريين ، احتراماً شديداً ولا عجب فقد كانت الأنسة نازلي صبرى تقبل يد
صفية هانم زغلول قبل أن تصبح سلطنة مصر ، وزوج السلطان فؤاد .

وهكذا - يقول التابعي - لم يكن قد مضى على عودة فاروق من رحلته الى
أوروبا وممارسته لسلطاته وحقوقه الدستورية شهران اثنان حتى كانت حكومة
الأغلبية الوفدية تواجهه جبهة قوية معارضة مكونة من رأس الدولة ، فاروق
وجميع كبار موظفي القصر ، على ماهر : وأذنا به في القصر ، أحزاب الأقلية وفوق
هذا وذلك خلاف في صفوف الوفد يوشك أن ينتهي بخروج النقراشي وماهر
من الوفد مع عدد من الشيوخ والنواب ، كل هذه العوامل مجتمعة أضعفت هيبة
الوفد في نفس فاروق ومن ثم أقدم على ما كان متردداً في الاقدام عليه خوفاً من
قوة الوفد ، وشوكنه وتحدى حكومة الوفد ، وأصدر أمره الكريم بتعيين على
ماهر ، رئيساً للديوان في شهر أكتوبر ١٩٣٧ وكان هذا التعيين ايذاناً بسياسة
التحدي التي سار عليها فاروق ورجاله ، سياسة التحدي ، للوفد ، ورئيس
الوفد ، وحكومة الوفد ، وأغليتها الماحقة في مجلسي البرلمان وايذاناً بسياسة
الاستهانة والاستهتار بسلطة البرلمان ، وحقوق الشيوخ والنواب ممثلي الأمة
أو بعبارة أخرى سياسة استهانة القصر واستخفافه بالحكم النيابي وحقوق ،
وحرريات الشعب » .



وتتساءل بعد كل الذي قلناه : من يكون محمود فهمي النقراشي الذي كان
اخرجه من الوفد ، ومن الوزارة نقطة تحول خطيرة في مسار الوفد كحزب

له الأغلبية الشعبية ، والأغلبية البرلمانية : يعتبر محمود فهمى النقراشى بلا جدال من أنظف وأطهر الشخصيات السياسية التى عرفها التاريخ المصرى كما أنه بلا جدال ، من أصلب وأقوى القيادات الحزبية فى نصف القرن الماضى .



وقد يختلف المرء ، مع محمود فهمى النقراشى فى آرائه ، واتجاهاته ، السياسية ، والحزبية ولكن لا أحد يستطيع الا أن يحترم هذه الآراء . والاتجاهات السياسية ، والحزبية ، ويحترم أولا ، وقبل كل شئ ، الرجل الذى يؤمن بها . . كان محمود فهمى النقراشى من خيرة المصريين الذين رفعوا راية الكفاح الوطنى فى ثورة ١٩١٩ وكان فى مقدمة من اشتركوا فى العمل السرى تحت الأرض فى الاسكندرية وفى القاهرة بعد الاسكندرية !



ومحمود فهمى النقراشى ، كما روى ذات مرة ، وكان مقلا للغاية فى احاديثه الصحفية ، وغير الصحفية من مواليد الاسكندرية فى ٢٦ ابريل ١٨٨٨ وقد حصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة جمعية العروة الوثقى ، وكان ترتيبه الأول فى لجنة الاسكندرية كما كان أول الناجحين فى شهادة البكالوريا فى مدرسة رأس التين الثانوية ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا وبعد اليسانس أرسل فى بعثة تعليمية الى جامعة توتنجهام بانجلترا . وبعد عودته اثر حصوله على دبلوم تلك الجامعة عمل مدرسا فى مدرسة رأس التين الثانوية ثم العباسية الثانوية ، ثم ناظرا للمدرسة الراقية فى الهيئات .



وكان النقراشى قد تعرف الى سعد زغلول عندما كان ناظرا للمعارف . ولذلك ، عندما بدأت ثورة ١٩١٩ وألقى اللورد كيرزون فى مجلس اللوردات خطابا باسم الحكومة البريطانية وصف ثورة ١٩١٩ بأنها قامت « للسلب والنهب » ، و . . و . وأثنى على الموظفين المصريين ورجال البوليس والجيش المصرى لانهم لم يشتركوا فى الثورة ، وصور اللورد كيرزون موظفى الحكومة المصرية بأنهم ينحازون الى الاحتلال والمحتلين وكان أن تألفت لجنة من مندوبى الوزارات والمصالح وكان النقراشى هو مندوب وزارة المعارف ، وكتبت للجنة عن رضىة احتجاج الى السلطان ، والى المندوب السامى البريطانى والى سائر معتمدى الدول الأجنبية فى مصر ، وأعلن مندوبو الموظفين اضرابا عاما فى جميع

الوزارات والمصالح لمدة ثلاثة أيام في البداية ٠٠ حتى يطلق سراح المعتقلين وعلى رأسهم سعد زغلول باشا ٠



وتعتقل السلطات البريطانية في مصر محمود فهمى النقراشى ٠ وعلى عمر بك ، وحسين بك فتوح وأحمد بك فريد ، وفؤاد بك شيرين وغيرهم ، وغيرهم وتم نفي المعتقلين في بلدة رفح ، حيث مكثوا بها ١٥ يوما حيث أفرج عنهم ، وإن لم تسمح الحكومة ، بإعادتهم الى وظائفهم الى ان تألفت وزارة محمد سعيد باشا « الثانية » فأمرت بإعادة محمود النقراشى ناظرا لمدرسة السويس ، وبعدها نقل الى وزارة الزراعة للعمل بقسم الادارة والاحصاء و ٠٠ و ٠

وعندما اعتقل الفريق الثانى من الوفد المصرى : حمد الباسل باشا ومقرس حنا باشا ٠ وواصف غالى باشا ومراد الشريعى بك ومحمد علوى الجزار بك ٠ وجورج خياط بك ، وويصا واصف بك اجتمع محمود فهمى النقراشى بزملائه في الجهاد حيث ألفوا الفريق الثالث الذى حل محل الفريق ، الأول ، والثانى ، وكان من بين هذا الفريق الثالث ، الشيخ مصطفى القاياتى ، ومحمد نجيب الفرايلى والدكتور نجيب اسكندر وفخرى عبد النور ، وعبد الستار الباسل ، ومحمود فهمى النقراشى وبمجرد الحكم على الفريق الثانى ، تم القبض على الفريق الثالث وأودع أفرادهم ثكنات قصر النيل ، لمدة ثلاثة أشهر الى أن أفرج عنهم حيث عين النقراشى مفتشا بالتعليم العام ، ثم مساعدا للسكرتير العام ، لوزارة المعارف الى أن اختاره سعد زغلول في يونيو ١٩٢٤ وكيلا لمحافظة مصر ٠



وبعد أربعة أشهر اختاره وكيلا لوزارة الداخلية وفي الحفل الذى أقيم لتكريم النقراشى خطب سعد زغلول خطبة قال فيها : اننى ما أحببت محمود فهمى النقراشى ، واخترتة الا لثقتى بكفاءته ولما أعهد فيه من الوطنية والحكمة في تصريف الأمور ٠

ولما استقالت وزارة سعد أحالت وزارة زيور محمود فهمى النقراشى الى المعاش ثم اعتقلته ٠



وظل معتقلا ثلاثة أشهر الى أن ظهرت براءته فأفرج عنه ، وبعد ثلاثة أشهر من الافراج عنه اعتقل هو وأحمد ماهر ، حيث بقيا معتقلين عاما وخمسة

أيام وبعد محاكمة مثيرة ، قضى ببراءتهما وكان سعد زغلول يولى قضية ماهر ،
والنقراشى أهمية بالغة وكان يشترك مع المحامين المترافعين عنهما كواحد منهم
فى منزله - بيت الأمة - وان لم يقف أمام القضاء .

وكانت حكومة سعد باشا ، قد استقالت أو أقيمت بمعنى أدق ، عقب
اغتيال السير لى ستاك باشا - الحاكم العام للسودان ، وسردار الجيش المصرى :
فى ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ - وخلفتها وزارة زيور باشا حيث تم فى عهدها محاكمة
المتهمين بمقتل السير لى ستاك باشا وقد قضى فى ٧ يونيو ١٩٢٥ على عبد الفتاح
عنايت وعبد الحميد عنايت وإبراهيم موسى ، ومحمود راشد ، وعلى إبراهيم
محمد ، وراغب حسن النجار ، وشفيق منصور وقضى عليهم جميعا بالاعدام
واستبدل بحكم الاعدام الأشغال الشاقة المؤبدة بالنسبة لعبد الفتاح عنايت ،
كما قضى بحبس محمد صالح سنتين ، وكانت محكمة الجنايات ، التى نظرت
القضية برئاسة أحمد عرفان باشا ، وعضوية المستر كرشو ، ومحمد مظهر بك .

وقد حاولت حكومة زيور باشا إيجاد صلة بين قضية الاغتيالات السياسية .
وحوادث القتل السياسى التى وقعت على البريطانيين من قبل وكان من المعتقلين
فى قضية الاغتيالات السياسية : أحمد ماهر ، محمود فهمى النقراشى ، حسن
كامل الشيشينى ، وعبد الحلیم البيل ، محمد أفندى فهمى ، على محمود عثمان
مصطفى ، والحاج أحمد جاد الله ، وكانت هيئة المحكمة مؤلفة من المستر كرشو
رئيسا وكامل إبراهيم بك وعزت بك عضوين وكان فى مقدمة المترافعين من
المحامين عن هؤلاء المتهمين : زهير صبرى عن على محمد على وإبراهيم رياض عن
أحمد جاد الله ومصطفى النحاس ، مرقص حنا ومكرم عبيد ، ونجيب الوائلى
وسلامة ميخائيل ومحمد يوسف عن الدكتور أحمد ماهر والنقراشى ، وعبد الله
حسين عن محمود عثمان مصطفى ، وأحمد لطفى ومصطفى الشوربجى عن الأستاذ
حسن كامل الشيشينى ووهيب بك دوس عن عبد الحلیم البيل .



وفى ٢٥ مايو ١٩٢٦ صدر الحكم بالاعدام شنقا على محمد على فهمى على
وبراءة جميع المتهمين .

ولم يكن القاضى كرشو ، موافقا على براءة ماهر والنقراشى والحاج أحمد
جاد الله ، ومحمود عثمان مصطفى فقدم استقالته من منصبه بعد الحكم ، وبنائها ،
على اعتراضه على براءة ماهر والنقراشى وجاد الله .

وكان سجن ماهر والنقراشى فى المرة الأخيرة شاقا ، وعنيفا الى درجة أن
النقراشى كان ذات مرة ينشد بعض الأشعار انشادا عاليا عند مرور أحمد ماهر

أمام غرفته ، فظن رجال السجن ان لهذا الانشاد معنى آخر ، فحققوا معه ، لمعرفة سبب انشاده الأشعار وبنفوا في تعذيبه . ولما كان الكلام محرما في السجن ، وكذلك كانت الكتابة فقد أنفق النقراشى وقته في مطالعة « صبح الأعشى » كله ، والأجزاء الأربعة ، التى قد صدرت من كتاب « نهاية الارب » وراجع كثيرا من الكتب العلمية التى لم يكن قد اطلع عليها الا مرة واحدة ودرس كذلك كتابات سبنسر في فلسفة التربية .



وعن قضية الاغتيالات السياسية ، التى اتهم فيها ماهر والنقراشى ، كتب صبرى- أبو علم في الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية يقول : نزل الستار على قاعة محكمة الجنايات عقب محاكمة المتهمين بمقتل السردار ثم رفع بعد عام لتشهد هذه القاعة محاكمة أكبر منها خطرا وأجل شأنا تلك هى قضية الاغتيالات السياسية وهى القضية التى تمخضت عنها التحقيقات فى قضية مقتل السردار ، وكان شفيق منصور ، صلة الوصل بين القضيتين وكانت اعترافاته ، وتقاريره حجر الزاوية فى التحقيقات الجديدة ، وعلى أساس هذه الاعترافات اتهمت النيابة العمومية ، الدكتور أحمد ماهر وزير المعارف فى وزارة سعد زغلول باشا ، والإستاذ محمود فهمى النقراشى وكيل الداخلية بها ، والأستاذ حسن كامل الشيشينى المدرس بمدرسة التجارة العليا ، والأستاذ عبد الحليم الببلى ، سكرتير المفوضية المصرية بأنقرة وبعض العمال بارتكاب حوادث اغتيال الرعايا الانجليز وبعض المصريين .



واستأثرت القضية باهتمام الجمهور والسياسة فى مصر ، وبريطانيا لما لبعض المتهمين من مركز خطير ، ولخطورة الملبسات التى أحاطت بالقضية والنتائج السياسية التى تترتب على الفصل فيها ورئى ألا تنظر القضية أمام الدائرة التى فصلت فى قضية مقتل السردار ولم يخل تشكيل الدائرة الجديدة من صعوبات استدعت عقد الجمعية العمومية لمستشارى محكمة الاستئناف وأخيرا شكلت المحكمة من جناب المستر كرشو ، رئيسا ، وكامل بك ابراهيم وعلى بك عزت مستشارين وجلس فى كرسى النيابة حضرة مصطفى بك خنفي وتولى الدفاع ، فى القضية طائفة من كبار المحامين .

وأصبحت قاعة محكمة الجنايات وأصبح قفص الاتهام فيها ملتقى أنظار الراى العام المصرى والبريطانى .

ولم يكن فى فضاء القاعة ما يتسع لكل من يرغبون فى شهود المحاكمة فحدد عدد من يسمح لهم بدخول القاعة وأقيمت الحواجز ، والموانع حولها وأسبح ما يدور فيها ويجرى فى ساحتها يدون فى الصحف . ويطير الى الخارج .

وقد كانت جهود المحامين في هذه القضية شاقة فقد بلغت صحف التحقيق بها نيفا وثلاثة آلاف عدا الملحقات وتوفر المحامون على دراستها واستيعابها ، قبل بدء المحاكمة .

وكان استجواب الشهود آية من آيات الفن القضائي ، ثم جاء دور الدفاع وترافع ، المحامون فكانت مرافعاتهم صورة حية للبيان الساحر ، والمنطق السليم، كانت مرافعاتهم من وحي قلوبهم وعقائدهم ، وكان الكثيرون منهم تربطهم بالمتهمين روابط أعظم توثقا من الصداقة ودافع المتهمون عن سمو الحركة الوطنية وتجربتها من النوايا الاجرامية فكانوا في دفاعهم ملهمين موفقين .

وفي الوقت الذي كانت ألسنتهم تفيض بالسحر حلالا ، تنزل فوق منصة القضاء : كانت عيونهم وقلوبهم مشدودة الى القفص حيث وقف رجال كرام عليهم ، وأعضاء على مصر فكانت نبراتهم أبلغ من عباراتهم وأشد تأثيرا .

وتوفي المرحوم أحمد بك لطفى بعد صدور الحكم بقليل فكانت قضية الاغتيالات السياسية آخر قضية كبرى ترافع فيها ، وكانت آخر عهده بهذه القاعة .



وكان يجرى في نفس الوقت خارج القاعة صراع انتخابي بين الوفد ، ومن ائتلف معه من الأحزاب وبين حزب الاتحاد .

وكان الواقفون على ما يجرى خلف ستار الحوادث السياسية يدركون مقدار ما بين الحكم الذي يخرج من داخل هذه القاعة والحكم الذي يخرج من صناديق الانتخاب من صلة وتلازم ، وشاءت الأقدار أن يصدر حكم القضاة ، وحكم الناخبين في وقت واحد : أصدر القضاة حكمهم بعد دفاع دام شهرا ببراءة خمسة من المتهمين هم : الدكتور أحمد ماهر ، والأستاذ محمود فهمي النقراشي ، والأستاذ حسن كامل الشيشيني ، والأستاذ عبد الحليم البيلى ، والحاج أحمد جاد الله ، وصدر حكم الناخبين لصالح الائتلاف ومرشحيه .

واهتزت البلاد طربا لهذه النتائج كلها وشرع الساسة يتبادلون الرأي في استثمار هذه النتائج ، وأخيرا تعكر الجو ، حين خرج جناب المستر كرشو على تقاليد القضاء فكتب الى وزير الحقانية يعلن أنه كان معارضا في براءة الدكتور أحمد ماهر ، والحاج أحمد جاد الله وقال انه اعتبر من واجبه الخروج على مبدأ المحافظة على سر المداولة فتوجه بعد اصدار الحكم الى دار المندوب السامي ، واطلع فخامته على رأيه باعتباره حاميا للأجانب !! وعقب وصول هذا الخطاب

سنوات ما قبل الثورة ج٢ - ١٩٣

استقالت الوزارة وشكلت بعد ذلك وزارة حضرة صاحب الدولة عدلى يكن باشا فتولى المرحوم أحمد زكى أبو السعود باشا ، وزير الحقانية فيها الرد على الخطاب واستقال جناب المستر كرشو ، !!

وقد ظلت دار المندوب السامى تعترض باستمرار على اشتراك أحمد ماهر والنقراشى فى أية وزارة وفدية ، وتقيم الدنيا ولا تقعدها لأن ماهر والنقراشى فى رأيها ، ليسا سياسيين ، بل هما ارهابيان كبيران !! وقد سبق لنا أن أشرنا الى ثورة رأى العام البريطانى عندما أصر مصطفى النحاس على اشراك محمود فهمى النقراشى ، وأحمد ماهر فى الوفد المصرى ، للمفاوضات !!



وعن الوزارة النحاسية ، الرابعة يقول عبد الرحمن الرافعى طيب الله ثراه .
استحدثت الوزارة أسلوبا جديدا من الارهاب ساعدها على تدعيم أركان الدكتاتورية البرلمانية وذلك باصطناعها فرقا سميت « فرق القمصان الزرقاء » التى كانت فى الأصل تشكيلات منظمة ترمى الى النهوض بالروح الرياضية ثم اصطبغت فى عهد هذه الوزارة بالصبغة السياسية الحزبية : وتحولت عن مقصدها السليم لأن التشكيلات الرياضية يجب ، أن تكون بعيدة عن الاصطباغ بصبغة حزبية وأن تبقى دعامة من دعائم الروح ، التى تدعو الى الود والاخاء بين الرياضيين لا الى اثاره الخلاف بينهم .

خرجت هذه الفرق - هكذا يقول عبد الرحمن الرافعى - فى عهد وزارة الوفد عن المغنى الرياضى وصارت أداة شياضية لارهاب خصوم الوفد السياسيين وأخذت تتسلح بالعضى والخناجر ، وتعتدى على اجتماعات المعارضين وفضت بعضها بالقوة ، واعتدت ، أيضا على أشخاص المعارضين وعلى الصحف المعارضة استفحل شأنها بضم أشياء من أحط الطبقات اليها ، فصارت وسيلة لاهدار حرية الرأى والفكر ، وافساد أداة الحكم ، وكان أفرادها يقتحمون الدواوين ويميلون ارادتهم على الرؤساء والموظفين الى جانب هذا الارهاب المستمر من القمصان الزرقاء تصدت الوزارة للصحف المعارضة وأرهقتها بالتحقيقات والمصادرة واعتقلت النيابة بعض الصحفيين بدعوى اتهامهم فى جنح صحفية فكان هذا وذاك مظهرا من مظاهر الضغط والاضطهاد .

ويؤخذ أيضا على وزارة النحاس الرابعة - كما يقول عبد الرحمن الرافعى - انها لم تكن العناية الواجبة بالنهوض بالجيش ولم تعمل عملا ، جديا فى انشاء مصانع للأسلحة والذخائر ، وتسليح الجيش وانشاء الأسطول وتعزيز قوة الدفاع الوطنى مع أن الفرصة ، كانت مواتية لها ، وكل ما عملته فى صدد انشاء

مصنع للذخيرة والأسلحة ، انها قررت تأليف لجنة فنية لدراسة هذا المشروع ولكن اللجنة لم تؤلف وقررت في سبتمبر ١٩٣٧ استدعاء خبير عسكري من إنجلترا للاستعانة به على وضع الشروط والمواصفات الخاصة بإنشاء هذا المصنع ولم تنفذ قرارها وأرجىء تنفيذ المشروع ، أى أنها لم تعمل شيئاً لإنشاء مصانع الذخيرة والأسلحة ومن المأخذ عليها أنها قررت إعادة العمل بالمرسوم بقانون رقم ٢٢ لسنة ١٩٢٩ الصادر في غيبة البرلمان ، والخاص بحفظ النظام بمعاهد التعليم بعد أن كان الوفد يرى أن هذا المرسوم مخالف للدستور وقد عدّه البرلمان الوفدي سنة ١٩٣٠ باطلاً بطلانا أصلياً ولكن وزارة النحاس بعد أن رأت التذمر من سياستها قد استفاض حتى سرى الى صفوف طلبة الجامعة ، قررت إعادة العمل بهذا المرسوم ..



ويأبى عبد الرحمن الرافعي الا أن يوجه النقد - في نفس الوقت الذي انتقد فيه الوزارة النحاسية الرابعة - الى خصوم الوزارة الوفدية الذين استعجلوا الأمر وأرادوا أن يعالجوا مساوئ الوزارة النحاسية بالاستعانة بالسراى « وأقصد موظفى السراى » وهذا العلاج لا تؤمن مغبته لانه يزيد فى سلطة رجال السراى ، ويجعل زمام الحكم فى أيديهم وليس من السهل بعد اللجوء ، اليهم أن يسير النظام الديمقراطى وتنمو تربية الشعب السياسية ولكن هكذا شاء حظ مصر ، العائر الا تستقر أوضاع الحكم على أساس صالح مستقيم وينتهز رجال السراى فرصة استعداد المعارضة للوزارة الوفدية وانتقال تلك المعارضة الى صفوف الشباب ، وخاصة طلبة جامعة فؤاد ، وقد رأى أحمد لطفى السيد بعد أن اشتدت اضطرابات الطلبة تعطيل الدراسة فى كليات الجامعة أسبوعاً يبدأ من ٢٥ أكتوبر ١٩٣٧ وأصدرت الجامعة قراراً بذلك ولكن الوزارة رفضت الموافقة على هذا القرار فاستقال لطفى السيد من منصبه وكان رجال السراى قد عمدوا ، الى وضع العراقيل أمام الوزارة النحاسية ، وخاصة فى موضوع تعيين أحد أعضاء مجلس الشيوخ : كانت الوزارة الوفدية قد رأت ترشيح فخرى عبد النور بك ، لعضوية مجلس الشيوخ ولكن السراى اعترضت ورشحت بدلاً منه عبد العزيز فهمى باشا وأخذ رجال السراى يثيرون موضوع القمصان الزرقاء ، ويطلبون باسم الملك حل حركة القمصان الزرقاء ، بل ان الملك فاروق نفسه تحدث فى هذا الموضوع مع مصطفى النحاس ، والغريب : أن دار المنسذوب السناي ، البريطانى ، التى تحولت فيما بعد الى دار السفير البريطانى كانت تقوم بدور الوساطة بين الوفد والسراى بل كانت فى بعض الأحيان تقف الى جانب الوفد ، دون السراى !! وكانت تدعو الى الابقاء على الوزارة الوفدية بوصفها وزارة الأغلبية البرلمانية !!



وكان من رأى د. محمد حسين هيكل ان الوزارة الوفدية قد أخطأت عندما شددت من حملة الارهاب التي واجهت بها خصومها : كانت المظاهرات تؤازر القمصان الزرقاء فى هذه الحملة : ولقد نما اليها ذات مساء من شهر ديسمبر ١٩٣٧ أن د. محمد محمود باشا ، سيتعرض لهذا الارهاب كما يتعرض غيره وذهبنا اليه فى منزله فكنت أنا والأستاذ كامل البندارى المحامى ، وعبد الجليل بك أبو سمرة ، ورشوان محفوظ باشا ، وآخرون . ولم يطل بنا المقام حتى سمعنا ان مظاهرة كبرى تقترب من ميدان الفلكى وانها ربما سارت فى شارع الفلكى ، الى منزل محمد باشا محمود وانها قد تقتحم المنزل ، وعرفنا ان محمد محمود باشا ، قد اتخذ عدته لمثل هذا الاحتمال فاستعد للدفاع عن نفسه وعن داره ، وسرنا ما عرفنا من ذلك ، وأن وددنا ألا يبلغ الأمر مبلغ الاشتباك المسلح وتأتى المظاهرة ، وتقترب من بيت محمد محمود ويأمر محمد محمود رجاله باغلاق بوابة بيته اغلاقا محكما .



الى أن يقول د. هيكل : بلغت المظاهرة المنزل فوجدت بابه محكم الاغلاق فحاولت اقتحامه وسمعنا أعيرة نارية تدوى ، وأراد الباشا ، أن يطمئننا فقال : لا تنزعجوا فإن حرس الدار قد يرون ، على صدهم ، ثم أنه أراد الخروج بنفسه فمنعه الحاضرون مخافة أن تصيبه رصاصة طائشة ، فقد كثرت الطلقات النارية كثرة جعلتنا نشعر ، وكأننا فى معركة حربية حامية الوطيس وأسرع أحد الحاضرين الى التليفون مرة أخرى يتحدث الى حكماء ارية البوليس وصور لها ما هو حادث لكن الطلقات النارية ظلت تدوى زمنا قبل أن يحضر البوليس ولعله كان ينتظر أن يخطر بأن المتظاهرين اقتحموا الدار ثم يتحرك لضبط الواقعة على جدد تعبيرهم فلما عرف أن الدار انقلبت حصنا منيعا وان محاولات المتظاهرين لاقتحامها ذهبت سدى ، وان هؤلاء ، المتظاهرون ، معرضون للنيران تحصدتهم . أسرع بالمجيء فلما رأى المتظاهرون البوليس تفرقوا بعد ان كانوا يحاولون تسليق الدار من خلفها لولا أن صدتهم النواخذ المحكمة الاغلاق ، فلم ينالوا مآربهم .

وعن تحقيق النيابة قال د. هيكل : حققت النيابة ما حدث ولم يمنعها مقام محمد محمود باشا من أن تقتش منزله ، فلم تجد به غير مسدسه هو ، وكان التحقيق متجها كله ، الى معرفة الوسيلة ، التي قاوم بها محمد باشا ورجاله المظاهرة غير أن التحقيق لم ينته الى نتيجة ثم حفظ .



كان لهذا الموقف الذى وقفه محمد محمود باشا من المظاهرة ، المتمتعة بحماية الحكومة أثره فى تفكير اولى الأمر ، من يريدون التخلص من النحاس باشا

وزارته ويخشون أن يجر ذلك الى اضطراب العاصمة واراقة الدماء فيها فقد استطاع هذا الزعيم بمفرده أن يقاوم سلطان النحاس باشا وحكومته ، وقد كفى ظهور البوليس ليولى المتظاهرون الادبار عند ذلك اطمأنت النفوس الى أن سلطان الحكومة فى حماية المظاهرات هو الذى يجعل لهذه المظاهرات من الخطر ، ما تخشى عواقبه فلو انها لم تجد من الحكومة الحماية والرعاية لما استطاعت شيئا ، بل لما أقبل أحد على التظاهر وان أجزل له الأجر .

وعندما ذهب د . هيكل : الى لطفى السيد قبل أن يستقيل من الجامعة للتحديث معه فى أمر اقامة حفل تأبين للمرحوم محمود باشا عبدالرازق ولاستئذان لطفى السيد ، فى أن يكون من بين خطباء ذلك الحفل . كان طلبة الجامعة مضربين فتجمعوا حوله ، فلم يقل لهم ، أكثر من أن المعارضة أدت واجبها وعلى كل مصرى ، أن يؤدى واجبه ، ثارت صحف الوفد ، وطالبت بالتحقيق مع د . هيكل ويقول د . هيكل : ان مظاهرات الجامعة ، كانت من الشواهد القوية ، على انصراف الشباب المتعلم ، من تأييد الوزارة وعلى أن الوزارة تلجأ الى سياسة الارهاب ، بالمظاهرات وبالقمصان الزرقاء تستر بها خوفها وانزعاجها وينبغى لها أن تتوارى من خوفها بتخويف خصومها ، لتظل ماضية فى سياستها الحزبية المتطرفة ، على أن هذا الارهاب ، لم يزعج ، المعارضة ، بل ظل اقتناعها راسخا بأن أيام الوزارة فى الحكم معدودة ، وكان هذا الاعتقاد يزداد كلما ازدادت صلات محمد محمود باشا بالقصر توثقا ، وكان كثيرون يتحدثون عن هذه الصلات ويرتبون عليها النتائج ، التى يطمئن اليها تفكيرهم .



ويقول د . يونان لبيب رزق : « أمام كل هذه المخاطر ، التى شعرت الوزارة الوفدية انها تحيط بها بدأت تتصرف وقد بنت هذا التصرف أساسا على السعى لتأييد شعبية الوزارة ، والبلوغ بإمكان استخدام هذه الشعبية أمام أى مؤامرات تبدو من جانب القصر وتم ذلك بطريقتين :

الطريقة الأولى : « فى تلك الجولات الواسعة التى أخذ يقوم بها النحاس باشا فى مختلف المديرىات ليلقى الخطب فى المحلة الكبرى وفى المنصورة وفى الإسكندرية وفى المنيا وهو لا يريد بذلك تأكيد شعبيته وحسب بل يريد أكثر من ذلك التحذير من أى محاولة للمساس به » .

الطريقة الثانية : تدعيم تنظيم القمصان الزرقاء ، الموالى للوفد لاستخدامه فى المواجهة المحتملة . وتم هذا التدعيم بأكثر من وسيلة : منها تركيز ولاء الجماعة فى شخص النحاس بوضع قسم جديد لها جاء فيه : « أقسم بالله أن أظل مجاهدا لوطنى تحت لواء زعيمى مصطفى النحاس لأخر رمق فى حياتى »

وفيها الاسراع بزيادة عدد أصحاب القمصان الزرقاء ويذكر أجند التقارير البريطانية أن مكرم عبيد قد حث زعيم هؤلاء ، على بذل كل جهد لرفع عددهم الى مائة ألف ومنها الحصول على المبالغ ، التي تمكن من استيعاب هذه الأعداد الجديدة في الجماعة وكان سبيل الزعامة الوفدية الى ذلك اتفاق جانب من المصروفات السرية لوزارة الداخلية في هذا الوجه ، هذا وقد رفض القصر توقيع قانون زيادة الاعتماد الخاص بالمصروفات حتى لا يتخذ الوفد من القمصان الزرقاء التي ينفق عليها المصروفات السرية أداة للضغط عليه .

وتنشر إحدى الصحف البريطانية « الأوبزرفر » أن مصطفى النحاس بعد أن زار روما وبرلين راودته الآمال في أن يصبح دكتاتورا ، كما أنه قد بدأ يغار من شعبية الملك .

وكان على ماهر ، قد عين في ٢٠ أكتوبر ١٩٣٧ رئيسا للديوان الملكي بدون أخذ رأي الحكومة ، كما تحتم بذلك التقاليد الدستورية وتقول صحف المعارضة أن الوفد حاول اشراك السفارة ، البريطانية في هذا الموضوع حتى تقف الى جانبه غير ان السفارة ، أكدت ان هذا الموضوع من اختصاص الملك وحده !



وقد بعث محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين الى السفارة البريطانية خطابا يحتج على التداخل في أمر من أمور مصر الداخلية كما أن بعض الصحف الوطنية راحت تحذر بريطانيا من مغبة التدخل في شئون مصر الداخلية .

وقيل ان الملك فاروق في أثناء لقاء له بمصطفى النحاس في ٢٦ أكتوبر ١٩٣٧ طلب من النحاس حل جماعة القمصان الزرقاء ، وسلمه بحثا قانونيا يؤكد أن وجود هذه الجماعة منافي للدستور .

وكان أيضا من بين أسباب الخلاف بين الوفد ، والقصر أن حكومة الوفد أعدت مرسوما بقانون يتم بمقتضاه تخفيض نسبة النجاح لطلاب الجامعة مستهدفة بذلك الحصول على شعبية بين الطلاب ولكن القصر رفض التوقيع على هذا المرسوم لانه لم يعرض على مجلس الجامعة ، قبل أن يعرض على الملك !

وفي ٢٠ ديسمبر ١٩٣٧ ، كما تقول الوثائق البريطانية : رسائل سير مايلز لامبسون الى مستر ايدن وزير الخارجية البريطانية . يبلغ السفير البريطاني رئيس ديوان الملك . والملك نفسه ان الملك قد يفقد ثقة الحكومة البريطانية وتأيدها اذا ما استمر في سياسته وإنه بذلك يعرض عرشه للخطر !!

ولا تجدى سياسة تخويف الملك من قبل الحكومة البريطانية .

ولا تجدى سياسة استعراض العضلات الشعبية التى سار عليها الوفد وخاصة المظاهرات الوفدية العنيفة التى كانت تسير فى شوارع القاهرة . بل وفى ميدان عابدين ذاته منادية « النحاس ، أو الثورة » .

يبدو أن الملك أو مستشاره الأول على ماهر كان واثقا من نفسه الى أبعد حدود الثقة ، وكان مطمئنا الى أن الوفد قد خسر ، الكثير ، وأنه لن يستطيع أبدا أن يكسب معركته ضد القصر بل أن الملك ، لم يعد يكتفى بالضغط سرا على حكومة الوفد ، وإنما راح يظهر فى المعركة بصورة علنية حتى أنه ليطل من شرفة عابدين على مظاهرات طلبية الأزهر ، المؤيدة له ، ليحييها ، وكأنما يريد منها أن تستمر ، وتكون المظاهرات بداية لأحداث كثيرة وخطيرة تقع فى مصر .

الفصل الخامس

الصراع بين القصر ، والوفد يصل الى الذروة

● انقسم شباب مصر في أواخر عام ١٩٢٧ على نفسه ، انقساماً خطيراً ، أدى الى حدوث نتائج مؤسفة للغاية : تحولت - مثلاً - شوارع القاهرة ، والاسكندرية وكثير من عواصم المديريات الى ساحات صراع دموى تتقاتل فيه فرق القمصان الزرقاء ، والقمصان الخضراء ، في كل جامعة ، وفي كل كلية ، بل في كثير من المدارس الثانوية، وحيث يوجد المشايخ للوفد، والمشايخ للسراي وكان الأزهر كله ضد الوفد ، ومع السراي ، وكان فاروق - الملك - قد أحس بقوته وبضعف حكومة الوفد ، فأثر أن يلعب ورقته ضد الحكومة القائمة بصورة سافرة وغير لائقة في نفس الوقت ، حتى أنه ليخرج الى الوف الطلبة الأزهريين المتظاهرين في ساحة عابدين من شرفة قصر عابدين ، محيياً ومشجعاً بل ومستزيداً من المظاهرات والاضطرابات ، وما كان للملك أبداً أن يخرج عن حياده بين الأحزاب ويقف ضد الحكومة ، المؤيدة من البرلمان مهما كانت الأخطاء ، التي وقعت فيها تلك الحكومة ، وكان الأحرى بمستشاري الملك وعلى رأسهم علي ماهر باشا ، وكان الأحرى بأحزاب المعارضة مهما اشتد بينها وبين حكومة الأغلبية الخلاف أن تقف ، الموقف الدستوري السليم ، فلا تدع للملك ومستشاريه أن يعصفوا بحكومة الأغلبية لانه اذا ساهموا هم في تمكين الملك ، ومستشاريه من العصف بحكومة الأغلبية ، أصبح من أسهل الأمور على الملك ، وعلى مستشاريه أن يعصفوا بالأحزاب الصغيرة وخاصة تلك التي لا تعتمد على تأييد شعبي ، فالملك عندما يعصف بحزب الأغلبية يصبح من السهل عليه أن يعصف بأحزاب المعارضة .



وقد كان فاروق وقتئذ طرى العود غير قادر على الدخول في صراع مع الوفد خاصة وحكومة بريطانيا تؤيد الوفد ، أو على الأقل لا تقف الى جانب السراي في أى خلاف أو اختلاف مع الوفد ، ولم يكن فاروق ، الذي لم يكن قد

تجاوز عامه الثامن عشر الا بشهور يقوى على معاداة الوفد أو على الأقل يفكر فى أن يخوض ضده معركة عنيفة ضارية ما لم يكن مستشاروه ، وما لم تكن قيادات أحزاب المعارضة قد رتبت الدخول فى معركة مع الوفد وأكدوا ، له ، انه سوف يحقق بشبابه الغضب وبثقة الجماهير الطيبة فى نواياه ما لم يحققه والده ، الداهية الأكبر ، أحمد فؤاد .



والمؤرخ المنصف مهما يكن رأيه فى تجاوزات الحكومة القائمة وقتئذ لا يستطيع الا أن يوجه اللوم ، الى مستشارى الملك ، والى الأحزاب المعارضة التى أيدته تأييدا مطلقا ضد سلطة الشعب الممثلة فى الحكومة الوفدية ذات الأغلبية البرلمانية .

وقد أحسنت تلك الأحزاب ، بخطئها الكبير هذا بعد أن أقيمت وزارة النحاس ، وجاءت أحزاب الأقلية لتحكم باسم السراى وراح مستشارو الملك ، وعلى رأسهم على ماهر ، يلعبون برئيس الوزراء الجديد كما يحلو لهم ، ولذلك لم تمض سوى بضعة أشهر على اقالة الوزارة الوفدية ، حتى صاح كبيرهم قائلا : انما أكلت يوم أكل الثور الأبيض والقصة معروفة ، وهى من أبرز قصص بيدبا ، الفيلسوف الهندى : ثلاثة ثيران كانوا فى أجمة ، لا يشاركون فيها الا أسد ضعيف هزيل ، لا يستطيع أبدا أن ينال منهم جميعا شيئا ، وذات يوم قال الأسد ، الضعيف الهزيل لثورين من الثيران الثلاثة : ان لونى على لونكما ولا يفضحنا فى أجمتنا هذه الا الثور الآخر ذا اللون الأبيض فلو تركتاني آكله ، لصفت لنا الأجمة وعشنا فى سرور ، وحبور ، وقال الثوران : الأحمر ، والأسود : دونك فكله ، فاكل الأسد الثور الأبيض ، وبعد أيام جاء الأسد الضعيف الهزيل وقال للثور الأحمر : ان لونى كلونك ، ولا يفضحنا فى أجمتنا هذه الا الثور الأسود فلو تركتني آكله ، لصفت لنا الأجمة « وقال الثور الأحمر : دونك فكله ، وبعد أيام من أكل الثور الأسود جاء الأسد الضعيف الهزيل متمنرا ، وهو يقول للثور الأحمر : انى آكلك لا محالة « فقال الثور الأحمر وقد أحس بدنو أجله وبالخطيئة التى ارتكبها فى حق زميليه : انما أكلت يوم أكل الثور الأبيض » .



لقد ساعدت أحزاب الأحرار الدستوريين والشعب والاتحاد الملك الضعيف الهزيل على أن يفترس الوفد ، ليفترس بعد الوفد بقية الأحزاب الأخرى ، وكانت أكبر الأخطاء فى تاريخنا السياسى أن ترك للشباب ذى الثمانية عشر ربيعا ، ومستشاريه وعلى رأسهم على ماهر ، أن يعبت بحياتنا النيابية هذا العبث الذى كان له أثره فى اخراج قطار السياسة المصرية عن مساره الطبيعى ، الى مسار آخر هو مسار الدكتاتورية المطلقة ، دكتاتورية السراى ، والسراى التى تلعب

السفارة البريطانية بأمرها ، الصغيرة ، والكبيرة ، كما يلعب فتيان السيرك ، وفتياته بالدمى فى مسرح العرائس !! وإذا كان أحمد حسنين ، وعمر فتحى قد لعبا أخطر الأدوار فى تنشئة فاروق نشأة سيئة ، عندما كان فاروق يتلقى العلم فى لندن ، وكان أحمد حسنين ، وعمر فتحى يتوليان مهمة الاشراف على ولي العهد ، فان على ماهر ورجال القصر ، وبعض زعماء المعارضة هم المسئولون عن افساد فاروق كملك بعد أن تولى سلطاته .



ونعود مرة أخرى للحديث عن الصراع بين الملك ، والوفد ، والصراع داخل الوفد كحزب ، مركزين - هنا - على أقوال بعض المؤرخين المصريين والأجانب حتى لا نفرّد بالتعبير عن وجهة نظرنا :

يقول - مثلاً - جاكوب لاندو فى كتابه « الحياة النيابية والحزب فى مصر عام ١٨٦٦ - ١٩٥٢ » مال حزب الوفد لمركزية القاهرة ظهرت مع تكوين القمصان الزرقاء ، وتفشت العصبية والمحسوبيات فى الحزب فطرد محمود فهمى النقراشى ، وأحمد ماهر من الحزب الوفدى ليكونا الحزب السعدى مع مجموعة صغيرة من الوفديين السابقين ، وبالرغم من أن هذا الحلاف قام أساساً على نوازع شخصية الا أن الحزب الجديد - الحزب السعدى - أعطى بعض الاهتمامات للاقتصاد المصرى .

ويقول مارسيل كولومب فى كتابه « تطور مصر ١٩٢٤ - ١٩٥٠ » : حين توفي الملك فؤاد فى ٢٨ أبريل ١٩٣٦ كان ابنه الأمير فاروق فى لندن حيث يواصل دراسته ، وقد نودى به ملكاً فى نفس اليوم ، ولما يتجاوز عامه السادس عشر فقد ولد فى ١١ فبراير ١٩٢٠ ولذلك كان لابد من انشاء مجلس للوصاية ، وقد خلف الملك فاروق ملكاً لم يستطع قط أن يخوز محبة شعبه ومن ثم فانه سرعان ما أحرز شعبية حقيقية واسعة النطاق ، ليس مصدرها هذا الشباب وحده فقد كسب عطف كل المصريين بسبب شبابه الغض وبساطته الحقيقية ، ونزولا على نصيحة مرييه الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر ، راح يزور مساجد القاهرة مرة فى كل أسبوع .

وتسلم الملك زمام سلطاته الدستورية محاطاً بهتافات الشعب بأسره ثم بعد ذلك بشهر جاء اعلان خطبته لحدى فتيات البورجوازية المصرية كى يعلى من مكانته .

كان الوفد يرقب - والهواجس تنتابه - تزايد حماسة الشعب للملك وعلى هذا فان ذلك لم يزد - أى الوفد - الا اصراراً على استغلال صغر سن الملك لوضعه تحت وصايته ، ولكن رغم محاولات الوفد - جر الصراع الى مجال الدستور

كما كان يجرى زمن الملك فؤاد ، فان أحدا في مصر ، لم تنطل عليه الخدعة ، ومنذ ذلك التاريخ تضاعف الصراع القائم بين الوفد والسرّاء بسبب وجود ملك ينافس الوفد نفوذه مع فارق هام ، هو أن مصر كانت تتخذ جانب مليكها في هذه المرة ، وسرعان ما عادت تتجمع حول العرش ، أحزاب الأقلية التي لحقت بها الهزيمة في انتخابات مايو ١٩٣٦ وعادت المعارك القديمة ، التي كان قد خنقها قيام الجبهة الوطنية لتتسع وتبلغ المدى الذي وصلته في الماضي .

ومن جديد عادت توجه للوفد نفس الاتهامات وتعييب عليه استبداده وتسلبه وتوجه اللوم علنا الى رئيس الحكومة الاستبدادية وحكمه المطلق وكشف الكثيرون عن طموحه الى الحكم الديكتاتوري . كما أن تنظيم حركات الشباب الوفدى في منظمة شبه عسكرية قد أكد حقيقة هذه الانتقادات .



ولم يستطع الوفد - في مواجهة الأزمة التي كانت تتجمع - أن يحصل على تأييد الجامعة الأزهرية التي كان لشيخها نفوذ حقيقى على فكر الملك بل وعلى العكس ، من ذلك فقد استنارت الحكومة مشاعر الجامعة العريقة ثم جلبت على نفسها العداء المكشوف من جانب هذه الجامعة بسبب بعض المشروعات التي كانت الحكومة تعدّها فما أن انتشر الهمس بأن الحكومة تستعد لأن تنقل الى المحاكم الوطنية اختصاص نظر قضايا الأحوال الشخصية التي كانت حتى ذلك الوقت تعرض على المحاكم الشرعية حتى وجه الشيخ المراغى تحذيرا مدويا الى رئيس الوزراء يناشده العدول عن توجيه لطمة جديدة الى الشريعة أكثر من سابقتها ، وفي نفس الوقت فان موافقة وزير المعارف العمومية على السماح للطلاب غير المسلمين بعدم حضور دروس القرآن كانت سببا في تقديم استجواب في هذا الشأن الى البرلمان وأخيرا فقد قوبل انشاء منصب مفتى الديار استقبالا بالغ السوء فى الأوساط الأزهرية كما كان تعيين الشيخ محمد أبو زيد فى هذا المنصب - وهو الذى سبق له أن ألف تفسيراً للقرآن أدين منذ صدوره فى عام ١٩٣١ - موضوعا لانتقادات مرة ، وكانت هذه الاجراءات التي قوبلت بهجوم عنيف من جانب علماء الأزهر ، هى السبب الرئيسى لعدة اشتباكات ومشاجرات قامت بين طلاب الجامعة الأزهرية وطلاب الجامعة المصرية زاد من اشتعالها ذلك الصراع الخفى الذى ظل قائما بين القمصان الخضراء التي كان يقودها المحامى أحمد حسين والقمصان الزرقاء ، التابعة للوفد ، وكان أتباع أحمد حسين يتخذون موقف الدفاع عن الاسلام ازاء ما يتهدده من أخطار ، وينسبون الى الآخرين أفكارا ومشاعر الحادية جعلتهم يظهرون بمظهر الخطرين على البلاد .



وجرت بين هذين التنظيمين صدامات وحشية واستطاع خصوم الوفد بمهارة أن يستغلوا هذه الاضطرابات التي قسمت تلاميذ المدارس وطلاب

الجامعات الى جماعتين متنافرتين كما أن اسناد وزارتي المالية والخارجية الى مكرم عبيد باشا ، وواصف بطرس غالى باشا ، قد أعطى لهؤلاء الخصوم ، الفرصة للتنديد بالحكومة « الى أن يقول مارسيل كولومب : وكان الموقف الذى تبنته الحكومة منذ تولى الملك فاروق يفسر - باستمرار - على أنه دليل جديد ، على سياستها الحقيقية ، وقد أبدى كل من الشيخ المراغى والأمير محمد على رئيس مجلس الوصاية رغبتهما فى اعطاء طابع دينى على حفلة التتويج ، لكن رئيس الحكومة اعترض على ذلك اذ رأى فى احتفال من هذا النوع بدعة خطيرة تتعارض وروح السنة ، وكان على الملك أن يكتفى بإداء القسم على احترام الدستور ثم يتجه حسب البرنامج الذى أعدته الحكومة فى اليوم التالى - وكان يوم جمعة - للوقوف على قبر والده فى مسجد الرفاعى حيث حضر صلاة الجمعة ، تلك كانت الحفلة الدينية الوحيدة ، التى صاحبت توليه العرش ، أما علماء الجامعة الأزهرية الذين كانوا يحلمون بأن يجعلوا من مصر مركزا للعالم الاسلامى فقد امتلأت قلوبهم موجدة ...



كان هذا الاحتكاك الاول هو بداية أزمة كان لابد لها أن تؤدي بعد ستة أشهر بالكاد ، الى عزل الوزارة ، ولم يكن الوفد مستعدا لمواجهة مثل هذه الأزمة ... وهكذا كانت ستة أشهر من حكم الملك فاروق كافية للاحاق الهزيمة بنخصم لم يستطع والده أحمد فؤاد طيلة حكمه ، أن يقهره ، •

ويقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فى ٢٠ أكتوبر ١٩٣٧ عين على ماهر باشا رئيسا للديوان الملكى وقد كان يشغل هذا المنصب سنة ١٩٣٥ فى عهد الملك فؤاد ، وظل يشغله الى أن تولى الوزارة سنة ١٩٣٦ ، وبقي شاغرا طيلة هذه المدة : جاء هذا التعيين على غير رغبة الوزارة ، وقد اعترضت عليه ، ثم أذعنّت وسلمت بالأمر الواقع ومع أن هذا التعيين كان بمثابة قاعدة ارتكاز فى السرائى لخصوم الوفد ونذيرا بقرب هبوب العاصفة فإن وزارة النحاس لم تعمل على اصلاح أخطائها ، فى الحكم ، واستمرت على سياستها فى المحسوبية الحزبية ، والعائلية ، واستفحل خطر القمصان الزرقاء وامتد تيار السخط الى صفوف الشباب وظهرت فى الجامعة « جامعة فؤاد الأول » حركة تدمر وإسثياء من تصرفات الوفد ، وخاصة بعد فصل النقراشى من الوزارة والوفد ، والفضيحة جمعية مصر الفتاة التى يرأسها الأستاذ أحمد حسين وهى تمثل عنصرا نشيطا من الشباب المثقف الى هذه الحركة فاتسع نطاق المعارضة .. ويقول الأستاذ الرافعى : بدأت أمواج المظاهرات والتجمعات ضد وزارة الوفد تتدفق فى المحيط الجامعى وكليات الأزهر فى أواخر أكتوبر ١٩٣٧ •



كانت هذه المظاهرات نتيجة رد الفعل لسياسة الوفد في اقحام الطلبة في السياسة الحزبية فقد كان له بين صفوف الطلبة لجان وثيقة الاتصال به تروج لسياسته الحزبية ، وتمدها حكومة الوفد بالعون المادى والتأييد المعنوى ، ونشأ عن ذلك ان المتذمرين من سياسة الوفد من الطلبة تجمعوا هم أيضا ، ونظموا صفوفهم ووقفوا للفريق الأول موقف المناظرة ، والخصومة ، مما أدى الى اضعاف تكوينهم الوطنى والأخلاقي ، والعلمى . وقد رأى مدير الجامعة حينئذ أحمد لطفى السيد تقاديا من تفاقم الاضطراب فى محيط الجامعة تعطيل الدراسة فى كلياتها أسبوعا من ٢٥ أكتوبر وأصدرت ادارة الجامعة قرارا بذلك ، ولكن الوزارة لم توافق على هذا القرار فاستقال أحمد لطفى السيد من منصبه .

وفى يوم الثلاثاء ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٧ قامت مظاهرة كبيرة أمام قصر عابدين قوامها جموع زاخرة من طلبة الجامعة وطلبة الأزهر المعارضين للوزارة وأخذوا يهتفون بحياة الملك هتافات مدوية وأطل عليهم الملك من شرفة القصر محييا لهم مما زاد فى حماستهم ، وهتافهم .



ويبدو ان هذه المظاهرة قد أعدت لتكون ردا على مظاهرة من انصارالوفد نادوا فيها « النحاس أو الثورة » ووافقت لحظة قدوم المظاهرة المعارضة مجيء مكرم عبيد وزير المالية ووزير الخارجية بالتيابة الى السراى لحضور حفلة تقديم سفيرى اليونان ، والمجر اوراق اعتمادهما الى الملك ، فهتف المتظاهرون ضد مكرم عبيد عند دخوله السراى وحطموا زجاج سيارته وقد نسبت الوزارة تدبير هذه المظاهرة الى اتفاق بين السراى والمعارضين !!

وفى هذه الظروف والملايسات تفاقم الخلاف بين السراى والوزارة واتخذ شكل ازمة دستورية تناولت عدة امور معقدة ، وطلبت السراى ان يحل هذا الخلاف وأن تؤلف هيئة المحكمين من رئيس الوزارة ومن رؤساء الوزارات السابقين وبعض ذوى المراكز التشريعية والدينية ، فرفضت الوزارة هذا التحكيم ، وقد سعى السفير البريطانى « السير مايلز لامبسون » فى تسوية الأزمة ببقاء وزارة النحاس فى الحكم ، والتساهل بين الجانبين ولكن السراى أضرت على موقفها .

إما د . يونان لبيب رزق فيشير - بالإضافة الى ما سبق ان قلناه عنه - الى ما كانت تنشره الصحف المصرية فى ٢٠ ، ٢١ ديسمبر ١٩٢٧ بخصوص استعراض العضلات الشعبية الوفدية وتفسير المظاهرات فى الشوارع هاتفة : « النحاس أو الثورة » ثم يقول : كان واضحا أن الحزب الكبير قد خانته التقدير فى هذه المرة فهو عندما كان يستخدم هذا الاسلوب من خارج موقع السلطة ،

كان في الامكان قبوله على أساس أنه يعبر أساسا عن شعبية جارفة أما استخدامه وهو في السلطة فقد بدأ فيه الاختلاق او الصنعة ، لا سيما اذا لوحظ ان فرق القمصان الزرقاء هي التي كانت تقود المظاهرات ، الوفدية : من جانب آخر فان القصر كان قادرا بدوره على انتهاج نفس الأسلوب فسارت مظاهرات كبيرة مؤيدة للملك وكانت تتشكل على الأغلب من طلبة الأزهر ، واتجهت الى قصر عابدين ليخرج الملك لتحتيتها أكثر من مرة احياء منه بالموافقة عليها ورغبته في استمرارها » .



وفي وسط الأزمة خرج الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب الوفدي ببيان يدين فيه الوزارة الوفدية يقول فيه : انها أفست الأمن ، والتعليم ، والعمال ، وخنقت الحريات ولم تضرب مثالا صالحا للحكم « البلاغ ١٩٣٧/١٢/٢٤ » .

وقد بذلت محاولة أخيرة للخروج من الأزمة عندما اقترح على ماهر ، رئيس الديوان الملكي تأليف لجنة تحكيم من رؤساء الوزارات ووزير الحفانية ورؤساء مجالس النواب والشيوخ ورؤساء محكمة النقض ورؤساء المستشارين الملكيين السابقين والموجودين وقتذاك ، ومع قبول الوزارة لفكرة التحكيم الا انها رفضت تشكيل اللجنة على هذا النحو ورأت أن تقوم اللجنة البرلمانية التي يغلب عليها الوفدية بدور التحكيم وكان من الطبيعي أن يرفض القصر اقتراح الوزارة وواضح من ذلك أن الأزمة قد وصلت الى طريق مسدود ، وتقرر اقالة الوزارة ..



وكان الشيخ المراغي ينصح الملك ، بأن يؤلف أحمد ماهر الوزارة تنفيذا لسياسة الاستيلاء على الوفد من الداخل ، وقد نظر الى الدكتور أحمد ماهر ، باعتباره الفارس الذي يمكنه الاعتماد عليه في تنفيذ هذه السياسة ، خاصة انه والنقراشي ظلا يشكلان قوة من أهم قوى الحزب الكبير . « ولكن لم تلبث أن تبددت المحاولة كما تبددت في كل مرة من قبل . ففي الاجتماع الذي انعقد أثناء المرحلة الأخيرة من مراحل الأزمة الوزارية التي أطاحت بوزارة النحاس وهو الاجتماع ، الذي ضم الهيئة الوفدية البرلمانية واتفق في ٢٣ ديسمبر في هذا الحدث النحاس بإفاضة عن موقفه من الأزمة ، وقال : انه قد وافق على موضوع حل القمصان الزرقاء ، وعدل عن مسألة اليمين الدستورية لرجال الجيش أما تعيين عبد العزيز فهمي عضوا بمجلس الشيوخ فهو ما تمسك برفضه ، وتبع ذلك أن شرح مكرم عبيد قرارات لجنة الوفد ، المركزية في شأن الأزمة ثم أعطيت الكلمة

لاحمد ماهر ، فأبدى وجهة نظره ووصى بالاعتدال والحكمة ولم يؤيده من الحاضرين سوى ثلاثة أعضاء ، أكثر من ذلك فقد واجهته جماعة من هؤلاء بمظاهرة عنيفة هتفت بسقوطه ، وبحياة النحاس •

لقد وصل الصراع بين القصر والوفد الى الذروة وتأهب القصر تماما – بعد أن اطمأن الى الجانب البريطاني – • ليوجه ضربة قاصمة الى الوفد المصري ، والى حكومته !! واستغلت « البلاغ » وروز اليوسف هذا الصراع استغلالا جيدا فكان أن لهما دورا هاما في اسقاط وزارة النحاس باشا •

الفصل السادس

روز اليوسف والبلاغ تسقطان وزارة النحاس

لا جدال في أن صحيفة البلاغ قد لعبت من الناحية الصحفية ، الدور الأول ، والأكبر في كشف الوزارة النحاسية وتعريضها أمام الجماهير ، بتلك الحملات الصحفية المركزة ، التي وجهتها ضد وزارة النحاس والذين عاشوا تلك الفترة يذكرون كيف أصبحت البلاغ قوة صحفية كبرى تتخاطفها الأيدي وتتأثر بها الجماهير في نفس الوقت خاصة بعد اخراج النقراشي باشا من الوزارة الوفدية حيث اعتبرت البلاغ اخراج النقراشي باشا من الوزارة بمثابة تمهيد لفرض أوتقراطية مصطفى النحاس ، ومكرم عبيد وكان لمشاركة الأستاذ عباس محمود العقاد في تحرير البلاغ الأثر الخطير في اضعاف الحكومة الوفدية .



وكانت البلاغ على صلة وثيقة بالقصر ، الذي كان يمدّها « بذلك » « ومقدّرة » بالوثائق والأخبار التي تخرج الحكومة الوفدية ، وتضعف من شأنها في مواجهة الجماهير .

وصاحب البلاغ ، ومحرره ، هو الأستاذ عبد القادر حمزة وقد حصل على التصريح بإصداره في ١٦ ديسمبر ١٩٢٢ وأصدر العدد الأول منه في ٢٨ يناير ١٩٢٣ تحت شعار كلمة سعد زغلول الخالدة : « يعجبني الصدق في القول والاخلاص في العمل وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون » . وقد وقف البلاغ منذ البداية الى جانب محمود فهمي النقراشي وأحمد ماهر وقد نشر البلاغ بتاريخ ١٩٣٧/٣/٢٤ تصريحاً للدكتور أحمد ماهر ، كان أول تصريحاته المعادية للوزارة الوفدية وقد جاء في البلاغ : اغتنم الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب فرصة اجتماع الهيئة الوفدية البرلمانية فأدلى برأيه الصريح في الوزارة

النحاسية وأساليبها في الحكم منذ أن تولت أمره الى اليوم وفيما عقد له اجتماع الهيئة الوفدية من منع أى وفدى من تأليف الوزارة اذا ترك الوزراء ، الحاليون مناصب الحكم أو أقيمت الوزارة النحاسية منه ثم قال ان الظروف تغيرت بعد المعاهدة فلا سبيل لتحويل تأييد الأمة السابق للوفد فى سعيه للاستقلال الى ميدان جديد ، وأعلن أحمد ماهر أن الناس لم ينعموا فى عهد الدستور بما يجعلهم يهبون للدفاع عنه بوحى من ضمائرهم وان وزارة الوفد ، هى المسئولة عن ذلك لان الدستور عبارة عن حريات يجب أن تكون مكفولة وصرح بأن هذه الحريات لم تكفل فى عهد الوزارة الحاضرة وان الوزارة لم تضرب للناس مثلاً للحكم الصالح ، ومن بين المقالات العنيفة التى عارضت بها صحيفة البلاغ حكومة الوفد مقال بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٩٣٦ بعنوان : « اضطهاد حرية الرأى - تصرف البوليس يراد به الارهاب » : لا يجوز أن تكون الحرية ، فى العهد الدستورى ، أصدق منها تحت الحماية والحكم العرفى وقد اختتمت البلاغ مقالها بالكلمة التالية : لسنا وحدنا اذن نعيب هذا السلوك بل يعيبه معنا زملاؤنا الوفديون ، وهناك اذن ضرب من الاجماع على استنكار هذا الاضطهاد للحرية ، فهل يكون من الاسراف فى الأمل أن نقول اننا نرجو ، أن يترك الناس أحراراً فى حدود القانون والا يصيبهم الازعاج والتضييق والمطاردة مثل ما أصابهم الآن ، وفى البلاغ الصادر فى ٦ أكتوبر ١٩٣٦ ، وتحت عنوان : المحسوبية ، ومساوئها : اساءة الى البلاد ، الى الحكومة نفسها : يجب أن تكون ثقة الناس بالعدل ، والحق رائد الحكام ٠٠ » ويجئ فى نهاية المقال : ان المحسوبية بلاء عظيم وآفة ما بعدها آفة لا تصاب الأمم بآفتك منها فاذا رأنا القراء تلج فى التحذير منها فليعذرونا فلسنا نعرف ما هو أوخم منها عاقبة ٠٠



وفى يوم ٩ أكتوبر ١٩٣٦ كانت افتتاحية البلاغ تحمل العنوان التالى :
منحة المحسوبية دفاع لا ينهض مع الأسف : حول الميزات التى يتمتع بها أقارب دولة رئيس الوزراء ، وأنسابؤه ، ويحمل البلاغ حملة عنيفة على لابسى القمصان الزرقاء : يدعو - مثلاً - فى ٢٠ نوفمبر ١٩٣٦ الى ضرورة إصدار تشريع بتحريم الاشتغال بالسياسة ، على لابسى هذه القمصان . ويشير الى ما حدث فى إنجلترا حينما قرر مجلس العموم البريطانى باجماع أعضائه تحريم ارتداء ، القمصان الملونة ، وبتحريم الاشتغال بالسياسة على لابسيتها ، وذلك حماية لحرية الرأى، ومن أجل سلامة الأمن فى الداخل ويدعو البلاغ شباب مصر ، الى أن يبتعدوا عن شوائب ، الحزبية السياسية ، التى أن منها شيوخها .



وتكون افتتاحية صحيفة البلاغ فى أول ديسمبر ١٩٣٦ : لابس قميص أزرق يطلع بالخنجر أحد الأهالى فى شبرا : من هم المسئولون الحقيقيون عن

استمرار حوادث ، القمصان الملونة ، ويعود البلاغ في اليوم التالي ٢ ديسمبر ١٩٣٦ الى الحديث عن : « مسئولية الحكومة عن حوادث ، ذوى القمصان الزرقاء ، وخرج مركز رجال الأمن بسبب رعاية الحكومة لهذه الفرق » .

وفي ٦ ديسمبر ١٩٣٦ يحذر البلاغ : التنظيم الجديد لذوى القمصان يؤدي الى الدكتاتورية ، ويهدم الدستور ، لانه ينشئ هيئة سياسية عسكرية تابعة لشخص رئيس الحكومة .



وأستطيع أن أقول بضمير المؤرخ والقاضي في نفس الوقت ، انه لولا الحملات العنيفة التي قامت بها البلاغ ومعها روز اليوسف ، لما استطاعت السراى أن تخلص بسرعة من حكومة الوفد بعد أشهر قليلة من تولي الملك فاروق سلطاته الدستورية :

صحيح أن القصر ، كان يستطيع اقالة الوزارة الوفدية ، أو غير الوفدية ، عندما يريد ولكنه ما كان يستطيع اقالة وزارة الأغلبية ، البرلمانية والشعبية بمثل تلك الدرجة من البساطة ، والسهولة ، وعدم التخوف من حدوث ردود فعل قوية لتلك الاقالة لولا ، تلك الحملات القوية ، والعنيفة ، والمركزة التي وجهت ضد الوزارة الوفدية .

لقد كانت السراى حقيقة ذكية للغاية وهي تمهد ، لتلك الحملات ، وكذلك كانت أكثر ذكاء ، عندما اختارت الوقت المناسب لتلك الحملات ، ثم كانت في قمة الذكاء عندما حاولت الابتعاد عن مثيرى تلك الحملات .

وقد ساعدها على النجاح في مهمتها الخاصة باضعاف الحكومة الوفدية ان جماهير وفيرة من القاعدة ، الشعبية الوفدية ، كانت قد خرجت على الوفد ، كما أن جماهير أخرى وفيرة ، قد خشيت مقبة وقوع الوفد أسيرا ، للدكتاتورية ، التي كان بعض قادة الوفد ، يدفعون رئيس الوفد اليها ، هذه الجماهير الكارهة للدكتاتورية ، والكارهة لتعالى الحكومة الحزبية ، الوفدية ضاقت ذرعا بأخطاء الحكومة الوفدية ، التي كانت تتكاثر ، يوما بعد يوم ، بل ساعة اثر ساعة ، كما أن جماهير أخرى من اللاحزبيين ، والمعتدلين قد أصيبت بخيبة أمل في الوزارة ، الوفدية ، التي كادت تحول الحكومة الى حكومة نحاسية لحما ودما وهذه الجماهير اللاحزبية ، والمعتدلة في نفس الوقت ، قد خرجت عن عدم حزبيتها وعن اعتمادها وراحت تبدي رأيها في ضرورة التخلص من الوزارة الوفدية .



وللحقيقة والتاريخ ، نقول أن الصحافة المعارضة للوفد وللوزارة الوفدية ، ولم تكن وقتئذ ، تملك مالا ، وفيرا ، أو غير وفير قد قادت الرأي العام في تلك الفترة واني لأذكر وقد كنت وقتئذ ، هيبيا ، غير مدرك ، كيف كانت الجماهير تتسابق من أجل الحصول على البلاغ في المساء ، فقد كانت البلاغ مسائية بل اني لأذكر كيف كان كثير من معارفي وأصدقائي من الشباب يتسابقون ، ليحفظوا عن ظهر قلب ، كثيرا من العبارات ، التي كانت ترد في مقالات عباس محمود العقاد ، وكانت مقالاته ، الهامة تحتل الصفحة الأولى كلها ، من جريدة ، البلاغ ، بل لقد كانت بعض مقالات ، العقاد تحتل الصفحة الأولى كلها ، وأجزاء كثيرة من الصفحات الأخرى .



وكان العقاد - اذا لم تخنى الذاكرة - لا يقسو ، ولا يشتد في مقالاته الى أعلى درجات القسوة والشدة ، الا عندما يهاجم مكرم عبيد باشا أو مصطفى النحاس باشا .

وقد كان الأستاذ عبد القادر حمزة صاحب ، البلاغ ، ورئيس تحريره في كثير من الأوقات ، من الذكاء ، بدرجة كبيرة اذ كان يختار الحملات التي تقوم بها البلاغ من ذلك النوع ، الذي يثير الجماهير ، بل لقد كان بذكائه ، المفرط ، لا يختار موضوعات لحملات البلاغ ، الا تلك الموضوعات التي قد سبق للجماهير أن أبدت ضيقها ، وضجرها منها ، فموضوع الحملات الخاصة بالقمصان الزرقاء ، وكانت حملات البلاغ على القمصان الزرقاء أكثر حملاته نجاحا ، لم يحدث أن ركز عبد القادر حمزة والبلاغ معه عليها الا بعد أن « انفلت العيار » أو بمعنى عسكري انفلت الضبط والربط عند كثيرين ممن انضموا لفرق القمصان الزرقاء .

وحتى لا أحمل المسئولين عن فرق القمصان الزرقاء كل تبعة مسئوليات ما وقع من القمصان الزرقاء من مآسى أو جرائم ، أقول ان كثيرين كانوا يرتدون القمصان الزرقاء وكانوا يستغلون عملية ارتدائهم ، لتلك القمصان لتحقيق أغراضهم الشخصية وغالبا ما كانت تلك الأغراض ، أغراضا تخريبية ، أو لصوصية في الوقت الذي لم يعرف عنهم ، ولا عن جرائمهم ، قادة فرق القمصان الزرقاء شيئا .



اقول ان صحيفة البلاغ رأت أن الشعب قد ابتدأ يضيق ذرعا بتلك الأخطاء ، بل والجرائم ، التي وقع فيها لابسو القمصان الزرقاء ولا أقول الفرق المنضمة لمنظمات القمصان الزرقاء ، كما ابتدأ الشعب يضيق ذرعا بتلك

التجاوزات السياسية التي قامت بها بعض لابسى القمصان الزرقاء ومعاركهم العنيفة مع خصومهم من لابسى ، القمصان الخضراء ، بصفة خاصة وخصومهم الحزبيين ، بصفة عامة فبدأت البلاغ تركز على ضرورة حل فرق القمصان الزرقاء كما راحت تركز على كل ما يرتكب منسوباً الى لابسى القمصان الزرقاء ، من مآس ، أو جرائم ، أو تجاوزات .



ولقد سبق لى أن أشرت الى بعض ما جاء فى جريدة البلاغ عن القمصان الزرقاء فى ٦ ديسمبر ١٩٣٦ تحت عنوان : التنظيم الجديد لذوى القمصان يؤدى الى الدكتاتورية ويهدم الدستور لانه ينشئ هيئة سياسية ، عسكرية تابعة لشخص رئيس الوزراء بوصف أنه زعيم الأمة » وقد جاء فى ذلك المقال : بعد طول التردد أصدر الوفد بياناً ينظم فرق الشباب الوفديين من ذوى القمصان الزرقاء ، وفى هذا البيان يعلن صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصرى أن هذه الفرق تابعة لدولته وأن الغرض منها تكوين روح رياضية ونظامية وأن لها مجلساً تنفيذياً يدير شئونها ، وينوب فى ذلك عن صاحب الدولة النحاس باشا ، والبيان يحظر حمل العصى ، أو الأسلحة أو الظهور بالقميص الأزرق فى غير الأوقات التى يحددها المجلس الأعلى .



وأول ما يلاحظ على هذا البيان أننا كنا ننتظر قانوناً ينظم الفرق الرياضية التى نشأت أو تنشأ ويجردها من كل صبغة عسكرية أو شبيهة بالعسكرية ، وينأى بها عن الأحزاب أو الجماعات السياسية ، أو رجال السياسة ويقتصر نشاطها على الرياضة فى الحدود النافعة المعقولة فلم يصدر القانون والفهم اذن انه لن يصدر بعد ذلك اكتفاء بهذا البيان ، والبيان صادر من رئيس الوفد المصرى ، وقد نص فيه صراحة على أن فرق الشباب الوفدى تابعة لزعيم الأمة حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصرى ، وبه صار الأمر أخطر مما كان ، اذ لا شك الآن أن هذه الفرق سياسية ، أو أداة لهيئة سياسية بصفة رسمية ، ويمكن أن نفهم وأن يفهم كل انسان بسهولة أنها أكثر من أداة سياسية لهيئة سياسية ، ويعنى ذلك أنها أداة لفكرة دكتاتورية فردية يراد العمل على اقامتها فلال مرة فى بيانات الوفد يوصف صاحب الدولة ، أو ما يسمى هو نفسه على الأصح ، زعيم الأمة ، ولأول مرة يعلن - الى الأمة ، أن هذه الفرق تابعة لدولته لا للوفد ولا سواء و ٠٠ و ٠٠ وتنتهى صحيفة البلاغ هذا المقال بالعبارة التالية : من حقنا ، ومن حق كل نائب وكل غيور على النظام الدستورى ، أن نسأل صاحب الدولة النحاس باشا كيف يمكن التوفيق بين النظام الدستورى الذى يقوم على حرية الرأى ، وكفالة هذه الحرية اذا كان دولته صاحب جيش من لابسى القمصان الزرق وكان هؤلاء تابعين لدولته

شخصيا ، ومدربين على الطاعة والنظام وعلى عدم المعارضة في أمر من الأمور التي تعرض عليهم أو توكل اليهم واذا وجد لدولته غدا معارضة لمباسبته من داخل البرلمان ، أو خارجه وهو يعرف أن له هذا الجيش الطويل العريض فماذا يمتنع أن يفريه ذلك باستخدامه ، أو التهديد بخنق هذه المعارضة وحتى من غير تهديد يكفي هذا الجيش المطيع لدولته لخنق الآراء المخالفة له وهذه هي الدكتاتورية بعينها ، ولا يمكن أن ينهض حكم دستوري صحيح مع وجود هذه الفرق ، وتنظيمها على هذا النحو وتبعيتها لشخص زعيم الأمة كما يوصف في البيان .



وفي اليوم التالي ١٩٣٦/١٢/٧ - وفي الصفحة الأولى - كما هي العادة بالنسبة لحملات البلاغ على الوفد المصري - نشرت البلاغ مقالا تحت عنوان : فرق القمصان سبيل الدكتاتورية : نشوءها في أوروبا طبيعي مع المعارضة ، ولكن دولة النحاس باشا في الحكم ومع البرلمان والأمة فماذا ينبغي من وراء هذه الفرق ، وقد جاء في هذا المقال : لينظر دولة النحاس باشا معنا وليقل لنا في أي أمة دستورية حدث ، ان زعيم أغلبية كانت له ، فرق منظمة مدبرة على الطاعة ، والنظام ولها مجلس تنفيذي يصدر اليها الأوامر فتفعل ما تؤمر به بلا تردد أو معارضة ؟ ان كان هذا قد حدث في أية أمة دستورية كانجلترا أو فرنسا فليبق هذه الفرق وليهنا بها دولته ، ولكن نحن المخطئين والسبب بسيط وهو أن وجود هذه الفرق معطل لعمل البرلمانات ، وقاض على حرية الرأي وخنق ، لكل معارضة فوجودها ووجود الدستور لا يتفقان ، فاما هي واما الدستور : انما تنشأ هذه الفرق من حيث يراد ان تقوم الدكتاتوريات على إكتافها فهي في ايطاليا قد نشأت وأثمرت ، كما كان لابد أن تفعل دكتاتورية السنيور موسوليني ونشأت في ألمانيا وأدت في النهاية الى دكتاتورية هتلر .



بل أن البلاغ ينشر في ١٩٣٦/١٢/١٢ مقالا تحت عنوان : القمصان الزرق عقبة في سبيل إلغاء الامتيازات : هكذا تقول جريدة المانشستر جارديان وقولها صحيح ، « وتشير البلاغ الى تساؤل المانشستر جارديان - كبرى صحف الأحرار في انجلترا - في مقال رئيسي كتبته أمس عن لاسي القمصان الزرق ما مركزهم ؟ وهل هم من الطلبة وحدهم ، أو يجوز لأي شخص يميل الى المغامرة أن ينضم اليهم في مقابل بضعة شلنات ؟ وهل هم خاضعون للبوليس أي للنحاس باشا بصفته وزيرا للداخلية ، أو هم مسئولون أمام الوفد وحده أو بعبارة أخرى أمام النحاس باشا بصفته رئيسا للوفد ؟ ورجحت في مقالها أن تجد الحكومة المصرية مفاوضات مع الدول ذات الامتياز في مصر ، ستكون صعبة من جراء هذه الفرق .

وتقول البلاغ : انذى تخشاه الجارديان له محله لأن المسئولية فيها ضائعة والأمر فيها غير جلي ومعتول حين يعقد مؤتمر الامتيازات ويدور البحث فيما يجب فعله أن تطلب الدول الاطمئنان على رعاياها وأن ترى فى وجود هذه الفرق الكبيرة المنظمة خطراً على الأمن والنظام ، وأن تتخذ بعد ذلك حجة للتمسك بما فى يديها من امتيازات ، والاحجام عن النزول عنها لأن الأمر ليس أمر خطب وفصاحة وذلاقة وانما المسألة مسألة شيء واقع مخوف العواقب ..



وقد كان عبد القادر حمزة باشا - صاحب البلاغ فى مقدمة من عارضوا المعاهدة المصرية ، البريطانية التى وقعت فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ والتى أطلق عليها مكرم عبيد باشا معاهدة الشرف والاستقلال ، ولم يكن عبد القادر باشا معارضا للمعاهدة من ناحية المبدأ ، لأنه كان أصلاً من مدرسة الوفد المصرى التى كانت تؤمن بضرورة تحديد العلاقات المصرية البريطانية فى معاهدة ، ولكنه كان يعارض المعاهدة فى نقطتين كان يراها جوهريتين للغاية أولاهما : المسألة العسكرية - فى المعاهدة ، ومسألة السودان . وكان عبد القادر حمزة باشا يرى أن عملية إنشاء الثكنات البريطانية الخاصة بالجيش البريطانى فى مصر ، باهظة التكاليف الى درجة كبيرة فضلاً عما فى اقامتها على الأراضى المصرية من جرح للكرامة المصرية ، ومن أشهر المقالات التى نشرها البلاغ حول هاتين النقطتين مقالة بعنوان : فى الجيش المصرى ، ومهمة البعثة العسكرية البريطانية : تحرير مصر من القيود التى كانت على الجيش ، وأول مكسب يجب تحقيقه وبسرعة « العدد رقم ٤٢٨٥ الصادر فى ١٢/١٢/١٩٣٦ » ومقالة أخرى عن السودان نشرت بالعدد رقم ٤٢٩٠ الصادر فى ٧/٩/١٩٣٦ م وكان عنوانها : المعاهدة المصرية ووقعها عند اخواننا السودانين ، وكيف كانوا يرجون الوحدة ، فجاءت المعاهدة بغير ذلك .



وللحقيقة وللتاريخ نقول ان معارضة البلاغ لما جاء فى معاهدة ١٩٣٦ عن المسائل العسكرية ، وعن السودان ، كانت معارضة بناءة للغاية ولم تكن تستهدف اضعاف الجانب المصرى ، حتى بعد التوقيع على المعاهدة ، وعند بداية تنفيذها وانما كانت المعارضة تستهدف تقوية مركز الجانب المصرى ، ودعمه ، ليستطيع الحصول على حقوق أكثر من تلك التى حصل عليها ، كما أن هذه المعارضة لم تلجأ أبداً الى الاسفاف أو التجريح أو النيل من وطنية المفاوضات المصرى .

وكان البلاغ يعتمد الى نشر الأخبار التى تؤيد وجهة نظره الخاصة بمعارضة المعاهدة ، والتى تؤكد أنه كان على حق ، عندما عارض - وبشدة - هاتين النقطتين الخطيرتين كما أن البلاغ لم يكن يغفل أبداً ، نشر الايجابيات التى تحققت عند

تنفيذ المعاهدة ، وإن كان يفتح صدره لنشر كل الأحاديث ، والخطب والمقالات ،
التي تصدر عن السياسيين المعارضين للمعاهدة ، ويوليها أهمية خاصة .



ومن المقالات التي نشرها البلاغ في صدره كافتتاحية ، يوم توقيع المعاهدة .
المقالة التي حملت العنوان التالي - المعاهدة وحرية الرأي - إبراز جانب الرضا ،
واخفاء جانب المعارضة ، سياسة ليست في مصلحة مصر ، ولا في مصلحة العلاقات
المصرية البريطانية .

وقد جاء في تلك المقالة أن الانجليز أنفسهم يفتئون الى خطورة التقليل
من أهمية الجانب المعارض للمعاهدة ، كما أنهم - أي الانجليز - يتوجسون خيفة
من عواقب اخفاء هذا الجانب كما نتوجس : لهذا - هذا ما قالته البلاغ - نرجو أن
يكون ما حدث الى الآن من المساعي ، لإبراز جانب الرضى ، واخفاء جانب المعارضة ،
آخر ما يحدث من هذا القبيل أولا لأنه عبث ، وخاصة إذا كانت الآراء مما يتعذر
خنقه ، وقمعه . وثانيا لأنه ليس من مصلحة أنصار المعاهدة أنفسهم . وثالثا
لأنه ليس من مصلحة العلاقات بين مصر ، وبريطانيا . وهى علاقات ينبغي أن
تكون قائمة على الصداقة الصريحة لا على صداقة رسمية .



وبعد يومين - فى ٢٨ أغسطس ١٩٣٦ تكون افتتاحية البلاغ : اضطهاد
حرية الرأي : تصرف البوليس يراد به الارهاب : لا يجوز أن تكون الحرية فى
العهد الدستورى أضيق منها تحت الحماية والحكم العرفى « ويشير البلاغ الى
واقعتين قام بهما البوليس ، عندما اعتقل بضعة من الشبان كانوا يوزعون
منشورات تحمل العنوان التالي : مصر الفتاة والمعاهدة ، والى مصادرة كتاب
لرئيس جمعية مصر الفتاة ، ويرد البلاغ على قول الوزراء الوفديين بأنهم لا يعلمون
بأمر هاتين الواقعتين بقوله : ان الدستور ، لا يعرف مسئولاً ، غير الوزارة ،
وليس من كرامة الوزارة أن تحيل المسئولية على مرءوسين فرارا من احتمال التبعة
فإن هناك تبعة تلزم الحكومة ولا شك ولا مهرب لها عنها .



ويقول البلاغ أيضا فى نهاية مقاله هذا : لسنا وحدنا الذين نعيب هذا
السلوك ، بل تعيبه معنا زميلاتنا الوفدية وهناك اذن ضرب من الاجماع على
استنكار هذا الاضطهاد للحرية فهل يكون من الاسراف فى الأمل أن نقول اننا

نرجو أن يترك الناس أحرارا فى حدود القانون وألا يصيبهم من الازعاج ،
والتضييق والمطاردة مثلما أصابهم الى الآن •

وكان البلاغ يشير الى مقالة نشرها الأستاذ حافظ بك عوض ، رئيس تحرير
كوكب الشرق ، وصاحبها يعلن فيها استياءه من القبض على بعض الشبان ، وقد
تساءل فى مقالته بحق : فيم كان القبض وفيم كان اطلاق سراح المقبوض عليهم !!



والجدير بالذكر - وهذا ما تفخر به الصحافة المصرية - أنه بعد أن وافق
البرلمان على المعاهدة ، وأصبحت المعاهدة نافذة المفعول توقفت معارضة البلاغ ،
فيما يتعلق بالمعاهدة ، كمعاهدة ، وذلك لا من قبيل الاعتراف بالأمر الواقع ،
ولكن نزولا عند رأى الشعب ، الذى وافق مثلوه ، بما يشبه الاجماع على
المعاهدة •



ومن المقالات التى يجب أن نذكرها للبلاغ ، ونشيد بها فى نفس الوقت ،
تلك التى نشرها فى ٢٨ نوفمبر ١٩٣٦ تحت عنوان : واجباتنا بعد المعاهدة :
تقوية الجيش ، وتعجيل الجلاء ، والمضى فى أعمال الإصلاح ، وقد جاء فى ذلك
المقال : ان المعاهدة توجب أشياء ، وتبيح أشياء ، وبعض هذا أهم ، وأولى
بالتقديم من البعض الآخر فمن الأهم بناء الثكنات وانشاء الطرق ليتسنى أن
ينتقل الجيش البريطانى الى معسكراته الجديدة خارج العاصمة ، وإعادة تنظيم
الجيش المصرى وتقويته وتسليحه بالأدوات الحديثة ، لتكون لنا - فى وقت
معقول - قوة كافية للدفاع عن البلاد ، ضد كل عدوان عليها ، وليتيسر أن
ترحل القوات البريطانية من بلادنا اكتفاء بما عندنا ، من وسائل الدفاع ،
وليس ثمة أى وجه ، أو عذر للتهاون فى ذلك أو الاحتجاج للتقصير فيه
بأى سبب من الأسباب ، لكثرة النفقات وقلة الموارد ، وشحها ، فان
أمة تقصر فى اعداد العدة للذود عن كيانها ، لا يمكن أن تكون أهلا ، للاستقلال
الذى تسعى له ، وتلج فى طلبه مهما كلفتها هذه العدة من مال وجهد • ولا تعد
- اذا تهاونت - الا عابثة هازلة • ونحن نربأ بأنفسنا أن نكون هازلين •

وينهى البلاغ مقاله هذا بالعبارة التالية : كل ما نريد أن نقوله ، ان الامتحان
الذى نجتاز دوره الآن يشهده عالم كبير وأن علينا أن نجتازه بما يحقق الأمل
فيما ، ويولد الثقة بنا ، ويفرى بالتعويل علينا ، ويصد عن الطمع فيما ، ولا سبيل
الى ذلك بغير الجهد ، والاخلاص وتقديم الأهم ، على المهم ، أو السار ، أو الخلاب
المظهر ، وتعهد المرافق الحيوية بالإصلاح ، والترقية ورفع مستوى الأمة ماليا
وصحيا وعلميا •

ان البلاغ الذى حمل أثناء المفاوضات لعقد المعاهدة على التكليف الباهظة ، التى سيتحملها الشعب بقيامه ببناء ثكنات الجيش البريطانى على نفقته ، لم يتردد عندها أصبحت المعاهدة نافذة المفعول وبعد أن أقرها ممثلو الشعب ، فى المطالبة بتعجيل بناء الثكنات : بناء الثكنات التى كان يعارضها .

وذلك فى رأى أسلوب من أرفع أساليب المعارضة الموضوعية البناء ، وفى نفس الوقت نزول عند حكم الشعب فيما ارتآه من التوقيع على المعاهدة .

واذا كان البلاغ قد اشتد فى حملته على القمصان الزرقاء ، وتتبع - بالنشر - كل ما نسب الى بعض المنتسبين اليها من أخطاء ، وجرائم ، على النحو الذى فصلناه فيما سبق ، فان البلاغ لم يكن يتردد أبدا فى نشر كل التصريحات والتصويبات ، والبيانات التى ترسلها اليه قيادة القمصان الزرقاء ، فليس معنى معارضة موضوع معين أن يقلل باب النشر أمام الجهة التى تعارضها ؛ بل على العكس ، كان - البلاغ - وقد كان الحق معه - يرى أن من حق قارئه عليه أن يعرف الرأى الآخر معرفته للرأى الذى تنادى به البلاغ ، أى أن البلاغ كان يرى - وكان الحق معه فيما يراه أيضا - أن من حق أية جهة تناولتها ، المعارضة بالنقد أن ترد على كل ما وجه اليها ، وأن يحظى الرد بأهمية لا تقل أبدا عن الأهمية التى أعطاها البلاغ لرأى القائمين على أمره .



فى الوقت الذى كان البلاغ ينشر فيه : مشاجرة خطيرة بين فريقين من ذوى القمصان الزرق ، اصابة ٧ أشخاص أجدهم ، أصيب بضربة خنجر ، وشروع فى قتل زميله لابس قميص أزرق ، الجانى يذهب الى المجنى عليه فى داره ويطعنه بالخنجر . حوادث دمنهور الدامية بين القمصان الزرقاء ، والقمصان الخضراء ، ومشاجرات القمصان الزرقاء ، كان البلاغ ينشر مقالات عن القمصان الزرق من بينها مقال بعنوان : عنوان مجد مصر « ٤ نوفمبر ١٩٣٦ » تولى كاتبه الدفاع عن لابسى القمصان الزرقاء ، أمام حملات الصحف الأجنبية على القميص الأزرق بدون مبرر . وقد جاء فى هذا المقال : هذه الدعايات التى تقوم بها الصحف الأجنبية تسيء الى مصر ، والمصريين ، والى القميص الأزرق بوجه خاص ، ولا ندرى على أى وجه تقوم تلك الحملات المتتابة : أيريدون تقويض هذه الفرق الوطنية ؟ أيريدون فناءها ؟ كما تنشر فى ٥ ديسمبر ١٩٣٦ بيانا مستفيضا للأستاذ زهير صبرى صاحب فكرة القمصان الزرقاء ، كما يقول البيان ، ويشير الأستاذ زهير صبرى فى بيانه هذا الذى نشره البلاغ فى مكان بارز الى أنه لا يرأس أى فريق من الفريقين المتنازعين ، والمختلفين ، وكل ما هنالك أننى رئيس رابطة الشبان الوفديين . وهذه تشكيلات يعود تاريخها الى عام ١٩٣٢ وأما فكرة تكوين فرق ذوى القمصان الزرقاء فقد دعوت لجان الشبان الوفديين الى مؤتمر وأشارت عليهم بالانخراط فى صفوفها و . . و . .

ويقول الأستاذ زهير صبرى أيضا انى من الذين يرون الابقاء على هذه الفرق ، مع اصلاح شأنها ، ونظامها لتكون فرقا رياضية بحتة ، ويدعو الأستاذ زهير صبرى فريقي القمصان الزرقاء ، اللذين ينتميان الى الوفد أن يتركوا التنابز والشقاق حتى لا يفسدوا الغرض من تكوينهم . . . كما ينشر البلاغ أيضا تكديبا صادرا من الأديب أحمد أفندى الشافعى سكرتير القيادة العامة لفرق ذوى القمصان الزرقاء ، ينفى وجود علاقة بين صبحى رمضان ، المتهم فى حادث الاعتداء على محمد محمد النشار ، فى شبرا بفرق القمصان الزرقاء ، كما ينشر البلاغ أيضا بيانا للأديب على عبد الحليم أفندى السكرتير السابق بالمعسكر العام لمركز القيادة لفرق القمصان الزرقاء يرد فيه على بيان أحمد الشافعى ، كما ينشر البلاغ أيضا بيانا للأديب محمد بلال أفندى ردا على بيانى على عبد الحليم ، ومصطفى صقر ، بل أنه ينشر ردا من على عبد الحليم ومصطفى صقر ، على بيان محمد بلال و . . . و . . .



والذى لاحظته من قراءاتى الجديدة للبلاغ ، أنه لم يكن يعارض النحاس باشا عندما يكون فى الخارج فى مهمة قومية ، بل لقد كان يحرص على أن يولى أخباره - فى الخارج - أهمية خاصة ، وكان يحرص ، على نشر أخبار إستقباله فى مصر اثر عودته ، من الخارج ، كما أنه كان يولى أيضا أهمية لأخبار من يعارض البلاغ بل وصورهم أيضا ، أى أنه لم يكن يقطع أخبار معارضيه حرصا منه على أن يكون وفيا لقرائه ، فلا يحجب عنهم أى خبر ، ومن رأى أن هذا الأسلوب الرائع فى المعارضة كان فى مقدمة الأسباب التى أدت الى نجاح البلاغ كجريدة يومية يقرؤها المعارضون ، والمؤيدون بل المؤيدون قبل المعارضين .

وللحقيقة ، وللتاريخ ، أقول أن الصحفيين المؤيدين ، والمعارضين وقتئذ ، كانوا قما فى المعارضة والتأييد : يتبادلون فى الصباح وفى المساء ، ومن خلال الصحف ، الحملات ، العنيفة والقاسية ، بل والجارحة فى بعض الأحيان ولكن الخلاف أو الاختلاف فى رأى ، لا يفسد ما بينهم ، وبين بعضهم من ود ، اذ كانت العلاقات بين الصحفيين المؤيدين والمعارضين ، على المستوى الشخصى ، كانت فى الغالب قوية ، بل انهم غالبا ما كانوا يجتمعون ليلا ، ناسين أو متناسين الحملات ، التى يقومون بها ، ضد بعضهم ذلك لانهم يؤمنون بأن ما بينهم وبين بعضهم على المستوى الشخصى ينبغى أن تقوى أو اصره ، وان اختلفت آراؤهم ، واتجاهاتهم السياسية ، والحزبية ، ان الخلاف أو الاختلاف فى رأى - من وجهة نظرهم - لم يكن أبدا أكثر من أمور طارئة ينبغى ألا تؤثر فى علاقاتهم ، الشخصية كما أن هذا الخلاف أو الاختلاف فى رأى لا ينبغى أن يتحول الى معارك عنيفة تنتقل آثارها الى علاقات الاخوة ، والزمالة ، التى تربط بعضهم بعضا .

وأعود الى الحديث عن البلاغ لأقول انه كان يولى أهمية خاصة بالدكتور أحمد ماهر ، وبالنقراشي حتى قبل أن يبدو أى ضوء ينبىء عن توقع حدوث خلاف بينهما ، وبين النحاس باشا : أكانت تلك الأهمية الخاصة نتيجة روابط شخصية تربط صاحب البلاغ بالنقراشي ، وأحمد ماهر ؟ أم كانت تلك الأهمية نتيجة لما اتصف به صاحب البلاغ من بعد نظر فى كل ما يتعلق بمسار السياسة المصرية ، واتجاهاتها ؟ سؤالا لم أستطع أن أقطع فى الاجابة عنهما برأى حاسم !

على أية حال ، فان موقف البلاغ من وزارتي النحاس ، الثالثة والرابعة كان كما سبق أن ذكرت فى مقدمة الأسباب التى أدت الى تعجيل القصر باقالة الوزارة الوفدية كما كان فى مقدمة الأسباب التى مهدت الجو الشعبى لتقبل تلك الاقالة ، أو على الأقل ، لعدم حدوث مضاعفات شعبية بعد الالتجاء الى الاقالة ، وهناك اجماع على أن البلاغ استطاع أن يدق مسمارا هاما ، وخطيرا فى نعش الوزارة النحاسية الرابعة .



والحديث عن دور روز اليوسف ، فى اضعاف الوزارة النحاسية الرابعة ، يحتاج الى أكثر من فصل ذلك ان العلاقات ، بين الوفد ، وروز اليوسف لم تكن دائما علاقات طيبة فى أكثر المراحل . التى أيدت فيها روز اليوسف ، الوفد ، فما أكثر الحملات التى قادتها روز اليوسف ، ضد خصوم الوفد ، وفى نفس الوقت ما أكثر الحملات التى قادتها روز اليوسف ، ضد الوفد ، وليس المجال هنا مجال تاريخ علاقة روز اليوسف بالوفد ، تأييدا أو معارضة ، ويكفى أن أشير - مجرد اشارة - الى تلك العلاقات من واقع ذكريات الأستاذة فاطمة اليوسف ، وقد بدأت مجلة روز اليوسف فنية ، ثم تحولت بعد مائة وأربعة وثلاثين عددا الى مجلة سياسية . عندما أقال الملك أحمد فؤاد وزارة مصطفى النحاس ، وعهد بالحكم الى محمد محمود باشا اذ نشرت المجلة صورة كاريكاتيرية تمثل محمد محمود يدوس على الدستور وهو صاعد الى مقعد الوزارة ، وقد صودر العدد وكانت المصادرة - كما قالت السيدة فاطمة اليوسف - قد بدت لى غريبة بل مثيرة للأعصاب الى أقصى حد ، وذهبت فاطمة اليوسف ، الى النحاس باشا زعيم الأمة فى بيت الأمة بغير موعد سابق ولا استعداد ، لتروى له قصة مصادرة المجلة بعد أن قدمت له نسخة كانت تحملها من العدد المصادر وكان النحاس باشا ، ومكرم عبيد جالسين معا ، وحولهما بقية أعضاء الوفد الكبار ، وقال مكرم عبيد للسيدة فاطمة اليوسف : لك الفخار يا سيدتى : وقد سارت هذه الكلمة ، كما قالت السيدة فاطمة اليوسف - بعد ذلك مثلا - واستدعى مصطفى النحاس بعض المحامين الشبان منهم محمد صلاح الدين ، وصبرى أبو علم ، وسليمان غنام . وكلفهم برفع دعوى مستعجلة بطلب الافراج فلما رفضت الدعوى عاد

المحامون فطالبوا بالتعويض وحكمت المحكمة على الحكومة بمائتي جنيه كتعويض:
قرش صاغ واحد ، عن كل عدد من ال ٢٠٠٠٠ نسخة المصادرة !

وتوثقت الصلة بين النحاس وفاطمة اليوسف حتى أنه عندما أعلنت خطبة النحاس ، الى الآنسة زينب الوكيل نشرت روز اليوسف بعض تفاصيل شخصية عن حياة النحاس ، وأنواع الأطعمة التي يفضلها ، وجهه الخاص للبن الزبادي و . . و . . فاذا بالنحاس يحدث السيدة فاطمة اليوسف تليفونيا ، غاضبا ليقول لها : « ياست هو أنا زى أمينة البارودي ، وسهير رياض عشان تنشروا عنى الأخبار دى » يريد بذلك أنه ليس من زهرات المجتمع البارزات حتى تروى عنه هذه القصص .



وتبقى روز اليوسف ما يزيد على السنوات السبع معارضة ، مؤيدة للوفد . وقد زار النحاس باشا ، ومعه مكرم عبيد ، دار روز اليوسف ، وخطب مكرم خطبة رنانة في عمال مطابع روز اليوسف . وكانت تلك الزيارة تكريما لروز اليوسف على كفاحها الوطنى حيث كانت السلطات لا تكف عن مصادرتها وتزج برؤساء تحريرها في السجون ، فى عدد غير قليل من القضايا .

بعد أن ألف نسيم باشا وزارته كتبت السيدة فاطمة اليوسف خطابا مفتوحا الى الملك فؤاد تطالبه فيه باعادة الدستور ، وانهاء الحالة الشاذة القائمة واستدعائها مكرم عبيد ليسألها عن طلب منها كتابة هذا الخطاب . ودارت بينهما مناقشة طويلة قالت فيها السيدة فاطمة اليوسف ، انها تعبر عن رأيها الخاص وبعد فترة رأت السيدة فاطمة اليوسف أن تصدر روز اليوسف أسبوعية ، ويومية ، وتروى السيدة فاطمة اليوسف أنها عندما عرضت على الأستاذ عباس محمود العقاد ، الانضمام الى أسرة روز اليوسف اليومية رفض فى البداية العرض ، لانه لا يقبل أن يعمل فى جرنال يحمل « اسم » واحدة ست ثم عاد الأستاذ العقاد موضحا وجهة نظره ، عندما عاتبته السيدة فاطمة اليوسف فقال ان اعتراضه كان على تسمية الجريدة باسم شخص . أيا كان ولو كانت الجريدة تحمل اسم سعد زغلول نفسه ، لأبدى تلك الملاحظة .



ولم يعجب النحاس باشا معارضة جريدة روز اليوسف الأسبوعية لوزارة توفيق نسيم واستدعى السيدة فاطمة اليوسف ليلبى لها اعتراضه على معارضة وزارة نسيم قائلا لها : أنا ماحبش تناقشيني فى السياسة ، انتى يعنى عايزه محمد محمود وصدقى يرجعوا : احنا تعبنا ، وتقول السيدة فاطمة اليوسف : وخرجت قبل أن يتم حديثه ، وكلمته « احنا تعبنا » ، التى أسمعها منه لأول مرة

ترن في أذني ، وقد شعرت أن هناك شيئا يباعد ، بيني وبين الوفد وان بقيت
المجلة وفدية .



وصدرت بخريدة روز اليوسف اليومية ٢٥ مارس ١٩٣٥ ، وبدأت المتاعب مع الوفد الذي تؤيده الجريدة ، وكان سبب تلك المتاعب ، أن الوفد يؤيد وزارة توفيق نسيم باشا ، بينما تعارضها روز اليوسف ، وكان العقاد ، قد سن قلمه الحاد لمهاجمة نسيم باشا بكل عنف ، وأبدى مكرم عبيد باشا أن الوفد غير راض عن سياسة روز اليوسف ، وهدد الجريدة بأنه سوف يصدر بيانا ضدها اذا استمرت الجريدة في الهجوم على وزارة توفيق نسيم . وكتبت فاطمة اليوسف خطابا الى مكرم عبيد توضح فيه سياسية الجريدة وقالت في خطابها : لقد ضحيت مختارة بكل ما أملك من مال ونشاط في سبيل الوفد ، وقد لاقيت في هذا السبيل ، كافة أنواع العنف ، والجور من مختلف الوزارات التي تقلبت في الحكم ، ولم أكن يوما في جهادي عن مصر ، وفي دفاعي عن الوفد ، مدفوعة بدافع غير الوطنية الصميمة ، ولم ألتخذ من هذا الجهاد وسيلة لأكل العيش ، والله والوطن فيهما العزاء ، فيما لاقيت وما سألني .

ورد مكرم عبيد على رسالة السيدة فاطمة اليوسف في ١٢ أغسطس ١٩٣٥ ، قائلا : انه عرض رسالتها على دولة الرئيس الجليل فأكده له أن الوفد غير راض عن خطة الجريدة ثم قال : « انك لتعلمين ان الوفد لا يحجر على حرية انسان ما ، أو صحيفة ما ، ولكن اذا رأيت احدى الصحف المنتمة للوفد ، أن تنتهج خطة تغاير خطة الوفد فعليها أن تتحمل نتائج ما تنتهج » .

وأوعز مكرم عبيد ، الى صحيفة « الجهاد » بأن تهدد - بطريق غير واضح - « روز اليوسف » بنشر قوائم المصروفات السرية ، التي كانت تعطيها الوزارات السابقة للصحفيين » .

وردت روز اليوسف ، ملحة على الوزارة القائمة بأن تنشر قوائم المصروفات السرية ، ثم تحدثت الوزارة ، في أكثر من مرة مطالبة بنشر تلك القوائم ، ولكن الوزارة النسيجية لم تقبل الدخول في معركة تحد ضد روز اليوسف .

وبعد ، الغمز ، واللمز ، راحت الجهاد تهاجم روز اليوسف ، مطلقة على أسرة تحريرها اسم « فرقة روز اليوسف » ، وتولت روز اليوسف الرد على هجوم صحيفة الجهاد الوفدية بعنف شديد ، وتوسطت السيدة الجليلة أم المصريين من أجل وقف حملة الجهاد ، على روز اليوسف ، وحملة روز اليوسف على الجهاد .



وتوقفت روز اليوسف ، ولكن الجهاد لم يتوقف بل لقد زاد في هجومه على روز اليوسف وعلى الاستاذ العقاد ، الى أبعد مدى حتى لقد وصف الاستاذ

محمد توفيق دياب ، صاحب الجهاد ورئيس تحريره الاستاذ عباس محمود العقاد
بأنه مصاب بالبارانويا والجنون .

وخرجت الجهاد ، وروز اليوسف على غير المألوف في الجو الصخفي من
ضرورة وقف الحملات ، عند حد معقول أو مقبول ! ..

وأخيرا وبعد اجتماع للوفد المصرى استغرق أربع ساعات ونصف الساعة
اشتمت فيه المناقشات قرر الوفد فصل روز اليوسف لانها قد اجترأت على نشر
مقالات تتضمن الطعن على الوفد ومكانته من الأمة ولذلك فان هذه الجريدة ،
لا تمثل الوفد فى شىء ولا صلة لها به .

وكان قرار الفصل فى ٢٨ سبتمبر ١٩٣٥ .

ولم تخف روز اليوسف ولم ترتجف من قرار الفصل هذا ، بل على العكس
أصدرت ملحقا خاصا ، يحمل عنوانا ساخرا جاء فيه : الوفد المصرى يحل
القضية المصرية : جلسة خطيرة يحضر لها من الاسكندرية .

وفى العدد الخاص نشرت روز اليوسف آية كريمة - اختارها الاستاذ
كامل الشناوى وهى « قول الله تعالى » : قد افترينا على الله كذبا أن عدنا فى
ملككم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها ، الا أن يشاء الله ،
ربنا ، وسع ربنا كل شىء علما » - صدق الله العظيم - ونشرت روز اليوسف
كلمة سعد زغلول الخالدة : الصحافة حرة تقول فى حدود القانون ، ما تشاء ،
وتنتقد ما تريد ، وليس من رأى أن نسألها لماذا تنتقدنا بل الواجب ، أن
نسأل أنفسنا ، لم نفعل ما تنتقدنا عليه ؟



وكان أعضاء الوفد المصرى قد قدموا من الاسكندرية الى القاهرة خصيصا
لاتخاذ قرار بفصل روز اليوسف ولما عادوا الى الاسكندرية انقلب المودعون
للنحاس باشا وزملائه فى محطة القاهرة الى مهاجمين لروز اليوسف ومنادين
بحياة النحاس .

وتحيط الجماهير بدار روز اليوسف وتخرج اليهم صاحبتها لتهتف
بسقوط النحاس ، ومكرم .

وعنفت المعركة بين الوفد وروز اليوسف ووجدت روز اليوسف الجماهير
الشعبية المريضة تقف الى جانبها ضد الوفد .

ولجات وزارة توفيق نسيم فى مخاربة روز اليوسف الى كثير من الوسائل ،
غير المشروعة ومن بينها دفع مبالغ ضخمة لمتهدى الصحف ليتلاعبوا فى توزيع
الجريدة .

وقامت ثورة الشباب في نوفمبر ١٩٣٥ ، وتبنت روز اليوسف هذه الثورة وراحت تبذل قصارى جهدها للبقاء على جذوتها مشتتة ، وعاد دستور ١٩٢٣ وتولى على ماهر الوزارة . وكانت خسائر روز اليوسف اليومية - كما تقول السيدة فاطمة اليوسف في مذكراتها - قد وصلت الى مبلغ ٢٦ ألف جنيه غير ستة آلاف جنيه لتجار الورق ، وألفين لبنك مصر ، و ٠٠ وقامت فاطمة اليوسف برهن مصوغاتها ، ومن بينها سوار ورثته عن أمها و ٠٠ وكانت حجوزات كثيرة ، تعرضت لها صاحبة روز اليوسف من بينها حجز على ملابسها الداخلية كما أصر صاحب الحجز وكان صحفيا مرموقا ، بكل أسف ٠٠



وجاءت وزارة النحاس ، وبلغ الاضطهاد الوفدي القمة ، وصدر قرار من مجلس الوزراء بإلغاء رخصة روز اليوسف اليومية ، لأنها لا تصدر بانتظام ، وإذا كانت الجريدة اليومية قد عطلت فإن الجريدة الأسبوعية ، قد انطلقت رغم أن الحكومة الوفدية قد راحت تحاربها بل وتحرض من كان ضامنا لها على سحب ضمانه ، وتعرضت روز اليوسف الأسبوعية لمحنة إذ كان لابد من أن تدفع السيدة فاطمة اليوسف مبلغ الضمان ١٥٠ جنيها والا أغلقت أيضا ، ولكن فاطمة اليوسف بذلت المستحيل ، وقاومت ودفعت الضمان بعد أن أقرضها أحد المعلنين مبلغ مائة جنيه وبعد أن أرسل إليها مصطفى القشاشي صاحب الصباح كمية من الورق ، باعها بخمسين جنيها ، بل أكثر من ذلك سيقت السيدة فاطمة اليوسف الى السجن ، سجن النساء ، وفي الصباح زارها كثيرون من بينهم ابنها احسان عبد القدوس ، وكان وقتئذ تلميذا في مدرسة فؤاد الأول الثانوية .

واضطرت الحكومة ، أن تفرج عن فاطمة اليوسف فلقد كان اعتقال سيدة صحفية ، ووضعها في السجن ، شيئا جديدا على الصحافة الشرقية ٠٠



.. وللحقية وللتاريخ نقول أن روز اليوسف « المجلة » و « السيدة » ، لم تلن لهما قناة رغم كل صنوف التعذيب والاضطهاد ، ومازلت أذكر تعليقاً رائعاً كتبته روز اليوسف على ما نالها من ضغط كان عنوانه : أقوياء كما كنا ، راسخون كما بدأنا » وقد جاء في هذا التعليق : تألبي علينا أيتها الوزارة ، واحشدي قواتك ورجالك وافعلي أكثر مما فعلت ، وضاعفي عسكرك ، وغضبك وانزلي بنا مقتلك ، ونسخطك وابتكري أساليب من الظلم ، والاضطهاد ، وصادري وعطلي ، وهيتي ، الحبال و « احضري » أساور الحديد تضعينها في أعناقنا ، وأيدينا ، افعلي ذلك وأضعاف ذلك فإن هذا البلاء ، كله لن يوازي راحة الضمير التي

ننعم فيها ولن نفضل على بلاء النفوس : نفوس الذين باعوا ضمائرهم وأقلامهم لك ولاساليبك الباطشة أما انتم يا قراءنا الأوفياء هاكم روز اليوسف الاسبوعية قوية كما كانت ، راسخة كما بدأت ، مجاهدة ، كما عهدتموها ، لم ولن يؤثر فيها قرع الطبول ولا دق السيوف ولا دوى المدافع ، ولا رنين الذهب .



وعندما قطعت الحكومة عن روز اليوسف حق نشر الاعلانات القضائية ونقول حق نشر الاعلانات القضائية ، لان نشر الاعلانات القضائية ، حق ثابت لكل صحيفة لها قراؤها ، كتبت روز اليوسف معلقة على ذلك القرار العجيب والظالم فى نفس الوقت تقول :

فى هذا العهد الدستورى يعود مدير المطبوعات يساوم الضمائر ، لبيع فيها ويشتري باسم الحكومة ، ويبذل للصحافة « نصائح الثمينة » ويلوح امامها ينقود الخزانة التى هى من أموال الشعب ، لينفقها على هذه ، ويفرى تلك من الصحف . نحن لانهاذن الباطل ، من أجل كنوز الأرض كلها ، وليساوم من يشاء ، ان يساومه ، وقد عشنا أغلب حياتنا الصحفية محرومين - باختيارنا - من صداقة الحكومات المتتابة وما يلحق بهذه الصداقة من اعلانات وأموال سرية ، وعلنية ، وخدمات مشروعة وغير مشروعة فلننصف الحكومة الحاضرة الى قائمة الحكومات السابقة .



وتعبر روز اليوسف عن دستور عملها قائلة : اذا كانت الحكومة على حق : صفقنا لها ، لأنها على حق لا لأنها تعطى تقودا واذا كانت على باطل هدمناها ولو تشفعت لنا بالحمسة والثلاثين مليوناً التى هى مجموع ايراداتها .

وتبالغ حكومة الوفد - حكومة الأغلبية الشعبية - والبرلمانية - فى ايذاء روز اليوسف فتقطع عنها امتياز تليفونها المجانى ، الممنوح لكل الصحف ، حتى تلك التى لا تصدر الا حسب التساهيل وتحرمها من حقها فى صرف تذاكر السكة الحديد ، نصف المجانية التى كانت حقاً مباحاً لكل صحفى ، أى صحفى .

وقد كانت الحكومة تضطهد روز اليوسف ، ولكن كثيرين لم يكونوا يعبأون بهذا الاضطهاد بل كانوا يمدون يدهم لمساعدة روز اليوسف غير خائفين من « غول الحكومة » وفى مقدمة هؤلاء طلعت حرب الذى لم يكتف بتأجيل سداد ديون بنك مصر ، على روز اليوسف وانما أقرضها مبلغاً كبيراً من المال ، أعانها على سداد المطلوب منها ، يوم تخلى عنها - كما قالت فى رسالة خاصة بعثت بها الى طلعت حرب - كل انسان فى محنتها التى نزلت بها لانها جهرت

بعقيدتها ، ولأننى جعلت من صحيفتى ميدانا لأصحاب الأقلام الحرة ، بل ان روز اليوسف ، لتعرض على طلعت حرب الضمان لسداد ديونها ، أن تتفق مع شركة مصر ، للتمثيل السينمائى على اخراج شريط سينمائى تمثل فيه مع شدة مشاغلها ، ومتاعبها ، وتقول فاطمة اليوسف انها قد اتفقت مع أحمد سالم مدير شركة مصر للتمثيل والسينما على أن كل الشروط التى يضعها خاصا بالشريط السينمائى - الفيلم - الذى سوف تمثله وفاء لديونها على بنك مصر ويوافق عليها طلعت حرب باشا سوف تقبلها بلا نظرة واستعادة أو قراءة ، أى بدون قيد أو شرط من قبلها . . وتنتهى فاطمة اليوسف رسالتها الى طلعت حرب باشا قائلة : ليس يعنى هذا بحال من الأحوال أننى أتوقف عن وضعها فى أعظم رجل فى مصر .

أو يوافق عليها طلعت حرب باشا سوف تقبلها بلا نظرة أو استعادة أو قراءة ، أى بدون قيد أو شرط من قبلها . . وتنتهى فاطمة اليوسف رسالتها الى طلعت حرب باشا قائلة ق ليس يعنى هذا بحال من الاحوال اننى اتوقف عن سداد الأقساط ، حتى يتم ذلك بل اننى لاأبدل المستحيل لاستمرار الوفاء وشهد مالمالقاء من التعب اذ أحاول ذلك ولا أفعل هذا كله الا لكيلا أضيع عبثا ثقة وضعها فى أعظم رجل فى مصر .



واذا كان لى من تعليق على تلك الازمة المالية الطاحنة التى تعرضت لها روز اليوسف الصحفية ، بسبب موقفها من الوفد المصرى كحزب ، وموقف الوفد المصرى منها كصحفية كانت تؤيده ، ثم اختلفت معه ، فأننى أقول أن من العيوب التى تأخذها ، على الوفد المصرى ، أنه كان يستخدم السلاح المادى - وهو أكثر أنواع الاسلحة رهبة - للضغط على خصومة السياسيين وبخاصة أولئك الذين كانوا معه ، ثم خرجوا عليه ، أو أخرجوا من حظيرته .

ومازلت حتى هذه الساعة ، اذكر مواقف متشابهة لسعد زغلول باشا رئيس الوفد المصرى من حليفه سنوات وسنوات ، وخصمه السياسى فيها بعد أمين الرافعى ، أحد اقطاب الوطنية المصرية وشهيد الصحافة المصرية ، والعربية ، بلا جدال . .



وامين الرافعى من أصدق واوفى تلاميذ مصطفى كامل ومحمد فريد ، نشأ فى حجر الحزب الوطنى منذ أن كان طالبا فى مدرسة الحقوق الخديوية . ثم أصبح من أبرز كتاب الحزب الوطنى ، ورئيسا لتحرير جريدة الشعب -

بعد الاختلاف الذى نشب بين صفوف ورثة مصطفى كامل حول ملكية اللواء - وعندما قامت الحرب العالمية الأولى وأعلنت قوات الاحتلال الحماية على مصر فى ٢ نوفمبر ١٩١٤ وكان لابد من ان تنشر الصحف المصرية ، الخاضعة لرقابة الاحتلال البريطانى البيان الخاص باعلان الحماية البريطانية على مصر ، وبعد مداولة قصيرة بين أمين الرافعى ، وشقيقه عبد الرحمن الرافعى ، وعبد الله طلعت بك مدير الجريدة ثم الاتفاق على اغلاق جريدة الشعب حتى لا تنشر الجريدة اعلان الحماية المشئوم ، والبلاغات التى تتبع الحماية البريطانية ، ووقع أمين قرار اغلاق الجريدة ، فى وقت بلغت فيه ذروة النجاح والانتشار ، والرواج ، والمكانة الصحفية اذ كانت أوسع الجرائد انتشارا وكان الجمهور يتلقفها كل صباح وأعلنت الجريدة - جريدة الشعب - فى ٢٧ نوفمبر ١٩١٤ انها ستحتجب من اليوم ، وانها ستعود الى الظهور بمشيئة الله ، وكان قرار أمين الرافعى باغلاق جريدة الشعب كما أجمع المؤرخون اول احتجاج مصرى على الحماية البريطانية .



ويعتقل أمين الرافعى ، وشقيقه عبد الرحمن الرافعى فى طرة ، ثم يفرج عنهما ويطلب السلطان حسين من أمين الرافعى عند لقائه به ، وشقيقه غداة الافراج عنهما أن يصدر جريدة الشعب فيقول أمين الرافعى : عندما يقرر الحزب الوطنى اصدار الجريدة سوف نصدرها .

وفى ٢٢ فبراير ١٩٢٠ - فى عنفوان اشتداد ثورة ١٩١٩ - يصدر أمين الرافعى جريدة الأخبار عن طريق شركة الصحافة الوطنية - توصية بالأسهم ، رأسمالها عشرة آلاف جنيه ، وكان يرأس الشركة فؤاد سلطان بك ، نجل عمر باشا سلطان أحد أصدقاء مصطفى كامل الحميمين ، وأحد كبار أنصاره ، وكان فؤاد سلطان وقتئذ وكيلًا لبنك مصر ، وكان سعد زغلول باشا وقتئذ فى باريس فأبرق مهنئًا أمين الرافعى بصدور الأخبار داعيًا له بالتوفيق ، والنجاح راجيا أن تؤثر الصحيفة فى الجمهور أثرا محمودا وأن يقضى بها على الأضاليل التى يبثها المهووسون فى العقول والأوهام التى يوسوسون بها فى الصدور وأن تكون خيرا للغاية الشريفة التى نسعى إليها ، ويطلب سعد زغلول من عبد الرحمن فهمى بك أحد أقطاب اللجنة المركزية للوفد وقتئذ العمل على أن تكون جريدة الأخبار أول من يقود رأى العام لانها معتبرة جريدة الوفد المعبرة ، عن أفكاره وخططه وقلم محررها الفاضل - أمين الرافعى بك - أقدر الأقلام على التعبير عن هذه المقاصد ، فعليك - هكذا يخاطب سعد - عبد الرحمن فهمى - أن تهز همة أمين الرافعى ، وأن تبغله بأننا ننتظر من وطنيته وحسن تقديره لمنفعة

القضية أن تخصص كل يوم ، مقالة في هذا الموضوع ، حملة صحفية لتأييد المطالب الوطنية المصرية - وليس ذلك على كفاءته بكثير ،



ويكتب سعد الى عبد الرحمن فهمي في ٧ مايو ١٩٢٠ قائلا : قرأت في جريدة الأخبار حملة يدافع فيها حضرة أمين بك الرافعي ، بقلمه البليغ عن الوفد وأعضائه ، ويخطيء الخارجين عليه ، والناقدين لخطته فارتحت لنفاذها لأنها الأولى من نوعها وأرجو أن يستمر حضرة الكاتب الموما اليه - هكذا في أصل الخطاب - فيما ابتدأه لأنه لا يكفي أن يسكت عن هذا الموضوع ويترك القلم فيه لغيره ممن لا يعرفون الحقيقة منله ولا يحكمون الدفاع مثل احكامه ، وينبغي ألا يتركوا الرأي العام يطيش مع الطائشين أو يخمد مع القاترين وأن تسلكوا الوسط بين السبيلين والله ولي التوفيق .

ويرسل سعد الى أمين الرافعي برقية ينشرها في الأخبار يقول فيها : الرافعي بك مدير الأخبار بالقاهرة ان مقالاتكم عن خطة الوفد تستوجب موافقتي وهي جديرة ، بكل أنواع المديح فأشكركم ، سعد زغلول .

وتتحدث صحيفة كوكب الشرق « الوفدية » عن صحيفة الأخبار فتقول : كان أمين بك الرافعي أول من بايع الأخبار لسان حال الوفد الشبية بالرسمي ، وبلغت مقطوعة « توزيع » الأخبار اليومية أعظم عدد استطاعت أن تخرجه المطابع ، وتوزعه صحيفة في مصر وكان مراسلو الصحف الانجليزية في مصر يتسابقون الى ادارة جريدة الأخبار عليهم يظفرون بخبر ، أو تعليق أو رأي من الزعيم الصحفي « أمين الرافعي » في ذلك الحين يبرقونه الى صحفهم ..



ويخوض أمين الرافعي ، أعنف المعارك دفاعا عن سعد زغلول عندما اختلف معه أكثرية أعضاء الوفد المصري وعندما يعتقل سعد زغلول للمرة الثانية ، وينفي .. يقود أمين الرافعي أعنف الحملات مطالبا بالافراج عنه ، و .. و ..

ثم يختلف أمين مع سعد ، اختلافا موضوعيا بحثا . كان سعد زغلول لا يرى الدخول في مقايضة رسمية مع بريطانيا دون النظر الى مطالب الشعب التي أبداهها في صورة تحفظات على مشروع ملنر ، ثم رأى العلول عن رأيه

فى هذا وعارضه أمين الرافعى ، وأصر على ضرورة تعديل أساس المفاوضات قبل الدخول فيها ويطلب أمين الرافعى من سعد زغلول الا يقبل اية مفاوضة مع بريطانيا الا اذا اعترفت مسبقا بالحقوق الرئيسية لشعب مصر بما فيه حريته واستقلاله .

ويحاول سعد زغلول اقناع أمين الرافعى بالعدول عن معارضته لخطه الوفد ولكن امينا لم يقبل فتكون القطيعة وبكل أسف لا يقف الخلاف عند الحد الطبيعى فى مثل خلافات الرأى ويجند الوفد المصرى مظاهرات ضد أمين الرافعى ، لعل القوة تقنعه اذا لم يقنع بالنقاش ! ولكن أمينا كصاحب رأى وعقيدة لا تقنعه القوة .



ويحاول وسطاء الخير اقناع أمين بالعدول عن رأيه فلا يقتنع أيضا كما يحاول هؤلاء الوسطاء اقناع سعد زغلول بعدم الالتجاء الى القوة لدفع أمين الرافعى الى السكوت فلا يقبل سعد ، ويشتد الصراع بين الوفد وأمين الرافعى ويقول سعد زغلول مخاطباً الجماهير ذات مرة : لا تقرأوا جريدة الأخبار فانا أقرأها نيابة عنكم ، . ويهبط توزيع الأخبار من أعلى رقم فى الصحافة المصرية وقتئذ الى أدنى رقم خاصة وكان المعهد الوحيد لتوزيع الصحف متأثرا ، الى أبعد حدود التأثير بالوفد المصرى اما لانه يخشى جماهيره العريضة واما لانه يريد أن يكسبه الى جانبه كقوة سياسية ، ولذلك فقد كان يعمد الى حجز جريدة الأخبار فى المخازن والى عدم عرضها فى السوق ، الأمر الذى عرض الأخبار لازمة مالية عنيفة قضت أو أوشكت أن تقضى عليها ويستنمع سعد زغلول عن بعض تلك الأزمات المالية ، التى تعرض لها أمين الرافعى والأخبار فيعرض مساعدته على أمين الرافعى ويرفض أمين الرافعى مساعدة سعد زغلول قائلا فى رسالة مؤرخة فى سبتمبر ١٩٢٣ : وقع لى أحسن وأعظم وقع ما علمته من استعداد معاليكم لاقراضى مبلغا كبيرا من المال أعالج به الأزمة التى تجتاز الأخبار الآن على أن أردده عندما تتحسن حالة الجريدة وانى لعاجز عن أداء واجب الشكر لكم حيال النفسية الكبيرة التى دفعتكم الى ذلك وأرجو أن يكون اعترافى بالقصور خير معبر عما تكنه نفسى نحوكم ، ونحو عملكم النبيل ولكن وأنا واقف على حالة الأخبار الآن أرى أن هذه الحالة لا تحتل علاجا فقد دخل المريض دور النزاع الأخير وحرام اقراضى مالا ليس هناك أمل فى رده ، فليقف مجهودى الضعيف عند السهر ، على هذا المريض حتى يسلم نفسه الأخير اذا قضت بذلك مشيئة الله .



والقصة طويلة ، قصة صراع الوفد المصرى كحزب مع جريدة الأخبار ومعارضته ، واصراره على أن تكون بالقوة منبرا فان عجزت القوة فليكن الاقراض

طريقا لوضع الأخبار تحت سيطرة الوفد . وآمل أن أكمل قصة الوفد مع الأخبار ، وخاصة عندما أصبح الوفد فى الحكم يمنع ، ويمنع ، وعندما راح أمين الرافعى يعارض حكومة سعد زغلول منذ أن ألقى رئيسها سعد زغلول خطاب العرش بدون اشارة الى استقلال مصر وتوالت هجمات الوفديين على الأخبار محاولة تدمير مبناها الذى كان يقيم بالدور الأعلى منه أمين الرافعى وأسرته ٠٠ !!

لقد كان الوفد المصرى ، سواء أكان يرأسه سعد زغلول أم مصطفى النحاس مخطئا الى أبعد حدود الخطأ عندما كان يستخدم سلاح الارهاب ضد الصحافة ، وخاصة تلك الصحف التى كانت تقف الى جانبه ثم اختلفت معه ، أو اختلف هو معها !



وأعود الى الحديث عن روز اليوسف بعد الاشارة الى موضوع أمين الرافعى وخلافه واختلفه مع الوفد ، وكانت الاشارة ضرورة وواجبة : أعود الى تكرار ما سبق أن ذكرته ، وهو أن الحديث عن روز اليوسف الصحفية والصحيفة يحتاج الى أكثر من فصل فدور روز اليوسف فى التاريخ المصرى كصحيفة رأى ودور روز اليوسف - فاطمة اليوسف - فى التاريخ الصحفى كصحيفة جريئة شجاعة لا تتردد فى خوض أعنف المعارك دفاعا عن رأيها ، هذا الدور - دور الصحيفة والصحفية - بلا جدال من الأدوار الخالدة فى حياتنا الصحفية .



وللعلم ، صدر العدد الأول من روز اليوسف فى يوم الاثنين ٢٦ أكتوبر ١٩٢٥ ، مجلة أسبوعية أدبية مصورة ، فى ست عشرة صفحة بقرش صاغ واحد وقالت السيدة روز اليوسف فى افتتاحية هذا العدد : عجبوا اذ سميت صحيفتى باسمى وقالوا : نزعة الى الشهرة ، أية شهرة ؟ الطبل العزاف أذن منه فى صمم ، ولم العجب ؟ أليست صحيفتى قطعة من نفسى !! لماذا لا يكون اسمى عنوان صحيفتى ؟ وتأمل السيدة روز اليوسف فى أن توفى لتكون قوة مهيبة وأن تدخل اسم المسرح الى كل أذن وأن تبعث اسمه فى كل دار وبذلك أكون أدبت واجبا ، وذا حسبى ٠٠

والطريف أن الأستاذ عبد القادر المازنى قد هاجم فى أول عدد لمجلة روز اليوسف فكرة اشتغال الممثلة القديرة روز اليوسف بعمل ليس لها فيه مجال ، ويتساءل المازنى أيها خير للفن أن تبقى روز ممثلة أو أن تصدر مجلة أو تنقلب كاتبة ؟ وأوجز فأقول انى لسبت ممن يعتقدون أن الممثل البارع

يمكن أن يكون في كل حال كاتباً بارعاً أو أن ما يوفق إليه المرء في باب من الأبواب يمكن أن يندفع إلى منسله في أي باب آخر يخطر له أن يطرقه ؟ ويتساءل المازني : إذن لماذا تعالج السيدة روز اليوسف فنا ، غير الذي خلقت له ، وهيات لها فطرتها أسباب النجاح فيه ؟ لا أدري فلعلنا نزوة . وعسى أن تكون قد جاشت نفسها بإحساسات قوية غامضة كما يحدث لنا جميعاً ، فاندفعت تبغى الإفضاء بها والكشف عنها والترفيه عن نفسها عن طريق ذلك ، أو لعلها ملت أن تظل عمرها تحيا على المسرح غير حياتها وتلبس ما يخالف عواطفها وخوالجها وآراءها ويجرى على لسانها بما يوضع عليه فاشتاقت من أجل ذلك أن تخلع كل هذه الثياب المستعارة وأن تبدو لنا كما هي على الحقيقة لا على المجاز ؟ .



ويقول الأستاذ المازني : وأحسب أن من قلة الذوق أن تكون كلمتي إليها في أول عدد من مجلتها ولكن عذري أنني أشد إعجاباً بفنّها وأعظم ضناً بمواهبها من أن تطاوعني نفسي على تشجيعها على هجر المسرح ، والانصراف إلى الكتابة وفي مرجونا ألا تعدم وسيلة للتوفيق بين رغبتها هذه وبين حق الفن عليها : هنك أذن على المسرح مجالك يا سيدتي فارجعي إليه ، وإذا أبيت إلا المجلة فلتكن سلوى « لاشغالنا » وقد فاتني أن أسأل أستاذنا الكبير عبد القادر المازني بعد أن نجحت مجلة روز اليوسف ذلك النجاح الكبير عما إذا كان قد بقي مصرّاً على رأيه في أن تبقى روز اليوسف ممثلة مسرحية ؟

وعلى أية حال فقد تولت السيدة روز اليوسف في نفس العدد الأول الرد على المازني وكان من بين ما قالته : أعتقد أن كل عمل مجيد يكون في أوله نزوة طارئة ، ثم يستحيل إلى فكرة فإذا رسخت أصبحت يقيناً مجنوناً ، وتمر روز اليوسف المجلة - بأزمة مالية - تهددها بعدم الاستمرار في الصدور ويلعب المسرح دوراً هاماً في انقاذ تلك الصحيفة إذ تنال روز اليوسف ، الممثلة جائزة الدولة في إحدى مباريات التمثيل ، وتكون قيمة الجائزة ثمانين جنيهاً مصرياً كانت كافية كما تقول السيدة روز اليوسف لأقالة المجلة من عثرتها وإصدارها في ثوب قشيب . ثم أخذت روز اليوسف ، الصحيفة والصحفية تتجه إلى السياسة بالتدريج ، وكان سبيلها إلى ذلك الاتجاه تأييد الدستور ، والدود عنه أمام الهجمات الضارية ، التي كان يقوم بها القصر ودار المندوب السامي البريطاني ومع دخول روز اليوسف مجال السياسة لم تفقد هويتها كمجلة فنية رائدة وابتداءً من العدد الصادر في ٢٤ مارس ١٩٢٦ صدرت روز اليوسف صحيفة اسبوعية أدبية سياسية مصورة ومع بداية عامها الثالث تطورت المجلة من صحيفة فنية إلى صحيفة سياسية تؤيد الوفد ورئيسه الجديد مصطفى النحاس

وأصبح الأستاذ محمد التابعى محررا لمعظم أبواب المجلة ولاسيما الجانب السياسى
منها رغم أنه كان - وقتئذ - موظفا بالبرلمان .



ويقول الدكتور ابراهيم عبده فى كتابه عن روزاليوسف أن روزاليوسف
بدأت فى أواخر سنة ١٩٢٧ تنشر مقالات تحت عنوان : ملوك أوروبا تحت
ستار الظلام ، وقد عرضت هذه المقالات لحياة الملوك الشخصية فى صراحة
ما بعدها من صراحة وكان آخر تلك المقالات مقالا بعنوان : الحديو اسماعيل ،
والملكة فيكتوريا معلومات لذيذة لم يسبق نشرها وذلك فى العدد رقم ١١٠
بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٢٧ . ورأى الملك فؤاد فيها مساسا شديدا بسيرة والده
اسماعيل وكان الملك فؤاد مؤمنا بهذه السيرة ايمانا منقطع النظير فطلب الى
سلطات الدولة أن تأخذ روز اليوسف بشدة وعنف وأن توقع بها عقابا رادعا
وتقسو على المحرر المسئول عن هذا المقال .



وسبق ابراهيم خليل الذى كان يتولى المسئولية الادارية للمجلة ، كما
يتحمل مسئوليتها فى غياب صاحبها فى أوروبا ، سيق الى السجن وتحت
ضغط الظروف اعترف بأن الاستاذ محمد التابعى هو كاتب المقال فقبض عليه
ولم يفرج منهما الا بكفالة كبيرة كأنهما من السوق ، أو القتلة ، أو اللصوص
ثم صدر قرار النيابة بوقف المجلة حتى تختار صاحبها مديرا جديدا مسئولا
عنها تطبيقا للقانون وأعلن فى روزاليوسف نيا اغلاق الصحيفة ابتداء من ٢٧
ديسمبر الى أن استأنفت الصدور فى ٢ فبراير ٢٨ بافتتاحية وقعها عبد العزيز
الصدر الذى كانت المجلة تطبع فى مطبعته وقبل رئاسة التحرير حتى تعود
صاحبة روزاليوسف من باريس وقد تركت مصادرة روزاليوسف أثرا عظيما
فى الهيئات الصحفية من فرنسية وانجليزية فعلمت على هذا الحادث وبخاصة
جريدة التيمس مما جعل لروز اليوسف لأول مرة ، كما تقول السيدة
روز اليوسف فى ذكرياتها مقاما مقدرا فى النشاط الصحفى العالمى .



والجدير بالذكر أن السيدة روزاليوسف كانت تعتمد الى التخلص من آثار
قرارات تعطيل مجلتها باصدار مجلة روزاليوسف ولكن بأسماء مجلات أخرى
كمجلات « الرقيب » وصدى الحق ، والشرق الادنى ، ومصر الحرة ولكن البوليس
كان يتعقب تلك المجلات فيصادرها ايضا كما حدث بالنسبة لعدد من الرقيب
كان قد تم طبع ثلاثين ألف نسخة منه وكذلك صدق الحق حيث داهم البوليس
الجريدة وهى تطبع فصادر عشرة آلاف نسخة وكذلك مجلة مصر الحرة وكان عدد

الاعداد التي صودرت من تلك المجلات خمسة أعداد ، كان قد طبع منها كلها
١٠٤٠٠٠ نسخة .

وتعود روزاليوسف من جديد بعد أن احتجبت فترة طويلة متوقفة بقرار
من وزارة محمد محمود ، ولكنها تعود سيرتها الاولى في مهاجمة تلك الوزارة
التي ماجأت - كما قلت المجلة - الا لتثد الدستور وتلقى مجلة روز اليوسف
- كما سبق أن أشرنا - من وزارة اسماعيل صدقي ، ما لقينه من وزارة
محمد محمود .

وكانت المجلة في عهد وزارة اسماعيل صدقي وفدية ١٠٠ ٪ .

وكان من الأمور الطبيعية بالنسبة لروز اليوسف في عهد اسماعيل صدقي،
أن تعطل أو تصادر ويساق كبار محرريها الى السجن ، بين أونة وأخرى .



وقد حدث في أغسطس ١٩٣١ ، أن ألغى اسماعيل صدقي رخصة
روز اليوسف ، ولم تعد الا بعد أن أصدر اسماعيل صدقي دستوره الجديد ،
وفي المقال الذي كتبته السيدة روز اليوسف عقب اعادة صدور المجلة « أول
أغسطس ١٩٣١ » قالت فيه أن المجلة كان لابد أن يصدر منها خلال الستة أعوام
الماضية ٣٦٠ عددا ولكن هذا الرقم اختزل بحيث لم ير القراء الا مائة وخمسة
وثمانين عددا فقط والفرق بين الرقمين - كما قالت السيدة روز اليوسف -
أما أنه طبع وصودر وأكلته وسمنت عليه جردان المحافظة حتى أصبحت كالعجول .
وأما أنه عدت عليه الازمات السياسية ، كل أزمة تقتطع منه قطعة ، تارة
باسم الآداب ، وأخرى باسم اضطراب الخواطر ، وحماية النظام وباسم كل
شيء الا الشيء الحقيقي الوحيد : أن هذه الجريدة عاشت معاشة راضية أن
تجوع ولا تأكل بنديها ، آبية أن تضع يدها في الايدي التي عبثت بالحرية
وباعت بالثمن البخس ، كل كرامة للبلاذ » وتقول روز اليوسف مرة ، وهي
تستقبل عاما جديدا من عمر مجلتها ، وعمرها أيضا : معللة طغيان السياسة
على الفن والأدب في المجلة : لقد اتسع نطاق السياسة في المجلة الفنية ،
واتسع حتى اشتمل البيت كله ، وحتى أصبحت السياسة هي صاحبة الفن
والأدب الى جوارها في جناح الضيوف . أن الهناء الذي رفرق على هذه المجلة
في عامها الاول طغت عليه كلمات الشئوم والمحن ، وأعياد ميلادها في ذلك
اليوم صادفتها كلها سحينة أو مغبورة أو موضوعا على فمها القفل ، والرتاج » .



وتقول روز اليوسف : من أجل شهوات بضعة رجال وضعت أمامنا كرامه نفوسنا ، وكرامة بلادنا في جانب ، ووضعت في الجانب الآخر صفرة الذهب . ولحة الجاه ، وقيل لنا : اختاروا فان كانت الأولى فافلاق المضاجع والمصادرة بين الحين والحين ، والقفل . والتعطيل ، وان كانت الثانية فجنة عرضها الارض والسما ، لا ترون فيها الشمس ، ولا الزمهرير . فاخترنا أن نكون أسياد أنفسنا أسياد عواطفنا ، حماة بلدنا . وليكن بعد ذلك طعامنا الحنظل . وشرابنا الصاب !



وتطلق روز اليوسف ، بعض الأسماء الفكاهية ، على بعض الوزراء : فوزير المعارف هو « وزير التقاليد » ، ووزير الزراعة هو وزير الدودة والسباح ، ووزير المواصلات هو وزير المصارين والسباق .

• واحدى الوزارات هى وزارة التساهل والتفريط .

وتطلق أيضا روزاليوسف بعض النكات على رؤساء الاحزاب ، فحافظ رمضان باشا - مثلا - هو رئيس الحزب الوطنى وزعيم الاناقة والرشاقة والملاحقات !

والطريف ، أن بعض أسماء هؤلاء الوزراء ، « الرسمية » تنسى أو يتم تناسيها فى بعض المجتمعات ولا يطلق عليهم الا أسماء روز اليوسف .

كما ان روز اليوسف قد اهتمت الى أبعد حدود الاهتمام بالكاريكاتير والزجل ، حتى لقد استطاعت ان تجعل من الزجل والكاريكاتير سلاحين من امضى اسلحة الصحافة .

كما أن روز اليوسف - المجلة - كانت بحق ميدانا صال فيه أقطاب الصحافة المصرية وجالوا ، وحققوا أعظم الانتصارات ، وخاصة فى الثلاثينات والأربعينات . وفى نفس الوقت كانت روز اليوسف بحق أيضا المدرسة التى تخرج نبيها أجيال كثيرة من الصحفيين أصبحوا فيما بعد عمالقة الصحافة المصرية .

من الكلمات التى أذكرها بل أكاد أحفظها تلك التى افتتحت بها روز اليوسف - المجلة - عامها التاسع ، وكانت تحت عنوان : عهود ، وكلمات ، وقد جاء فيها . « سنوات وسنوات » لولا أمل يعمر قلوبنا ، ونزعة الى الجهاد تقمر نفوسنا ، لكانت سنين محن متعاقبة ، ما من ضربة وجهت الى حرية الرأى الا وكان سهمها الأول أخذاً سمته نحونا ، أغلقت هذه الجريدة مرات ، ونزلت بها خسائر مادية فادحة ، ونالنا الظالم وصعاليكه فى مسالك عيشنا ، وحرياتنا ، وتشاءبت أبواب

السجون ولكننا بقينا خالدين ثم تغير لنا الكروب وجها ، ولم يبدل لنا الاضطهاد عقيدة ، بقينا وعلى وجعنا نفس السنمة الساخرة التي رسمتها النفس المطمئنة يوم أن اعتزمنا أن ندخل في صفوف المجاهدين عن الوطن جنديا بسيطا ، جنديا شارته الفداء وشعاره التضحية من أجل مصر .

ولكن لماذا أطلت الحديث عن صحف الأخبار لأمين الرفاعي والبلاغ لعبد القادر حمزة وروز اليوسف للسيدة روز اليوسف وغيرها من صحف الرأي ؟

ربما لأنني أعشق صحافة الرأي ، أيا كان هذا الرأي ولو كان مخالفا للرأي الذي أراه وربما لأنني من المؤمنين بأن صحافة الرأي في مصر ، لم تنل ما تستحق من اهتمام ورعاية ، وتاريخ أمين صادق ، وربما لأنني أحاول أن أقول لشباب اليوم من أبناء الصحفيين أن أضيأ الصحف القديمة غنية بالكنوز الوطنية الرائعة وإن عليهم ، أن يعرفوا فيها كما أغرق يوميا ليجدوا ما أجد من متعة ، وليعرفوا الحاضر والمستقبل عن طريق معرفة الماضي جيدا .

وعلى أية حال فلن أطيل في الحديث عن روز اليوسف الصحيفة والصحفية أكثر مما أطلت ، وكل ما استأذن فيه صديقي القارئ أن أمر مرورا عابرا على بعض الأخبار والتعليقات التي قرأتها في روز اليوسف بدءا من العدد ٣٦٧ وانتهاء بالعدد ٤٢٥ ، مؤكدا أنني لن أطيل في عملية المرور هذه التي ما أردت بها - في هذه المرة - إلا إعطاء صورة سريعة عن صحافة الرأي ، أيام زمان ، ١٩٣٤ - ١٩٣٥ - ١٩٣٦ الخ ، الخ .



● من بين ما نشرته روز اليوسف في العدد رقم ٢٦٧ برقية بعث بها المجاهد الكبير مكرم عبيد من أسوان إلى الأستاذ محمد التابعي بمناسبة مرور عشر سنوات على اشتغاله بالصحافة منها ثمان في جريدة روز اليوسف وقد جاء في تلك البرقية : « وكن على ثقة من أن لك في قلب وفي عقل كل وفدي مكان التقدير ، والاعجاب ، قلت كل وفدي وكان الأول أن أقول كل مصري والكلمتان مترادفتان بل كل شرقي ، عربي فالكل عرف لك فضلك وإخلاصك ، وأسلوبك البديع ، والمبتدع . وصلتنا اليوم في أسوان « روز اليوسف » فتخاطفها الناس - أي تخاطفوا المجلة لا صاحبيتها - سلامي واحترامي للسيدة المحترمة روز اليوسف وأبلغك وإياها تحيات دولة الرئيس الجليل ، وقد كانت البرقية بالطبع قبل أن تختلف روز اليوسف مع الوفد المصري ، ورئيسه وسكرتيره العام .



● في العدد ٢٨٤ كتب أستاذنا فكرى أباطة الى « سيدتى روز » مستأذنا
في السفر الى أوروبا عدة أسابيع لا هربا - كما قال - من النيابة ومحكمة
الجنايات - وسجن قرّة ميدان فاني أعلم - هكذا قال فكرى أباطة - ان فيك
الكفاية للنيابة ولحكمة الجنايات ولسجن قرّة ميدان ويقول فكرى أباطة : واليوم
الذي تصبحين فيه « زبونة دائمة » لهذه الجهات الثلاث في سبيل حرية الرأي
هو أعز يوم لدى الجنس اللطيف اذ تكونين « بريمادونة » السياسيات المصريات
على مسرح النيابة والمحكمة والسجن كما كنت بريمادونة المصريات على مسرح
التمثيل !



● ويقول فكرى أباطة بأسلوبه الساخر : أسافر يا صديقتي لاننى مريض
بدايين ومهدد بخطر ين . أما الداء الأول والخطر الأول فهو داء الجبن ، أعاذ الله
جسمك الرقيق منه ، ومن أعراضه ومضاعفاته : أشعر اليوم بأن توالى الضغط
الحكومى على الصحافة والصحفيين أصابنى بنوع من الضعف ، فشل ذهنى
فلا يفكر بتوضيح كما كان يفكر ، وشل يدى فلا تكتب ولا تسطر شجاعة كما كانت
تكتب وتسطر ، وشل قلبى فلا ينبض ولا يدق ، بحماسة ، وقوة كما كان ينبض
ويدق .

● ويقول أستاذنا فكرى أباطة أيضا . . خشيت يا صديقتي أن يصبح
هذا الداء العارض داء أصيلا فبادرت بالهرب الى أوروبا للاستشفاء والتداوى .
هناك يا صديقتي أشم نسيم الحرية فيملا صدري شجاعة وجراة وحدة وشدة
ومخاطرة ، ومغامرة . . هناك أكتب وأثور . فلا يراجعنى فيما أكتب لبيب بك
عطية ولا السيد بك مصطفى ولا الأستاذ محمود منصور وهناك أخطب فلا يلسعنى
بالعصا المستر رسل ولا المستر هلز ، ولا ملز ، ولا العزيز الذكى سليم بك
زكى ، وهناك أصفق وأهتف فلا أصطدم بطاسة « هندنبرج » النحاسية ولا بغيول
عنتره العيسية العربية ، أما الداء الثانى ، والخطر الثانى فهو داء الطققان وخطر
الطققان . ويقول فكرى أباطة أنه يفضل أن يموت مثلاً أمام قشلاق قصر النيل ،
أو مثلاً أمام القلعة أو مثلاً على ضفاف القنال ، أو مثلاً فى فيافى السودان « من
أن أموت فقط » بالطققان ، والطققان الذى يشير اليه فكرى أباطة فسببه بقاء
الوزارة على الرأس والعين ، من أجل خاطر سى برسى لورين و . . و . .



● وتكتب روز اليوسف فى عددها ٢٧٣ عن وزير الأذية وقطع العيش
محمد شفيق باشا الذى لا ترتاح صحته الغالية الا اذا وفر لحزاة الدولة أكبر
مبلغ مستطاع عن طريق رفت عشرات المواطنين ولكن لمعالیه حسنة عند الله .

لا تنكر وهي أنه يصدر عنكنته لزملائه ، الوزراء ، وعلى الأخص دولة رئيسهم
ومعالى وزير التقاليد » .

وتشير روز اليوسف فى عددها رقم ٣٣٣ الى قضية روز اليوسف حيث
كان موعد صدور الحكم فى الاستئناف الذى رفعته السيدة روز اليوسف والنيابة
العمومية فى الحكم الذى أصدرته محكمة عابدين الجزئية بحبس السيدة
روز اليوسف ثلاثة أشهر ، مع وقف التنفيذ ، لاتهامها بالقتل فى حق دولة
محمد محمود باشا ، وتشير - روز اليوسف الى الحكم الذى نطق به حضرة
صاحب العزة أحمد نشأت بك رئيس محكمة مصر والذى به يقضى على السيدة
روز اليوسف بخمسين جنيه غرامة « وتعلق الجريدة على هذا الحكم قائلة : وهذه
الجريدة وصاحبها التى لقيت ما لقيت فى سبيل الدفاع عن المبدأ الوفدى
القومى ، تتلقى اليوم حكم القضاء صابرة راضية ، مطمئنة معاهدة الأمة على
الوفاء بما قطعته على نفسها من عهد ، وهو الذود عن قضيتها المقدسة تحت
راية الوفد ، ولواء زعيمه المفدى » .

● من الخطابات المفتوحة التى كانت توجهها مجلة روز اليوسف كل
أسبوع الى العظماء والصعاليك خطاب - العدد ٣٩٩ - الى صاحبة الجلالة
شارلوت واصف ، التى رفعت رأس مصر عاليا ، وبس : فى هذا الخطاب رنة
فرح وفخار تدقها نواقيس قلوبنا معتزة بتتويجك ، وأنت المصرية التى ربى
جسمها على الفول الملمس ملكة للمكات أمريكا وأوروبا وسائر قارات الدنيا ،
الروباييكيا وسواء أكان انتخابك عن جمال فاتن حقا أو أن سعر الجمال ، كان
رخيصا فى تلك المباراة فجاء انتخابك من باب الأعرور فى مملكة العمى سلطان
فها أنت تحملين شهادة الدكتوراه وزيادة فى القدر المائس والوجه الصبيح ، ولكن
الشهادات شئ والغاية شئ آخر ولا سيما ما كان متعلقا بالسعى فى الحياة
وارتكاب صالح الأعمال مما يدخل فى الغمز ، بالعين والحاجب ، وعليه بقى عليك
أن تثبتى انك أهل للتاج الذى ترفعينه على رأسك ومدد يا صاحبة الجلالة
وها نحن نترقب كراماتك فى شقلبة العقول ، وتعذيب قلوب عباد الله من الجنس
الخنس » .



● من هذه الخطابات أيضا - بعد أن اختلفت روز اليوسف مع الوفد -
خطاب نشر بالعدد ٤٠٧ الى صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا ، يشير
بالرئيس الجليل جاء فيه عندما استولت هذه الوزارة على مقاليد الحكم هرعت
اليها تهنئتها بالمنصب الجديد ، وخرجت من لديها ، وفى احدى يديك طلبة وفى
الأخرى مبخرة . وبين شفتيك مزار ، ومضت الوزارة فى عملها فكان أول العبت
تعيين الخبير البريطانى اياه مزودا بحق الاتصال ، وطار المصريون الى رئيسهم

الجليل وهو أنت ، يقولون له الحق ، لقد تم تعيين الخبير ، وطرت بدورك الى رئيس الوزارة تبليغه ما قاله لك المصريون وانتظر الشعب كلمتك فلم ترد بل قلت : انك مبسوط من هذه الوزارة والسلام . وتمضى روز اليوسف فى خطابها وتكون النهاية . ووقعت كارثة الاسكندرية التى أصبحت بفضل رياستكم الجبلية جزءا من أملاك التاج البريطانى وسألك المصريون ، أما من حرب تشنها على الوزارة ، فوقفت يا باشا تعجب من هذا الكلام ، وتقول : اذا كانت هذه الطلبة فى يمينى ، وهذه المبخرة فى يسارى ، وهذا المزمار فى فمى ، فمن أين لى بالحركة والكلام !



● وفى العدد رقم ٤٥٩ تكون افتتاحية روز اليوسف زجلا جاء فيه :

الوفد زودها من كل ناحية
وكل يوم له فى مصر ، تزويد
ما كنت أحسب أن أحيا الى زمن
يسيننا فيه وفد ، وهو محمود
يا رب هل من صنيع منك ينقذنا
فعيشنا كله هم ، وتسهيده
ان البلاوى على قلبى ملهبة
نارا بقلبى فهل للقلب تبريد ..



● وفى العدد ٤٦٢ تشير روز اليوسف الى أن بين أعضاء الوفد حركة اشتمنات ظلت تزداد من وقت الى آخر ، حتى وصلت الى الحد الذى يفوق قدرة الانسان على الاحتمال حتى ولو كان وزاريا ، وأولى بوادر هذا الاشتمنات نشأت من جراء قفز أفراد أسرة الوكيل الى الوظائف والمناصب بمعدل خمسين درجة فى الدقيقة وعدم اصفاء الرئيس الجليل الى نصائح الوزراء واعتراضاتهم . وتشير روز اليوسف الى ما تردد من اقتراح وفدى ظهر باهداء الرئيس الجليل قصر الزعفران ، ثم تشير الى أن اقتراحا آخر ظهر بمنحه ثلاثمائة فدان من أطيان الحكومة وكيف أن تعديل هذين الاقتراحين كان يتم بناء على اعتراض الدكتور ماهر ، والنقراشى وكيف ان مناقشة حامية وقعت فى مكتب رئيس الوفد ، ارتفع فيها صوت النقراشى حتى أصبح مسموعا خارج الغرفة وكيف أن النقراشى هدد رئيسه النحاس بالاستقالة من الوفد والوزارة أيضا اذا أصر على قبول المكافأة المزعومة ثم ان النحاس باشا عدل عن قبول هذه الاقتراحات فى آخر لحظة معلنا انه يريد أن يعيش فقيرا . ويموت فقيرا . وتقول روز اليوسف

أن هناك جهودا تبذل لاقتناع رئيس الوفد بأن صحته لم تعد تحتل أعباء رئاسة الوفد وأن من المصلحة أن يقبل رئاسة مجلس النواب . .



● وفى العدد ٤٦٣ تقول روز اليوسف أن الدكتور أحمد ماهر لا يزال غاضبا على الرئيس الجليل « دولة بارك الله فيكم » اثر تصرفاته فى حكايات الاوقاف والتعيينات ، وبيت الاستقلال وهو البيت الذى اقترح الأستاذ محمود بسيونى اهداءه الى النحاس باشا بمناسبة نجاحه فى توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، ويقول أحمد ماهر ، ان هذه المسائل ، المختلف عليها لا تتعلق بالنحاس باشا ولكنها مسألة سمعة الوفد ونزاهة الوفد وقد أيد الدكتور فى موقفه محمود فهمى النقراشى باشا الذى كان شديد التحمس لرفض الاقتراح الخاص ببيت الاستقلال ولم يرتد اليه صفاء الذهن الا على اثر عدول الرئيس عنها . وتقول روز اليوسف أن ٩٠٪ من أعضاء الهيئة الوفدية يؤيدون الدكتور ماهر فى موقفه النبيل .



وفى العدد التالى ٤٦٤ تقول روز اليوسف « دولة بارك الله فيكم » يقاسم الأنسة أم كلثوم هتاف الشعب ، والموضوع عن افتتاح أولى حفلات فيلم نشيد الأمل وحضور النحاس باشا وحرمة هذه الحفلة ومقابلته بمظاهرة من أصحاب القمصان الزرقاء وأصحاب الحناجر القوية الذين انبثوا فى جوانب القاعة بهتافات عالية تحمل اسم النحاس زعيم الحرية .

وتشير روز اليوسف الى قيام مظاهرة عامة داخل دار السينما تهتف بحياة أم كلثوم وكيف وقف النحاس ، اثر هذه المظاهرة الخاصة بأمر كلثوم يحيى الجماهير من بنواره الخاص كأنما يستكثر على أم كلثوم هذه المظاهرة ، التى لم تنظم ، ولم تدبر ، فتعتمد مقاسمتها تحية الجمهور وتقديره و . . و . .



● وتنشر روز اليوسف فى العدد ٤٦٥ زجلا يخاطب فيه النحاس باشا ، السير مايلز لامبسون قائلا :

يا حنة من قلبى يا شاغل قوى بالى
لولا محبة فؤاد لشخصك الغالى
ما كنت أجيلك ولا أحكى لك على حالى
فيه مسألة والعشم انك تنفذها .

حاجة بسيطة حتعملها لنا طوالى
كشف الرتب غاب قوى والصبر ضاع منا
خبطت على بابيه ماحدش سأل عنا
والموعودين فى انتظار ولامتى نستنى
أصبحت منا ، وعلينا فى معاهدتنا
امض من انجلترا ، يا رب تنهنا

● وعن الدكتور أحمد ماهر ، تقول روز اليوسف - العدد ٤٧٠ - أصبح
لا حديث له - حين يتحدث - الا عن هذه العوضى التى غرقت فيها الوزارة
الى أذنيها وهذا التطور فى نفسية « دولة بارك الله فيكم » مما جعل سمعة الوفد
فى نفوس أنصاره ومعارضيه على السواء تهبط الى ما تحت الصفر وأشد ما يؤلم
الدكتور الكبير هو جيش المحاسيب والأقرباء الذين يحتلون مناصب الدولة ،
ووظائفها وكل عدتهم كارت يحمل اسم أحد الوزراء .



● ومرة أخرى فى العدد ٤٧٢ تنشر روز اليوسف زجلا ، تحت عنوان
ايه أصلك وايه « أصلك » تقول فيه على لسان روز اليوسف :

مين كان يقول انى أشوف المر ، فى عهدك
ويبقى سيف المصادرة لعبة فى يدك
ياما رفعتك عشان تغلق تكيد نذك
وياما شفت الهوان والحبس والتعطيل
لحد ما عرفنا ايه أصلك ، وايه « أصلك » .
وفى الزجل على لسان النحاس :
سبيك يا شيخة وخلينى أسير وحدى
ما دمت هايص يغوروا الكل من بعدى
اشمعنى يعنى الى كان بيقول « أنا وحدى »
يعنى بسلامته كان أحسن منى ، مش معقول
مين زى دلوقتى ، ما تقولى ومن قدى
دستور ما دستورشى ، مش شغلى أدينى بأقول
جرنال يبستقنى يسنكر كده على طول

وفى هذا القدر - كما أرى - ما يكفى لاعطاء صورتين دقيقتين لصحيفتين
من أبرز صحف المعارضة فى مصر : البلاغ وروز اليوسف وقبلهما لمحة عن واحد
من أهم رواد صحافة الراى فى مصر : أمين الرافعى .

الباب الثانى

الفصل الأول

محمد محمود يرأس وزارة جديدة تجرى الانتخابات !!

ما أكثر ما تساءلنا : على من تقع المسئولية فيما يتعلق بافساد فاروق ، وما أكثر ما تحدثنا عن الصراع بين الوفد وبين القصر ، والصراع بين الوفديين ، والوفديين .

وفيما يتعلق بالتساؤل عن افساد فاروق قلنا ان المسئولية تقع على أحمد حسنين ، وعمر فتحي ، اللذين فشلا في الاشراف على تربيته وتعليمه في لندن ، عندما كان يتلقى العلم ، في لندن ، كما ألقينا مسئولية افساد فاروق ملكا ، - وفي بداية حكمه - على أحزاب الأقلية التي وقفت الى جانبه بدون وجه حق ضد حزب الأغلبية الشعبية والبرلمانية - حزب الوفد المصرى - كما ألقينا المسئولية أيضا على حزب الأغلبية الشعبية والبرلمانية الذى استبد بالأمر ، وأراد فرض دكتاتورية شبه عسكرية على البلاد ، بفرق ، القمصان الزرقاء ، التى أنشأها والتي أصبحت ذراعا وفدية طويلة ، تضرب المعارضين لحكومة الوفد فى الجامعة ، وفى المدارس ، وفى الشارع أيضا ، ولاننا سوف نعود فيما بعد الى الرد بإفازة على هذا السؤال : على من تقع مسئولية افساد فاروق أميرا ، وملكا ، فقد اكتفينا بذلك القدر ، الموجز على أمل العودة ، الى محاولة الرد على هذا السؤال فيما بعد وعندها يظهر جليا وأمام الراى العام المصرى ، نتائج ، فساد الملك فاروق .

وقد أطلنا فى الحديث عن الصراع بين الوفد والسراى بسبب خطورة هذا الصراع على الأوضاع السياسية فى مصر فى سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية وفى أثنائها وقد اعتمدنا فى دراستنا عن هذا الصراع ، على أقوال بعض المؤرخين الأجانب وبعض المؤرخين المصريين ، محايدين ، أو مؤيدين ، للوفد ، أو للسراى حتى نعطي القارىء صورة شبه مكتملة لكل الآراء فى هذه النقطة الهامة ،

والخطيرة ، نقطة الصراع بين الوفد والسراى ، كما تحدثنا فى نفس الوقت ، عما كان يحدث داخل الوفد ، المصرى نظرا ، لخطورة الانقسام ، الذى حدث فى صفوف الوفد فى مرحلة من أخطر مراحل ، التاريخ السياسى ، المصرى ، ونعنى به الانقسام ، الذى بدأ يتخذ صورة شرح كبير ، فى بنیان الوفد باخراج ، النقراشى باشا ، من الوزارة ثم من الوفد ، وما تبع ذلك من وقوف دكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب الوفدى والعضو البارز فيه الى جانب زميله ، وصديقه فى الكفاح الوطنى وفى عضوية الوفد محمود فهمى النقراشى باشا .



وكان هذا الانقسام ، قد دخل مرحلة هامة وخطيرة فى ٢٣ ديسمبر ١٩٣٧ - أى قبل أسبوع من اقالة وزارة النحاس باشا - حيث شرح مكرم عبيد باشا قرارات الوفد فى الصراع بين الوفد والسراى وحيث تحدث أحمد ماهر عن ضرورة الاعتدال والحكمة ، غير أن أغلبية الهيئة الوفدية البرلمانية وقفت الى جانب النحاس باشا « ٢٢٨ عضوا » ولم يقف الى جانب الاعتدال والحكمة ، الذى كان يمثلها أحمد ماهر أكثر من ثلاثة أعضاء ، بل أكثر من ذلك بعد انتهاء اجتماع الهيئة الوفدية البرلمانية فوجيء أحمد ماهر العضو ، البارز فى الوفد المصرى ، حتى تاريخ تلك الجلسة بمظاهرة عنيفة هتفت بسقوطه وبحياة النحاس باشا ، بل أن بعض المتظاهرين حاولوا الاعتداء على أحمد ماهر ، الأمر الذى أجبر أحمد ماهر ، على أن يتخذ لنفسه خطأ ، أكثر وضوحا فى الصراع الوفدى وأكثر تعبيرا ، عن مبالاته لمحمود فهمى النقراشى ، والذى عجل بنهاية وزارة مصطفى النحاس .



لقد كانت السراى تراهن على أحمد ماهر ، كحصان رابح يستطيع أن يحدث انشقاقا خطيرا فى صفوف الوفد ويستطيع أن يحصل على أغلبية برلمانية أو شبه برلمانية ، تنقل الوزارة ، بطريقة دستورية من النحاس ، الوفدى الى أحمد ماهر الوفدى ، دون ، أن تؤدى عملية الانتقال هذه الى حل البرلمان ، والمجيء بعهد جديد ، ونظام جديد ، وكان الشيخ مصطفى المراغى صاحب المشورة ، المطاعة ، عند الملك الشاب فاروق فى مقدمة أولئك الذين يؤيدون ترشيح أحمد ماهر ، لرئاسة الوزارة ، الوفدية .

وقد ظهر جليا للسراى خطل هذا الرأى وخطؤه ، فى نفس الوقت لأن الوفد ، أيد مصطفى النحاس تأييدا مطلقا وقرر بوضوح وصراحة فصل أى وفدى ، يقبل تأليف الوزارة أو يشترك ، أو يؤيد ، وزارة لا يرأسها النحاس باشا .

وعلى الفور - فور الانتهاء من اجتماع ، الهيئة الوفدية البرلمانية - اتجه الرأى ، الى تكليف محمد محمود باشا زعيم المعارضة فى مجلس النواب ورئيس

حزب الأحرار الدستوريين وصاحب اليد القوية أو الحديدية ، كما كانوا يطلقون عليه ، عقب تأليف وزارته الأولى ، في ٢٥ يونيو ١٩٢٨ إثر اقالة وزارة النحاس التاريخ يعيد نفسه !

وكانما كان هذا الاتجاه مؤكدا ، أكثر من أى حدث تاريخي آخر ، أن باشا الأولى في ٢٥ يونيو ١٩٢٨ .

ومحمد محمود من مواليد ١٥ أبريل ١٨٧٧ في ساحل سليم مركز أبو تيج ، ووالده محمود سليمان باشا من كبار ملاك الأراضي بها ومن الشخصيات التاريخية التي لعبت دورا هاما في التاريخ المصري قبل الحرب العالمية الأولى وفي بداية ثورة ١٩١٩ وهو - محمد محمود - وهو من خريجي الجامعات البريطانية « كلية بالبول بجامعة اكسفورد » ، وقد منح شهادتها النهائية مع درجة أستاذ وعندما عاد الى مصر ، عين مفتشا بالمالية ثم انتقل الى وزارة الداخلية حيث عمل بها مفتشا ثم مستشارا ، وعين مديرا ، للفيوم ثم البحيرة .



وكان محمد محمود من أوائل الذين شاركوا في تشكيل الوفد ، المصري . وقد اعتقل مع سعد زغلول باشا ونفى مع حمد الباسل وصدق باشا الى مالطة وبعد الافراج عنه سافر الى الولايات المتحدة الأمريكية حيث اتفق مع السياسي المحامي الأمريكي المعروف مستر فولك للدفاع عن القضية المصرية في المحافل الدولية وعند الرأي العام الأمريكي ، وقد وضع مستر فولك مذكرة هامة كان لها أثرها الخطير في شرح القضية المصرية أمام الرأي العام العالمي بصفة عامة والرأي العام الأمريكي بصفة خاصة . وإن لم تنجح تلك المذكرة ، وإن لم تنجح جهود مستر فولك في تحويل وجهة النظر الأمريكية عن ممالاتها لبريطانيا ، التي كانت تحتل وقتئذ مصر ، والتي كانت تحرص على أن يكون لها فيها وضع خاص بعد انتصارها الرائع في الحرب ، العالمية الأولى .

وبعد أن توالى الأحداث في مصر بعد أن هدأت ثورة ١٩١٩ وبعد الصراع العنيف بين سعد زغلول باشا وعدلى يكن باشا ، وهو الصراع الذي قسم البلاد الى قسمين « سعدى » و « عدلى » والذي ارتفع على أثره شعار : الاحتلال على يد سعد خير من الاستقلال على يد عدلى .

بعد ذلك الصراع العنيف خرج محمد محمود باشا على الوفد منتظما الى عدلى يكن باشا وكان ما كان من تأليف حزب الأحرار الدستوريين واختيار محمد محمود باشا وكيلا له . وقد دخل محمد محمود باشا الوزارة لأول مرة ضمن وزارة عدلى يكن باشا التي ألفها في عام ١٩٢٦ ودخل وزارة ثروت باشا ثم وزارة النحاس باشا الأولى حيث استقال منها على ما أوضحنا سابقا .

وقد كانت المشاورات تجري لتشكيل وزارة جديدة ، تخلف وزارة مصطفى النحاس في الوقت ، الذي كان فيه الوفد ، المصري على ثقة مطلقة من أن القصر ، لن يستطيع أبدا اقالة وزارة شعبية قوية .

● يقول د . محمد حسين هيكل : عرفت أن وزارة النحاس ستقال يوم الخميس الأخير من ديسمبر ١٩٣٧ ومع هذا التقيت بمكرم عبيد باشا مساء الأربعاء ، داخل قاعة الجلسة بمجلس الشيوخ بعد مقابلة على ماهر باشا عصر ذلك اليوم ، وقلت له خيرا : لعلمكم وفقتم الى حل للاشكال القائم بينكم وبين القصر ؟ وأجابني : « نعم ، والحمد لله » ، وعجبت لما سمعت مما يخالف ما أعرف لكن صبح الخميس ما كاد يتنفس حتى أذاعت الصحف ملحقا بالامر الملكي الذي أقال الوزارة ونصه :

أمر ملكي رقم ٣٨ . . .
عزيزي مصطفى النحاس باشا . . .

نظرا لما تجمع لدينا من الأدلة على أن شعبنا لم يعد يؤيد طريقة الوزارة في الحكم ، وأنه يأخذ عليها مجافاتا لروح الدستور وبعدها عن احترام الحريات العامة ، وحمائتها ، وتعذر ايجاد سبيل لاصلاح الأمور على يد الوزارة التي ترأسونها . لم يكن بد من اقالتها ، تمهيدا لاقامة حكم صالح يقوم على تعرف رأى الأمة تستقر به السكينة والصفاء في البلاد ويوجه سياستها خير وجهة في الظروف الدقيقة التي تجتازها ويحقق آمالنا العظيمة في رقيها وعزتها .

واني اذ أشكر لمقامكم الرفيع ، ولحضرات زملائكم ما تم على أيديكم من الخير للبلاد ، أصدرت أمري هذا لمقامكم الرفيع بذلك .

صدر بسرأى القبة في ٢٧ شوال ١٣٥٦ ، ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ .

« فاروق »



وتألفت وزارة محمد محمود باشا ، الثانية على النحو التالي :

محمد محمود باشا : رئيسا للوزارة ووزيرا للداخلية ، اسماعيل صدقي باشا وزير دولة ويتولى وزارة المالية ، عبد الفتاح يحيى باشا وزير دولة ، ويتولى وزارة الخارجية ، أحمد محمد خشبة لوزارة الحفائية ، عبد العزيز فهمي باشا ، وزير دولة ، محمد حلمي عيسى باشا لوزارة الأوقاف ، أحمد لطفي السيد ، باشا ، وزير دولة ، محمد بهي الدين بركات بك لوزارة المعارف العمومية ، حسن صبرى باشا ، لوزارة المواصلات ، حسين رفقي باشا ، لوزارة البحرية والبحرية ، حسين سرى باشا لوزارة الأشغال العمومية ، مراد وهبة باشا ، لوزارة

الزراعة ، أحمد كامل بك لوزارة التجارة ، محمد حافظ رمضان بك ، وزير دولة ، محمد حسين هيكل بك وزير دولة ، محمد كامل ، البندارى بك لوزارة الصحة .

كانت وزارة محمود محمد باشا مؤلفة من ستة عشر وزيرا بزيادة خمسة وزراء على الوزارة السابقة ، التي كانت مؤلفة من أحد عشر وزيرا وكانت وزارة محمد محمود تضم ثلاثة من رؤساء ، الوزارات السابقين وكانت الوزارة تضم أربعة ممن ارتبطت أسماؤهم بثورة ١٩ ، فالى جانب محمد محمود باشا ، كان عبد العزيز فهمى ثالث ثلاثة ذهبوا الى دار المعتمد البريطانى فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ مطالبين بريطانيا بالجلء ، عن مصر ، الى جانب اسماعيل صدقى باشا ، وأحمد لطفى السيد باشا ، وقد اشترك فى وزارة محمد محمود باشا ، الثانية ولأول مرة فى تاريخ الحزب الوطنى ، حافظ رمضان رئيس الحزب .



وأستاذ فى أن أنقل هنا فقرات من مذكرات د . محمد حسين هيكل ، وكان من أبرز أعضاء الوزارة « المحمدية » ، أو « المحمودية » الجديدة : أقسم الوزراء اليمين بين يدى الملك بعد ظهر يوم الخميس ٣١ ديسمبر ١٩٣٧ ودعينا لصلاة الجمعة مع الملك بمسجد القبة فى اليوم التالى ، انقضى يوم الخميس ، وأصبحنا نهار الجمعة وذهبنا الى المسجد نصلى مع الملك ، هناك علمت أن فرق القمصان الزرقاء ، التي تألفت فى ظل الوزارة الوفدية لم يبق لها أثر ، وأن الأماكن التي كانت تدرب فيها قد خلت فلم يبق لواحد من أصحاب هذه القمصان فيها أى وجود . كما علمت بأن الهدوء شمل أرجاء الدولة جميعا ، وكان لم تكن فى البلاد ، الى صبح الامس وزارة وفدية ، وأن ما كان البعض يتحدث عنه من قيام الثورة والاضطراب ومن الدماء تسيل فى الشوارع ، إنما كان حديث خرافة ، ولم أعجب لما سمعت من ذلك ولم يعجب له غيرى فقد كنا جميعا نعلم ان الحكومة كانت تنفق على فرق القمصان الزرقاء من المصروفات السرية ، أما وقد أيقن أفراد هذه الفرق ، أن مرتباتهم انقطع مصدرها وانهم يجب أن يلتمسوا لكسب العيش وسيلة أخرى فقد انصرفوا يلتمسون هذه الوسيلة شأنهم شأن كل مأجور على عمل ، لا يصدر فى القيام به عن ايمان ثابت فى نفسه ، وكيف نريد لهذه العصابات من شذاذ الآفاق «!» أن يؤمن أفرادها بشئ ، غير مصلحتهم الذاتية العاجلة يقتضونها وهم فى أمن وطمأنينة بحماية الحكومة لهم من ثورة رأى العام عليهم ، واعتدائه عليهم فاذا زایلتهم الطمأنينة وفاتهم النفع العاجل تفرقوا ، شذر مذر ، ولم يبق لتشيكلاتهم من أثر .

● ويقول الدكتور هيكل ، أن أول محك لشعبية الوفد كانت انتخابات نقابة المحامين فقد كان انتخاب النقيب ، منذ عام ١٩٢١ ، يسفر عن فوز الوفد ولا تسئل — هكذا يقول د . هيكل — عن اغتباطنا حين علمنا أن الانتخابات تمت

فأسفرت عن أغلبية لغير الوفديين وعن انتخاب محمد على علوية باشا نقيباً للمحامين فقد كانت هذه النتيجة حجة قائمة عندنا على انصراف الراى العام عن الوفد ، وعن النحاس باشا داعية بذلك الى اطمئناننا ، والى استتباب السكينة والأمن فى البلاد .



● ويقول د. هيكل ، ان محمد محمود باشا قد ذكر له بعد قليل من تأليف الوزارة أن الملك لم يكن يريد أن يعقد قرانه فى عهد النحاس باشا فلما أقيمت وزارته وتألفت وزارة محمد محمود باشا حدد جلالته يوم ٢٠ يناير ١٩٣٧ ، لعقد القران وقد أصدر الملك أمره ، بتغيير اسم الأنسة صافيناز كريمة يوسف ذو الفقار باشا المستشار بمحكمة الاستئناف المختلطة وحفيدة محمد سعيد باشا الذى تولى رئاسة الوزارة فى مصر ، غير مرة ، أصدر الملك أمره بتغيير اسم صافيناز الى فريدة وقد اختار لها هذا الاسم المبتدئ بحرف الفاء تأسيا بوالده الملك فؤاد اذ دعا أبناءه جميعا بأسماء مبتدئة بهذا الحرف .



● ويقول د. هيكل أن وزارة محمد محمود باشا رأت أن تحل البرلمان بعد أن خشيت أنها اذا تقدمت اليه لا تنال ثقته ، الأمر الذى يضعف مركزها ، وعن الانتخابات يقول د. هيكل انه بعد أن أعلن تعديل الدوائر الانتخابية انصرف كثيرون ممن يودون ترشيح أنفسهم عن الوفد ، الأمر الذى يوحى بأن الوفد لم يعد له - كما كان فى الماضى - ما كان له من سلطان على الناخبين حين كانوا يقولون : لو رشح الوفد حجرا ، لوجب انتخابه ، فيستمتع اليهم الناس وتكون لهم الاغلبية الساحقة ، أما أن ينصرف الناس عنهم ، فلا يجدون لهذا العدد العظيم من الدوائر مرشحين فهذا أمر ، له دلالة وله من غير شك سببه وعلة ، وكان هيكل من المعارضين لتعديل الدوائر الانتخابية رغم مشاركته فى الوزارة ، التى قامت بعملية التعديل هذه ، وينتقد د. هيكل الاوضاع القائمة وقتئذ انتقادا عنيفا فمن أسف أن الشعب يرى الامور بالعين ، التى يراها بها الموظفون ويقف من الحكم ، موقف المتفرج لا موقف صاحب الحق ومن شأن المتفرج أن يتحمس للمنتصر وان يطرب لانتصاره وان يزدري المنهزم ويدمغه باحتقاره كما ان هذا المتفرج - فى الانتخابات - لا يشعر بأن عليه واجبا يؤديه أكثر من ان يلتمس السلامة لنفسه حتى لا يصيبه من هذه الحركة اذى وان يقول للمنتصر فى آخر المعركة مرحى مرحى . أما الشعب الذى يؤمن بأنه صاحب الحق ومصدر السلطات بالفعل فلا يرضى ان يقف من المعركة الانتخابية موقف المتفرج ، ولا ينعج بالنقد والتجريح يوجهه حزب لحزب ، أو جماعة لجماعة بل يريد من هؤلاء الذين يطلبون توكيله ان يعينوا له حدود هذا التوكيل وهو واثق من أنهم لن

يستطيعوا خداعه ، لان له ارادة وقدره يستطيع بهما أن ينزع توكيله ممن يتخطون حدود هذا التوكيل أو يسيئون التصرف في حدوده ، ولأن هذا الشعب مصدر السلطات حقا ، ورأيه هو المهيمن على السلطات جميعا يقر عملها ما أحسنت ويثور عليها ان أساءت ، وهو في ثورته غير محتاج الى العنف بل يكفيه أن يظهر غضبه ، ليعلم الذين أثاروا هذا الغضب أنهم لم يبقوا موضع ثقته وان عليهم أن يعيدوا اليه الأمر ، ليقول كلمته فتكون العليا لا راد لها ولا معقب عليها



● ويقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعي عن وزارة محمد محمود باشا ، الثانية أن هذه الوزارة كانت مترددة بين مواجهة البرلمان ، وحل مجلس النواب دون التقدم اليه ، فقد أفضى الدكتور أحمد ماهر ، وكان رئيسا لمجلس النواب الى رئيس الوزراء أن كثيرا من أعضاء المجلس انضموا اليه فلا خوف على الوزارة من طرح مسألة الثقة ، ولكن الوزارة تبينت من تحرياتها ، أن الدكتور ماهر كان مسرفا في تفاؤله وان أغلبية أعضاء المجلس بقوا مع النجاس خوفا على مراكزهم الشخصية فأثرت الوزارة حل المجلس دون أن تواجهه .



وعن الانتخابات التي أجرتها وزارة محمد محمود باشا يقول الأستاذ الرافعي : تسخلت الوزارة اداريا لصالح كثير من مرشحيها ، وأنصارها فلم تكن في جملتها حرة ولا سليمة ، وليس هذا الوضع من الدستور في شيء وكان نتيجةها نجاح ١٩٣ من أنصار الحكومة من الأحرار الدستوريين والسبعدين « حزب ماهر ، والنقراشي » ، ٥٥ من المستقلين الموالين للحكومة ، و ١٢ من الوفديين ، ٤ من الحزب الوطني والمجموع ٢٦٤ نائبا .

ولم يتوافر في المجلس الجديد - كما يقول أستاذنا الرفعي - عنصر الاستقلال وحرية الرأي بين النواب بل ظهوراً - في الجملة - على نقيض ذلك وان كانوا أكثر استقلالاً من النواب الوفديين ولم يكن للمجلس رأى في قيام الوزارت وسقوطها ، وتعديلها ، بل كانت الازمات الوزارية تنشأ ، وتنتهي وتعديل الوزارة او تستقبل وتعين الوزارة التي تخلفها دون أي دخل للبرلمان ، والنواب يدعون لكل وضع تريده السراى ولكل تعديل وتبديل في الوزارة بغير ما أعترض او استنكار وتجلى هذا المظهر بمجرد ظهور نتائج الانتخابات فقد أراد محمد محمود أن يدخل في وزارته تعديلا يتناسب مع هذه النتيجة لكي يجعل لوزارته طابعا دستوريا فحيل بينه وبين اجراء هذا التعديل وغلبت عليه كلمة رئيس الديوان وبقيت الوزارة ، كما ألفت ، كأن لم تحصل انتخابات .

واذكر عن تلك الانتخابات وقد كنت يومئذ غير مدرك لصغر سنى أننى ستمعت كلاما كثيرا على تلك الانتخابات التى جرت فى دائرة سمى سمى ، حيث كان مصطفى النحاس باشا وعلى المنزلاوى بك مرشحين فى تلك الانتخابات عن تلك الدائرة .

ورغم أن على المنزلاوى كان يتمتع فى قريته وما حولها بتأييد قوى ، إلا أن مصطفى النحاس كان يتمتع فى عاصمة المركز - مركز سمى - وما حولها ، بتأييد جارف ولم يكن يتصور أحد أن مصطفى النحاس يمكن أن يسقط فى دائرته ، لولا تدخل الحكومة الى جانب مرشحها على المنزلاوى بك فقد ظل مصطفى النحاس منذ بداية الحياة النيابية نائبا عن سمى ، كما أن خدماته لابناء الدائرة وعرفان أبناء هذه الدائرة لأفضال مصطفى النحاس عليهم كانت تفرض نجاحه فى سهولة ويسر . وقد بعث الينا الأخ الكبير الأستاذ مصطفى المنزلاوى - فجل على بك المنزلاوى تعقيبا على هذا الكلام نشرناه فى آخر الكتاب .



والذى لا جدال فيه أن الحكومة ، قسمت الدوائر الانتخابية تقسيما من شأنه اراحة مرشحيها والتضييق على خصومها ، كما أنها فى كثير من الدوائر قد تدخلت تدخلا مباشرا - بل ومعيبا - لصالح مرشحيها ، وحلفائها ، ولإسقاط المرشحين الوفديين .

صحيح ان كثيرين من السياسيين القدامى قد خرجوا من الوفد مع ماهر والنقراشى وصحيح أن جماهير ، عريضة قد تركت حزب الوفد بسبب اقالة فاروق للحكومة الوفدية ، وصحيح ان الوفد وجد - كما يقول د . هيكى - صعوبة فى الحصول على مرشحين فى كل الدوائر الانتخابية و . . ولكن لا أحد حتى ولو كان فى مقدمة أنصار وزارة محمد محمود باشا - كان يتصور ، ان الوفد المصرى فى اية انتخابات حتى ولو كانت تلك الانتخابات قد تمت بإشراف صدقى باشا - الخبير فى التدخل الحكومى فى الانتخابات - يمكن ان يخرج من تلك الانتخابات بـ ١٢ مقعدا لا أكثر ولا أقل وأن تسقط القيادات الوفدية ، كل القيادات الوفدية فى تلك الانتخابات فلا يفلت منها شخص واحد الأمر الذى يؤكد حقيقة ان الانتخابات فى كثير من الدوائر - ولا نقول الكل - قد شابها كثير من أوجه الضغط والإكراه . .



ونحول موضوع الانتخابات يقول الأستاذ محمد زكى عبد القادر فى كتابه : « محنة الدستور » : لو اجرت الحكومة هذه الانتخابات بشئ من الحياد لكان الأمر ولكنها أجرتها بصورة مجافية لكل قواعد الحرية ، بحيث يمكن القول بأنها فرضت أشخاص التناجيين فرضا والنتائج التى أسفرت عنها أكبر دليل

يبدین الوزارة ووسائلها فقد نجح ١٩٣٠ ، من الدستوريين والسعديين ، ٥٢٠ من المستقلين ، ١٢ من الوفديين ، ٤٠٠ من الحزب الوطني ، وليس من المعقول أن ينقلب الرأي العام هذا الانقلاب السريع ، فينصرف عن الوفد في مثل هذه المدة الوجيزة الى حد انه لا يحصل على أكثر من ١٢ مقعدا ودون أن تقع تطورات أصيلة في تفكير الناس فضلا عن أن الاقالة وشعور الناس بأن الأمر ، أخذ يرتد الى السراى جعلهم يفضون عن كثير من أخطاء الوفد ويؤثرونه بتأييدهم على أنه خط الدفاع ضد دكتاتورية القصر . ثم هناك دليل آخر هو : كيف يحصل حزب الاحرار الدستوريين في انتخابات سنة ١٩٣٨ على أكثر من مائة مقعد وهو الذي لم يحصل في انتخابات سنة ١٩٣٦ ، على أكثر من ستة مقاعد ؟ واذا صح أن الناس انصرفوا عن الوفد فليس من المؤكد أن انصرافهم كان الى الاحرار الدستوريين لانهم لم يأتوا بأعمال شعبية في الفترة ما بين سنة ١٩٣٦ ، وسنة ١٩٣٨ فقد اشتركوا كما اشترك غيرهم في توقيع معاهدة ١٩٣٦ ولم تكن معارضتهم لأعمال الوزارة الوفدية معارضة ناجحة ، بل كانت أقرب الى الكيد منها الى المعارضة . ثم إن توليهم الحكم بعد اقالة الوزارة دون سبب مفهوم أضعف مركزهم الشعبي فوق ضعفه وأحس الناس أنهم لم يتغيروا عما كانوا عليه في سنة ١٩٢٨ .



والأمر بالنسبة للسعديين فيه ما يقال أيضا فان حزبهم لم يتألف الا قبل الانتخابات بفترة قصيرة ، وكانوا الى ما قبل شهرين أو ثلاثة من اجراء الانتخابات وفديين ، اشتركوا في كل أعمال الوزارة الوفدية ، وقراراتها ولا يكفى لكن يحصلوا على تأييد كبير من الشعب ان يخرجوا من الوفد ، ذاكرين الفساد ، وبالحسوبيات والرشاوى ، ثم جاء اقرارهم الظمى لاقالة وزارة الوفد ولاسلوب الحكومة في اجراء الانتخابات ، سببا جعل الناس يستريحون في أمرهم .



وهنا لابد من توضيح الموقف وتحديد المسئوليات فان خروج النقراشي وماهر من الوفد سواء كان هذا الخروج بإرادتهما أم بقرار من أعضاء الوفد ، كان طبقا - لما ذكرناه - ان الوفد خرج عن الخطوط التي رسمها سعد زغلول فبطش بالحريات وسار سيرة المحسوبية ، والحزبية ، في شئون الحكم ، ولو استمسكا بقواعد الدستور والمبادئ الجديدة واتجها الى الرأي العام ببيان أخطاء الوزارة : وينتقدونها ويحاولان كسب الرأي العام الى صفهما لما كان على موقفهما غبار ولكن أمر انشاء الحزب الذي أنشأه مفهوما .

ولكنهما أقرا اقالة الوزارة ، وأقرا أساليب الحكومة الجديدة في الانتخابات ، وقبلوا أن ينجح انصارهما بالضغط والارهاب وليس في هذا شيء .

يقبله سعد زغلول أو يرضاه ، وليس فيه ما يتفق في قليل أو كثير مع القواعد الدستورية السليمة ، التي تقول أن الأمة مصدر السلطات ، وهما وانصارهما يعرفون أن السراى أصبحت باقالة الوزارة الوفدية واجراء انتخابات سنة ١٩٣٨ سيده الموقف لانها تعرف أن الانتخابات لم تكن حرة وان الحكومة القائمة وأن حظيت بأغلبية البرلمان لا تستند الى أى تأييد شعبي فالوضع الذي ارتضاه الحزب السعدى وضع غير دستورى من رأسه الى قدمه ، ولم يكن هذا علاجا لفساد الحكم الوفدى ولن يكون ، ولكنه كان نقلا للسلطة أو مساعدا على نقلها من الشعب الى السراى واذا كان من حظوا بالثقة الشعبية قد أساءوا باستعمالها فانهم ليسوا خالدين ، وسيعرفهم الشعب حتما ، وسينصرف عنهم في وقت قريب أو بعيد والشعب أولا ، وأخيرا هو صاحب الحق ، يمنحه من يشاء ، ويحرمه من يشاء وليس لاحد أن يفرض عليه وصاية ، ..



وقد آكون مع الاستاذ محمد زكى عبد القادر في كل ما ارتآه فيما يتعلق بالانتخابات ولكننى أختلف معه الى حد كبير ، فيما يتعلق بالقاء مسئولية ما جرى في الانتخابات على الحزب السعدى خاصة وانه كان يشكو طوال فترة الانتخابات من الحكومة ، وهو غير ممثل فيها ، كما أنه كان يقيم الدليل تلو الدليل - أثناء الانتخابات - على أن الادارة تتحيز ضده لا معه ، ثم أنه - فى النهاية - كان يرى أن الانتخابات ، لم تكن لصالحه تماما بقدر ما كانت فى صالح الاحرار الدستوريين . فلقد دخل الحزب السعدى الانتخابات بعدد غير قليل من الكوادر الوفدية ، التي كانت قد تعودت النجاح ، فى كثير من الانتخابات وقد كان الحزب السعدى يطمع فى أن يكون له الأغلبية فيه تلك الانتخابات ، فلما لم يحصل على ما يريده لم يشأ الاشتراك فى الحكم فور الانتهاء من عملية الانتخابات فالحزب السعدى بلا جدال ليس مسئولا ، أبدا عما حدث فى الانتخابات لانه لم يكن شريكا فى الحكومة وان كان شريكا فى معاداته للنظام السابق ..



ويقول د . يونان لبيب رزق ، عن وزارة محمد محمود باشا الثانية : كان مطلوبا تجربة جديدة دون تعطيل دستور ١٩٢٣ ، أو تغييره وتمثلت التجربة الجديدة ، فى تدخل الادارة فى الانتخابات مما ترتب عليه سلبية طويلة من المجالس النيابية أنبثق تشكيلها من رغبة القصر وقد بدأت وزارة محمد محمود فى تنفيذ خطتها باستصدار المرسوم الملكى بحل البرلمان الوفدى وقد هاج النواب الوفديون الا أن الشرطة تمكنت من اخراجهم من المجلس بعد قراءة المرسوم ، وتبع ذلك أن أخذت الوزارة فى القيام بعمليات فصل واسعة

للموظفين الوفديين ، واحلال موظفين معروفين بولائهم لها محلهم ، في نفس الوقت كانت الحكومة تقوم بالاعداد لانتخابات مجلس نواب جديد .

وقد استخدمت وزارة محمد محمود كل ثقل الادارة لتشكيل مجلس « لا وفدى » وكانت اهم القوى الكبيرة ، التي دخلت الانتخابات التي جرت في عام ١٩٣٨ :

١ - الحكومة التي تسمى مرشحوها بالمرشحين القوميين على أساس أن الوزارة تمثل ائتلافا قوميا ، بدون الوفد وقد نال بالطبع هؤلاء كل معونة من الادارة .

٢ - الهيئة السعدية التي كانت قد تشكلت خلال هذه الشهور يقودها أحمد ماهر ، والنقراشي بعد انسلاخهما عن الحزب الكبير وقد تحرك هؤلاء بحرية في عدد كبير من الدوائر ، الانتخابية ، وقد انبعت توفير هذه الحرية من رغبة كل من القصر ، ومحمد محمود في التنصل من تهمة تزوير الانتخابات ومن الرغبة أيضا في هدم الوفد ، على أيدي المنشقين عنه ، واطهار أن الحزب الكبير قد انقسم على نفسه إلى وفد سعدي ، يمثل أغلبية الوفديين و « وفد نحاسي » يمثل أقليتهم .

٣ - الوفديون : وقد بلغت الضغوط ذروتها طوال أيام الانتخابات . ونحسب أن تشير إلى رأى أحد الثقات الأجانب في هذه الانتخابات ، هو رأى معاريسيل كولومب في كتابه « تطور مصر ١٩٢٤ - ١٩٥٠ » « ترجمة زهير الشايب » بتقديم دكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى هذا الرأى هو : في أكتوبر ١٩٣٧ عهد الملك إلى علي ماهر باشا برئاسة الديوان الملكي غير عابى برأى مصطفى النحاس ، وأخيرا أصدر الملك في ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ - وهو - أى الملك - واثق من شعبيته ، قراره الخاص باقالة الحكومة ، وجل مجلس النواب . وكلفت الحكومة التي شكلها محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين بإجراء انتخابات جديدة وأجريت هذه الانتخابات في مارس من العام التالي ، وكانت هزيمة الوفد فيها ساحقة فقد سقط مرشحوه الأقوياء ، أمثال مكرم عبيد باشا سكرتير الحزب ومحمود بسيونى بك رئيس مجلس الشيوخ وزكى العرابى باشا ، والهلالى بك ، وعثمان محرم باشا ، أما مصطفى النحاس باشا فقد فشل في دائرته « سمنود » في الحصول على عدد الأصوات اللازمة لنجاحه وهكذا كانت ستة أشهر من حكم فاروق كافية للاحاق الهزيمة بنخصم لم يستطع والده فؤاد طيلة حكمه ، أن يقهره . . .



وكان د. محمد حسين هيكل قد ألقى ، على كاهله كوزير دولة لشئون وزارة الداخلية المنصب الأوفى من تنظيم الحملة الانتخابية ، وكان محمد محمود

باشا قد ألقى خطابا سياسيا في ميدان الاسماعيليه « ميدان التحرير الآن » أعلن فيه عن برنامج الانتخابي كرئيس للحكومة وكان من بين ما قاله : تألفت هذه الوزارة لتقييم النظام الدستوري بروحه الصحيحة فتقيم حكما صالحا ، مكان حكم أغضب الشعب فخرج عليه ليستقر في مصر ، الأمن ، والطمانينة ، تهيب بهما الجو لاستئناف الحرية ، والنظام وتمهد بهما لاعمال الإصلاح ، التي يقتضيها العهد الجديد ، • وكان من بين ما قاله : نحن بحاجة الى اذاعة الروح الدستورية وتمكينها في شئوننا العامة ، بحاجة الى الجو الذي تعيش فيه الحريات وترعرع ، بحاجة الى الأخذ بأسباب التربية السياسية الصحيحة ، واشاعة تقاليد الحكم السليم : بحاجة الى وضع الأسس الكريمة للحياة القومية ورفع مستوى الحياة العامة والخاصة ، بحاجة الى توفير أسباب الكفاح في المعترك الدولي ، وأسباب الدفاع عن سلامة أراضينا •

ويعلم محمد محمود أن الوزارة الحاضرة قد عقدت العزم على أن تسير بالبلاد ، في هذا السبيل وأن تتضافر واياها على بلوغ هذه الغاية فهي تعمل على استثمار كل ما في البلاد من القوى الطبيعية وهي تحرص على تماسك عناصر الشعب ، ووحدة صفوفه وعلى بقاء التعاون والوثام بين الاقباط والمسلمين ويتفقان في المستقبل كما كانا في الماضي وهي - أي الحكومة - مصرة على القضاء ، على كل ذعابة قد يشتم منها روح التفريق بينهما وهي خطمينة الى انها تستحق للبلاد بذلك كل ما هي جديرة به من تقديم واتقاء •



وقد كان للدكتور محمد حسين هيكل رغم اشرافه على الانتخابات رأى خاص في الانتخابات التي أشرف على اجرائها وماسبقها من انتخابات ، ويتلخص هذا الرأي في ، أننا - هكذا قال بالحرف الواحد - : قد سلخنا أربعة عشر عاما أو تزيد في الحياة البرلمانية ومنذ خمسة عشر عاما صدر الدستور يقرر أن مصدر السلطات كلها الامه وقد كررت الصحف وكرر الخطباء عبارة « مصدر السلطات » هذه آلاف المرات خلال تلك الاعوام الخمسة عشر وكان المفهوم أن يتطور تصور الناس لشئون الحكم ليطلق هذا المبدأ ، فيرون الحكومة وكيفا عنهم ، تستمد سلطانتها من سلطانهم وتعمل في حدود وكاليتها لصون حقوقهم والاشراف على واجباتهم •



على أن ما حدث من هذا التطور كان بطيئا لا يكاد الانسان يحسه فأول ما تقتضيه وكالة الحكومة بكل أدواتها عن الامه أن يشعر الجميع ، على اختلاف ألوانهم ، ومشاريعهم مؤيدين كانوا للوزارة القائمة أو معارضين لها ان هذه الاداة:

الحكومية ترعى حقوقهم جميعا على سواء وتنفذ القانون فيهم على سواء ، وانها تأمر وتنهى فى حدود القانون لحسابهم جميعا لا لحساب طائفة على حساب طائفة أخرى ولا لحساب حزب على حساب حزب آخر لكن هذه المبادئ الاولى فى الحكم الدستورى عامة وفى الحكم البرلمانى خاصة ، لم يكن لها أثر محسوس فيما شبهت من صلة الشعب بالحكومة بل كان الظاهر للعيان أن رجال الحكومة يشعرون بأنهم لا يستمدون سلطتهم من الامة ولا من القانون ، وانهم على العكس من ذلك مسلطون على الامة يوجهونها وفق ارادتهم ولا يتجهون وفق ارادتها ويعملون لحسابهم أكثر مما يعملون لحسابها وتعنيهم مصلحتهم . وقلما تعنيهم مصلحتها !



ويقول د . هيكىل : ومن أسف أن الشعب يرى الامور بالعين ، التي يراها بها الموظفون فاذا سمع حديثا ، عن اصلاح شئونه حسبته من قبيل القصص التي تتلى عليه لتلخيصه كما تتلى عليه قصة الزير سالم ، أو أبو زيد الهلالي وخيل اليه ان ما هو فيه قدر محتوم لا يستطيع أحد له تحويلا ، ولا تبديلا . ويعلم د . هيكىل ذلك كله قائلا : انه الجهل من ناحية ، والاستبداد الذي رزحت تحت نيره اجيال ، متعاقبة من ناحية أخرى فالجاهل يضطرب ولا يثور والمستبد يجمع الاضطراب والثورة جميعا . بأنهم القانون حيناً . وباسم النظام حيناً آخر ، ولم يكن يسيرا ان تنتقل الامة من ظلمات الجهل الى نور العلم فى أقل من جيل ولم يكن يسيرا كذلك أن تغير تصورها للأشياء تثور على ما ألقت أجيالا طويلة وقد أتاح هذا الجهل للذين أوتوا أيسر حظ من العلم أن يحسبوا أنفسهم من طبقة غير طبقة الامة فمن حقهم أن يستعملوا عليها ، وأن يستبدوا بها ولو أن غشاوة الجهل زالت عن البصائر والابصار ، وانتشر التعليم بين طبقات الامة فشعر الموظفون كبارا وصغارا بأنهم ليسوا خيرا من غيرهم مكانا وأنهم يقومون فى وظائفهم ، بأعمال يستطيع غيرهم من أبناء الشعب أن يقوم بمثلها ، اذن لتغير الحال . ولتطور تصور الامة لمعنى الحكم ، ولآمن الجميع بأن عبارة « مصدر السلطات كلها الامة » لها مدلول قوى يجعل الحكومة وكيلا عن الامة حقا يعمل لحسابها ، لا لحسابه ، ويؤثر مصلحتها على مصلحته ثم يرى مصلحته الذاتية مرتبطة بمصلحة هذا المجموع ، الذى يوليه سلطاته ويكفل له حريته وحياته .



ونستأذن القارئ فى جولة سريعة خاطفة فى صحافتنا خلال المرحلة الأولى من مراحل وزارة محمد محمود باشا الثانية ، وما كان يشغل الرأى العام وقتئذ ، وعلى سبيل المثال ، لا العصر ، بالطبع :



● في ١٩٣٨/١/٦ طالبت صحيفة كوكب الشرق الوفدية الدكتور أحمد ماهر والنقراشي باشا والدكتور حامد محمود بالعودة الى الوفد ، المنزل الأول الذي نشأوا فيه ووجدوا من أجله احترام الناس وتقدير الملايين . وخذرت من انضم اليهم من الشيوخ والنواب ، الوفديين من الانتقال الى صف الاقليات ، وتقول الصحيفة في نهاية تحذيرها هذا : أما وقد أبيتم أن تمشوا الى آخر هذا الطريق الموجع الوعر ، والخطر ، فلتتلقوا على رعوسكم ما أنتم تستحقونه !!

● في ١٩٣٨/١/٨ ، تهتم الصحف المصرية بذهاب العديد من الشباب الى دار مدرسة مصطفى كامل لرؤية تمثال مصطفى كامل ، في دار المدرسة ، وتشير الصحف الى الخطاب الوطني الثوري الذي ألقته عزيزة عباس عصفور الطالبة بكلية الحقوق وقتئذ كما تشير الى البرقيات التي أرسلها هؤلاء الشباب الى الجهات المسئولة لاجراج تمثال مصطفى كامل السجين في مدرسته ، ويتوجه هذا الشباب بعد ذلك الى د. أحمد ماهر ، في مكتبه للتحدث اليه في أمر هذا التمثال السجين الذي تم اعداده من ربح قرن فضي ، وقد أكد د. ماهر ، لمن زاره من الشباب ان من الواجب الوطني البحث عن مكان لائق ينقل اليه هذا التمثال .

● أشارت الصحف الى القضية المتهم فيها حسان أبو رحاب أفندي ، ومصطفى الحفناوي أفندي الطالب بكلية الحقوق ، لأنهما نشرتا كتابا عن حكومة الوفد اعتبرتته الجهات المختصة معاقبا عليه .

تولى الدفاع عن المتهمين عبد الرحمن الرافي ، عبد الرحمن البيلي ، مصطفى مرعي .



● كانت الصحف تهتم بأخبار الوفود ، التي تزور د. أحمد ماهر في مكتبه في مجلس النواب وفي ١٩٣٨/١/٩ أفردت الصحف ، أمكنة بارزة لخطاب الدكتور أحمد ماهر رد فيه على بيان مصطفى النحاس بخصوص خلافه مع النقراشي باشا ، وما قاله د. ماهر : لقد رأينا أن لدى مصطفى النحاس باشا ومكزم باشا رغبة جامحة في الاستبداد ومواصلة مستمرة للعدوان على الحريات والكرامات وعلى كل عزة في النفس وكل كرامة في الرجال : قيدوا الحريات وانتهكوا حرمت القوانين والدستور وصبرنا ونصحبنا لهم مرة ومرة أخرى فأهملوا النصح واستمروا في غيهم وانساقوا فيه حتى لم يبق في قوس الصبر منزع ، ويقول أحمد ماهر : لقد ضحى مصطفى النحاس باشا فيما مضى وخدم بلاده وأخلص وكان من الخير له بعد ذلك أن يقرن فخر ماضيه بخسرات حاضره ويعف عند هذا الحد ، أما أن يتنكر في حاضره للمبادئ التي أحترمها في ماضيه فذلك ما لا تجدى فيه شفاعة ..

● في الأهرام الصادر في ٢٦ يناير ١٩٣٨ يكتب توفيق الحكيم رسالة الى صديقه الدكتور منصور فهمي بك بدأها قائلا : ما دعنا قد اتفقنا على أن العمل قد حان له أن يحل محل الكلام ، وما دمت يا صديقي قد طلبت الى أن أمضي في ذكر التفاصيل فإن أول ما ينبغي عمله هو وضع البرنامج ، وقد ترد على بأن وضع البرنامج هو أيضا مما يدخل في منطقة الكلام ، ولكن ما الحيلة اذا كانت حتى هذه الخطوة الأولى في سبيل العمل ، لم نخطها بعد : ان كل النهضات اني قامت بها الحكومات الجديدة في بلادها خصوصا بعد الحرب ، انما تمت وفق منهج مرسوم ، تحدد لتنفيذها زمن معلوم فقالوا هذا النظام خمسي ، وهذا عشري ، تبعا لعدد السنوات التي قرر الاختصاصيون ، انها لازمة لظهور المشاريع ، ويتساءل توفيق الحكيم في رسالته عما اذا كان قد وضع نظام ثابت لمحو الأمية من البلاد في ظرف سنوات معلومة ، وعما اذا كانت لدينا مشروعات اقتصادية درسها الخبراء ، وقرروا لها زمنا تتم فيه وتخرج للبلاد في نهايته وسيلة جديدة من وسائل الانتاج تزيد الثروة الأهلية الزيادة التي تتعادل مع نمو عدد السكان وتسد الحاجات المنتظرة والمطالب المستقبلية وعما اذا كان الباحثون قد درسوا سياسة ثابتة للتعليم الجامعي ، و . . . و . . .



ويرد توفيق الحكيم على هذه التساؤلات قائلا : انه لم يوضع شيء بعد - حتى على الورق - لتحديد العمل والزمن الذي يقتضيه التنفيذ لمختلف فروع نهضتنا بل انه لم ينظر الى الآن حتى فيما يجب البدء به حالا من هذه الطرائق المختلفة تبعا لحاجة البلاد حتى لا يضيع علينا الوقت ؟

● ويرد د. منصور فهمي ، على توفيق الحكيم في أهرام ٢٧ يناير ١٩٣٨ متسائلا : أفلا ترى أن الخطط المستقيمة للأعمال قد رسمت بإحكام ، واتقان ولكنها لا تلبث أن تلتوى وتفسد ، اذا كانت نفوس من يبدعهم تعهدا ، وتحقيقا ، فيها ضعف وفيها فساد .

أما ترى الرأي الناضج يجرى به من الناس من لا يجد لشخصه من مرضى القلوب قبولا ، فيهدر الرأي حينئذ وتتلشى فوائده ؟ ويرد د. منصور فهمي على تساؤلاته ، قائلا : في خلط الأعمال وفي اعتداء الشخصيات على المصالح داؤنا الاجتماعي القتال فانشد اذن للنفس أسباب البر ، والسلامة من هذا المرض والوهن الخلقي فاذا برئت نفوسنا منه وخلص منطق الناس من أثر هذا الداء العضال تتلاقى العقول السليمة ، والفطر القويمة بالعواطف البريئة ، السامية ، التي لا تسممها الأهواء وتفوز الأمة من هذا التواصل وهذا اللقاء بخير السعى ، وخير العمل .



سنوات ما قبل الثورة ج٢ - ٢٥٧

● كانت افتتاحية جريدة الأهرام في يوم الجمعة ٤ فبراير ١٩٣٨ عن
الجدل السياسى بين زعمائنا ٠٠ والافتتاحية ، تعقب على ثلاثة بيانات أو ثلاث
وثائق صدرت عن الحكومة والمعارضة ، وعن الحزب الجديد - الهيئة السعدية -
برئاسة أحمد ماهر ، والنقراشى . وتقول الأهرام : من حق الزعماء أن يصدروا
ما شاءوا من البيانات فيعلنوا فيما يبدو لهم من الآراء فى سياسة البلاد العامة ،
بل ان ذلك لواجب عليهم ولا سيما فى هذا الوقت الذى اشتد فيه نشاط البلاد
السياسى ، واستدبرت فيه الأمة مرحلة من مراحل حياتها البرلمانية لتستقبل
مرحلة جديدة ، نعم ليس على زعمائنا من حرج ، اذا هم عمدوا الى المساجلات
يبدى فيها كل فريق رأيه ويقرر حجة مخالفة للسياسة ، بحجة مثلها ثم يكون
الرأى فى النهاية للأمة ، فهى المرجع وهى الحكم ، ذلك أن مساجلات الزعماء
تبصر الرأى العام بالحقائق ، وتكشف له ، عما قد يغم عليه من دقائق الأمور
ودخائلها وتنير له الطريق فيرى الحجة واضحة فيسلكها فى غير عناء ، بل هى
دروس يتلقاها الجمهور من قاداته فتكفل له التربية السياسية ، الصالحة ، .



● وكان محمد محمود باشا بصفته رئيسا للوزراء ، قد أصدر بيانا عن
موقف حكومته حيال البرلمان ، الذى حله والأسباب التى دعته الى حله ، ودفعته
الى اجراء انتخابات برلمانية جديدة ، وكان مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد
قد « رفع » ونواب الوفد عريضة الى الملك « يلتمسون » فيها قيام وزارة محايدة
تباشر عملية الانتخابات القادمة ، وكان د . أحمد ماهر ، ومحمود فهمى النقراشى
باشا والدكتور حامد محمود قد أصدروا بيانا وجهوه الى الأمة ، يسيطون فيه
موقفهم ، وتقول الأهرام : لقد جاءت بيانات زعمائنا ، عنيفة شديدة فى ألفاظها
مليئة بالتراشق ، بالتهم ، وتبادل الصاق العيوب على صورة لا يرضاها الصديق
بل لعلنا لا نغلو اذا قلنا ان المرء لا يملك نفسه حين تطالعه هذه الصورة من
أن يشتد به الأسف على ما انتهى اليه التطاحن السياسى بين زعماء البلاد
وقاداتها ، ومما يبعث على التفكير ويدعو الى اطالة التأمل ان هذه الظاهرة - ظاهرة
التراعى بالألفاظ ، التى ينبغى أن يتنزه عنها الجدل السياسى - لا ترجع الى
اليوم ، ولا أمس القريب ، غير انها مع هذا تزداد شدة ، واستفحالا حتى بات
المخلصون يشفقون على الأمة من عواقبها وما قد تنتهى اليه - لا قدر الله - من
سوء المصير وتقول الأهرام : أى شر أعظم من أن ينقل المراسلون الأجانب الى
صحفهم ، ما يرون ، وما يسمعون فاذا مصر تبدا أمام العالم ، فى صورة بلد
تفرقت . كلية أبنائه ، وأصبح ، بعضهم حربا على بعض .



● وقد كانت تعليقات الصحف الأخرى على حل مجلس النواب واجراء
انتخابات جديدة مختلفة ومتباينة حسب وجود كل صحيفة فى جانب المعارضة

للحكومة أو في جانب التأييد : جريدة المصرى ، المعارضة قالت : ان يوم حل مجلس النواب هو يوم الدستور بكل ما فيه من قوة ، وسلوى ، ورهبة ويوم الأخلاق بكل ما تعنى من كرامة ورجولة وبطولة ، وتقول المصرى . حل اليوم « المرقوب » -- يوم الحل -- فاذا النواب أكرم نفوسا ، وأقوم خلقا ، وأثبت جنانا ، وأمتن إيماننا من أن يرهبهم سيف المعز ، أو يغريهم ذهبه ؟ .

● وتقول جريدة « السياسة » المؤيدة ، للحكومة أن واجب الحكومة - وهى تشرف على عملية الانتخابات طبعا - أن تسلك السبيل الدستورى الصحيح ، وأن تكون حازمة بحيث تصون الأمن والنظام فاننا نتصور ونحن نسطر هذه الكلمات ، الحالة النفسية التى يعانيتها النحاس باشا وانه سيخرج عن حدوده كما عودنا ، فصيانة لكرامة الأمة يجب أن تتخذ كافة الاحتياطات ضد كل تمرد ، أو عبث بالنظام .

● وتقول جريدة الجهاد ، المعارضة للحكومة تحت عنوان : هزيمة الوزارة قبل الشروع فى المعركة . « ان الوفدين - هكذا قالت الجهاد - يخرجون من هذه المعركة ، وأعلام مصر خافقة فوق رؤوسهم ، ولم يسمح لهم القدر بأن يستخدموا قواهم فى البرلمان لان خصومهم فروا قبل بدء المعركة ، ولم يجدوا ملجأ ، يحميهم من عار الخذلان سوى سلطة جلالة الملك فلجأوا الى الاستعانة بها لكى يبقوا مدة أخرى فى الحكم ولكن يوم النصر الحاسم قريب فالشهران سيمضيان سراجا فخير للوزارة أن تعمل ليومها كأنها تموت غدا ، وأن تترك الأمة طليقة فى اعلان مشيئتها » .



● وفى صدر البلاغ - المؤيد للحكومة - مقال تحت عنوان : « نهاية عهد دابر » جاء فيه : مستحق للحل بحكم الدستور ، ومستحق للحل بحكم الأخلاق ومستحق للحل بحكم الأحزاب والشيع السياسية على اختلاف المصالح ، والآراء ، بل مستحق للحل بحكم الاقتصاد ، وتدير مال الدولة ، لأن خزانة الأمة قد أنفقت على البرلمان فى السنتين الماضيتين زهاء مليون جنيه دون أن تستفيد منه بفائدة غير التصفيق ، لمصطفى النحاس ، ودعوته الى الولائم وشكره على حضورها ، وليته كان تصفيقا باخلاص أو عقيدة مع ذاك فما نحن أولاء ، قد رأينا عاقبة ذلك التصفيق وعاقبة تلك الدعوات وعاقبة ذلك الشكر على الحضور .

● ومن الطريف أن جريدة الأهدام فى ٤ فبراير ١٩٣٨ قد علقت فى صفحتها الأولى على خبر سبق نشره هو أن «صاحب المجد النبيل» عباس حليم ، قد أسس جمعية لمحاربة المحسوبية . والتعليق يقول : « لقد أنشئت تلك

الجمعية لمحاربة المحسوبية على غرار الجمعيات الأخرى التى سبق تأسيسها لمكافحة التدرن الرئوى ، ولكافة دودة القطن ، وللقضاء على الملاريا و . . .



وينتقد كاتب التعليق - فى سخرية ، بالطبع - تأسيس جمعية لمكافحة المحسوبية فى الوظائف فقط ، رغم أن المحسوبية فى الوظائف من شر أنواع المحسوبيات وأشدّها باعنا ، على الشكوى ، وإحراجا ، للصدور ومثارا للمتاعب، ويقول كاتب التعليق ان الاكتفاء بإنشاء جمعية مكافحة المحسوبية فى الوظائف فقط كمن يحاول أن يستأصل جانبا من الداء ثم يدع جوانبه الأخرى فلا يلبث أن يعاود الجسم آلام العلة ، فالمحسوبية - عامة - فى مصر داء قديم ومرض طال عليه الزمن ، ففى كل واد أثر منه « ولا يجد كاتب التعليق من علاج ، للمحسوبيات كلها - كل أنواع المحسوبيات - الا الدعوة الى العدل فان فى العدل ضمنا للقضاء على المحسوبيات . وما اجتمع العدل والمحسوبية فى مكان الا ولى احدهما فرارا » .

● وتهتم الصحف المصرية الصادرة فى فبراير ١٩٣٨ ، بصدور قصة « سارة » للأستاذ عباس محمود العقاد ، وتقول الأهرام عن سارة : عودنا الأستاذ العقاد ، أن يمهّد لكتبه الكثيرة بمقدمات نشرح فكرتها ولكنه لم يشأ فى مؤلفه الجديد ، أن ينحو هذا النحو وترك للقارىء أن يختار له ما شاء من النعوت .

ولقد أحسن المؤلف فليست سارة قصة بالمعنى المألوف المعروف وليست كذلك كتابا وانما هى بين القصة والكتاب بل انها قصة وكتاب معا ، وهى بعد هذا تقوم على تصور حوادث مادية وروحية ، ان صح هذا التعبير ، ونعنى بذلك العراك النفسى ، الذى كثيرا ما خالج بطل القصة همام فجعل من شخصه الواحد ، شخصين وثلاثة أشخاص ، تتنازع كل منهم عوامل حائرة بين الشك واليقين والهدى ، والضلال ، وهنا يبذل المؤلف ما شاء . فى هذا التحليل النفسى بأسلوب يتجلى فيه شرف البيان وثروة الفن .



● وتعلق الصحف المصرية ، والأجنبية الصادرة فى فبراير ١٩٣٨ أيضا على زواج اليوزباشى الطيار أحمد ناجى على بساط الريح فى جو الأهرام وكان من بين ما قالته جريدة سوار الباريسية : اذا كان الخديو اسماعيل قد قال ان مصر قطعة من أوروبا ، فانه يمكن أن يقال اليوم ان مصر ، قطعة من أمريكا ، فزواج ناجى فى الجو ، مطابق لتقاليد هوليوود ، وكان أحمد ناجى قد تزوج ، فى الطائرة ، وكان هذا الزواج متعبا للزوجين ، الروسين ، اذ كانت الطائرة تهتز بمن كانوا بها بسبب اصطدامها بالرياح الشديدة فى منطقة الهرم .

● ومما لفت نظري في الأهرام في ٢٠ فبراير ١٩٣٨ أن الأستاذ محمد زكي عبد القادر قد نشر في صدر الأهرام في باب « الشهير » نحو النور » وكان عنوان الباب : « جنائية السياسة » ، وقد كان مما جاء في مقال أستاذنا زكي عبد القادر : انحط مستوى الوظائف العامة في مصر خلال الأعوام العشرة الأخيرة انحطاطا يدعو الى الأسف والاشفاق ، ومن المحزن ، أنه في الوقت الذي يتقدم فيه التعليم ويزداد المتعلمون وتكثر شهاداتهم ودرجاتهم في الوقت الذي يتوطد فيه مقام الجامعة وتنشأ فيه أقسام عالية للدكتوراه ينحط مستوى الموظفين وهذا كله جنائية السياسة ، وجنائية الاحزاب فقد حسبت أغلب الحكومات أن وظائف الحكومة أهون شيء يمكن الانعام به على الانصار والمحاسيب ، ومن هنا كانت الفوضى ، وكان أن قفز الى الوظائف في هذه السنوات العشر ، أشخاص لا كفاية لهم الا اجادة الهتاف ، والتصفيق واحسان الملئ ، وسبك الاكاذيب ، وكان أن اتجه - وهذا مما يؤسف له - بعض المتعلمين ، تعليما عاليا في سبيل تحقيق أملهم في الحصول على وظيفة نحو الاحزاب ، يهتفون لها ويصفقون لا عن اعتقاد ، ولا عن اخلاص ولا ايمان بمبادئها ، ولكن عن اعتقاد بأن هذا وحده سبيل الوصول ، وعن ايمان بأن الشهادة أو الاجازة لقيمة لها ، ان لم تقترن بهذا التهريج » .

وينتهي الأستاذ محمد زكي عبد القادر ، كلمته تلك بقوله : ان أوائل فرقهم في الاجازات العالية ، لا يجدون عملا ، بينما يرون الهتافة والمصفقين والكذابين والمضللين والدجالين ، والمشعوذين يحتلون الوظائف أفرادا وجماعات .



● وتكون كلمة الأستاذ محمد زكي عبد القادر في صدر الأهرام الصادر في ٢٦ فبراير ١٩٣٨ وفي زاوية « نحو النور » تحت عنوان : « الخصومة السياسية » يشيد فيها بموقف للدكتور أحمد ماهر ، عندما رفض باعتباره الأستاذ الأعظم لمحفلة الشرق الماسوني أن ترفع صورة صاحب المقام الرفيع ، مصطفى النحاس باشا من صور القاعة الكبرى ، في المحفل ، ويشيد بمقاله أحمد ماهر : أن الخصومات السياسية ينبغي ألا تؤثر في العلاقات الشخصية ويشيد أيضا الأستاذ زكي بما قاله أحمد ماهر من أنه يجب على صاحب المقام الرفيع ، مصطفى النحاس باشا على الرغم مما بينهما من الخلاف السياسي ، ويقول الأستاذ محمد زكي عبد القادر لو حدث مثل هذا في إنجلترا أو في غيرها من البلاد الدستورية العريقة ، مألقت نظر أحد ولا استشار كلمة من انسان ، أما في مصر فانه جدير أن يلفت النظر لانه مثل غريب ، على ماتعودنا من خصومة حادة لاتفرق بين الشخص والمبدأ ، بل تتقدم نحو غايتها تحطم الاخلاق ، والفضائل وتعطي الشعب أسوأ الأمثلة ، ويشير الأستاذ محمد زكي عبد القادر الى ماكتبه انتوني ايدن - عندما آثر أن يعتزل عمله كوزير للخارجية البريطانية -

الى مستر شمبرلن رئيس الوزارة البريطانية في كتاب استقالته قائلا ، انه لا يستطيع أن ينسى المساعدات والنصائح التي كان يبذلها له دائما ، وان اختلافهما في الرأي لا يمكن أن يمحو ذكريات صداقتهما أو يؤثر فيها ، ويرد مستر تشمبرلن على ايدن ، شاكرًا له معاونته المخلصة مؤكدا أن لاشيء مما جرى يقلل من اعجابه بمواهبه ، ومحبته له ، ويقول صاحب نافذة « نحو النور » : يمثل هذا الفهم الواضح السماح لروح الدستور ، ونطاق الخدمة العامة ، تقف بريطانيا العظمى بتقاليدها المجيدة ، الحامية الأولى للديمقراطية ورمز الأمان ، والسلام للفكر الحر ، والايان الصادق والانسانية الملهذة .



● ومن مساجلات توفيق الحكيم ، و د . منصور فهمي يكتب توفيق الحكيم في الاهرام « ٢٦ مارس ١٩٣٨ » قائلا : في كل بلد راق حدود مقدسة تقف عندها الحصومة ، وأسلحة لا يلجأ اليها أبناء الوطن الواحد فاقحام الدين مثلا في ميادين الخلاف السياسي أمر لا يمكن أن يحدث في أى شعب ديمقراطى متحضر ، فالديمقراطية ليست كلمة تقال في الخطب لانها جملة ذات رنين ، ولا هي بناء شامخ يسمونه البرلمان ، لكن الديمقراطية هي روح المساواة ، والاخاء ، وحرية الفكر ، المكفولة للجميع وان كل طعنة تصيب كتلة الوطن فتحللها الى عناصر وطوائف ، انما هي طعنة مسمومة تصل مباشرة الى قلب الأمة ، وصميم الديمقراطية ، كذلك ينبغي أن نتذكر دائما أن الخصم في المبدأ هو مواطن مصرى قبل كل شيء ، وإن خصومة المبادئ ، ليس معناها القضاء المبرم على الاشخاص ، بكل الاسلحة . . . لتكن الخصومة في حدود التنافس على القيام بخدمة المجموع ، وليعتقد كل في خصمه ، ان عجزه يوما عن خدمة بلاده على الوجه المطلوب لا يمنع من استطاعة ذلك في يوم آخر ، وينهى توفيق الحكيم كلمته بقوله : فلتكن اذن السهام المصوية من طرف الى طرف في غير مقتل من الشخصية والأدمية والشرف ، فليس من مصلحة الوطن أن تفرش أرضه بضرعي وقتل من أبنائه العاملين ، انما المصلحة هي في أن تتداول السواعد ، ادارة العجلة ، وأن تنتهيا لكل يد الفرصة لخدمة البلاد ، .



● في مشروع الميزانية المصرية للعام المالى « ١٩٣٨ / ١٩٣٩ » قدرت المصروفات بمبلغ ٤٠٠٠٠٠٠٠ ر.ج ٤٠٠٠٠٠٠ ر.ج ٣٦٩٩٢٠٨٢٠ جنيهها في الميزانية الحالية فتكون الزيادة نحو ٣٠٥٢٧٠٠٠ ر.ج ٣٠٥٢٧٠٠٠ ر.ج ، وهذه الزيادة تجيء بسبب الاهتمام بالعلاج ، والتعليم ، والدفاع و . . و الزيادة - مثلا - فى اعتمادات مشروع مياه الشرب فى القرى - تبلغ ٢١٢٠٠٠ جنيه مصرى

الزيادة - مثلا - فى التعليم رغبة فى التوسع فيه بمختلف أنواعه تبلغ ٢٨٥٠٠٠ جنيه مصرى : تنفيذ كادر القضاة يتطلب ١٦٠٠٠ جنيه فى السنة . تحسين وتعزيز الوظائف ، فى ميزانيات الداخلية والبوليس والخفر ، ٥٨٠٠٠ جنيه ، لتحسين حالة العمال فى شتى المصالح طبقا لقرارات مجلس الوزراء ١٨٠٠٠ جنيه . والمقارنة بين ميزانية عام ١٩٣٩/٣٨ ، وما بعدها من ميزانيات ضرورية . وهامة ! .



● من أخبار ذيول المعركة الانتخابية أن مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المنسرى قد بلغ النائب العام بصورة اقرار رفعه اليه متولى محمد شريف أفندى الموظف بمصلحة المساحة بسوهاج والذي كان مندوبا لوزارة الداخلية ، فى لجنة ١٢ رزيقات التابعة لدائرة الضبعية : هذا الاقرار يشكو من حدوث تلاعب فى انتخابات دائرة الضبعية لصالح سعادة أحمد عبود باشا : وبأمر الأستاذ عبد اللطيف بك محمود ، الأفوكاتو العمومى ، بإجراء التحقيق ويستدعى المواطن متولى محمد شريف لسماع أقواله وتطلب منه النيابة احضار أصول الكشف التى كانت الصحف الوفدية قد نشرتها عن انتخابات دائرة الضبعية .

الفصل الثاني

انشقاق في الحزب الوطني بسبب اشتراك رئيسه في وزارة محمد محمود باشا

وقد أحدث قبول حافظ رمضان باشا الاشتراك في وزارة محمد محمود باشا رغم التزام أعضاء ، الحزب الوطني بعدم الاشتراك في أية وزارة في ظل الاحتلال البريطاني ، تصدعا خطيرا • في صفوف الحزب الوطني •

وكان الحزب الوطني وقتئذ غير مستعد لقبول مثل هذا التصريح الذي حدث في الحزب ، وقد تزعم عبد الرحمن الرافعي ، ومحمد محمود جلال وفكرى أباطة وعبد المقصود متولى وغيرهم من قادة الحزب الوطني وأعضاء لجنته الادارية الحركة التي لم تعترف باشتراك حافظ رمضان باشا في الوزارة واعتباره ، غير ممثل للحزب الوطني وانما هو ممثل لشخصه ، لا أكثر ، ولا أقل وكان ان وجدت لجنتان اداريتان للحزب الوطني ، احدهما تؤيد حافظ رمضان والاخرى تعارض اشتراكه في الوزارة و • و •



وقد استمعت أكثر من مرة الى حافظ رمضان باشا - في بيته - وهو يوضح الاسباب التي دفعته الى المشاركة في وزارة محمد محمود باشا ووزارة حسن صبرى باشا فيما بعد ، وقد جادلته في وجهة نظره هذه طويلا . ولم يستطع رحمه الله اقناعي فقد كنت من المؤيدين لوجهة النظر المضادة القائلة بضرورة عدم اشتراك الحزب الوطني في أية وزارة الا اذا تبنت تلك الوزارة مبادئ ، الحزب الوطني رسميا وبذلك قصارى جهدها لتنفيذ تلك المبادئ •

وقد كنت ولا ازال من المؤمنين بأن الحزب الوطني قد خسر كثيرا كحزب ، وكشخصيات قيادية في الحزب عندما قبل مبدأ المشاركة ، في بعض الوزارات

بدليل . أن حافظ رمضان باشا لم يستمر طويلا في الحكم ، بل ولم يحقق من اشتراكه في الوزارة ، أى مكسب للحزب الوطنى ، وبدليل أن المرات التى ، قبل بينها بعض قيادات الحزب الوطنى ، كعبد الرحمن الرافعى ، وعبد العزيز الصوفى وزكى على كانت قليلة ، بل ونادرة وكان أولئك ، الذين قبلوا الاشتراك فى الحكم من قيادات الحزب الوطنى موضع لوم ، وتثريب من زملائهم فى الهيئة الادارية للحزب ومن الكوادر الشابة ، التى لم تغفر لهم جميعا وقوعهم فى هذا الخطأ التاريخى الجسيم !

• • •

وقد حاول حافظ باشا أن يوضح وجهة نظره فى موضوع قبوله للحكم أكثر من مرة أما فى خطبه السياسية ، وكان حافظ باشا حقيقة من الخطباء ، العباقره ، وأما فى أحاديثه الى الصحافة ، وأذكر أنه أدلى بحديث الى الأستاذ كامل الشناوى ، وكان وقتئذ قطبا من أقطاب جريدة الاهرام وقد نشرت الاهرام الحديث فى عددها الصادر فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٩ وكان كامل الشناوى رحمه الله قد حاول فى بداية حديثه ، إثارة حافظ رمضان لأهمية الحديث يعتبر فى نظرى من الأحاديث السياسية الممتعة التى تجمع بين ذكاء الصحفى وثقته فى نفسه وبين عبقرية السياسى ، الذى يتحدث الى الصحفى ، وسعة ادراكه فقد آثرت ، أن انقل للقراء مقدمته : فكرة صائبة ، حية ، قوية ، ومضت فى عقل مصطفى كامل ونبضت فى قلب محمد فريد ، هكذا كان الحزب الوطنى ، « وهز حافظ رمضان رأسه علامة الموافقة وعقب قائلا : أن ما تقوله ، صحيح فالحزب الوطنى فكرة نبعت من الشعب ولذلك آمن بها واعتنقها وقلت له - قال كامل الشناوى لحافظ رمضان - اريد أن أقول أن الحزب الوطنى كان كذلك ، فيما مضى ، أما اليوم فإن أصدقاءكم - وما أكثرهم - يتساءلون فى حزن ومرارة : ما هو الحزب الوطنى ، انه لم يعد فكرة ولم يصبح حزبا : وقال حافظ باشا غاضبا من قال ذلك : أن الحزب الوطنى دائما فكرة وحزب معا : قلت : لاتفضب منى ، فلست اتهم ولست اتجنى ولكنى أحاول أن أكون صريحا مع رجل يرأس حزبا مبادئه صريحة ، وهدفه صريح ، ونجحت محاولتى فقد تركنى حافظ رمضان أتكلم دون أن يقاطعنى بكلمة أو إشارة ، أو نظرة ، وقلت له : أن الحزب الوطنى لم يعد فكرة منذ أن اشترك برجاله فى الحكم فقد وجدهم الناس وزراء مثل سائر ! الوزراء لا حماسة ولا تطرف من أجل الجلاء : صحيح انكم كنتم تقولون ، وانتم فى الحكم : لا مفاوضة الا بعد الجلاء ، ولكن هذا كلام فقط ، وقد سمعنا قولتكم خارج الحكم ، أكثر مما سمعنا ، داخل الحكم ، فهل قبلتم أن تكونوا وزراء لكى تقولوا ما كنتم تقولونه وانتم غير وزراء ؟ لان الوزير الذى

يتكلم ولا يعمل أولى به أن يقبع فى داره ، ومن الاسف ، انكم لم تعملوا شيئا ايجابيا باشتراككم فى الحكم ، حتى اخطاؤكم لم تكن ايجابية .



والحزب الوطنى لم يصبح حزبا ، لان للأحزاب نظام ، وتقاليده ليس من بينها كما - هو حادث عند غيركم - ان يكون فى الحزب الواحد عدة أحزاب لكل منها اتجاه ينقض الاتجاهات الأخرى ، وليس من بين تقاليد الأحزاب - كما هو حادث عندكم - الا يكون للحزب لجان تنفيذية أو فرعية ، ولا صحف ، تنطق بلسان الحزب الوطنى .

وقال حافظ رمضان : ان صدرى يتسع ، للصراحة ، ولكنه يضيق بالتجنى ، والواقع ، ان كلامك فيه جمع من الصراحة والتجنى والذى يعينى الآن ، أن أصبح معلوماتك :

لقد امتنع الحزب الوطنى ، عن الاشتراك فى الحكومات قبل أن يكون للبلاد دستور وبرلمان ، وكان ذلك مفهوما لان الحكومة المصرية كانت تستمد بقاءها من رضى ، المحتلين ، أما بعد أن صار للبلاد حياة نيابية فان الحكومات أصبحت دستورية ، وأصبح واجب الحزب الوطنى ، أن يشترك فى الحكم لتنفيذ خطته السياسية ، فان جهود الشعب لا تجدى الا اذا تضافرت مع حكوماته ، وقد كانت بعض الحكومات المصرية قبل قيام الحياة النيابية ، تساعد الحركات الشعبية الوطنية خفية من وراء الستار ، وكنا نقدر هذه المساعدات حق قدرها ، وما حدث فى مصر حدث مثله ، فى أكثر الأمم التى منيت بالاحتلال ولأضرب لك مثلا بالبلاد الايطالية عندما احتلتها النمسا ، اشتدت مقاومة الايطاليين لمحتليهم ، وكان كافور الوزير الايطالى ثم رئيس الوزراء فى ظل الاحتلال يساعد حركة المقاومة الوطنية من طرف خفى ، وقد أفادت هذه المساعدات بلاده فى التخلص من نير الاحتلال وكان يقول لزعماء ، الحركة الوطنية : فى رائعة النهار أنكرم ولا أعرفكم وفى ظلام الليل أمد يدي اليكم وأساعدكم بكل قوى ، وكم من حكومات مصرية فى عهد سيطرة الانجليز مدت يدها الى الشعب فى ظلام الليل ، فالوزير الوطنى حتى فى ظل الاحتلال يستطيع أن يفيد بلاده . لقد كنا وزراء فى ظل الدستور فقط وكنا وطنيين .

وتستطيع أن تقول وأنت مطمئن ، الى صحة ما تقوله ، أن الحزب الوطنى لم يرفض الاشتراك فى الحكم ، ولم يقبل الاشتراك فى الحكم الا وهدفه الأساسى تحقيق مبادئه ، الوطنية والمثالية وقد حققنا بعض هذه المبادئ : حققناها بطريقة ايجابية وليس بطريقة سلبية ، كما تزعم .



لقد رفض الحزب الوطني الاشتراك في وزارة المغفور له عدلى يكن باشا ، عام ١٩٢٦ ، وهي الوزارة التي جاءت وليدة الائتلاف . . رفضنا الاشتراك فيها لأننا كنا نعلم ، ان هذه الوزارة قد تألفت للتفاوض مع الانجليز قبل تحقيق شرط الجلاء ، وفي عام ١٩٢٨ دعانى المغفور له محمد محمود باشا الى الاشتراك في وزارته ورفضت لأننى عرفت انه « سيوقف » الحياة النيابية وهو أمر يتنافى مع مبادئ ، الحزب الوطني ، أما الوزارات التي قبلنا الاشتراك فيها فهي وزارة محمد محمود باشا في آخر عام ١٩٣٧ وقد اشتركنا فيها لانه لم يكن من برنامجها الدخول في مفاوضات مع بريطانيا وانما كانت مهمتها معرفة رأى الأمة عن طريق الانتخابات بعد ما وقعت في البلاد أحداث خطيرة .

وعلى اثر ظهور الانتخابات انسحبت من الوزارة .

وزارة المغفور له حسن صبرى باشا ، وقد تألفت في زمن الحرب ، ولايست تأليفها ظروف عصيبة دقيقة اقتضت أن يكون في الوزارة رجال يستطيعون أن يقفوا في وجه أى اعتداء ، ضد السيادة المصرية ولم يحن الوقت بعد لكى أكشف الستار عن هذه الظروف ، وكل ما أستطيع أن أقوله ، اننى كنت مجندا في الوزارة « الصبرية » لتأدية عمل وطنى خطير ، وقد أديناء ، ولو لم تشارك في وزارة حسن صبرى باشا ، لوقعت الكارثة ، التي حلت بالبلاد ، عقب استقالة الوزارة السرية عام ١٩٤٢ ! (وزارة حسين سرى باشا) وقلت - كامل الشناوى - : ان التاريخ الذى سردته له قيمته وله خطره ولكنى لم أثبت عملا ايجابيا محمدا ولم أثبت فيه أيضا أى كسب طارىء ، للحزب الوطنى . وكان الأستاذ حافظ وأنا أطرق أذنه بهذه الكلمات يشرب كوب ماء ، فالتفت الى ، وقال : اننى لم أتم بعد سرد التاريخ ، ألا تنتظرنى حتى أفرغ من كوب الماء ، ان الشاعر يقول :

فى فمى ماء ، وهل ينطق من فى فيه ماء !

وعن المستقبل يقول حافظ رمضان : ان المستقبل بيد الله سبحانه وتعالى ونحن نعد العدة ، لكى يكون لنا فى مقبل الأيام ، أغلبية برلمانية ان لم يكن فى هذا الجبل ، ففى الجيل القادم : ان الحزب الوطنى لا يياس لانه على حق والحق مهما يكن بطيئا ، فانه يصل حتما .



واذا كان الشئ بالشئ يذكر ، كما يقولون ، فأننى لا أنسى ما كتبه أستاذنا الكبير عبد العزيز البشرى - طيب الله ثراه - عن حافظ رمضان ، ورغم القسوة التي كانت تتسم بها كتابات عبد العزيز البشرى عن حافظ رمضان ، وغير حافظ

رمضان الا انها كانت قسوة محببة الى النفس : يقول البشرى ، عن حافظ رمضان : لو أنك لم تكن رأيت محمد حافظ رمضان بك وبدا لك أن تتمثل رئيس الحزب الوطنى ، القائم على المطالبة بمصر والسودان مضافا اليهما الملحقات سواء منها ما فى يد الانجليز أو ما فى يد الطليان ، وما فى يد الأحباش ، وجلاء الجيش الانجليزى بلا قيد ، ولا شرط ، ولا مساومة بل ولا مفاوضة ولا اتفاق ، ولا ، لما استطاع ذهنك أن تتخيله الا رجلا عنيفا حاد الطبع ثائر الأعصاب اذا قاولك وبخاصة فى شأن عام ينفجر عن مثل بركان ، ولكن ما أعظم خيبة الخيال حين تقع عينك على حافظ رمضان ويضمك فى مجلسه فانه لا يروعك الا أن ترى رجلا يودعا ، هادئ السعى ، بطيء الحركة الى درجة الجمود ، تكاد تقطع بأنه قد فقد كل الاتصال بين أعضائه ، وبين معارف وجهه حتى لتوشك ألا تتغير عليها شئ من مظاهر ، العواطف المختلفة ، وانه ليتحدث اليك فى القانون ويتحدث اليك فى السياسة ويتحدث اليك فى جميع الأسباب الدائرة بين الناس فيجيد الحديث اجادة ينقطع من دونها الوصف ، جزالة علم وصحة رأى ، وقناعة حجة ، وقوة بيان ، فى حلاوة ونبرة وعذوبة صوت . . . والواقع ان الله تعالى قد وهب ، هذا الرجل ، قصدا واعتدالا فى كل شئ فهو معتدل ، الخلق ، والتكوين ، معتدل الأخلاق ، والسجايا ، معتدل الحركة والسعى ، معتدل الحديث والرأى وهو فى الوقت نفسه ، رئيس الحزب الوطنى ، ومبدؤه المطالبة بمصر والسودان والملحقات وجلاء الجيش الانجليزى عن جميع البلاد ، بلا مساومة ، ولا مفاوضة ولا اتفاق : الحق أنى لو كنت فى موضع حافظ رمضان بك لكانت مهمتى ، أشق مهمة رجل فى التاريخ ، غير أن حافظ بك يضطلع بها فى غير كلفة ، ولا عناء وللعظيم العظام » وينهى عبد العزيز البشرى حديثه عن حافظ رمضان ، قائلا : اذا كان التطرف فى الرأى السياسى ضربا من الشعر ، فما أعذب هذا الشعر وما أحوج تكافؤ النزعات السياسية اليه ، على انه اذا تجاوز حده وخرج على أفقه ، فقد أصبح له ، فى توجيه سياسة البلاد شأن آخر .

ولو كان لى - لعبد العزيز البشرى بالطبع - من شئ لدعوت « بشركة حافظ رمضان : عبد الحميد سعيد اخوان » فخبرتها بين أمرين : اما ترك «التقاي» فى الاستجوابات والعوض على الله ، ولو مؤقتا فى الملحقات واما أن تتولى الوزارة ، وعندها مهلة شهرين لتجىء فيها بالنيل ، من منبعه الى مصبه والملحقات ، وملحقات الملحقات والجلاء ، الكامل بلا مساومة ، ولا تفاوض « وكم ان بلا اتفاق : على شرط أن تؤخذ عليها التعهدات بعدم «حططان» الكتف على أوروبا وقت الأزمات » .

وأرجو أن يقبل منا القارئ العذر اذا كنا قد حرصنا على أن نعطي أهمية كبيرة لاشتراك حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى فى وزارة محمد محمود باشا « الثانية » لما لمشاركة الحزب الوطنى فى الحكم من

أهمية بالغة ، وقد أبدينا معارضتنا لاشتراك الحزب الوطنى رغم المبررات ، التى ساقها حافظ باشا ، لتبرير ، اشتراكه فى الوزارة ، ونقلنا صورة لحافظ رمضان باشا ، فى المرأة ، كما رآها الكاتب الساخر المعروف عبد العزيز البشرى رحمه الله ، لا لشيء الا للتدليل على ما كان يلقاه أبناء الحزب الوطنى من تهكم وسخرية لتمسكهم بمصر والسودان وزيلع وبربر ومصوع « الملحقات » ، وقد كانت مجلة روز اليوسف لا تصف حافظ رمضان باشا الا بأنه رئيس الحزب الوطنى وزعيم الأناقة والرشاقة والملحقات ، وحافظ رمضان - للعلم - هو ثالث رئيس للحزب الوطنى بعد مصطفى كامل ومحمد فريد ، وقد ظل مركز رئيس الحزب الوطنى شاغرا بعد وفاة محمد فريد فى ١٥ نوفمبر ١٩١٩ لوجود خلافات جذرية فى صفوف اللجنة الادارية ، ولوجود كثير من قيادات الحزب الوطنى مثل على فهمى كامل بك - شقيق مصطفى كامل فى المنفى بأمر من سلطات الاحتلال البريطانى فى مصر .



وقد اجتمعت اللجنة الادارية للحزب الوطنى فى ٩ مايو ١٩٢٣ وقررت انتخاب حافظ رمضان (بك) رئيسا للحزب عملا بالمادة التاسعة من قانون الحزب الصادر فى سنة ١٩٢٢ وكان الانتخاب قد تم بموافقة كل من أحمد لطفى بك ، عبد اللطيف الصوفانى بك ، الدكتور اسماعيل صدقى بك ، اسماعيل بك لبيب ، حسن خيرى بك ، محمد بك أحمد الشريف ، محمد بك فؤاد المنشاوى الدكتور محمود ناشد بك ، عبد الرحمن الرافعى بك ، محمود بك نصير ، محمد عبد المجيد العبد ، اسماعيل حافظ ، محمد رمضان ، سعيد بك طليمات محمد زكى على ، أحمد وجدى ، مصطفى الشوربجى ، عبد المقصود متولى ، محمد فؤاد حمدى ، أحمد وفيق ، أعضاء اللجنة الادارية للحزب الوطنى .

وقد أصدر حافظ رمضان اثر انتخابه رئيسا للحزب الوطنى بيانا تقدم فيه « بالشكر الجزيل لأعضاء الحزب الوطنى ، ولباقى المواطنين على الثقة التى مازالوا يغمروننا بها برسائلهم ، المشجعة وكنا نود أن نعبر لهم عن عواطفنا فى ظروف أخرى حتى لا تشوبها شبهة الرغبة فى الرئاسة ، والله يعلم أننا من أزهد الناس ، وأبعدهم عن مظهرية الزعامة مهما كنا قريبين من روحها ونزعتها الفعالة ، ولكننا لبينا دعوة اخوان قضت ارادتهم أن يسابقوا الزمن فى جمع شمل الحزب وضم صفوفه ، وقد اتسعت دائرة العمل ، وضاعت ساعاته وعلى كل نصير له ، وكل منتهم اليه وعلى كل مستعصم بمبادئه نعتمد كما نعتمد على الله » .

« وان لنا من زعيمينا السابقين القدوة الحسنى ، والمثل الأعلى وان » من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نجه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا « صدق الله العظيم .

وكان الزعيم سعد زغلول يستشفى في اكس ليبان فبعث اليه حافظ رمضان ببرقية يقول فيها : انه بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك وانتخابي رئيسا للحزب الوطني ، أبلغكم أطيب الأمانى التى أرجوها لكم ، ولكل عزيز لديكم مشفوعة بذكريات الصداقة ، القديمة التى بيننا وانى لأرجو أن أراكم قريبا بيننا على أرض مصر الخالدة التى شغفنا جميعا بحبها مع كل من قضى عليهم النفى بالبعد عنها » وكانت برقية حافظ رمضان الى سعد زغلول دعوة مخصصة ، الى ضم الصفوف وتوحيد الكلمة وقد رد سعد زغلول على حافظ رمضان ببرقية قال فيها : ان تفرافكم المنبىء ، بانتخابكم رئيسا للحزب الوطنى والذى ضمنتونه أمانىكم الطيبة بمناسبة العيد أدخل على السرور فأشكر لكم ذلك وأقدم لكم تهانى الشخصية .



ورحبت الصحف المصرية وقتئذ بانتخاب حافظ رمضان لرياسة الحزب الوطنى ، ووضعت مجلة اللطائف ، المصورة صورة حافظ رمضان على غلاف عددها الصادر فى ٢٨ مايو ١٩٢٣ تحت عنوان الرئيس الجديد للحزب الوطنى وكان من بين ما كتبته اللطائف عن حافظ رمضان ما يلى : أجمع أعضاء الحزب الوطنى على انتخاب رئيس لهم خلفا للمرحوم محمد بك فريد فقررت لجنة الحزب الادارية ، انتخاب الوطنى الصميم المعروف صاحب العزة محمد بك حافظ رمضان فنهى عزته ، بثقة حضرات زملائه ، به كلل الله بالنجاح مساعى العاملين لمصلحة مصر .

وقد اشتهر حافظ رمضان فى تاريخ الوطنية المصرية ، اذ كان فى مقدمة العاملين مع المرحوم مصطفى كامل باشا فى أول نهضته قبل صدور اللواء سنة ١٩٠٠ وتكوين الحزب الوطنى سنة ١٩٠٧ وظهرت وطنيته ومكانته السابقة فى خطبه العديدة نخص بالذكر خطبة تأبينه للمرحوم مصطفى كامل وخطبته التى تليت فى مؤتمر بروكسل سنة ١٩١٠ ، وخطبته فى المؤتمر الوطنى المصرى بمصر الجديدة سنة ١٩١٢ ، وخطبته السنوية فى تأبين المرحوم مصطفى كامل ، باشا والمرحوم محمد بك فريد و ٠٠ و ٠٠ وبالرغم من أن الحزب الوطنى برئاسة حافظ رمضان كان فى مقدمة الداعين لاجتماع المؤتمر الوطنى فى ١٩ فبراير ١٩٢٦ والذي قال فيه أحمد شوقي بك :

التأمت الأحزاب بعد تصدع	وتصافت الأقلام بعد تلاح
سحبت على الأحقاد أذيال الهوى	ومشى على الضغن الوداد الماحى
وجرت أحاديث العتاب كأنها	سمر على الأوتار والأقداح
ترمى بطرفك فى المجامع لا ترى	غير التعانق واشتباك الراح

وفى هذه القصيدة قال شوقي حكمته المأثورة :

صوت الشعوب من الزئير مجمعا فاذا تفرق كان بعض نباح

أقول رغم ان الحزب الوطنى كان له دور فى جمع الصفوف والتثام شمل
الأحزاب وتأليف وزارة قومية برئاسة عدلى يكن الا أن الحزب الوطنى ، رفض
المشاركة فى تلك الوزارة وذلك لمخالفة الوضع الوزارى لمبادئه ، المعروفة مع
قيام الاحتلال .

وقد عبر ، عن امتناع الحزب ، الوطنى عن المشاركة فى الحكم المؤرخ أحمد
شفيق باشا فى حويلاته السياسية فقال :

« أصبح من الضرورى بعد انتصار الأحزاب السياسية فى إعادة الدستور ،
أن تشكل وزارة ائتلافية من رجال هذه الأحزاب ماعدا الوطنيين الذين من مبدئهم
ألا يتولوا مناصب الحكم مع وجود المحتلين فى البلاد » .



وكان حافظ رمضان قد صرح قبل استقالة وزارة زيور باشا وتكليف عدلى
يكن بتشكيل الوزارة الجديدة فى ٩ ديسمبر ١٩٢٥ لجريدة الانفورماسيون
بقوله : يمكننى أن أصرح لك فى غير موارد أن الحزب الوطنى الذى أشرف
برئاسته ليس له مطمع وزارى فى الحالة الحاضرة ، ان برنامجنا واضح جدا ،
وهو يفرض علينا خطة صريحة جلية ولكن فى انتظار حوادث جديدة قد رأينا
ألا نضع أية عقبة فى سبيل وزارة تعمل على إعادة الحياة البرلمانية ونبذل الجهد
فى ادارة أعمال البلاد فى طريق الرقى ، فالحزب الوطنى هو وطنى قبل أن
يكون حزبا ، .

وقد كتبت صحيفة اللواء المصرى – لسان حال الحزب الوطنى – فى عدد
١٥ مارس ١٩٢٦ تقول : أن الحزب الوطنى لم يكن فى أى وقت من الأوقات
سواء قبل الحرب أو بعد الحرب يرمى الى تملك ناصية الحكم ، وهو زاهد فى
هذا الأمر زهدا تاما ما دام الاحتلال قائما فى البلاد ، لانه على يقين بأن حكومة ما
لا تستطيع أن تخدم الأمة خدمة صادقة نافعة فى حرية واختيار والا اصطدمت
به صدمة تكشف عن ضعف غالبية البلاد ، وهنا تكون الطامة الكبرى سواء
كان الموقف شريفا بترك الحكم ، أو ذليلا بالرضوخ والعدول عن خدمة البلاد
الا وفق مرامى الغاصب .



وللعلم – أيضا – كان الحزب الوطنى برئاسة حافظ رمضان فى مقدمة
الداعين الى وحدة الصفوف وائتلاف الأحزاب وتشكيل الجبهة الوطنية فى ديسمبر

١٩٣٥ غير أن الحزب الوطنى عندما وجد أن الأحزاب المصرية متجهة الى الدخول فى مفاوضات مع بريطانيا تستهدف عقد معاهدة بين مصر وبريطانيا انفصل الحزب الوطنى ، عن الجبهة ولم يقبل المشاركة فى وفد المفاوضات الذى تألف برئاسة مصطفى النحاس وعضوية محمد محمود ، اسماعيل صدقى ، عبد الفتاح يحيى ، واصف بطرس غالى ، د. أحمد ماهر ، على الشمسى ، عثمان محرم ، حلمى عيسى ، مكرم عبيد ، حافظ عفيفى ، محمود فهمى النقراشى ، وأحمد حمدى سيف النصر ، وكانت وجهة نظر الحزب الوطنى فى عدم المشاركة فى المفاوضات - كما عبر عنها الأستاذ عبد الرحمن الرافعى - تلخص فيما يلى : ان سياسة الحزب الوطنى فى عدم المفاوضة قبل الجلاء منسجمة تماما مع مبادئه لانه وهو حزب الجلاء مادام متمسكا بالجلاء ولا يقبل ما دونه لا يرضى الدخول فى مفاوضات بين مصر ، وبريطانيا والاحتلال قائم لان جوهر القضية بينهما هو فى الاحتلال والجلاء فاما جلاء ، واما احتلال ، والجلاء هو الدواء الوحيد للاحتلال كما قال المرحوم محمد بك فريد والأصل أن الاستقلال حق طبيعى ثابت لا يقبل المناقشة فلا يصح أن يجعل هذا الحق موضع شك أو مساومة والمفاوضة والاحتلال قائم وسيلة قصد بها تشكيك الأمة المصرية فى حقها فى الجلاء ، وإيمانها به والوسيلة الطبيعية للجهاد هى المطالبة بالقرونة بالمقاومة أما المفاوضة فهى من الناحية البريطانية وسيلة لكسب الوقت وصرف الأمة عن التمسك بالجلاء ومن الناحية المصرية وسيلة للتراخى فى المقاومة وقبول الأمر الواقع تحت أوضاع مختلفة ١٩ وقد سبق ، لمصطفى كامل أن قال : نحن مسلوبون والانجليز هم السالبون ونحن طلاب حق مقدس والانجليز هم مفتصبو هذا الحق فلا سبيل الى الاتفاق بيننا وبينهم الا باعترافهم بحقنا ورده الينا ؟ •



هذا الى أن المفاوضات والاحتلال قائم فيها معنى الاكراه الأدبى والمعنوى المائل فى الاحتلال ذاته والاكراه يفسد معنى المفاوضات ونتيجتها ويحمل المفاوضات المصرى تحت تأثير هذا الاكراه على المساومة فى الجلاء والتساهل فى وجود الاحتلال تحت أى اسم كان وهذا ما يتعارض قطعاً مع مبدأ الحزب الوطنى الأساسى ، وهو الجلاء ، على أن المفاوضة قبل الجلاء تشبه من بعض الوجوه ، استفتاء الشعوب فى تقرير مصيرها مع قيام الاحتلال الأجنبى الذى تستفتى فى شأنه وقد اتفقت الآراء على أن مثل هذا الاستفتاء غير صحيح ولا سائغ لما يلامسه من الاكراه السافر أو المقتنع وان الاستفتاء الصحيح يجب أن يسبقه الجلاء والمفاوضة الصحيحة يجب ، أن يسبقها الجلاء •

وقد كان محمد فريد يطلب من المؤتمرات الدولية الاعتراف للأمة المصرية بحقها فى تقرير مصيرها بطريق الاستفتاء على أن يسبق الاستفتاء جلاء الجيش الانجليزى عن البلاد وكذلك جلاء الموظفين المدنيين البريطانيين لضمان صحة

الاستفتاء ! وكان حافظ رمضان باشا وزملاؤه من أعضاء الحزب الوطنى الأعضاء فى مجلس النواب ومجلس الشيوخ قد عارضوا معاهدة ١٦٣٦ وكان مجمل الأسباب التى دعت حافظ باشا الى معارضة تلك المعاهدة - والتى وردت بالتفصيل فى خطابه بمجلس الشيوخ فى ١٦ نوفمبر ١٩٣٦ - ان معاهدة سنة ١٩٣٦ كرسست الوجود العسكرى البريطانى فى مصر ، الى جانب ان هذه المعاهدة قد أقرت التحالف المصرى ، البريطانى هذا الى جانب ان وجود الاحتلال كما قال حافظ رمضان بالحرف الواحد ، يتعارض مع استقلال البلاد مهما كانت صفتة وينتقص من سيادتها .

وبعد الحديث عن الحزب الوطنى وحافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى ، وقصة الخلاف بين أعضاء الحزب الوطنى ، حول دخول حافظ رمضان باشا وزارة محمد محمود باشا ننتقل الى قصة الصراع بين محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء وبين على ماهر باشا ، رئيس الديوان الملكى .

الفصل الثالث

رئيس الديوان ضد رئيس الوزراء

سبق أن اشرنا الى تدخل على ماهر باشا رئيس الديوان الملكي في شئون الحكم ، بصورة سافرة ، بل بصورة منفرة يابها أي وزير يحرص على الكرامة ، الشخصية ، والكرامة الوطنية معا ، وقد أشرت الى صورة من صور هذا التدخل ، المقيت ، فبعد أن أجرت وزارة محمد محمود باشا الانتخابات البرلمانية ، وحصل حزب الحكومة - حزب الأحرار الدستوريين - على الأغلبية ، بادر محمد محمود باشا - كما تقضى بذلك الأصول الدستورية - الى رفع استقالته ، الى الملك وكان مفروضا على الملك - اذا أراد حقا احترام الدستور - أن يقبل تلك الاستقالة وأن يكلف محمد محمود باشا بتشكيل الوزارة الجديدة ، ولكن الملك بناء على نصيحة رئيس ديوانه ، لم يقبل استقالة محمد محمود ، ولم يكلفه بتأليف الوزارة وبعد فترة غير قصيرة ، عهد الملك الى محمد محمود باشا ، بتأليف الوزارة الجديدة ، وقدم محمد محمود باشا كشفا بأسماء الوزراء ، الذين سوف يتعاونون معه فاستبقى الملك الكشف معه ، وطلب من محمد محمود باشا كشفا ثانيا تلاء طلب كشف ثالث ، ورابع وخامس و٠٠ و٠٠ فلما قيل لمحمد محمود باشا من بعض رجاله ان الكشف ترفض على ما يبدو لخلوها من اسم « كامل البنداري باشا » أحد وزراء حكومته ٠٠ قام محمد محمود باشا بتقديم كشف جديد به اسم كامل البنداري *

وبمجرد تقديم هذا الكشف الذي يضم اسم البنداري صدرت مراسيم تشكيل الوزارة الجديدة ولكن ليس بها اسم كامل البنداري كوزير ، وكان من أولى اللطمات التي وجهت للوزارة الجديدة ، ومن أقواها ، أنه في اليوم التالي لاداء الوزارة اليمين الدستورية ، أمام الملك ، فوجئ رئيس الوزراء والوزراء بالصحف تنشر امرا ملكيا بتعيين كامل البنداري باشا وكيلًا للديوان الملكي وكان من اوجب الواجبات على القصر اذا أراد احترام الدستور أن يأخذ رأى

الوزارة الجديدة في هذا التعيين باعتبار أن وكيل الديوان الملكي موظف حكومي . ولكن القصر لم يفعل ذلك ، فدل - ولو أن الامر لم يكن أبدا بحاجة الى تدليل - على مجافاة القصر للدستور نصا وروحا منذ اليوم الأول لتأليف الوزارة محمد محمود باشا ، الجديدة - الوزارة الثالثة - بدأ الصراع قويا ، وعنيفا بين محمد محمود رئيس الوزارة ، وعلى ماهر رئيس الديوان .

محمد محمود ، يرى أنه رئيس الوزارة المسئول أمام البرلمان بمجلسيه ، وعلى ماهر يرى أنه صانع هذا البرلمان والبرلمان يجب أن يكون مسئولا أمامه !!

محمد محمود يريد أن يحكم علنا . وعلى رؤوس الأشهاد متحملا مسئولية الحكم بشكل كامل غير منقوص ، وعلى ماهر يريد أن يحكم من وراء ستار بحيث لا يكون رئيس الوزراء ، والوزراء ، الا منفذين لسياسته ملبيين لأوامره .

وليت على ماهر اكتفى بأن يكون هو وحده الحاكم من وراء جدران القصر الملكي ولكن مطامعه كانت تتضاعف باستمرار فبعد أن استمر التدخل في شئون الحكم ، وبعد أن وجد الوزارة القائمة لاتعارض هذا التدخل ، راح - في البداية - يضع العصي في الدواليب - كما يقولون - أمام وزارة محمد محمود كما راح يسمم الآبار في طريقها .



وكان هدف على ماهر باشا ، من ذلك كله أن يثبت للرأي العام المصري عجز الوزارة القائمة عن تحمل مسئولياتها ، حتى يتطلع الرأي العام ، الى وزارة قوية يرأسها رجل قوى مثل على ماهر !!

كان هدف على ماهر بعد اضعاف الوزارة القائمة ، وشل حركتها ، أن يقفز هو الى الحكم كمنقذ للامة ، وللسرائي ، وللمعارضة من حكومة محمد محمود باشا .

وكانت وزارة محمد محمود باشا ، الثالثة قد شكلت في ٢٧ ابريل ١٩٣٨ ، على النحو التالي :

محمد محمود للرئاسة والداخلية ، اسماعيل صدقي للمالية ، عبد الفتاح يحيى للخارجية ، أحمد محمد خشبة للحقانية ، محمد حلمي عيسى للمواصلات أحمد لطفى السيد ، وزير دولة ، حسن صبرى للحربية والبحرية ، حسين سري للأشغال ، مراد وهبة للتجارة والصناعة ، أحمد كامل ، للصحة ، محمد حسين هيكل للمعارف ، رشوان محفوظ للزراعة ، الشيخ مصطفى عبد الرازق للاوقاف .

ولم يدخل الوزارة الجديدة كل من : عبد العزيز فهمي ، بهي الدين بركات ، حسين رقي ، محمد حافظ رمضان ، ومحمد كامل البنداري .

وكان عبد العزيز فهمي قد أصيب « بالقرف » - وعذرا لاستخدام هذا التعبير - من العمل الوزاري وكان بهي الدين يركات قد منى بهزيمة في انتخابات رئاسة مجلس النواب ، وكان حافظ رمضان قد استجاب لضغط اللجنة الادارية للحزب الوطني فلم يشترك في وزارة محمد محمود باشا ، الثالثة ، بعد أن رأى أن اشتراكه في وزارة محمد محمود باشا ، الثانية أحدث تصدعا في صفوف الحزب الوطني .

وكانت بداية وزارة محمد محمود باشا ، الثالثة بداية ضعيفة للغاية رغم اشتراك عدد من الشخصيات القوية فيها أمثال اسماعيل صدقي ، و أحمد لطفي السيد ، وهيكمل ، والشيخ مصطفى عبد الرازق الذي كان اشتراكه لأول مرة في الوزارة حدثا سياسيا بارزا بعد أن رفع القصر عنه « القيتو » الذي كان قد وضعه على اشتراكه في الوزارة من قبل بعد أن أصدر شقيقه الأستاذ علي عبد الرازق كتابه « الاسلام وأصول الحكم » الذي رأى فيه الملك فؤاد ، محاربة لمطامعه السياسية التوسعية !!



وسر هذه البداية الضعيفة لا يعود ، لوجود على ماهر في السراي ، ومعارضته لكل ما تقوم به الوزارة وحسب ، وانما لان حزب الأحرار الدستوريين الذي كان ينتهي اليه ، رئيس الوزارة لم يكن قد أحرز الأغلبية البرلمانية ، صحيح أنه أحرز عددا من الكراسي يفوق ، ما أحرزه الوفد ، والسعديون ، ولكنه - أي حزب الأحرار - لم يكن يستطيع أن يحكم بدون المستقلين ، كما أن وجود السعديين ولهم عدد وفير من كراسي مجلس النواب خارج الحكم كان يضعف الوزارة فاذا أضفنا الى ذلك كله ، أن المعارضة الوفدية ، بقيادة الأستاذ عبد الحميد عبد الحق رغم أنها لم تكن تزيد على اثني عشر نائبا ، كانت قادرة على أن تضاعف من أزمات الوزارة الجديدة ، كما أن الانسجام الوزاري لم يكن موجودا في الواقع ، بسبب تطلعات بعض « الوزراء » وبسبب عدم التزامهم بالسياسة ، التي تضعها الوزارة وأبرز نموذج ، لهذا « الانسجام » ، هو حسن صبري باشا ، الذي كان يطلق عليه ، البعض خميرة العكنة للوزارة ، والذي كان يعتمد ، على صلاته بالمستولين البريطانيين والذي كان يجاهر بانه موضع ثقة القصر أكثر من غيره ، كما أنه كان يرى ، انه كان أكثر الوزراء كفاءة ومقدرة و ... و ...

وكان حسن صبري وزيرا ، للمواصلات في الوزارة الثانية ، لمحمد محمود باشا أما في الوزارة الثالثة ، فقد كان وزيرا للحربية ، والبحرية ولم يكن ، لوزارة الحربية والبحرية ، أهمية تذكر في الوزارات السابقة ، غير ان نشاط حسن صبري باشا . « وطموحاته » ، وحركاته « وتحركاته » جعلت لوزارة

الحربية والبحرية ، أهمية ، جديدة وقد لعب على ماهر باشا ، على التناقض القائم ، بين الاحرار الدستوريين ، ولكن نتائج هذا اللعب ، لم تحقق الكثير مما كان يريده على ماهر ، خاصة ، وان شقيقه أحمد ماهر ، رئيس الهيئة السعدية كان يعرف جيدا مطامع شقيقه على ماهر ، وكان لا يقره باستمرار على سياسته الميكافيلية كما أن العلاقات ، التي كانت تربط بين محمد محمود رئيس حزب الاحرار الدستوريين وأحمد ماهر ، رئيس حزب الهيئة السعدية ، كانت علاقات ، قوية قائمة على الاحترام المتبادل ولذلك وقفت مناورات على ماهر ومؤامراته على الوزارة ، وعلى محمد محمود عند حد لم تتجاوزه ، ولم يكن لها أثر كبير في تغيير الوزارة وان كان لها أثر كبير في اعاقه مسيرتها .

وعندما أحس على ماهر باشا وهو الرجل الذكي أن مناوراته ، لم تحقق بسرعة ما كان يريده ، بادر - كما تقول : مراسلات سبر مايلز لامبسون الى لورد هاليفاكس وزير الخارجية - في ٨ مايو ١٩٣٨ ، الى تقديم ، استقالته من منصبه كرئيس للديوان الملكي مدعيا أنه بعد النجاح في تجاوز الأزمة الوزارية ، وبعد ان استقرت الامور ، فقد انتهت المهمة ، التي أنيطت به ، ويظهر لي ان نجم أحمد حسنين باشا في داخل القصر ، كان قد بدأ يصعد ويزاحم على ماهر ، شخصيا فائرا أن يلجأ الى هذه المسرحية الجديدة التي واجهت الوزارة الجديدة ، التي لم يكن قد مضى بعد على تشكيلها أكثر من أحد عشر يوما ، وأقول مسرحية لان أحد لا في داخل القصر ، أو في خارجه كان يعتقد أن على ماهر باشا جاد في الاستقالة من رئاسة الديوان .



وكان على ماهر باشا ، قد ذكر في خطاب استقالته الذي رفعه الى الملك ، أن سبب الاستقالة يعود الى ظروف خاصة ، وقد أشارت صحيفة « المقطم » الى أن الناس قد فوجئوا ، بهذه الاستقالة وما كاد يذاع النبأ حتى تعددت الشائعات في الباعث على هذه المفاجأة ، التي ما كان أحد يتوقعها ولا سيما أن رفعة ماهر باشا ظل الى ما بعد الظهري ديوانه يباشر عمله ، ويستقبل زائريه .

وقالت جريدة « البلاغ » أن النبأ وقع عند الناس موقع الدهشة وجعلوا يتساءلون ، لماذا هذه الاستقالة ، في هذا الوقت وليس في الجو ، ما يحمل عليها ، وذهب المتسائلون ، مذاهب في تفسيرها فبعضهم عزاه الى أسباب سياسية والبعض الآخر عزاه الى ظروف شخصية وقالت البلاغ :

ان ماهر باشا عندما يقول ان الاستقالة لظروف خاصة فهو صادق في قوله هذا فهو لا يقول شيئا ، ليخفي شيئا آخر بل يقول الحقيقة كاملة واذن ليس لاستقالته صلة بتعديل الوزارة ، ولا بأية مسألة أخرى من المسائل العمومية .



أما جريدة المصرى - الوفدية فقد أكدت ان الاستقالة سوف يعقبها حدوث مفاجآت فى هذه الأيام ، القليلة . وتقول جريدة الوفد المصرى - لسان حال الوفد المصرى : مهما يكن سبب الاستقالة المباشر ومهما تكن العوامل السطحية التى انتهت بأن يقرر على ماهر باشا رفع استقالته من رئاسة الديوان فان هذا السبب ، وتلك العوامل لا تخرج عن أن تكون أمورا ثانوية ومظاهر غير جوهرية . ولكن الجوهر ، فى الموضوع كله ، أن هذا الانقلاب الذى كان على ماهر باشا ، أحد أبطاله ، ومدبريه قد انهيار ركنه ولن تلبث باقى أركانه أن تنقض على رهوس مدبريه اذ لم يعد مفر ، من أن تتجه السياسة العليا ، فى الاتجاه الصحيح الذى يقوم على أساس من رضى هذا الشعب .

ويؤكد مراسل جريدة التيمس البريطانية فى القاهرة أن أسباب الاستقالة غير معروفة بالضبط ، ويؤكد مكاتب جريدة المانشستر جارديان فى القاهرة أيضا ، ان هناك أسبابا شخصية دعت على ماهر ، الى تقديم استقالته ، بينما يقول مكاتب الدبلى ميل - فى القاهرة أن الاستقالة أحدثت دويا عظيما فى الأوساط السياسية ويقول مراسل الدبلى تلجراف فى القاهرة : علمت من مصدر وثيق أن سبب الاستقالة يرجع الى خلاف فى رأى حول موظف كبير ، فقد قدم مجلس الوزراء مرسوما بتعيين هذا الموظف الى الملك فاروق لتوقيعه ولكن جلالته يرى أن لديه ما يدعو الى الشكوى منه . أما جريدة الأهرام فقد قالت : ان هذه الاستقالة لا تمت الى الشئون العامة بسبب ، وانما هى لظروف خاصة وليس لنا - هكذا قالت الأهرام - أن نعرض لتلك الظروف الخاصة ما دام صاحب الجلالة قد أحيط علما بها ، ولم ير جلالته فيها ما يدعو رئيس الوزارة الى الاستقالة من المنصب الذى قلده إياه .



وتقول الأهرام أيضا : أن صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء - محمد محمود باشا - قد اتصل تليفونيا من مرسى مطروح ببعض الجهات مستفسرا عن أنباء الاستقالة وبواعثها ولم تقل الأهرام أن رئيس مجلس الوزراء اتصل برئيس الديوان الذى ظل معتكفا طول اليوم - ١٩٣٨/٥/٩ - فى فندق مينا هاوس ولم يقابل الا بعض كبار رجال القصر ، وفى مقدمتهم أصحاب السعادة مراد محسن باشا ، وكامل البندارى بك ، وأحمد حسنين باشا . وقالت الأهرام : أن سعادة الدكتور أحمد ماهر شقيقه - وصاحب العزة عبد الرحمن فهمى بك - خاله - قد زاره فى مينا هاوس كما زاره فى أوائل الليل عبد الوهاب طلعت باشا الذى حمل الى رفعة الأمر الملكى التالى والمؤرخ فى ٩ مايو ١٩٣٨ أى فى اليوم التالى لتقديم الاستقالة

عزيزى على ماهر باشا اطلعنا على خطابكم المرفوع الينا فى ٨ مايو الحاضر باستقالته من رئاسة ديواننا لظروف خاصة ، حدث بكم الى ذلك وأنا مع

تقديرنا لهذه الظروف الخاصة يسرنا وأنتم دائما مثل أعلى ، في الاخلاص ، والوفاء ، لوطنكم ومليكم أن تستمروا في رئاسة ديواننا بما عرفناه عنكم من صدق العزيمة ، وكمال الاقتدار فتضيفوا بتفانيكم في أداء الواجب صفحة رفيعة القدر الى تاريخ جهودكم المحمودة ، الأثر في خدمة وطننا وبيتنا الملكي ، مما يحفظ لكم على الدوام أجمل الشكر وأبلغ التقدير من لدنا ، وأصدرنا أمرنا هذا الى مقامكم الرفيع بذلك .

« فاروق »

صدر بمراسم عابدين في ٩ ربيع أول ١٣٥٧ ، ٩ مايو سنة ١٩٣٨ .
وكان رئيس مجلس الوزراء قد سافر الى مرسى مطروح على متن طائرة خاصة من طائرات شركة مصر للطيران التي أقيمت الطائرة الخاصة تحت تصرفه هناك في مرسى مطروح وكان رئيس مجلس الوزراء قد رأى أن يذهب الى مرسى مطروح لعرض فرق الجيش المصرى المعسكرة هناك ، وبعد أن فتش ثكناتهم عاد الى جناحه الخاص بالفندق ، الذى ينزل به ، ثم اتصل بصاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا وزير الخارجية ، ليبلغه أنه قد يعجل بعودته الى القاهرة بسبب استقالة رئيس الديوان الملكي ، غير أنه بعد أن عرف أن المسألة قد انتهت ببقاء رئيس الديوان فى وظيفته ، آثر أن يبقى ثمانى وأربعين ساعة استكمالاً لأسباب الراحة ، وعاد محمد محمود باشا فعلا فى صباح يوم ١١ مايو ١٩٣٨ من مرسى مطروح الى القاهرة ، ولكن فى طائرة حربية خاصة من طائرات سلاح الطيران المصرى .

★ ★ ★

وما دمنا قد اشرنا الى سلاح الطيران المصرى فقد وجب علينا أن نشير الى أنه بينما كان الشاب عبد المنعم سرى من طلبة الكلية الحربية الملكية يتدرب كعادته فى الساعة العاشرة من صباح يوم ٩ مايو ١٩٣٨ على الطيران الحربى فى مطار أمانة وبعد أن حلق وحده فى جو المطار وتجاوزه قليلا نحو الغرب راح يقوم بأحدى حركات التدريب الجوى بأن ينقلب بطائرته ظهرا لبطن ثم يعيد لها مسيرتها الأولى فى شبه دورة أفلت زمام الطائرة من يده أثناء انقلابها فلم يتمكن من اعادتها الى وضعها الأول وهوت مقلوبة به على غير هدى ثم مالبت أن سقطت طائرته فتحطمت وأصيب عبد المنعم سرى بجراح خطيرة أفقدته الوعي ، والنطق .

وكانت وزارة الحربية قد رأت فى الأشهر الأخيرة أن تلحق بعض طلبة السنة النهائية فى الكلية الحربية بسلاح الطيران الحربى المصرى ، حيث يتعلمون فنون الطيران ، ويتدربون على قيادة الطائرات توطئة ، لتعيينهم بعد تخرجهم فى سلاح الجو المصرى فكان عبد المنعم سرى أول شهداء تلك الدفعة ، ولست أعرف ترتيبه بين شهداء سلاح الطيران المصرى ولان مؤامرات على ماهر

باشا ، ضد محمد محمود باشا ، ووزارته ، لم تتوقف بمرور الأيام ولان محمد محمود باشا كان عنيدا ، الى درجة خطيرة ، لا يقبل أبدا أن ينهزم فى معركة قرر الاستمرار فى خوضها .



ولان ما يربط محمد محمود باشا ، بأحمد ماهر باشا كان قويا ومتينا ، رأى محمد محمود بثاقب نظره ، وكان حقيقة من ذوى العقول الناضجة ، التى قد تختلف معها ، ولكنك لا يمكن أبدا الا أن تحنى احتراما لها ، رأى محمد محمود ، انه للقضاء على مؤامرات على ماهر ، لابد من تقوية وزارته ، وتقوية وزارته لا يمكن أن يتم الا بتأليف وزارة جديدة من حزبى الأحرار الدستوريين ، والسعديين صاحبى الأغلبية فى مجلس النواب ، وأدع الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق ليشرح الفكرة الجديدة ، التى هبطت على محمد محمود باشا ، والتى وصفتها الوثائق الانجليزية بالذكاء ونعنى بها تأليف وزارة دستورية ، سعيدية . . يقول د . يونان : رأى محمد محمود باشا أن تأليف وزارة من الحزبين صاحبى الأغلبية (١٧٠ نائبا) مما يكفل للوزارة الجديدة أغلبية قوية حتى اذا لم يؤيدها أحد من المستقلين ، ومن ناحية أخرى فقد رأى رئيس الوزراء ، انه بهذا الاجراء سوف يتمكن من الحد من دسائس القصر ودسائس على ماهر ، وقد ذكر محمد محمود فى لقاء له مع السفير البريطانى فى ١٥ يونيو ١٩٣٨ ، أن هذه الوسيلة خير من الرد على كل عمل من القصر بمثله وما يترتب على ذلك من اشتداد النزاع بين الطرفين من ناحية أخرى بعد أن أخفقت محاولات الزعامة الوفدية فى إلغاء الانتخابات التى جرت بتهمة التزوير فقد أخذت فى السعى الى الايقاع بين الحزبين صاحبى الأغلبية فى البرلمان .

وسعى لتفويت الفرصة على الوفد جاءت فكرة تأليف الوزارة الجديدة ، وهى الفكرة التى عبرت عنها « البلاغ » وقتذاك بقولها : ان الهدف من تأليف الوزارة الجديدة القضاء على أمل النحاسيين فى اثارة خلافات ، ومنازعات بين الحزبين الكبيرين اللذين يستند اليهما بناء العهد الحاضر تقضى عليهما وعلى عهدهما .

ومن البديهي أيضا - هكذا تقول البلاغ فى ٢٣/٦/١٩٣٨ : أن استقرار العهد الحاضر معناه القضاء الأخير على النحاسيين من ناحية تالية فان زعماء السعديين ، لما كانوا من أقطاب الوفد فانهم قد شاركوا فى العمل الوزارى وكانت لهم سمعتهم العريضة التى اكتسبوها من ممارسة هذا العمل ، وكان معنى ضم هؤلاء الى الوزارة بما اتصفوا به - كما يقول المقطم - من الذكاء والحكمة والخبرة والادارة وصدق الوطنية ما يعزز الوزارة ويقويها .

وبالوعى بكل هذه الاعتبارات بدأ محمد محمود اتصالاته بالسعديين ،
يعرض عليهم اشراكهم في وزارته ونجح في الحصول على موافقتهم بالرغم مما
كان يمكن أن تعنيه هذه الموافقة من دخول أحمد ماهر ، زعيم الهيئة السعدية
في صراع مع أخيه على ماهر ، رئيس الديوان الملكي ، وبينما يسعى محمد
محمود الى تدعيم وزارته من خلال الاتصالات كان يجريها مع السعديين كان
على ماهر ، يناور لافساد هذا السعى ففي ١٧ يونيو وبعد يومين فقط من
معرفة نية رئيس الوزراء لتعديل وزارته في هذا اليوم يلتقى على ماهر ،
بالنحاس باشا على كورنيش الاسكندرية ثم يزوره في داره بالرميل ، ويظل
هذا اللقاء ، وتظل تلك الزيارة موضع تكهنات كثيرة حتى تكشف لنا الوثائق
البريطانية عما دار فيها وكيف أنهما كانا جزءا من مناورة كبيرة ضد خطة محمد
محمود لتأليف الوزارة الجديدة فقد أبلغ على ماهر النحاس في هذين
اللقاءين أن الوزارة الحاضرة ليست محل الرضا ولا مقر ، من سقوطها عاجلا
أو آجلا وسأل النحاس عما يرتضيه لكى ينسى الماضي ، فأجاب بأن كل ما يطلبه هو
تعيين وزارة محايدة تكون مهمتها اجراء انتخابات عادلة ، وتكليف الحزب
الفائز بالأغلبية بتأليف الوزارة الجديدة ، ثم جرى بعد ذلك ، كما جاءني رسائل
لامبسون الى هاليفاكس في كتاب « تاريخ الوزارات المصرية » تأليف د. يونان
ليبيب رزق ، اشراف حسن يوسف ، حديث عمن يتم ترشيحه لتأليف الوزارة
المحايدة ، ولم يكن على ماهر ، رئيس الديوان بالطبع .



ويقول الأستاذ محمد التابعى ، في كتابه « من أسرار السياسة والسياسة »
عن لقاء على ماهر ، بمصطفى النحاس على الكورنيش ٠٠ ان على ماهر ، بعث الى
مصطفى النحاس رئيس الوفد يطلب منه أن يقابله سرا على الكورنيش في مكان ما
برمل الاسكندرية ، وفي ظلام الليل أما لماذا طلب أن تكون المقابلة على الكورنيش
لا في دار أحدهما فان السبب بسيط . خاف رفعة على ماهر باشا ، أن يراه
أحد وهو يدخل دار مصطفى النحاس أو أن أحدا يرى النحاس ، وهو يدخل
داره وسوف يكون من الصعب تفسير أو تبرير هذه الزيارة ، أما اذا رأهما
أحد معا وهما يتحدثان على الكورنيش فان من السهل أن يقال ساعتئذ ، ان
المقابلة تمت بطريق الصدفة ، النحاس باشا يحب المشي ، على قدميه ، وكذلك
رفعة رئيس الديوان فأية غرابة في أن يلتقى الاثنان مصادفة على الكورنيش
بينما كل منهما يتنزّه سائرا على قدميه .

وكان غرض على ماهر ، من هذه المقابلة هو التفاهم مع زعيم الوفديين ،
والتفاهم على اسقاط وزارة محمد محمود خصم الوفد العنيد .



وهكذا - يقول الأستاذ التابعي - ولما يمض على وزارة محمد محمود ستة أشهر - الوزارة الثانية بالطبع ، وبداية الثالثة - بدأ السيد علي ماهر يعمل على اسقاط الوزارة التي كان قد جاء بها وداس بها على الأغلبية البرلمانية وعلى جسد الدستور ٠٠ لماذا ؟ لكي يتولى هو رئاسة الوزارة : نفس العقبات ، ونفس العراقيل التي كانت توضع في طريق مصطفى النحاس وضعت في طريق محمد محمود ، ونفس الشائعات التي كان يذيعها ويروجها أعوان ، علي ماهر في عهد وزارة مصطفى النحاس عادت وبعثت من جديد ٠٠٠

وقد كان لقاء الكورنيش من الأحداث السياسية الهامة ، التي شغلت الأذهان فترة طويلة وتسببت في كشف أوراق علي ماهر الذي كان يصر - باستمرار - على أن لقاءه بمصطفى النحاس ، كان مصادفة .

ولكن محمد محمود لم ينس لعل ماهر لقاء الكورنيش هذا الذي استهدف التضحية به وبوزارته كما أن مصطفى النحاس لم ينس بدوره لعل ماهر ، هذا اللقاء ، بعد أن اكتشف أنه لم يكن الا مجرد « لعبة » أراد أن يلعبها على ماهر في الوقت الضائع !!

وكان محمد محمود صريحا في معالجة الموقف ، رغم أن أعصابه كانت قد تعبت للغاية لقد خير القصر بين وزارة يؤلفها علي ماهر ، ولا تتمتع بتأييد الأحرار الدستوريين ، والسعديين ، وبين وزارة يؤلفها محمد محمود من الحزبين الكبيرين .

وللحقيقة وللتاريخ نقول أن أحمد ماهر قد وقف بحق موقفا أخلاقيا رائعا ، فلم يقبل التخلي أبدا عن صديقه محمد محمود رغم التأكيدات التي تلقاها بأن رئاسة الوزارة سوف تكون من نصيبه اذا ما فض تحالفه مع محمد محمود .



● فوجيء الدكتور محمد حسين هيكل بدعوة من محمد محمود باشا ، رئيس الوزراء لتناول الغداء في نادي اليخت الملكي ، ليتعارف الوزراء القدامى بالوزراء الجدد ، قبل أن يتوجهوا بعد الظهر لأداء اليمين الدستورية أمام الملك ، ورغم أنه كان وزيرا ، ووزيرا مرموقا في وزارة محمد محمود باشا الا انه كان يجهل الاتصالات التي أجراها رئيس الوزراء ، ورئيس حزب الأحرار الدستوريين ، الذي ينتمي اليه د. هيكل ، بل الذي يعتبر د. هيكل أحد أقطابه لاشراك الهيئة السعدية في الوزارة وقد تساءل د. هيكل : لم يحدث هذا التعديل الوزاري وأى داع دعا اليه ؟ ويجب د. محمد حسين هيكل على هذا التساؤل بقوله : لم أعرف من ذلك شيئا على سبيل التحديد أو القطع ، الى ساعة وصلتني الدعوة لتناول طعام الغداء ، صحيح ان شائعات بهذا التعديل كانت

تتردد ، ولكننى لم أكن أصدقها ، فقد كنت أؤثر دائما أن يضطلع بالحكم حزب واحد ، فإذا انضم اليه بعض المستقلين كان قبولهم الاشتراك معه بمثابة قبول منهم لسياسته وخطته ، أما أن يشترك حزبان أو أكثر فى وزارة فلم يكن يروقنى الا اذا اقتضته ضرورة وطنية استدعت تأليف وزارة قومية • ولم أكن أشعر يومئذ بقيام هذه الضرورة ، وبخاصة بعد أن انتهت الانتخابات وفاز الأحرار الدستوريون فيها بالأغلبية النسبية لجميع الهيئات التى يتكون منها مجلس النواب •



وقد ذكرت فى هذه المناسبة ما حدث فى انجلترا عام ١٩٣٤ حين فاز حزب العمال بالأغلبية النسبية ، وحين كان نوابه يؤلفون الأغلبية المطلقة مع نواب حزب الأحرار فأيد الأحرار ، العمال الذين تولوا وحدهم الحكم ، وألف مستر رامزى ماكدونالد حكومة العمال الأولى ، صحيح ان وزارة العمال تلك لم تستطع أن تعمّر طويلا واضطرت الى اجراء انتخابات بعد عامين من تأليفها فاز فيها المحافظون بأغلبية ساحقة وقضى على حزب الأحرار قضاء يكاد يكون مبرما، لكن هذا الاجراء فى تأليف الوزارة من حزب واحد ، كان الاجراء الدستورى السليم وكنت لذلك أؤيده ، وأؤيد أن يكون مثله فى مصر ، لكننى فوجئت بالتعديل الذى حدث وأدى الى اشراك السعديين فى الحكم فلم يكن لى بد من قبول الأمر الواقع ، وبخاصة لان رئيس الوزارة كان رئيس حزبى ولاننى بقيت فى التعديل وزيرا للمعارف وكنت معتقدا اننى أستطيع أن أقوم فيها باصلاح يتحقق به للتربية والتعليم خير وفير •

على أن ذلك لم يمنعنى بعد قليل من أن أسأل محمد باشا عن السبب فى هذا التعديل وفى اسناد وزارة المالية الى الدكتور أحمد ماهر ، واسناد وزارة الداخلية الى النقراشى باشا وهاتان الوزارتان هما أكبر الوزارات وأشدّها اتصالا بمصالح الجمهور المادية العاجلة • وأقوى الوزارات كذلك أثرا فى حياة الأحزاب المصرية •



وقد كان محمد محمود يقوم باتصالاته مع أحمد ماهر والنقراشى ، بصفة سرية ، للغاية ، حتى أن كبار رجال حزبه لم يكونوا يعرفون أبدا أسرار تلك الاتصالات الأمر الذى يؤكده دكتور محمد حسين هيكل وزير المعارف فى وزارة محمد محمود وقطب الأحرار الدستوريين الذى يقول : انقضى شهر مايو ، وسافر الملك الى مصيفه بالاسكندرية ، وأقبل شهر يونيو وأننى فى مكتبى بالوزارة يوم الأربعاء الأخير من شهر يوليو ، اذ تلقيت دعوة من رئيس الوزراء

لتناول طعام الغداء بنادى اليخت الملكى بالاسكندرية ظهر الغد ، من ذلك اليوم ، وعجبت فيم عسى تكون هذه الدعوة ؟ ثم علمت أن الوزارة عدلت ، وأن رجال الهيئة السعدية اشتركوا فيها وأن هذه الدعوة للغداء ، وجهت لأعضاء ، الوزارة الجديدة ليتعارفوا حول المائدة ، وليحلفوا اليمين بين يدى جلالة الملك بعد الظهر ، من ذلك : لم يحدث هذا التعديل وأى داع دعا اليه ؟ لم أعرف عن ذلك شيئا ، على سبيل التحديد أو القطع الى ساعة وصلتني الدعوة لتناول طعام الغداء ، صحيح أن شائعات بهذا التعديل كانت تتردد ولكنى لم أصدقها ..

وكان الرجل صريحا فى جوابه ، لقد كان اتجاه السياسة المصرية قبل أن تسند الوزارة اليه أن تسند الى الدكتور ماهر . وأغلبية الأحرار الدستوريين على السعديين فى مجلس النواب لا تتجاوز بضعة أصوات ، والمستقلون مستعدون لتأييد أية وزارة قائمة ، أما وقد أبدى السعديون استعدادهم للاشتراك فى الوزارة فمن الخير أن يشتركوا فيها بدل أن يناوئوها مناوأة لا يستطيع أحد أن يتكهن بنتيجتها وقد تكون هذه النتيجة لضعاف الحزبين لمصلحة الوفد ، لهذا رأى هو ، ورأى على ماهر باشا والدكتور أحمد ماهر أن من الخير اشتراك الحزبين فى الوزارة وتحقيقا لهذا الخير تم التعديل ودخل فيه مع الدكتور ماهر ، والنقراشى باشا .. محمود غالب باشا والأستاذ سابا حبشى فتولى غالب باشا وزارة المواصلات وتولى الأستاذ سابا حبشى وزارة التجارة والصناعة .



ويقول د . هيكمل ، نقلا عن محمد محمود باشا ، ان ماهر والنقراشى أبديا رغبتهما فى أن يتولى أولهما المالية ، وثانيتها الداخلية وأنه - أى محمد محمود - لم ير بأسا فى تحقيق رغبتهما - حرصا على تحقيق الفكرة من اشتراك الحزبين فى الوزارة ، ويقول د . هيكمل أيضا ، نقلا عن حفىنى محمود (بك) شقيق محمد محمود باشا ، أن حفىنى محمود - وهو من أشهر صناعات المقالب فى تاريخ السياسة المصرية - أنه - أى حفىنى محمود - هو صاحب الاقتراح بامسناد الوزارتين الى هذين الرجلين لان اتصالهما بالمصالح المادية للجمهور يسرع بمن لم تتحقق منافعهم المرجوة للانصراف عن تأييد السعديين ، ويعقب د . هيكمل على ذلك الكلام بقوله : عجبت لهذه الحجة ولم أشارك صاحبها رأيه لا من الناحية الحزبية ، ولا من ناحية المصالح العامة .



أما الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فكان له رأى آخر فى اشراك الهيئة السعدية فى الوزارة : « وقد اضطر محمد محمود الى اشراك الهيئة السعدية فى الوزارة ونصحه بعض أعضاء حزبه لانه رأى فى وجود الهيئة السعدية ،

خارج الحكم ، ما يضعف وزارته ويجعلها هدفا لمعارضة واسعة المدى في مجلس النواب فرأى بأزاء مركز وزارته المقلقل ، أن يسند لها بإشراك السعديين فيها تفاديا من سقوطها وقيام وزارة من هؤلاء أو برئاسة رئيس منهم ، وكان محمد محمود في ٢٤ يونيو ١٩٣٨ قد رفع الى الملك الخطاب التالي :

« مولاي صاحب الجلالة .. »

لقد حرصت في تشكيل وزارتي الأخيرتين على أن أوفر لهما الطابع القومي عملا بإشارة جلالتيكم عما توجه الظروف التي تجتازها البلاد من تضافر القوى والأخذ بأسباب الاستقرار وشعورا بما في الوحدة القومية من الخير للبلاد وحسن القيام على مرافقها العامة ، واني أحمد الله اني وفقت الى تحقيق تلك الوحدة بأكبر قدر مستطاع . على أني أرى أن ادراك ما أرجوه من السعادة والتقدم للشعب المصري الكريم ، يجب أن تكون هيئة الوزارة أبلغ مظهرا للقومية وأجمع لأركانها مما بلغناه حتى الآن ، لذلك لا يسعني الا أن أرفع لسدتيكم العلية استقالة الوزارة لتدبر جلالتيكم الأمر ، بما عهدته فيكم البلاد من نظر موفق ورأي صائب ، .

: ولم يكن الملك ، الذي يخاطبه محمد محمود باشا بهذه اللغة ، وهذه اللهجة قد تجاوز العشرين من عمره بعد ولكنها لغة العصر ، ولهجته ، وأسلوبه معا !!



وقبل الملك الاستقالة في نفس اليوم شاكرنا لرئيس الوزارة والوزراء ، ما أدوه للبلاد من الخدمات .

ويعهد الملك في نفس اليوم الى محمد محمود بتشكيل الوزارة ، وزارة قومية جديدة تتعاون على خير هذه البلاد وتقوم بنهضة سريعة في ميادين الاقتصاد والتربية والصحة ، وفي خطاب التكليف ترد العبارتان التاليتان :

● في هذه الأيام التي تتنافس فيها الأمم نريد أن نعمل هنا في هدوء وسكينة لنضرب مثلا عاليا للحياة السليمة الطيبة :

● وفي علاقتنا الدولية ، أود أن نذكر دائما ، أننا بفطرتنا شعب ديمقراطي وأن واجبنا يقتضي التعاون مع الديمقراطيات العظمى ، في العالم ، والمحافظة على العلاقات الودية مع الدول جميعا .



وفى نفس اليوم أيضا - يوم ٢٤ يونية - تتألف الوزارة الجديدة ، فكل شئ فيما يبدو كان معدا بعناية ، ويحرص محمد محمود ، فى خطابه الى الملك ، والخاص بتشكيل وزارته على أن يؤكد - فى البداية - على أن وزارته وزارة قومية تستلهم من سعادة الشعب ، وصلاح حاله أنبل طرائق الحكم ، وأوثقها ، الى تحقيق الغايات العالية » وأن وزارته ستبذل كل ما أوتينا من قوة وقدرة فى سبيل العمل على استكمال وسائل الدفاع عن البلاد وتقوية دعائم الديمقراطية ، وحفظ مقوماتها ، والأخذ بأسباب الاصلاح الاجتماعى واقامة كيان البلاد الاقتصادى على أسس متينة ، وتعهد وسط شدة الحياة الاقتصادية العامة بما يؤكد له القوة والثبات ونشر التربية الصحيحة فى مختلف الطبقات ورسم سياسة تعليمية مع حاجات البلاد وتبعاتها وآمالها وتوفير أسباب الصحة لنجعل من الشعب المصرى العزيز شعبا سليما قويا فى الحرب أو فى السلم .

ويكتفى محمد محمود برئاسة الوزارة .. ويكون تشكيل الوزارة على النحو التالى : عبد الفتاح يحيى للمخارجية ، د. أحمد ماهر للمالية ، أحمد محمد خشبة للحقانية ، محمود فهمى النقراشى للداخلية ، حسن صبرى للحربية والبحرية ، محمود غالب للمواصلات ، حسين سرى للأشغال ، د. محمد حسين هيكل للمعارف ، رشوان محفوظ للزراعة ، مصطفى عبد الرازق للأوقاف ، حامد محمود للصحة ، سابا حبشى للتجارة والصناعة .

ويخرج من الوزارة ممثلا الأحزاب الصغيرة : حلمى عيسى (حزب الاتحاد) أحمد كامل (حزب الشعب) .



وكان مراسل صحيفة الديلى تلجراف البريطانية فى الاسكندرية قد أبقى لصحيفته قبل أن تعلن مراسيم التشكيل للوزارة الجديدة أن محمد محمود باشا قد قابل الملك مقابلة طويلة ، وانه أبى أن يصرح بشئ عقب تلك المقابلة وأن الملك قد استدعى رئيس مجلس الشيوخ والنواب ومعنى هذا الاستدعاء أن حالة دقيقة قد قامت بخصوص تشكيل الوزارة الجديدة ، وتقول صحيفة الديلى تلجراف بعد ذلك ترى الدوائر المتصلة بالقصر أن الأزمة الوزارية ترجع فى الحقيقة الى أن القائمة التى قدمها رئيس الوزراء محمد محمود باشا ، قد خلت من ممثلى حزبي الاتحاد والشعب من أحزاب الأقلية ، ويظهر أن على ماهر قد أبى الا أن يحدث أزمة وزارية بخصوص عدم اشراك ممثل حزب الاتحاد ، الذى كان يوما ما - على ماهر - من أبرز أعضائه وكذلك حزب الشعب فى الوزارة الجديدة بينما أصر محمد محمود على عدم اشتراك هذين الحزبين فى وزارته الجديدة ! .

وكانت صحيفة التايمز البريطانية قد نشرت في يوم ١٩٣٨/٦/٢٤ - يوم قبول استقالة الوزارة المحمدية ، الثالثة ، وتشكيل وزارتها الرابعة الجديدة ، أن محمد محمود باشا قد قابل الملك مقابلة طويلة ورغم أن محمد محمود قد وصف تلك المقابلة لندوب الصحيفة بأنها مقابلة مرضية جدا الا أن مندوب التايمز قد وصف ما قاله محمد محمود باشا عن تلك المقابلة بأنه قول يتميز بالحبيطة الشديدة والحذر !! وقالت التايمز في نفس اليوم أيضا أن دخول السعديين الوزارة الجديدة سوف يثير غضب النحاسيين واحتقارهم ، ونقلت عن القيادات السعدية قولها : اننا نعمل للمصلحة العليا للبلاد لأن حالة عدم الاستقرار السياسي القائمة الآن ، لا تلائم نمو النظام الدستوري البرلماني ، نموا صحيحا ، وقالت « التايمز » : لقد استولى السعديون على المناصب الوزارية الهامة وهذا دفع بعض الذين يراقبون مجرى الأمور الى القول بأن السعديين سوف يصيرون الشركاء البارزين في الائتلاف الجديد .



والجدير بالذكر أن مجلة آخر ساعة قد نشرت في يوم اعلان تشكيل الوزارة الجديدة موضوعا سياسيا قالت فيه أن محمد محمود باشا كان قد أبلغ القصر الملكي في أول يونيو ١٩٣٨ بأنه لا يريد البقاء في الوزارة بسبب حالته الصحية ، وهنا فوتج الدكتور أحمد ماهر في أمر توليه الوزارة فقال انه يفضل في الوقت الحاضر ألا يتولى رئاسة الوزارة ، وكذلك أعلن على ماهر باشا أنه يفضل - حاليا - البقاء في منصبه كرئيس للديوان الملكي ، وأن البعض رشح محمد محمود خليل بك رئيسا للوزارة الجديدة ثم عدل عن هذا الترشيح ، ووضعت آخر ساعة معادلة قاسية للغاية : محمد محمود يبقى في رئاسة الوزارة لأن على ماهر ، وأحمد ماهر لا يقبلان رئاسة الوزارة الآن ، وأن محمد محمود سيخرج من الوزارة يوم أن يقبلها على ماهر أو أحمد ماهر !! .

وكانت تلك المعاملة من أقسى ما ووجهت به وزارة محمد محمود من نقد وسخرية .

ومما كتبه « المصور » - العدد الصادر في أول يوليو ١٩٣٨ - عن شخصية د. أحمد ماهر . وزير المالية الجديد ، أن بها نزعة عملية سريعة وثيقة الصلة بالروح الدكتاتورية ، التي يغلب عليها طبع البت والحسم ، وعدم التردد ، وأحمد ماهر ، الى جانب هذا ذكي ولماح ، مشتمل ، ثم هو جريء ، لا يعبأ كثيرا بصيحات الرأي العام ، مادامت لا تتفق والمصلحة ، فلا نظنه يتسامح كثيرا أمام لولة المدينين وراغبي التقيسيط ، والتأجيل والواقع أنه سيرحم خزانة الدولة أكثر مما يرحم خزائن الأفراد ،

ويتمنى كاتب المصور - فكرى أباطة فيما أعتقد ، حيث أن المقال غير موقع من أحد - ألا يصطدم أحمد ماهر ، مع علي ماهر ، ولكنى لا أستبعد هذا الاصطدام فالباقرة لا يعنون كثيرا بالصلات ولا بالقربات ، وسوف يكون منظرا ظريفا في نوعه ، اذا اصطدم شقيقان .

وأحمد ماهر - كما جاء في المصور أيضا - عصبى هو أيضا . وثورى ، ومجدد ومبتكر ، فلا شك في أن حياته في الوزارة ستكون مفعمة بالمفاجآت . ولكن تقديره دائما سليم لأنه اكتسب - بحكم الخبرة - ذوقا سليما في الحكم على الوقائع والأشياء .

وهو بلا شك وزير مالية من الطراز الأول بل قطب من أقطاب المال ومن عمدة الاقتصاد في هذا البلد فمن حقنا أن نتوقع انتعاشا ودما جديدا في وزارة المالية فهو في بيته ، وفي بيئته » .



وعن محمود فهمى النقراشى كتب المصور يقول : النقراشى باشا . بطبيعته ومهنته السابقة في التعليم ودوره السياسى الذى لعبه طويلا ، منظم تنظيميا عسكريا . لا يمنح ثقته الا بطلوع الروح . يدرس ويحسم ، لا يقبل رجاء بعد البت . ولا الغاء ، ولا تبديلا ، لا يعرف التردد ، ولئن بدا في خارج الحكم صخرة لا تلين ، فهو في داخل الحكم ذو منطق سليم ، أثبت ذلك في عهوده التى تولت وفي وزارته التى تولاه ، والذين يعرفونه معرفة شخصية يعلمون أنه سياسى كيس ذو دهاء لا يبدو على مظهره ، ولا على أعصابه » .

وفي هذه الأيام تنشر جريدة المصرى ، أن محمد محمود باشا ، رفض فكرة تأليف لجنة تحكيم ، للفصل فى الخلاف بين الوزارة والسراى . وهى اللجنة التى سبق للسراى ، أن اقترحتها فى عهد وزارة النحاس باشا ، والتى رفض النحاس الاقتراح ، الخاص بها ويجرى التحقيق فى هذه الرواية بناء على بلاغ قدمه محمد محمود للنائب العام ، ويستدعى كل من أصحاب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، ومحمد محمود باشا ، وعلى ماهر باشا ، للدلاء بأقوالهم أمام نيابة الاستئناف .

ويكتب فكرى أباطة فى افتتاحية المصور الصادر فى ٢٢ فبراير ١٩٣٨ عن أقطابنا العظماء وكان من بين ما كتبه فكرى أباطة « ثلاثة من أصحاب المقام الرفيع فى تحقيق بل هم الثلاثة الأول فى الدولة : أحدهم يتزعم الملايين ، وأحدهم يتزعم الحكومة وأحدهم يتزعم مستشارى الملك فى السراى تقتنصهم النيابة العمومية يوما بعد يوم . لتعلم أيهم الصادق وأعوذ بالله أن قلت العكس . والجدهور فى الحارج ، يلفظ ، ويملا القهوات ، والبارات ، والصالونات ، وقد

وضع أقدار هؤلاء الأقطاب ، والعظماء فى ميزان التهمة ، والتهمة قد تكون أدبية ، وقد تكون جنائية وهى فى تجردها من العنصر الجنائى قد تكون أدهى وأمر من تهمة قانون المطبوعات .



ويمضى فكرى أباطة قائلا : لو أننا أجرينا تحقيقا شعبيا ، ومثل هؤلاء العظماء أصحاب المقام الرفيع أمام المحقق الشعبى لوجه اليهم هذه الأسئلة :

- س : أيليق أن تبث الأخبار العالية منكم هكذا على الناس ؟
- س : أيليق أن يكذب أحدكم الآخر وأن تتناقضوا فى الوقائع ؟
- س : أيليق أن يثار هذا الموضوع فى التحقيق ؟
- س : أيليق أن يقحم اسم الملك فيما شجر بينكم من خلاف ؟

هذه الأسئلة وأمثالها أسئلة رزينة ، ولو علم أصحاب المقام الرفيع الثلاثة ، كيف يعلق الناس على الحادث ، وكيف يصوغون التعليق فى أساليب التهكم وصيغ الدهشة وكيف وضعوا النكت المحكمة ، وأرسلوها على موائد الوسكى وموائد القمار ، لأشفقوا على أنفسهم قبل أن يشفقوا على الدولة وقبل أن يشفقوا ، على مقام الزعامة وقبل أن يشفقوا على مكاناتهم عند الشعب وعند الجمهور .

أمة تعسة ، تعسة حقا . . . رفعت هؤلاء الأقطاب الى مقام الجلال ، والاكبار ، وإلى قمة التقديس ، ولكنهم أبوا أن يمتلكوا هذه القمم العالى ، فنظروا الى سفح الجبل ، وعلموا الأمة أن تياس من أقطابها وأن تراجع نفسها فى هذا المنح وأن تتسلى بأخبارهم وقصصهم وفوادهم وهياؤا للشباب الذى لم ينضج بعد أن يطمح فى مناصبهم العليا فيقول عنهم : انهم انتهوا أنهم مودة مولية انهم ليسوا برجال هذا العصر ، .

ويقول فكرى أباطة عن مقابلة على ماهر والنحاس : سمعت أحد الشبان يقسم أن على ماهر هو الذى طلب مقابلة النحاس وأنه عرض أولا أن تكون المقابلة فى شارع الكورنيش فان لم يكن ففى محل اكسنافون فان لم يكن ففى طريق الصحراء فان لم يكن ففى ميناهاوس فى القاهرة وأن النحاس رد قائلا : لى دار فى شارع حمام السيدات بجوار الكازينو فلتكن المقابلة فيه ، وأخيرا ، اتفق صاحب المقام الرفيع مع صاحب المقام الرفيع على ألا تكون المقابلة فى أرض محايدة ، بل تكون فى البيت .

ولكن شابا آخر أخذ يلطم وجهه متحمسا ويقول والله النحاس هو الذى طلب مقابلة على ماهر بالحاح وأن المقابلة حصلت فى الاتوموبيل بجوار تفتيش السيوف ، ويتسائل فكرى أباطة قائلا : أرايتم كل هم الفريقين المتحمسين ،

انما اتجه لا الى موضوع المقابلة ، وانما الى من طلب الود وطلب الوصال
أما ما عدا ذلك من شئون الدولة فلا يقام له وزن ولا نستطيع نحن أن نفيض
فيه أن نسجل النكت ، التي أرسلها أصحاب الحظ لأن هذا مؤلم ، ومن جهة
أخرى لأن النياية تمنعنا من تناول موضوع التحقيق مراعاة للصالح العام ،
بعد أن ملا حديثه القصور والأكواخ وبعد أن تطرطشت أخباره في قصر
الدوبارة ، وهيلوبوليس والصناديقية وعشش الترجمان وكان مصطفى النحاس
قد قال : أمام النياية - في التحقيق - ردا على سؤال النائب العام الخاص بمن
طلب المقابلة هل النحاس أم على ماهر ، قال النحاس : أنا طلبت ؟ هو طلب ..
هو جالى البيت وخلص .



وقيل أن تفاصيل المقابلة تمت على النحو التالى :

فى اليوم الذى تمت فيه المقابلة خرج النحاس باشا يتمشى فى شارع
الكورنيش على مسيرة خطوات من كازينو سان استفانو فلم يلبث ماهر باشا أن
خرج من الكازينو فاذا النحاس باشا فى انتظاره فسلم عليه ، وأخذا يتمشيان
فى الشوارع المحيطة بالكازينو ، ذهابا وإيابا - كالعشاق - الى أن وصلا أخيرا
الى منزل النحاس باشا ، وهو لا يبعد عن الكازينو بأكثر من خمسين مترا فالتفت
رفعة النحاس باشا ، الى رفعة على ماهر باشا قائلا : عندك مانع تشرب فنجان
قهوة ؟ فسأل على ماهر باشا : أين ؟ قال النحاس باشا : « عندى فى البيت »
وأشار الى البيت الذى كانا واقفين أمامه ، فرد ماهر باشا قائلا : ماعنديش
مانع ! .

وفعلا دخلا البيت وجاءت القهوة ، واعتذر على ماهر عن تناولها لأنه
لا يشرب القهوة فى الليل .

وقد أمر النائب العام بحفظ التحقيق فى رواية « المصرى » بعد استجواب
ثلاثة من أصحاب المقام الرفيع : مصطفى النحاس باشا ، محمد محمود باشا
على ماهر باشا .

وعندما كان يثار موضوع هذه المقابلة أمام على ماهر باشا ، كان يقول :
أنا لست ملزما أن أؤدى حسابا أمام الوزراء فمن حقى أن أقابل من أشاء
وأحدث فيما أشاء ، وفق المصلحة العامة ومع كل هذا فانا لم أتعهد إخفاء
خبر المقابلة بدليل أننى أنبأت بها لطفى السيد باشا وزير الداخلية .



وكان على ماهر باشا بعد المقابلة قد عاد الى كازينو سان استافانو وهناك
جس ولطفى السيد باشا فترة طويلة تحادثا فيها فى أمور شتى ، وامتد
الخدب الى مسألة معينة استشهد فيها لطفى السيد برأى قال انه رأى النحاس
باشا . فما كان من على ماهر ، الا أن قال للطفى السيد : لا . . . النحاس باشا
رأيه من كده أنا شففته قريب ، وفهمت رأيه . وقبل أن يسافر محمد محمود
باشا ، الى لندن للتفاوض مع الساسة البريطانيين بخصوص موضوع ثكنات
الجيش البريطانى ، وكان هذا الموضوع يشغل جيدا بال محمد محمود باشا
وزرائه . لأنه يكلف ميزانية الحكومية المصرية فوق ما تتحمل ، وكان من رأى
محمد محمود باشا ووزرائه ضرورة تخفيض تكاليف تلك الثكنات ، التقى محمد
محمود بعلى ماهر . ودار عتاب حار حول مقابله بالنحاس باشا ، وكيف انه
لم يحسم بأمرها الا من الصحف وقال ماهر باشا : انه تصور أن لطفى السيد
سوف يبلغه خبر تلك المقابلة ، وقال محمد محمود لم أسمع من لطفى باشا أى
شئ عن تلك المقابلة .



واعتبر موضوع مقابلة النحاس بعلى ماهر منتهيا بالنسبة لكل من على
ماهر . ومحمد محمود وبذلك اسدل الستار . على أشهر مقابلة سياسية عرفتها
مصر لا فى عام ١٩٣٨ وحسب بل فيما سبق هذا العام ، وما تلاه من أعوام .

كانت مراكز القوى فى قصر عابدين وعلى رأسهم على ماهر باشا رئيس
الندبوان تحكم من وراء ستار ، أو تحكم أمام ستار ، ولا يستطيع أحد مساءلتها
اما لأنها فوق كل مسألة . . . واما أنه لا يجوز مساءلتها ، لأن هناك مسئولين
آخرين بحكم الدستور ، وبحكم القانون . . . بينما هى أمام الدستور ، وأمام
القانون . . . غير مسئولة على الاطلاق .

ولقد كان على ماهر باشا يطمح - كما سبق أن ذكرنا - فى أن يلى الحكم
كرئيس للوزارة ، يسانده برلمان « مذهب » يقول له كن فيكون !!

ولا أحد يعارض أبدا هذا الطموح ، فمن حق كل مواطن - وخاصة اذا كان
صاحب مواهب متعددة كعلى ماهر - أن يطمح فى رئاسة الوزارة . ولكن الذى
نأخذه على على ماهر باشا ، أنه كان يسعى للوصول الى الحكم بأسلوب ملتو
غير مستقيم . لا يلجأ اليه عادة ، الا ذوو النوايا الحبيثة والأساليب غير المقبولة .



ومن أجل تحقيق هذا الطموح ، كان على ماهر ، وخاصة بعد أن ارتفع
الى مستوى القمة ، أو رفعت الظروف الى مستوى القمة ، اثر وفاة الملك أحمد

فؤاد ومناداته بفاروق ملكا ، كخليفة لوالده . . كان على ماهر يكيد لوزارة النحاس باشا باستمرار ، وخاصة في شهورها الأخيرة ، ويضع في سبيلها العراقيل العديدة . . مستغلا جهل الملك الصغير بأساليب الحكم ، وحرص مجلس الوصاية برئاسة محمد علي توفيق على ارضاء الوفد والانجليز ، وارضاء مصالحهم الشخصية في وقت واحد .

وقد وقعت وزارة مصطفى النحاس في كثير من الأزمات التي دفعها اليها دفعا . . على ماهر .

وقد كانت وزارة مصطفى النحاس تستطيع بتأييد من الشعب ، تجنب هذه الأزمات . . ولكنها لفرط تمسكها بالحكم ، ولفرط معاداتها لكل رأى مخالف لقيادتها من بين أنصارها والعاملين معها في حقل واحد . . ما كانت لتخرج من أزمة الا لتقع في أزمة أخرى أعنف وأشد من سابقتها . هذا بالإضافة الى التجاء وزارة النحاس في شهورها الأخيرة الى الأساليب الديكتاتورية التي أعمتها عن تبين الطريق السليم .

وتقع أحزاب الأقلية في خطأ كبير ، عندما تساعد على ماهر باشا على النيل من وزارة الأغلبية ، وزارة مصطفى النحاس باشا . . كراهية منها لتلك الوزارة ، لا حبا في على ماهر والسراي .

ساعدت أحزاب الأقلية على ماهر ، حتى أسقطت وزارة النحاس باشا . فلما آل الحكم الى أحزاب الأقلية ، وجد على ماهر أنه صاحب اليد الطولى في إسقاط وزارة النحاس ، وفي المجيء بأحزاب الأقلية ، فراح يعبث بالوزارة التي هي . . كما كان يعتقد جازما . من صنعه .



وقد كانت أحزاب الأقلية التي أصبحت بعد الانتخابات التي أجرتها تملك الأغلبية تستطيع أن توقف على ماهر باشا عند الحدود الدستورية ، منذ اليوم الأول ، الذي استندت فيه الى البرلمان الجديد ، ولكنها لم تفعل . . الأمر الذي دفع على ماهر الى الاستمرار في سياسة التدخل بعنف لم نعهده في حياتنا السياسية من قبل . . حتى عندما كان حسن نشأت باشا يدير مقاليد الحكم باسم السراي وباسم الانجليز في أعقاب وزارة سعد زغلول باشا ، التي استقالت . أو أقيلت بمعنى أدق . اثر مقتل السير لي ستاك باشا ، سردار الجيش المصرى والحاكم العام للسودان .

وكم أشفق المحبون لمحمد محمود ، والمقدرون لنبله الشخصي وكبريائه الوطنية . . من مغبة تدخل على ماهر باشا بتلك الصورة المؤلة والمفرعة معا . . ولكن الرجل النبيل . . كما يحلو لأصدقائه أن يصفوه . كان يعرف جيدا ، أن

استقالته من الحكم ، تعنى العودة الى حكم الوفد ، الذى كان لا يطيقه . وكان محمد محمود يتحمل كل « تداعيات » على ماهر فى أمور الحكم ، على اعتبار أنه هو وعلى ماهر . . . فى قارب واحد . . . وان أى كارثة تلحق بهذا القارب ، فانما تلحق به وبعلى ماهر فى وقت واحد . . . ولذلك صبر وصابر على أمل أن يبتعد على ماهر عن تدخله فى الحكم ، وعلى أمل أن يفيق فاروق لنفسه ولنظام الحكم الذى ينتسب اليه ، ولكن الأيام أثبتت لمحمد محمود أنه كان واحدا فى كل تصوراته السياسية ، وأن على ماهر كان يريد أن يلى الحكم ، اليوم قبل الغد . وأبرز مثال على تدخل على ماهر فى أمور الحكم بصورة معيبة ، ما حدث منه بالنسبة للمشاركة فى مؤتمر لندن لبحث القضية الفلسطينية :

دعا المشتغلون بالمسألة الفلسطينية ، الى مؤتمر يعقد بالقاهرة فى أكتوبر ١٩٣٨ ، ولم تكن الحكومات العربية - كما يقول الدكتور محمد حسين هيكل - تأخذ بنصيب فى هذه المؤتمرات العربية ، بل كانت تقف منها موقف الحياد . لكن محمد باشا محمود ، رأى أن تبدى وزارته العطف على هذا المؤتمر ، فدعا المؤتمرين الى وليمة كبرى ، ألقى فيها خطابا ، أيد فيه مطالب العرب من أهل فلسطين ، تأييدا حارا . وطن الناس أن ينتهى هذا المؤتمر الى ما تنتهى اليه المؤتمرات كلها : الى قرارات توضع ، ويوافق عليها المؤتمر ، ثم ينصرف كل مشترك فيه الى وطنه . وصدق هذا الظن على المؤتمرين . لكنه لم يصدق على الموضوع الذى عقد المؤتمر من أجله ، فانبجست كانت قد أوفدت لجنة لبحث مطالب العرب فى فلسطين والتماس الوسيلة للتوفيق بين العرب واليهود ، توفيقا عادلا فى نظر اللجنة . ودعمت الحكومة البريطانية ، بعد ذلك الى مؤتمر مائدة مستديرة ، يحضره رجال العرب . يبحثون فيه مع الساسة الانجليز ، عن حل لهذه المشكلة العويصة .



وكان محمد محمود باشا يريد أن يسافر بنفسه الى هذا المؤتمر ، راجيا أن يكون له فخر المشاركة فى تفريغ أزمة العرب من أهل البلاد المقدسة . وكان الرجل مغتبطا بما يرجو أن يقوم به من ذلك ، أيما اغتباط . لكننا فوجئنا والكلام للدكتور هيكل - فى اللحظة الأخيرة ، بأن رئيس الوزارة لن يمثل مصر فى مؤتمر هذه المائدة المستديرة ، بل يمثلها على ماهر باشا ، رئيس الديوان الملكى .

وسافر على ماهر باشا مصطحبا معه عبد الرحمن عزام «بك» وأسندت رئاسة الديوان الملكى بالنيابة الى كامل باشا البندارى . . .

ما سبب هذا الانقلاب المفاجئ ؟

إذا كانت مشاغل رئيس الوزارة في مصر تحول بينه وبين السفر الى انجلترا ، فلماذا لم يسافر وزير الخارجية ، عبد الفتاح يحيى باشا ؟ .

لقد كان هذا هو الطبيعي ، ولم يكن طبيعيا أن يسافر رئيس الديوان في مهمة قد تترتب عليها مسئولية سياسية ، وهو بحكم مركزه ، وبحكم تعيينه بأمر ملكي بغير رأى الوزارة ولا اقتراحها ، لا يشارك الوزارة في المسئولية الدستورية . لكنك ، لن تلتبس تفسيراً دستوريا لهذا الأمر ، فتفسره أن الوزارة ، هي التي انتدبت على ماهر باشا ، فهو لا يسافر بصفته رئيساً للديوان ، بل بصفته نائبا عن الوزارة . والوزارة تحمل لذلك مسئولية أعماله ..

هذا هو التحليل الدستوري .

أترأه متفقا مع الواقع ؟ !

يجيب الدكتور هيكل عن هذا التساؤل قائلا :

« أما أنا ، فلم أعلم أن الوزارة نددت على باشا ماهر لهذه المهمة ، لأن هذا التندب لم يعرض على مجلس الوزراء » .

ولأنني أريد أن أستأذن القارئ في أن أستعمله لأتحدث عن مؤتمر المائدة المستديرة في لندن بافاضة فيما بعد ، فأحب أن أشير الى حادثة ، قيد يراها البعض صغيرة ، وقد يراها البعض كبيرة . ولكنها صغيرة كانت أم كبيرة ، توضح بجلاء . كيف كانت الأمور تجري في سراي الملك . . . !!

كلنا نعرف جيدا أن كامل البنداري عندما كان وزيرا في وزارة محمد محمود الثانية - وزيرا للصحة - كان متهما بأنه رجل على ماهر في الوزارة : وكان ينقل الى على ماهر تفاصيل ما يجري في مجلس الوزراء . الأمر الذي أغضب محمد محمود باشا ، رئيس الوزراء ، أكثر من مرة . . . والأمر الذي دفع محمد محمود باشا رئيس الوزراء الى أن يطلب من بعض وزرائه ألا يتصلوا بالسراي . . . الا عن طريقه . فهو - أي رئيس الوزراء - الذي يجب أن يطلع الملك على ما يشاء من شئون الدولة ، وأن يكون هو وحده ، الذي ينقل الى الملك مباشرة ، أو عن طريق الديوان ، ما يريد الملك الوقوف عليه ، أما أن يصطفي رئيس الديوان وزيرا من الوزراء ، ينقل اليه ما يجري في الوزارات وفي مجلس الوزراء فذلك مظهر من مظاهر عدم الثقة برئيس الوزارة ، وهو بعد - كما يقول الدكتور هيكل نقلا عن محمد محمود - عمل لا يليق أن يقوم به وزير .

وقد خلت كل الكشوف - كما سبق أن ذكرنا - التي قدمها محمد محمود باشا ، الى السراى ، والمتضمنة أسماء الذين قبلوا التعاون معه فى الوزارة ، من اسم كامل البندارى . الأمر الذى أدى الى أزمة وزارية ، وأدى الى رفض الكشوف التى تقدم بها رئيس الوزراء الى الملك لخلوها من اسم كامل البندارى . فلما أضاف محمد محمود باشا اسم كامل البندارى ، انتهت الأزمة وشكلت الوزارة أخيرا فى اليوم التالى .

وبينما كان على ماهر باشا فى لندن ، كثرت الأحاديث عن تدخل رئيس الديوان فى أمور الحكم ، كما كثرت الأحاديث عن سيطرته الكاملة على الملك الشاب .

وفى مناسبة رأس السنة الهجرية ، أذاعت محطة الاذاعة اللاسلكية ، بيانا ألقاه الملك يهنئ فيه الشعب بالعام الهجرى . وجاء فى هذا البيان كلمات عن « تمسكه كوالده ، برأيه ، وأن أحدا لا يستطيع أن يزحزحه عن هذا الرأى » .

كان هناك اجماع من الشعب ومن المسئولين ، على أن المقصود بتلك العبارة هو على ماهر شخصيا ، فلم يكن أحمد حسنين ، فى مركز هام . وخطير فى السراى يمكن أن تعنيه تلك العبارة ، ولم يكن كامل البندارى ، رئيس الديوان الملكى بالنيابة وقتئذ ، هو المقصود بتلك العبارة . اذ المفروض أنه هو الذى وضع بيان الملك ، أو شارك فى وضعه على الأقل .

وعاد على ماهر بسرعة ، وقد آلمته تلك العبارة بشكل أفقده أعصابه . . . لقد تصور أن كامل البندارى قد انتهز فرصة غيابه فى لندن للتقرب من الملك على حسابه . وأصر على ماهر على ألا يبقى رئيسا للديوان ، اذا بقى البندارى باشا وكيله . ورغم توسط كثير من أصدقاء الطرفين ، لدى على ماهر . . . الا أنه أصر على قراره هذا . وكان على ماهر يؤكد لكل من قابله أنه مقتنع ، الى أبعد حدود الاقتناع ، بأن كامل البندارى لم يحفظ عهده فى غيابه ، وأن ما لديه من معلومات فى هذا الأمر لا يتطرق اليها الشك .

ويظهر نبل محمد محمود باشا ، فيقابل الملك ويتحدث اليه فى الأمر قائلا :

اذا كان لابد من أن يترك أحد الرجلين القصر ، فمن رأيه كرئيس للوزراء ، الا يكون على ماهر فله من سابق خدمة الملك ، وفى خدمة والده - ما له .

ونم تعيين كامل البندارى باشا وزيراً مفوضاً لمصر فى بروكسل .

على أن كثيرين من السياسيين المعاصرين ، يؤكدون أن كامل البندارى كان بريئاً مما نسبته اليه على ماهر ، وأن بطانة الملك وقد ضايقها سيطرة على ماهر على القصر ، انتهزت فرصة غيابه للتخلص منه .

ولدى من المؤشرات ، ما يؤكد أن حسنين باشا ، كان له دخل فى هذه العملية ، خاصة وأنه عندما كان رائداً لفاروق ، وفاروق يتلقى العلم فى لندن ، قد أثر عليه بصورة هائلة فى كثير من الأمور السياسية وغير السياسية . ودليلي أنه بعد أن استقال على ماهر باشا ، من رئاسة الديوان ، ليتولى الوزارة ، ترك منصب رئيس الديوان خالياً ، ليعود اليه بعد أن يترك الوزارة . ولكن حسابات على ماهر قد أخطأت فى هذه المرة ، لقد استقال من رئاسة الوزارة — بعد أن ألفها فى ١٨ أغسطس ١٩٣٩ — فى ٢٧ يونيو ١٩٤٠ . لكنه لم يشغل منصب رئيس الديوان ، وإنما شغل المنصب شخص آخر ، هو أحمد حسنين ، الذى عين رئيساً للديوان الملكى فى ٢٧ يوليو ١٩٤٠ ، أى بعد شهر من ترك على ماهر الوزارة . ويقول الأستاذ محمد زكى عبد القادر عن أحمد حسنين باشا : أنه رجل دارس فاهم ، لبق ، مهذب ، عارف بالتيارات والاتجاهات . جمع الى ثقافته الغربية ، الماما كافياً بالحياة المصرية . وكان على صلات حسنة ، وعلى صلات وثيقة بالأسرة المالكة . ويظهر أنه تمرس بحياة القصور ، وما يزكو فيها من دسائس وتيارات ، ووعى كل شيء من هذه الناحية ، وأراد لذلك أن يلعب دوره بمهارة . وقد أدرك منذ اللحظة الأولى ، التبعات الثقيلة التى ألقيت على كاهله ، وأدرك أنه أضحى أقوى رجل فى القصر ، وربما فى مصر .

» لقد سلك أحمد حسنين الطريق الذى حاول أن يسلكه على ماهر ، أراد أن يوطد مركز الملك فى الشعب ، لا ليعطى الملك سلطات يستحقها ، ولكن لكى يحكم هو من ورائه . وكما فكر على ماهر ، فكر أحمد حسنين . ظن أنه وضع « فاروق » فى جيبه ، وأنه يستطيع بما توفر له من لباقة وما أكده من علاقات طيبة هنا وهناك ، أن يوفق خيراً مما وفق على ماهر . ولعله كان يضحك ، وهو الأمين الأول للقصر ، حينما كان يلمح مجهودات على ماهر للسيطرة على فاروق ، وحينما كان يلمح نيات رئيس الوزارة ورئيس الديوان قبل ذلك ، فقد كان واثقاً من الأرض التى يقف عليها مطمئناً الى أن دور على ماهر ، موشك على نهايته » .

والذى أستطيع أن أقوله ، أن أحمد حسنين بذكائه الخارق ، قد لعب لعبته فى غياب على ماهر ، ليتخلص منه ، ومن كامل البندارى فى وقت واحد . فتحقق له ما أراد بالنسبة لكامل البندارى ، ولم يتحقق ما أراده بالنسبة لعللى ماهر . لا فيما بعد .

الباب الثالث

الفصل الأول

مصر والقضية الفلسطينية وقضية الوحدة العربية

موضوع هام وخطير أثاره في مجلس النواب بتاريخ ٣١ مايو ١٩٣٨ ،
النائب المحترم محمود أبو رحاب الذي كان قد وجه سؤالاً إلى رفعة رئيس
الوزراء محمد محمود باشا ، عما اعتزمته الوزارة دفاعاً عن فلسطين وبقائها
جزءاً لا يتجزأ من الجسم الإسلامي وعما إذا كان اتخذ أي إجراء دبلوماسي في
هذا الصدد نزولاً ، على رغبة الأمة .

وقد أجاب محمد محمود باشا ، ببيان ضاف قال فيه : تقدر الحكومة
خير تقدير عواطف الشعب المصري نحو فلسطين ، وحرصه على طمأنينة أهلها
وسلامتهم ، وهي منذ وليت الحكم قد أخذت نفسها بمعالجة أسباب شكواهم
بالوسائل الدبلوماسية ممثلة أملاً بأنها سوف تصل إلى حل عادل يطمئن إليه
أهل فلسطين ، ويستريح له العالم العربي ، ولا تزال الحكومة تواصل السعي
مع الدولة الحليفة ابتغاء الوصول إلى هذه الغاية ، منتبهة كل فرصة لمعالجة
المشكلة وحلها على النحو الذي يتحقق به العدل ، وتطمئن له النفوس و...و...

ويشكر النائب محمود أبو رحاب رئيس الحكومة على إجابته راجياً منه
أن يضاعف مجهوده الكريم لأن الأمة العربية تتطلع إليه فهو رجل الفضل ،
ورجل السلام .

وكان النائب المحترم الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، قد وجه أيضاً
سؤالاً مشابهاً ، إلى رئيس مجلس الوزراء الذي اكتفى برده على محمود أبو رحاب ،
وكان من بين ما علق به الشيخ محمد عبد اللطيف دراز أنه أراد بتوجيه
السؤال إلى رئيس الوزراء ، أن يدلّ ببيان يعبر فيه عن عواطف الأمة المصرية
نحو فلسطين القطر الشقيق ، وكان النائب المحترم ، عبد الحميد سعيد قد وجه
أيضاً سؤالاً مشابهاً ، لرئيس الحكومة ، وقد عقب على إجابة رئيس الحكومة
بقوله :

ان فلسطين الشقيقة المعذبة التي تربطها وايانا روابط قوية متينة ، تأكلها
النيران آكلا ، وتنتابها المصائب وينصب عليها العذاب ان السياسة الانجليزية
اليهودية ترمى الى اقامة دولة يهودية ، وحذر النائب الوطني عبد الحميد
سعيد من خطورة ما يراد بالمسجد الأقصى ، وقال بلهجة قوية « كان يجب على
مصر ، قائدة النهضة العربية الاسلامية بل كان يجب على الحكومة أن تكون
أسرع الحكومات في الدفاع عن فلسطين والمسجد الأقصى ، والا أضعنا كرامتنا
أمام العالم العربي ، وأمام العالم الاسلامي » .



ويطالب النائب المحترم محمود لطيف بك بمناهضة فكرة تقسيم فلسطين
كما يطالب بمعرفة ما اتخذته الحكومة المصرية ، ازاء الاعتداء الذي وقع من
الحليفة بريطانيا على المسجد الأقصى ، ويكتفى رئيس الحكومة ، بالقول ، بأن
الحكومة الحاضرة قائمة بواجبها خير قيام في هذا الموضوع .

وبينما تقابل الأغلبية كلمة رئيس الحكومة بالتصفيق يعلن النائب
المعارض محمود لطيف بك ، أنه سيحيل سؤاله الى استجواب .



وأضيف الى ما سبق أن المحامي ، والمستشار السابق ووكيل مجلس
النواب الأسبق محمد توفيق خليل - تفضل - رغم شيخوخته - بزيارتي مهديا
اياء تقريراً من أعمال المؤتمر البرلماني الرابع والثلاثين ، للاتحاد البرلماني
الدولي ، الذي انعقد في مدينة لاهاي - هولندا - في الفترة من ٢٣ الى ٢٧
أغسطس ١٩٣٨ .



وكان وفد مصر الى ذلك المؤتمر قد تألف برئاسة محمد توفيق خليل ،
وكيل مجلس النواب وقتئذ بعد أن اعتذر عن المشاركة في المؤتمر رئيس مجلس
النواب محمد بهي الدين بركات باشا وكان الوفد قد شكل من أعضاء مجلسي
الشيوخ والنواب التالية أسماؤهم : « من النواب » ممدوح رياض ، محمد
فكري أباطة ، عطا عفيفي بك ، رينيه قطاوي بك ، محمود أبو الفتوح ، ومن
« الشيوخ » : عبد الحميد أباطة بك ، وهيب دوس بك ، ميشيل رزق .

وتقرير الوفد المصري المقدم من محمد توفيق خليل بك ، الى مجلس
البرلمان المصري ، والذي يقع في حوالي تسعين صفحة ، من أهم التقارير
البرلمانية ، وهو من زاوية القضية الفلسطينية وثيقة هامة تؤكد أن شعب مصر،

كان يحمل عبء الدفاع عن الشعب الفلسطيني أمام المحافل الدولية في وقت لم يكن فيه الاحتلال البريطاني لفلسطين ، المتحالفة مع الصهيونية يسمح لصوت الشعب الفلسطيني أن يرتفع خارج فلسطين .



وكم وددت ، لو اتسع المجال لنشر نص خطاب ممدوح رياض ، أحد أعضاء الوفد المصري الذي ألقاه في المؤتمر في مساء ٢٢ أغسطس عن القضية الفلسطينية ، والذي يقع في حوالى خمس وعشرين صفحة .

وكم وددت ، لو اتسع المجال ، أيضا لنشر تفاصيل المناقشات الحامية ، التي دارت بين النائب ، المصري ممدوح رياض ، ومستر ريس ديفز عضو مجلس العموم ، البريطاني ، ليعرف من لا يعرف ، أو من يعرف وينكر أنه يعرف أن مصر - ومصر وحدها وقتئذ - كانت الترجمان ، الصادق ، الأمين عن آمال وأمانى وآلام ومتاعب الشعب الفلسطيني .

فقط أشير الى بعض ما ورد في خطاب ممدوح رياض ، الذي ألقاه باسم مصر شعبا وحكومة ، كما أشير مجرد إشارة الى ما دار بين ممدوح رياض وريس ديفز داخل جلسات المؤتمر البرلماني الدولي .

وقبل ذلك كله ، أحب أن أسجل هنا - للتاريخ - موقفا وطنيا ، برلمانيا رائعا ، وقفه الاخوة المصريون المشاركون في المؤتمر ، لقد ورد في التقرير السنوى للسكرتير العام للاتحاد البرلماني والذي ألقى في المؤتمر ، وهو يستعرض الأحداث البرلمانية ، فى العالم كله ، أن أمرا ملكيا قد صدر بأقالة وزارة مصطفى النحاس باشا فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ لمعارضتها للدستور .

ولم يكن من بين أعضاء وفد مصر ، الى المؤتمر البرلماني الدولي الا عضو واحد ، أو اثنان ينتميان الى الوفد المصري كحزب ، بل لقد كان غالبية الأعضاء ، يعارضون حزب الوفد المصري معارضة شديدة ولكنهم جميعا لم يقبلوا أن تتهم وزارة مصرية فى مجتمع دولي ، وفى وثيقة دولية بمعارضتها للدستور .



وفور انتهاء السكرتير العام للاتحاد البرلماني الدولي ، من القاء تقريره السنوى اجتمع الأعضاء المصريون وقرروا بالاجماع ، أن يطلبوا الى السكرتير العام حذف تلك الفقرة الخاصة بمعارضة وزارة النحاس باشا ، للدستور ،

من التقرير السنوى ، بل وكتبوا مذكرة بهذا المعنى ، سلمت للسكرتير العام
فى ٢٥ أغسطس ١٩٣٨ ، وعلى الفور وافق السكرتير العام - والمؤتمر - على
حذف تلك العبارة ، بل ان السكرتين العام للاتحاد البرلماني الدولى ، اعتذر عن
كتابته لتلك العبارة مؤكدا أنه نقل هذه العبارة ، عن نص الأمر الملكى الخاص
باقالة الوزارة كما نشر فى جريدة « الطان » الفرنسية ، وجريدة « التايمز »
الانجليزية ، وذكر السكرتير العام ، ان من صالح مصر ، أن تسهر على صحة
الأخبار التى تنشرها عنيا أميات الصحف فى العالم كما أن من صالح مصر أن
توافق المنظمات الدولية بعدد من الوقائع المصرية باللغة الفرنسية أو اللغة
الانجليزية .



أما خطاب ممدوح رياض عن القضية الفلسطينية ، فقد كان بمثابة وثيقة
خاصة بالقضية الفلسطينية تؤكد أن فلسطين بلد عربى ، وأن العرب هم
أصحابها وسكانها منذ أجيال عديدة ، وأنه يجب على المجتمع الدولى ، وعلى
دولة الانتداب . بريطانيا أن تلتزم بمصالح العرب ، أصحاب البلاد الأصليين ،
وأن تفضل على مصالحهم مهاجرين ، اليهود .

ويطالب ممدوح رياض - باسم مصر - شعبا ، وحكومة - بضرورة مراعاة
أحكام القانون الدولى العام ، بالنسبة للشعب الفلسطينى ، وضرورة تنفيذ مبادئ
الرئيس الأمريكى ولسون ، التى تعترف بأن لكل شعب حقه فى تقرير
مصير بلاده .

ويؤكد ممدوح رياض - بالأرقام ، والتقارير والبيانات الرسمية - أن
فلسطين اكتظت الآن - أغسطس ١٩٣٨ - بالسكان الى أقصى درجة تتفق
وموارد البلاد الطبيعية من زراعية واقتصادية ، فيكون من خطئ الرأى ، وقلة
التبصر بالعواقب مواصلة العمل بسياسة اباحة مهاجرة اليهود الى فلسطين ،
على الرغم من معارضة أهل البلاد فى ذلك مع الاعتراف لليهود ، بأنهم يمرون
الآن - أغسطس ١٩٣٨ - بظروف عصيبة من اضطهاد ، ونفى يجعلهم فى محل
عطف ورعاية شاملة من الانسانية كلها .



على أن هذا العطف - هكذا قال ممدوح رياض بالحرف الواحد - وتلك
الرعاية ، لا يجب أن تبدأ على حساب فلسطين وحدها ولا سيما أن فلسطين
- حتى على فرض امكانية مضاعفة عدد سكانها الحاليين ، وقبول نصف مليون
من المهاجرين الجدد بها ، وهو فرض جلدى تأييد طبيعة البلاد - ، لا تكفى لتأتى
للعالم بحل قاطع للمشكلة اليهودية ، إذ أن اليهود يبلغ عددهم فى العالم بأجمعه

١٦ أو ١٧ مليوناً ، فليس في ايواء فلسطين لنصف مليون متهم وهو فرض لا يمكن تحقيقه حل للقضية اليهودية في العالم ، بينما أن الظلم كل الظلم للأغلبية العربية ، في فلسطين التي ليست أقل من غيرها استحقاقا للعطف والانصاف ، ولا يمكنها أن تصبر على الضيم .

ويقول ممدوح رياض : أن العمل على انقاذ اليهود من محتجزهم لا يكون بتوجيه أنظارهم شطر فلسطين ، التي لا تتسع لايوائهم ، بل هناك في العالم ، مناطق وأنحاء لا يتناسب عدد سكانها مع خصب تربتها ، ومواردها الطبيعية ، وتسمح أحوالها بايواء اليهود بها ، على شرط أن تصفو النفوس ، وتعزل عن الأنانية أخذا بنصرة المضطهدين .

ولعل ذلك يتم في المستقبل القريب ، لتصبح فلسطين – تلك الأرض المقدسة ، التي استحالته الى ميادين قتال – مقرا ومصدرا للوفاق والوئام والاخاء .



ورغم أن خطاب ممدوح رياض قد استغرق أكثر من ضعف الوقت المصروح به ، لكل الأعضاء ، إلا أن جميع الأعضاء ظلوا يستمعون اليه – والكثيرون منهم وقفا حول المنبر – كما يقول التقرير – زهاء نصف ساعة .



ويقف مستر ريس ديفز ، عضو مجلس العموم البريطاني ، ليأخذ على الخطيب المصري انتقاد الطريقة التي تنتهجها بريطانيا في معالجة المشكلة الفلسطينية ، من غير أن يتقدم باقتراح مفيد لحل المشكلة ، ويقول مستر ديفز أن أوروبا اليوم تؤلف معسكرين ، معسكر الدول الدكتاتورية من جهة ، ومعسكر الدول الديمقراطية من جهة أخرى فلا يصح أن تسترسل الدول الديمقراطية في مهاجمة بعضها بعضا في حين أن الدول الدكتاتورية توحد جبهتها ، وتنظم صفوفها وتوطد تضامنها .

ويأخذ مستر ديفز على الأستاذ ممدوح رياض أنه يتدخل في الشؤون الداخلية لدولة أخرى هي بريطانيا !

ويقف ممدوح رياض مرة أخرى ، ليؤكد أنه أبدي وجهة نظر بلاده في مشكلة فلسطين ووجهة النظر هذه : انه لابد من البحث عن بلاد غير فلسطين تتسع لياوى إليها الشعب اليهودي ، المضطهد الآن في كثير من البلاد ، وإذا كانت بريطانيا قد بذلت ، كما تقول كل ما تستطيع لحل المشكلة الفلسطينية فقد اتضح لها أن هذا الحل في الأوضاع الحاضرة يكاد يكون مستحيلا ، فلا بد من تعديل الأوضاع القائمة !

سنوات ما قبل الثورة ج ٢ = ٢٠٥

والجدير بالذكر أن مصر ، طلبت أن يدرج فى جدول أعمال المؤتمر المقبل اقرار مبدأ هام هو أنه لا يجوز لحكومة أجنبية أن تملى ارادتها ، على حكومة أخرى فيما يختص بشكل الحكم ، ونظامه » .

وجرت مناقشات طويلة انتهت برفض الاقتراح المصرى بأغلبية ١٧ ضد ١٤ صوتاً !!

وان كان المؤتمر قد وافق بالاجماع على القرار التالى : يقرر المؤتمر البرلمانى ، أنه مقتنع تماما بأن هناك شرطا جوهريا لابد من تحقيقه لاستتباب السلام ، والوثام ، بين الشعوب واطراد التعاون الدولى فى مصلحة جميع البلاد وهو أن يعترف بلا جدال لكل دولة بحقها فى تقرير نوع الحكم الذى ترتضيه لنفسها ، وذلك بغير تدخل الشعوب ، أو الحكومات الأخرى فى هذا الشأن بأية وسيلة .



لقد كانت القضية الفلسطينية - كما هى لا تزال الى اليوم ، وستبقى دائما - القضية العربية الأولى بالنسبة للشعب العربى فى مصر ، وكانت القضية الفلسطينية فى تلك المرحلة قد دخلت مرحلة جديدة من مراحل تطورها بعد أن اشتد الصراع العربى الاسرائيلى ، وبعد أن رفض العرب ، واليهود الحلول ، التى اقترحتها لجنة التحقيق البريطانية الملكية حيث اعتبرها الطرفان - عمليا - قد زادت المشكلة تعقيدا ، على تعقيد ، وكانت لجنة التحقيق ذاتها قد ذكرت فى تقريرها أن مقترحاتها ، لن تحقق مطالب العرب ، واليهود ، ولذلك فهى - أى لجنة التحقيق الملكية - قليلة الثقة فى أن تلقى مقترحاتها ، رفضا أو قبولا ، وكانت لجنة التحقيق الملكية قد رأت تقسيم فلسطين بين العرب ، واليهود وكان معنى التقسيم الذى اقترحته اللجنة أن العرب سيضطرون الى الموافقة على أن تخرج من سيادتهم منطقة من البلاد استوطنوها زمنا طويلا ، وبسطوا عليها سلطانهم أجيالا ، متعاقبة وكان هذا التقسيم بالنسبة لليهود أنهم - وهذا منطقهم وقتئذ - سيضطرون الى الاكتفاء بأقل مما كانوا يطمعون فيه ، والعرب - كما تقول بياناتهم وقتئذ - يعتبرون التقسيم كارثة لانه يقيم دولة فى جزء من صميم بلادهم الأصلية وهم يعتقدون ان كل ربح يناله اليهود انما ينتزع من أكبادهم ويقتطع من صلب حقوقهم ، واليهود - وكان هذا أيضا منطقهم وقتئذ - كانوا يعتبرون التقسيم كارثة لانه يحول دون انشاء الدولة التى منوا أنفسهم بانشائها منذ صدور وعد بلفور ولانه يخصهم - كما جاء مشروع التقسيم الذى اقترحته لجنة التحقيق الملكية البريطانية - بشقة لا تزيد على أربعة آلاف كيلومتر محصورة فى البلاد العربية مما يجعلها معرضة للخطر فى كل لحظة وأنه فضلا عن ضيقها ، فهى لا تتسع لهذه الآلاف المؤلفة من مهاجريهم من مختلف الأنحاء

والأقطار وكانت الشقة الضيقة التي اقترحت لجنة التحقيق الملكية البريطانية اعطاءها لليهود ، لا تضم القدس كل القدس ، ولا تضم الخليل وبئر سبع وغزة ، وخان يونس وأريحا واللد ، ورام الله ، وطولكرم وجنين ، ونيسان ، ومجدو و ٠٠ و ٠٠ لأنها كلها وعشرات غيرها من المدن الفلسطينية ، كانت ضمن القسم العربى طبقا لما جاء فى مشروع التقسيم الذى تقدمت به لجنة التحقيق الملكية البريطانية : ولن أطيل فى الحديث عن الأحداث ، التى مرت بالقضية الفلسطينية ، ولا مشروع التقسيم فذلك كله وارد – وبالتفصيل – فى دراستنا عن الصراع العربى الاسرائيلى وأحب – والشئ بالشئ – يذكر كما يقولون – أن أشير ، الى بعض أحاديث الوحدة العربية ، التى كانت تتردد وقتئذ فى تلك الفترة – فترة وزارة محمد محمود باشا الثانية – وبعض الأحاديث التى أعنيها هنا استفتاء اشتراك فيه بعض الزعماء ، والسياسة ، وأعلام الأدب والثقافة وقد كان الاستفتاء من اعداد كاتب صحفى سورى هو الأستاذ محمد شاكر الخزرجي زار مصر ، والعراق وبلدانا عربية أخرى وكان معه سؤاله الهام ، الوحدة العربية ، هل من سبيل الى تحقيقها ؟ .

وهذه اجابات بعض المصريين كما وردت فى هذا الاستفتاء :

● محمد محمود باشا – رئيس مجلس الوزراء المصرى وقتئذ :

تثير فكرة العروبة فى نفسى ذكرى تلك المدينة الباهرة ، التى قامت فى الشرق وشع نورها فى جميع الأقطار بظهور الاسلام وتعاليمه الخالدة ، واني لألح ضوء هذه المدينة ينبعث من جديد مما يملأ نفسى أملا فى قرب تحقيق تلك الرابطة لخير الشرق والانسانية .

● بهى الدين بركات باشا ، رئيس مجلس النواب المصرى الأسبق :

تربط مصر بالبلاد العربية صلات حميمة بعضها وثيق وبعضها ضعيف والبعض الآخر وسط بين هذا وذاك ومن البدهاهة أننا اذا ما تعهدنا هذه الصلات بالعناية ، وعملنا على توثيق ما بين البلاد العربية من روابط ، اقتصادية وثقافية ، أمكن أن تجنى هذه الأقطار من وراء ذلك الخير الكثير ، وهذا هو من رأيى ما يجب على الجيل الحاضر أن يعمل على تحقيقه ما استطاع الى ذلك سبيلا .

● حلمى عيسى باشا – أحد وزراء المعارف السابقين :

أعتقد أننا لسنا بحاجة الى أن ننشد وحدة عربية فالعرب مرتبطون منذ الفتح الاسلامي بروابط تاريخية وثيقة ، لغتهم واحدة ، وفنونهم – وأساسها

الفن العربى - واحدة ، وإدائهم واحدة ، ودينهم واحد مرده القرآن والحديث ،
انما الذى يتعين على البلاد العربية أن تقوم به هو التبادل الاقتصادى والتعاونى
ومما لا ريب فيه سيكون عظيم الأثر فى توثيق الروابط بين تلك
البلاد و . . و . .

● دكتور على ابراهيم باشا - نابغة الطب والجراحة فى مصر :

طالما ناديت ولا أزال أنادى بجمع شمل أطباء العرب وأحياء الطب العربى
وتوحيد المصطلحات الطبية وها أنذا أنادى بالعمل على ربط الثقافات العربية
بعضها ، ببعض ولقد حققت الجمعية الطبية المصرية ، التى أشرف برئاستها
جزء من هذه الأمنية ، وعلى رجال السياسة فى الأقطار العربية أن يقوموا من
جانبهم بمجهودات ، أوسع نطاقا فى جميع نواحي الحياة الثقافية وجعلها كتلة
واحدة وإعادة عزها ، ومجدها القديم .

● أحمد عبد الوهاب باشا أحد كبار رجال الاقتصاد :

الوحدة العربية أمنية أبناء العرب جميعا لكنها حتى الآن ، لا تزال حلما
أكثر منه حقيقة ، وعندى أن وسائل تحقيقها كثيرة متنوعة ومنها ما هو
اجتماعى ، ومنها ما هو اقتصادى ، ولو أن هناك هيئة مشتركة تمثل بلاد
العروبة تتولى دراسة هذه الوسائل التى تقرب البعد ، وتحقق ما لا يزال حنى
الآن فى عالم الخيال .

● نجيب الهلالى باشا : (وزير سابق)

لقد الفت أمم الغرب عصبة للتعارف والتعاون وخدمة السلام وتقديم
الحضارة فما أولى الشعوب العربية بمثل هذا التعاون وهى ذات الماضى ، المجيد ،
المشارك ، ومن رأى أن أفضل الوسائل لتحقيق هذا التعاون ، العمل على تقريب
الثقافات العربية واحكام الروابط الأدبية بين أبناء الشعوب العربية المختلفة .

● توفيق دوس باشا : (وزير سابق)

ان وجود البلاد العربية فى بقعة واحدة وارتباطها بوحدة اللغة والثقافة ،
والتقاليد ، كفيلة بأن تجعل منها فى المستقبل القريب كتلة واحدة ، وما من
شك فى أنها ستصبح يومئذ قوة لا يستهان بها وعندى أن على الزعماء فى كل
قطر ، من هذه الأقطار أن يبثوا روح القومية العربية فى بلادهم بعيدا عن التحزب
الدينى ، وعندئذ فقط يتحقق ذلك الحلم الجميل !

● د . محمد حسين هيكل باشا : (وزير سابق)

أنا ممن يؤمنون بالفكرة على أن يكون أمامنا مثل أعلى . والوحدة العربية ،
انما تتحقق يوم يقوم فى الشرق العربى ذلك الرجل الالهى ، الذى يدوى صوته

فى الآفاق فيسمع الناس بها ، ويفتدون بحياتهم الدعوة ، التى يريد أن تنشر فى الخافقين ، أما أن تكون الوحدة العربية مقصودا بها تحرير أمم الشرق العربى أو تحسين أحوالهم فذلك أمر هين وهو فى رأى ليس خيرا من الفكرة القومية .

فليعمل الدعوة لما يدعون اليه اليوم ان شاءوا لكنى أرجو أن يجيء اليوم الذى يقوم فيه الدعوة للمثل الأعلى .

● د . طه حسين « بك » :

أنا من أشد الناس حبا للوحدة العربية وحرصا على أن يكون الاستقلال القومى ، الوطنى أساسا لها ، وعلى أن تكون الثقافة والتعاون الاقتصادى من أهم الوسائل المؤدية إليها ، وليس من شك فى أن الدعوة الى انشاء جماعة تمثل الأمم العربية وتتبادل الرأى فى مشاكلها المختلفة من أنفع الدعوات وأقومها ، فلعلها تجد من قادة الرأى فى البلاد العربية استعدادا حسنا .

● عباس محمود العقاد :

الوحدة العربية من حيث التعاطف قائمة لا تحتاج الى دعوة ومن حيث اللغة والثقافة آخذة فى التمكن والشيوع ومن حيث المصالح الاقتصادية ، يستطاع تدبيرها وتنظيمها على مدى الأيام .

أما الوحدة العربية من حيث الحكم فلسنت من أنصارها لاننى أميل الى المزيد من التخصص والاستقلال ولا أحب المزيد من التواكل والاندماج وخير من وحدة الحكم تعاون صادق يقوم على تبادل الشعور وتبادل المصالح وتبادل الآراء ، فاذا جاءت الأيام بما ليس فى الحسبان فذلك اذن حكم الأيام الذى لا حكم بعده لانسان .

● عبد القادر المسازنى :

ربما كان ايمانى بالوحدة العربية راجعا الى أننى عربى فما فى دمي قطرة واحدة ، غير عربية والله الحمد وللذين يظنون أن الوحدة العربية حلم جميل ليس الا . . أقول اننا كنا جميعا فيما مضى أمة عربية واحدة بفضل النهضة ، التى أزخر الاسلام تيارها فالذى كان من قبل يسهل أن يكون كرة أخرى ، ثم اننا أبناء لغة واحدة مهما تنامت بنا البلاد ولا قيمة للفواصل التى أوجدتها الاستعمار فان هذا عارض يزول وأول ما نحتاج اليه هو الايمان بالوحدة العربية، أما الوسائل فتجىء بعد ذلك فى أوانها وعلى مقتضى الأحوال والظروف .

● توفيق الحكيم :

اننى على الرغم من رغبتى فى تكوين شخصية مستقلة .. لكل أمة من الأمم العربية أحب أن نتذكر دائما أننا ازاء الغرب لنا صفة واحدة تجمعنا وينبغى لنا أن نحافظ عليها ، فأوروبا اليوم عندما تبين لها خطر الحروب ، التى تقوض المدنية ارتفعت وخافت على مصير ما تسميه « الروح الأوروبى » فعقدت من أجل ذلك المؤتمرات دعى اليها كبار مفكرى الأمم الأوروبية وبعد أن رأوا الأخطار التى تهدد هذا الروح الأوروبى ونحن الشرقيين لنا من غير شك كذلك ما نستطيع أن نسميه الروح الشرقى ، أى طابعنا الفكرى ، وطريقة نظرنا الى الأشياء ، وعقائدنا وتقاليدها واحساسنا بالجمال الذهنى ومشاعرنا نحو مظاهر الطبيعة المختلفة وأسلوبنا فى التعبير عن حقائق الأشياء فإذا نادينا بالوحدة العربية فانما ، ذلك لنندعم كتلة الروح الشرقى أمام كتلة الروح الأوروبى .

● فكرى أباطة :

الوحدة العربية فى نظرى عصبية أم عربية ترعى مصالح أعضائها السياسية ازاء الدول الكبرى الطامعة فيها أو ذات العلاقات الوثيقة بها فإذا كانت فكرة الوحدة العربية هى هذا أو شيئا منه فسوف تصطدم بعقبات سياسية فانه ليخيل الى أن نوعا من الأنانية السياسية قد بدأ يتسرب الى الدول العربية وكان كل واحدة تقول : « حسبى مصائبى » فإذا كان حدى غير صحيح وأتمنى على الله أن يكون كذلك فان هذه المجاملات المتبادلة بين الأمم العربية تصلح فيما بعد أن تكون أساسا لكتلة واحدة ، ولكن على الراغبين فى هذا التشكيل أن يعينوا أولا المصلحة ، فى هذه الوحدة بشجاعة ، وقوة ، كما عليهم أن يعقدوا المؤتمرات الدولية للدعاية كل عام فى دولة من دول العرب ، مستعينين بالصحافة وبأسواق الأدب والرياضة وبالمؤتمرات الفنية اذ كلها وسائل تقرب الى الذهن فوائد الوحدة ، وترسخ فى القلب ضرورتها ، ومتى أثمرت هذه الدعايات جاء دور الأقطاب فوضعوا قواعد هذه الوحدة ودستورها ١٠٠٠ ٩



ولقد حرصت أن أذكر وبالتفصيل ، وبالنص آراء تلك الشخصيات المصرية التى جمعت العديد من القادة السياسيين والاقتصاديين وكبار الكتاب والأدباء لا لأؤكد أن انتماء مصر العربى ، أصيل ، وقديم ، فذلك ما لا يحتاج الى تأكيد ، كل الذى أردته : اعطاء صورة لتفكير بعض القيادات المصرية فى الوحدة العربية وفى أسلوب تحقيقها فى منتصف الثلاثينيات .

الفصل الثاني

مؤتمر نسائي في القاهرة لنصرة القضية الفلسطينية

نشير الى حدث عربي هام وقع في أكتوبر ١٩٣٨ ، ونعني به انعقاد مؤتمر للمرأة العربية للدفاع عن فلسطين . وهذا المؤتمر يؤكد ، أن المرأة العربية بصفة عامة ، والمرأة المصرية بصفة خاصة . . كانت عند مسئوليتها التاريخية ، بالنسبة للقضية الفلسطينية .

ودور المرأة العربية في فلسطين ، دور رائع وبناء . .

ساهمت المرأة الفلسطينية في ثورات ١٩٢٩ ، و ١٩٣١ ، و ١٩٣٣ ، و ١٩٣٦ . . و . . الخ . وقد قتل وسجن الكثير من الفلسطينيات ، كما أن الاتحاد النسائي المصري برئاسة هدى شعراوي قد لعب أخطر الأدوار في القضية الفلسطينية ودفعها الى الأمام .

واذكر - والذكرى تنفع المؤمنين - أنه في ٩ يونيو ١٩٣٦ عقد الاتحاد النسائي المصري ، اجتماعا لبحث الحالة في فلسطين ، وأصدر بإجماع الآراء ، قرارات خاصة « باكتتاب كل ذى نفس كريمة يستفزها الظلم والاستبداد » ، وتشكيل لجنة من عضوات الاتحاد لجمع التبرعات ، والاحتجاج على تنفيذ وعد بلفور ، الذى بث بذور الكراهية والشقاق ، وأقام الفوضى والثورة محل المحبة والسلام ، في تلك الأراضى المقدسة . كما قرر ارسال برقيات الى الساسة البريطانيين بطلب وضع حد لهذه السياسة البريطانية الخرقاء ، المخالفة لمبدأ احترام الشعوب الضعيفة ، ومناشدة نساء العالم وعصبة الأمم ، تأييد نساء فلسطين في قضية العرب القومية ، والدعوة الى وقف الهجرة الصهيونية التى تقضى على العدالة بسلب أمة بأسرها حقها الطبيعي في الحياة .

دعا الاتحاد النسائي المصرى ، نساء الشرق لعقد مؤتمر للدفاع عن فلسطين، وكانت الدعوة الى هذا المؤتمر باسم هدى شعراوى فى ٤ سبتمبر ١٩٣٨ ، وكان من بين كلمات النداء الموجه الى نساء الشرق لعقد المؤتمر ، تلك الكلمات :

« برا بالعهد الذى قطعناه على أنفسنا نحن نساء الشرق ، ووفاء بالوعد الذى ارتبطنا به مع أخواتنا العربيات فى المؤتمرات الدولية المتعددة ، وهو أن نعمل متضامات على نشر الوثام بين الشعوب ، كل منا فى بلادها ، وأن نسعى بكل الوسائل المشروعة الى منع الحرب ومساعدة جمعية الأمم فى توطيد أركان السلام العالمى . وحسم أسباب النزاع بين الدول ، بالتسوية السلمية ، قررنا عقد مؤتمر نسائي للشرق للنظر فى الحالة المؤلمة التى نعانىها فلسطين ، منذ سنين عديدة ، تلبية لصوت ضمائرنا ولاستغاثة الانسانية المعنية فى تلك البقاع المقدسة » .

وتوجه هدى شعراوى نداء الى سيدات مصر ، قبل وصول عضوات المؤتمر الى القاهرة ، تطلب فيه من كل مصرية « أن نعمل فى دائرتها ، بكل ما نستطيع من حول ، للأخذ بناصر الحق . وأن تقوم كل واحدة منهم بواجب الترحيب والتعزيد للضيوف الجديرين بسمعة مصر ومكانتها بين الأمم العربية » .

ويحلو لى أن أشير - للتاريخ - الى أن المؤتمر عندما انعقد فى القاهرة فى ١٤ أكتوبر ١٩٣٨ ، اختار السيدة هدى شعراوى لرئاسته ، واختار وكيلات عنها : السيدة عادلة بيهم ، حرم الأمير مختار الجزائرى « سورية » السيدة ايفلين جبران بستوروس « لبنان » الأنسة صبيحة الهاشمى ، « العراق » السيدة وحيدة حسين الخالدى والأنسة زليخا الشهابى « فلسطين » ، والسيدة نفيسة محمد على علوبة ، والسيدة أمينة فؤاد سلطان « مصر » .

وكانت سكرتارية المؤتمر من بهيرة نبيه العظمة ، وسنية الأيوبى « سورية » نجلا جورج كافورى ، وحياة نور بيهم « لبنان » رفيعة الخطيب « العراق » ساذج نصار وعقيلة شكرى ديب « فلسطين » جميلة عطية أبو شنب ، ودريه فهمى وايفا حبيب المصرى ، وتحية محمد « مصر » .

وكانت مندوبات فلسطين على النحو التالى : السيدات والآنسات طرب حرم عونى بك حسين الخالدى . عقيلة شكرى ديب ، زليخا الشهابى ، متيل مغنم مغنم ، ميمنة الشيخ القسام ، ساذج عقيلة نجيب نصار . رفيقه الشهابى التاجى . سعاد حرم فهمى الحسينى . مارى نجيب أبو الشعر ، فاطمة وزاهية النشاشيبي . صبحية التميمى . مريم هاشم . وغيرهن . وغيرهن .

وكانت من مندوبات سورية فى المؤتمر ، السيدات والآنسات : بهيرة حرم نبيه بك العظمة . ثريا الحافظ . فطينة كريمة نبيه بك العظمة . حرم

سحى الدين باشا الجزائرى • نازك العابد • أسما عقيلة فارس بك الخورى •
مرة داغستانى •• و •• و ••

وكان من بين مندوبات مصر ، الى جانب السيدة هدى شعراوى كل من
السيدات والآنسات : نفيسة حرم محمد على علوبة باشا ، أمينة حرم الدكتور
فؤاد سلطان بك • بسيمة حرم عبد الرحمن رضا باشا • عزيزة حرم الدكتور
حسين هيكل باشا • بهيجة حرم حسن بك رشيد • انصاف حرم الدكتور
منصور بك فهمى • ومنيرة ثابت ومارى كحيل • وحواء ادريس • ونعيمة
الأيوبى • وزينب الغزالى •• و •• و •• الخ

وكان انعقاد هذا المؤتمر فى هذا الوقت بالذات دفعة قوية للنضال
الفلسطينى خاصة أن الشعب المصرى قد رحب بانعقاد هذا المؤتمر على أرض
مصر ، وقد رحبت الصحف المصرية ، التى تصدر باللغة العربية والتى تصدر
باللغات الأجنبية فى مصر فيما عدا جريدتين تصدران بالفرنسية ، كان لهما
موقف معاد لذلك المؤتمر تجلى فيما صدر عنهما من تعليقات غير ودية تجاه شعب
فلسطين •

كانت جلسة افتتاح المؤتمر النسائى بدار جمعية الاتحاد النسائى المصرى
بالقاهرة فى الساعة الخامسة من مساء يوم السبت ٢١ شعبان ١٣٥٧ ، ١٥
أكتوبر ١٩٣٨ ، وكانت جلسة الافتتاح برئاسة هدى شعراوى •

● حضر الجلسة عدد كبير من الزائرين ، والزائرات فى مقدمتهم - كما
قيل يومئذ فى وصف حفل الافتتاح - بعض عقيلات الوزراء ، والوزراء السابقين
وزعماء الوفود العربية فى المؤتمر البرلمانى العالمى الذى انعقد بالقاهرة ، وقد
أعد للرجال مكان خاص فى شرفات قاعة الاجتماع •

وافتححت جلسة الافتتاح بنشيد فلسطين الذى نظمه خصيصا لتلك
المناسبة الشاعر محمود أبو الوفا ، ولحنه الأستاذ محمد القصبجى وأنشدته
تلميذات مدرسة الاتحاد النسائى المصرى وكان من بين كلمات ذلك النشيد :

يا فلسطين اسلمى نلت السلامة
اسلمى يسلم لنا شعب الكرامة
أرخص الأرواح فى حفظ الذمار •••
وأرتضى بالموث فى حب الديار
يا له شعبا أصيل الافتخار
لم لا يبلغ فى العز مراره •••



بعد ما أصبح عنوان الكرامة
يا فلسطين أيا قدس السلام
كيف عدت الآن مهذا للخصام
عجبا والظلم للفرد حرام
كيف يرضون للشعب أن يضام
ظلموه ، حكموا فيه الغريم
جرحوه ، شردوا عنه الزعيم
أخرجوه من حمى ، البيت الكريم
لم يراعوا لحمى البيت كرامة
لا ، ولم يخشوا من الناس الملامة
يا بنات الشرق هذا يومكن
فى فلسطين صبايا مثلكن
قتلت أو شردت رجالهن
تركوا الأطفال فى أحضانهن
لم يجدن الآن من يرحمهن
ويعيد النور فى بسماتهن
يا الهى ، يا الهى كن لهن
وصن الشرق ونوله مرامه
وأعد يا رب للشرق مقامه

وتفتتح السيدة هدى شعراوى المؤتمر بكلمة تشكر فيها الحاضرات ممن
« تكبدت متاعب السفر وانتقلن الى مصر من اخواتنا الفلسطينيات ، والعراقيات ،
والسوريات ، واللبنانيات ، والايرانيات لمشاركتنا فى هذا الاجتماع ، الخطير
للبحث فى الحالة المحزنة التى تجتازها فلسطين ، وللتشاور معنا فى الطرق
العملية للوصول الى حل هذه المشكلة على أساس العدل ، والانصاف وللاحتجاج
على أعمال الظلم ، والارهاب التى ترتكب فى تلك البقاع المقدسة .

وتمضى السيدة هدى شعراوى قائلة : « أعبر لحضراتكم عن سرورنا
واغتنابنا بهذا الاتحاد الذى شد أزرنا ووجد صفوفنا وزاد العروبة قوة ، ومتانة
فى هذا الظرف الدقيق ، باشتراك الجنسين فى الدفاع عن هذه القضية العادلة
اشتراكا فعليا ، سيكون له أثره المنتج فى حلها ان شاء الله كما سيكون فى سجل
تاريخ نهضة الشرق الحديثة صحيفة بيضاء اذ يظهر للعالم أجمع أن محنة
فلسطين لم تثر خواطر رجال الشرق وحسب بل أفزعت نساء الأقطار العربية
عامة وروعتهن بفضاعتها ووحشيتها ومنافاتها لقواعد العدل ، ومبادئ الانسانية

وانتهاكها لحرمات الحق والسلام فقمين يشاركن الرجال لانقاذ فلسطين المعذبة
من جور الاستعمار الانجليزى والاحتلال الصهيونى » .

وعن وعد بلفور تقول هدى هانم شعراوى : تنثور فلسطين اليوم وتجاهد
لا لنيل استقلالها فقط بل للنجاة من حكم الاعداء الذى أصدره عليها « بلفور »
بتصريحه المشنوم وتريد الحكومة الانجليزية تنفيذه بكل فظاعة ووحشية » .
وتقول هدى شعراوى : يقولون أنه لبس من السهل أن تتفقر دولة قوية
كبريطانيا العظمى ، تعتمد على قواتها البحرية ، والبرية والجوية ، وتدعن
لمشينة شعب أعزل لا سلاح له الا ايمانه بالحق ولكن الرجوع الى الحق فضيلة
وأفضل للقوى ألا يستعمل قواته الا ازاء أنداده وأقرانه أو يحتفظ بها لوقت
الحاجة .

وتقول هدى شعراوى : من الغريب ، أن الشعب الانجليزى الذى كان
يفخر بأن لبريطانيا شرف القضاء على الرق ، وحماية الأمم الضعيفة يرضيه اليوم
أن تقوم حكوماته بمهنة النخاسة ، فى أبشع مظاهرها بمحاولتها فرض
الصهيونيين على شعب كامل رغم أنه ، وتمليكه أراضيه بيد أن النخاسين فى
الماضى كانوا على الأقل يتركون للعبد حرية اختيار سيده مهما بلغ الثمن الذى
يعرض عليهم » .

وتشير هدى شعراوى الى تخلى بريطانيا عن شعب الحبشة ، بعد عدوان
موسولينى عليه ، والى تخلى بريطانيا أيضا عن تشيكوسلوفاكيا اثر هجوم هتلر
عليها ، ثم تقول : ان بريطانيا العظمى لا تستأسد ، الا على الأمم الضعيفة
ولا تحترم الا القوة ، على اختلاف أنواعها ، ولا يخفى على حضراتكن ما لليهود من
قوة الدينار » .

وتنتهى هدى شعراوى خطابها الجامع بقولها : لما كنا نريد أن نعيش فى
وئام مع اليهود المواطنين فانا نطالبهم بالتضامن معنا فى ارجاع الصهيونيين عن
أحلامهم الخرافية فى التشبث بتحقيقها » .

وتشكر هدى شعراوى رفعة محمد محمود باشا رئيس حكومتنا الرشيدة
على الجهودات القيمة التى يبذلها فى الدفاع عن فلسطين فى كل فرصة سنحت
له كما تشكر رئيسة المؤتمر فى نفس الوقت الصحافة العربية النزيهة التى
طالما ساعدتنا فى تنوير الراى العام واطلاعه على الحقائق بانتصارها للحق ،
والعدل .



كما تشكر أيضا السيدة هدى شعراوى كلا من واصف غالى باشا ، الذى
كان أول مصرى ارتفع صوته رسميا بالدفاع عن فلسطين فى عصبه الامم
وعبد الفتاح يحيى باشا على دفاعه الأخير عن فلسطين فى تلك العصبه .

وترسل هدى شعراوي من أعلى المنبر تحية الاعجاب والتقدير الى أبطال فلسطين المجاهدين والى زعمائهم الأحرار ومبعديهم وعلى رأسهم سماحة السيد أمين الحسيني أفندي داعية الله أن يكلاً بعنايته ورعايته اليتامى والثكالى والأرامل اللاتي أصبحن لا موئل لهن ولا نصير الا الله سبحانه وتعالى .

وبعد خطاب هدى شعراوي يجيء خطاب السيدة طرب عبد الهادي كريمة الشهيد سليم الأحمد عبد الهادي ، وعقيلة عوني بك عبد الهادي أحد زعماء فلسطين المبعدين - وقتئذ - وعضو اللجنة العربية العليا ، ومندوب المرحوم الملك الحسين في مؤتمر فرساي .

وكان خطاب السيدة طرب عبد الهادي - بحق - صرخة مدوية لشعب فلسطين البلد العربي ، الذي يراد افناء شعبه العربي ، وابدانهم واجلاؤهم عن ديارهم ، واخراجهم من أوطانهم ، ليحل محلهم شعب غريب عنهم . صرخة مدوية لفلسطين التي تأمرت أقوى دول الأرض ، وأدهى شعوب العالم ، على افنائها . . فلسطين التي تشاهد اليوم مأساة فظيعة لم يشاهد العالم لها مثيلاً وتنزل بها مظالم ، لا عهد للعصور المظلمة بأشباهاها : فلسطين التي يتيم أطفالها ، ويشنق شيوخها وشبابها ويشرد رجالها ، وتدمر مدنها وقراها ، وتنسف بيوتها ، وتحشى سجونها بالأبرياء .

وبعد هدى شعراوي وطرب عبد الهادي يجيء صوت سورية ممثلاً في عقيلة نبيه بك العظمة من زعيمات سوريا وسكرتيرة لجنة السيدات للدفاع عن فلسطين وعضو جمعية « يقظة المرأة الشامية » بدمشق .

وفي خطاب السيدة بهيرة نبيه العظمة تحديد واضح لما يجب ، على عضوات المؤتمر اتخاذه من قرارات وتوصيات :

- فلسطين بلاد عربية على المؤتمر تأييد عروبتها .
- المطالبة بسد أبواب الهجرة الصهيونية ووقفها عند حدها بل بوقفها تماماً . .
- لابد من المطالبة بانهاء الانتداب البريطاني على فلسطين .
- لفلسطين الحق الطبيعي والشرعي في الحرية والاستقلال فيجب على المؤتمر تأييد هذا الحق ، والمطالبة به .
- الدعوة الى مقاطعة بريطانيا اذا هي أصرت على ارتكاب ما ترتكبه في فلسطين من اباداة وتعذيب و . . و . .
- الدعوة الى مقاطعة اليهود ، في كل بلد يضم العرب والمسلمين الى أن يرتدعوا عن موقفهم ويرتدعوا عن تمثيل روايتهم الى غير ذلك من المطالب .

ويكون خطاب السيدة نجلا كفوري عقيلة الأستاذ جورج كفوري بك - من أدباء لبنان - قطعة أدبية ممتازة : تدعو السيدة نجلا كفوري الى ارسال الوفود لا الى جمعية الأمم ، ولا الى أى بلد من بلدان الغرب بل الى العرب في أقاصي صحاريهم وشواطئهم ، والى المسلمين فى أربعة أركان المعمورة والى المسيحيين فى أطراف الدنيا ، ليعرف الجميع ما ترتكبه بريطانيا من فظائع فى ثالث الحرمين وأولى القبلتين وليعرفوا أن بريطانيا تريد تسليم قبر المسيح الى اليهود .

• ان وراء فلسطين سبعين مليوناً من العرب .

• ان وراء فلسطين مئات الملايين من المسيحيين المتدينين . بل أن وراءها كل ذى وجدان حى وضمير سليم .

وتنهى السيدة نجلا كفوري خطابها بقولها :

لقد أسمعتهن لهجة قد تبدو غريبة عن المرأة فاستمحيكن عذرا ، اذا ثقلت على أسمعتهن الرقيقة هذه اللهجة الجافية .

ان الناس عندما يسمعون بمؤتمر نسائي يعقد لبحث مأساة فلسطين لا يتصورون ، الا جماعة من النساء يندبن ويبكين بالدمع السخين ، ولكن لأول مرة نريد الا نحقق هذا الظن فينا .

• لقد بكى العرب مرة واحدة ، على أطلال الحمراء .

• ولن يبكوا مرة ثانية على أنقاض فلسطين .

• ان فى فلسطين مبكى واحدا ولن يكون فيها مبكى آخر للعرب .



وتتوالى خطب العضوات السيدة ايفلين بستروس مؤلفة كتاب «يد الله» . وعقيلة جبران بك بستروس من وجهاء لبنان والسيدة وحيدة حسين الخالدى عقيلة الدكتور حسين بك الخالدى رئيس بلدية القدس سابقا ، وكان منفيا فى جزيرة سيشل أثناء انعقاد المؤتمر ، وهى وان مثلت فلسطين فى المؤتمر ، الا انها كانت عراقية . الأنسة صبحة ياسين الهاشمى كريمة الزعيم ياسين باشا الهاشمى ، أحد رؤساء الوزارات العراقية . السيدة عقيلة شكرى ديب رئيسة جمعية تهذيب الفتاة الأرثوذكسية بالقدس ، السيدة عزيزة عثمان لبيب من سيدات ايران المتصبرات ، حرم الدكتور عثمان لبيب بك ، زليخا الشهابى ، سكرتيرة جمعية السيدات العربيات بالقدس ، ايفا حبيب المصرى (مصر) .

ثم تلقى تلميذة من تلميذات مدرسة الاتحاد النسائى القصيدة التى نظمها الأستاذ أحمد محرم لمناسبة انعقاد المؤتمر ومطلعها :

جمعن المشارق (فى المؤتمر)
 فقل للمغارب : أين المفر
 وفى قصيدة أحمد محرم تلك الأبيات :
 هو الظلم هيج كل القوى
 فما تستكن وما تستقر
 وراع الكرائم فاستلها
 وأطلقها من وراء الستر



أنى ان يقول أحمد محرم :
 وجئن يقرن على عينه
 وينفذن من نابه والظفر
 فيا لك من نمر فاتك
 وباللواتى يصدن النمر
 أخذن السهام فسددها
 لطاف الأنامل بيض البنان
 تذيب الحديد ، وتفري الحجر
 تميل زلازلها بالجبال
 وتمضى نوافذها فى السرر
 (فلسطين) خطبك غول الخطوب
 وذعر الزمان ، ورعب القدر
 تنام ، البراكين عن همها ،
 وما نام بركانك المتفجر !



وفى اليوم التالى تكون الجلسة الثانية : خطب مستفيضة من السيدة نازك
 العابد بيهم (لبنان) السيدة سعاد الحسينى (فلسطين) الأنسة رفيقة الخطيب
 (العراق) ملك جمدى حلاوة — حرم أحمد حلاوة بك من كبار تجار القاهرة
 (من سيدات فلسطين البارزات) آنسة حنيفة أحمد على علوبة (بك) ، وكانت
 وقتئذ يافعة وطالبة بمدرسة اللبسيه ، مارى وزير (العراق) آنسة نبيهة ناصر
 (فلسطين) ، ربا القاسم (فلسطين) منيرة ثابت (مصر) زينب الحكيم
 (مصر) •

ويقيم النادى الفلسطينى بالقاهرة حفل شاي لعضوات المؤتمر يرحب باسم
النادى الأستاذ محمد على الطاهر ويقدم للضيقات الأنسة ميمنة كريمة المرحوم
الشيخ عز الدين القسام ، أول شهيد عربى استشهد فى الثورة الفلسطينية •
ومن بين كلمات ميمنة :

« لست أول فتاة أستشهد أبوها فى سبيل العرب فبينكن من مندوبات
البلاد العربية الكثيرات فقدن أعزاهن اما شنقا ، على الأعواد أو رميا بالرصاص
من أجل احياء مجد العرب : فهل الشهيد سليم الأحمد عبد الهادى الا والد طرب
عبد الهادى ؟ وهل الشهيد لطفى الحافظ الا والد ثريا عبد الحافظ الرئيس ؟ وهل
الشهيد عارف الحسينى مفتى غزة والشهيد عكر النشاشيبي والشهيد كامل
البديرى الا أقارب لكثيرات من مندوبات فلسطين ، وهل الشهيد يوسف العظمة
وزير حربية سورية فى عهد الاستقلال الثاوى فى ميسلون الا عم قطينة العظمة ،
وهل الشهيد الأمير عز الدين الجزائرى الا سليل الأسرة الجزائرية المثلة فى
مندوبات سورية وهل فقيه العرب الشهيد ياسين الهاشمى ، الا أبو صبيحة ؟
حقا لقد صدق الشاعر حين قال :

ما بيننا يوم الفخار تفاوت
أبدا كلانا فى المعالى مغرق



وكانت الجلسة الختامية للمؤتمر فى ١٨ أكتوبر ١٩٣٨ •

وفى كلمة هدى شعراوى اشارة ، الى « بعض النيات الحسنة التى دفعت
أفرادا قلائل من المواطنين والمواطنات اليهود الى توجيه نداءاتهم على صفحات
الجرائد الفرنسية يناشدوننى فيها أن أعمل على التآلف بين العرب واليهود
ليتكون منهم كتلة قوية تقاوم السياسة الأوروبية التى وصفها بعضهم بالسفك ،
والتعطش الى الدماء ، وألا نعيد عهد قابيل ، وهابيل » • وتقول هدى شعراوى
« ومع تقديرى لهذا الشعور الرقيق أقول ، اننا كنا أول من يعطف على اليهود
ويستنكر الظلم الواقع من أوروبا ولكن الصهيونيين باعتمادهم على القوة الفاشية
التي يثور عليها هؤلاء المثابرون تغذيتها بأموالهم لاغتصاب حقوق العرب حال
دون فكرة الاتحاد وجعلنا ننفر منهم ولا نثق بصدق قولهم وقد كان الأولى
بحضراتهم ان يوجهوا مثل هذه النداءات الى المقتصبين الظالمين والى المشجعين
بسكوتهم على ارتكاب هذه المظالم فى فلسطين فان كانوا صادقين حقاً فيما
يقولونه وما ينشرون فليؤيدوا مقرراتنا وليجهروا باستنكارهم وسخطهم على وعد
بلفور الذى كان وبالا علينا وعليهم » •

ويشير البيان الختامى للمؤتمر الى مراحل تطور القضية الفلسطينية منذ
نشوب الحرب العالمية الأولى وعدم قيام الحلفاء بتنفيذ وعودهم للعرب والى وعد

بلغفور والانتداب البريطاني ، ولجان كراين ، وشو ، وتقرير سمسون ، ومؤتمر بلودان الذي رفض تقسيم فلسطين ، كما يشير البيان الى ما قاله واصف غالى باشا فى عصبة الأمم عن القضية الفلسطينية « ان مسألة فلسطين تهم مصر حكومة وشعبا الى أقصى حد ، بالنظر الى علاقات الجوار الدائمة بين البلدين والى العلاقات التاريخية والدينية ، التى تربط مصر والاماكن المقدسة بروابط أخوية قائمة على أساس وحدة اللغة والدين ، والحضارة التى تربطنا بالشعب الفلسطينى » كما يشير البيان أيضا الى الكلمة التى قالها واصف غالى باشا فى عصبة الأمم أيضا : « أن الحق والعدل يقضيان بأن تظل فلسطين للفلسطينيين هذا حق طبيعى فى أبسط اشكاله واوضحها » .

وتؤيد قرارات المؤتمر مطالب العرب فى فلسطين بالغاء الانتداب البريطانى ، على فلسطين وانشاء دولة دستورية ذات سيادة فى فلسطين واعتبار وعد بلغفور باطلا من أساسه ولا قيمة له ، ويرفض المؤتمر تقسيم فلسطين رفضا باتا وفورا وإعتبار فلسطين وحدة تامة لا تتجزأ . بالإضافة الى استنكار سياسة بريطانيا فى فلسطين وضرورة اسداء المساعدة العربية للشعب الفلسطينى و...و .

وتلقى السيدة متيل مغنم عقيلة الاستاذ مغنم مغنم ومؤلفة كتاب « المرأة العربية » باللغة الانجليزية (فلسطين) كما تلقى الأنسة زينب الحكيم (مصر) والأنسة منية ثنيان كريمة عبد اللطيف بك ثنيان - من علماء العراق - وزليخا الشهابى (فلسطين) وساذج نصار عقيلة الصحفي نجيب نصار وصاحب جريدة ، الكرمل (حيفا) ، يلقي هؤلاء كلمات فى الجلسة الختامية .

وفى المؤتمر ، ألقىت رسائل من السيدات والآنسات ابتهاج زعيتر (نابلس) أنيسه الخضراء (عكا) فائقة مدرّس (حلب) اسمى طوبى (عكا) حميدة الجراح (عكا) ، وألقىت قصائد تحية للمؤتمر ، من فايضة سعيد عبد الحميد (نابلس) فوزية سلامة

وترسل سيّدة أجنبية تقيم فى مصر ، الى هدى شعراوى قصيدة بالانجليزية (وهى صورة لتفكير ذلك العصر) وفيما يلى ترجمة القصيدة :

الناس أجمعون ، كانوا يخشون الأسد البريطانى

وكانوا ، يرتجفون من هيئته ويرهبون هجمته

حتى جاء يوم تقدم موسولينى ، اليه بثبات

ولوى ذيله فى غير وجل

زار الأسد وفقر فاه

وكان بلا أنياب ليس فيه ما يخيف

ورمجر في دهشة وقال :
وقعوا العقوبات
وهذا كل ما أمكنه أن يقول .
وللتاريخ نقول أن للدكتور ابراهيم ناجي قصيدة عن فلسطين مطلعها :
أخذ العين والفؤاد جميعا :
قبسا من جوانب الشرق بادي
جمع الأهل والأحبة والشم
ل ولم الشتات بعد البعاد
أيقولون ، أنا أمم شتى وقو
م تفرقوا ، في البلاد
كذب ما يقول عنا الأعادي
وضلال تخرص الحساب
الى أن يقول ابراهيم ناجي :
يا فلسطين أيها الوطن الدامي
تقبل سلام هذا الوادي
يا أنين الجراح في الأساد
وزئير ، الأساد في الأصفاد
قد سمعناك داويا في حمانا
فمددنا الى حماك الأيادي
ويختتم ابراهيم ناجي قصيدته بقوله :
فلقاء ولا أقول وداعا
نحن منكم غدا على ميعاد
حيث يغدو المآب تحقيق حلم
ويكون اللقاء كالأعياد



وللتاريخ أيضا نقول أن الأنسة أم كلثوم ، قد تبرعت بالغناء في حفلة
أقيمت بدار الاتحاد النسائي المصري لصالح منكوبي فلسطين في ٢٤ أكتوبر
١٩٣٨ شارك فيها أمير الكمان سامي الشوا ، وكان صافي ايراد الحفلة - وهو
مليم جنيه
ايراد نموذجي للغاية - قد بلغ ١٠٣٧٢٠ أضيف إلى المبالغ المتحصلة من
التبرعات لصالح مندوبي فلسطين .

سنوات ما قبل الثورة ج٢ - ٣٢١

وللتاريخ أيضا نقول ان هدى شعراوى دخلت فى معركة عنيفة مع صحيفتين ناطقتين باللغة الفرنسية تصدران فى مصر أطلقنا على عرب فلسطين نعتا لا تتفق مع الحقيقة وتتنافى كل المنافاة مع بطولتهم وشجاعتهم .

احتجت هدى شعراوى على هاتين الصحيفتين البورص اجيبسيان وجورنال ديجيت لتحييزهما ضد العرب وأرسلت الى كل منهما خطابا قالت فيه :

« يدهشنا أن جريدة كجريدتكم تصدر فى مصر ، ويقرؤها جمهور من المصريين تسمح لنفسها أن تسمى المجاهدين الأبطال الذين يدافعون عن كيانهم وحريتهم وحقوق بلادهم بقطاع الطرق فهل بلغت فيكم روح التحيز لدرجة تجعلكم تقلبون الأوضاع اذا كان فى فلسطين يا جناب رئيس التحرير قطاع طرق ، فليس هم العرب بكل تأكيد » .

وترد صحيفة جورنال ديجيت على خطاب هدى شعراوى قائلة :

« فى فلسطين وطنيون ولكن الذى تجهله السيدة هدى شعراوى باشا هو أن هنالك مئات من قطاع الطرق الحقيقيين انضموا الى الارهابيين للقتل والنهب والاحراق تحت ستار الجهاد فى سبيل الاستقلال ولقد قرأت السيدة هدى شعراوى باشا فى الصحف يوميا أن هناك أطفالا قتلوا ونساء ذبحن ، وفتيات انتهكت حرماتهن ومنازل أحرقت فكل هذه الجرائم المنافية للانسانية يفضل أن يكون المسئول عنها اللصوص وقطاع الطرق ، على أن يكون المسئول عنها من الوطنيين الحقيقيين الذين نحترمهم ونقدرهم حق قدرهم ، فهل تريد السيدة هدى أن نسجل الجرائم على أولئك الوطنيين ، ليحكم القارئ النزيه ، اينا أحسن نصحا فى خدمة قضية العرب ؟

وترد هدى شعراوى على تلك الكلمة العنيفة بكلمة أعنف تقول فيها :

« أن الوطنيين ولا سيما اذا كانوا من العرب لا يقتلون النساء ولا الأطفال ولا ينتهكون حرما الفتيات فتلك أعمال منافية للانسانية لا يعترفها الا قطاع الطرق والمتوحشون من الرجال الذين اقفر قلوبهم من الايمان » .



وتقول هدى شعراوى : « اذا كانت الاخبار التى تصل الينا بواسطة صحيفتكم تعلمنا بأن هؤلاء الارهابيين العرب – كما تلقبونهم – فى دفاعهم المشروع قد قطعوا بعض خطوط السكك الحديدية ، أو قطعوا بعض الأسلاك التليفونية أو دمروا بعض الأكواخ أو أطلقوا النار على بعض المعتدين فكم من اخبار غيرها ثبتنا يوميا أن بلادا برمتها نسفت بالديناميت ونهبت أمتعتها ، وقتل الكثير من نساها ورجالها وكابد شبابها أبشع أنواع التعذيب فى سبيل

استخلاص اعتراف منهم وكم من أبرياء شردوا في المنافي وكم من نساء أودعن في السجون وكم من شيوخ وأطفال قتلوا بالقنابل التي ترميها بعض البنات في الأسواق ، وكم مزق الرصاص أجسام المؤمنين أثناء الصلاة في معابدهم المقدسة بحجة توطيد الأمن أو استتباب النظام . أى نعت يا سيدى يمكن أن نطلقه على مقترفى مثل هذه الأعمال ؟ وإذا كان من الصعب عليكم أن تجهروا بهذا النعت فلا بد من أن يكون من قرائكم النزيهين الذين تحكمونهم بيننا من تتوافر لديه شجاعة التصريح به بدلا منكم . . .

وللتاريخ أيضا نقول ان هدى شعراوى كانت قد أرسلت خطابا مفتوحا في ١٥ نوفمبر ١٩٣٨ الى رئيس أساقفة كنتربرى ذكرته فيه بما أقدم عليه بعض الطائشين بمصر من اغتيال المرحوم السير لى ستالى باشا ، وكيف أن صوت أسقف كنتربرى لم يرتفع دفاعا عن قرار الانتقام الذى اتخذته الحكومة البريطانية ضد مصر المسكينة بارغامها على سحب جيشها من السودان ، وبفرض نصف مليون جنيه دية لم تقبلها زوج الفقيه وبالاقتصاص ممن تثبت ادانته فى هذه الجريمة وباحتلال الجمارك المصرية فى الاسكندرية وبالتدخل فى شئون البلاد الداخلية تدخل غير مشروع ، وكل ذلك يا صاحب القداسة رغم الاعتذارات التى ملأنا بها أجواز الفضاء ، ورغم استنكار الأمة المصرية بجميع هيئاتها لذلك الاعتداء الشنيع .

الى أن تقول هدى شعراوى :

« والآن يقوم فى فلسطين جند دولتكم بقتل الأرواح البريئة من الرجال والنساء والأطفال مسلمين ونصارى وبترؤيعهم . وتعذيبهم بكل أنواع التعذيب والاهانة وبنسف قراهم ، وبيوتهم و . . . وكل هذا يجرى فى فلسطين منذ سنين عديدة ، ولم يرتفع لكم صوت بالشفقة ولم تقيموا فى كنائسكم صلاة الرحمة على تلك الأرواح البريئة التى يزهقها جندكم لدفاعها عن الحق والواجب . »

« واليوم نسمع صوتكم عاليا بالاحتجاج ضد الألمان لأنهم فرضوا على اليهود الألمانين غرامة ، عقابا لهم على الانتقام البشع الذى قام به ، على ممثل دبلوماسى ألماني - فرد من عنصرهم . جاهز بأنه ارتكب هذه الجريمة امتقاما من ألمانيا . »

وتسأل هدى شعراوى رئيس أساقفة كنتربرى : عما اذا كانت القسوة مباحة للبعض دون الآخر . وان كانت الرحمة فى نظركم وقفا على اليهود دون غيرهم من البشر ؟ نرجو أن ترشدونا لأننا أصبحنا ازاء هذه التصرفات المتناقضة لا نعرف الفرق بين حلالها وحرامها .

وتتلقى هدى شعراوى فى ٢٩ نوفمبر ١٩٣٨ من ديوان رئيس أساقفة كنتربرى ردا يقول فيه :

« بالرغم من أن مركز رئيس الأساقفة الرسمي لا يجعله مسئولاً بصفة مباشرة عن القرارات ، التي قد تتخذها حكومة جلالة الملك الا أنه سيستمر بصفته عضواً في مجلس اللوردات وبصفته الشخصية في بذل كل ما في وسعه للوصول الى حل يضمن العدالة للعرب ولليهود » .

وتستمر هدى شعراوي ويستمر معها الاتحاد النسائي المصري في مواصلة الدفاع عن القضية الفلسطينية فترسل هدى شعراوي خطاباً الى السفير البريطاني بمصر - في ٤ ديسمبر ١٩٣٨ - بمناسبة اغتيال السيد موسى شومان شقيق السيد عبد الحميد شومان بأيدي الجنود الانجليز في بيته أمام زوجته وولده . وبمناسبة إعادة اعتقال الأستاذ صبحي بك الحضرا ، ونقله الى مكان مجهول لا يعرف أحد ما يعاني فيه من شقاء وتعذيب وأن زوجته المسكينة في أشد حالات اليأس والقلق تبحث عنه سدى في كل مكان .

وتبلغ هدى شعراوي السفير البريطاني في القاهرة احتجاج جميع نساء البلاد العربية والشرقية على ما سلكته السلطة البريطانية ازاء عرب فلسطين الذين لا ذنب لهم ولا جريمة الا الدفاع عن حياتهم وكيانهم القومي المهدد ، بأشد الأخطار .

وعندما اجتمع مؤتمر المائدة المستديرة في لندن أرسلت هدى شعراوي تلغرافاً الى كل من مستر نيفيل تشمبرلن رئيس وزراء بريطانيا ، والى مالكون ماكدونالد وزير المستعمرات البريطانية باسم نساء العرب لتذكير الساسة البريطانيين بوعودهم واعطائهم حقهم في تقرير مصيرهم ، كما ترسل في ٢ مارس ١٩٣٩ تلغرافاً الى علي ماهر باشا في قصر سان جيمس بلندن - حيث انعقد المؤتمر ، تقول فيه :

« فخورات بدفاعكم الجدير بالاعجاب عن قضية العرب ، تقدم الى رفعتكم تهانينا الحارة » .

ويرد على ماهر ، على هدى شعراوي قائلاً :

« أثار في كثير من تلغرافكم الرقيق ، نرجو أن تعيد مساعيها التي أغقبت مساعيكم الى فلسطين حقوقها والى البلاد المقدسة طمانينتها » .

وقبل أن اختتم حديثي عن «مؤتمر المرأة العربية والشرقية» ، الذي عقد بالقاهرة في أكتوبر ١٩٣٨ ، والذي رأسته السيدة الجليلة هدى شعراوي . . أحب أن أشير الى مشاعر مصرية ، شاركت في هذا المؤتمر ، وكان لها دور كبير في انجاحه ، وهي « الآنسة » ايها حبيب المصري ، رئيسة تحرير مجلة « المصرية » وسكرتيرة المؤتمر . . والتي قالت ، تعقيباً على انتهاء المؤتمر :

« اسمعوا لى أن أنسى فضيلة التواضع قليلا لأؤكد ، أن السيدات أثبتن
أنهن أكثر شجاعة من الرجال ، ولا يظن أحد أننى أنتصر لجنسى ، بل هى
الحقيقة الواقعة ، وحسبنا أن نطالع قرارات المؤتمر وبرقياتنا الى ساسة أوربا ،
لنرى ٠٠ تحت أى روح ، وبأى أسلوب كتبت .

« لقد جهرنا بصوتنا ، وقلنا : ان المشكلة الفلسطينية ، خلقتها دول
أوربا ، وتحدينا أساطين العالم ، حملناهم وزر تلك الأعمال الشنيعة ، وأعلنا أننا
لا نبالى بالسياسة وظروفها ، ولا نخضع لأى مؤثر كان الا الانتصار للحق ونصفة
المظلوم . ولذلك جاءت قرارات المؤتمر النسائى ، أقوى من قرارات المؤتمر
البرلمانى العربى للرجال ٠٠ »

وأهم ظاهرة برزت فى هذا المؤتمر .. كما قالت ايضا حبيب المصرى -
انقراض « الحجاب » وانتصار « السفور » . واننا لندهش ، لو علمنا أن
مندوبات كافة الدول اللاتى اشتركن فى هذا المؤتمر ، متحجبات فى بلادهن ،
وانهن حضرن الى مصر متحجبات بالفعل ، ولكنهن جميعا - وبغير استثناء -
حضرن جلسات المؤتمر سافرات . فكانت خطة جليلة وحاسمة وقد انتهزت هدى
هانم شعراوى هذه الفرصة ، فقالت لهن انها تتمنى أن يعدن الى بلادهن سافرات
يتمسكن بالسفور ويقمن بالدعوة اليه .

وتشير ايضا حبيب المصرى ، الى برقية بعث بها مراسل جريدة « التايمز »
فى القاهرة ، الى جريدته فى لندن يقول فيها :

« لقد أثبت المؤتمر أن المرأة الشرقية على جانب كبير من الثقافة ، وأنها
تستطيع أن تقف على المنبر باتزان وتخطب بلهجة خطابية قوية ، وقد اشتركت
ثلاث سيدات من نابلس ، التى تعتبر معقل الرجعية ، وظهرن سافرات وهذا
دليل آخر على أن آخر حجر فى الرجعية قد انهدم ؟ »

وتقول ايضا حبيب المصرى ، انها قد تعرفت على الأنسة صبيحة الهاشمى ،
كريمة ياسين باشا الهاشمى - العراق - واكتشفت أنها كانت زميلة لها فى
كلية سميث بأمریکا ، ونالت درجة ال B.A وأن صبيحة تحافظ على الحجاب
فى بلدها ، ولم تظهر سافرة بعد عودتها من أمريكا الا هنا بمصر ، أثناء انعقاد
المؤتمر ٠٠

وتشير ايضا حبيب المصرى ، الى اشتراك أربع عراقيات فى المؤتمر ، كلهن
شابات لا يتجاوزن الثلاثين ، وجمالهن أقرب ما يكون الى الجمال المصرى . ومن
بين العراقيات الأربع الأنسة زفيعة الحطيب ، وهى طالبة فى الجامعة المصرية .



واذا كان الشيء بالشئ يذكر .. كما يقولون .. فأننى أحب أن أشير
الى بعض ذكريات هدى هانم شعراوى ، روتها بمناسبة ذكرى عيد الجهاد
الوطنى « ١٣ نوفمبر ١٩١٨ » عندما ذهب سعد زغلول باشا وعبد العزيز
فيهمى باشا ، وعلى شعراوى باشا - زوج هدى شعراوى - الى المعتمد البريطانى
مضائين باستقلال مصر وكيف ..

نقول هدى هانم شعراوى :

ان الصداقة بين المرحوم سعد باشا ، وبين زوجها المرحوم شعراوى
باشا تعود الى عهد بعيد يسبق قيام ثورة ١٩١٩ بكثير . وعندما تقدم سعد
زغلول تحية السيدة الجليلة صفية هانم زغلول ، أخذ والدها المرحوم مصطفى
باشا فيهمى ، رأى على باشا شعراوى فى هذا الزواج ، لأنها كانا صديقين .
فامتدح شعراوى باشا سعد زغلول وزكاه . وحين اختلف سعد باشا مع عديله
اسماعيلى سرعك باشا ، طلب الى على باشا شعراوى أن يكون حكما ، وارضىا
بافعل ، الحكم الذى أصدره » .

وتقول هدى شعراوى بالحرف الواحد « لا عاد سعد من باريس ، بعد
أن انقسم الوفد لأول مرة ، سألت زوجى : هل ستقابل سعدا فى المحطة ؟ ..
فقال : لا . فقلت له : ان مصر بأكملها ستقبله . فرد على قائلا : لتقبله مصر
كنيا الا « على شعراوى » ! .

ولكنى ذهبت الى المحطة على رأس اللجنة المركزية للسيدات ، وقابلت
سعدا . فلما كان اليوم التالى لوصوله ، جاء الى بيتنا وزار زوجى ، وقال :
ان جاي للباشا أشوفه زعلان منى ليه . وتعاتبا عتابا طويلا اشتركت فى خلاله
معينا فى المناقشة ، ولم يكن زوجى قد أخبرنى بشئ ، عما نشب بينه وبين
سعد فى باريس من خلاف . ثم حدث الخلاف ، وكان من رأى زوجى أن يتولى
رياسة وفد المفاوضات مع بريطانيا ، عدلى باشا .. لا باعتباره رئيس الحكومة .
ولكن ليكون سعد بعيدا وليبقى - على تعبيرة - ببيع نخوف بيه الانجليز وقت
المرزوم .. باعتبار سعد زغلول زعيم الأمة وقائد الحركة الوطنية » .

وتستطرد هدى شعراوى قائلة :

« ذهبت الى بيت سعد زغلول ، بعد أن قطع عدلى باشا مفاوضاته مع
كيرزون ، وكان سعد مختلفا مع زوجى ، فلما أنبأته صفية هانم بوجودى طلب
مقابلتى ، فاعتذرت وقلت : « أكله من وراء الباب » .. لأن الحجاب كان الى
ذلك الوقت قائما ، ولأنى خشيت أن أقابل « سعد » و « انكشف عليه »
مع ما بينه وبين زوجى من خلاف .. »

« وفلا ، وقفت خلف الباب أتحدث اليه ، وطلبت اليه أن يقابل عدلى بالمحطة ، كما سبق أن قابله عدلى ، خصوصا أن عدلى « لم يسلم البضاعة » وقطع المفاوضات رافع الرأس . فقال لى سعد « لو رضيت أنا بذلك فغري لا يرضى » . فسألته : من هم الغير ؟! . فقال « مش عارفهم . الأمة » . وكان استقبال عدلى بالببيض والطماطم . و . و . الخ . »

وتقول هدى شعراوى : « وجلست فى حجرة مكتبى أكتب خطابا لسعد ، فدخل على شعراوى باشا وقال : ازاي تكتبى لسعد جوابات وأنا زعلان منه ؟ قلت له « يا باشا . . . التى تكتب ليست مدام شعراوى باشا ، بل رئيسة اللجنة المركزية للسيدات » . فنظر الى مليا ثم انصرف . فحسبت أنه مستاء . لكن كم كان سرورى حين جلسنا الى المائدة وقت العشاء ، فإذا به كعادته من الصفاء والسرور . ولعله انسحب ساعة كتابة الجواب ، لأن ردى أعجبه « وظللت مع سعد مؤيدة له ، مختلفة مع زوجى ، ولم أختلف مع سعد . . . الا بعد أن توفى زوجى الى رحمة الله . . . »

وتقول هدى شعراوى : ان بدء اختلافها مع سعد ، كان عندما أعلن موقفه من توفيق نسيم باشا ، اثر الغاء النص على السودان فى الدستور ، عندما قال كلمته المأثورة عن نسيم باشا « انه يستحق تقدير الوطن » .

وجاء بعد ذلك عيد ١٣ نوفمبر ، فإذا بى - تقول هدى شعراوى - لأول مرة ، لا ألقى دعوة ووقف سعد يومها يخطب ويشيد بذكرى نسيم وأغفل ذكرى الآخرين من زملائه ، ومنهم زوجى . . .

وظللت جرائد الوفد فى الصباح ، تقول : انى كنت موجودة ، وكنت أستقبل السيدات فكان من الضرورى أن أنشر غداة ذلك اليوم ، انى لم أكن موجودة ولم أدع . فكتب لى سعد باشا بعدها ، جوابا من « مينا هاوس » . . . حيث كان يقيم يومئذ ، يعتذر من عدم ارسال الدعوة . ويقول : ان ذلك لم يكن مقصودا . فبعثت له بالرد أقول ، انى غير مستاءة من اغفال دعوتى ، وانما أنا أخالفه فى خطته ، حياء نسيم باشا وموقفه ، فزادت علاقانا تعكيرا . . .

ثم جاء تصريح سعد زغلول فى مجلس النواب - وكان وقتئذ رئيسا للوزارة - بمناسبة اثاره موضوع السودان ، وقوله : « ليس عندنا تجريدة . . . الخ » . . . فنشرت كتابا مفتوحا أرد عليه ، وانتقد هذا التصريح . وقلت له : كيف تقول ذلك ، والروح المعنوية هى التى قمنا على أساسها ، وهى أقوى من القوة المسلحة ، وبعدها اجتمعت اللجنة المركزية للسيدات وحصلت مناقشة طويلة ، على اثرها انقسمنا الى قسمين : فريق أيدنى ، ومنه

السيدة عزيزة فوزى ، والسيدة احسان القوصى ، وفريق ظل مع سعد ، ومنه السيدة شريفة رياض ، ومدام ويصا ، ومدام خياط ، والسيدة نعمت حجازى .

وفى آخر الأزمات الدستورية ، التى وقعت قبل وفاة المرحوم سعد زغلول باشا ، فكر العقلاء فى ضرورة الاتفاق بين زعماء البلاد وقادتها ..

وتقول هدى شعراوى :

« لقد ذهبت الى سعد فى بيته وكنا فى شهر رمضان ، وليثت معه ثلاث ساعات ، وتحدثنا فى أمر ازالة سوء التفاهم بينه وبين ثروت باشا ، فأصر سعد زغلول على أن يأتى اليه ثروت فى داره ويطلب صفحه ، واقترحت أن يكون الاجتماع فى مكان آخر ، وخرجت دون أن أوفق فى اقناعه . ولكن فى اليوم التالى ، ذهب سعد الى ثروت بنفسه وتم التفاهم بينهما ، ثم أعقب ذلك اتحاد الجميع ، وبدأ سعد يقدر خصومه .. ويعترف بمكانتهم . واجتمع بعدئى وبثروت ، وأحاطوا به .. فكانوا عصابة واحدة ، وتناسى الجميع الماضى بما فيه . وفى أهنا الساعات . وأسعدها ، فى وقت اعتراف الجميع بفضل الجميع ، وتقدير الكل لهفوات الماضى وأخطائه .. اختطف الموت سعدا فى تلك الساعة الحرجة التى كانت البلاد أحوج ما تكون اليه خصوصا وقد آزره اخوانه وخصومه على السواء » .

وبعد كل ما سبق من الحديث عن مؤتمر المرأة الشرقية للدفاع عن القضية الفلسطينية الذى عقد بمصر فنتقل الى الحديث عن مؤتمر آخر خصص لبحث الوسائل الكفيلة بحل الصراع العربى - الاسرائيلى الذى عقد فى لندن ا

الفصل الثالث

محاولة في لندن لحل الصراع العربي الاسرائيلي مؤتمر هام في لندن

ضم المؤتمر البرلماني ، الذي عقد بالقاهرة في أكتوبر ١٩٣٨ ، العديد من مختلف أقطار الشرقين الأقصى والأدنى والبلاد الاسلامية • افتتحه محمد على علوبة باشا ، كرئيس للوفد المصري •

وقد كان من بين الذين شاركوا في هذا المؤتمر : فارس بك الحوري ، رئيس البرلمان السوري ، ومولانا كفاية الله ، مفتي الهند ورئيس جمعية العلماء فيها • والسيد عبد الرحمن الصديقي ، مندوب العصبة الاسلامية في الهند ، والأستاذ عبد الخالق الطريس مندوب تطوان « المغرب الأقصى » ، والأستاذ محمد المكي الناصري ، مندوب المغرب ، ورئيس البعثة المغربية في مصر • وغيرهم •

وبالرغم من أن هذا المؤتمر لم يتخذ قرارات ايجابية تدعم قضية الكفاح الفلسطيني • الا أنه كان دافعا للحكومة البريطانية الى التفكير في عقد مؤتمر لندن فيما بعد •

لقد رأت الحكومة البريطانية - بعد ما رأت من اجماع الشعوب الشرقية وعطفها على فلسطين - أن الوقت قد آن لعقد مؤتمر دولي ضخم في لندن ، يبحث عن ايجاد حل سلمي عادل ، لمشكلة فلسطين • يرضيها ويحقق رغبة الشعوب الشرقية والاسلامية ، التي تحرص بريطانيا على أن تظل علاقاتها بها ، علاقة مودة وسلام •

ولو لم يكن لهذا المؤتمر البرلماني - عند بعض المعلقين - من فوائد الا الدعوة لعقد مؤتمر لندن • لكفى •

والصحف المصرية الصادرة في نوفمبر وديسمبر ١٩٣٨ ، كانت تكتب باستمرار عن رغبة محمد محمود باشا رئيس الوزراء ، في السفر الى مؤتمر

لندن الخاص بفلسطين والى أنه - أى محمد محمود باشا - أعد وجهة نظر الحكومة المصرية ، اعدادا مدروسا ، اعتنى بتفاصيله عبد الحميد بدوى باشا ، وكامل سليم بك . .

وبعض الصحف المصرية أكدت أن سفر محمد محمود باشا الى لندن للاشتراك فى المؤتمر ، قد سبقته « عدة مخابرات شفوية وتحريرية » ، وأن رئيس الوزراء المصرى ، تلقى من زميله رئيس الوزراء البريطانى رسالة رقيقة يعرب له فيها عن اغتباطه ، لو استطاع رفعته - محمد محمود باشا - أن يرأس وفد مصر فى هذا المؤتمر . وأن محمد محمود باشا أبرق لرئيس الوزارة البريطانية ، عن استعداده لتلبية الدعوة ، على شرط تحديد الأسس التى ستدور عليها المفاوضات ، وبيان مدى استعداد بريطانيا « الحليفة » لحل هذه المشكلة .

وتؤكد هذه الصحف أيضا ، أن رئيس الوزراء المصرى ، قد تلقى طائفة من البرقيات ، من عرب فلسطين ، يلتمسون اليه فيها ، « أن يجشم نفسه مشقة السفر من أجلهم » ويعلنون فيها اطمئنانهم الى حل مشكلتهم بفضل تدخله . .

وتشير الصحف المصرية ، الى أن وجهة نظر مصر ، وقتئذ ، كانت تتضمن الاقتراحات التالية :

● تشكيل حكومة وطنية ، ومنح الشعب الفلسطينى نظاما دستوريا اسوة بغيره من الشعوب الشرقية والعربية .

● وقف هجرة اليهود الى فلسطين ، وتحديد مناطق نفوذهم الاقتصادى فى البلاد . .

● تنصيب أحد الأمراء الشرقيين على عرش فلسطين .

وحول الاقتراح الأخير ، أشارت الصحف المصرية ، مرات متعددة ، الى أن من بين المرشحين لعرش فلسطين ، الأمير عمر الفاروق سليل سلاطين آل عثمان والأمير محمد عبد المنعم نجل الحديوى السابق عباس حلمى الثانى . . الذى انتهز الفرصة ، فزار بيروت والتقى بسماحة مفتى فلسطين ، الحاج أمين الحسينى .

والجدير بالذكر ، أن محمد على علوبة باشا ، كان قد سافر وحده الى لندن للمشاركة فى المؤتمر . وكان من المعروف فى البداية أن هذا المؤتمر سيؤجل الى أوائل عام ١٩٣٩ حتى تشترك فيه غالبية الدول العربية والإسلامية .

وقد أجرى محمد على علوبة باشا ، اتصالات مع المسئولين البريطانيين كوزير المستعمرات ، ووكيله ، وبعض أعضاء مجلس اللوردات ، ومجلس العموم ، كما أجرى اتصالات مع كبار محرري الصحف الانجليزية الكبرى . ومع كثير من الجماعات والهيئات البريطانية . وكل ذلك من أجل احاطة الرأي العام البريطاني بعدالة القضية الفلسطينية .

وعندما عاد علوبة باشا الى القاهرة ، تحدث عن الانقسام الذى حدث فى صفوف القيادة الفلسطينية المشاركة فى الاعداد للمؤتمر ، والذى تمثل فى خروج فخري بك النشاشيبي - أحد الزعماء الفلسطينيين - على الاجماع الفلسطيني ، واستنكار كل القيادات الفلسطينية لموقف فخري بك ، وفى مقدمتهم شقيقه راغب بك النشاشيبي ، الذى أعلن استنكاره لموقف شقيقه .

وكدليل على حسن نية بريطانيا تجاه العرب وقتئذ ، كما قالت الحكومة البريطانية ، بادرت تلك الحكومة باطلاق سراح خمسة من الزعماء الفلسطينيين ، كانوا قد نفوا الى جزيرة سيشل ، وظلوا بها خمسة عشر شهرا . وهؤلاء الزعماء هم : أحمد حلمى باشا . والحاج يعقوب الغصين بك . والدكتور حسني بك الخالدي ، ورشيد بك ابن الحاج ابراهيم بك . وعواد سابا بك . وقد جرى بهم من سيشل الى القاهرة ، حيث استقبلهم شعب مصر ، أروع استقبال . وحيث كرمتهم الحكومة والمعارضة أروع تكريم .

والجدير بالذكر ، أنه عندما كرم مصطفى النحاس - رئيس الوفد المصرى - زعماء فلسطين ، الذين كانوا منفيين فى سيشل ، دارت أحاديث طيبة ، بين أعضاء الوفد المصرى وكان من بينهم بعض الذين نفوا الى سيشل - فى ثورة ١٩١٩ - قال أحمد حلمى باشا وزملاؤه من الزعماء الفلسطينيين : ان الحركة الوطنية الفلسطينية مدينة لثورة ١٩١٩ ، التى كانت بمثابة الشرارة ، التى انطلقت من مصر الى كافة البلدان العربية والشرقية . وفى مقدمتها الهند .

ومع مطلع عام ١٩٣٩ . بدأت الوفود العربية والاسلامية ، التى تقرر اشتراكها فى مؤتمر لندن لبحث القضية الفلسطينية ، تتوافد على القاهرة ، وكان فى مقدمتهم الامير فيصل بن عبد العزيز آل سعود - الذى كان - وقتئذ - نائبا عن والده فى الحجاز ، وكان وزيرا لخارجية المملكة العربية السعودية ، وشقيقه الامير خالد بن عبد العزيز آل سعود ، وكذلك الامير سيف الاسلام ، ولى عهد اليمن ورئيس وفدها فى المؤتمر . وكان وفد شرق الاردن الى المؤتمر برئاسة فؤاد الخطيب باشا ، مستشار امارة شرق الأردن ، وعضوية عبد الله بك النمر وزير ماليتها . و . و .

والجدير بالذكر أن هذه الوفود رافقت الملك فاروق ، عندما ذهب الى « مسجد قيسون » لأداء فريضة الجمعة . وكانت المفاجأة أن فاروق هو الذى أمهم جميعا فى الصلاة . وقد اعتبر ذلك - وقتئذ - حدثا هاما ، حيث كان من بين الذين أدوا الصلاة خلف فاروق الأميران السعوديان فيصل وخالد آل سعود ، والأمير اليمنى سيف الاسلام .

وربما كانت تلك « العملية » من بنات أفكار على ماهر . . الذى كان حريصا - كما سبق أن ذكرنا - على أن يرأس وفد مصر الى مؤتمر لندن ، رغم أنه كان - وقتئذ - رئيسا للديوان الملكى .

وقد سبق لنا أن ذكرنا - على لسان الدكتور محمد حسين هيكل باشا - الذى كان وزيرا للمعارف ، فى وزارة برئاسة محمد محمود باشا : أن مجلس الوزراء لم يبحث موضوع اشتراك على ماهر باشا فى الوفد . . وبمراجعة الصحف المصرية - الصادرة وقتئذ - تبين لنا أن مجلس الوزراء ، أقر تأليف وفد مصرى برئاسة الأمير محمد عبد المنعم ، وعضوية على ماهر رئيس الديوان ، وحسن نشأت باشا سفير مصر فى لندن .

وكنموذج للتخطيط الذى رافق اختيار أعضاء الوفد المصرى المسافرين الى مؤتمر لندن ، نقول : انه فى اللحظة التى كان يتأهب فيها الوفد المصرى لمبارحة القاهرة فى طريقه الى لندن ، أضيف اسم عبد الرحمن عزام بك ، الذى كلف بالسفر من الحجاز مباشرة الى لندن . وفى لندن أخطر عزام بك بأنه قد أصبح سكرتيرا للوفد المصرى وكان اختيار عبد الرحمن عزام بك ، بهذه الصورة المفاجئة ، سببا فى حدوث أزمة وزارية ، بحثها مجلس الوزراء فى جلسة عاصفة .

وكل ما أخشاه ، أن آكون قد أطلت فى الكتابة عن القضية الفلسطينية ، عما قبل مؤتمر لندن وعما بعده ، ما قبل الكتاب البريطانى الأبيض الخاص بفلسطين ، وما بعده أيضا ، وربما كان عذرى أن هذه الفترة - الأشهر الأخيرة من عام ١٩٣٨ والأشهر الثمانى الأولى من عام ١٩٣٩ كانت من أخطر مراحل القضية الفلسطينية ، فلسطينيا ، وعربيا ، وبريطانيا ، ودوليا . وربما كان عذرى أيضا أن مشاركة العرب فى مؤتمر لندن بتلك الصورة شبه الاجماعية ، كان شيئا جديدا على العمل العربى المشترك ، خاصة وأن معظم الدول العربية ، لم تكن بعد قد تحررت من أغلال الاستعمار البريطانى والفرنسى والاطالى ، وربما كان عذرى - فى الاطالة - أيضا ، أن هذه الفترة التى أطلت فى الكتابة عنها كانت الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية ، حيث جمد الفلسطينيون ثورتهم على أمل أن تنصفهم بريطانيا بعد الحرب وحيث علقت دول عربية كثيرة الآمال على الوعود البريطانية التى قطعها لهم بأن يكون كل شئ على ما يرام

يعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وحيث انتهز اليهود الفرصة - فرصة الحرب العالمية - وتمكنوا من السيطرة شبه الكاملة على فلسطين بما أدخلوا من مهاجرين ، وبما دربوا من جيوش ، وبما استفادوا من اللعب على كل الحبال ، والأكل على كل الموائد و . . و . .

وقبل أن أذكر في نقاط موجزة ، ما حدث في مؤتمر لندن الخاص بفلسطين ، وما أعقب اعلان بريطانيا كتابها الأبيض ، الذي فصل كل اتجاهاتها وبرامجها ، وأهدافها السياسية في فلسطين ، أحب أن أشير الى بعض ما جاء في دراسات عربية وفلسطينية ، عن تلك المرحلة حتى تكون الصورة أشمل ، وحتى يكون مجال نشر الآراء المختلفة والمتباينة أوسع وحتى - وهذا هو الأهم - لا نستبد برأينا في مثل هذه الموضوعات القومية الحيوية .

في دراسة أعدها - ونشرها في بغداد عام ١٩٧٠ - الأستاذ عبد الحميد العلوجي عن المد الصهيوني بين الهجرة والهجرة المضادة ، حديث طويل عن كفاح الثوار العرب وبطولاتهم وإشارة الى ما ذكره الجنرال هنري ميتلاند ولسون قائد القوات البريطانية في الشرق : ان خمسمائة من الثوار العرب يحاربون في الجبال لا يمكن التغلب عليهم بأقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح وحديث عن القوات البريطانية التي تصدت للثوار الفلسطينيين ، والتي بلغت ثمانين ألف جندي تحت امرة الجنرال ديل ثم الجنرال ويفيل وفي تلك الدراسة أيضا كلام عن الثورة الفلسطينية المضادة التي تمثلت في « عناصر حزب الدفاع التي شكلت عصابات اجرامية اسمها فصائل السلام لتقوم ببعض الأعمال البشعة ، وتنسبها للثورة بهدف تنفير الجماهير منها » وكذلك كلام عن الاتفاقية التي عقدها الحكومة البولندية . والوكالة اليهودية لتنظيم نقل رؤوس الأموال اليهودية من بولونيا الى فلسطين وكيف توصل فلاديمير جابوتنسكي الى اتفاق خاص مع بعض المسئولين البولنديين لتزويد منظمة الارجون زفاي بشتى المساعدات واجتماعه - في صيف ١٩٣٧ - بملك رومانيا كارول الثاني الذي وعده بتشجيع الهجرة الى فلسطين ، والذي وعده أيضا بمحاربة كل مشروع للتقسيم . . كما تشير تلك الدراسة أيضا الى ظهور أول دعوة لتقسيم فلسطين في عام ١٩٣٧ ، بناء على اقتراح لجنة بيل وكان اقتراح لجنة بيل على النحو التالي : دولة يهودية تشمل السهل الشمالي من اسدود ، بما في ذلك سهل شارون ، ومرج بني عامر ، ولواء حيفا ، والوية طبرية ، وصفد ، وعكا مع بقائها تحت الانتداب البريطاني بصفة مؤقتة ثم تضم بعد ذلك الى الدولة اليهودية ، ثم دولة عربية تشمل نهر الاردن وغزة وبيرسبع وصنحراء النقيب والجليل ونابلس والجزء الشرقي من طولكرم وجنين وبيسان ويافا على أن تبقى القدس وبيت لحم والناصرة وشواطئ طبرية تحت الانتداب البريطاني مع ضرورة ربط هذه الأجزاء بساحل

البحر الأبيض المتوسط عن طريق ممر يربط بين القدس ويافا ، وفى هذه المنطقة تقع اللد والرملة .

وتشير دراسة الاستاذ عبد الحميد العلوجى الى أن الحكومة البريطانية اضطرت فى أكتوبر ١٩٣٨ الى إلغاء قرار التقسيم تحت وطأة الثورة العربية حيث استشهد فى الأشهر الأولى من عام ١٩٣٨ أكثر من ٦٠٠٠ شهيد فلسطينى ، وحيث تم اعتقال ٢٧٥٠ فلسطينيا كما تم اعدام ٣٦٧ من الفلسطينيين الأبطال ، وأعلنت بريطانيا منع الهجرة اليهودية الى فلسطين من أجل أن تكتسب ود الثوار العرب وان كان اليهود الذين تسلموا الى اسرائيل فى الأشهر الأولى من عام ١٩٣٨ قد بلغ عددهم ١٢٨٦٨ مهاجرا ليصبح عدد اليهود حتى نهاية عام ١٩٣٨ « ٤١١٢٢٢ يهوديا » كما تشير تلك الدراسة أيضا الى اصدار الحكومة البريطانية كتابها الأبيض الذى سمح بادخال ٧٥ ألف مهاجر يهودى خلال ٥ سنوات وتقسيم أراضى فلسطين الى ثلاث مناطق يصرح لليهود فى الأولى بشرائها ولا يصرح بالشراء فى المنطقة الثانية الا بموافقة الحكومة أما الثالثة فلا يسمح لهم بالشراء منها .

وتقول دراسة الأستاذ عبد الحميد العلوجى أيضا أن الهجرة من ألمانيا كانت تتم بموافقة الجستابو الألمانى حيث صمم ذلك الجستابو على اخلاء أواسط أوروبا من اليهود وحيث كانت شركات الملاحة الألمانية - الخاضعة لهتلر - تتولى نقل المهاجرين اليهود الى موانئ رومانيا ومنها الى فلسطين ، وكان الجستابو يعطى هؤلاء تصريحات مزورة لدخول فلسطين .

وتقول تلك الدراسة أن الثورة الفلسطينية قد توقفت فى سبتمبر ١٩٣٩ بسبب اعلان الحرب العالمية الثانية بعد أن أجهضت على أيدي القوى المضادة لها ، والمتمثلة فى سلطات الاحتلال البريطانى ، وقوى الغزو الصهيونى والواجهات المرتبطة بها ، .

● وفى دراسة لمعهد البحوث والدراسات العربية - بالقاهرة - للدكتور محمد بدیع شريف اشارة سريعة الى مؤتمر لندن واستمراره بضعة أسابيع قدمت فيها الحكومة البريطانية مقترحات متعددة لم تنل قبولا من الطرفين فوضعت خطة أعلنتها بالكتاب الأبيض . وتقول الدراسة ان اليهود ، رفضوا الكتاب الأبيض مبدئيا . غير أن وايزمان لعب دورا مهما فى اقناعهم بقبوله لأنه يبغي من وراء ذلك تسجيل ضمان قانونى بوضع اقدام اليهود فى هذه الأراضى ، ومع ذلك كله عمد اليهود الى القوضى واشاعة الشغب فقامت عصابتهم من الهاجاناه وشترن بالعصيان فقطعوا خطوط الاذاعة وأحرقوا الدوائر الرئيسية للمهاجرين ونهبوا دوائر الحكومة فى تل أبيب . ونشبت الحرب العالمية الثانية فكان موقف العرب موقف المهادنة أما الصهيونيون فقد نشطوا فزادت هجرتهم غير المشروعة ،

فدخل فلسطين أولئك الذين أفلتوا من يد النازية ومن أوروبا الشرقية وأخذوا يتسللون تحت جنح الظلام وتشكلت عصاة تهريب لهم اكتشفتها بريطانيا عام ١٩٤٢ وتغاضت عنها ، •

● وفي كتاب فلسطين للاستاذ أحمد فراج طابع ، الذى بدأ حياته - كدبلوماسى مصرى - فى فلسطين عام ١٩٢٧ ثم عاد اليها قنصلا عاما لمصر فى يوليو ١٩٤٧ ، ومكث بها حتى أكتوبر ١٩٤٨ ، اشارة ، الى ذلك الاضراب الذى أعلنته اللجنة العربية العليا فى عام ١٩٣٦ وكيف أن بريطانيا أرسلت قوات اضافية لاضمار ثورة الشعب الفلسطينى وكيف أن اللجنة العليا ، لم تعدل عن قرار الاضراب الا بعد تدخل حكومات العراق ، والعربية السعودية والاردن وكذلك اشارة الى لجنة بيل وقرار التقسيم الذى نادى به ورفض الفلسطينيون قرار التقسيم ، ومطالبتهم بالاستقلال التام وكذلك اشارة ، الى عرض القضية الفلسطينية أمام مجلس عصبة الامم فى ١٤/٩/١٩٣٧ وطلب ايدن - وزير الخارجية البريطانية الموافقة على تأليف لجنة لوضع مشروع تفصيلى لتقسيم فلسطين ، وموافقة مجلس العصبة على ذلك بشرط بقاء الانتداب البريطانى لحين الوصول الى قرار نهائى • واشارة أيضا الى لجنة جون وودهير التى رأت عدم جدوى مشروع التقسيم لأن العرب يرفضونه ، واليهود لا يقبلونه ويشير الأستاذ أحمد فراج طابع الى دعوة الحكومة البريطانية لمصر ، والعراق ، والعربية السعودية ، والاردن واليهود ، وعرب فلسطين ، والوكالة اليهودية الى عقد مؤتمر فى لندن اجتمع فى ٧/٥/١٩٣٩ وقد رفض العرب أن يجلسوا مع اليهود فى مؤتمر واحد •

كما أشار الأستاذ طابع الى مقترحات بريطانيا التى رفضها اليهود والعرب فى ٢٧/٣/١٩٣٩ ، والى اصدار الحكومة البريطانية للكتاب الأبيض فى ١٧/٥/١٩٣٩ واشارة الى ما جاء فى ذلك الكتاب من أن انشاء دولة فلسطينية مستقلة وزوال الانتداب زوالا كاملا ، يتطلب أن تكون العلاقة حسنة بين العرب واليهود بدرجة تجعل قيام حكومة أمرا ممكنا •

ويقول الأستاذ أحمد فراج طابع : ان اليهود هاجموا الكتاب الأبيض قائلين ان سياسة الخيانة التى تتبعها بريطانيا لا يمكن احتمالها وأن الشعب اليهودى سيشن عليها حربا لا هوادة فيها وبدأ يهود فلسطين فى سياسة عدم التعاون •

وسعى اليهود فى الولايات المتحدة الأمريكية لدى حكومتهم لتضغط على بريطانيا كما سعوا ، لدى أعضاء لجنة الانتداب الدولية ، لرفض الكتاب الأبيض وقد رفضته اللجنة بأغلبية أربعة أصوات ضد ثلاثة بحجة أن ما تضمنه الكتاب

الأبيض يتعارض مع صك الانتداب . ورفض العرب هذا الكتاب بالرغم من أن بريطانيا اعترفت مبدئياً بحق فلسطين في الاستقلال وعدلت عن التقسيم وحددت الهجرة تحديداً نهائياً ، وقيدت انتقال الأراضى ، واستند العرب في رفضهم الكتاب الى أن فترة الانتقال تعطى اليهود سلاحاً في معارضة استقلال العرب ، ويريد العرب حكومة وطنية في مدة معقولة ولا يقبلون مساعدة من بريطانيا في تحديد الدستور ، وأضافوا ، أن عبارات الكتاب غامضة فضلاً عن أنه جعل اعلان الاستقلال ، أو تأجيله بعد عشر سنوات منوطاً بالظروف .

ويقول الأستاذ أحمد قراج طايح : في الواقع لم يرفض كل عرب فلسطين الكتاب الأبيض فقد قبله حزب الدفاع الذي كان يرأسه راغب النشاشيبي وكانت سياسته : خذ وطالب .

● وأستاذ القارئ في أن أنقل اليه في تلك النقاط الموجزة بعض ما أريد أن أركز عليه من معلومات تتعلق بتلك المرحلة الهامة ، والخطيرة من مراحل الصراع ، العربي الاسرائيلي :

● قبل انعقاد مؤتمر لندن تقدمت حكومة العراق بمشروع ، لحل مسألة فلسطين يتلخص في انشاء دولة مستقلة ذات سيادة في فلسطين يكون الحكم فيها دستورياً بمقتضى قانون تضعه جمعية منتخبة على أن ينص هذا الدستور على المحافظة على الحقوق المدنية والسياسية لكل فلسطيني دون تفریق بين أهل البلاد في ناحيتي الجنسية والدين وأن ينص الدستور أيضاً على المحافظة على منح الطوائف المختلفة في فلسطين سلطات واسعة في شئونها الطائفية ، وأن ينص كذلك على منح المدن والقرى ، العربية واليهودية سلطة واسعة في المسائل المحلية و . و .

وكان مشروع المملكة العربية السعودية ينص على أن تكون المفاوضات بين العرب وبريطانيا وليس مع اليهود ، وأن يضمن العرب في فلسطين تمثيلهم في المؤتمر على أحسن وجه ممكن ، أما حكومة شرق الأردن ، فلم تتقدم بأى مشروع مؤكدة أنها ستنزل على ما يقرره ممثلو البلدان العربية ١١ .

● في ١٧/١/١٩٣٩ بدأ في القاهرة مؤتمر ، تمهيدى لبحث المسألة الفلسطينية شارك فيه عن العراق : نوري السعيد وعبد القادر الكيلاني وعن اليمن الأمير سيف الاسلام نجل الامام يحيى ، والقاضى العمري ، والقاضى الشامي ، وعن المملكة العربية السعودية : الأمير فيصل آل سعود ، وفؤاد حمزة بك ، ومن فلسطين حسين الخالدي ، وعونى عبد الهادى والدكتور فؤاد سابا ، وأمين النعيمي ، وعن شرق الأردن ، فؤاد الخطيب باشا مستشار الأمير عبد الله ، والسيد عبد الله التمر الحمود مدير الخزانة وعن مصر ، محمد محمود ،

عبد الفتاح يحيى ، محمد علي علوبة ، حمد الباسل ، الدكتور عبد الحميد سعيد و ٥٠ و ٥٠ وفي هذا الاجتماع ، يطلب المجتمعون ، من محمد محمود باشا ، أن يقبل رئاسة الوفود العربية في لندن ، فيعد خيرا . ويؤجل المؤتمر التمهيدى ثلاثة أيام وتقول الصحف البريطانية أن تأجيل الاجتماع كان بسبب رغبة أبداها محمد محمود باشا في جمع كلمة العرب فالمؤتمر ، التمهيدى في القاهرة أهم من المؤتمر الأصيل في لندن : ان مؤتمر لندن استعداد لامتحان تؤديه البلاد العربية بلندن ، اذا دخلته متحدة وخرجت منه متحدة ضمنت النجاح لها وللفلسطين ٥٠

● في ١٩٣٩/١/٢١ سافر نوري السعيد من القاهرة الى بيروت لمقابلة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني ، وعاد في نفس اليوم ونشرت صحف لندن -التايمز بصفة خاصة - تصريحاً في نفس اليوم لراغب بك النشاشيبي ، تضمن بياناً رسمياً له ، وهو أنه اذا لم يخصص لحزبه - حزب الدفاع - نصف عدد الوفد الفلسطيني المسافر الى لندن فلن يشترك أحد من حزبه في مؤتمر لندن وشكك راغب النشاشيبي ، فيما يرسل من برقيات الى الخارج ، وفيما يصدر من بيانات في الداخل بخصوص تأييد المفتي . ويحذر راغب النشاشيبي بريطانيا اذا ما اعترفت بوكلاء المفتي ، ولم تعترف بحزبه ! ويسافر الخديوي السابق عباس حلمي وابنه الأمير محمد عبد المنعم الى بيروت لمدة يومين ، يلتقيان فيهما - باستمرار - في بلدة الزوق في جبل لبنان مع مفتي فلسطين !

ويحتفل أبناء لبنان بالخديوي السابق ، وخاصة نقولا ابراهيم سرسق ، وحبيب بك طراد ، والسيدة ليندا سرسق ، وجان تويني بك و ٥٠ و ٥٠ ويقال ان رحلة نوري السعيد ، الى لبنان كانت بخصوص اقناع المفتي بالتفاهم حول تمثيل أحزاب فلسطين !

● في ١٩٣٩/١/٢٧ وصل الأمير محمد عبد المنعم رئيس الوفد المصري الى لندن ، ثم تبعه - في يوم قال - علي ماهر باشا .

وتتبنى الايكونوميسست البريطانية الدفاع عن حزب الدفاع الفلسطيني ، قائلة انه ، يمثل ، نصف فلسطين وأن واجب انجلترا ، ألا تضحي به من أجل الاتفاق مع أمين الحسيني .

● ويؤلف اليهود لجنة من زعمائهم في كل أنحاء العالم لمحاولة الوكالة اليهودية التنفيذية في فلسطين ، في مفاوضات مؤتمر لندن ، وتمثل تلك اللجنة شخصيات بارزة من الصهيونيين ، وغير الصهيونيين ومن الأعضاء البريطانيين الذين اختيروا لعضوية هذه اللجنة : مستر نيفيل لاسكي المستشار

سنوات ما قبل الثورة - ٣٣٧

الملكى ورئيس جمعية النواب اليهود • المستر جيمس دى روتشيلد رئيس جمعية اسكان اليهود فى فلسطين • • الماركيز ردنچ ، اللورد بيرسنيڊ و • • و •

● ثمة ملاحظات سريعة لابد من ابدائها ، اقترح الوفد المصرى على الوفود العربية أن يمتنعوا عن الكلام فى جلسة الافتتاح لتتاح الفرصة للفلسطينيين أنفسهم لكى يشرحوا جيدا قضيتهم ، ولكى يعبروا عن مطالبهم ، استمرت مشكلة انضمام راغب النشاشيبي بك الى الوفد الفلسطينى قائمة ، وأصرت الوفود العربية ، على عدم الجلوس مع راغب بك ، وأعضاء حزبه ، طلب محمد على جناح رئيس الرابطة الاسلامية فى الهند ، والقائد الأعظم لباكستان فيما بعد أن يسمح للرابطة الاسلامية بالمشاركة فى المؤتمر ، ولكن بريطانيا ترفض الطلب ويرسل محمد على جناح تلغرافا آخر طالبا إعادة النظر فى طلبه السابق ، هدد الوفد الفلسطينى بالانسحاب من المؤتمر ، وكذلك الوفود العربية ، بسبب اصرار النشاشيبي على المشاركة فى المؤتمر ووقوف بريطانيا الى جانبه ، وحتى الساعة الرابعة من صباح يوم انعقاد المؤتمر لم تكن المشكلة قد حلت بعد وقد اقترح مستر ماكدونالد وزير المستعمرات البريطانية أنه اذا فشل الفلسطينيون فى جمع كلمتهم فسوف يتحدث هو مع وفد النشاشيبي كهيئة منفصلة •

● تم افتتاح مؤتمر لندن فى جلستين منفصلتين احدهما مع العرب ، والأخرى مع اليهود وألقى مستر تشمبرلين رئيس الحكومة البريطانية فى هذه المناسبة خطبتين ! وكان فى خطبته أمام الوفود العربية قد أشار الى الحوادث السيئة التى وقعت فى فلسطين والتى جلبت خسائر ، لكل المقيمين فيها • كما أشار الى ارتباط بريطانيا بفلسطين وإلى أمل الشعب البريطانى فى عودة السلام الى ربوعها •

والقى الأمير محمد عبد المنعم كلمة باسم جميع الوفود العربية تمنى فيها حل القضية الفلسطينية كما تمنى أن تقوم علاقات ودية بين أعضاء المؤتمر ثم ذهب مستر تشمبرلين الى قاعة أخرى ليجتمع مع اليهود وكان وفدهم مؤلفا من الدكتور وايزمان ، وبرودتسكى وبن جوريون وشرتوك وناحوم جولدمان ، وأثنى مستر تشمبرلين على الانتظام وضبط النفس الذى أظهره اليهود أثناء عهد الصعوبات الخطيرة فى فلسطين وقال الدكتور وايزمان ، ان الأمر الذى نضعه نصب أعيننا فى فلسطين هو السلم ، وقال اننا نجتمع فى مرحلة مظلمة من مراحل حياتنا • • وأعلن وايزمان عن رغبة اليهود فى الاستمرار فى التعاون مع الحكومة البريطانية •

وتكلم بعد وايزمان المسيو بن زيفى رئيس المجلس الوطنى اليهودى فى فلسطين فأكد معاونة يهود فلسطين للحكومة البريطانية !

ولم يكن وفد النشاشيبي قد اشترك في جلسة افتتاح المؤتمر لاصرار وفد المفتى على عدم مشاركة النشاشيبي ، أو حزبه في المؤتمر ولكن الحكومة البريطانية أصدرت بيانا رسميا : أكدت فيه أن الجهود مبذولة لايجاد وفد عربي فلسطيني موحد . ومن أجل مشكلة تمثيل النشاشيبي تأجلت الجلسة ، التي كان من المقرر أن يبسط فيها العرب وجهة نظرهم ، في القضية الفلسطينية ، وقابل فخري النشاشيبي بك مستر ماكدونالد وزير المستعمرات البريطانية وخرج من لدنه يقول : انه أكبر رجل عاقل قابله في حياته ! و . . و .

● وقبل أن يعلن فشل المؤتمر يلقي على ماهر باشا باسم كل الوفود العربية المشاركة في المؤتمر بيانا نصح فيه الجميع بأن يكون الحل لمسألة فلسطين حلا سريعا واضحا حاسما فالعالم يتطور سريعا ، والحوادث تتلاحق ، وتتوالى والحل الوقتي الذي لا يحسم النزاع يستبقى عناصر ، الاضطراب والقلق ، ولا يوجد الطمأنينة الضرورية في هذا الوقت التاريخي . ويقول على ماهر « لأجل أن تدركوا اصرارنا على حل حاسم سريع نضع بين أيديكم صورة من الرأي العام ، في البلاد الاسلامية كلها » ويشير على ماهر الى اهتمام العالم الاسلامي بفلسطين التي يرتبط فيها تاريخ المسلمين ، الديني والزمني والتي فيها مقدسات عظيمة لهم ، ويقول ان ما يحدث في فلسطين يثير الرأي العام الاسلامي كما يشير الى احتجاج علماء الأزهر ، مرارا على الحالة الراهنة في فلسطين والى بذل هؤلاء المساعي الكثيرة لحمل الحكومة المصرية على العمل لدفع الخطر عن فلسطين ويقول على ماهر : « ان هؤلاء ، العلماء يتمتعون بقسط وافر من النفوذ والاحترام في العالم الاسلامي وقد قام في كل الأقطار الاسلامية قادة الرأي الديني والمعاهد الدينية بمثل ما قام به الأزهر وأعربت كل الطوائف وجميع المذاهب عن مخاوفها مما يجري في فلسطين » كما أشار أيضا ، الى قلق الحكومات الاسلامية جميعا والى خوفها ، مما يحدث لشعب فلسطين .

● ويشير على ماهر ، الى أن الحكومة المصرية ، طلبت مرتين أمام عصبة الأمم أن يؤتى بحل المشكلة الفلسطينية على أساس يرضى عرب فلسطين وقد قدم الطلب نفسه مرتين مختلفتين بواسطة وزيرى خارجية يمثلان جميع الآراء ، المصرية . على اختلاف ألوانها زد على ذلك أن الحكومة المصرية رحبت بالمؤتمر الاسلامي الذي اجتمع في القاهرة ، في الحريف الماضي للدفاع عن حقوق العرب في فلسطين .

ويقول على ماهر : أن السلم في فلسطين هو لمصلحة ، الديمقراطية الثلاث العرب واليهود ، وأهل فلسطين وهذا السلم يجب أن يؤسس على قواعد العدل ، ويرى على ماهر ، أن العدل الواجب ، اتباعه هو الذى يكفل لجميع اليهود حقوقا متساوية مع أهل البلاد . ويلج على ماهر ، على وجوب اقامة دولة فلسطينية مستقلة في فلسطين .

ونحن - على ماهر - مستعدون كعرب للالحاح على عرب فلسطين بقبول كل الضمانات والمصالح المعقولة ، التي تطلب منهم .

● يفشل المؤتمر ، ويعود ، أعضاء الوفود ، الى القاهرة لاجراء مزيد من الاتصالات مع الحكومة البريطانية عبر السفير البريطاني في القاهرة وفي الوقت الذي يقول فيه عبد الرحمن عزام أن مباحثات لندن لم تكن فشلا تاما ، على الرغم من الحقيقة الواقعة وهي أن الاتفاق لم يتم ، وفي الوقت الذي يقول فيه عبد الرحمن عزام - الذي لعب دورا هاما في مؤتمر لندن وكان مستشارا لجميع الوفود العربية في مؤتمر لندن - : أن هناك مشكلة يهودية ، ومشكلة عربية ، في العالم ، وفلسطين وحدها لا تستطيع أن تحل المشكلة اليهودية في حين أن المشكلة الفلسطينية أكبر جدا من فلسطين . . . في هذا الوقت يصرح فخري النشاشيبي بك لمندوب الصنداي كرونيكل بأنه يحمل في جيبه ، الأمر بإعدامه بقرار من المفتي ، وقد اطلع مندوب الصنداي كرونيكل على هذه الوثيقة وهي بتوقيع عارف عبد الرازق قائد القوات التي تنتمي الى المفتي ، ويصرح فخري بك - لمندوب صنداي كرونيكل - تلقيت هذه الوثيقة بطريق البريد في مساء اليوم السابق لسفري من فلسطين وسيكون في أمان ما دمت في لندن ، ولكن متى عدت الى فلسطين سيكون حذرا .

● هذا وقد نشرت صحيفة الصنداي بكتوريال تحقيقا صحفيا هاما قالت فيه أنه يوجد وراء مؤتمر فلسطين والجهود التي بذلت فيه دفاعا عن القضية العربية مشهد رائع بديع يدعو الى التسلية فان هناك فتاة يهودية هي كلير جاكوب مضى عليها الآن أربعة أعوام ، في فلسطين وقد وقعت في غرام أحد زعماء العرب ، وعلم اليهود بسر اهتمامها به ، فحاولوا قتلها ولكنها فرت الى باريس ، ولما وصل المندوبون العرب ، الى بريطانيا جاءت كلير من باريس ، لتساعد الرجل الذي أحبته وكان كثيرا ما يطلب مشورتها . ولكن اجتماعاتها به كانت سرية دائما وفي أثناء النزاع الذي قام به الفريقين العربيين ، وكاد يقضى على قضيتهما ، لعبت كلير دور ضابط الاتصال ، وسعت سعيها للوصول الى الاتفاق .

وقد حاولت أن أعرف من يكون هذا العربي العاشق ولكنني لم أستطع الجزم باسمه ، وربما كان لدى بعض الاخوة المخضرمين ، من أبناء فلسطين بقية قصة جاكوب وصديقتها !! .

● قالت صحيفة البلاغ ، القاهرة في ٣١ مارس ١٩٣٩ - وتحت عنوان : قضية فلسطين يستأنف بحثها في القاهرة . هذا أوان حل القضية الفلسطينية فليس مما يقبل ولا مما يوافق مصلحة بريطانيا ومصلحة مصر ، أيضا . . . أن تظل معلقة وأن تبقى فلسطين في حالة ثورة في هذه الأحوال الدولية الحافلة

بالأخطار ورئيس الوزارة المصرية لا يخدم عرب فلسطين وحدهم بسعيه المتواصل لانصافهم بل يخدم بلاده أيضا وبريطانيا معها خدمة ليس أولى منها بالشكر والتقدير .

● تقول صحيفة البلاغ : ما كان انكار حقوق قطر مما يعين على الاطمئنان الى الصداقة والثقة بالوفاء وقد نهجت بريطانيا أرشد نهج وأحكمه حين رأت مخالفة العراق ، ومصر وبقيننا أنها تكسب كل شيء ، لا تخسر أدنى شيء بمثل هذا النهج في فلسطين وقد اعترفت من حيث المبدأ ، بأن العرب على حق في مطالبهم .

● في ١٢/٤/١٩٣٩ وصل راغب بك النشاشيبي رئيس حزب الدفاع الفلسطيني الى بورسعيد قادما من لندن بعد أن سويت مشكلة مشاركته في المؤتمر الخاص بالقضية الفلسطينية وبعد أن قبل ممثلو اللجنة العربية العليا برئاسة المفتي مشاركته معهم . . وقد صرح في بورسعيد بأن مؤتمر لندن لم يفشل بل أنه قد أتى بنتائج لا شك أنها ستحقق لعرب فلسطين مطالبهم وتصبح البلاد في القريب العاجل متمتعة بحرياتها الكاملة وما ذلك الا بفضل اجماع الحكومات العربية ، وتمسكها بتلك المطالب .

وفي تصريحه هذا شكر أعضاء الوفود العربية التي شاركت في مؤتمر لندن ، « على ما أبدوه من عطف على قضية فلسطين وما أظهروه من المهارة السياسية أثناء الاجتماعات الرسمية والخاصة لخير هذه القضية » .

والجدير بالذكر أن راغب بك قد عاد من فلسطين في أواخر ابريل ١٩٣٩ ، للمشاركة في مباحثات القاهرة الخاصة بفلسطين جنبا الى جنب مع أحمد حلمي باشا وجمال الحسيني ، وعوني عبد الهادي ، ويعقوب الغصين وحسين الخالدي وموسى العلمي ، والسيد رشيد الحاج ابراهيم . وكان قد أضيف الى الوفود العربية مندوبا الهند . السيد خليف الزمان والسيد عبد الرحمن الصديقي ، اللذان لعبا دورا هاما في مباحثات القاهرة .

على أن محمد محمود باشا ، حتى بعد عودة الوفود العربية والاسلامية الى بلادها - لم يتوقف عن الاتصال بالحكومة البريطانية - عبر السير مايلز لامبسون. السفير البريطاني في القاهرة - من أجل العمل على حل المشكلة الفلسطينية . وعندما كان يصل الى نجاح في نقطة ما يبادر بالاتصال بزعماء العرب لابلأغهم بما وصل اليه . وقد نجح محمد محمود في الاتفاق مع الحكومة البريطانية على ألا تعلن أي قرار نهائي خاص بالمسألة الفلسطينية قبل التشاور مع الحكومة المصرية ، وكان نوري السعيد قد دعا الحاج أمين الحسيني لزيارة بغداد فاعتذر مؤثرا أن يمر بها الأستاذ جمال الحسيني ، وقد كان وقتئذ في زيارة للبحرين ضمن حاشية الملك عبد العزيز آل سعود .

وبعد أن أعلنت بريطانيا مقترحاتها في كتابها الأبيض رفضتها العناصر الصهيونية المسئولة رفضاً باتاً ، كما رفضت حكومات مصر ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، أن توصي زعماء فلسطين بقبول تلك الاقتراحات ! ٠٠ وكان الصهيوونيون ، أسعد الناس برفض العرب للاقتراحات البريطانية لأن رفض العرب ساعدهم على بلوغ غايتهم وهي العمل على هدم المشروع البريطاني وتأجيل القرار الأخير بشأن مستقبل فلسطين الى ما شاء الله .

وقد احتجت قيادات أمريكية كبيرة لدى بريطانيا ، على مقترحاتها وفي مقدمة المحتجين مستر لاجوارديا محافظ نيويورك - ودائما محافظ نيويورك - ورئيس أساقفة واشنطن ، كما احتجت رئاسة الجمعية الصهيونية الجديدة - في بريطانيا - على هذه الاقتراحات بل ان هذه الرئاسة لم تكتف بالاحتجاج بل أذرت الحكومة البريطانية ، وعلى رأسها مستر تشامبرلن ، اذا هي نفذت سياسة الكتاب الأبيض ، تلك السياسة ، التي لابد أن يكون لها أثرها الخطير على سمعة بريطانيا وسمعة الامبراطورية في جميع أنحاء العالم ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية لأن شعباً منتشراً في جميع أنحاء العالم مثل الشعب اليهودي يستطيع أن يشهر ببريطانيا ويعلن للعالم نقضها لعهدودها الصريحة ويثير الشكوك من ناحية قيمة العهدود البريطانية للشعوب الأخرى في الماضي والحاضر ؟

وعارض حزب العمال ، وحزب الأحرار ، الكتاب الأبيض ، وحمل الدكتور وايزمان ، وشرتوك ، وبرونسكي - من قادة الحركة الصهيونية - حملات شعواء ، على السياسة البريطانية المحافظين !! وحرك الصهيوونيون صحف بريطانيا ، والولايات المتحدة ، وسويسرا لتهاجم الكتاب البريطاني الأبيض .

● من التعليقات ذات الأهمية ، البالغة ، على الكتاب البريطاني الأبيض ذلك التعليق الذي نشرته جريدة الديلي تلجراف وأشارت فيه الى تأييد مجلس العموم البريطاني لسياسة الحكومة البريطانية - لأول مرة - فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية !

تقول الجريدة البريطانية ، ان الكتاب الأبيض أرضى العرب ، ارضاء تاماً في المطالبين الأساسيين وهما أن فلسطين لا يجب أبداً أن تكون دولة يهودية وأن الهجرة يجب أن تنتهي .

وتقول الصحيفة : لو أن بريطانيا سمحت للمفتي الزعيم الرسمي لفلسطين بالاشتراك في مباحثات القاهرة لثم الاتفاق نهائياً . على تسوية أساسها المقترحات البريطانية أيضاً : ان القادة العرب ليسوا متحمسين تماماً لنصح القادة الفلسطينيين برفض الكتاب الأبيض لأنهم يدركون أن الفلسطينيين قد

حصلوا على القدر الكافي في الوقت الحاضر وأنه يجب أن يقضوا وقت التمرين على فن الحكم ! .

وتقول الجريدة أيضا أن المفتي ينلقى معونات من برلين وروما ، وكانت هذه هي النقطة التي يستغلها دائما خصوم المفتي للنيل منه ومن كفاحه .

وتقول الصحيفة البريطانية ، ان مقاومة اليهود للكتاب الأبيض ليست واسعة النطاق كما يريدون ، بعكس ادعاءات اليهود وقولهم ، ان معارضتهم واسعة النطاق ، فليس جميع اليهود من الصهيونيين وكثير من هؤلاء يرون أنه ينبغي لهم أن يقنعوا بما نالوه وبما وعدوا به في جهات أخرى ثم ان المستعمرين اليهود الذين نزحوا ، الى فلسطين قبل الحرب لا ينظرون بعين الارتياح الى الألوف من المهاجرين الذين جاءوا من بعدهم ، لأنهم على الرغم من أنهم اخوانهم في الدين فانهم يختلفون عنهم أخلاقا ، وأصلا . وفوق ذلك فان كثيرين من المستعمرين الأوائل ينظرون بعين الخوف الى التيار المستمر من منافسين لا يستهان بهم بل وجد كثير من الذين وصلوا أخيرا أن العيش في فلسطين أصعب من العيش في البلدان التي جاءوا منها .

● وتجتمع اللجنة العربية العليا في « الزوق » - لبنان - في ١٩/٥/١٩٣٩ برئاسة الحاج أمين الحسيني وعضوية كل من جمال الحسيني ، وحسين الخالدي ، والفريد روك وعزت دروزه وفؤاد سابا ، وموسى العلمي ومعين الماضي وتقرر رفض المشروع ، الذي تقدمت به بريطانيا .

وترسل اللجنة العليا وفدا برئاسة جمال الحسيني الى جنيف لاعلان رفض الفلسطينيين للكتاب الأبيض في الوقت ، الذي يعلن فيه شرتوك - مدير الوكالة اليهودية - أن ما يقوم به الصهيونيون في فلسطين ليس موجها أبدا ضد الشعب البريطاني ، ولا ضد الوجود البريطاني في فلسطين بل ان هجومهم قاصر على معاداة سياسة الكتاب الأبيض ، كما يقول ان محور الصهيونية السياسي يتجه منذ نشأته مع بريطانيا وسيستمر كذلك وان الاخلاص اليهودي لبريطانيا العظمى يجب أن يكون له طابع المحالفة لا الخضوع ، اننا - هكذا يقول شرتوك - لا نشور في وجه الانتداب الذي يعد القانون الأساسي للبلاد بل على العكس ، فان الغرض من جهادنا هو المحافظة على حرية وروح الانتداب ، ويقول شرتوك ، ان أفضل طريقة للوصول الى هذا الغرض يجب ألا يسكون بالحركات الارهابية ولكن بسياسة التعمير .

وللحقيقة وللتاريخ - ونحن نختم هذا الحديث عن القضية الفلسطينية - نقول ان الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه كان قد أرسل في ٢٩ نوفمبر

سنة ١٩٣٨ الى مستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية خطابا بخصوص قضية فلسطين نجتزىء منه ما يلى :

● ان دعوى اليهود ، بحقهم فى فلسطين ، استنادا الى التاريخ ، لا حقيقة لها فان كان اليهود قد استوطنوا فلسطين مدة معينة بصورة استيلاء فان العرب قد استوطنوها مدة أطول من ذلك بكثير ، ولا يمكن أن نعتبر احتلال أمة لبلد من البلدان حقا طبيعيا يبرر مطالبتها به .

● أما دعوى اليهود الذين يستثيرون بها عطف العالم انهم مشتتون ومضطهدون وأنهم يريدون ايجاد مكان يأوون اليه ليأمنوا على أنفسهم من العدوان الذى يقع عليهم فى كثير من الممالك فان فلسطين الضيقة قد استوعبت منهم الآن مقدارا عظيما .

● يقول الملك عبد العزيز مخاطبا روزفلت ا ليس من العدل يا فخامة الرئيس أن تسد حكومات العالم - وفى جملتها الولايات المتحدة - أبوابها فى وجه مهاجرى اليهود وتكلف فلسطين البلد العربى الصغير بتحملهم !! .

● ان حقوق العرب فى فلسطين لا تقبل المجادلة لأن فلسطين بلادهم من أقدم الأزمنة وهم لم يخرجوا منها كما أن غيرهم لم يخرجهم منها .

ويقول الملك عبد العزيز : ان عرب فلسطين ومن ورائهم سائر العرب ، بل وسائر العالم الاسلامى ، يطالبون بحقهم ويدافعون عن بلادهم ضد دخلاء عنهم وعنهم ومن المستحيل اقرار السلام ، فى فلسطين اذ لم يقبل ، العرب حقوقهم ، ويتأكدوا أن بلادهم لن تعطى الى شعب غريب آفاق تختلف مبادئه وأغراضه ، وأخلاقه عنهم كل الاختلاف . ولذلك فاننا نهيب بفخامتكم ونناشدكم باسم العدل والحرية . ونصرة الشعوب الضعيفة التى اشتهرت بها الأمة الأمريكية النبيلة ، أن تتكرموا بالنظر فى قضية عرب فلسطين وأن تكونوا نصراء للأمن المطمئن الهادى ، المعتدى عليه من قبل تلك الجماعات المشردة فى سائر العالم لأنه ليس من العدل أن يطرد اليهود من جميع أنحاء العالم المتمدين وأن تتحمل فلسطين الضعيفة المغلوبة على أمرها هذا الشعب برمته و . . و .

● وللحقيقة ، وللتاريخ أيضا نقول ان الملك عبد العزيز آل سعود عندما لاح تأمر نورى السعيد وحكومة العراق ، ضد سورية وفلسطين بادر جلالته فأرسل مذكرة الى نورى السعيد باشا رئيس الوزارة العراقية أشار فيها الى انحراف حكومة العراق باستمرار عن شقيقاتها العربيات وأنه - أى الملك عبد العزيز - يتغاضى عن ذلك رغبة فى التبعاد عن كل ما قد يتخذ دليلا فى الخارج ، على وجود خلاف بينه وبين حكومة العراق ، فالموقف حرج ، وليس هو موقف أطماع .

ويقول الملك عبد العزيز : ان فلسطين مهددة بالابادة من جراء الخطر الصهيوني وان سورية مهددة بالخطر الفرنسي والتركي كما أن العراق أيضا مهددة من جانب تركيا وايران وأنا نخشى اذا استمرت الأزمة الدولية على حالها وبقي هذا « التشاد » بين العرب وفرنسا في سورية ، وبينهم وبين انجلترا في فلسطين أن تتفق الدولتان على العرب لاتقاء شرهم أثناء الحرب التي نخشى أن تدور رحاها - وكانت مذكرة الملك عبد العزيز الى الحكومة العراقية في ١٩ يونيو ١٩٣٩ ، أى قبل نشوب الحرب ببضعة أسابيع ، بين بريطانيا وبين ألمانيا وإيطاليا - وأن تطلقا يد الأتراك في سوريا والعراق ومن ورائهما ويقول الملك عبد العزيز آل سعود ليس في عزائنا ضعف ونحن لسنا جبناء ! .. اذا اقتضت الحالة نقتحم مشاق الأمور لادراك أسمى الغايات : لقد كانت المغامرات ونحن لسنا جبناء بعون الله وتوفيقه من أسباب انتصاراتنا » ويقول الملك عبد العزيز أن الخطر الداهم يقضى علينا بالتعاون والاتفاق ، لأن الموقف الراهن عندما نتصوره يقض مضاجعنا ويحرمننا لذئ الكرى فاذا لم نلتفت للأمر ، ونتفق اتفاقا جديا على السير في خطة مشتركة مع العراق وسوريا ، وفلسطين فان الخطر محقق بالجميع » .

● وللحقيقة وللتاريخ ، أيضا ، نقول ان كثيرين من السياسيين المصريين ، والصحفيين المصريين نصحوا القادة الفلسطينيين بقبول الكتاب الأبيض كخطوة أولى ، تتلوها - فيما بعد - خطوات أخرى ، يتم بمقتضاها حصولهم على حقوقهم كاملة ، وقد كان بعض هؤلاء السياسيين والصحفيين يقولون للاخوة الفلسطينيين ، لقد أصدرت بريطانيا تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ . وقد رفضته الأغلبية المصرية بقيادة سعد زغلول باشا ، الذى قال فى تصريح ٢٨ فبراير ما قاله مالك فى الحمر ، ولكنه اضطر فيما بعد - فى عام ١٩٢٤ - أن يلى الحكم هو وحزبه على أساس هذا التصريح بل لقد ظل سنوات وسنوات ، يتولى حزبه منفردا ، بقية الأحزاب المؤتلفة معه الحكم على أساس هذا التصريح ، الذى لم يلغ الغاء تاما ، الا بمعاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ - أى بعد ١٤ عاما .

وقد طالب هؤلاء السياسيون والكتاب القادة الفلسطينيين بان يتحملوا أعباء الحكم ، فى بلادهم حتى يأتى اليوم الذى يستكملون فيه استقلال بلادهم ، تاما مثلما حدث بمصر بالنسبة لتصريح ٢٨ فبراير ، الذى رفض شعبيا ، ونفذ عمليا ونفذته من كان ينتقده بالأمس ، ولكن نصائح هؤلاء الاخوة المصريين لم يؤخذ بها فكانت النتيجة أن الكتاب الأبيض ، لم ينفذ منه . الا ما جاء فى صالح اليهود الى أن قامت الحرب العالمية الثانية ، وتوقفت الثورة الفلسطينية وقرر حزب العمال البريطانى مطالبة الحكومة البريطانية بالغاء الكتاب الأبيض ، الذى حدد الهجرة ، كما قرر حزب العمال فى سنة ١٩٤٠ مطالبة حكومة

المحافظين بفتح أبواب الهجرة الى فلسطين والقضاء على كل أثر للكتاب الأبيض ، وتم لحكومة العمال ما أرادته ، وكان - ولأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة ، الأمريكية - أن أعلن البيت الأبيض في مارس ١٩٤٢ عن عزمه على إقامة دولة صهيونية في فلسطين ، وراح البريطانيون ، محافظين وعمالا ، كما راح الأمريكيون ، جمهوريين ، وديمقراطيين ، يتنافسون على ارضاء الصهيونية التي ثبتت أقدامها في الأراضي الفلسطينية ! •

وبعد الاطالة في الحديث عن القضية الفلسطينية ، والمؤتمرات الخاصة بها والمحاولات التي استهدفت حل الخلافات العربية نجد لزاما علينا أن نعود الى الحديث عن بعض الأمور الداخلية الهامة في مصر وفي المقدمة قضية فرضت نفسها على الجمع المصري ، لما لصاحبها من مكانة مرموقة في المجتمع ، ونعنى بها قضية الأستاذ توفيق الحكيم الذي فتح النار على المرأة المصرية بكل عنف •

الباب الرابع

الفصل الأول

عدو المرأة يفتح النار على المرأة

أود في بداية هذا الفصل أن أشير على سبيل التذكير ، لا أكثر ولا أقل ، إلى « أزمة نفسية متعبة » تعرض لها أستاذنا الكبير توفيق الحكيم .. وكان الأستاذ توفيق الحكيم قد تعود أن يكتب في فترات متقطعة بعض المقالات في الاجتماع وفي السياسة . ينشرها إما في الأهرام أو في المصور ، أو في غيرها من الصحف المصرية . غير أن بعض خصوم الأستاذ توفيق الحكيم – وخاصة بعض أعضاء مجلس الشيوخ المصري – رأوا في تلك المقالات مقاومة للنظام النيابي القائم في مصر وقتئذ .

وتحركات وزارة المعارف ، لتطبيق على الأستاذ توفيق الحكيم المادة « ١٤٤ » من القانون المالي . بل لقد أبت تلك الوزارة ، وزارة المعارف ، إلا أن توقع عقوبة على الأستاذ توفيق الحكيم ، قبل أن يثار موضوع مقالاته في مجلس الشيوخ . وكانت العقوبة عبارة عن خصم ١٥ يوما من مرتب الأستاذ توفيق الحكيم .

وقد عقيبت مجلة « المصور » في عددها الصادر بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٣٨ على هذا التصرف من وزارة المعارف بقولها :

« عقوبة كهذه ، مهما كانت لأسباب شريفة وعفيفة ، ومهما كانت للمؤاخذه على رأى عام لم يقبل فيه وجه الدفاع ، تعتبر قاسية على نفوس الأدباء ، ذوى الوفاء التام للواجب ، ولم تكن ثورة الأستاذ توفيق الحكيم النفسية على العقوبة .. وإنما على الوضع الذى أدت اليه الحادثة ، حتى أنه فكر فى الاستقالة ، ولكن أصدقائه ومجبيه هونوا عليه الأمر ، وأفهموه أن الحركات « الايديالية » فى هذه البلاد لم يحن أوانها بعد ، وإن الحكومة فى حاجة الى أدبه وعلمه » .

انتقل مباشرة الى موضوع يحسبه البعض موضوعا شخصيا ، أو موضوعا عاديا ولكنه فى رأى ، من الموضوعات الهامة والجوهرية ، لانه يتعلق بحرية الكاتب فيما يكتبه .

لقد حدث أن نشر الأستاذ توفيق الحكيم في العدد رقم ٢٢٩ ، من مجلة آخر ساعة ، التي كان يصدرها وقتئذ الأستاذ محمد التابعى يرحمه الله ، وبتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩٣٨ ، مقالا بعنوان : أنا عدو المرأة والنظام النيابى ، لان طبيعة الانثى فى الغالب واحدة : الثرثرة . وقد جاء فى هذا المقال :

« اذا أردتم أن تأخذوا رأى فى مشكلة الحكم فى مصر فخذوه على انه رأى رجل بعيد عن المعمة يشرف عليها من أعلى البرج ، دون أن يكون له فيها عنزة أو خروف . »

ويقول الأستاذ الحكيم :

« أقول لكم فى صراحة ، ان هذه الديمقراطية كما تفهمونها وتزاولونها فى مصر هى أصلح أداة لتولية الحكم غير الصالح ، وأنه ينبغى لكم ، ألا تنهروا بالالفاظ الأوروبية ولا تنقيدوا بالنظم الأجنبية ولا تترددوا فى اتباع ما فيه النفع الحقيقى وترك ما فيه الغرم ، وضياع الوقت فاذا اتضح لكم يوما أنه « البرلمان » وما ينفق عليه من آلاف الجنيهات سنويا هو غرم لا نغم فيه فحولوه فى الحال الى مصنع طائرات يحتشد فيه بدل جموع الأعيان الموسرين أفواج العمال المصريين من أولئك المساكين ، المتسكعين العاطلين الذين يلتقطون فتات المقاهى ، والبارات حتى يعملوا عملا شريفا ويشيدوا مجدا خالدا : نعم فلئن كان قد كتب على القبة الذهبية أن تخرج شيئا طائرا فى الهواء فلا ينبغى أن يكون ، دائما الصياح والخطب فاذا شعرتم انكم فى حاجة الى معمل انتاج لا الى معمل كلام فانهضوا فى الحال الى تنفيذ ذلك واضعوا أيديكم لتغلقوا قليلا هذا الفم الواسع الكبير حينما المتثائب أحيانا ، لتسكتوه الأعوام التى ترونها لازمة كى يتسنى للأيدى وحدها أن تنطلق عاملة فى هدوء ونشاط فالغم ، اذا سكنت واليد اذا عملت استطاع الانسان أن يتقدم أيضا وهنا تتلاشى الأحزاب والأحقاد ، والأغراض وتصبح العيون كلها متجهة الى الرجل ، المنتج حقيقة ، وعند ذلك تلزم لكم حكومة لابد من أن يتوافر فيها هذه الشروط ! أن يكون أعضاؤها من أولئك الذين اشتهروا بقلّة الكلام وسرعة العمل وثانيا الا يكون لأعضائها لون حزبى واضح ، ثالثا أن يكون عدد أعضائها قليلا فان خير ادارة هى الموضوعية فى الأيدى القليلة الخيرة » ! .

ورشح لتلك الوزارة على ماهر وحافظ عفيفى ، وعبد الحميد بدوى ، وأمين عثمان ، وعبد السلام الشاذلى ، وعبد الرحمن عزام ، وعزيز المصرى ، وحبيب حنين المصرى ، وعبد القوى أحمد ، وعبد الواحد الوكيل ، وهؤلاء ، كما سماهم توفيق الحكيم « العشرة الطيبة » ، المشهود لهم فى جميع المناسبات بالعمل الصامت ، وقلة الميل الى الحزبية العمياء والخطب العصماء .

ويقول توفيق الحكيم : « ان الذى أفسد بلادنا هو تعطيل ذوى الخواهب يحتشد بعضهم ضد بعض فى اقتتال عنيف مستمر لم يكن له نتيجة غير انحطيم الجميع . ويختم توفيق الحكيم مقاله : فيا أهل البلد هل تروننى قد أخلصت لكم النصيح ان كان الجواب لا ؟ فأنتم فى حل أن تقولوا لى اطلع من البلد وسوف يأتى اليوم القريب الذى أذكركم فيه بنصيحتى صائحا : قلنا لكم كده ، قلتم اطلع من البلد » .

ويغضب توفيق الحكيم ، بمقاله هذا رجال السياسة . ! وزعيمات النهضة النسائية وعلى رأسهن هدى شعراوى ، ويقول توفيق الحكيم ، كان غرضى العمل المنتج ، وليس الثروة الفارغة وهكذا صرت عدوا للمرأة وللنظام البرئانى وهى عداوة موقوتة طبعاً بأسبابها وتزول بزوالها .

ويقرر محمد محمود باشا رئيس الوزارة أن يفصل توفيق الحكيم من وظيفته بقرار من مجلس الوزراء ، ولكن بعض أعضاء وزارته — كما قال توفيق الحكيم — كانوا من الادباء والفكرين من أمثال د . هيكى والشيخ مصطفى عبد الرازق ، استمهلوه رغبة فى معالجة الأمر بوسيلة أخرى فصاح فيهم : أنتم أذباء مع بعض وتريدون الماطلة ولكن اذا أنتم لم تنهوا الموضوع بعقاب رادع سريع ، فى ظرف أسبوع فلا بد من اجراء حاسم بواسطة مجلس الوزراء القادم ، وكان الدكتور هيكى هو وزير المعارف فأحضر المستشار الملكى للوزارة فناقشنى فى أمر المقال ، وبعد ذلك حادث الوزير وكيل وزارته العشماوى بك فى أمر العقوبة حتى يستطيع أن يقابل رئيس الحكومة ويخبره ان العقوبة وقعت وانتهى الموضوع . . . واقتراح أن تكون العقوبة الرادعة وقف مرتبى لمدة عام ونصف عام فقال له العشماوى بك : ان هذا ليس من حق الوزير بل من حق مجلس التأديب .

ويقول الأستاذ توفيق الحكيم ، انهم فكروا فى حالته الى مجلس تأديب، ولكنهم طرحوا الفكرة جانبا ففى المجلس دفاع ومرافعة ، وقد ينقلب الأمر الى مظاهرات وروح المجلس يتجه الى البراءة . وعند ذلك تكون صفقة للحكومة . وقيل للوزير ان سلطته لا تتجاوز خصم خمسة عشر يوما من المرتب ، فاضطر اثنارا للسلامة أن يلجأ الى هذا الحل . وحاول الدكتور هيكى أن يقنع رئيس الحكومة بمعاونة الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وقد كان ، ووقع بالفعل هذا الخصم بأمر وزارى جاء فيه :

« لما كان كاتب مقال : أنا عدو المرأة والنظام النيابى . . لان طبيعة الاثنين واحدة ، الثروة — وهو مدير ادارة التحقيقات فى الوزارة فقد سألناه فلم ينكر نسبة المقال اليه ، وكتب لنا خطابا يؤكد ذلك وقد ذكر فيه أن قصده لم ينصرف الى اهانة هيئة أو أعضاء هيئة من الهيئات النظامية بمصر أو خارجها ولا الى الغض من اعتبار أشخاص بعينهم ويذكر ، كذلك أنه حسن القصد فيما يكتب .

ولما كانت المادة ١٤٤ من القانون المالى معدلة بقرار مجلس الوزراء الذى صدر فى ٣٠ يناير ١٩٢٩ تحظر على الموظفين أن يبدو علانية ملاحظات أو آراء أو نزعات سياسية ولما كان المقال المذكور يتناول ابداء رأى الكاتب فيما يخالف النظام القائم فى مصر فضلا عما به من تعريض بالأشخاص الذين اقترح تأليف الوزارة منهم مؤداه انهم يشاركونه رأيه فى خصومة الحياة النيابية .

ولما كان تصرفه هذا يخالف المادة ١٤٤ من القانون المالى مخالفة صريحة ربما خفف منها أن الكاتب بدا من مناقشته بحضور صاحب العزة المستشار الملكى للوزارة انه لا يدرك بالضبط مدى ما تنسج له هذه المادة ولما كان ذلك مما يشفع دون توقيع عقوبة العزل على حسب نص المادة المذكورة لذلك قررنا خصم خمسة عشر يوما من مرتبه .

ويوقع القرار فى ٢٦ أكتوبر ١٩٣٨ دكتور محمد حسين هيكى وزير المعارف وبلغ الأستاذ توفيق الحكيم مدير ادارة التحقيقات بالوزارة بهذا الأمر عن طريق وكيل الوزارة الأستاذ محمد العشماوى (بك) .

ويفكر الأستاذ توفيق الحكيم فى الاستقالة من الحكومة اذ كيف توقع عقوبة على مدير التحقيقات الذى من اختصاصه أن يوقع هو العقوبات على المذنبين لا أن توقع عليه العقوبات . ولكن أصدقاء الأستاذ توفيق الحكيم - كما سبق أن ذكرنا - لم يروا رأيه فى تقديم الاستقالة بل رأوا أن يبقى فى وظيفته مع استمراره فى مواقفه ، وفى تمسكه بأرائه لان استقالته تريخهم ، أما بقاؤه مع آرائه فهو الذى يقلقهم .

ويقول الأستاذ توفيق الحكيم : بقيت فى وظيفتى أوصل الكتابة بنفس الروح والاتجاه وأتصرف فيما يعرض لى من قضايا برأى نفسه فما أن يقع فى يدى موظف اتهم فى قضية أو رأى سياسى حتى أبرئه وأحفظ قضيته الى أن ضجت الوزارة منى ، ولم تعرف كيف تتخلص من هذا الا بإنشاء ادارة جديدة ، انشاء مفتعلا سوريا أسموها ادارة التمثيل والموسيقى ونقلونى من ادارة التحقيقات الى هذه الادارة وأنا فى اجازتى فى صيف عام ١٩٣٩ . وهكذا صرت مديرا لادارة التمثيل والموسيقى ، التى لا اختصاص لها الا على الورق .

● وللحقيقة وللتاريخ ، نقول ، ان المحنة ، التى تعرض لها الفكر فى مصر وتعرض لها الأستاذ توفيق الحكيم بسبب المقال الذى نشره تحت عنوان : أنا عدو المرأة ، والنظام البرلمانى لان طبيعة الاثنين واحدة « الثرثرة » هذه المحنة التى كانت فى عهد محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء ، يومئذ وجدت

من يدافع عنها في شخص الأستاذ حفنى محمود بك ، شقيق رئيس مجلس الوزراء محمد محمود باشا فلقد كتب الأستاذ حفنى محمود فى مجلة آخر ساعة بتاريخ ٣ نوفمبر ١٩٣٨ مقالا ، تحت عنوان غضب « الديمقراطية » قال فيه :

« أصيبت الديمقراطية فى هذه الأيام بتوتر أعصاب ، وعسر هضم ، أفضيا إلى الاضطراب ، وتطور هذا الاضطراب إلى غضب ، يتفجر ، وغيظ ، غير مكتوم ، فالديمقراطية اليوم خائفة على كل شيء ، ترتاب من لا شيء ، وتنزعج من أى شيء ، أزعجها توفيق الحكيم عندما كتب مقالا بمجلة آخر ساعة داعب الديمقراطية فى أشخاص نوابها المحترمين أو نواب الشعب كما يجبون أن يسميهم الناس وفى قول آخر نواب العهد الحاضر ، وفى رواية أخرى نواب الحكم الصالح .. أقول ذلك ، وأنا فى غاية الاضطراب فقد يعرضنى هذا الكلام لغضب الديمقراطية فأفاجأ باحتجاج صاحب من سعادة محمد محمود خليل بك قطب الديمقراطية فى هذا الزمان اذ ان الطريقة الديمقراطية كالطريقة الصوفية لا تستغنى فى كل وقت عن « قطب الوقت » .

وقد يطلب سعادة قطب الديمقراطية – أى محمد محمود خليل بك – التحقيق معى ، كما فعل مع توفيق الحكيم بل قد يذهب إلى أبعد من ذلك فيرسل إلى الصحف أنباء هذا الاحتجاج ، كما فعل مع معالى كبير الأمناء فى حادث التشريعات ، ولكن لماذا غضبت الديمقراطية على توفيق الحكيم ، ان مقاله ينقسم إلى قسمين : أحدهما تعرض للديمقراطية كمبدأ عام ، والآخر ، تناول أشخاصا من رجال الحكم أنفسهم أما تناول المبادئ العامة فلا أظن أن الحكام – الأحرار الدستوريين – الذين غضبوا لحرية الرأى فى عام ١٩٢٥ حين أخرج الأستاذ على عبد الرازق كتاب « الاسلام وأصول الحكم » ورغب البعض فى معاقبته ، والذين ثاروا عندما نشر الدكتور طه حسين كتابه : « فى الشعر الجاهلى » وأراد أعضاء البرلمان تقييد حرية الكاتب لا أظن أن هؤلاء الأحرار الدستوريين يحللون اليوم بعض ما حرموا بالأمس خصوصا أن الأستاذ على عبد الرازق كان موظفا والدكتور طه حسين كان موظفا أيضا مثل توفيق الحكيم .

أما فيما يتعلق بذكر توفيق الحكيم ، لأشخاص بالذات فإنه اذا كانت فى هذا العمل مجافاة للذوق السليم . فليس على كل حال أبعد عن الذوق من موقف سعادة قطب الديمقراطية حينما نشرت الصحف احتجاجه على معالى كبير الأمناء ، وقد عودتنا الديمقراطية – فيما عودتنا – أنها لا تهتم كثيرا بمسائل الذوق وخفة الروح ، بدليل أن الحكومة القائمة نفسها وهى حكومة الديمقراطية ، تخلصت من رئاسة صديق الجميع الأستاذ محمود بسيونى فى مجلس الشيوخ وهو أخف الناس دما وأبعدهم عن الأحقاد الحزبية وأكثر المصريين قاطبة ديمقراطية ، وهو الذى تستظرفه الأحزاب كلها ، ويبدل معروفه لكل الطبقات ،

سنوات ما قبل الثورة ج٢ – ٣٥٣

ولكن ذلك ، وهو كثير لم يشفع له ، واستبدلت به الحكومة الديمقراطية الرئيس الحاضر ولتل نزع الرئيس الحالي « المالية الفرنسية » - وما - يذل من « كرم » - ارسنقراطي غربي لا يمت الى الشرق بسبب لعل هذا يجعل مناجة الديمقراطية في مصر قائمة عدة سنوات .

ويمضي الأستاذ حفي محمد - وكان وقت كتابة مقاله هذا عضوا بمجلس النواب - يمضي قائلا : « ولعل مما يقلق الديمقراطية عندنا ، ويثير غضبها هو كثرة عشاقها ، فكل حزب يتغنى بها ، ويدعى الذود عنها ، ويتظاهر بالتفاني في هواها ، والتدله في غرامها ، حتى تسابق الجميع في « الزايدة » فأقلقتها كثرة المتصابين واحتشاد الطالبين فأصبحت تريد أن تعرف ما وراء هذا الكلام المعسول ، وما تكنه لها القلوب ترى ماذا يكون شأنها ، وأية فجيرة تصيبها ، لوي تكشف لها قلوب أولئك المحبين يوهيا فوجدت منقوشا عليها « فليتحيد الدكتاتورية » ، ويومئذ تعلن الديمقراطية أعجابها بصراحة بشخصين أولهما توفيق الحكيم » .

« حفي محمد »

ويقول الأستاذ توفيق الحكيم : « كان من الطبيعي أن تقف جميع الصحف الحزبية ضدّي لأن موقفّي كان ضد الأحزاب جميعا ، إذ أن أي نقد أو طعن في الأساس الذي يقوم عليه حكم الأحزاب وهو الحياة النيابية معناه توقف النشاط الحزبي وما كان يهمني وقتذاك ليس هو النشاط الحزبي بل الذي كان يهمني وقتئذ هو النشاط الانتاجي ولذلك دهشت عندما وجدت واحدا من أقطاب حزب الأحرار الدستوريين ، وهو في الوقت نفسه شقيق محمد محمود باشا رئيس هذا الحزب ورئيس الحكومة الموجودة في السلطة ، والمطالب بفصلي هو المتفرد بالدفاع عن موقفّي ، ضد شقيقه وضد حزبه ، انه حفي محمد ، وكان معروفا بهذه الروح الاستقلالية في النظر والرأي » .

وأفتح قوسا وأقول فيه : « انني كنت أعرف حفي محمد على انه أشهر صناع المقالب السياسية ، في مصر ، وكنت أقرأ له العديد من المقالات فتستهويني الى درجة كبيرة ، ولكنني لم أكن أتصور ان حفي محمد هو كاتب تلك المقالات فقد كان شائعا في سنوات ما قبل الثورة وجود « كتاب من الباطن » يكتبون المقالات الخلوة اللذيذة والرائعة ، والفاتنة في نفس الوقت ، ولكن تلك المقالات تنسب الى الغير ممن يملكون المال والجاه ، وكان بعض هؤلاء « الكتاب من الباطن » عندما يريدون فضح من يكتبون بأسمائهم على نطاق ضيق للغاية وعند مجموعة من الناس - يقرأون ، عليهم بعض المقالات التي سوف تنشر فيما بعد باسم صاحب المعالي فلان أو اسم صاحب العزة علان أو ، أو

ظننت وبعض الظن اثم أن حفي محمد من هؤلاء الذين يكتب لهم من

الباطن ولكن عندما بدأت عملي بالمصور ، وخلال فترة التدريب ، التي طالت ، طليبت مني إدارة تحرير المصور بضعة مقالات من حفي محمد باشا ، وكان حفي محمد ، لا يأخذ أجرا على مقالاته تلك بالطبع ، وكان ذلك مما يدفع الكثيرين من أصحاب الصحف ، الى استكتابه كنت أتصل بحفي محمد باشا فيطلب مني اسم الموضوع ، الذي سوف يكتب فيه ، وعندما يوافق عليه يعطيني موعدا في مكان لا يتغير ولا يتبدل ، ناشيونال أوتيل ، في شارع سليمان باشا ، فلا نكاد نلتقي ونتبادل التحايا ونشرب القهوة ، حتى يبدأ حفي محمد في املاء مقالته على ، وأشهد أنه كان أديبا مطبوعا بحق فما أكثر مما كان يستشهد بالعديد من أبيات للشعراء المخضرمين ، وللمحدثين من الشعراء ، ولم يكن بحاجة الى التأكيد من صحة ، هذا البيت ، أو ذاك ، فقد كان يمليه من الذاكرة ، ولا أعتقد أبدا وقد جربته في ست مقالات أو سبع ، ان الذاكرة ، قد خائته ، أو أنه أخطأ مرة واحدة في رواية بيت من الشعر ، أو جملة أبيات :

وقد كان في مقدمة ما وثق العلاقة بين حفي محمد باشا وبينى ، اننى رغم خلافى فى الراى مع الأحرار الدستوريين ومع محمد محمود باشا ، نشرت ، وكنت وقتئذ لا أزال طالبا فى كلية الحقوق « يناير ١٩٤٦ » دراسة ربما كانت أول دراسة لى - عن محمد محمود ، حرصت فى بداية هذه الدراسة على أن أؤكد خلافى مع محمد محمود ومع حزبه ، وأذكر اننى قلت بالحرف الواحد : كنت فى حداثة سننى - وما زلت حتى اليوم - سيمى الظن الى أبعد الحدود بكثير من رجال السياسة القدامى لانهم فى نظرى يؤمنون بالخلول النصفية ، وأنا لا أؤمن ، يحبون التسليم بالأمر الواقع ، وأنا لا أحب ، يرغبون فى النوم حتى تخين صناعة الاستيقاظ وأنا من أنصار اليقظة ولو كانت فى منتصف الليل :

كنت طفلا عندما كان محمد محمود باشا رئيسا للوزارة فى المرة الأولى فلم أدرى أكان يلبس قفازا حديديا أم قفازا حريريا ولم أكن أستطيع التمييز بين ديمقراطية النحاس ، ودكتاتورية محمد محمود ، ولكن وقر فى ذهنى وانطبع فى عقلى ، أن محمد محمود عطل الدستور وواد الحريات ، ومن طبعى حب الدستور والايمان بالحريات .

وقيل لغيرى ولى أن محمدا يتيه على الناس بهيله ، وهيلمانه ، وجاهه ، وسلطاناه ، ويتجافى عن الاتصال بالشعب ، ويتعالى على الطبقتين الثانية والثالثة بل الأولى وأنا من أولئك الذين يقدسون الشعب ويكرهون من يتغالون عليه لذلك كرهت محمد محمود ، وأبغضته .

وعن ذراستى عن محمد محمود قلت أيضا - بالحرف الواحد : عقب وفاة محمد محمود فى ٣١ يناير ١٩٤١ . بدأت أشتد للكتابة عن محمد محمود وفلا انتهيت من كتابتى ، بعد ثمانية أشهر ، ولكن الأحكام العرفية حالت بينى وبين

نشر ما كتبته ، ثم اعتقلت ذات يوم ، أو على الأصح ذات شهور واعتقل معي ما كتبته وأفرج ، عنى ، ولم يفرج ، عما كتبته فاضطرت الى معاودة الكتابة مرة ثانية ، لم تكن أسعد من الأولى وهذا الذى بين يديك أيها القارئ العزيز هو الكتيب الثالث الذى عزمت ، على نشره فى العام الفائت « عام ١٩٤٥ » ولكن وجود الأحرار الدستوريين بصفة عامة ، وحفنى محمود باشا بصفة خاصة فى الوزارة قد حال بينى وبين النشر لأسباب تقدرها نفسى تمام التقدير » .

وأشهد - للأيام التاريخية - ان حفنى محمود ، رغم ما اتصف به من انه صاحب المقالب السياسية ، وغير السياسية كان من أصلب العناصر السياسية عودا ، ومن أبعدهم عن الاستفادة من السياسة ، شابا ، وشيخا . . . يرحمه الله !

● وقبل أن أنتقل الى موضوع آخر ، أقول ، أن الأستاذ توفيق الحكيم لم يتوقف عن الكتابة فيما يرى أنه الحق ولو عرضه ذلك للمخاطر ، بل ظل يترك ، لقلمه العنان ، لا يقيد به أى قيد ، الأمر الذى جر عليه الكثير من المتاعب والمشاق ، وكانت وزارة المعارف قد تلقت كتابا من مشيخة الأزهر بشأن حظر كتابه « يوميات نائب فى الأرياف » بناء على شكوى من بعض القضاة الشرعيين ، فاذا بتوفيق الحكيم يتحدث الى جريدة المقطم فى هذا الموضوع ، وكان مما جاء فى حديثه : أننى بصفتى كاتباً ، اجتماعياً قد أردت فى كتابى إبراز صورة للقضاة الشرعيين ، الى جانب الصورة المرسومة للقضاة الأهليين ، ولرجال النيابة ، والبوليس وأطباء الصحة ، والعمد وغيرهم ، ولا أظن القضاة الشرعيين يتمتعون بقدرات خاصة ، وحصانة دينية تجعلهم فى مكان لا ترتفع اليه يد النقد ، والاصلاح والتطوير .

أما تدخل شيخ الأزهر فى هذه المسألة فهو ما يدعو الى الدهشة والتأمل ، والعجب وقد آن الأوان لنواجه الأمر ، فى صراحة فيما يتعلق بتدخله المتكرر فى شئون الدولة الفكرية وأن نتدبر من الآن الخطر ، الذى يهدد حرية الكتابة وحركة التأليف ونهضة العلوم اذا سيطر على الحياة العقلية فى هذا البلد المصرى بمثل هذا الروح و . . . و . . .

ولكن ظهر ، أن شيخ الأزهر ، لم يكتب الى وزارة المعارف فقد دعا الدكتور محمد حسين هيكل وزير المعارف ، الأستاذ توفيق الحكيم مؤكدا له أن الأزهر ، لم يتدخل على الإطلاق لا فى كتابه ولا فى غيره من الكتب التى تدرس فى وزارة المعارف . وقد اعتذر الأستاذ توفيق الحكيم بأن الصحفيين أفهموه صحة واقعة شكوى الأزهر ، الى وزارة المعارف ، وقيل والعهدة على الرواة - المقطم ، وغيرها من الصحف المصرية - ان الدكتور هيكل طلب من الأستاذ توفيق الحكيم ، أن يعتذر عما ورد فى حديثه بخصوص الأزهر ، غير أن الأستاذ توفيق الحكيم رفض مبدئياً استعداده لتحمل ما قد ينشأ على هذا الرفض من قرارات وقيل أيضاً أن

الأستاذ الدكتور هيكال قال انه ، فى هذه الحالة مضطر ، الى أن يرفع الأمر الى مجلس الوزراء ، ليتخذ ما يراه .

ويستدعى محمد محمود خليل بك رئيس مجلس الشيوخ الأستاذ توفيق الحكيم ليتحدثا معا فى موضوع الكتاب والضجة التى أثارت حوله .

وأخيرا تسوى المسألة ، ويعتبر الموضوع كله منتهيا ١

والجدير بالذكر ، ان الأستاذ الكبير توفيق الحكيم كان منذ أن بدأ ينشر ما يكتبه ، أو ينشر بعض ما يكتبه يعتمد اثاره الراى العام ، فى كثير من القضايا حتى ولو كانت عملية الاثارة تلك لا تتفق وآرائه الخاصة وجوانياته ومن القضايا التى كان يعتمد اثارها ، وتختلف مع طبيعته كفنان ، عدوانته المصطنعة للمرأة ، فلقد ظل توفيق الحكيم معروفا بأنه عدو المرأة رقم ١ رغم أنه فى قرارة نفسه محب للمرأة ، بل عاشق لها ، وكانت تلك العداوة الزائفة قد بدأت فيما أذكر بحديث للمصور حمل فيه على المرأة المصرية وقال ، انه لا وجود للزوجة الصالحة فى مصر وأن المرأة التى تصنع صينية بطاطس فى الفرن ، أجدى عنده من المرأة ، التى تقدم له جميع دبلومات الفلسفة ، وكانت ثورة الجنس اللطيف وغير اللطيف على توفيق الحكيم . وكان توفيق الحكيم – كما سنوفى تلك القضية حقها من الايضاح – أسعد الناس بهذه الثورة ، التى جعلت منه ومن الشيخ محمود ابو العيون أشهر اثنين – معادين فى الظاهر – للمرأة . فلو كان توفيق الحكيم – حقا – معاديا للمرأة لما نجح ذلك النجاح الرائع ، فى تصوير بطلات قصصه ، ورواياته .

وبعد قضية توفيق الحكيم تجيء قضية أم كلثوم وهى – قضية أم كلثوم .. من القضايا الطريفة التى شغلت المجتمع المصرى لفترة غير قصيرة .

الفصل الثاني

يدعى الزوج من أم كلثوم فتقاضيه أم كلثوم

لكي تكون الصورة التي تقدمها لسنوات ما قبل الثورة صادقة وواضحة تماما نتوقف بعض الوقت عند قضيتين أثارنا اهتمام الرأي العام المصري والتقت عندهما صحافة الأحزاب كلها مؤيدة ومعارضة ، وكان التقاؤها حول موضوع واحد باتجاه واحد من الأمور النادرة بل شبه المستحيلة ، وكان المدعى عبد الستار الهلالى قد ادعى الزواج من أم كلثوم سيدة الغناء العربى طالبا اياها الدخول فى بيت الطاعة . وكانت أم كلثوم قد رفعت دعوى ضد عبد الستار الهلالى فى ١٣ يونيو ١٩٣٦ وقد نظرت القضية ، أمام محكمة السيدة زينب الجزئية وكانت الجلسة قد افتتحت برئاسة خضرة الأستاذ محمود سعيد القباضى ، وبحضور الأستاذ عبد الحليم البطاسى وكيل النيابة - وأنا أنقل هنا بعض ما ورد فى جريدة كوكب الشرق المؤيدة للوفد المصرى : عقب فتح الجلسة أخذت المحكمة فى نظر القضايا حتى الساعة الحادية عشرة ثم نودى على قضية مدعى زوجية أم كلثوم فحضر المتهم ومعه محاميه وحضرت الأنسة أم كلثوم ومعها الأستاذ فكرى أباطة ووجهت المحكمة التهمة الى المتهم فأبكرها واستبدعت المحكمة أم كلثوم أمام المنصة وسئلت على سبيل الاستدلال ، من المحكمة عدة أسئلة ؛ أجابت عليها بأن المتهم قذف فى حقها فى حديث له مع مراسل إحدى المجلات بادعائه الزواج منها وقالت انها لم تعرفه فى حياتها أبدا ، وحدثت مناقشة بينها وبين المحكمة . ثم استبدعت الأستاذ أحمد حسن رئيس تحرير مجلة روز اليوسف فأقسم وقال أن مراسل الجريدة اليومية ارسل لنا خبر هذا الزواج فنشرناه بعد اطلاعى عليه وبعد ذلك بأيام حضر لى عبد الستار مع واحد اسمه حسن أفندى الهلالى موظف بالمعارف وقدمه لى وقال لى : « الجريدة كتبت أنه فقير والحقيقة أنه غنى وأعطاني صورته على أن أكتب فى الموضوع » وقال لى وقتها أنه كان يعاشرها معاشرة الأزواج وأنه أعطاها ألف جنيه وأنه بينه وبينها قضية شرعية ، ولما سألته عن مستندات هذه القضية قال انها محفوظة فى دوسيه المحكمة الشرعية بقنا فكثبت حديثا ووقع عليه ولكنى

لم أنشره فحضر بعد أيام وطلب أصل الحديث فسلمته اليه بعدها طلبت من مأمون الشناوى أخذ صورة منه وكان عبد الستار يتكلم فى الصالة الخارجية على الترابيزة الخضراء وكان الدخول مسموحا لاي شخص فى الصالة والذى عرفنى به هو حسن أفندى الهلالى لاننى كنت موظفا معه فى وزارة المعارف ، وبعدها سألت أم كلثوم فى التليفون فقالت لى : هو انت برضه بتصدق الكلام ده ونظر الى المتهم وقال هو نفس الشخص الذى حضر لى .

فناقشه الدفاع فى كلامه ، وهنا قال المتهم أنا رافع دعوى نمره ٣٩١ بآلف جنيه ضد الشاهد ، فقال الشاهد ، لم يصلنى اعلان وبعد ذلك انتهت شهادته واستدعى بعده ابراهيم أفندى خليل والسيدة روزاليوسف وسمعت شهادتهما وصدر الحكم بحبس المتهم ستة أشهر وكفالة عشرة جنيهات لوقف التنفيذ .

ويستأنف المتهم الحكم ، وتحدد جلسة ١٨/١٠/١٩٣٦ لنظر القضية أمام محكمة السيدة زينب الأهلية .

وعن قضية الاستئناف قالت الأهرام فى ١٩/١٠/١٩٣٦ تحت عنوان : قضية القذف فى حق الأنسة أم كلثوم : تأييد الحكم القاضى بحبس المتهم .

كان أمس موعد نظر الاستئناف المقدم من عبد الستار الهلالى عن حكم محكمة السيدة زينب الأهلية القاضى بحبسه ستة أشهر وتغريمه ٥٠ جنيتها لادعائه كذبا زوجية الأنسة أم كلثوم وقذفه اياها فى حديث نشر بجريدة البلاغ وفى أحاديث أخرى الى الأستاذين مصطفى القشاشى صاحب صحيفة الصباح وأحمد حسن رئيس تحرير مجلة روز اليوسف والى السيدة روز اليوسف .

وقد جرى بالمتهم من السجن ووقف فى قفص الاتهام ، وعقدت الجلسة برئاسة حضرة الأستاذ ابراهيم حلمى القاضى وحضر الأستاذ فكرى أباطة المحامى عن المدعية الأنسة أم كلثوم وحضر مع المتهم الأستاذ أبو بكر سرى الدين المحامى .

وقرأ حضرة رئيس الجلسة تقريره عن الموضوع على أساس التحقيقات التى تمت فى القضية وهو يتضمن أن تحريات رجال الادارة أثبتت أن المتهم لا يملك سوى ٢١ قيراطا وسهمين وان له ثمانى سوابق احداها بالأشغال الشاقة لمدة ثلاث سنوات لاتهامه بالسرقة بالاكراه .

محامى المتهم - ثابت من صحيفة سوابق المتهم خلوها من السوابق .

الرئيس : معلشى .

المحامى - اذن نستبعد مسألة السوابق .

المتهم - (يحاول الكلام)

الرئيس - أسكت حتى يأتى دورك .

ثم وقف الأستاذ فكرى وبدأ مرافعته قائلا : وصلنا اعلان دعوى طاعة فاعترتنا الدهشة وذهبنا الى المحكمة الشرعية ففى أول جلسة اعتذر المتهم عن حضور القضية لانه كان مشغولا فى المحكمة المختلطة ، وفى الجلسة الثانية احتج بأن محاميه تخطى عنه ، وفى الثالثة لم يحضر فشطب القضية فجددها ولم يحضر فشطب فاستأنف الحكم ، وظل يؤجل ويراوغ دون أن يقدم دليلا على الزوجية .

ولما أبلغنا النيابة بحثت جميع جهات الحكومة عن المتهم فلم تجده فحققت النيابة البلاغ وقدمت القضية الى المحاكمة فلم يحضر الا بعد عدة جلسات وانتظروا منه أن يقدم دليله على الزوجية واذا به يقدم لنا عدة أوراق ظاهر فيها التلاعب والتزوير ويدعى أنها خاصة بأملأكه .

وقدمنا لحضراتكم قائمة بها ثمانى سوابق بتواريخها ونمر قضاياها ، ولكن الحكومة تقول أنها لم تجد له سوابق والظاهر أن الحكومة كشفت عن سوابق شخص آخر لان الأوصاف التى قدمتها الحكومة ليست هى أوصاف المتهم الحالى .

« وهنا وقف الأستاذ بولص أرمانىوس المحامى عن الآنسة أم كلثوم أيضا وقال أنه قدم بلاغا الى النيابة بشأن سوابق المتهم فأتضح بعد التحقيق أن الأحكام الصادرة عليه باسم عبد الستار محمد عثمان ، ولكن صحيفة السوابق المودعة فى ملف القضية الحالية باسم عبد الستار الهلالى لأن قضايا القذف تطلب سوابق المتهم بالاسم لا بالبصمة » .

واستأنف الأستاذ فكرى مرافعته فقال ان المتهم لا صناعة له الا خلق المشاكل مع الناس وأراد حضرته أن يذكر حادثا وقع بين المتهم وأحد القضاة فرجا منه الرئيس الا يستمر فى ذكر هذا الحادث .

وتكلم الأستاذ فكرى بعد ذلك عن تهمة القذف وكيف تحدث المتهم الى مراسل جريدة البلاغ فى دشنا عن الزوجية المزعومة وكيف حضر الى العاصمة وتحدث مع الأستاذين مصطفى القشاشى وأحمد حسن والسيدة روز اليوسف عن الزوجية وظروفها وطلب تأييد الحكم المستأنف .

ثم وقف الأستاذ سرى الدين المحامى عن المتهم فقال اننا نجل الآنسة أم كلثوم ولكنها مهما بلغت من الشهرة فانها امرأة وامرأة ضعيفة لها عاطفة ككل السيدات : كتبت الصحف وتحدثت الناس ان كذبا وان صدقا عن موضوع الزواج ، وتقدم عبد الستار للمحاكمة وأخذ أخذ عزيز مقتدر فلم يستجوب فى التحقيق اطلاقا .

وقد لفت نظري في الحكم الابتدائي ثلاثة أمور - أولا - عدم تحقيق دفاع المتهم حيث طلبنا وقف المحاكمة الى أن يتم الفصل في الدعوى الشرعية فماذا يكون الحال لو صحت الدعوى الشرعية .
ويبدو الحوار الآتي :

الرئيس - على كل حال يا استاذ هل يجوز للزوج أن يطعن في زوجته ؟
المحامي - واقعة القذف والطعن لم يحقق معنا فيها ، وكان لزاما على النيابة أن تثبت في رفع دعواها وهي الحفيظة على رفع الدعوى العمومية .
واستأنف المحامي مرافعته فقال ، ثانيا من أدلة النيابة ضدنا ورقة قيمتها مراسل جريدة البلاغ في نجع حمادى عبارة عن حديث منسوب الى موكل وعلى توقيع منسوب له . وقد أراد موكل أن يطعن بالتزوير فى امضائه وهو الآن يصير على الطعن .

الرئيس - تقدر تقول لنا ايه مصلحة مراسل البلاغ فى الكذب ؟
- خدمة القضية الشرعية لمصلحة أم كلثوم .

واستأنف المحامي دفاعه فقال والملاحظة الثالثة التى أخذتها على الحكم ان المحكمة أخذت المتهم بالشبهة ، ولا أدري لذلك من سبب . ثم تكلم حضرة عن التطبيق القانوني ونية القذف .

الرئيس - ما الذى منع المتهم من اثبات القضية الشرعية . وقد كان لديه متسع من الوقت من تاريخ أول اجراء اتخذ ؟

- لم يكن الوقت كافيا للاثبات .
- هل لدى المتهم وثيقة زواج شرعية ؟
- لو كان معه كان انتهى الأمر .

الرئيس للمتهم : بماذا تريد أن تثبت زواجك ؟
- عندي جوابات كثيرة أخذها المحامي .

المحامي - هذا محله في المحكمة الشرعية والقضية لا تزال قائمة .

وبعد ذلك قررت المحكمة أن تصدر حكمها بعد المداولة . وفى الساعة الواحدة أصدرت الحكم وهو يقضى بتأييد الحكم المستأنف .

ومما يجدر بي أن أذكره هنا اننى عندما نشرت ملخصا لقضية أم كلثوم ضد عبد الستار الهلالى استقبلت مواطننا مصريةا جاء من قنا خصيصا ليرويلى بعض ذكرياته عن تلك القضية حيث كان وقت نظر القضية سكرتيرا لنيابة قنا .

قال لى المواطن المصرى الكريم أحمد حسن جبرة : اننى الوحيد . على قيد الحياة ، الذى يعرف أسرار تلك القضية ، وأنا أذكر اليوم ، تفاصيلها كأنها حدثت بالأمس : فى عام ١٩٣٦ كان يعيش ببلدة أبو مناع التابعة لمركز دشنا شخص يدعى عبد الستار الهلالى ، وكان واسع الحيلة لأقصى حد ممكن : كان متصلا بأحد المحامين المتخصصين فى المرافعة ، أمام المحاكم المختلطة التى كانت قائمة فى ذلك الوقت وكان اذا ما أراد « الحصول » على مبلغ من المال من أحد الأهالى يقوم بالتبليغ عن حادث مخلق يتعلق بهذا الشخص ويكلف محاميه بأن يرسل الى هذا الشخص ، انذارا بالواقعة التى دبرها له طالبا سداد المبلغ المطلوب والا اتخذ الاجراءات القانونية ضده .

وكانت اجراءات المحاكم المختلطة فى ذلك الوقت متعبة جدا ، وتكلف مصاريف باهظة الأمر الذى يدفع الشخص المقصود بالعملية الى سداد المبلغ المطلوب منه .

وقد أرسل عبد الستار الهلالى هذا خطابا مسجلا مستعجلا الى جريدة كوكب الشرق قال فيه أن بعض أثرياء قرية أبو مناع يعتزمون إقامة حفل زواج ويريدون الاستفسار من أم كلثوم عما اذا كانت تقبل احياء هذا الحفل نظير ماثنى جنيه عن كل ليلة .

وجاء فى خطابه أنه نظرا لضيق الوقت ، يرجو من أم كلثوم أن ترد لتغرافيا سواء بالقبول ، أو الرفض ، ويظهر أنه لم يكن يعرف عنوان أم كلثوم بالضبط فأرسل الخطاب الى جريدة كوكب الشرق ، لعلها تتصل بأم كلثوم ، لكي تتولى الرد عليه ولما كان هذا المبلغ ٢٠٠ جنيه فى الليلة - يعتبر أجرا خياليا لأم كلثوم فى ذلك الوقت فقد تولت الجريدة الاتصال بأم كلثوم التى أبرقت إلى عبد الستار الهلالى بالرد التالى : « أقبل مع الشكر » .

واحتفظ عبد الستار بالتغراف وأرسل اليها تلغرافا آخر يعتذر عن إقامة الحفل لوفاة أحد أفراد العائلة ، التى كانت ستقيم الحفل ، وعندما حل عيد الفطر المبارك ، أرسل عبد الستار الى أم كلثوم تهنئة ، فردت عليه شاكرة ثم أرسل تهنئة أخرى بعيد الأضحى المبارك فتولت أم كلثوم الرد عليه شاكرة ، أيضا :

واعتبر عبد الستار الهلالى البرقية التى أرسلتها أم كلثوم اليه بخصوص الحفلة ، المزعومة ، وردھا على تهنئته اياها بعيدى الفطر ، والأضحى مستبديات استدل بها على انها قبلت الزواج منه وقام برفع دعوى يطلب فيها أم كلثوم الى بيت الطاعة ، فأرسلت أم كلثوم خطايا الى صديقها فهمى بشاي ، البندازى وکیل نيابة قنا فى ذلك الوقت ترجو أن يوكل عنها كل المحامين الشرعيين فى قنا وأسوان حتى لا يجد عبد الستار الهلالى محاميا يترافع عنه فى قضية الباعة ،

وكان هذا الخطاب يقطر دما وقمنا بتوكيل جميع المحامين الشرعيين في هاتين المديريتين ولم يحضر عبد الستار الجلسة فقضت المحكمة ببطالان دعواه ولكنه كرر العملية أكثر من مرة .

وأخيرا وجدت أم كلثوم ألا مناص لها من رفع جنحة مباشرة ضده فتولى صديقها الأستاذ فكرى أباظة المحامى رفع الدعوى التى حكم فيها على عبد الستار الهلالى بالحبس مع الشغل لمدة ستة أشهر .

والغريب أنه عندما خرج من السجن كان فخورا جدا بالصور التى نشرت له وهو فى القفص ، كما كان فخورا جدا بما نشرته عنه الصحف والمجلات عن قضيته التى أثارت انتباه الرأى العام وقتئذ ، وإذا كان الشئ ، بالشئ يذكر ، كما يقولون فأننا نشير الى أن مجلة كل شئ الدنيا قد نشرت فى عددها الصادر فى ١٢ أغسطس ١٩٣٦ موضوعا تحت عنوان « طلاب الزواج من الأنسة أم كلثوم : ابراهيم الفلاح يفاضها ويتزوجها الشيخ عبد الرحيم » وقد جاء فى بداية هذا الموضوع : يعرف المقربون الى الأنسة أم كلثوم انها لا تفكر فى الزواج ، فقد أحجمت عنه الى أجل غير مسمى ، وهى تتحدث بذلك الى أخصائها قائلة : اننى أحب فنى حبا جما ، وعلى قدر هذا الحب يشهد زهدى فى الزواج اذ لا تصور مطلقا ، كيف تعلى مطربة أرض المسرح وهى حامل وكيف تعمل لفنها وهى مشغولة بشئون البيت ، الولد بيعيط ، والزواج مش راضى يخليها تخرج ، وغير ذلك من العوائق الكثيرة ، التى تحول بين المطربة وتجويد فنها ، .

والواقع - هكذا تقول مجلة كل شئ والدنيا - أن الأنسة أم كلثوم متعلقة بفنها الى حد الإعجاب الشديد بنفسها وقد حدثنا أحد أفراد حاشيتها القداماء وهو الشيخ محمد طلبة بأنها كثيرا ما كانت تنهض مبكرة من فراشها ولا تفتأ تغنى حتى تبكى تأثرا بصوتها فاذا صادف أن دخل عليها أحد فسألها عن سر بكائها قالت دون تكلف لاني لا أجد من يسمعنى ، وتقول المجلة : « عندما كانت أم كلثوم تقوم برحلة فى ربوع الشام وكان من قرائنها وقتئذ الا تدخلها أية فنانة الا اذا كانت متزوجة فتخلصت أم كلثوم من هذا المأزق ، بأن عقدت قرانها على المرحوم الشيخ عبد الرحيم بدوى صاحب مطبعة الرغائب وكان يصاحبها فى هذه الرحلة ، وكان الزواج سوريا بالطبع فلم يلبث أن فسخ بعد عودتها من رحلتها ، التى استغرقت ثلاثة أشهر ، وتمضى مجلة كل شئ والدنيا قائلة : ولا غرابة فى أن تكون أم كلثوم مطمح انظار العشاق من كل طبقة ولا ريب ان الكثيرين من هؤلاء العشاق قد عرضوا عليها الزواج بشروط تختلف قلة وكثرة طبقا لآحوالهم المالية والاجتماعية ولعل أكثر هذه المحاولات طرافة أن ابراهيم الفلاح تقدم اليها بعد العقو عنه فى قضية القنابل المعروفة وكان قد أخذ المكافأة ، التى وعد بها وخيل اليه أنه يستطيع ارغام أم كلثوم على التزوج منه طنا منه أنه أصبح مشهورا وان المكافأة ستغريها ولكنها استنكرت ذلك منه فالح عليها

وبدا يطاردها فى كل مكان الى ان ابلغت البوليس فالتقى القبض عليه ذات ليلة عند بابها وأودع السجن حتى الصباح .

وتقول المجلة أنه كان من بين العظماء الذين تقدموا للزواج من أم كلثوم أحد القضاة السابقين كان يعمل بالمنصورة وهو الآن موظف كبير فى وزارة الحقانية وقد كان بين ما أغراها به قطعة أرض فى الوجه البحرى تبلغ مساحتها نحو ٥٠ فداناً ، أراد تقديمها هدية لعروسه ، ولكن أم كلثوم أثرت ألا تنقيد بقيود الزوجة ، لأنها تحب فنها .

وإذا كان الشئ بالشئ يذكر ، كما يقولون ، مرة أخرى وأخيرة فقد كانت أخبار أم كلثوم وأحاديثها تملأ الصحف والمجلات باعتبارها المطربة الأولى لمصر والبلدان العربية الشقيقة .

وتعجبني فى الأخبار والأحاديث الفنية التى كانت تنشر فى تلك الحقبة من الزمن أنها كانت الى حد كبير جدا ، تلقائية ، صريحة واضحة ، بل مفرقة فى الصراحة والوضوح : الصحيفة لا تجامل الفنان عندما تنشر له حديثاً ، أو عندما تنشر عنه خبراً اذ لم يكن لبعض الفنانين سلطان ماذى قوى وقتئذ ، والفنانة ، أو الفنان ، عندما يتحدث الى الصحافة لا ينافق الجمهور . فقط . يعبر عن مشاعره الخاصة بصدق ووضوح :

من احاديث عبد الوهاب التى أعجبت بها حديث نشرته روز اليوسف - العدد ٢٤٥ - عن أحمد شوقى بك ، قال فى بدايته انه هو نفسه قصيدة من قصائد شوقى وانه تعرف على أحمد شوقى فى عام ١٩٢٠ عندما كان يغنى فى احدى حفلات الاستاذ عبد الرحمن رشدى بمسرح برنتانيا القديم ، المرة الثانية التى رأى فيها شوقى - بعد عامين أو ثلاثة فى سان استافانو بالاسكندرية ولازمته بعد ذلك الحين فكنت استيقظ من نومى وأذهب الى داره نتغدى معا فاذا خرجت الى نادى الموسيقى الشرقى ، عصرا حيث كنت أتلقي أصول الغناء تبغنى الى هناك ثم صبحنى بعدئذ الى الكورسال لتتغشى معا ونخرج بعد ذلك الى احدى دور السينما ، ومنها الى صولت حتى ما بعد منتصف الليل ثم نفترق لنلتقى فى الغد ، وهكذا .

ونشرت روز اليوسف موضوعا بعنوان المعجب الصامت : ضابط كبير يتفانى فى الاعجاب بأمر كلثوم ويكتفى بنظرة وتحية وقد جاء فى الموضوع - العدد ٢٥٠ - للمطربة الشابة معجبون على كل لون ، وطراز ولعل آخر طراز من هؤلاء المعجبين هو ضابط عظيم من كبار ضباط الجيش المصرى المتقاعدين ، كل آماله ومنى عينه أن يتخذ لنفسه مقعدا فى الصف الثالث من الصالة أو المسرح الذى تغنى فيه الأنسة المطربة وكان الرجل مواظبا على شهود حفلات المطربة ولم يقعه عن الجلوس فى الصف الأول الا اذ دحاهم بالطبقة الأولى من قداما .

المعجبين ، أمثال المعلم دبشة ورائي فاذا انتهت أم كلثوم من الغناء انسحب الضابط الكبير الى باب المسرح الخلفي وانتظر حتى تخرج المطربة فيلقئ عليها اشارة التحية من بعيد ويذهب الى داره لينام هائنا ملء عينه » .

وتنشر روز اليوسف « العدد ٢٥٠ » رسالة بعثت بها أم كلثوم الى واحد من بطانتها على الحمزاوى تصف فيها استقبال الجماهير لها في بغداد : ارسلت الحكومة مندوباً لاستقبالى رسمياً وقنصل مصر ورجال المحاماة ، ورجال الطب ، والسفراء وعلى رأسهم الأستاذ معروف الرصافي الشاعر ، العراقي الكبير ورجال الصحافة على اختلاف أنواعهم وكبار العراقيين ، كانوا في استقبالى : قدموا لى باقات الزهور ، وكانت قد أعدت لى سيارة خاصة وهى مزينة بالاعلام ، يعلوها العلم المصرى وصارت تشق الطريق بين هتاف وتصفيق الجمهور ، المحتشد على جانبي الطريق الى أن وصلت الى القصر الفخم ، الذى أعد خصيصاً لضيفتى وعند دخولى باب القصر نحرت الدبائح تحت قدمي فصاح خالد أين أنت يا حمزاوى لتأكل هذا اللحم ، ثم استقبلت كبار القوم ، الذين جاءوا لتهنئتنى بسلامة الوصول وعلى رأسهم رئيس البلاط الملكى ومحافظ المدينة وكبار الموظفين وقد أقيمت لى فى المساء مأدبة عشاء ، فى دار القنصلية المصرية حضرها أعظم القوم وعلى رأسهم كبير الأمناء ومحافظ المدينة والشاعر الكبير الرصافي ومتصرف البصرة تحسين بك العسكرى وكبار الموظفين وبعض القناصل الأجانب وعقيلاتهم وفى اليوم الثانى دعيت لتناول الشاى فى قصر جلالة الملك على شقيق جلالة الملك فيصل وهناك قدمنى جلالتة الى جلالة الملك فيصل والى سمو الأمير عبد الله ، أمير شرق الأردن وبعد تناول الشاى أبى جلالة الملك على الا أن أبلى لتناول العشاء مع أضحاب الجلالة فشكرا لله على نعمائه ٠٠ أم كلثوم ابراهيم : غواني أم كلثوم أوتيل الهلال بغداد - هذا اسم المسترح ، وفنه تحول البوستة أ

وفى العدد التالى تنشر روز اليوسف استقالة السيد مناع عطية من بلاط أم كلثوم احتجاجاً على إثارة الكتابة الى واحد فقط من أفراد بلاطها ، وجمهور بطانتها ويرفع مناع راية الانشقاق والعصيان ، ويعلن ، باسم زملائه ابراهيم الشباسى ، وتوفيق فتح الله ، وأحمد الجمال ، والمعلم دبشة الذين كونوا جمعية - انضمام الجمعية الى بلاط السيدة فتحية أحمد ، وابلاغ أم كلثوم فى بغداد بقرار الجمعية التى رأسها المعلم محمد دبشة !!

وتنشر روز اليوسف أيضاً فى العدد ٢٨٣ موضوعاً على صفحتين يحملان العنوان التالى : صحافة الأقطار الشقيقة تنعى على أم كلثوم البنجل ، والاستحمام بالحليب وتنقل روز اليونيف ما نشرته صحيفة ألف باء بتاريخ ١٦ يونيو ١٩٢٣ .

من أن أم كلثوم قد حصلت على وسام الاستحقاق السوري ، وبالرغم من أنها تملك ٨٠٠٠٠ جنيتها فإنها طُنشت عن مساعدة الجمعيات الخيرية بدمشق !! ويقول الصحفي : الأنسة أم كلثوم معتزة حتى في صناعتها : ألم تر ما فعلت في آخر ليلة أحيتها هنا فإنها تركت الجمهور يدمى أكفه من التصفيق لها دقائق طوالاً لعلها تستزيده مما أعطاها الله من رزق في حلقها فلم تأبه لأحد ، ولم تلب طلب إنسان : أنظرت كيف أن التغيير انتقل من جيبها الى حجرتها ، و ٠٠ و . وما تشمرته صحيفة المضحك المبكى عند رحلة أم كلثوم الى سورية لزيد فيلما عدا هذه الفقرة التي ظهرت فيما كتبتة حول تفضيل أم كلثوم على المطربات السوريات ايمون حداد ، خيرية السقا ، جميلة شاكوئي والمطالبة بأن تعطى المطربات الثلاث الوسام الذي أعطى لأم كلثوم !!

وتنشر مجلة روز اليوسف أيضا في عددها رقم ٣٩٢ موضوعا في صفتين أيضا، عن خطابات الاعجاب البرى : من والى كواكبنا، وتقول المجلة : من المعروف أيها السادة أن كواكبنا - ولا فخر - أو الأغلبية الساحقة منهم لا يعرفن عن القراءة والكتابة أكثر مما يعرفن عن علاقة زجل بعطارد أو عن مسألة قناة السويس وارتباطها بالجرب بين الحبشة وإيطاليا ، وإذا كانت بينهن من تعرف المثنية من الألف فمعرفة سطحية لا تؤهلها الى الرد لا شفها ولا تحريرا فصيل عن الحديث عن خفقات القلب وسرعة دقاته بلهجة الخيال الرائع ، والأسلوبية الفخم ، الذى يناسب المقام .

ولكن لابد من الاستدراك هنا ولابد من استثناء الأنسة أم كلثوم ولعل الكثيرين لا يعرفون أن مطربتنا الشابة والتي استطاعت في مدى سنوات قلائل أن تحتل عرش الغناء دون شريك ، أو منازع لا يعرفون أن الأنسة « دود » باعتبار ما سيكون في فيلمها الأول تذوق الشعر العربى وتقرأ في الادب العربى قراءة متصلة حتى أنها لتتخير أكثر القصائد التي تغنيها من الشعر القديم بنفسها كما أنها تحكم ذوقها الخاص في كل ما يقدم اليها من الأغاني فترفض ما لا يلائم ذوقها المطبوع واحساسها الشعري الرقيق ويقبل ما يتفق وميولها الأدبية ومن هنا جاءت أغاني أم كلثوم - أو غالبيتها على الأقل - من الجيد المنتقى وتؤيدنا فيما تذهب اليه مجموعات من الخطابات كتبتها الأنسة أم كلثوم في مناسبات مختلفة بخطها وتوقيعها فإذا هي آية من آيات الفصاحة والبلاغة قد لا يسمو اليها كثير من المتأدبين ودعاة الأدب وننشر خطابات من هذه الخطابات على هاتين الصفتين بالزنگوراف لتدعيم قولنا بالبرهان العمل الذى لا يقبل الشك وحتى لا يظن القارئ أننا نرمى القول جزافا أو هو مجرد ادعاء على سبيل الفخار والمباهاة بمطربتنا الحسنة .

والخطاب الذى نشرته روز اليوسف يحمل عنوان زكريا وهذا نصه :

كفاك الله شر الهواجس والأفكار ، ثم قرير العين ، مطمئن البال ، تحرسك

عيون أم كلثوم الساعرة ويرفرف حولك قلبها المملوء بحبك والاخلاص لك : دع
عنك ، كل فكر وشجن ، دع ، عنك الخواطر والحن ، دعها لمن رميتها بسهام
لحظك ، وصوبت الى فؤادها نار حبك ، دعها هي تقلق وتهيم ، وتتأجج في
صدرها ، والدموع تترقرق في عينيها ، لا تظنها تتعذب أو تشكو أو تندم : كلا
يا أعز الناس عليها وأحبهم الى نفسها ، انما تهيم في خيالات فيها نعيمها وهناؤها
فيها لذتها وحياتها ، فيها سرورها وانسراحها . أن روحها المعذبة لا تشعر بأى
ألم أو تحس بضجر ، بل هي في غبطة وابتهاج تشعر في كل وقت ولحظة ،
في كل غفلة ويقظة ، انها تصاحبك وتلازمك تنعم بقربك ، تأنس بأنسك ،
ترشف من ريقك العذب ماء حياتها ، وتسمع من حديثك الشهي ما يذهب
بأشجانها ، ترى في وجهك الضاحك كل سلوتها ، وفي طلعتك المشرقة نور
سعادتها ، هنيئا لها ما أطيب أيامها ، أن شفاءها في حبك لسعادة لا تقدر ،
وعذابها بعدك لهناء مستمر

« أم كلثوم »

وبعد الحديث عن قضية أم كلثوم أو قضايا أم كلثوم ننقل الى الحديث عن
قضية هامة أخرى من أخطر قضايا الثلاثينات ، انها قضية مصرع الراقصة امثال
فوزى التى كان لها - من بعيد أو من قريب - علاقة بالامتيازات الأجنبية في
مصر .

الفصل الثالث

قضية الراقصة امتثال فوزى وذيول الامتيازات الأجنبية

هذه قضية ليست قضية سياسية ولكنها شغلت الرأى العام المصرى وقتذاك ، كما لم تشغله أية قضية سياسية .

وهى - أى قضية مصرع الراقصة امتثال فوزى - تعتبر - شئنا أم أبينا - من ذيول الامتيازات الأجنبية التى كانت مفروضة على مصر والتى كانت تنقص من استقلالنا القضائى ، بل واستقلالنا السياسى أيضا وهذه القضية - قضية امتثال فوزى - وان تكن حقا قضية غير سياسية ، الا أن البعض قد أدخلها فى السياسة معتبرا ، الوزارة مقصرة الى أبعد الحدود فيما كان واجبا عليها أن تتخذ من اجراءات احتياطية لحماية حياة مواطنة مصرية بعد أن قامت هذه المواطنة بابلأغ البوليس بأن خطرا يتهدد حياتها من قبل جماعة تخصصت فى تهديد المواطنين وابتزاز أموالهم ، ولم تقم الوزارة بواجبها لحماية تلك المواطنة المصرية .

والقضية التى نعنيها هنا هى قضية « جريمة ملهى البوسفور » أو مصرع امتثال فوزى الراقصة ، ومن قبيل المصادفة - والمصادفة وحدها فيما نعتقد - أن تقع تلك الجريمة فى وقت كانت الهيئة التشريعية المصرية تبدأ دورة جديدة من دوراتها ، حيث يلقي رئيس مجلس الوزراء خطاب العرش فى مجلس النواب والشيوخ باسم الملك ، ويعتبر يوم افتتاح البرلمان كما تقول الصحف الصادرة فى اليوم التالى - أخلد يوم فى تاريخ مصر المجاهدة : خطاب العرش أوفى خطاب فى تاريخ مصر البرلماني ، الشعب يحى شيوخه ، ونوابه : الهتاف للوزارة الدستورية : مظاهر البشر بافتتاح البرلمان انتخاب د . أحمد ماهر لرياسة مجلس النواب الخ . الخ .

والقضية - بايجاز شديد - تتخلص فى أن عصاية تسمى عصاية فؤاد الشامى كانت قد أندرت الراقصة امتثال فوزى التى تعمل فى كازينو البوسفور

الذى كانت تمتلكه السيدة مارى منصور بأنها اذا لم تدفع لها اناوة ، سوف تنتقم منها ، وقامت امتثال فوزى بإبلاغ البوليس بأمر هذا التهديد ، والأشخاص الذين قاموا بعملية التهديد ، وفى مساء ٢٢ مايو ١٩٢٠ قام أحد أفراد هذه العصابة بقتل امتثال فوزى .

والطريف أن مندوبى الاهرام والمقطم والسياسة ، وجورنال دييجيت وروز اليوسف قد ذهبوا الى صاحب العزة مرقص بك فهمى رئيس مكتب المباحث الجنائية بمحافظة القاهرة طالبين منه التصريح لهم بحمل الأسلحة النارية لاستعمالها فى الدفاع عن أنفسهم .

ومما قالته الصحف بعد أربعة أيام من وقوع الجريمة :

ان الصحفيين الذين سئلوا فى التحقيق هم أجرا الشهود ، وأطلقهم لسانا فى الافصاح عن كل شيء وقد سئل مندوبو الصحف : ايجبت ، والسياسة ، والطائف المصورة والعروسة ، وقد تعرف مصور دار الهلال على كامل الحريرى وهو الذى اعتدى على الراقصة ٠٠ هذا عن موقف الصحفيين ، أما سائر الشهود فانهم تملكتهم عقيدة واحدة ، وهى أن التصريح منهم باعتراف كامل يقولون فيه كل ما يعرفون ، لن ينجيهم من يد الفتوات الذين يتمتعون بسلطان لم يستطع رجال البوليس ، التغلب عليه لأنهم تركوا هؤلاء الفتوات يستفحل أمرهم ويمتد نفوذهم ، الى الغاية القصوى .

ومما يدل على شدة خوف الشهود — كما تقول جريدة روز اليوسف ، الصادرة فى ٢٦/٥/١٩٢٦ — أن الممثلة مارى منصور صاحبة الصالة التى قتلت فيها امتثال فوزى ، أخذت تتردد فى أداء شهادتها ترددا قائلة ان الذى يدفعها اليه خوفها من « الفتوات » بل لقد زادت على ذلك تأكيدها بأنها هى الأخرى أخذت تستعد لأنها — كما تقول — « ميتة ، ميتة » .

وقد أسلفنا القول — هكذا تقول جريدة روز اليوسف اليومية — أن رجال البوليس قد اعتقلوا فى أمس جماعة من الفتوات ونحن نرى أن الأسلوب الذى يلجأون اليه فى اجراءات القبض أسلوب شاذ لأننا علمنا أنهم يتوجهون الى الصالات ثم يسألون أصحابها ، وصاحباتها عن « فتوات » صالتهن ، ومن المحقق أن ارشاد أصحاب الصالات ، وصاحباتها عن الفتوات ، أمر عسير لأنهم يخشون العقاب التى يدل على خطورتها ، مصرع امتثال فوزى ، ورجال البوليس مثير حسنة وسائل بحديثهم استطاعوا ، أن يضعوا أيديهم على ما يريدون دون أن يلجأوا الى هذا الأسلوب الشاذ ، العجيب ، والقاتل . كامل الحريرى — معترف الآن بجريمته اعترافا كاملا ، لقد قال ان فؤاد الشامى ومختار الشامى قد حضرا اليه فى منزله ، واستدعياه الى وليمة شربوا فيها الزبيب ثم حضياه على ارتكاب الجريمة .

وكما أن القاتل اعترف ، فكذلك اعترف بالاشتراك في الجريمة أحد المقبوض عليهم ، ولكنه عاد يدعى أمام وكيل النيابة بأن البوليس هو الذى عذبه حتى يعترف فلما سئل عن نوع التعذيب ، لم يستطع أن يتحدث عن ذلك بشئ .

وإذا كان القاتل ، قد أشبعه الجمهور ضريبا ساعة ارتكاب جريمته ، حتى أغمى عليه وأصيب ببعض الكدمات فإن سخط الجمهور عليه لا يزال على أشده ولقد وضحت هذه الحقيقة لرجال البوليس الذين أخذوا يحمون المتهم فى غدواته ، وروحاته ، حتى لا يعتدى عليه الجمهور الساخط .

والد القاتل رجل صالح رأى الهوة التى انحدر إليها ولده فأقصاه هو وزوجته وقرر له راتباً شهرياً مقداره ١٨٠ قرشاً وحين علم هذا الوالد باعتقال ولده اثر ارتكابه لجريمته الشنعاء ، حضر الى قسم الأوبكية وأخذ يشير الى تفاصيل الجريمة وقد استنكرها استنكاراً شديداً ، وصب اللعنات القاسية ، على رأس ولده الأثيم ، وقد هالت الجريمة البشعة كل انسان ، فصاحب الدولة مصطفى النحاس باشا ، رئيس الوزراء ، ووزير الداخلية ، قرر انتداب اثنين من كبار موظفى الداخلية ليشهدا التحقيق ثم يتقدما الى دولته بتقرير واف شامل يحددان فيه مسئولية رجال البوليس حتى يقرر دولته فى ضوء هذا التقرير ما فيه صيانة لأرواح الجماهير وما فيه توفير الهيبة لرجال الامن ، وما فيه ضمان حراستهم ، وكفالتهم للناس ، أما صاحب السعادة الأستاذ محمود المرجوشى بك النائب العام ، فقد علمنا أنه كتب الى المسئولين عن التحقيق يطلب اليهم التعجيل بانهاؤه حتى يتسنى له تقديم المتهمين الى قاضى الاحالة قبل نهاية هذا الشهر ، وتجمع الصحافة - التى لم تكن وقتئذ لتجمع ، على شئ واحد الا نادرا - على المطالبة بوضع حد لنهاية « عصر الفتوات » الذين يستهينون بالمسئولين عن حراسة الجماهير . وفرض سيادة الدولة على كل شئ !!

وكنوع من التعمية ، لجأ اليه أفراد العصابة ، الذين لم تصل اليهم أيدي البوليس ان جريمة اغتيال راقصة أخرى اسمها سكينه ، والشهرة بعبوثة قد وقعت فى يوم ٢٦ مايو ١٩٣٦ - أى بعد أربعة أيام فقط من مصرع امتثال فوزى وبأيدي بعض أفراد تلك العصابة والضحية الجديدة - كما تقول الصحف - وقتئذ ، كانت تعمل بصالة بديعة مصابنى وقد تدله فى حبها شاب من أصحاب شركات السجاير ، وأنفق فى سبيلها مبالغ طائلة ، ولكن عبوثة ، كانت كارهاه للجو الذى تعيش فيه ، وكانت تتمنى أن تتخلص منه بآية طريقة .

ولم يكبد الشاب داود ٠٠ يطلب منها الزواج حتى رحبت وانتقلت الى بيت تحيا فيه حياة عائلية هائلة ، ولكن القدر كان يبتسم لها - كما قالت الصحف - في هزه ، وسخرية عندما تصفو الليالي من الكدر اذ طارد المسكينة حتى اختلفت مع زوجها ، فطلقها ، ومضت تبدأ الحياة من جديد ، ثم تزوجت من شاب قادر على التفوه بالعبارات الخلابه وقادر في نفس الوقت على أن يخدع بمظهره الخادع ، الكثيرات ٠ اكتشفت عيوشه فيما بعد أنه عاطل ، وصل في تعليمه الى السنة الاولى بمدرسة التجارة المتوسطة ٠٠ احترف أن يعيش حالة على أية « خلية » تتحمل عنه تكاليف الحياة ٠٠ وتفشل عيوشه في زواجهما الثاني ، ولأنها كانت جميلة وطيبة ، كما يقول الذين عرفوها فقد رغب زوجها الأول في العودة الى حياته الزوجية معها ، وكذلك رغب الزوج الثاني « جمال الدين حسين » في أن يعيش معها من جديد أيضا كزوج وكان صراع بينهما ، وكانت الغلبة للزوج الثاني الذي فرض ارادته بالقوة على عيوشه ، كان يحرض على أن توافيه كل ليلة بمبلغ كبير من المال ، وكانت عندما تنهون في جمع المال ينهال عليها بالضرب المبرح ، ويجبرها على أن تستأجر غرفة في شقة .

وتقع الجناية : لقد سمع الجيران صوت عيوشه تصيح : الحقوني ، جمال موتني « واقتحم الجيران الغرفة فوجدوها جثة هامدة ، والدماء تتفجر بغزارة من جميع أجزاء جسمها ، ووجدوا الجاني ممسكا بالسكن التي استعملها في جريمته ، وهو يطعن نفسه وكانت حالته سيئة ، وعندما رأى الجاني الجمهور يقتحم عليه الغرفة ، طلب عدم اقتراب أحد منه وهو يقول : سيبنوني أنا باحبها ، وقد زاد عدد الطعنات التي وجهها المتهم جمال الدين حسين الى القتيلة أكثر من عشرين طعنة .

ونترك جناية جمال الدين حسين ، وقتله لعيوشه لنعود الى جريمة البوسفور وما أحدثته من زلزال عنيف في الرأي العام المصري وقتئذ ، لنقول ان البوليس استمع الى أقوال رتيبة وأنصاف رشدى وعليه فوزى ، وحياة صبرى ويوسف عز الدين أفندى « الممثل » وانطون أفندى عيسى ابن أخت السيدة بديدة مصابنى وقرر الجميع ، انهم كانوا يعطون فؤاد الشامى ، وعصابته أموالا كانت تسمى عندهم بالمصروفات السرية ، وقد قال أحد الشهود ان هذه العصاة قد اختطفن تحية الراقصة بالقوة ، وأجبرتها على ركوب سيارة بعد أن كموا فيها ، ثم أطلقوا سراحها ، فى صباح اليوم التالى .

وكان أحد أصحاب كازينو البوسفور خفيف الظل ، أثناء التحقيق فعندما قال ان فؤاد الشامى وعصابته كانوا يحضرون الى الكازينو ويتناولون الخمر فلما سئل : هل كانوا يدفعون الثمن ؟ فأجاب : وهى دى تيجى !

وكان المتهمون - وهم تحت التحقيق - يرهبون ضحاياهم وقد تم القبض على أكثر من ١٥٠ متهما في هذه القضية !

وبعد أن تم عرض تقرير سريع ، عن القضية على دولة رئيس الوزراء صرح أحد كبار موظفي الداخلية بأن الوزارة تترقب خطوات التحقيق حتى يمكن وضع تشريع جديد ، يسد النقص الموجود الآن في بعض القوانين .

وكانت أخبار جريمة مصرع الراقصة امتثال تنصدر الصفحات الاولى من كل الصحف المصرية وقد أثبت التحقيق أن هؤلاء « الفتوات » لم يكونوا فتوات صالات وحسب ولكنهم كانوا فتوات انتخابات أيضا ، كما أن « مهنة الفتوة » لم تكن مقصورة على المصريين بل كثير من الأجانب يحترفون تلك المهنة ، وكانت الامتيازات الأجنبية ، المفروضة على البلاد وقتئذ تحمي هؤلاء الفتوات الأجانب من الوقوع تحت طائلة القانون .

وقد رأت الحكومة بعد أن كثر عدد الفتوات الأجانب الذين يباشرون أعمالهم في الملاهي الأجنبية المنتشرة في العاصمة اتخاذ الاجراءات اللازمة لابغاد هؤلاء « الفتوات الأجانب » من البلاد !



والطريف ، أن هؤلاء الفتوات كانوا يعملون وفق تسعيرة محددة ، فتحطيم المنزل بخمسين قرشا ، واحداث اصابة بمن يراد اصابته بجنيه واحد لا غير ، واصابة من يراد النيل منه بعاهة مستديمة عشرة جنيهات ، أما التهديد الشفهي ، أو الكتابي ، فلم يكن يزيد سعره على مائة وخمسين قرشا ، هذا عدا المصاريف التي تشمل أتعاب المحامي ، الذي يوكل للدفاع عن الجاني والاتفاق عليه طوال مدة سجنه !

وكانت الأحياء المزدهمة بالفتوات ، السيدة زينب والدرب الأحمر ، والجمالية ، وبولاق ، والمنصورة ، وشارع كلوت بك بالطبع ، وكان لكل فتوة منطقة نفوذ لا يتعداها ولا يزاحم فيها أحد !

وكان لكل فتوة ، صديقة ، أو جملة صديقات تقوم بمهمة اطعامه ، والاتفاق عليه ، واللباسه الحرير ، وتزيين أصابعه بالخواتم الذهبية .

والمعلومات عن الفتوة طريفة ولذيذة ولكننا نخشى أن نسرف في الحديث عنها ، أكثر مما حددها لأنفسنا من حيز متواضع ! وقد انتهز بعض الدعاة فرصة انشغال الجماهير بتلك القضية فانطلقوا يدعون الى الدعوة لمنع المسكرات وقد نشر الاستاذ محمد رضا ، سكرتير جمعية منع المسكرات بالقاهرة بيانا في الصحف قال فيه :

ان الحمر منبع الضلالة ومغرس الفتنة ، ومستشارها وأس الفساد وجراثومة الشر والاجرام ، وسبب العداوة والبغضاء قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « انما يريد الشيطان أن يوقع ، بينكم العداوة والبغضاء فى الحمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .
صدق الله العظيم

لا شك أن رجال الشرطة مؤخذون بعدم اهتمامهم بمداركة الشر ، قبل وقوعه ، والمحافظة على الأرواح قبل التعدى عليها ، لكن الحمر كانت بلا ريب المحرض الأكبر فى ارتكاب هذا الجرم ، بل العامل المهم فى اقتراح ثلاثة أرباع الجرائم الأليمة فما من تعد وقع ، ولا من جريمة ارتكبت الا كان للخمر الأثر الفعال فيها لأنها تبيت عاطفة الشفقة والانسانية وتنسى الانسان المسؤولية لذلك يلجأ اليها المجرمون قبل ارتكاب الجرائم وكثيرا ما حذرت جمعية منع المسكرات من آفة الحمر ، وما تجره إباحتها ، من وخيم العواقب فهى لا تورث الا حسرة ، ولا تعقب الا نداما ، ولات ساعة مندم .

فنتصيحتنا الخالصة ، التى نبذلها للتخلص من عواقب هذه الآفة الحبيثة هى العمل ، على استئصالها بسن قانون يقضى بتحريمها نزولا على أحكام الدين الاسلامى الحنيف وهذا ما نرتجيه من حكمة أولى الأمر ، فينا ونواب بلادنا ، المحترمين ، .

ويقول تقرير لوزارة الداخلية عن فؤاد الشامى ، زعيم العصاة التى اغتالت امتثال فوزى : نشأ فؤاد الشامى فى عائلة متوسطة الحال تقطن حى القبيسى وقد تم طرده من المدارس عندما بلغ الرابعة عشرة من عمره وعندما سمات أخلاقه وقد أنشأ ناديا لرفع الأثقال استطاع أن يجمع فيه بعض الصبية فى حى الظاهر لقاء أجر شهرى يحصل منهم ولما كثرت مشاجراته وتعديه على الأعضاء امتنع كثيرون من شبان النادى فأقفل أبوابه ويقول التقرير أن فؤاد التحق بشركة من شركات السجائر ثم طرد منها لسوء سلوكه ، واعتداءاته المتكررة فلما أصبح بلا عمل التحق بأحد أندية القمار بوظيفة فتوة لحماية النادى من الطوارئ وجمع فؤاد حوله جماعة ممن هم على شاكلته وفرض على أصحاب متاجر الظاهر ومقاهيه ضريبة شهرية وكلما امتنع أحد أصحاب هذه المتاجر ، أو المقاهى عن دفع الضريبة فى أول الشهر ، تولت العصاة تحطيم المتجر أو المقهى ، وانتقل الى عماد الدين ففرض سلطانه ، على الشوارع وملاهي ، ومقاهيه ولم يكن أحد من أصحاب المقاهى يجرؤ ، على الإبلاغ عن جرائم فؤاد الشامى وعصابته الى أن سبقت العصاة فى ٢٢ مايو ١٩٣٦ فيدا أصحاب المقاهى ، والملاهي والصالات ، وبدأت الراقصات وغيرهن فى الإبلاغ عن جرائم فؤاد الشامى ، وعصابته ولسنا بقادرين هنا على تتبع جريمة ملهى البوسفور : نشير فقط الى أن دائرة محكمة الجنايات التى نظرت القضية ، كانت

برئاسة الاستاذ كامل الرشيدى بك وعضوية ، سيد مصطفى بك و عبد الملك الجندى بك وكانت الأهرام قد نشرت صفحتين كاملتين ، أو أكثر عن الجلسة الأولى لتلك القضية بعد أن قالت عنها • انها الجريمة التي هزت رأى العام وأثارت اهتمام السلطات وتناولتها الصحف بالنقد ، والتعليق نظرا ، للظروف والملايسات التي أحاطت بها وما كشفت عنه من إهمال بعض رجال البوليس •



وكان المتهمون هم ، حسن ابراهيم حسن ، فؤاد الشامى وشقيقه أحمد مختار وكامل الجريرى ومحمد على خليفة و خليل موسى القصاص وعلى حسن الأخضر وعبد الحميد عبد القادر ومحمد حسن داود ، وكان الدفاع مكونا من الأستاذة • مصطفى رياض ، بسطا شكرى ، محمود متولى ، محمد عرفة ومحمد عبد المنعم وصالح جودت ، وعبد المجيد محمد ، وحكيم بقطر ، وأبو بكر سرى • وكان فى مقدمة شهود الاثبات ، محمد غانم أفندى مدير « مرسح » البوسفور والاستاذ ألبرت مزراحى ، المندوب القضائى لجريدة الجورنال ديجيت و عبد الصبور قابيل ، الصحفى ، والسيدة فهيمة الصاوى والدقة القليلة امتثال فوزى •

وكانت حيثيات الحكم الذى أصدرته المحكمة فى ٤٤ صفحة فولسكاب وقد أثبتت تلك الحثيات التهمة على المتهم الأول الذى باشر قتل المجنى عليها عمدا ، بطريقة طعنها فى عنقها برقبة « زجاجة » حادة الأطراف وأنه كان وقت ارتكابه الجريمة متعاطيا الخمر ، وقد حكم على فؤاد الشامى ، وبعض زملائه بالإشغال الشاقة المؤقتة ، وقد أفرج عنه فى عام ١٩٥٧ بعد أن قضى مدة العقوبة كاملة غير منقوصة وكان فى سجنه ، تلك المدة الطويلة عظة لمن يتعظ وكان بعد خروجه من سجنه مثالا ، للمجرم ، الذى يحاول أن يكفر عن جريمته •

والجدير بالذكر ، أن بعض السياسيين الذين عاصروا تلك الأيام قد ذكروا لى أن الضباط الانجليز الذين كانوا يعملون فى البوليس المصرى بل ويسيطرون عليه ، وبعض الأجانب المتمتعين بالامتيازات الأجنبية كانوا يعملون على الاساءة الى سمعة رجال الأمن فى مصر حتى لا توافق الدول الأجنبية المتمتعة بالامتيازات فى مصر على إلغاء تلك الامتيازات وكانت وزارة مصطفى النحاس الثالثة قد أخذت تمهد لإلغاء تلك الامتيازات ، وتعد العدة لدعوة الولايات المتحدة الأمريكية ، وبلجيكا وبريطانيا ، وأيرلندا والأملاك البريطانية فيما وراء البحار والدانمرك وأسبانيا وفرنسا واليونان ، وإيطاليا والنرويج وهولندا ، والبرتغال والسويد ، وهى الدول الاثنتا عشرة التى كان لها لزعايها ، امتيازات خاصة تجعلها لا تخضع للقضاء المصرى وانما تخضع للمحاكم القنصلية فى المواد الجنائية والمدنية ، والتجارية ، والادارية والمالية وقد تم إلغاء الامتيازات الأجنبية

بمقتضى اتفاقية مونترية التي أقرها البرلمان المصرى فى يوليو ١٩٣٧ وكان وفد مصر الذى فاوض ممثل الدول الاثنى عشرة ، صاحبة الامتيازات برئاسة النحاس ، وعضوية كل من أحمد ماهر ، رئيس مجلس النواب وواصف غالى وزير الخارجية ، ومكرم عبيد وزير المالية ، وعثمان محرم وزير الأشغال وعبد الحميد بدوى رئيس أقلام قضايا الحكومة .

ولا يمكننا أن نفعل ما كان يقوم به بعض الضباط الانجليز الذين كانوا يعملون فى البوليس المصرى وما كان يقوم به بعض الأجانب المقيمين فى مصر ، وذلك للابقاء على الامتيازات التى كان يتمتع بها الأجانب فى مصر وتعطى كل أجنبى حق السيادة على القوانين المصرية وعلى المحاكم المصرية ، وتجعل من المصريين - كل المصريين حاكمين كانوا أم محكومين - غرباء فى بلادهم وقد أشرنا الى استغلال أولئك ، لحادث اغتيال الراقصة أمثال فوزى ، وكيف ملأوا الصحف الأجنبية بالعويل ، على مستقبل الأمن فى مصر ، إذا ما ألغت الامتيازات الأجنبية كما أشرنا فى ذلك الوقت الى أن الحكومة المصرية كانت تتأهب وقتئذ للسعى ، لالغاء تلك الامتيازات وتفكر جددا فى عقد مؤتمر دولى ينهى ذلك العهد الأسود ، الذى يجعل من الوطنى غريبا فى وطنه . نشير اليوم الى أن حكومة مصطفى النحاس قد نجحت فيما بعد فى الغاء تلك الامتيازات فى مؤتمر مونترية الذى بدأ أعماله فى ١٢ أبريل ١٩٣٧ وأنهاها فى ٨ مايو ١٩٣٧ وبذلك خضع الأجانب فى مصر للتشريع المصرى فى المواد الجنائية ، والمدنية والتجارية والإدارية وحيث نصت اتفاقية مونترية على الغاء المحاكم المختلطة فى ١٤ أكتوبر ١٩٤٩ بعد اثنى عشر عاما من توقيع الاتفاقية وهى المدة التى سميت - فى الاتفاقية - بفترة الانتقال ، والتى انتهت بانتهاءها كل قيد أجنبى على القضاء المصرى .

وقد اعتبر الاستاذ عبد الرحمن الرافعى اتفاقية مونترية فوزا ، كبيرا ، لمصر إذ زالت بها الامتيازات الأجنبية وانقرض فيها نظام المحاكم المختلطة ، وحقت مصر رسميا سيادتها على الأجانب فى التشريع والقضاء وهذا ولا شك كسب عظيم ، وفوز كبير للحكومة المصرية ، وسيادة مصر التشريعية ، والقضائية ، والمالية والإدارية .

والجدير بالذكر - والذكرى تنفع المؤمنين - أن الغاء الامتيازات الأجنبية كان مطلبنا شعبيا قوميا ، ظل المصريون منذ أيام اسماعيل باشا ، ينادون به ويحرصون على تحقيقه لما فى الأبقاء ، على تلك الامتيازات من مهانة - ما بعدها من مهانة - لمصر ولشعب مصر ، وكان أحمد شوقى شاعرنا الكبير - قد وصف فأجاد الوصف ، المهانة التى تلحق بنا من وجود الامتيازات الأجنبية عندما قال :

وفي الرومي موعظة
يقتلنا بلا قود
ويمشى نحو رايته
ولشعب جد في اللعب
ولا دية ، ولا ذهب
فتحميه من العطب

وفي الامتيازات الأجنبية ، قال الشاعر محمد الأسمر ، فأجاد القول
عندما قال :

جاء النزيل فأكرمنا وفادته
فأعجب، لمصر ، وكم في مصر من عجب
كدنا لما صار من عكس الامور بها
كثانة الله تلك اليوم حالتها
لهو الأجانب فيها لهو منتصر
لو لم تكن ربما في الناس ما ظفرت
حطت جياعا فلما اتخمت نهضت
حامت ، علينا ، ولو ألفت بنا رمقا
فهى الغداة بوادى النيل جائمة
فما يزحزحها شعر نصيح به
ولا يدفع الضيم قول أنت قائله

واليوم نسأله شيئا من الكرم
وانظر الى القلب في الأوضاع والنظم
نمشي على الرأس لا نمشي على القدم
وجودها أشبه الأشياء بالعدم
عائت كتابه في أرض منهزم
بنا عصائب للغربان والرخم
كيما تطير فما اسطاعت فلم تقيم
لأجفلت مثل ما جاءت ولم تحم
مقيمة أشبه الأشياء بالهرم
ولا البليغ من الأمثال والحكم
بل يدفع الضيم عزم غير منقصم

الى أن يقول محمد الأسمر :

نوب من العار قمنا اليوم نخلعه
كم فر من يدك الشلاء متهم
وكم قتيل ، على الوادى وقاتله
صعب المنال على القانون ممتنع
وما ذليل له أرض لها علم
لا يفعل الخير ، بعد اليوم فاعله
أقسمت بالله لو أغنى دمي لمشت
هذا هو الذى لا ذل الغريب ولا

كفى ما لبسنا منه في القدم
يا أيها الوطن المرمي بالتهم
فى الامتيازات مثل الطير فى الحرم
كالنجم فى الأفق لم يدرك ولم يرم
ذل الرقيق يسوق الاعداء القزم
من يفعل الخير يندم أيا ندم
نفسى به وقليل للبلاد دمي
مثل الذليل بلا أرض ولا علم

ويرحم الله أحمد شوقي ، ومحمد الأسمر ، ويرحم الله في نفس الوقت
شعرنا السياسي الوطني الذي كان أقوى الأسلحة التي يمتلكها الشعب
ويستخدمها في معارك الكفاح الوطني .

وبعد الحديث عن قضايا أم كلثوم وامتنال فوزي والامتيازات الأجنبية
والقنوات ننتقل الى قضية أخرى كادت تزلزل البناء السياسي الحكومي ،
والحزبي : انها قضية مزرعة الجبل الأصفر .

الباب الخامس

الفصل الأول

أزمة سياسية عنيفة حول مزرعة الجبل الأصفر

● وانتقل فجأة ، وبدون مقدمات إلى الشهور الأخيرة في وزارة محمد محمود باشا ، الثالثة والأخيرة ، لأقول ، ان تلك الوزارة قد تعرضت الى أزمة عنيفة كادت تقضى عليها مع نهاية عام ١٩٣٨ ، وبداية عام ١٩٣٩ . بالإضافة الى تلك الازمات ، التي كان يسببها لها ، علي ماهر باشا ، بل التي كان علي ماهر باشا نفسه ، هو جوهرها ومحورها ، وأعني بتلك الازمة أزمة ، « الجبل الأصفر » التي واجهها وزير الزراعة في وزارة محمد محمود ، وواجهتها - في نفس الوقت - وزارة ، محمد محمود ، بل التي واجهت محمد محمود باشا نفسه ، الذي كان لا يكره شيئا في الحياة قدر كراهيته ، أن يقال عنه ، انه ، أو أن أحد وزرائه ، يستغل الحكم لصالحه الشخصي .

وكانت الصحف حتى المؤيدة ، لوزارة محمد محمود باشا قاسية ، الى أبعد حدود القسوة فيما يتعلق بمعالجة تلك الازمة ، وأزمة الجبل الأصفر ، أو أزمة مزرعة الجبل الأصفر ، بمعنى أدق ، تتلخص في أنه كان لوزارة الزراعة مزرعة كبيرة في الجبل الأصفر ، تنتج الفواكه التي تباع كل عام بالوف الجنيهاات عن طريق المزاد العلني ، ويقول د. محمد حسين هيكل : تم المزاد في تلك السنة - ١٩٣٨ - كما كان يتم في السنوات التي قبلها ، واعتمده رشوان محفوظ باشا وزير الزراعة ، ثم جرت الاقاويل بأن اجراءات المزاد لم تكن سليمة ، وبأن مزايدين تقدموا ، تلغرافيا بزيادة كبيرة ، على العطاء الأخير ، فلم تعرضهم وزارة الزراعة الا تشبثا منها فيما قيل بارساء المزاد على شخص معين وان الناس ، يتحدثون في هذا الأمر ، اذ قدم الى مجلس النواب ، استجواب عن هذه الصفقة من أحد النواب السعديين المفروض فيهم انهم يؤيدون الوزارة ، وعجب كثيرون لهذا التصرف وتسائل بعضهم : ما بال المعارضين الوفديين ، لم يقدموا هذا الاستجواب ، وقدمه السعديون ؟

ويضيف د. محمد حسين هيكل : واني لأشيع يوما جنازة أحد الكبراء اذ همس في أذني زميلي حسين سري باشا وزير الأشغال وكان يسير الى جانبي

بأن الملك يريد أن يستقيل رشوان محفوظ باشا من الوزارة محافظة على نزاهة الحكم ، وان رسالة بهذا المعنى بلغت الى محمد محمود باشا وبعد أيام من هذا الحديث قدم رشوان باشا استقالته من الوزارة وقبل مجلس الوزراء الاستقالة وندب حسين سرى باشا للزراعة الى أن يعين لها وزير وطلب الى سرى باشا ان يعجز تحقيقا دقيقا فى مزاد مزرعة الجبل الأصفر وندب سرى باشا محمد رياض « بك » المستشار الملكى بلجنة قضايا الحكومة لاجراء هذا التحقيق .

كان طبيعيا - كما يقول د . هيكل - أن يحل حر دستورى فى وزارة الزراعة مكان رشوان محفوظ باشا الحر الدستورى ، ولذا اقترح محمد محمود باشا يوما ، على مجلس الوزراء ان يعين ابراهيم دسوقي أباطة « بك » وزيرا ، للزراعة ومثل هذا الاقتراح ، يذكر عادة أمام المجلس ، للعلم .

لكن الأمر ، اختلف عما جرت به العادة فقد اعترض حسن صبرى باشا على تعيين دسوقي « بك » أباطة وزيرا ؛ وهدد بالاستقالة من الوزارة ، اذا تم ، هذا التعيين قائلا : اذا دخل دسوقي « بك » من هذا الباب فانا أخرج من الباب الآخر ، وسبيل عن سبب اعتراضه فلم يذكر الا أن دسوقي بك كان يدفع للمرشحين ، فى الانتخابات من الاحرار الدستوريين مالا .

ولما قيل له أن دسوقي بك سكرتير الحزب وانه كان يشرف على عملية الانتخابات لحساب الحزب ، لم يغير موقفه بل أصر عليه ، وتولتنا الدهشة لهذا الاصرار ، وبخاصة لاننا كنا مقتنعين بأن محمد باشا لم يعرض اسم دسوقي بك على مجلس الوزراء ، الا بعد ان اتفق عليه ، مع القصر ، على أن محمد باشا آثر ، أن يرجئ تعيين وزير للزراعة . على أن تحدث فى الوزارة نفرة باستقالة حسن صبرى باشا ، وقد تكون لهذه النفرة من بعد نتائج غير محمودة وظل منصب وزير الزراعة ، بعد ذلك شاغرا زمنا ، غير قليل ، وكان محمد بك رياض قد انتهى من تحقيق مزرعة الجبل الأصفر الى أن رشوان باشا لا تشوب نزاهته شائبة اما الاستجواب الذى قدمه ، أحد النواب ، السعديين فيها فكان قد انتهى بالانتقال الى جدول الاعمال - بعد أن أجاب رئيس الوزراء عليه بأن المسألة موضوع الاستجواب أصبحت محل تحقيق .

هذه هى السطور القليلة ، التى تحدث بها د . هيكل عن أزمة مزرعة الجبل الأصفر ، التى شغلت رأى العام ، المصرى أكثر من شهرين وفرضت نفسها ، معارضة أو تأييدا على الصحافة المصرية وعلى السياسة المصرية ، اذ الواقع كما يبدو جيدا لكل متتبع عن قرب لأحداث تلك الفترة العصبية من تاريخنا الوطنى . ان أزمة مزرعة الجبل الأصفر ، لم تكن فى حقيقتها ، أزمة على مزاد على نم بصفة قانونية أو بصفة غير قانونية ، كما لم تكن أزمة ، على ضياع بضعة ألوف من الجنيهات أو السعى لاسترداد بضعة ألوف أخرى ، وانما كانت أزمة

حكم : المسألة لم تكن - كما يقال في قريتنا المصرية - « مسألة ملانة ، بل مسألة قلوب مليانة ، والملانة كما هو معروف نبات أشبه ما يكون بنبات ، الترمس ، يؤكل أخضر خاصة في أيام الاحتفال بشم النسيم ٠٠ كان على ماهر يستعجل رئاسة الوزارة ، وكان - بالتالي - يحرض رجاله في مجلس الوزراء ٠ على وضع العصي في الدواليب أمام محمد محمود باشا لعله يضيق بالأمر ذرعا فيستقيل ٠ ولم تكن الصحف ، تكف عن التلميح بأن القادم الجديد سيكون على ماهر ٠

قال قائل كبير : أنه لن يمضى شهران ، حتى يتربع على ماهر باشا على كرسى رئاسة الوزراء ، وقال قائل ، كبير آخر ! أنه خلاص قلنا خلاص ماذا : لقد بلغ محمد محمود باشا القصر ، أنه سيعتزل رئاسة الوزراء ٠ « المصور ٢٥ نوفمبر ١٩٢٨ » وكعادتنا في هذه الدراسة ، وكى تكون الرؤية سليمة ، نشير - مجرد إشارة - الى بعض ما ورد في الصحف عن أزمة مزرعة الجبل الأصفر ٠

كتب المصور في عدده الصادر بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٢٨ تحت عنوان « سحاب ولكن لا مطر » : شعور بالقلق هذا هو لسان الحال في الدوائر ، الحكومية ، ومهما ضاعف الصحفي جهوده الاطلاعية ، والاستخبارية ، فهو لن يصل الى قول حاسم ، أو واقعة حاسمة يمكن ان يقال معها ان السماء ستطر ولكن هناك سحابا ، انتشر على سماء الوزارة من جراء حادث وزارة الزراعة ، الى أن يقول المصور : جاءت حكاية مزرعة الجبل الأصفر فكانت ضغنا على أبالة ولم يعد الوزير المستقيل المبررات أيضا لأنه شخصيا لم يكن من المتحمسين لتنفيذ العقد و ٠٠ و ٠٠ الى أن يقول أيضا : من شعور القلق هذا عادت شائعة التعديلات الوزارية والتغيرات الوزارية والسقوط الوزاري ، تبعث من قبرها في كلوب محمد على اذ ذيع أن اسماعيل صدقي باشا سيتولى رئاسة الديوان الملكي ، وان على ماهر باشا سيتولى رئاسة الوزارة في الشهر المقبل ٠

وفي نفس الصفحة وتحت عنوان وزير الزراعة السابق ، ينشر ما يلي : « الثابت الواضح من مجموع التحريات ان رشوان محفوظ باشا ، ضحية : ضحية أولا لثلاثة سعا في حادثة مزرعة الجبل الأصفر ، حتى تمت الصفقة لزيدان وكان الضحية رشوان ، وكان ضحية ثانية في مسألة ال ١٧ موظفا بوزارة الزراعة ، الذين أحيلوا الى المعاش فقد وجد رأيا ناصحا من كبار موظفيه باخراجهم ، وتشجيعا من زملائه المختصين بالموافقة على مذكرة بصدهم ٠

المجدير بالذكر ، ان الصحف أجمعت على ان اجراء اخراج ١٧ موظفا من وزارة الزراعة واحالتهم الى المعاش ، كان نزعة دكتاتورية لا تجوز في عهد ديمقراطي ٠

وكان رشوان محفوظ باشا ضحية ثالثة لأنفة محمد محمود باشا ، وكبريائه ورغبته في ألا يقع فيما وقع فيه رؤساء الوزارات السابقون من تضحية الوزير الذي ينتشر حوله اللفظ سواء كان مظلوما ، أم غير مظلوم .

● والخبر الأهم ، ان السراى كان لها أيضا رأى حاسم في الموضوع بلغته تليفونيا لرئيس الوزراء ، ومن حسن الحظ ، انه لم يكن يتناقض مع خطته ، ورشوان محفوظ باشا في حادثة ال ١٧ موظفا قدم قبل استقالته الدليل تلو الدليل ، على انه استأنس برأى المختصين فأيدوه ، وفي حادث مزرعة الجبل الأصفر اعتمد على فتاوى قلم قضايا الحكومة في الجملة وفي التفاصيل .

وافتح قوسا ، لأقول ، ان كثيرين من النواب قد احتفلوا بتكريم إبراهيم دسوقي أباطة بك - وكيل مجلس النواب وقتئذ وكانت الحفلة رائعة افتتحها رئيس مجلس الوزراء وحضرها الوزراء السعديون والدستوريون ، ونشرت الصحف الكثير من صفحات تاريخه « اذ كان بعد تخرجه في مدرسة الحقوق من رجال الحزب الوطنى والمتصلين بمصطفى كامل باشا ، وبزغ نجمه في الصحف تحت أمضاء « الغزالى أباطة » بأسلوب فذ في نوعه ، وخلاب في رشاقته وجارح في لذه وموقفه التاريخى الذى لا ينسى كان في ثورة ١٩١٩ حينما كان مأمورا لضبط الجيزة ، وحرر وثيقته التاريخية التى كانت مستند المحامى ، الأمريكى مستر فولك عندما كان يدافع عن القضية المصرية في الولايات المتحدة الأمريكية وقد كان سكرتير لجنة الوفد العامة فى القاهرة أبان تشكيله الأول وانتخب فى جميع البرلمانات واختير ، وكيلًا لمجلس النواب مرة أخرى قبل هذه المرة ، ورشح اسمه أكثر من مرة ليكون وزيراً ، اكان احتفال النواب بوكيلهم دسوقي أباطة ، ردا على اعتراض حسن صبرى باشا - ممثل القصر فى الوزارة وقتئذ - على اختياره وزيرا ، أم كانت المسألة مصادفة ؟ لا أستطيع الاجابة عن هذا السؤال ! واقفل القوس .

وتشير الصحف ، الى أن ضجة كبرى قامت فى حزب الاحرار الدستوريين من جراء الاجراءات الخاصة باستقالة رشوان محفوظ باشا ، وقالت الصحف ان كثيرا من الاعضاء هددوا بالاستقالة من الحزب اذا لم تسو المسألة ، بما يحفظ كرامة رشوان ، وكرامة الحزب بأسره ، وقالت الصحف أيضا ، ان نوابا وشيوخا ينتمون الى حزب الاحرار ، أصروا ، على الا يملأ المنصب الوزارى . الشاغر ، الا بعد ان ينتهى التحقيق ، فاذا ثبتت براءة رشوان باشا ، أعيد الى منصبه ، من جديد ، وكما قالت الصحف ، ان نوابا وشيوخا آخرين تركوا لرفعة رئيس الوزراء ، محمد محمود باشا حق اختيار الوزير الجديد ، من بين صفوفهم ! وقالت صحف أخرى ان الجو مكهرب فى حزب الاحرار الدستوريين وانه لا بد من الانتظار ، بعض الوقت حتى يصفو الجو .

ولكن محمد محمود باشا كان في واد ، وشيوخه ونوابه ، في واد آخر ! فقد كان فعلا ، قد اتفق مع السراى على اختيار الوزير الجديد ، من غير الأحرار الدستوريين .

ومزرعة ، الجبل الأصفر ، التي ثارت حولها الازمة - كما نشرت الصحف يومئذ - تبعد بضعة أميال عن القاهرة : مساحة الجزء المنزرع منها أشجارا ، على وجه الدقة ٦٦١ فدانا ، مزرعة « برتقال سكرى » ، وصيفى وشموطى ، وأبو سره ، ويوسف أفندى ، ومساحة المنزرع منها ليمونا لا تتجاوز ٢٤ فداناً .

وقد بيعت ثمارها في عام ١٩٣٧ بعشرين ألف جنيه !!

أما مجلة الاثنين التي كانت تصدرها دار الهلال وبرأس تحريرها الكاتب الرشيق الفكاهة حسين شفيق المصرى فقد قالت في افتتاحية عددها الصادر في ١٩ ديسمبر ١٩٣٨ ، تحت عنوان : « طهروا سمعة الحكم » : تركت مسألة الجبل الأصفر وراءها زوابع وأعاصير بعد أن اقتلعت وزيرا من مقعده ولا يدري أحد من عسى ، ان تقتلعهم من موظفين ، وغير موظفين وليست هذه أولى المسائل التي أثارت الغبار في وجوه وزراء ، وموظفين كبارا فقد تعودت مصر ، ان تستنشق هذه الروائح الكريهة وتعنى بها وقتاً قصيراً ثم تنسأها ، لتستقبل مسألة أخرى وهكذا تظل هذه الأمة التعسة تتعثر في شباك تلك المسائل ، التي تمس ، الضمير ، والخلق ، والوجدان .

وشر هذه المسائل لا يقف عند حد الذين تغمرهم بسيئاتها ولكنها تنتقل مباشرة الى الشعب ، فتسرى عداها الموظف الصغير يرى أنه مادام رئيسه الكبير قد أحاطت به الشبهات . فلا بأس من ان يزج بنفسه في غمارها والشعب نفسه عامة وخاصة يفقد بالتدريج صحة ادراكه لخطورة هذه المسائل ما دامت تتكرر أمامه في كل وقت وما دامت المسئولية لا تحصر ، فيستوى لديه الجرم الشنيع والحادث النافه وفي ذلك الخطر الأكبر ، على الأخلاق والقانون .

الى أن تقول مجلة الاثنين - التي لم تكن وقتئذ تهتم بالسياسة الا قليلا وفي حين لا يتجاوز في المتوسط بضع صفحات - : « الذى نريده أنه مادام ثمة قانون يرهب الجميع فيجب أن يمتد سلطانه الى كل مسألة من هذه المسائل ، فيجرب التحقيق فيها ، وتحدد الجريمة بحدودها الأربعة ويؤخذ المسئول ، أو المسئولون ، الى حيث يكفرون عما اقترفوه وتكشف براءة الرجل الذى أصابه رصاص الأقاويل والإشاعات وفي ذلك صون للعدالة أولا وتطهير لسمعة الحكم ثانيا وزجر للنفوس الضالة أن تستمرى العيث بحرمان القانون مادامت وثقة من أن هذا القانون لن يتخطى جواز الشهوات ليصل إليها » .

وتنتهى مجلة الاثنين افتتاحيتها بقولها : « نحن لا نعنى بالأشخاص ولكننا

نمى بسمعة الحكم وبالقدوة السيئة ، التى يمنحها أولئك المسئولون لمرءوسيههم وللشعب كافة ، ونمى بذلك تطهير سمعة الأبرياء . وقد أحسنت الحكومة بمسارعتها الى فتح التحقيق لاطهار المسئولية فى هذه الحادثة .

والذى نرجوه أن يعرف الجمهور نتائج التحقيق ، مهما تناول من شخصيات فالويل لامة تستسيغ هذا العبث بقانونها وتصبى على هوان الفضائح حتى ليصبح تحت كل حجر ، من بناء نهضتها فضيحة تقودها الى مستقبل مظلم . وحياة شاقة بائسة .

وتقول مجلة الاثنين - فى نفس العدد - أن استقالة رشوان محفوظ باشا كانت بناء على نصيحة الدوائر العليا - القصر - والحاج رئيس الوزراء .

وتقول المجلة ، ان ابراهيم فهمى باشا ، وكيل وزارة الزراعة ، الذى سبق أن أحاله وزير الزراعة رشوان باشا محفوظ الى المعاش هو الذى نشط فى بسط وقائع وشرح حوادث أزمة الجبل الأصفر حتى بلغت التفاصيل موضوع استقالة رشوان محفوظ باشا وقالت المجلة أيضا : ان بعض الوزراء قد اجتمعوا ، وناقشوا الحالة لاقتناع محمود باشا باقتناع رشوان محفوظ باشا بدوره بتقديم استقالته وقالت أيضا مجلة الاثنين أن محمد محمود باشا قال لأحمد ماهر بالحرف الواحد : « شوف يا ماهر بك .. رشوان باشا قريبى وأنا أعرفه أكثر من غيره ودمته فوق كل شك ولكن أنا معاك فى أن الى حدث فى البتاعة دى الى اسمها المزرعة كان غلطة من موظفين هو رئيسهم وغلطة من ناس تانيين هو صديقهم ، وتقول مجلة الاثنين ان رشوان محفوظ باشا ، أصر عندما فاتحه محمد محمود باشا فى أمر الاستقالة أن تكون استقالة مسببة ، ولكن محمد محمود باشا نصحه بأن تكون الاستقالة بسبب ضعف صحته وهذا ما حدث ! ولم تكن صحة رشوان محفوظ باشا فى يوم من الأيام أحسن وأفضل مما كانت وقت أن قدم استقالته لأسباب صحية !

المؤسف انه فى يوم تقديم الاستقالة أقام محمود غالب باشا مأدبة غداء للوزراء لم يدع اليها رشوان محفوظ باشا بالرغم من ان استقالته لم تكن قد قبلت بعد !

وقد اعتذر أحمد ماهر عن حضور الغداء ، لأنه كما يقول المقربون اليه يعتذر دائما ، عن دعوات الغداء فى يومى السبت ، والأحد ، لانهما يومسا سياق الحيل ، وهو مغرم بهذا السياق ، وقد قيل أيضا ان هذه المأدبة ، التى أقامها وزير سعدى لزملائه الدستوريين ، والسعديين قد أظهرت وجود فتور بين الوزراء السعديين والدستوريين الذين يشكلون الوزارة القائمة حتى أن الدستوريين لم يبادلوا السعديين كلمة واحدة ، وعندما اكتمل عدد المدعوين ودعوا الى المائدة راوحا يأكلون فى صمت طويل حتى قطع عليهم صمتهم هذا

صاحب الدعوة بسؤاله : أيه ده مالكم ساكتين ليه ؟ ورد محمد محمود بإسـ
وهو يحاول أن يصطنع ابتسامة ما على شفـتيه : الظاهر انه من الجوع . وحى
بعد أن انتهى المدعوون من تناول الغداء ، انقسموا الى مجموعات كثيرة ، كل
مجموعة اما سـعدية ، واما دستورية ، وقال الذين لبوا الدعوة أن محمد محمود
باشا ظل صامتا طوال الفترة التى قضاها عند غالب باشا . وكان يتلقى
أحاديث زملائه فى شىء كثير من الامتعاض ؟

وقد ظلت الصحف فترة طويلة ولا حديث لها الا عن أزمة مزرعة الجبل
الأصفر وعن تعيين وزير جديد للزراعة خلفا لرشوان محفوظ باشا ، وقالت
بعض الصحف ان محمد محمود باشا قابل فى نادى الجزيرة السير مايلز لاديسون
ودار بينهما حديث حول « استقالة احد الوزراء والمشكلة الحزبية الداخلية
التي تواجهه فى سبيل اختيار الوزير الجديد » وقالت بعض الصحف أيضا :
ان الاحرار الدستوريين قد انقسموا فيما بينهم حول من يخلف رشوان محفوظ
باشا ، وان محمد محمود كان دائم التركيز على ضرورة اختيار دسوقي أباطة
بك وزيرا للزراعة ، وانه - هكذا كانت الصحف تقول - قد أكد لدسوقي
أباطة بك - ، انه لن يمضى أسبوع واحد ، حتى يوافق الملك ، على اختياره
وزيرا للزراعة و . . و . . و . .

وقيل أيضا على لسان أحد المقربين الى على ماهر ردا على السؤال الخاص
بتعيين وزير جديد للزراعة : هم مالهم مستعجلين قوى ، على تعيين وزير
للزراعة ، والوزارة كلها يمكن تستقيل قبل ما يتعين وزير زراعة جديد ، ويقول
المقرب الى على ماهر باشا ، انه عندما قال له هذا القول ، أضاف : دا طبعا
بينى وبينك ، أما اذا وصل الى الصحف « فانا لا قلت ولا عدت » ، وانتـهز
الفرصة بعض السـعديين ، ليكسبوا كرميا وزاريا جديدا فرشحوا من عندهم
ابراهيم عبد الهادى بك ، ومحمد محمود ذو الفقار بك ليكون احدهما وزيرا
للزراعة . وذلك ليكون لهم أغلبية فى مجلس الوزراء ، وقيل أيضا أن بعض
الاقطاب السـعديين طلبوا من د . أحمد ماهر مفاتحة محمد محمود باشا فى هذا
الموضوع ، موضوع اختيار وزير سـعدى ، لوزارة الزراعة مادام الدستوريون
لم يتفقوا بعد على اختيار واحد منهم يشغل هذا المنصب ، وقيل ان أحمد
ماهر قال بصريح العبارة : ان مفاتحتى لمحمد محمود باشا فى مثل هذا الموضوع
معناه تقويض الائتلاف القائم بيننا وبين الاحرار الدستوريين ، وكان عبد الحميد
بدوى باشا قد أنهى تحقيقه الخاص بمزرعة الجبل الأصفر ، وكان رأى
عبد الحميد بدوى باشا : ان تصرفات جميع موظفى وزارة الزراعة ، حتى
الموقوفين منهم لا غبار عليها . وقيل ان التحقيق وان لم يكن احدا من موظفى
وزارة الزراعة الا أن الشبهات حامت حول البعض منهم ، وان محمد محمود
باشا عندما عرف أن هناك شبهات تحوم حول بعض الموظفين طالب بتقديم
هؤلاء الى محكمة تأديبية للفصل فى أمرهم قائلا : انه لا يمكن أبدا ، أن يتهم

في وزارته بما كان هو يتهم به الغير في الماضي القريب ، ولكن ظهر ان هذه الشبهات في رأى بعض من درسوا القضية من رجال القانون ، لا تكفى حتى لتقديم من حامت حولهم الشبهات الى المحاكمة التأديبية ، ولعب عيد الحميد بدوى باشا دورا هاما في اقناع محمد محمود باشا بأنه لا داعى أبدا للمحاكمة التأديبية اعتمادا على الحديث القائل : أدروا الحدود بالشبهات .

وحول النقطة الأخيرة نشرت « المصور » فى عددها الصادر فى ٢٨ إبريل ١٩٣٩ : يظهر ان حكاية الجبل الأصفر لا تريد أن تنتهى ، فقد اعترفت الوزارة أثناء استجوابها فى البرلمان بأن التحقيق أسفر عن وقوع بعض « مخالفات » من بعض الموظفين ووعدت بالنظر فى أمر هؤلاء المخالفين ، وهذا جميل ، ولكن كيف يكون ؟ قالوا ان عبد الفتاح بك نور سكرتير الوزارة الموقوف معين بمرسوم ملكى ولا يجوز قانونا مجازاة موظف معين بمرسوم بخصم أيام من راتبه أو وقفه ، عن عمله أو حتى بتخفيض درجته أو مرتبه بغير محاكمة فى حين انهم يقولون ان المخالفات التى ارتكبت لا تدخل ضمن ما يصح محاكمة الموظف من أجله أو وقفه عن عمله ، لأن الوقف لا يكون الا لتهمة يجوز من أجلها الحكم بالحبس ، أو الفصل ، أو الاحالة الى المعاش .

ولكن محمد محمود باشا وهو الذى ضحى بزميله وقرينه الوزير المستقيل يأبى الا أن يوقع الجزاء ، ويؤيده فى هذا رأى كل من حسين سرى باشا وزير الدفاع ومحمد رياض بك وزير الأشغال ، ويعترض الدكتور أحمد ماهر ومعه بعض الوزراء على حق الوزير فى مجازاة الموظف الكبير المعين بمرسوم دون محاكمة تأديبية ويصرون على هذا رأى حتى لا يكون الجزاء منطويا على مخالفة جديدة ، وأخيرا احتكم الفريقان الى مشرع الدولة ومفتيها عبد الحميد بدوى باشا ، ومن جهة أخرى اعتزم أحد النواب الوفديين ان يتقدم الى النيابة طالبا محاكمة من أسفر التحقيق الادارى عن اذنتهم .

وكان المصور ، قد نشر فى نفس العدد كلمة أخرى عن مزرعة الجبل الأصفر ، جاء فيها :

كان الشغل الشاغل لمجلس النواب فى الأسبوع الماضي حكاية الجبل الأصفر ، وكان اقبال الجمهور على مشاهدة هذه المسرحية ، عظيما جدا ، ونحن فى مصر نهتم بالفضائح الداخلية ، أكثر من اهتمامنا بأى موضوع آخر فلم تظفر المعاهدة المصرية حين نظرها بجمهور حاشد جافل تكس فوق بعضه كما شهد استجواب الجبل الأصفر ، وكما شهدت معركة البرتقال ، واليوسف أفندي ، والليمون الحلو ، والبنزهير .

وانتهى الاستجواب بعد أيام وليال الى عمك « الرول » . . . وعمتا « الرول » هذا هو بطل مجلس النواب ، فكم احتمل المسكين من التقلبات الية من بدء الحياة النيابية حتى اليوم فما من استجواب واحد انتهى بغير الانتقال الى الرول

« جدول الأعمال » والاكتفاء بما قاله الوزير ، وأظرف ما فى الموضوع ، ان الحكومة فى مجموعها قد خرجت تجر أذيال المديح ، والثناء والوزير السابق خرج من الاستجواب سليماً ، وانصب جام غضب الحكومة ، والمجلس على الموظفين .

ويقترح المصور ، ان يضاف الرول المصرى - جدول الأعمال - الى عجائب الأهرام ، وخزان أسوان ، بين عجائب الدنيا كلها ، عشت أيها الرول ما عاشت الحياة النيابية ودمت للحكومة وللمعارضة خير ملجأ ، عند اللزوم .

وكانت مجلة روزاليوسف - فيما يبدو لى - غير متعاطفة على الإطلاق مع رشوان محفوظ باشا ، ففي عددها الصادر فى ٣٠ ابريل ١٩٣٩ قالت : يقول الدستوريون ان معالى محمد رياض بك وزير الزراعة بالانابة لم يلق - فى مجلس النواب - البيان المتفق عليه ، وان يدا خفية سلمت معالى وزير الزراعة ، المنتدب فى آخر لحظة البيان الذى ألقاه وان خشبة باشا ، وهيكى باشا ، ومصطفى عبد الرازق بك فوجئوا بذلك البيان ، فقد كان من المتفق عليه أن يبرز رياض بك شرف ونزاهة رشوان باشا ما دام معاليه وانقا تمام الثقة من نزاهته ، ولكن رياض بك لم يبرز فى بيانه شرف ونزاهة رشوان باشا ، التى ترتفع فوق كل شك . وتقول روزاليوسف « قيل ان رشوان باشا استقال من حزب الأحرار والحقيقة ان سعادته لم يستقل ، بعد . وانه اذا استقال فلن يستقيل وحده وانما سيستقيل معه عدد كبير من الأحرار الدستوريين ! » .

وتنشر روزاليوسف - فى نفس العدد - مقالا لأحمد معبد بك تحت عنوان « الدستوريون والسعديون بعد مناورات استجواب المزرعة » يقول فيه معبد بك : لا شك ان هناك مناورات و « حركات » قام بها اصدقاؤنا السعديون أثناء نظر الاستجواب الخاص بصفقة المزرعة لم تكن تنتظرها منهم ، ويقول كاتب المقال ان التحول المفاجئ فى موقف السعديين كان بسبب تدخل النائب السعدى سليمان بك بدوى الذى كان أول من أثار فى مجلس النواب فى سبتمبر ١٩٣٨ موضوع مزرعة الجبل الأصفر لا للمصلحة العامة كما كان منتظرا ، بل لمصلحة خاصة به ، فقد أثبتت - هكذا جاء فى مقال أحمد معبد - دوسيهات وزارة الزراعة الخاصة ببيع ثمار المزرعة أنه شريك للفريق ، المناهض لمحمد زيدان ، ومزايد سابق فى صفقة المزرعة عدة سنوات و ٠٠ و ٠٠ وان سليمان بك بدوى قد اضطر عندما شعر بضعف مركزه بطلب تقديم الاستجواب الى سحب استجوابه بعد أن اتفق مع حضرة النائب المحترم أحمد والى الجندى على السير فى الاستجواب !!

ويقول أحمد معبد بك - وهو فى نفس الوقت عضو فى مجلس النواب - انه كان قد اتفق مع عبد الجليل أبو سمره بك ، على التقدم باقتراح أملاه ابراهيم عبد الهادى بك كان نصه : بعد سماع المناقشات ، والمداولات وسماع بيان

الحكومة يقرر المجلس انه ليس هناك أى غبار على مسلك الوزارة ويقترح قفل باب المناقشة والانتقال الى « جدول الأعمال » وقد وقع على هذا الاقتراح ١٢٠ نائباً من مختلف الأحزاب ، ومن بينهم بعض الوفديين ثم فوجيء الجميع ، باقتراح آخر مقدم من ٢٠ نائباً سعدياً يقترحون قفل باب المناقشة والانتقال الى « جدول الأعمال » وفرق كبير - هكذا يقول أحمد معبد بك فى مقاله - بين الاقتراحين .

ويمضى كاتب المقال قائلاً انه سأل ابراهيم عبد الهادى عن السبب فى هذه الحركة المضادة فأحاله على معالى الدكتور ماهر فلما سألنا - هكذا يقول أحمد معبد - معالى الدكتور ماهر قال انه يرى الاكتفاء بالاقتراح المقدم من السعديين ، واننا اذا أضربنا على تقديم اقتراحنا فمعاليه ليس مسئولا .

ويقول كاتب المقال ، انه وعبد الجليل أبو سمره قابلا رفعة رئيس الحكومة، محمد محمود باشا - ورئيس حزب الأحرار فى نفس الوقت ، وتحدثا معه فى كل ما يتعلق بهذين الاقتراحين فأحالهما الى أحمد ماهر !!

ويقول كاتب المقال ان السعديين لم يستمعوا الى المناقشة التى جرت حول هذا الموضوع ، بل انهم انسحبوا بانتظام ! .

ويرد ابراهيم عبد الهادى وأحمد والى الجندى فى العدد التالى من روزاليوسف على مقال أحمد معبد بك عضو مجلس ادارة حزب الاحرار الدستوريين ، أما ابراهيم عبد الهادى فيقول ان الموضوع بسيط جدا فلا مناورات ، ولا تيارات شديدة من هنا أو هناك ، كل ما فى الأمر ، ان اقتراح معبد بك وزملائه قد قدم بعد الاقتراح الذى سبق لبعض الأعضاء تقديمه ، وينفى ابراهيم عبد الهادى ان النواب السعديين قد انسحبوا من قاعة الجلسة ولو بدت حركة كهذه لما فأت تقدير الصحفيين وهم بحمد الله يحصون كل صغيرة وكبيرة ويسجلون ما يجرى فى المجلس عن قصد ، وعن غير قصد . .

وكان رد أحمد والى الجندى ، عنيفا للغاية واذا كانت روزاليوسف قد نشرته عملا بحرية النشر ، فقط حرية النشر ، كما قالت فأنا شخصيا لا أستطيع أبدا أن أعيد ما نشرته روزاليوسف ، ولو كانت عملية إعادة النشر هذه تتم بعد عشرات السنين من وقوع الجريمة . . جريمة قلاف نائب فى حق نائب آخر .



وفى العدد التالى - ١٤ مايو ١٩٣٩ - تفتتح روزاليوسف صدرها لرد أحمد معبد بك على ابراهيم عبد الهادى ، وفى هذا الرد يقول معبد بك انه سعيد بأن نكتشف ان ما حدث من السعديين أثناء نظر استجواب مزرعة الجبل الأصفر كان نتيجة لسوء تفاهم ، ويشير أحمد معبد الى أن الدكتور أحمد ماهر ، استدعاء وبعض زملائه مؤكدا لهم ان الائتلاف بين الاحرار الدستوريين والسعديين

بخير . . وانه - أى الدكتور أحمد ماهر - صديق لرشوان محفوظ باشا وانه يتشرف بتلك الصداقة ! وتنشر روزاليوسف - فى حوالى نصف صفحة ، رد أحمد معبد على أحمد والى الجندى ، ومرة أخرى لا أستطيع أبداً ، ان أعيد ما نشرته روز اليوسف عملاً بحرية النشر . لا خوفاً من قانون العقوبات ، ولكن خوفاً من أن أؤذى مشاعر القراء !!

وكانت روز اليوسف قد نشرت فى عددها الصادر فى ٧ مايو ١٩٣٩ ان رشوان محفوظ باشا يعانى من أزمة نفسية هائلة وانه لم يعد يتحكم فى أعصابه ويسيطر عليها ، وانه لم يعد يثق بوعود محمد محمود باشا التى أصبحت كوعود هتلر فى المحافظة على السلام ، وان كل ما يطمح فيه رشوان محفوظ باشا ، أن يعود الى وزارة الزراعة ، ولو لمدة أسبوعين فقط ، خاصة وانه لا يقبل الاستمرار فى وزارة يشترك فيها محمد محمود والسعديون !

ويجتمع حزب الاحرار الدستوريين فى منتصف مايو ١٩٣٩ ويحضر الاجتماع أكثر من ستمين عضواً من أعضاء مجلس الشيوخ ، والنواب بمن فيهم رشوان محفوظ باشا الذى يحضر لأول مرة اجتماعاً لحزب الأحرار الدستوريين بعد خروجه من الوزارة .

وقيل أن أحمد عبد الغفار بك قد تحدث فى بداية الاجتماع عن خزينة الحزب وما أصابها من الهزال الذى كان نتيجة اعراض الأعضاء عنها ، وقد كان حديثه - كما قالت بعض الصحف - مؤثراً استدر دموع الحاضرين وان لم يستدر نقودهم للأسف !

ويعرض الأعضاء لمسألة وزير الزراعة : ويقول بعضهم ان وجود هذا المنصب شاغراً طيلة هذه المدة يحمل على الظن بأن حزب الأحرار الدستوريين فقير فى الرجال ويصر بعض الأعضاء ، على ضرورة تعيين وزير للزراعة فى أقرب فرصة .

وهنا وقف أحد النواب وقال : الذى فهمته من رفعة رئيس الوزراء ، أن مسألة تعيين وزير للزراعة ليست من اختصاص مجلس النواب ، ولا من اختصاص مجلس الوزراء وانما أصبح التعيين من اختصاص الملك وحده .

وتكتفى بالحديث عن أزمة واحدة هى أزمة مزرعة الجبل الأصفر لننتقل الى الحديث عن أكبر مفجر للأزمات فى تلك الأيام ، ونعنى به الفريق عزيز على المصرى باشا .

الفصل الثاني

عزيز المصري باشا مفجر الأزمات

لم يكن رشوان محفوظ باشا ، وحده خيمة العكنة بالنسبة لوزارة محمد محمود باشا بل لقد وجدت الى جانبه خيمة عكنة أخرى اسمها عزيز على المصري .

وعزيز على المصري لم يكن وقتئذ وزيرا ، وانما كان مفتشا عاما للجيش المصري ، وقد قام عزيز على المصري بزيارة مفاجئة الى العراق وأثارت رحلته الى العراق ضجة كبيرة وبادرت بعض الصحف بسؤال بعض المصادر المسئولة في الوزارة عن رأيها في رحلة عزيز على المصري الى العراق ، فأجابت تلك المصادر بأنها لا تعرف شيئا عن تلك الرحلة ، وعندما سئل عزيز على المصري عن رحلته المفاجئة الى العراق قال :

لقد أمضيت العامين الأخيرين في مصر ، دون أن أزال عملا ما ، أو أعرف لنفسى مكتبا بل لبثت طوال هذين العامين ملتزما بيتي لا أباهر من مهام وظيفتي قليلا ولا كثيرا ، لذلك فكرت في السفر الى العراق لمجرد النزهة فقط ، ولزيارة زملاء لي فيه قدماء ! جمعتني بهم سابق خدمتنا في الجيش العثماني ، أمثال نوري السعيد باشا ، وطه الهاشمي باشا ، وجودت بك ، وغيرهم من رجال الحكومة العراقية .

وعندما سئل عزيز المصري عما اذا كان قد حصل على ترخيص بالسفر من وزارة الدفاع أجاب طبعاً فقد طلبت كتابة الى معالي وزير الدفاع لترخيص لي بذلك ولم أعد معدات سفري ، الا بعد ورود الترخيص الكتابي بهذا السفر .

ويسأل عزيز المصري عن أسباب عدم مباشرته أعباء وظيفته كمفتش عام للجيش المصري كل هذه المدة ، فيجيب بقوله :

لا أدري ، والذي يسأل عن ذلك هم ولاية الأمور ، وكل ما أعرفه أنى قابلت وزير الدفاع الحالي عقب تعيينه لتهنئته ، ولم تستغرق هذه المقابلة غير دقائق ، كنت أنتظر أن تثار فيها مسألتى ، أو أن يحدد لى موعد لمقابلة أخرى للتفاهم ، على هذه المشكلة ، ولكن لم يحدث !

وفى الفيلا ، الخاصة بعزیز على المصرى - فى ضاحية عين شمس - راح عزیز على المصرى يتحدث باستمرار الى كل من يقابله عن زيارته للعراق . وكان من بين ما قاله : أليس عجيبا أن تهتم الصحف بنزعة أقوم بها الى العراق لا تستغرق سوى بضعة أيام ، دون أن تهتم بالعطلة البعيدة المدى ، التى منحتنى اياها الحكومتان الأخريان والتى تجاوزت سنتين ، وأنا مفتش عام للجيش المصرى وأتقاضى مرتبا عن هذه الوظيفة ومرتبى مدرج فى ميزانية وزارة الحربية ١٩ .

الى أن يقول عزیز المصرى :

اننى دهش حقا حيث تقوم قيادة الصحف من أجل غيابى بضعة أيام ، ثم تغمض العين عن تلك الأجازة القهرية ، التى أمتنع بها بالرغم عنى . ثم يقول : اننى متعطل عن العمل ، وقد حيل بينى وبين اختصاصات منصبى ، ولعل من المضحك أنه ليس لى فى وزارة الحربية مكتب خاص أو حجرة خاصة ، أو غامة فى الوقت الذى يتمتع فيه أصغر مرءوس لى - بحكم منصبى - بالمكتب والحجرة .

وعندما يسأل عزیز المصرى مرة أخرى عن أسباب الرحلة ، التى قام بها الى العراق يقول :

عندنا مثل قديم يقول : الفاضى يعمل قاضى ، وبما أننى فاضى حقا فقد طبقت المثل بحذافيره ، وعملت قاضى ، ولكن فى العراق لا فى مصر ! .

ويذيع عزیز على المصرى ، السبر الحقيقى وراء زيارته للعراق ، فيقول :

بعض ولاية الأمور فى العراق ، وهم من أصدقائى الأوفياء ومن زملائى الذين اشتركوا معى فى كثير من المواقع الحربية دبروا فيما بينهم مؤامرة صغيرة لكى أزورهم وأستمتع بوجودى بينهم ردحا من الزمن فزعموا أن هناك اختلافا بينهم وأنهم ارتضوني حكما ولم يسعنى الا أن أكون عند حسن ظنهم ، وسافرت الى هناك ، وكانت رحلة ممتعة ، وكانوا يحتلون أسنى المراكز ، وأخطروا فى الدولة العراقية .

وكانت القنبلة التى ألقتها عزیز على المصرى المفتش العام للجيش المصرى من القنابل الهامة والخطيرة التى تعود أن يلقيها بين آونة وأخرى ، ولم تنفجر

تلك القنبلة في المسكر الوزاري حيث يعتبر عزيز على المصرى موظفا كبيرا من موظفي وزارة الدفاع المصرية ، وانما انفجرت في الراى العام المصرى الذى فوجئ ، لأول مرة ، بأن المفتش العام ، للجيش المصرى الذى كان منصبه هذا من أهم المناصب ، التى تمخضت عنها معاهدة ١٩٣٦ ، لا يجد عملا يقوم به ، بل لا يجد مكتبا ، يجلس عليه !



وعزيز على المصرى من الشخصيات العسكرية النادرة ، التى فرضت ارادتها على التاريخ العربى : عزيز على المصرى ثائر ، بطبعه ، ثائر على كل شئ وعلى الكثير من الناس كما يتضح من تلك الصورة التى رسمتها له صحيفة السياسة الأسبوعية .

● ومن المقالات الجميلة ، التى تناولت حياة عزيز على المصرى ما نشرته ، عنه السياسة الأسبوعية في عددها الصادر في ٢٠ مارس ١٩٣٧ تحت عنوان : « فى المرأة » قالت السياسة : « يذكر الذين سمعوا مارش عايدة قوة أثره فى النفس ، حتى ليحركها الى الحرب ، ويدفع صاحبها الى الاقدام على المغامرة فرحا بها ، ناسيا كل ما ربما يكون من آثارها ، والحق ، أن هذا اللحن كغيره من ألحان الثورة والحرب وفى مقدمتها ، المارسيليز يذرنا فى حالة نفسية غير ما ألفنا : انى لأسائل نفسى ماذا يكون شأننا لو أننا سمعنا هذه الألحان ، كل يوم صبح مساء ، وأى طابع تطبع به روحنا ؟ وقد حرت فى الجواب على ذلك زمنا ، أما اليوم فلا حيرة ولا تردد فى الجواب وهو محسوس أمامى أراه كما أراك وأتحدث اليه كما أتحدث اليك ، هذا الجواب هو عزيز على المصرى باشا : نعم فهذا الرجل لحن حربي : هو مارش عايدة وهو المارسيليز وهو ما شئت من هذه الألحان التى تتحرك الجيوش لسماعها ، وتسير على نغماتها ، مأخوذة بها وقد ارتسم أمامها ما تصوره هذه الألحان من صور المجد والفخار والظفر .. هو كذلك ، فى روحه وفى تفكيره ، وفى اعتدال قامته اعتدالا مستويا ، لم تغير منه الحوادث ولا السنون ، وهو كذلك فى أيمانه ، الذى لا يتزعزع ، وفى ثقته بالله وبنفسه وفى مواجهته الحياة ، وأوصاها ، وفى حكمه على الأشخاص والحوادث حكما قاطعا لا تردد فيه حتى لكانه مجلس عسكري أو أمر قائد يصدره ، الى جيشه كيما يتحرك لمواجهة العدو ، »

وبعد أن تشير السياسة الأسبوعية الى مشاركة عزيز على المصرى فى الدفاع عن طرابلس ، وبرقة حيث كان على رأس فريق من القوات التركية وكان معه ، أنور باشا ، وكمال أتاتورك ، وحيث كان المصريون يرددون اسمه مقرونا

بالفخار ، أن يكون لمصر هذا الحظ في الدفاع عن بلد إسلامي ضد الغزو « الأوربي » كما تشير الى مشاركة عزيز على المصري في الثورة العربية في الحرب العالمية الأولى واختلافه مع القائمين بأمر تلك الثورة ثم تشير الى عودته ، الى تركيا وألمانيا ثم عودته ، بعد أن انتهت تلك الحرب الى وطنه حيث أقام به ولم يكن ماضيه شغيبا له أول عودته لدى الحكومة المصرية ، وعلاقتها بالانجليز ، وعلاقة الانجليز بها ما نعرف اذ كان عزيز في الحرب العالمية الاولى واقفا في صف الأعداء ، لصاحب الجلالة البريطانية ، وتشير السياسة الى الاصرار على ابعاد عزيز على المصري عن الجيش الأكبر ثم تعيينه مديرا ، لمدرسة البوليس ليتولى تنشئة الجيش الأصغر ، والى أنه جعل مدرسة البوليس مدرسة الرجولية والفروسية ، الى أن اختير لمرافقة « الأمير » فاروق في دراساته بانجلترا وعودته من انجلترا ليجد منصبه في مدرسة البوليس قد تولاه غيره ، وليجد نفسه في وظيفة في وزارة الداخلية لا يدرى ما هي ولا يدرى كيف ينفع ، أو ينتفع فيها بمواهبه .

وتستمر السياسة الاسبوعية في مقالها عن عزيز المصري قائلة : لم يكن عزيز على المصري أكثر استقرارا اذن في وطنه مما كان محاربا نائيا عن أرض الوطن فمن مدة الغربة ، الى مدرسة البوليس ، الى مرافقة أمير الصعيد ، الى مقر مجهول في وزارة الداخلية ، كما كان ينتقل من ملاجئ العصابات بمقدونيا الى طرابلس فالى بلاد العرب فالى تركيا ، وألمانيا وهو في حالة تجواله من ربع في الأرض ، الى ربع ، وتنقله من منصب في الدولة الى منصب ، ينظر بعين القائد الذي يذرع الميادين أمامه ، فتترامى الميادين ويطوى بعضها بعضا ، لأن الغاية لا تحول دون تراميها طيا ، ونشرا ودون استقرارها الى حال من الظفر أو الهزيمة ، كان شعوره شعور القائد المحارب لا يبطره الظفر ، ولا تحطمه الهزيمة بل يرى فيما يقع من هذا وذاك موعظة وعبرة لا يغير الظفر من رأيه في خطأ وقع لأن الحظ أراد الظفر ولا تغير الهزيمة من رأيه في بطولة بطل كان جديرا بأن ينتظر فخانه الحظ ، ورده الى التراجع والاندحار ، فالنجاح الذي يصفق له الجمهور أيا كان سببه لا يفرح به القائد ، المخنك الا أن يكون عن مقدرة تشهد بها الأعمال ، وكل ظفر أتى بغير اقتدار هو في رأيه حجة لاجيء اليها اللثام وقيمة الرجل الحق في نظر هذا القائد هي أدائه الواجب في كل الأحوال كائنه ما تكون الظروف ، المحيطة به وكائنه ما تكون النتيجة التي يؤدي اليها قيامه بالواجب وإنما يحاسب المرء عن نيته وعمله ، لا على النتائج التي يجنيها من وراء هذا العمل فكثيرا ما أدرك الأندال أبعد الغايات ونالوا بهذا النجاح احترام السواد ، وكثيرا ما قلب الحظ لكبار المصلحين ظهر المتجن فانقلب السواد عليهم ، وطاح بروس جماعة منهم ، مع ذلك بقي الأندال أنذالا وكتب كبار المصلحين في لوح البقاء .

وأبقت حياة عزيز المصرى فى حكمه على الحوادث والأشخاص صرامة القائد ولم تدع له أن يتسامح ، أو يفض عن الهفوات ، والزلات ، إذا كان مصدرها الزلة ضعفا فى النفس ولم يكن مصدرها عبث الحظ ، ولعله لو لم يذرع الأرض من ريع ، الى ريع ولم ينتقل فى مناصب وطنه دون أن يقر فى أحدها ولم تتكشف له فى النفس الانسانية جوانب الهوى طاغية أكثر الأحيان ، على جوانب الفضل ، والكرامة لكان أدنى الى التسامح وأكثر التماسا للمعاذير ، عن الزلات ، لكنه قضى حياة قضت عليه أن يكون صارما ، فى حكمه وأن تكون صرامته ، فى ناحية الخلق والحلم أشد منها فى كل ناحية أخرى وهو بذلك يريد أن يكون الناس فى صف الفضيلة ، لا يتحرفون عنه ، يسمعون الى صوته . كما يسمح للجيش الى صوت « مارش عابدة » ، أو أى لحن عسكري فيسيرون فى طريقها حتى يبلغوا الغاية بعد سيرهم ، ولتكن هذه الغاية ما تكون ، وهى لن تكون الا خيرا ما لم تعبت بها أيدي الأهواء وما لم يغلب النقص فيها الفضل ، وقد كان ما كتبه السياسة الاسبوعية عن عزيز المصرى قبل أن يقع الاختيار عليه ليشغل منصب المفتش العام للجيش المصرى ولو أنها نشرت ما نشرته عنه بعد اختياره لهذا المنصب ما غيرت السياسة الاسبوعية فيما كتبه عنه حرفا واحدا فالرجل هو هو ، لم يتغير ، ولم يتبدل : بركان ثائر ، يتحرك باستمرار لا يلوى على شئ ، أينفجر من نفسه على نفسه ، أم ينفجر فى غيره ؟

والجدير بالذكر أن أول مقالات كتبها عزيز على المصرى ، بعد أن استقرت به الأحوال فى مصر ، كانت عن بعض جولاته فى بعض البلدان العربية الآسيوية فى عام ١٩٢٦ وكانت فى السياسة الاسبوعية .

وكانت السياسة تحرص على أن تصدر تلك المقالات على أنها بقلم الرحالة عزيز بك المصرى !! وربما كانت تلك المقالات بداية تعرف محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين بعزيز على المصرى ، وعندما كان محمد محمود باشا رئيسا للوزارة - للمرة الاولى - اختار عزيز المصرى باشا ليكون مديرا لمدرسة البوليس ، وقد لقي عزيز الكثير من العنت ، حتى أنه عندما أراد الاستعانة بالكلاب البوليسية لتقصي المجرمين اعترضوا على تلك الاستعانة بدعوى أن الكلاب نجسة ! وعندما تعقدت الأمور بالنسبة لعزيز باشا فى كلية البوليس واختلف معه كبار موظفى الداخلية جميعا الذين كانوا يرونه مديرا ثائرا ! أراد محمد محمود باشا أن يتفادى ذلك الاختلاف فجعل اتصال عزيز المصرى به مباشرة ! وكان محمد محمود باشا رئيسا للوزارة أيضا عندما اختار عزيز على المصرى باشا ، ليكون مفتشا عاما للجيش المصرى فى ١٢/١/١٩٣٨ وقد قابل فى اليوم التالى محمد محمود باشا فى مجلس الوزراء ، ثم اتجه الى معالى

الفريق حسين رفقى باشا وزير الحربية حيث قابله بدوره بمناسبة تعيينه في منصبه الجديد ، وقد ظل عزيز المصرى فى هذا المنصب ، ولو بصورة غير عملية حتى ١٩٣٩/٨/٢٠ حيث اختاره على ماهر باشا - عندما أسندت اليه الوزارة للمرة الثانية - رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى خلفا ، اللواء محمود شكرى باشا الذى أحيل الى المعاش . وفى اليوم التالى لتعيينه فى منصبه كرئيس لأركان حرب الجيش المصرى وبينما كان يقود سيارته بنفسه متجها من القاهرة الى الاسكندرية اصطدمت سيارته ، بسيارة نقل كبيرة ، وقد تحطمت سيارة عزيز المصرى ، وأصيب هو برضوض شديدة نقل بسببها الى المستشفى ، وفور الانتهاء من اسعافه استقل سيارته بنفسه الى الفندق ، الذى كان يقيم به فى رمل الاسكندرية ومن الفندق ، انتقل الى دار الوزارة ببولوكى حيث قابل رفعة رئيس الوزارة الذى هنأه بنجاحه ثم اشترك على الفور فى المباحثات التى كانت تدور حول شئون الدفاع عن مصر !

وقد كان عزيز على المصرى كمفتش عام للجيش المصرى ، خميرة عكننة بالنسبة للسياسيين والعسكريين البريطانيين فى مصر ، كما كان أيضا خميرة عكننة بالنسبة لوزير الحربية ، الذى يتعامل معه ، أيا كان هذا الوزير فقد كان أسلوب عزيز المصرى أسلوبا خشنا للغاية ، صريحا الى أبعد الحدود حتى ان أحد وزراء الحربية اعتكف فى بيته مصرا ، على ألا يباشر عزيز المصرى سلطاته فى الجيش وأعلن أنه لن يذهب الى مكتبه فى الوزارة ، الا اذا أبقى عزيز المصرى فى بيته . ومرة كما روى لى اللواء السابق سعيد الألفى الذى كان على صلة وثيقة للغاية بعزيز المصرى - سأله أحد الوزراء عما يمكن عمله ، لحل مشكلة ما ، وكان الوزير غير متخصص فى شئون وزارته ، فقال له عزيز المصرى : ليست العبرة بأبداء الآراء وعرضها بل العبرة بطريقة التنفيذ : قم من مكانك ، وأنا أنفذ ما أراه . اما أن أبدى لك برأى لا تعرف كيف تقدره فلن تكون أبدا قادرا على تنفيذ ذلك الرأى أنت تجهل كل شئ والجاهل لا يستطيع تحقيق شئ ما ! ومرة أخرى أوفد لزيارة بعض المحافظات النائية وعاد بعد بضعة أسابيع ليقدم تقريرا لوزير الحربية وضمن تقريره كل ما يطلبه للضباط من علاوات وترقيات وكل ما يحتاج اليه الجيش فى تلك المحافظات من أموال ولم يتطرق - فى تقريره - الى أية مسألة عسكرية ، فلما سأله حسن صبرى باشا وزير الحربية عن السبب فى خلو تقريره من المسائل العسكرية البحتة ، قال له : لانك رجل غير عسكرى ، لم تدخل - مثلا - كلية الأركان وبالتالي فأنت لا تفهم شيئا فى الشئون العسكرية !

وقد كان فى مقدمة الأسباب التى أدت الى الحيلولة بين عزيز على المصرى ، وبين أداء واجبه كمفتش عام للجيش المصرى ، أنه - ولما يمضى شهر واحد ،

على صندوق الأمر الملكي بتعيينه في هذا المنصب الهام والخطير ، انتهز فرصة اجتماع عقده خريجو مدرسة البوليس والادارة للاحتفال بمديريهم السابقين بمناسبة تعيينه. مفتشا عاما للجيش المصري فألقى خطابا ناريا بدأه بالإشارة الى الامتناع والوجود ، الذي قوبل به تعيينه مديرا لمدرسة البوليس من قبل ضباط البوليس العظام والى خيبة الأمل ، التي قوبل بها هذا التعيين أيضا من قبل القانونيين ، الذين كانوا يعتبرون هذا المنصب حقا لهم لأن القانون هو الأساس الأول للدراسة البوليسية ، فقال الأولون : كيف يسند منصب كهذا لرجل جاهل بالنظم المصرية لا يدرك من وظائف البوليس شيئا ، وقال الآخرون كيف يجلس على رأس هذا المعهد رجل عسكري ، جاهل بعيد عن كل نواحي الثقافة ، عدو للقانون ، بطبيعة مهنته ، وحتى زاد بعضهم على ذلك فقال اننى قاطع طريق وسفاك ! كما أشار الى تبدل آراء هؤلاء وهؤلاء بعد أن قام بتطوير مدرسة البوليس .

ثم قال : والآن نرى المأساة تتكرر فمن قائل أن المفتش العام للجيش المصري تدرب في جيش أجنبي ، ولا علم له بالنظم الانجليزية التي فضلناها نحن والتي تحتتمها المعاهدة ومن قائل ، انه لم يتدرج في الجيش المصري حتى يتمكن من قيادته ، وهذا أخف وألطف مما قيل ، ويقال .

وبما اننى لم أتسلم زمام القيادة التي بدونها لا أتمكن من العمل ، رجحت مراعاة للظروف أن أمتنع عن الذهاب الى الوزارة ، الى أن يقضى الله أمره .

وفى خطابه الخطير هذا قال عزيز على المصري : ان الجيش ليس معناه السلاح ، والمعدات فقط ، ولكن هناك عوامل أخرى قد تكون أدق ، كثيرا وأنه ان كانت الأسلحة ، والعربات المصفحة فقط هي الجيش لكانت أدوات الجراحة هي كل شيء في الطب ، ولما كانت الناس تهرع الى كبار الجراحين ، الى أن يقول : لقد قوبل تعييني في منصبى هذا بوجهين مختلفين : فالنزيهون المخلصون وهم أكثرية هذا الشعب بحمد الله ينضمون للرأى العام ، ويرحبون بهذا الأمر ، بل أظن أنهم هم الذين أرادوا أن أقوم أنا باصلاح الجيش وقيادته لأنهم يعتقدون - صوابا أو خطأ - انى لا أقبل عملا ، الا اذا كنت قادرا على فهمه وانجازه . والآخرون وأريد أن أسميهم مادام موضوعنا الجيش - حملة الألغام المهلكة فى طريق كل مصلح يظهر فى هذه البلاد - فهم فى حزن شديد لهذا التعيين أو لهذا الانتخاب ، بمعنى أدق ، وبعض هؤلاء ، قد تطوعوا للأذى .

ويقول عزيز على المصري كانى أرى جيوش النور زاحفة على هذه الطبقة فى معسكرها المظلم وكانى أرى طلائعها مؤلفة من جيل جديد ، لشباب مثقف واع ،

متطسح إلى الأمام... ويخاطب عزيز المصري - فبراير ١٩٣٨ - طلائع الجيش
 المصري والبوليس المصري وشباب الجامعة - وكانت تلك المخاطبة الصريحة
 الواضحة. أول مخاطبة من نوعها بعد ثورة « ١٨٨٢ » - يخاطب عزيز
 المصري كل هؤلاء ، بقوله : كونوا النواة المفكرة في مستقبل الجيش والوطن
 تأخروا فيما بينكم ، تعرفوا بكل أنواع الكتب ، ولتكن أحاديثكم مناقشة ما في
 محتويات تلك الكتب : الكتاب والسيف هما الرزمان اللذان يجب أن يتقشبا
 على راية الرقي ، ولا تتباهوا على القدامى منكم فان خير ميراث يجب علينا حفظه
 في الشرق هو هذا التواضع النبيل أمام الشيوخ طيبى القلب . . . ويقول عزيز
 المصري : لا يمكنكم ادراك مدى سعادتي وسروري اذ أراكم تجرونني اليكم
 وتجبروني على أن أتحدث اليكم كما كان ولدي وهو صغير يجبرني على أن
 أقص عليه شيئا ، والشمس في الصباح تفرح ، اذ ترى الشمس في الضحى
 فيظن الشيخ أنه أصبح شابا وكم تبعد الحقيقة عن هذا ولكن كل القوى
 الطبيعية جميلة وما أجملها اذا اجتمعت كما نحن مجتمعون اليوم) . ويختتم عزيز
 المصري خطابه الناري بقوله : تأملوا صفحات التاريخ ستجدون انه ما من
 رجعية عاكست الزمن الا وانتهى أمرها بالهزيمة لأن نظام الله يقضى بالحركة
 الدائمة في سبيل التجدد والرقي فالوقفة المعادية لهذا التقدم المندفع ، بقوة
 الطبيعة ، نصيبها التدرج في الهاوية وان مصر التي منحني الله الحياة على
 يديها مرتين ، مرة عند مولدي وأخرى اذ أنقذتني من شرك صديقي وعدوي أنور
 - رحمه الله - وكان قد حكم بالاعدام على عزيز المصري قبل الحرب العالمية الاولى
 من قبل القادة الأتراك في مؤامرة دبروها ضده وقامت مصر على بكرة أبيها
 بتغير الرأي العام العربي ، والرأي العام الاسلامي ، بل والرأي العام العالمي
 ضد هذا الحكم الجائر الى أن أجبرت تركيا على الغائه - مصر التي قابلتني
 عند عودتي اليها عقب تصريح ٢٨ فبراير بمظاهرة بريئة مرحبة بشخصي منذ
 أن نزلت من الباخرة . مصر ، التي رحب بي رأياها العام عند استناد رئاسة
 مدرسة البوليس الى ، والذي عاد اليوم يبتسم وابتسامته أشبه ما تكون بابتسامته
 أم فرحة . مطمئنة الى ولدها . مصر هذه لها الحق ، أن تأمرني ، بأن أقضى بقية
 حياتي ساهرا على حدودها ، مع جيش من بنيتها قادر على صد المكاراة لئلا تتعمل
 هادئة لعودتها الى زعامة المدينة ونفع الانسانية . . .

ولست أريد أن أعتذر عن الاطالة في الحديث عن تلك الخطبة النارية التي
 ألقاها عزيز المصري والتي لم تشر اليها الصحف الصادرة وقتئذ الا من خلال
 سطور قليلة ، فاعتقادي الراسخ أن هذه الخطبة كانت من أخطر الخطب التي
 ألقيت في تلك الفترة والتي أثرت في كثير من الضباط الشبان الذين استمعوا
 اليها وكانوا فيما بعد طليعة الضباط الأحرار ، وكانت الخطبة قد ألقيت في
 فندق هليوبوليس بالاس في ٢٥ فبراير ١٩٣٨ وكانت المرة الأولى منذ زمن

طويل - التى يستمع فيها لضباط الشبان وبعض شباب الجامعة - الى مثل هذا الحديث الثائر من زعيم ثائر .

وكان فى مقدمة الذين تحدثوا فى تلك الحفلة الأستاذ عبد الله شعيب والملازم أول ليبي تومى ، والملازم أول عبد الهادى محمود والملازم ثان يوسف غراب والملازم أول يوسف القفاص والأستاذ عبد الحميد متولى أستاذ القانون بمدرسة البوليس .

والجدير بالذكر أن حسين رفقى باشا وزير الحربية رفض أن يشير الى الآثار ، التى « خلفتها » خطبة عزيز المصرى الا بقوله : ان عزيز المصرى ، كضابط عسكري كبير مسئول عما يقوله : وعن تحديد اختصاصات المفتش العام للجيش المصرى : قال حسين رفقى باشا ، ان تعديل هذه الاختصاصات ، أو تحديدها لا يكون الا بقانون خاص ، وهذا من أعمال رئيس الحكومة وهيئة مجلس الوزراء .

وعن أسباب انقطاع عزيز المصرى عن مباشرة أعمال منصبه قال وزير الحربية : اننى لا أعلم شيئاً رسمياً عنها .

وقال مصدر رسمى رفض أن يذكر اسمه : ان عزيز المصرى يريد أن تكون له اختصاصات الفريق سينكس باشا مفتش الجيش السابق ولكن فات ستعداته ، ان المفتش السابق كان يباشر فوق اختصاصاته العادية سلطة سردار الجيش المصرى بعد مقتل السير لى ستاك باشا سردار الجيش المصرى الذى بقى منصبه - اثر اغتياله - شاغراً ولم يشأ المصدر الرسمى الكبير فى وزارة الحربية أن يرد على السؤال الذى كان مطروحا بشدة فى كل الأوساط السياسية والعسكرية : لماذا بقى عزيز المصرى المفتش العام للجيش المصرى عشرين شهراً بدون رتبة عسكرية رغم محاولات ثلاثة من وزراء الحربية اعطائه تلك الرتبة لأن رتبة لواء ، التى كان يحملها عزيز المصرى وقتئذ كانت من البوليس لا من الجيش .

● كان اللواء « عزيز على المصرى » المفتش العام للجيش المصرى قد دخل معركة عنيفة مع وزارة محمد محمود باشا ، بصفة عامة ووزير حريبتها بصفة خاصة لأنه لم يكن له فى وزارة الحربية مكتب خاص يمكن أن يتواجد فيه بالرغم من أن كثيرين ممن يتبعونه - على الورق - كانت لهم مكاتبهم الخاصة الفخمة ، الضخمة ، المليئة بالسكرتارية والمعاونين ، والحرس و . . و .

سنوات ما قبل الثورة ج٢ - ٤٠١

وعزيز على المصري من الشخصيات التاريخية التي يجب أن يتناولها الكتاب والمؤرخون بالدراسة ، وقد شغلت نفسى فترة طويلة بدراسة شخصية عزيز على المصري ، وتتبع تاريخه لا في مصر وحدها بل في سورية ، والاردن ، والعراق ، كما راسلت الكثير من الشخصيات التي كان لها علاقة بعزيز على المصري مثل الاستاذ عجاج نويهض في لبنان ، والاستاذ مجيد خدوري في الولايات المتحدة الأمريكية واللواء الركن ابراهيم الراوى ، في العراق . ثم شغلتنى الظروف عن الانتهاء من اعداد هذه الدراسة التي اعتقد أنها ستكون جديدة عن عزيز على المصري ، داعية الوحدة العربية ، مقاتل الاستعمار البريطانى ، والتركي والعثمانى ، الثائر الذى لم تهدأ ثورته حتى بعد أن تجاوز الثمانين من عمره ، المغامر الذى لم يكف أبدا عن المغامرة وهو موظف ، وهو خارج دنيا الوظيفة . . . والرائد ، الذى كان يحرص على أن تكون له بصماته فى كثير من مجالات الحياة العامة .

كان عزيز المصري قد تصور أن يد بريطانيا قد رفعت عن مصر فى أعقاب توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، وأن الفرصة قد واثته ، ليحقق الكثير من أحلامه ، وآماله فى إعادة تنظيم الجيش المصرى ، على أسس جهورية تهتم بالمضمون ولا تهتم بالمظهر ، غير أنه سرعان ما تأكد له أن يد بريطانيا لا تزال باقية فى كثير من الأمور ، بعد معاهدة ١٩٣٦ ، كما كانت تماما ، بل وأكثر قبل معاهدة ١٩٣٦ ، ولكنه الثائر الذى لا يهدأ ، والمغامر الذى لم تمت فيه أبدا روح المغامرة ، أثر أن يكشف أداة الحكم المصرى التي كانت لا تزال خاضعة للتأثير البريطانى ، وأن يريح ضميره ويحيط رأى العام الذى كان يحترمه باستمرار بموقف أداة الحكم منه ، وموقفه من تلك الأداة . ولم يكن - كعادته - يكف عن مصارحة الرسميين الكبار بما تعتلج به نفسه من آراء .

قال ذات مرة ، لعلى ماهر باشا ، وكان رئيسا للوزارة ، وتربطه به صلات قوية ووثيقة : انس يا باشا أننى رجل عسكري ، واسمح لى أن أمارس مهنة أخرى ، غير العسكرية : اسمح لى أن أقوم بتدريس التاريخ لأبناء بلدى فدراسة التاريخ هى الكتاب الأول فى الوطنية الحقة ، والمعلم الأول فى الوطنية ، لشعب لا يعرف تاريخه المجيد ، ولا يعرف المسئ اليه من المحسن ، لكم أود حقيقة أن أدرس التاريخ فى كل مكان فى مصر ، لكل المصريين على حد سواء ، ولكن ما الذى يتيح لى هذه الفرصة ويمكننى من أداء هذا الواجب .

وعندما التقى أنور السادات - وكان وقتئذ ضابطا شابا - بعزيز المصري فى عيادة الدكتور ابراهيم حسن - بناء على ترتيب سابق - من الشيخ حسن البنا قال عزيز المصري لأنور السادات :

عيب هذا البلد ، انه ضعيف وانه لا يجد العناصر التي تغذيه بالقوة .

ويسأله أنور السادات : وكيف نأتى بهذه القوة ؟
قال عزيز المصرى : أنتم شباب الجيش • ماذا تنتظرون ؟ ومتى تعرفون
مستوليتكم الحقيقية ، ومتى تبدأون فى الاضطلاع بها ؟
ويسأل أنور السادات عزيز المصرى :
وهل تظن أننا فى داخل الأوضاع القائمة نستطيع اليوم شيئا ؟
ويجيب عزيز المصرى وقد انتفض - كما يقول أنور السادات -
تستطيعون كل شيء ، وغيركم لا يستطيع شيئا • ماذا تستطيعون ؟
تنتظرون توجيهها منى ، من لواءاتكم ، من حكام البلاد ، كلام فارغ •
وينظر عزيز المصرى الى أنور السادات ثم يقول :
لقد كان نابليون فى السابعة والعشرين من عمره ، كان مثلك ، هكذا
شابا صغيرا ، ولكنه استطاع أن يكون فى تلك السن المبكرة نابليون القائد ،
واستطاع أن يقود بلاده ، وجيشه ، ولم يكن يتلقى توجيهها من أحد •
وبعد لحظات قال عزيز المصرى فى عمق :
التوجيه الوحيد ، الذى كان نابليون يستلهمه فى كل خطواته • هو
الايمان ، الايمان الذى كان ينبعث من نفسه • فابحثوا عن الايمان ،
ولا تعتمدوا أبدا على أحد ، الا على أنفسكم •
ويقول أنور السادات : وكان لكلمة الايمان فى نفسى رنين عميق ، فقد
كنت أنا أيضا أبحث عن الايمان وأؤمن فى الوقت نفسه بأنه المخرج الوحيد
لنا من الحيرة التى كان المصريون جميعا يعيشون فيها ، فلا يكادون يقدمون ،
حتى يحجموا ، تيهسهم الحشرات وتزعجهم المخاوف •
وبرغم هذا فقد قلت له :
فقد عشت أنت مؤمنا بهدفك ، وعشت لا تعتمد على أحد وتغلبت عليك
مع ذلك هذه القوى ، ونحن نريد أن نعمل •
ويقاطعنى - هكذا يقول أنور السادات -
اعملوا وحدكم ، واعتمدوا على شبابكم ، وايمانكم ، والذى يستطيع أن
يقصى عزيز المصرى عن توجيه الملك ، والذى يستطيع أن يقصيه عن توجيه
الجيش ، لا يستطيع أن يقصى شباب الجيش عنه •
ويقول أنور السادات عن لقائه هذا بعزيز المصرى :
كان الرجل يتكلم بأنفعال شديد ، حتى كاد يغلبنى البكاء ، ولكنه عاد
الى طبيعته الواثقة وقال لى :

ان كان معك خمسة أفراد مؤمنين فاني على استعداد اليوم أن أحمل
طبنجتي وأتقدمكم لأى عمل لانتقاذ البلد .

وعندما هم أنور السادات بالانصراف شعر عزيز المصرى بالمسؤولية التى
وضعها فوق كتفه فقال مؤكدا : لن يكون خلاص للبلد الا بانقلاب ، على أيدي
العسكريين .

ويكمل أنور السادات قصة لقائه الأول بعزيز المصرى قائلا :

نظر فى عيني طويلا وأنا أصافحه ، ولم يقل بعد ذلك شيئا ، ولكنى
عندما خرجت من عنده كانت رسالتنا قد تحددت لهدف بعيد ، نستطيع أن نراه
بأعيننا وان كنا لا نتبين الطريق اليه ، وقد كان عزيز على المصرى رغم القيود
المفروضة عليه ، ورغم عدم السماح له بمباشرة عمله ، كما ينبغي ، يحرص على
أن يقوم ببعض الأعمال ، التى لم يكن أحد بقادر على منعه من القيام بها ، ويدلى
ببعض التصريحات التى لم يكن أحد بقادر أن يحول بينه ، وبين الادلاء بها .

مرة - فى ١٤ يونيو ١٩٣٨ - زار الحدود الغربية ومعها القائمقام
عبد العزيز بركات بك والصاغ محمود صبحى أفندى حيث استقبله أحمد
أفندى عبد المنعم مفتش قسم السلوم « برانى » واليوزباشى محمد زكى محمود
أفندى مأمور قسم برانى والموظفون والعمد ، والأعيان ، وقصد سعادته ومن
معه - كما قالت الصحف وقتئذ - الى منزل المأمور حيث تناول طعام الغداء ،
ثم غادر سيلى برانى قاصدا السلوم لزيارة الحدود الغربية .

ومرة - فى ١٢ أغسطس ١٩٣٨ - دعا الى بدء التدريب العسكرى فى
المدارس حتى يصبح شباب مصر قادرا على المشاركة فى الدفاع عن مصر ، على
أن تقدم وزارة الحربية المدربين وأدوات التدريب ، وتقدم وزارة التربية والتعليم ،
الأماكن التى يتدرب فيها الطلاب ، ويقدم أولياء الأمور لأبنائهم الملابس
العسكرية التى يحتاجون اليها فى عمليات التدريب تلك .

ومرة ثالثة نراه يقدم على زيارة ألمانيا ، فتقوم ثورة ضده من قبل
البريطانيين فى مصر ، والتابعين لبريطانيا من المسئولين « الكبار »
و « الصغار » ، ويحاول عزيز المصرى أن يوضح أمر هذه الزيارة فيقول انه
زار ألمانيا ، كما زارها محمد طلعت حرب باشا ، كما زارها كثير من المصريين ،
أنه ليس لهذه الزيارة أبدا أى معنى خاص ، فلقد زار تركيا قبل أن يزور ألمانيا
ولكن الثورة لا تهدأ فيعرضون على عزيز المصرى منصب مدير سلاح الحدود ،
ولكن عزيز المصرى يرفض هذا المنصب لأن المنصب لا يهيمه فى كثير أو قليل ،
وكل ما يهيمه هو ما الذى يستطيع عمله فى هذا المنصب .

ونراهم يفكرون مرة أخرى فى الغاء منصب المفتش العام للجيش المصرى
وتقوم مشكلة : ما الوظيفة الجديدة ، التى يمكن أن يقبل بها عزيز المصرى
خاصة وأن رئيس الوزراء محمد محمود باشا ، لا يريد أن يفضب عزيز المصرى
بدرجة أكثر مما أغضبه به الآخرون من الوزراء والسياسيين .

وكانت العلاقات بين محمد محمود باشا وعزيز على المصرى مجمدة أو شبه
مجمدة ، هذا بالرغم من أن محمد محمود باشا كان يتجنب باستمرار الاحتكاك
بعزيز على المصرى ، وكان فى نفس الوقت ، يختلف معه فى أسلوبه العنيف
وفى تسرعه وثورته وقدرته الفائقة على خلق الأزمات حتى تحول هو نفسه
- عزيز المصرى باشا - الى أزمة .

الفصل الثالث

محمد محمود يخوض أعنف معركة ضد الأمراء والنبلاء

● وللتاريخ ، نقول أن محمد محمود باشا قد خاض في تلك الأيام معركة من نوع خاص تختلف في ميدانها وفي أسلحتها ، وفي أهدافها ، عن معاركه مع علي ماهر ، والوفد ، والسراي ، والانجليز ، وقد كان موقف محمد محمود باشا ، في هذه المعركة ، عنيذا الى أبعد حدود العناد ا عنيقا ، كما لم يعهد الناس في رؤساء الوزارات الذين كان يفترض فيهم دائما ، الليونة والسهولة والدبلوماسية ! وقصة تلك المعركة ، باختصار شديد ، أن بعض المصريين من الأغنياء ، والموسرين ، وذوى الوجاهة السياسية والحزبية ٠٠ قد اعتقدوا أن مصر ، قد استقلت تماما ، وانها قد عادت الى أبنائها ، وانهم قد أصبحوا سادة في أرضهم ، وديارهم ، ولكن الأيام أظهرت لهم أنهم كانوا في اعتقادهم هذا من الواهين : لقد كانت غالبية الأمراء ، والنبلاء ، ومن تجرى - ولو من بعيد جدا - الدماء الزرقاء في أجسادهم ، يصرون على أنهم الأعلون دائما في مصر ، وأن أحدا من أبناء المصريين حتى لو أصبح وزيرا ، أو رئيسا للوزراء لا يمكن أبدا أن يقترب من عتباتهم المقدسة .

كان هؤلاء يرون أنهم من طينة ، وبقية أبناء مصر من طينة أخرى ، يترفعون عن الحديث باللغة العربية ، لانها لغة الفلاحين المصريين ، المملوكين لهم ، ويفضلون عليها باستمرار اللغة الفرنسية ، لغة الصالونات وقتئذ .

لم تكن الأندية الأرستقراطية تسمح للمصريين بالدخول ، الى تلك الأندية وحتى اذا سمح لهم ، بعضويتها ، أو بدخولها ، كضيوف لم يكن من حقهم ، أن يدخلوا غرضا معينة .

وفي بعض الأندية الأرستقراطية كان المصريون والمصريات يعاملون أسوا معاملة وكانهم في تلك الأندية طبقة منبوذة . محترقة .

وحدث ذات مرة ، أن أراد أحد أعضاء « كلوب محمد علي » — أخطر تلك الأندية الاررستقراطية وأكثرها اعتدادا بالعنصرية التركية — الدخول في إحدى القاعات ، ليتناول العشاء فمنعه المترودوتيل ، من الدخول لان القاعة محجوزة لأحد هؤلاء السادة الكبار وثار العضو واتصل بمحمد محمود باشا ، رئيس الوزراء شاكيا ما حدث له من اهانة وكان رئيس الوزراء قد تلقى العديد من الشكاوى من بعض المصريين ، من أعضاء نادى الفروسية ، من سوء ما يلقونه من معاملة .

ويلقى محمد محمود بالقفاز في وجه هؤلاء الأمراء ، ويقول كلمته الخالدة التي لا يزال كثير من المعاصرين يحفظونها عن ظهر قلب : « أنا فلاح وابن فلاح ، وهذه مصر ، للفلاحين من أبنائها ، ومن لا يريد أن يعيش في مصر الفلاحين ، فليغادرها الى حيث يريد » .

ويتبادل محمد محمود باشا ، والنبيل عمرو ابراهيم ، الذي كان يرأس بعض تلك الأندية الاررستقراطية اللكمات ، والطعنات علنا ، وعلى رؤوس الأشهاد . . ولم يكن من المؤلف بل ولا من المتصور ، حتى مجرد التصور ، أن يهاجم رئيس الوزراء ، الأمراء ، والنبلاء من أعضاء الأسرة المالكة والحاكمة ، يمثل تلك الصورة القاسية والعنيفة ، ولكن محمد محمود باشا ابن محمود سليمان باشا المصرى ، العريق في مصريته ، أبى أن يهان مصريون في بلدهم مصر !

وكما هي العادة ، انقسم الرأى العام . . ما بين مؤيد لرئيس الوزارة المصرية في هجومه ، على الأمراء والنبلاء والمتنصرين من ذوى الدماء الزرقاء ، التركية والالبانية ، وما بين معارض له ، وكانت حجة معارضى محمد محمود باشا في موقفه العنيف العنيد هذا ، أنه قد أعطى المسألة — مسألة قفل إحدى القاعات في وجه أحد أعضاء نادى محمد علي ، ومسألة إهانة بعض المصريين والمصريات في نادى الفروسية — أكثر مما يجب ، وأنه كان يجب عليه كرئيس للوزراء ، أن يكون حكيما فيما شجر بين بعض المصريين من خلاف أو اختلاف ، كما أن بعض معارضى محمد محمود باشا ، في هجمته المضربة تلك ، انتهزوها فرصة ، للنيل من مكانة محمد محمود باشا عند « الملك » الذى يعتبر نفسه رئيس الأسرة المالكة وعميدها ، والذى يجب عليه بدوره أن يثور لتلك السابقة الخطيرة الخاصة بمهاجمة الأمراء ، والنبلاء علنا .

وقد رأى البعض أنه بعد أن دخل محمد محمود باشا ، المعركة بتلك الدرجة من العنف والعناد لا بد أن تقف المعركة عند هذا الحد ، ويتم الاتصال ، بمحمد محمود باشا ، وبالنبيل عمرو ابراهيم الذى لم يتأخر عن أن يكون المتحدث الرسمي باسم الأمراء ، والنبلاء ، والمدافع عن حقوقهم من أجل الصلح . على أن يصدر عمرو ابراهيم بيانا مسالما يوضح فيه أن أحدا لم يكن يقصد إهانة الأعضاء المصريين ، لا فى كلوب محمد علي ولا فى غيره من الأندية .

ومن الأمور ، التي أخذها البعض على مجلة « المصور » أنها وقفت ضد محمد محمود باشا ، ووجهت إليه اللوم لانه ، أقحم نفسه كرئيس للوزراء ، في مسألة لا تستحق مثل هذه الضجة .

وينشر المصور من بين ما ينشره عن هذا الموضوع ، في عدده الصادر في ٢٦ مايو ١٩٣٩ - رسالة من سيدة مصرية حول ما حدث في نادى الفروسية ، ولكن المصور يكتب بعض السطور كمقدمة لتلك الرسالة ، يقول فيها :

« وصل الينا هذا الخطاب مع مخصوص من سيدة مصرية فنشرناه عملا بحرية النشر ولكننا حذفنا منه بعض ما لا يجب أن يعرفه رجل عظيم كمحمد محمود باشا ، مكتفين بلفت نظر رفعتة الى أنه من المستحسن أن يبتعد رفعتة ، بشخصيته المحصنة ، عن النوادي ، وخفايا الأركان فلهمه الاثارة أسباب ذكرتها السيدة المصرية « الفلاحة » وحذفناها وظلمنا الواقع بحذفها اكراما للكثيرين .

أما رسالة هذه السيدة التي قال « المصور » أنها « لفلاحة » مصرية قد جاء فيها :

سيدي رئيس الوزراء :

دهشت جدا حين قرأت نبأ ثورة رفعتكم الجديدة على ما تسميه المجلات والجرائد التي نشرت عنكم ما نشرت نظام الطبقات والتفرقة بين « التركية » والمصرية وتساءلت « مذهولا » من أى تاريخ بدأت هذه التفرقة بين المصريين والأتراك ، هل ساءلتم رفعتكم مخبركم بالتفاصيل عن تاريخ هذه الفترة الجديدة وعن الأسباب ! أقسم أنكم لم يفعلوا إنما قيل لكل - بدون وقائع - أن المصريين الفلاحين ، والمصريات الفلاحات ، يهانون في نادى الفروسية فترتم ثورتكم الأنوفة ، العيوفة ، وطبل المطبلون ، وزمر المزمرون معلنين مجدا وطنيا قوفيا جديرا بثقتكم يعلم الله أنكم لستم في حاجة اليه ، ويعلم الله ، أن المظلمين يأسفون أن تهتموا بحكاية لا تستحق الا أن توضع تحت عنوان : مناقشات ، ودردشات نسائيات : أى والله يا باشا ، أن التي تكتب اليكم هذا الخطاب مصرية صميمة فلاحة تعلم أن من مؤسسى نادى الفروسية سيد باشا خشبة « الصعيدى » ، ومحمد باشا حسين « الشرقاوى » وحيدر باشا « المنيأوى » وعبد الحميد بك الشواربى « القليوبى » و . . و . . وتعلم أكثر من هذا أن نجلكم العزيز محمود محمد محمود من أعضاء النادي ، وأن شقيقكم النائب المحترم حفى محمود بك من زوار النادي ورواده بين سبب اشكالات وأزمات ، واعلموا أن هؤلاء لا يراعونكم بقدر ما يراعون أغراضهم ، وانهم يعملون لحسابهم الخاص ، على حساب الدولة ،



وينشر المصور تحت تلك الرسالة ، نبذة عن الغرفة المحجوزة في كلوب محمد على يأخذ فيه كاتب تلك النبذة - ويخيل لى انه كاتب تلك الرسالة ، الموقعة باسم

مصرية فلاحية فالأسلوب في الرسالة ، وفي النبذة واحد - جانب النادي ، ولا يأخذ جانب العضو الشاكي ، وتنتهي تلك النبذة بالعبرة التالية : وكان ما كان مما عرفه القراء وعاصرت هذه الحكاية - حكاية نادي الفروسية التي شرحتها ، السيدة الفاضلة في خطابها المنشور ، وهكذا يتشاد الكبراء على التوافه كما يتشاد طلبة المدارس ، ويتساوى الشباب والكبار في الاعصاب .

وفي العدد التالي من « المصور » يكتب فكرى أباطة في بابة المعروف : آراء حرة في حوادث الأسبوع تأييد نزيه ، معارضة نزيهة ، تحت عنوان ضجة النوادي :

« قامت في الأسبوع الماضي ضجة حامية حول النوادي ، وخصوصا نادي الفروسية ، وكلوب محمد علي ، بزعم ان الرئاسة هنا وهناك تفرق بين الطوائف ، وتعامل المصريين الفلاحين معاملة غير راضية وقد شرح قلم تحرير المصور الموقف على حقيقته ، وأقام الدليل ، على أن تلك الحكاية ترجع لأسباب شخصية وأما محاولة إثارة نغمة جديدة للتفرقة بين « هاى لايف الأتراك » والمصريين محاولة في غير محلها ، ويرى فكرى أباطة : أن من الخطأ سماع المطاعن من جانب واحد قد يكون متحاملا ، وأن الحكم بذلك ، على خطة النوادي بطريقة خطيرة جدا ، لأنها غير عادلة ولأن لكل نادي خصومه ، وأعداءه ولا تملك الشخصيات الكبيرة ، أن تلم بكل التفاصيل وان من الظلم البين ، أن تقضى قضاءها بمثل ذلك التسرع ، وهكذا كم هي مليئة هذه الدنيا بالمغالطات !

ويكتب فكرى أباطة في المصور مقالا ، من أعنف مقالاته تحت عنوان : الفلاح ودموع التماسيح ، ويقول فكرى أباطة في مقاله الذي نشر بتاريخ ٩ يونيو ١٩٣٩ : ايه يا دموع التماسيح ، دعى الفلاح في شقائه وبؤسه وجحيمه ، وقولى لنا بالصراحة وبالحق ما الذى أغضبك ؟ دولة ويا لها من دولة ، عندما يحتاج أحد أعيانها الى وقوف « الأكسبريس » فى محطة ليصفر معلنا جأه ، ووجاهته وسلطانه يهتف فى أذن الحكومة صائحا : وقفوا الأكسبريس من أجل الفلاح سهلوا المواصلات على الفلاح ، روجوا التجارة من أجل الفلاح ! وعندما تزق البنوك الوجهاء الذين بذروا أموالهم فى باريس ، ومونت كارلو وقم الالب أو هنا وهناك تسيل دموع التماسيح صائحة . انقلدوا الفلاح من الخراب ، قسطوا الديون من أجل الفلاح ، وتسوى ديون ثلاثين أو أربعين وجيها والفلاح لا يعلم ، ولا يفهم ولا يصل إليه نعيم الدولة ولا خيرها ، ويخرج من المعمة بجلايته الزرقاء « وبجحشته » العرجاء كما دخلها بجلايته الزرقاء ، وبجحشته العرجاء ! و . . و . .



وعندما يختلف ارسقراطى مع ارسقراطى فى ناد ارسقراطى على مائدة عشاء ، أو على زهرة من حديقة غناء يبرز شبح الفلاح الهزيل ، الجوعان ،

العطشان ، من أوساط الذهب والماس والفضة والحريز ، والقטיפه ، والديكولتيه
والأرمين والشيان لو ، ليكون المسكين المختلس ، المستعار المسروق ، سلاحا في
المعصية وقد كان قبلا امعة : يا دنيا النفاق والمغالطات ما أعجبك قولي لنا بالله
عليك من هو الفلاح ؟ ويرد فكرى أباطة على تساؤله قائلا : الفلاح الذي نعرفه
هو ذلك الذي لا يمتطى مرسيذ الدولة ولا باكار الدولة ولا شيفروليه الدولة
والذي لا يأكل ولا يلتهم بنزين الدولة والذي لا يقبض من الدولة مالا وانما يدفع
للدولة دمه ، ولحمه ، ولا يمشى الا بقدمين حافيتين خشنيتين مشققتين من
الوحل والمطر ، والشوك والشمس ، والنار .

والفلاح الذي نعرفه هو الذي لا يأكل الحراف والديوك الرومي ، والفراخ ،
والحمام ، والجاثوه والمارون جلاسيه ، وانما هو الذي يأكل الملح والبصلة الناشفة
والكرات والحشائش والحضار القرديجي ، بدون سمن أو زبدة ، والذي لا يذوق
اللحم الا في الشهر مرة من صنف العظم ، « والشغت » لا من صنف الاسكالوب ،
والبفتيك !

ويمضى فكرى أباطة متحدثا عن الفلاح الذي يعرفه ثم يقول : هذا هو
الفلاح يا سادة فلا تزاحموه ، على اسمه ، ولا على بؤسه ، ولا على جحيمة ،
وعفوا من سرقة واختلاسه واستعارته ، اذا ما ضيقت دنيا الاهواء ، عليكم
الحناق ، ويخاطب الفلاح بقوله : ايها المسكين يا العوبة اللاعيب وانشودة
السياسيين وسلاح المتباغضين المتحاربين ، ونفمة المنافقين وقيثارة الكاذبين
ما أتعنك .. !

ورغم محاولة فكرى أباطة اخراج المعركة من اطارها بالتركيز على
معاناة الفلاح ، الا انها بقيت كما هي في اطارها الذي رسمته الأحداث لها :
معركة بين المصريين الاصلاء وبين المصريين المتمصرين ، أو الاتراك المستنصرين .



وتكون مجلة روز اليوسف من الصحف التي رأت أن ما حدث في كلوب محمد علي
خطأ ، غير مقصود من المتروذوتيل وتأخذ على بقية الزميلات انها أبت الا أن
تخلق من هذا الحادث شيئا ، وان تضيف اليه ما شاءت من رتوش ، خرج به
عن حدوده .

وتروى روز اليوسف الحقيقة من وجهة نظرها قائلة أن فريد بك ثابت
أحد أعضاء كلوب محمد علي أراد دخول غرفة في الكلوب فأفهمه المتروذوتيل ،
أن طاهر باشا كلفه بحجز الموائد ، التي بها لانه دعا اصدقاءه لتناول الطعام
في النادي ولم يقل له أن دخولها محرم على الاعضاء ومباح للزملاء كما زعمت
جريدة المقطم . وتقول روز اليوسف : ولقد راق لبعض الصحف أن تتخذ من
حادث كهذا موضوعا يثير فضول القراء ، الا أن اللياقة والتزام الحقائق كانتا

تحتمان على تلك الصحف عدم اثاره هذا الموضوع وصوغه بصيغة هو فى الواقع ليس منها فى كثير ، أو قليل .

وتنقل روز اليوسف عن رشوان محفوظ باشا أحد أعضاء النادى ، القدامى قوله ان أصحاب السمو ، الامراء ، والنبلاء من أعضاء النادى ، يحرصون ، على ازالة الفوارق بينهم وبين الاعضاء حرصا شديدا خصوصا صاحب السمو الأمير محمد على أكبر الأمراء سنا ، ومقاما ! كما تنقل عنه أيضا قوله ، أن هذا الحادث ليس الا زوبعة فى فتنجان ، كما تنقل روز اليوسف عن الأستاذ كريم ثابت الذى كان أول من أثار الموضوع فو، جريدة المقطم قوله وهو يتحدث عن أثر هذا الحادث عند الراى العام : شفت عظمة محمد محمود باشا تجلت فى المقال بتاعى ازاي أنا أبرزت عظمتة ، بصورة واضحة . لقد اهتم الجمهور بهذا المقال اهتماما شديدا جدا حتى لقد جاءنى ، اكثر من ٥٠٠ تلغراف وجواب تهنئة على هذا المقال ، .

وتحمل روز اليوسف الأستاذ كريم ثابت مسئولية اثاره هذا الحادث ! وتنتهى المعركة التى خرج منها محمد محمود الفلاح ابن الفلاح منتصرا : وللعلم ، فقد كانت الأندية الارستقراطية فى مصر ، هى كلوب محمد على ، الذى كان يرأسه « شرفيا » الأمير محمد على ، و « فعليا » محمد طاهر باشا وكذلك نادى السيارات ، الذى كان يرأسه أيضا محمد طاهر باشا ونادى الفروسية ، الذى كان رئيسه الشرفى الأمير يوسف كمال أما الرئاسة الفعلية فقد كانت للنبيلى سليمان داوود .

وبتلك النهاية السعيدة تنتهى واحدة من المعارك القليلة والنادرة التى انتصر فيها - وقتذاك - محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء - وقتئذ - فى كثير من المعارك .

ويبقى الحديث عن معركة أخرى بطلها أحمد عبود باشا « رجال المال الأجنبى » فى مصر !!

الفصل الرابع

معركة حول خطابات فيكي باشا

تعرضت وزارة محمد محمود باشا لهجوم شديد من قبل الصحف الوفدية، ولم يكن محمد محمود باشا هو المقصود وحده ، بهذا الهجوم ، وإنما كان المقصود ، معه ، بل قبله د. أحمد ماهر ، وزير المالية واتخذ هذا الهجوم صورة معركة شديدة حملت اسم خطابات « فيكي باشا » .

وتبدأ قصة خطابات « فيكي باشا » ، أو معركة خطابات فيكي باشا . في جريدة الوفد المصرى التى راحت تتهم أحمد ماهر باشا بصفة خاصة والوزارة بصفة عامة بأمور تمس نزاهة الحكم معتمدة - كما قالت - على خطابات أرسلها أحمد عبود باشا ، الى احدى صديقاته ، يقول فيها أنه متفائل بالنسبة لاعانة الحكومة « للشركة الفرعونية » لأن الدكتور أحمد ماهر قد أصبح وزيرا للمالية . وأن الدكتور أحمد ماهر قد أكد بشكل حاسم أنه سيعطيه الاعانة وان مجلس الوزراء قد وافق على منح الاعانة وان كان نشر القرار سيتأخر بضعة أيام ! وتنشر صحيفة الوفد المصرى ، ضمن ما تنشره من خطابات ، خطابا أرسله أحمد عبود الى صديقتة اياها ، يؤكد فيه أنه مل الانتظار ، وأنه سيلحق بها فى باريس ، وتقول صحيفة الوفد المصرى ، تعقيبا على تلك الخطابات التى سمتها بالوثائق ، انها تمس نزاهة الدكتور أحمد ماهر ، وانها تتضمن فضيحة تفوق فضيحة نزاهة الحكم .

ويغضب أحمد ماهر ويتخذ الاجراءات القانونية الخاصة بالتحقيق مع جريدة الوفد المصرى خاصة وأن الخطابات التى نشرت مع افتراض صحتها لا يمكن أن تدينه من قريب أو بعيد كما أن مجلس الوزراء لم يتخذ قرارا خاصا بأعانة الفرعونية .

وتقول الصحف الموالية للدكتور أحمد ماهر أن ما نشرته جريدة الوفد المصرى لا تتضمن شيئا يدين د. أحمد ماهر ، فالخطابات لا تحمل أكثر من اعتذارات متوالية من سعادة عبود باشا عن تأخره فى ارسال « الاعانة » الشهرية،

وعن اعطاء عذر لبقائه في مصر ، كل تلك المدة الطويلة بدون أن يلحق بصاحبه .
في باريس . وهذه الخطابات - كما قالت مجلة روز اليوسف في عددها الصادر
في ١٠ يونيو ١٩٣٩ - هي من غير شك ردود على خطابات الصديقة التي تجلس
وحدها في بلاد غربة من غير مال ، أو صديق والتي كانت تنتظر أن يلحق بها
فيكي باشا في الميعاد ، المحدد ، كما أن الظروف أيضا حالت دون ارسال الاعانات
المناسبة . وكان يجب عليه أن يفسر هذا أو ذاك فكتب اليها يقول انه هو الآخر
ينتظر الاعانة الفرعونية وأنه متفائل وكان يجب عليه أن يقول لماذا هو متفائل ،
فكتب اليها يقول أن الدكتور ماهر صاحبه ، وأنه أصبح وزيرا للمالية . ثم طال
الانتظار ، وكثرت الشكاوى ، فكتب يقول : الصبر طيب وان الدكتور ماهر قال
له بشكل حاسم ، أنه خلاص سيعطيه الاعانة .

وجاءه الرد بأن « صبر أيوب » عملة لا يعترف بها الباريسيون ، « فنتشها »
خطابا قال فيه : أن المسألة انتهت وان مجلس الوزراء قرر منحه الاعانة بس
كمان كام يوم . وفرجها الله على سعادة فيكي باشا عن طريق آخر ، غير طريق
الحكومة ، فكتب الى صديقه يقول لها انه مل الانتظار ، وأنه سيلحق بها على
أجنحة مش عارف ايه وايه مما يجب أن يظل في ضمير البؤس ، والليلة الظلماء .
هذا هو ما تضمنته خطابات فيكي باشا ولا نطن أنها تضمنت شيئا غيره .
مما يقول به الوفديون : اعتذارات لا أكثر ولا أقل من « حبيب موروب » .

والجدير بالذكر أن د . أحمد ماهر قد صرح للصحف أنه يرى أن الشركة
حقا جديرة بالاعانة على الرغم من هذا الغبار الذي أثاره الوفد في صحفه وقد
صرح د . أحمد ماهر للصحف أيضا تعليقا على نشر خطابات فيكي باشا : أنه
كان يحترم زعماء الوفد على خصومتهم له ، ولكن هذا الاحترام قد هبط الى
ما تحت الصفر حين رأى هذا الاسفاف في حملاتهم .

ويقول أحمد عبود باشا ، تعليقا على اهتمام الوفد المصري بنشر تلك
الخطابات الخاصة أنه ما كان يظن في يوم من الأيام أن الوفد ينزل الى هذا الحد
من نشر الخطابات الخاصة وأنه كان تحت يده خطابات مكتوبة من والى سيدات
يعرفهن بعض زعماء الوفد حق المعرفة لكنه أعدها بعد أن حصل عليها من
أصحابها ، وزعماء الوفد يعرفون هذا جيدا ، ويقول أحمد عبود باشا : لو انني
لجأت الى استغلال تلك الخطابات على صفحات الجرائد لرأى الناس ، كيف تكون
الفضائح حقيقة !

ويقول عبود باشا : انه عندما كان الملك فاروق يفتتح الشركة الفرعونية
ويرفع العلم المصري عليها أبدى رغبته في موالاة الشركة بالتشجيع وأن النحاس
باشا وكان في معية الملك في تلك اللحظة قال : احنا كمان عملنا ترتيبنا يا مولاي .

عشان اعانة الشركة ، ويقول عبود أن هذه الواقعة ذكرتها الصحف في حينها ومنها جريدة المصرى ، ولا أظن أن تبرح تلك الواقعة ذاكرة النحاس باشا .

ويهاجم عبود باشا ، النحاس باشا ، ويتحدث - فى الصحف - كثيرا عن هداياه التى كان يتحف بها رفعتة بين حين وآخر ، وهى التى لا تخلو منها غرفة من غرف بيته ، كما يذكر عبود أيضا أنه وظف أحد أقارب زوجة النحاس فى الشركة الفرعونية بثلاثين جنيها فى الشهر وكان من قبل لا يزيد مرتبه على ستة جنيهات لانه ليس لديه مؤهلات !! وأحاديث أحمد عبود باشا ، كانت كثيرة ، وسخيفة فى نفس الوقت .

وتقول الصحف ، أن السيدة التى ورد ذكرها فى خطابات فيكى باشا عبود ، والتى كان يخاطبها بقوله : حبيبتي كانت زوجة لأحد أثرياء الاسكندرية من غير المصريين وانها اختلفت مع زوجها وأن زوجها ، أجبر على أن يلجأ الى ضبطها ، ويحصل على دليل مادي ضدها لانها عارضت فى ضم أولاده اليه ، وأرهقته بمطالب مادية كبيرة ، وأنه لم يجد غير هذه الطريقة ليوقف أمام القضاء طالبا ما اذا كانت تليق حقا بأن تضم أولادى اليها وفيهم بنات أم لا حرصا - هكذا قال الزوج بالحرف الواحد - على سمعة أولادى ومصلحتهم فقط خطوط تلك الخطوة . وأود أن ألفت النظر الى أننى افترقت عن زوجتى من مدة طويلة بعد اكتشافى علاقتها مع عبود باشا ، وأنا الان فى أنتظار حكم « البطرخانة » فى قضيتى التى أطلب فيها بالطلاق ويروى الزوج قصة قضيتين لزوجته واحدة فى باريس والمنظر أن يحكم فيها بغرامة لأن الزوجة وصديقها أخطأ فى حقى ولهذا الحكم تأثيره الكبير فى الهيئة الاجتماعية الاوربية ، لانه يبعد المحكوم عليه من الهيئة الاجتماعية ابعادا تاما ، والقضية الثانية جنحة مباشرة رفعتها - الكلام لا يزال للزوج - أمام محكمة الاسكندرية الاهلية وما زالت سائرة فى طريقها ولو أن بعض الأيدى القوية حاولت تعطيلها .

والغريب اننى لما التجأت الى معالى خشبة باشا وزير الحقانية قال لى : اعملوا الى تقدروا تعملوه . . أنتم أحرار فى كل تصرف قانونى . وقد عملت بنصيحة معاليه وأمكنتى بعد جهد أن أحرك القضية وأنقلها الى أيدى المحكمة ، وقد طلبت رفع الحصانة عن عبود باشا منذ أول الدورة البرلمانية والى اليوم لم ينظر المجلس فى هذا الطلب فالقضية جاهزة ولا ينقصها الا رفع الحصانة عن عبود باشا وانى أخشى أن أنتظر طويلا قبل أن ترفع تلك الحصانة ، أما قضية الطلاق فقد قدمت زوجتى أخبرا عريضة للبطرخانة اتهمتنى فيها بسوء السلوك واننى عريبد ولا يجوز لى أن أشرف على تربية أولادى ، وقد أظهرت للقضاء منذ أيام قلائل مدى ضعف تلك الأكاذيب . وعن قضية ضبط الخطابات الخاصة بالزوجة يقول الزوج : أن بعضها ضبط فى دارى والبعض الآخر - وكان كثيرا - ضبطه البوليس الفرنسى عندما هاجم الفندق الذى كانت تقيم به وقد

أعطت هي تلك الخطابات لعبود باشا فعثر عليها البوليس عندما فتشه واحتفظ بها ، وكان تصرف البوليس في هذه المسألة غير قانوني . وقد تمكنت من استرداد هذا الجزء من الخطابات وإيداعها دوسيهات القضيتين المرفوعتين في الاسكندرية وباريس ، وعن وصول هذه الخطابات الى جريدة الوفد المصرى قال الزوج : لا أعلم ، كيف وصلت . وعندما نشرت اتصلت بوكيل نجيب الهاللى بك وتباحثنا حتى هذه المسألة فقبل لي أن النشر مقصود به مسألة اعانة الشركة الفرعونية وهذه المسألة تهم الوفد ، وقد سمعت أن صورة الخطابات ودوسيه قضية الجنحة المباشرة مودعة في مكتب مجلس النواب مع طلب رفع الحصانة البرلمانية عن عبود باشا ، ولا يبعد أن تكون الخطابات وصلت الى الصحف عن هذا الطريق .

ويتقدم حسين الجندي عضو مجلس الشيوخ بسؤال الى رفعة رئيس الوزراء عما اذا كان رفعتة يعلم ان فيكى باشا ، كتب خطابا آخر يقول فيه أنه دفع مبالغ كبيرة لبعض ذوى النفوذ وعما اذا كان رفعتة وبعض الوزراء ، اجتمعوا في مجلس الوزراء للاطلاع على هذا الخطاب وغيره من الخطابات الشخصية و . . و . .

وقيل أن صاحب هذه الشائعة - شائعة الخطاب الجديد - هو الزوج المجروح ، الذى لا يزال يحب زوجته والذى لا هم له الآن ، الا الانتقام من خصمه على طريقة رجال المال أى القضاء على خصمه ماديا .

وكان الزوج ، قد حاول الحصول على الخطابات الخاصة بزوجته من البوليس الفرنسى بعد أن استردتها الزوجة بحكم قضائي فلم يستطع ، فرفع دعوى أمام المحاكم الفرنسية خسرها ابتداءيا ، واستثنافيا ، ثم عاد فرفع دعوى أخرى أمام المحاكم المصرية ولكن الزوجة رفضت حتى أن تجيب بكلمة واحدة أمام المحكمة بخصوص اتهامات زوجها ، كما رفضت أن تسلم الخطابات الخاصة التى تعتز بها ، وتحرص عليها !!

وتعلق روز اليوسف على اصرار الزوج على الانتقام من الرجل الذى سلبه زوجته وقلب هناءه جحيما ، ولطخ شرفه بالعار . تعلق قائلة : أمثال هؤلاء الرجال لا يستحقون منا أى عطف أو رثاء ، ونعتقد أن مكانهم ليس فى القصور ومجلس النواب ، وأن مكانهم فى اصلاحية الرجال !

ويهتم الرأى العام المصرى اهتماما بالغاً بتلك القضية رغم أنها - فى الغالب - شخصية ولا تتعلق الا بعلاقات عبود باشا بأحدى السيدات .

أثارت تلك القضية التى اهتم بها حزب الوفد اهتماما بالغاً بالعديد من التساؤلات من بينها مثلا :

هل يجوز لحزب سياسى ، أن يستخدم مثل تلك الخطابات الخاصة فى اتهام أحد الوزراء رغم أن تلك الخطابات لا يمكن أن تقيم دليلا على ادانة أحد الوزراء ؟ كما قامت فى نفس الوقت ضجة كبيرة ، حول العلاقة التى تربط عبود باشا بتلك السيدة ، وقد دخل الزوج طرفا فى الموضوع ، عندما أدلى بأحاديث الى بعض الصحف عن علاقته وزوجته بأحمد عبود ، وكيف أن أحمد عبود قد بدأ يتعرف الى زوجته « جيدا » عن طريق تعيين بعض أقاربها كموظفين فى بعض شركاته « فكان ذلك الطعم الذى أوقعنا نحن الآن » .

• وكان البوليس الفرنسى ، قد هاجم الزوجة واستولى على بعض خطاباتها الخاصة أثناء هذا الهجوم ، ولأن القانون الفرنسى لا يبيح للبوليس أن يستولى حتى عندما يهاجم منزلا وبأمر النيابة العامة على الخطابات الخاصة ، فقد رفعت الزوجة دعوى أمام المحاكم الفرنسية مطالبة باسترداد تلك الخطابات الخاصة وقد حكم لها القضاء الفرنسى بأحقيتها فى الحصول على تلك الخطابات التى لم يكن البوليس قد فضها أو عرف محتوياتها ورغم أن الزوج - طالب بدوره بالحصول على تلك الخطابات للاستعانة بها فى دعوى الطلاق ، التى رفعاها ضد زوجته . إلا أن المحاكم فى مصر وفى فرنسا رفضت اعطاء تلك الخطابات الخاصة بزوجته . . .

وكنموذج للعلائق السياسية التى كانت تربط بعض الوزراء ببعضهم نذكر ، أن حسن صبرى باشا ، وكان وزيرا فى حكومة محمد محمود ، قد استقال قبل أسابيع من قيام الوفد بحملته على ، أحمد ماهر ، وبسبب اختلافه مع الوزراء السعديين فى مجلس الوزراء اشترك فى الحملة على ، أحمد ماهر وكان منتشرا فى الأندية والمجالس يردد الشائعات ضد أحمد ماهر ، وكان انتشاره ، كما تقول بعض الصحف ، أكثر من انتشار جريدة الوفد المصرى ذاتها ، التى بدأت الحملة .

ولأن د . أحمد ماهر ، كان بريئا من اتهامه باستغلال النفوذ ، وكان فى نفس الوقت مخلصا فى دعم الشركة الفرعونية لأنها تستحق الدعم ، لا لأن له علاقة بصاحبها أحمد عبود ، فقد راح فى كل مكان : فى البرلمان ، وفى مجلس الوزراء ، وفى الأندية السياسية وغير السياسية يؤكد أن مشروع إعانة الشركة الفرعونية ليس من بنات أفكاره وإنما مشروع الإعانة هذا قد سبق أن وضع فى عهد الوزارة الوفدية ، التى أثارت ضده تلك الحملة الظلمة .

وكان رأى العام قد تجاوز موضوع الحملة على أحمد ماهر لعدم استنادها على أية أدلة لثقتته فى نزاهة أحمد ماهر المجاهد الوطنى القديم . . . ولكن رأى العام ، انشغل الى فترة طويلة بالقضايا العديدة التى رفعها « الزوج اياه » ضد « زوجته » وضد « عبود » وكذلك بالقضايا التى رفعها « عبود » ضد « غريمه الزوج » تلك القضايا التى كان لها صداها فى راحة احسان عبد القدوس « شئ فى صدرى » . . . !!

سنوات ما قبل الثورة ج ٢ - ٤١٧

وكانت المرافعات في هذه القضية - رغم انها قضية خاصة - تطبع وتوزع على اوسع نطاق ، وكان خصوم أحمد عبود من السياسيين والاقتصاديين قد تكتلوا ووقفوا خلف « الزوج » للقضاء تماما على عبود ، وكان عبود يعرف أن هذه القضايا بالنسبة له قضايا حياة أو موت فوجد كل طاقاته ، وامكانياته للخروج منها . « دون أن يقضى عليه » .

بل ان رئيس مجلس الشيوخ نفسه قد تدخل في هذه الموضوعات فأوحى الى الشيخ حسين الجندى أن من بين خطابات فيكي باشا الى حبيبته خطابا يقول فيه أنه دفع مبالغ كثيرة لبعض ذوى النفوذ وان هذا الخطاب قد بحث أمره في مجلس الوزراء ، وبناء على « معلومات » محمد محمود خليل بك رئيس مجلس الشيوخ ، تقدم العضو حسين الجندى بسؤال الى رئيس الوزراء يسأله عن حقيقة ذلك الخطاب ، وغيره من الخطابات الشخصية الأخرى ، ثم ظهر لحسين الجندى بك - فيما بعد - أنه « أندب » في السؤال وأنه أسرف في تصديقه أقوال رئيسه ، رئيس مجلس الشيوخ . . . !

وفي وسط هذا الجو المتوتر يقترح أحد « النواب » الظرفاء أنه عندما يعرض مجلس الوزراء موضوع اعانة الشركة الفرعونية على البرلمان يجب أن تنص الحكومة في مشروع الاعانة هذا بأن تذهب الى خزانة الشركة الفرعونية وألا تذهب الى « جيب » الحبيبة ، بل أن هذا العضو استمر في « نظرفه » فرأى وضع عقوبة لأحمد عبود باشا اذا هو خرج على مشروع القانون الخاص بتلك الاعانة وأعطى الحبيبة الاعانة ، أو جزءا منها !

وفي هذا الوقت ، الذي يش فيه أحمد عبود من تقرير اعانة شركته فكر في إعادة الشركة الى أصحابها الأصليين ، من غير المصريين . . . بدلا من شرائها تماما من أجل تمصيرها !

كما ينقل على لسان رئيس الوزراء ، محمد محمود باشا أن وزارته سوف تعدل عن مشروع الاعانة لانها لم تصبح مسألة جادة ، وانما أصبحت مسألة « كوميك » . ولكن الدكتور أحمد ماهر وزير المالية كان يميل الى اهمال هذه الضجة ، التي أثبتت حول الاعانة ، ويصر على تقرير الاعانة حرصا منه على اتمام تمصير الشركة الفرعونية ! ويؤكد محمد محمود باشا في أكثر من مناسبة بأن نزاهة الدكتور أحمد ماهر فوق « الشكوك والشبهات » .

وأخيرا يرجو الوجهه بيير قرداحي من الصحف ، أن تكتفي بما نشرته عن موضوع خطابات فيكي باشا وما دار حولها لأسباب خاصة ، وتحقق الصحف رجاء الوجهه بيير قرداحي !

ويكون آخر ما نشرته الصحف عن فيكي باشا وخطاباته زجلا نشرته
روز اليوسف في عددها الصادر في ١٩٣٩/٧/٨ جاء فيه :

الأوله فين عيون جوليت تشوف
« فيكي » أبو الشركات وقع مادريش
والثانية راحت عليه بالجملة عاديكي
مافيش اعمانات ولا بقشيش
والثالثة يا وزارة ما كانشى العشم
فيكي أدوخ سنوات ودفغ مافيش

ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن غراميات فيكي باشا التي اتخذت ذريعة
للنيل من وزارة محمد محمود باشا بصفة عاملة ، ومن أحمد ماهر باشا وزير
المالية بصفة خاصة .

وننتقل الى الحديث عن صعوبات أخرى اعترضت طريق محمد محمود باشا
رئيس الوزراء .

الباب السادس

الفصل الأول

عقبات أخرى في طريق محمد محمود

نعود الى النقطة التي سبق لنا أن وقفنا عندها ، وهي استمرار على ماهر باشا رئيس الديوان « الملكي » في التآمر ضد وزارة محمد محمود باشا ووضع العراقيل في سبيل أداء عملها ، بل وتسميم الابار في طريقها ، حتى تصبح عاجزة تماما عن الاستمرار في الحكم الأمر الذي يؤدي برئيس الوزارة محمد محمود باشا الى طلب اعفائه من الحكم وبذلك يصبح الطريق ممهدا أمام على ماهر لرئاسة الوزارة بناء على رغبة « ملكية » ، « جماهيرية » و « حزبية » ، باعتباره منقذ البلاد في تلك المرحلة الخطيرة من المراحل التي تمر بها البلاد ويمر بها المجتمع الدولي الذي كان يتوقع نشوب الحرب بين يوم وآخر .

وكدليل على ما وصلت اليه وزارة محمد محمود باشا من ضعف واستكانة ما نشره الاستاذ فكرى أباطة في عدد المصور الصادر في ٢٧ يناير ١٩٣٩ تحت عنوان : « استقرى أو فاستقيل » . وقد جاء في مقالة الأستاذ فكرى أباطة : « ثورة عجيبة في نوعها ، ولونها : تنفجر في داخل الوزارة ومن أعضائها ، على أعضائها فنسمع كل يوم بدخول وزير وخروج وزير وترقيع يتوالى ويتتابع ، وكل رقعة « ترم » الثوب الوزاري تجر وراءها رقعة أخرى حتى أصبح الثوب كثير البقع ، والرقع .. »

وثورة أخرى عجيبة في نوعها ولونها تنحرف من الجيزة تارة ومن دواوين لاطوغلي تارة أخرى ومن حي الأزهر ، ومن معاهد البنادر أحيانا وثورة ثالثة من ناحية ثالثة هي الأولى في الترتيب وفي الأثر ، وفي المصير ، تتجلى يوما ، وتختفي أياما ، ولا يعرف سرها ولا برنامجها الا علام الغيوب .. يا أستاذ العقول يا ارباب الألباب أيكون كل هذا من عمل الصدقة ومن صنع الخواطر ؟ أو ان في جسم الوزارة أجزاء تشد على جسم الوزارة أو ان في خارج الوزارة من يعملون على « دحرجة » الوزارة أو أن حظ هذا البلد ، التعس هو هذا الحظ

الأسود المنكود ، أو ان مشكلة الفلوس هي سبب كل هذه الفوضى ، وكل هذا الاضطراب ؟ أسئلة تغد على ذهن المواطن المصرى الذى لا ناقة له ، فى الحكم ، ولا جمل والذى لا شأن له فى الحزبية ولا عمل والذى يمتلكه الأسى ، حين يرى عملية الهدم تتمشى مع عملية البناء ! يتساءل هذا المواطن المصرى كيف يمكن أن يستمر الحال على هذا المنوال ؟ .

كيف يمكن أن يهدأ بال المحكومين وحال الحاكمين هذا الحال ؟ الحكومة القوية ، التى يدين لها الشعب بالطاعة والنظام والثقة هي الحكومة القوية فى ذاتها ، القوية بمن تتعاون معهم وتستند الى ثقتهم ورضائهم . . القوية بفروعها ، المدنية والإدارية والعسكرية ؟ هذه هي الحكومة التى تستطيع ان تعمل وان تنجح وان تعيش ، أما الحكومة التى تثور على نفسها من نفسها والتى تصطدم خطتها مع خطة المتحكمين فى وجودها والتى لا تضمن أمانة ولا طاعة من العائشين فى ظلها ، والعاملين على تنفيذ أمرها ونهيتها . . هذه الحكومة حكومة تستهدف كل يوم للطوارئ ، وتعرض كل لحظة للاخطار ، فهى ليست حكومة استقرار . .

نصف هذا الوصف الدقيق ونحن آسفون كل الآسف لان الوصف مؤلم ، ولكن وقائمه كلها ، مسرودة هنا بأمانة وعفة ، ودقة ، هذا هو النواقع الذى لا يتسرب اليه الشك ولا يلوته الهوى . . والحكومة مع هذا تواجه إصلاحات فى غاية الأهمية وغاية الخطر ، تنشئ جيشا جديدا فتتعرض فى الطريق تنشئ « كادرا » جديدا فتتعرض فى الطريق من الموظفين ، وهى وسط الخطر من الجيش ، تنشئ ضرائب جديد فتتعرض فى الطريق من رجال المال ، والأعمال ، وشدته ، وأزمته تطعن من الخلف فجأة وبغته ولا تجرؤ أن تصرخ من الطعنة فتتلقى من الألم ، وترسل الأئنين المكتوم .

وبعض فكرى أباطة قائلا : يحتاج الأمر الى شجاعة وتضحية ، والحكومة شجاعة فى بعض النواحي اذ تقاوم كل هذه الجيوش المسلحة ، وغير المسلحة ، مستسلمة فى بعض النواحي لدرجة الانتحار ، هي حكومة قوية وضعيفة ، وهذا هو الاضطراب بعينه فما تجدى القوة مع الضعفاء ، وما يجدى الضعف مع الأقوياء نحن ننصحها بأن تتفاهم . قبل أن تقدم ، وبأن تزيل الصعاب التى تعرفها ، وتعرفها قبل أن تحسم وان تبسط كل الأمور ، المختلف عليها بسطا وافيا لتتفق على الأسس والنتائج ، أما أن تخطو ثم تضطر الى أن تتقهقر فهذا هو الهوان .

للمصلحة العامة تضطر مع الأسى ، والألم ، الى أن نسطر هذا نحن طلاب استقرار لأى نوع من أنواع الحكم لأننا طلاب بناء وتشبيد فيا أيها الحكومة استقبلى أو فاستقرى .

ويضرب فكرى أباطة على هذه النغمة أيضا فى العدد التالى من « المصور » - عدد ٥ فبراير ١٩٣٩ ، فيقول تحت عنوان : « صوت النذير » وفى هذا المقال

يقول فكرى أباطة ، ليس موضوع الكلام اليوم كادرا للموظفين ، ولا تعيينات وتنقلات ولا تأويلات دستورية ، ولا تصرفات حكومية وانما موضوع كلام اليوم حياة أو موت ، فناء ، أو بقاء ، معو أو وجود . . موضوع اليوم أنه قد تشبب حرب عالمية فى أسبوع أو أسابيع . . فى شهر أو شهور فماذا يجب علينا ، ان نفعل : هل تصلح هذه الحكومة لمواجهة الخطر ؟ الجواب ، كلا هذا الجواب الحاسم ، لا يقدم فى كفاءة الحاكمين ولا فى نزاهتهم ولا فى وطنيتهم وانما يقدم قدحا كاملا فى ظروفهم : هذه الحكومة لا تتمتع اليوم تماما بثقة السراى ولا برضاء السراى ، وقف الجيش بين عابدين ولاطوغلى فارتضى فى أحضان عابدين وولى ظهيره نحو لاطوغلى ، هذا هو الواقع ، ولا يدفع الواقع ، ان يقال كلام غير صحيح ، يخالف ما نحسه ونعرفه ، ونراه وليس المقام حكما على المتجنى أهو الجيش ، أم الحكومة ، فذلك بحث يطول شرحه ، وأوقات الخطر ، لا تتسع للمناقشات . . انما نحن نرصد ما يتجلى فى الأفق وما يجرى فى السماء فالحكومة فى هذه الناحية بين المطرقة والسندان .

والحكومة أيضا تستهدف ، أو هى قد استهدفت فعلا لحملات حامية من كل طبقات الموظفين فلسست تجد طبقة أو طائفة منهم راضية ولو بعض الرضا عن الحكومة الشجاعة ، التى شاء لسوء الحظ أن تصدر « الكادر » فى ظروف دولية سوداء . . هذا « الكادر » الأسود اللعين أثار الثائرة ضد الحكومة الحاضرة فلا المهندسون ولا القضاة ، ولا رجال الدين ولا موظفو الدرجتين السابعة والثامنة ، ولا ، ولا ، ولا غير هؤلاء من موظفى العاصمة وموظفى الاقاليم يشعرون بالاخلاص القلبى لمن يصرفون الامور ، وقد يكون هذا التنكر جرما ، وقد يكون هذا التمرد ظلما ، ولكن العمل وهذا هو الأمر الواقع ، وما العمل اذا مضت الظروف باعلان الحرب وهذه هى حال الحكومة وهذا هو حال الموظفين والحكومة أيضا تستهدف أو هى استهدفت فعلا ، لزحف عنيف من طلبة الجامعتين الأزهرية والمصرية فأقلقوا بال العاصمة . أياما وليالى وروعوا السكان الأمنين من حين الى حين ، والحكومة أخيرا ، يناصرها العداء ، حزب معارض وراء ملايين ، ولئن أنكرها عليه قوته فى أيام السلم ، فلسنا ننكر عليه قوته فى أيام الحرب ، ولئن ألزمته بالولاء الظاهر فلنسنت تضمن منه الولاء الباطن ، والأيام السوداء لا تطلب المظاهر وانما تطلب الصمم .

والحكومة الحاضرة فضلا على كل هذا ثائرة فى نفسها على نفسها ، تستهدف واستهدفت كل يوم لتزقيخ ، وتغيير ففى هيئتها الوزارية ثورة وزارية ولسنا نظلمها فنقول انها المسئولة عن كل هذه الأوضاع وانما المسئولية على « الظروف السيئة » وحدها فقد جاءت لتصلح وترمم ولتبني وتشيد . فواجهت كل هذه الصعاب وأثارت حولها كل هذه الثائرة ولكننا اليوم لا نحلل للتاريخ وانما نعد للخطر ، فهل هى حكومة تصلح للخطر ؟ الجواب مرة أخرى : كلا .

وينتهي فكرى أباطة كلامه وهو يتحدث عن الحل ، بمناسبة الزعماء والإقطاب ، الذين عقدوا المعاهدة ان يباشروا تنفيذها عند الخطر ، كما يباشروا تلك المعاهدة عند التحرير ، وعند التصديق : هؤلاء هم الذين يجب أن يتقدموا للميدان يتحملون المسئولية ويتولون الرد ، على القنابل ، والمدافع والبارود : هذا هو « صوت النذير » ليسمعه الجميع وليعمل له بعد الآن ، فان الحرب ليست لها « رنديفوهات » ولا مواعيد .

وعندما يقول فكرى أباطة ، الهادئ ، الوديع ، هذا الكلام العنيف في مجلة كالمصور كانت تقف موقفا محايدا بين الحكومة والمعارضة ، فمعناه ان وزارة محمد محمود قد وصلت الى درجة كبيرة من الضعف والهوان جعلت فكرى أباطة يثور على أوضاعها بمثل تلك الثورة العنيفة ..

والواقع ، اننى بعد ان درست كل الظروف التى أحاطت بوزارة محمد محمود دراسة وافية كما درست فى نفس الوقت كل العقبات الخطيرة ، التى وضعت فى طريقها استغربت كيف استطاع محمد محمود باشا وهو الرجل الابى ، العنيد أن يقبل لوزارته هذا الوضع ، الكثيب ، بل والكريه فى نفس الوقت ، وان كان بعض المتصلين بمحمد محمود باشا قد أكدوا ان الرجل قدم استقالته أكثر من خمس مرات وفى كل هذه المرات الخمس ، كانت الاستقالة ترفض ولا تقبل وان كان بعض « الحبناء » ممن عاصروا تلك الوزارة وكانوا على مقربة من مكان صنع القرار يقولون ان استقالة محمد محمود باشا لم تكن ترفض حرصا على الإبقاء على محمد محمود باشا ، ووزارته ، بل كانت ترفض من أجل ان تقبل تلك الاستقالة فى الوقت المناسب الذى يختاره مخرج « التمثيلية » ، بحيث تخرج تلك الوزارة - بالاستقالة أو بالاقالة - بعد أن تكون قد استنفدت كل أغراضها ، وبحيث لا تترك رأيا عاما يعطف عليها أو يمكن أن يأسف لاستقالتها ، أو لاقالتها ؟!

والواقع ، أن وزارة محمد محمود باشا ، كانت - بحق - وزارة سنيطة الحظ للغاية فالأغلبية الشعبية ممثلة فى حزب الوفد المصرى كانت تحاربها حزبا لا هوادة فيها ، والسراى كانت كذلك بتأثير من على ماهر ، والجناح السعدى فى الوزارة لم يكن متحمسا أبدا للدفاع عن تلك الوزارة بل كان يحرص على بخلق المشاكل التى تسبب ثورة الجماهير ، على تلك الوزارة ، بالرغم من أن رئيس الهيئة السعدية أحمد ماهر ووزير المالية فى وزارة محمد محمود هو الذى أصر على تنفيذ الكادر الجديد على موظفى الدولة كما أصر على فرض الضرائب الجديدة والكثيرة ، على كثير من فئات الشعب وطوائفه ، وكان محمد محمود - لاعتبارات أخلاقية بحتة - يساند أحمد ماهر فى كل مواقفه . دون أن يبدو منه أى ميل للتخلي عنه ، أو لتركه وحيدا فى المعركة المالية التى كان يخوضها .

وفوق ذلك كله بل قبل ذلك كله كانت وزارة محمد محمود باشا تواجه موقفا خارجيا صعبا للغاية ، ونعنى بذلك قرب نشوب حرب عالمية جديدة ، وكان هذا الموقف الخارجى الصعب هو أكبر بكثير من حكومة محمد محمود باشا الضعيفة الممزقة .

وقد استغل الوفد المصرى فرصة ضعف حكومة محمد محمود باشا فأصدر قرارا فى مارس ١٩٣٩ أكد فيه ان الدستور والنظام البرلمانى فى مصر ، قد أصبحا فى خطر وأن مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد قد وضع ما جاء فى قرار الوفد مؤكدا ان قرار الوفد لم يكن فى قالب احتجاج ، ولم تتوجه ، الى ناحية معينة ، ولم تحمل المسئولية جهة بذاتها ، بل كان قرارنا ، بمثابة اعلان عن عزم الوفد وتصميمه على ألا يمس الدستور أو الحياة الديمقراطية ونحسن ماضون فى طريقنا ولن تأخذنا فى حقوق البلد هوادة ولا لين واثقين من حقنا مطمئنين الى انتصارنا فأما الزيد فيذهب بجفاء وأما ما ينفخ الناس فيمكت فى الأرض وعن اشاعة استقالة الدكتور أحمد ماهر قال النحاس وماذا يهمنا فى ذلك ليستقل ، أو ليتبق ، ولتستقل الوزارة بأكملها أو لتبق ، هذا أمر لا نتعجله فالوزير الذى يستقيل يعين غيره والوزارة اذا استقالت يمكن أن تخلفها وزارة مثلهما ، انما الذى يهمنا هو أن ينتهى هذا العهد ، وتقوم فى البلد حكومة تكون وليدة انتخابات حرة . ويقول مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد ، ان البلاد قد وصلت الى خراب لا يستطيع مصطفى النحاس ولا ألف مصطفى النحاس أن يصلحه وان كائنا من كان لا يحسد على تولى الوزارة فى هذه الظروف السيئة وبعدما آلت اليه البلاد من خراب .

وحول سؤال النحاس باشا عن احتمال تشكيل لجنة تحكيم فى الحدود الدستورية ، يكون هو باعتباره رئيسا سابقا للحكومة ، عضوا فيها أجساب النحاس باشا بقوله لا أقبل الاشتراك فى هذه اللجنة للقيام بمثل تلك المهمة . لتعالج الوزارة وسائل بقائها بكل طريق تشاء ، أما نحن فسنظل نجاهد معتمدين على حقنا ، وثقة الأمة فينا ونحن واثقون من الانتصار فى النهاية مهما مد الله فى عمر هذا الحكم الهزيل الذى وصل البلد الى الخراب بأجلى معانيه .

يخفف من هذه الأزمة القائمة بين الحكومة والمعارضة وصول صاحب التسمو الامبراطورى شاهبور محمد رضا بهلوى الى عهد ايران ، للزواج من الاميرة فوزية شقيقة فاروق ، وابنة أحمد فؤاد ، كل ما فعلته المعارضة انها أصدرت تعليماتها الى صحفها ، وقواعدها باظهار الابتهاج ، بهذا الحادث الملكى السعيد الذى تم فى ٢٥ مارس ١٩٣٩ .

وفى أثناء تلك الأزمات العنيفة ، داخليا وخارجيا يحدث فى الجامعة حدث له دويه وصدهاء فقد حدث فى انتخابات العميد فى كلية الآداب ان حصل الدكتور

طه حسين على ٢١ صوتا بينما حاز الأستاذ شفيق غريال على ١٦ صوتا ، وحصل الأستاذ أحمد أمين على عشرة أصوات ، وكانت المفاجأة ، اذ أرسل الدكتور طه حسين خطابا الى وزير المعارف يعتذر فيه عن قبول هذا المنصب بل ويطلب أجازة من مدير الجامعة لمدة سنة . وقال أصدقاء الدكتور طه حسين : انه - أى الدكتور طه حسين - منذ أوائل العهد الحاضر كان هدفا للهجوم ، ومضايقات من البعض جعله يشعر شعورا قويا ان بقاءه فى منصب العمادة ليس مرغوبا فيه ، ويذكر أولئك الأصدقاء نماذج لما تعرض له الدكتور طه حسين واعتداء بعض الطلبة الحكوميين على كلية الآداب أعقبه خطابان ، أرسلوا الى عميد الكلية لتهديده بالقتل ، اذا لم يستقل من منصبه ، فلم يعر العميد ، هذين الخطابين التفاتا بل بعث بهما الى النيابة التى حققت فى الأمر ، ولكنها عجزت عن معرفة مرسلى هذين الخطابين فطوت التحقيق .

ويقول هؤلاء الأصدقاء أيضا أن طه حسين بعد عودته من أوروبا تلقى خطابات تهديد كثيرة كما خاطبه شخص مجهول ، طالبا منه ان يستقيل من منصب عميد كلية الآداب فى خلال ثلاثة أيام ، والا تم قتله !! ويقترح د. طه حسين مدير الجامعة فى أن يستقيل من منصب العميد كما يقابل وزير المعارف ليتحدث اليه أيضا فى أمر استقالته ، ثم كانت أزمة كتاب برنارد شو حيث رأى البعض ان فى الكتاب مساسا بالاسلام ، ورأى مجلس الكلية خلو الكتاب من المساس بالاسلام .

وفى أثناء التحقيق فيما جاء بكتاب برنارد شو هاجم بعض طلبة كلية التجارة كلية الآداب واعتدوا على طلبتها وأرادوا الاعتداء على عميد الكلية لكنه لم يكن موجودا ، فاعتدوا على مكتبه ، ازاء ذلك كله ، أصدر د. طه حسين على الاستقالة من الجامعة وبعث باستقالته الى مديرها . واضرب طلبة كلية الآداب احتجاجا ، على استقالة عميدهم فرفض مدير الجامعة استقالة العميد و . و .

كان طه حسين قد عدل عن استقالته بشرطين اثنين ، أولهما معاقبة الطلبة الذين اعتدوا على كلية الآداب وثانيهما أن ينشر تصريح فى الصحف يؤكد أن « ليس لأية سلطة أن تتدخل فى شئون الجامعة » ، وأن يجيء هذا التصريح من وزير المعارف بالذات وبعد أن عاد طه حسين ، الى عمله فى كلية الآداب ، ومضى شهر ونصف الشهر انتهى التحقيق بتقرير لم يرض عنه طه حسين كما أن وزير ، المعارف ، لم يدل بتصريح عن استقلال الجامعة .

كل ذلك ، أدى الى الموقف الذى اتخذته الدكتور طه حسين واعتذاره عن قبول منصب عميد كلية الآداب الذى لم يعينه أحد فيه وانما انتخبته هيئة التدريس فى الكلية . ولم يكتف الدكتور طه حسين باعتذاره عن منصب عميد كلية الآداب ، بل طلب أجازة من الجامعة لمدة عام ، ويتصل وزير المعارف

بالدكتور طه حسين محاولا ، اثناءه عن الاعتذار ، عن العمادة ، ولكن الدكتور طه حسين ظل متمسكا برأيه . . ويعرض وزير المعارف على الدكتور طه حسين ان يوافق على ان ينقل الى ديوان الوزارة ليكون الى جانب الوزير لانه في أمس الحاجة الى معاونته ، وإلى الاستفادة من آرائه في السياسة التعليمية ، ولكن الدكتور طه حسين ، يصر على رأيه .

وعندما يسأل د . محمد حسين هيكل وزير المعارف عن رأيه في مشكلة د . طه حسين يقول انه لا توجد مشكلة الا اذا كانت الصحافة تريد ذلك ، فهو - أي الدكتور طه - قد اعتذر عن العمادة ، وألح في الاعتذار فلم يكن بد من اجابته الى رغبته . .

وينفى د . هيكل أن د . طه حسين حادثه في أمر الاجازة . « ولست أعرف - هكذا يقول د . هيكل - ان كان طه حسين قد تقدم بمثل هذا الطلب الى مدير الجامعة أم لا » ، ويقول د . هيكل انه قد التقى « أخيرا في إحدى الفترات مع الدكتور طه حسين وتحدث معه طويلا في كثير من الشؤون وعلى الأخص مشكلة اللغة العربية بين الأزهر ودار العلوم ، ولم يشر د . طه في حديثه الى موضوع الاجازة ، والدكتور هيكل ، كعادته صادق ، فيما يقوله ، والدكتور طه حسين أيضا ، كعادته صادق فيما يقوله ، كل ما في الأمر ، أن د . طه حسين حريص على استقلال الجامعة ومن المحتمل ، ان يكون قد تقدم بطلب الاجازة الى مدير الجامعة لا الى وزير المعارف حرصا منه على تأكيد استقلال الجامعة ، لانه ، لا يعترف لأحد ، حتى ولو كان وزير المعارف بأن له سلطانا على الجامعة .

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر كما يقولون ، فقد سئل د . هيكل عن رأيه فيما يقولون من أن الوزارة ، تعتزم اصدار بعض القوانين لتقييد حرية الصحافة ويجيب د . هيكل من يسأله ، بقوله : لا أزال أذكر أنك سألتني قبل هذا السؤال أيام كانت الوزارة النحاسية تعتزم التشريع للصحافة واني أجبتك يومئذ بالعبرة الخالدة ، التي سمعتها من أناتول فرانس أيام كنت أطلب العلم في باريس منذ ربح قرن أثناء نظر قضية « أرفيه » « ان كل قانون يراد به الحد من حرية الصحافة قانون آثم » . . ذلك ما أجبتك به منذ عامين وهو رأي لا يزال ، وطبيعي اني لست أرضى لوزارة أنا من أعضائها ، ان تحد من حرية الرأي والصحافة لكن هناك فارقا بين حرية الرأي ، وحرية الكتابة وبين اختلاق الأكاذيب والاشاعات المثيرة ، للنخاطر ، خلقا متعمدا ، منظما لاغراض يجب أن تسمو عليها الصحافة النزيهة لانه لا يمت الى حرية الرأي بسبب ولذا يجب صون الرأي العام من شره ، فالحكومة انما ترمى الى تطهير الصحف من ارجاسها بحماية الآداب والأخلاق والاعراض عن كل ما لا يدخل في دائرة النقد المباح وهي الى جانب ذلك جادة في العمل على معاونه الصحافة ، ورفع مستواها ، ورد

امتيازاتها اليها وما أظن الصحفي النزيه الا يرحب بهذا الاصلاح بمختلف فروعه ونواحيه .

ويقرر الوفد المصرى عقد مؤتمر خاص به ، وذلك فى يونيو ١٩٣٩ ولكن الوزارة تقرر منع انعقاد هذا المؤتمر بسبب « الاضطراب » الدولى ولكن مصطفى النحاس رئيس الوفد المصرى يقول ان الوزارة لم تمنع انعقاد المؤتمر الوفدى بسبب الاضطراب الدولى وانما بسبب اضطرابها هى وخوفها من اجتماع يدعو اليه الوفد فيهرع الناس من كل حذب ، وصوب ويسمع فيه صوت الأمة داويا ومع كل فان الاضطراب الدولى كان ادعى للموافقة على عقد المؤتمر لتبادل الرأى والمشاورة فيما كانت البلاد معرضة له من الاخطار ويقول مصطفى النحاس لا معنى للاستقلال اذا لم تكن البلاد متمتعة به حقا ولا قيمة للدستور اذا لم تنفذ أحكامه ، تماما ، وعن موقف الوفد ، ازاء الانجليز يقول مصطفى النحاس : طالما أن الانجليز لا ينفذون المعاهدة تنفيذا صحيحا فهم ليسوا اصدقاءنا ، فليس لنا لديهم مصلحة خاصة ولا عندنا لهم ثار قديم انها مصلحة البلاد هى محك علاقاتنا بهم ، فهم اصدقاءنا حين يحترمون المعاهدة وهم خصومنا حين يفعلون غير ذلك » .

أدلى مصطفى النحاس بحديثه هذا وهو يحتفل بعيد ميلاده ال ٦٠ .

ولا يبقى أمامنا - بعد أن طال الحديث عن وزارة محمد محمود - الا أن نتحدث عن آخر معاركها كما نتحدث فى الوقت نفسه عن آخر معارك محمد محمود باشا الشخصية !! .

الفصل الثاني

محمد محمود يخوض آخر معاركه

رغم ان الموقف الدولى ، كان متوترا للغاية الا ان وزارة محمد محمود باشا « الأخيرة » كانت متورطة فى مشاكل وخناقات وخلافات داخلية لم يسبق لاية وزارة سبقتها ، أن تورطت فيها - مثلا الدكتور هيكل كان يناصر قضية دار العلوم ، فيغضب الأزهر ، يتحدث مرة عن أفضال دار العلوم على اللغة العربية ، فيضرب الأزهر ، ويعتكف شيخه الجليل ، الشيخ محمد مصطفى المراغى الذى يهدد بالاستقالة من منصبه اذا لم يؤخذ برأى الأزهر فى موضوع تعيينات مدرسى اللغة العربية ، ومحمد محمود صديق شخصى للأستاذ الأكبر ، شيخ الجامع الأزهر ، وهو حريص فى نفس الوقت على الإبقاء على الهدوء فى الأزهر ، وهو أيضا حريص على الإبقاء ، على الدكتور هيكل فى وزارة المعارف ، وحريص على الانسجام الوزارى ، يحاول - محمد محمود - ان يعيد الأمور الى حالتها الطبيعية فيقترح مثلا أنه عندما تجرى تعيينات مدرسى اللغة العربية يختار ثلاثة من خريجي دار العلوم ، وواحد من خريجي قسم اللغة العربية بالأزهر ، ويوافق شيخ الجامع الأزهر ، على هذا الحل ، ولكن د. هيكل - العنيد - يشترط ألا ينفذ هذا الحل الا بعد تعيين كل خريجى مدرسة دار العلوم حتى عام ١٩٣٧ .

وتتطور الأمور بين الأزهر ، وبين دار العلوم وتضطرب العلاقات بين وزير المعارف د. هيكل وبين صديقه القديم الأستاذ الأكبر ، شيخ الجامع الأزهر الذى قدم كاروع ما يكون التقديم كتاب « حياة محمد » لهيكل .

بل ان مهمة الأزهر لتطرح للبحث : هل هى دينية ، أم دنيوية فقط !!

ويقول الأستاذ الأكبر ، شيخ الجامع الأزهر : ان الأزهر هيبء لدراسة الدين وتعليمه والتثقف فى اللغة العربية وتدريسها ، ليؤدى رسالته ، فيما نسب له من واجبات وأكثر من هذا - كما يقول الشيخ المراغى - أن ليس فى

الدين الاسلامي حياة دينية منفصلة عن الحياة البشرية ، بل أن الاسلام نظام اجتماعي كما أنه ينظم ما بين العبد وربّه فلا يتسنى للمسلم - فضلا عن رجل الدين - أن ينفصل عن الحياة . . أما العبارة المشهورة « دعوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » فليست من أحكام الدين في شيء !

ويقول د . طه حسين أن مهمة الأزهر - كما ينبغي أن تكون - هي النهوض بالاعباء الدينية والتفرغ ، للبحث العلمي ، الخالص في شئون الدين ، ويقول أيضا : يريد الأزهر ، مثلا ، أن يخرج المعلمين في مدارس الدولة وهذا حق له ، لا ينبغي أن ينكره عليه أحد ولكن بشرط أن يتعلم طلابه ، كما يتعلم غيرهم في معاهد الدولة ، إذا أرادوا أن يعلموا اللغة العربية فطريقهم الى ذلك الآن دار العلوم ، وكلية الآداب ومعهد التربية ، وإذا أرادوا أن يعلموا الطبيعة فطريقهم الى ذلك كلية العلوم ، وهكذا أما أن تنشأ في الأزهر كليات وأن تمنح هذه الكليات درجات لا علم للدولة بها فهذا هو الذي لا يفهم ولا يمكن أن يساغ في بلد متحضر .

أما الأستاذ محمد قاسم ناظر مدرسة دار العلوم فيقول : ظهرت فكرة خاطئة في المناقشات الأخيرة مؤداها أن هنالك ثلاثة معاهد في مصر تخرج مدرسي اللغة العربية ، والحقيقة أن شيئا من هذا لا وجود له ، فالجامعة الأزهرية بحكم تكوينها وتقاليدها هي جامعة الدراسات الدينية . وإذا كانت تعنى بدراسة اللغة العربية فلأن الدين واللغة يتصلان كل الاتصال وكذلك الحال في الجامعة المصرية فمهمتها الحقيقية هي تثقيف طلابها في اللغة العربية طبقا لقواعد البحث والدرس العلمي ، وإذا كانت الجامعة الأزهرية والجامعة المصرية قد اتجهتا الى تخريج مدرسي اللغة العربية ، فهذا الاتجاه ليس أصلا في تكوينهما إنما هو عرض يخرجهما عن الغاية الأساسية التي أنشئتا من أجلها ، أما دار العلوم فمعهد أنشئ وخصص لتخريج هذا المعلم : وعنى في تنظيم دراسته بحاجة المعلم ، وحاجة العلم وحدها . وذلك من ناحيتي التكوين الفكري والديني معا فلكل من هذه المعاهد ، مقاسها ومركزها ووظيفتها في الحياة العملية في البلاد .

ويكون رأي الأستاذ توفيق الحكيم : أن للأزهر رسالة سامية يؤديها على مدى الاجيال فهو المعهد الذي ينهل من فيض علومه كبار فقهاء الدين حتى يلائموا بين نصوصه وأحكامه ، وبين تطورات العالم الاسلامي الحديث كذلك أرى أن الأزهر يجب أن يخرج علماء « اللاهوت » الذين يعرضون الدين للناس عرضا جميلا يسمو بأرواحهم ولن يتبها ذلك الا اذا كانوا مسلحين بدراسات عميقة في أسرار الدين الاسلامي خاصة وفي الاديان كلها على وجه العموم ، أما اشتغال الأزهر بتدريس اللغة العربية أو التطلع للوظائف الحكومية فهو أمر يخرج بالأزهر عن الغرض الذي أنشئ من أجله .

واعتمادى - اعتقاد توفير الحكيم بالطبع - أن نظام دراسة الأزهر ، الذى يوصل الى هذه الغاية المنشودة يجب أن يكون على أساس آخر فيعتبر الأزهر جامعة دينية تماثل جامعة فؤاد الدنيوية ، ويكون لخريجيه المقام العلمى لخريجى الجامعة الدنيوية كما أن الانتساب اليه يحمل أن يكون من حيث شرائطه ، مماثلاً للانتساب الى جامعة فؤاد الأول فلا يكون ثمة أنواع من التعليم الابتدائى والثانوى منتشرة فى البيئات التى يتكون منها هذا الشعب الواحد ، المتماشك .

فهذه الفوارق تضخ حواجز عقلية بين كل طائفة وأخرى وتجعل كل طائفة منها غير قادرة على فهم الطائفة الأخرى وسوء التفاهم الذى يقع بين طوائف شعب واحد يؤدى حتما الى تنافره وتفككه وانحلاله على حين تمتاز الدول المتدينة القوية بأنها ذات نظام واحد لكل مرحلة من مراحل التعليم .



وسوف نعود فيما بعد الى حقيقة قصة الخلاف بين الأزهر ، وجامعة فؤاد ودار العلوم فيما نقله عن د . هيكى بوصفه وزير المعارف ، الذى كان له دوره فى إثارة هذا الخلاف كما يؤكد كثير من زملائه الوزراء .



وننتقل بعد تلك المشكلة الى مشكلة أخرى أثارها حسن صبرى باشا وزير الحربية ، وقد كان فى الامكان أن تمضى استقالة حسن صبرى كما تمضى استقالة أى وزير خاصة اذا ما علل استقالته بالكليشيه المعروف وهو أن الاستقالة لأسباب صحية .

ولكن حسن صبرى باشا لم يكن من ذلك الصنف من الرجال الذين يتركون مناصبهم بهدوء ، وكان حسن صبرى قد حرص على أن يذكر فى خطاب الاستقالة الأسباب التى رأى أنها دفعته الى الاستقالة دون مواربة ، وإن كانت هناك أسباب أخرى لاستقالته سوف نشير اليها بعد أن نقل هنا نص الاستقالة ورد رئيس الوزراء عليها :

« حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء .. »

أرجو أن تفضلوا فترفعوا لحضرة صاحب الجلالة « مولانا » الملك المعظم استقالتي من منصب وزير الحربية والبحرية وذلك لأسباب منها :

أولها : أن فيما يراد أن يعامل به ضباط الجيش المصرى قضاء على تقاليد الجيش وهما لاستقلاله وزجا به فى معترك الاضطرابات السياسية الحزبية مما لا أستطيع احتمال مسئوليته فضلا عما فى ذلك من مخالفة للقوانين والنظم المعمول بها فى الجيش المصرى ، وكافة الجيوش الأخرى ومن تعارض مع أحكام الدستور .

سنوات ما قبل الثورة ج ٢ - ٤٣٣

فانيها : انى وقد احتفظت للجيش بتقاليده واستقلاله ، وأبيت أن يتدخل
الغير فى شئونه حيل بينى وبين الاتصال بصاحب الجلالة ، القائد الأعلى للقوات
البرية والبحرية مما يجعل استمرارى فى الاضطلاع بأعباء منصبى مستحيلا .

وانى شاكر لمقامكم الرفيع ولحضرات أصحاب المعالي الوزراء ما لاقيت منكم
ومنهم من عون ومودة .

ولصاحب المقام الرفيع واجب الاحترام والاحلال . .

« حسن صبرى »

١١ يناير ١٩٣٩

ويرسل محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء ، الخطاب التالى الى حسن
صبرى باشا الوزير المستقيل :

« حضرة صاحب « المعالى » حسن صبرى باشا . .

اطلعت على الكتاب الذى وجهتموه الى لأرفع الى حضرة صاحب الجلالة الملك
استقالتكم من منصب وزير الحربية ، والبحرية وآسف كل الأسف انكم صورتم
بعض مداولات الوزارة الأخيرة فى شأن الجيش بما صورتموه ، وأنتم تعلمون حق
العلم ، أنه لا يخالف أعضاء الوزارة التى أتشرف برئاستها أى شك فى وجوب
الحرص على تقاليد الجيش ، واننا جميعا سواسية فى البعد به عن مواطن
الشبهات ، وليس صحيحا أنه زج بالجيش فى معترك الاضطرابات السياسية
والحزبية ، أو أنه وضع موضعا من شأنه أن يزج به فى ذلك المعترك وما خولف
الدستور أو قوانين البلاد فى شأن من شئون الجيش .

وبعد فانى بصفتى رئيس الوزارة المسئول عن سياستها العامة أستطيع أن
أؤكد لمعاليكم أنه لم يفتكم انصاف « مولانا » صاحب الجلالة فى كل ما قمتم به
من عمل أو أبديتموه من رأى ، لذلك رفعت استقالة معاليكم الى حضرة صاحب
الجلالة وليكن المعظم ، راجيا من جلالتة قبولها وقد تفضل بقبولها .

وانى اذ أبلغكم قبول استقالتكم أشكر لمعاليكم حسن معاونتكم وأرجو أن
تقبلوا خالص تحياتى واحتراماتى . .

القاهرة فى ١٥ يناير ١٩٣٩ . .

رئيس مجلس الوزراء

محمد محمود

وكان لحسن صبرى وزير الحربية والبحرية فى الكادر الوظيفى رأى يغاير
أراء زملائه الوزراء وقد عرض رئيس الوزراء على الملك ، الاختلاف الذى طرأ فى

الجلسة الأخيرة لمجلس الوزراء ، حول موضوع الكادر الوظيفي في الوقت الذي كان فيه حسن صبرى باشا وزير الحربية والبحرية يباشر أعماله فيشهد تجربة المدافع الفرنسية الجديدة ، التي زود بها الجيش المصرى مع أعضاء البعثة البريطانية ومع مندوبى الشركة الفرنسية ، وعندما عاد حسن صبرى باشا بعد ظهر يوم ١٥ يناير ١٩٣٩ من عمله هذا بادر بإرسال خطاب الاستقالة الى رئيس الوزراء ، وظهر أن خطاب الاستقالة مؤرخ بتاريخ ١١ يناير ١٩٣٩ .

وكان ما كان من قبول استقالة حسن صبرى باشا من وزارة الحربية والبحرية وعندما سئل رئيس الوزراء ، عما اذا كانت استقالة حسن صبرى باشا ستؤثر على التضامن الوزارى أجاب بقوله : « التضامن الوزارى لا يزال كما كان على ما يرام بل على خير ما يرام ونستطيع أن نؤكد أن هذا التضامن لم يتحقق في وقت من الأوقات كما تحقق في هذا العهد ، لقد نسينا جميعا حزينا ولم نفكر الا في الصالح القومى وكان محمد محمود قد وقف ، الى جانب أحمد ماهر وزير المالية ، بكل قوة رغم تلك المشاكل ، التي أثارها وزير المالية بمشروعاته الاقتصادية الخاصة بالضرائب الجديدة وكذلك فيما يتعلق بالكادر الجديد ، الذى كان أحمد ماهر متمحسا له الى أبعد حدود التحمس ، أما المدافع الفرنسية الجديدة ، فقد كان عددها ١٢ مدفعا وكان أقصى مرامي تلك المدافع ١٨٠ مترا ، وأدناها ١٠٠ متر وقد قام بالتجربة الجنود المصريون الملقون بسلاح المدفعية وقد وزعت تلك المدافع على المشاة وأعلن عن ان النية متجهة الى انشاء فرقة كاملة من حملة هذه المدافع .

أما الأسباب الخفية التي أدت الى استقالة حسن صبرى باشا فكان من بينها أن سعادته أحس منذ شهر فقدانه ثقة إحدى الجهات العليا ، وأنه عندما حاول تعرف الأسباب قيل له « بالمفتوح » أن سياسته في وزارة الحربية ليست سياسة قومية ومن بين الأمثلة على أن سياسته ليست قومية انه حتم على وزارة الحربية أن تشتري الأسلحة والذخائر ، وما اليها من مصانع بريطانية على حين ان عطاءات هذه المصانع تزيد كثيرا على ما تستحقه منتجاتها واذا كان الجيش الانجليزى يشتري تلك الأسلحة بمثل تلك الاسعار المرتفعة فان الأمر يختلف بالنسبة لمصر ، لان الانجليز يعاونون مصانعهم بهذا الاسلوب أما مصر فيمكن أن تشتري مطالبها من مصانع أخرى بأثمان أقل .

وقد طلب حسن صبرى من كبير الأمراء ، أكثر من مرة موعدا للقاء الملك ، فلم يتم ذلك فكتب الى كبير الأمراء خطابا عنيقا استدعى على اثر تسلم كبير الأمراء لهذا الخطاب ، الى القصر ونوقش بشدة في أسلوبه فألح حسن صبرى على مقابلة الملك فقبل له : أكتب ما تريد أن تقوله في مذكرة ترفع الى الملك .

وكان حسن صبرى باشا دائم الاشتباك في مجلس الوزراء ، وخاصة مع أحمد ماهر ، كان قد نقل الى حسن صبرى باشا أن د . أحمد ماهر ، قد قال

فى اجتماع الهيئة السعدية ، التى يرأسها أنه لن يوافق أبدا على أية اعتمادات لا تطبقها الميزانية « أما تعليمات لندن فليس لى بها شأن » وقد اعتبر حسن صبرى أنه المقصود « بحكاية تعليمات لندن » اذ كان من المعروف عن حسن صبرى باشا سواء فى داخل مجلس الوزراء ، أم خارج المجلس أنه وثيق الصلة بلندن وأن هذه الصلة الوثيقة كانت تدفعه الى تجاهل السراى والى الوقوف بعناد فى بعض الأمور فلما منه أن دار المندوب السامى تحميه !

كما أن حسن صبرى باشا كان يتخطى رئيس الوزراء ، ويبعث بتقاريره الى السراى متخطيا رئيسه المباشر . ولقد لفت محمد محمود باشا نظر حسن صبرى باشا ولكنه لم يغير أسلوبه .

ورغم ما جاء فى كتاب استقالة حسن صبرى باشا من اتهام للوزراء الا أنهم جميعا تنفسوا الصعداء عندما قبلت استقالته قائلين : الحمد لله .

وقد عرض على النقراشى باشا منصب وزير الحربية والبحرية على أن يتولى محمد محمود باشا وزارة الداخلية ولكن النقراشى باشا أبى الخروج من وزارة الداخلية وقد أبدى الملك رغبته فى أن يسند المنصب الى محمد رياض بك لولا أن حسين سرى باشا قد جاهر ، بأن محمد رياض بك أولى بوزارة الأشغال حيث قضى بها سنوات عديدة وألم بكل مشاكلها .

وكان أن عين حسين سرى باشا وزيرا للحربية والبحرية خلفا لوزير المشاكل حسن صبرى باشا !

وانتهت بذلك مشكلة حسن صبرى .

أما عن مشكلة المشاكل ، مشكلة الأزهر ، والجامعة ودار العلوم ، فإن الدكتور محمد حسين هيكل ، وزير المعارف يعود بها الى جذورها القديمة ، فيقول :

« وعندما كنت رئيسا لتحرير السياسة أردت يومئذ أن أجدد فى الحياة الصحفية فأدخلت فيها عناصر من الحاصلين على الشهادات الجامعية من كلية الحقوق ومن كلية التجارة فراعنى أن وجدت أكثرهم لا يستطيعون أن يصوغوا خبرا فى بضعة أسطر صياغة مقبولة أليس من واجبي وقد توليت وزارة المعارف وأصيحت المسئول عن تربية النشء وتعليمه أن أسد ما لاحظت من نقص فى هذا الشأن ؟

ولقد كان ايمانى بما على من واجب نحو لغتنا القومية أقوى من أن يزعمه أى اعتبار فاللغة من مقومات حياة الأمة ، واتقان اللغة القومية أساس من أجل أنسس التقدم فإذا استطعت أن أضع حجرا متينا فى هذا الأساس أدت لقومى

واجبا يجعلنى مستريح الضمير ، أن وليت وزارة التعليم فنهضت فيها نهضة
كان واجبا بدؤها من عشرات السنين .

وأخذت أفكر فى سبب ضعف شبابنا فى اللغة العربية : ان الجو المحيط
بهم أكثر مواتاة لائقان هذه اللغة من الجو الذى كان يحيط بنا حين كنا تلاميذ
بالمدارس الابتدائية والثانوية فهم يدرسون اليوم كل العلوم فيما خلا اللغة
الأجنبية باللغة العربية وكنا نحن ندرس جميع العلوم خلا اللغة العربية
بالانجليزية فى المدارس الثانوية وكنا ندرس التاريخ والجغرافيا بالانجليزية
ابتداء من السنة الثالثة الابتدائية ولا بد أن يكون أبناء الجيل الحاضر أكثر
شعورا بالمسؤولية الملقاة عليهم فى النهوض بوطنهم فالحكومة حكومتهم تسيطر
على سياسة بلادهم الداخلية والخارجية أما نحن فكان الجيل من أمورنا فى يد
الانجليز و . . و . .

وتبادلت الرأى فى الأمر مع وكيل الوزارة فوجدته مقتنعا بأن السبب فى
الضعف مرجعه الى أساتذة اللغة العربية أنفسهم ، صحيح أنهم كأساتذة
يتخرجون فى دار العلوم ولكن شهادة المعاهد الدينية التى يدخلون بها دار
العلوم أقل فى القيمة العلمية من الشهادة التى كان يدخل بها أسلافهم ولذلك
يعتبر أبناء اليوم من دار العلوم أقل مما كان يعتبر هؤلاء الأسلاف . .

ويمضى د . محمد حسين هيكل قائلا : رأيت أن ترجع وزارة المعارف الى
تجربة قامت بها من قبل ، وصادفت نجاحا ذلك أن نشئ مدرسة ثانوية لدار
العلوم يؤخذ طلابها من المعاهد الدينية ثم يتعلمون فيها أربع سنوات أو خمسا
قبل أن يلتحقوا بدار العلوم ، عند ذلك تطمئن وزارة المعارف الى مدرسى اللغة
العربية وتستطيع أن تنهض بهذه اللغة الكريمة ، النهضة اللاهثة بها . . وقد
أعد عشماوى بك - وكيل الوزارة - نظام هذه المدرسة والقرار الوزارى الذى
يقرره ، ووقعت أنا القرار دون أن أحتاج للرجوع الى مجلس الوزراء .

ويمضى د . هيكل قائلا : وانى لجالس يوما الى مكتبى فى مصيف الوزارة
ببولكلى برمل الاسكندرية ، اذ دخل عندى الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ،
الشيخ محمد مصطفى المراغى وتبادلنا التحية وشرينا القهوة ، وتناول حديثنا
بعض موضوعات عامة ثم قال الشيخ : جئت أطلب اليك أن ترجى تنفيذ قرارك
بانشاء تجهيزية دار العلوم الى أن يحضر محمد محمود « باشا » من أوروبا لعله
يجد حلا لما بين هذا القرار وقانون الأزهر من تعارض ، وكنت أجل الشيخ وأقدر
له تقديمه البارع لكتابى « حياة محمد » فلم أجد بدا من قبول طلبه وبخاصة
لان محمد باشا سيعود بعد أسبوعين فلا ضرر من تأخير القرار الذى أصدرته
هذين الأسبوعين . .

واستأذن الشيخ وانصرف وبعد دقائق ، تحدث الى بالتليفون ، رئيس الوزراء بالنيابة عبد الفتاح يحيى باشا وطلب الى أن أرجىء تنفيذ القرار الذى طلب الى الشيخ المراغى ارجاء تنفيذه الى أن يحضر محمد محمود باشا وأخبرنى أن الشيخ عنده فى مكتبه قلت فى شىء من الحدة : لكن الشيخ كان عندى الآن وقد وعدته بإرجاء التنفيذ ، فما معنى تحدثه الى دولتك فى الموضوع مرة أخرى ، أياظن أنى أعدته ثم أخلف ؟ أم هو يشكونى اليك ؟ قال عبد الفتاح باشا : كلا . لا شىء من هذا ، هو أخبرنى بما دار بينك وبينه وشكرك ، على وعذك فأردت أن أبلغك ما حدث ، وضحكت فيما بينى وبين نفسى لهذا الاستدراك اللطيف ، ووضعت السماعة وتركت الموضوع الى أن يحضر رئيس الوزارة من أوروبا ويقول د . هيكل انه راجع ووكيل الوزارة قانون الأزهر ، فوجدا حجة الشيخ المراغى ترجع حجة وكيل الوزارة ورأيت النص وان أريد تأويله أدنى الى ناحية شيخ الأزهر ، وبخاصة اذا وضع الأمر موضع الاحتكام الى محمد محمود باشا لذلك اعتبرت القرار الوزارى الذى صدر كأنه لم يكن من غير أن أتعرض له . لكننى رأيت فى قانون الأزهر نصا بأن المتخرجين من كلياته يعينون فى وزارة المعارف ؟ ولما كان التعيين من حق الوزير المطلق ، اعتزمت ألا أعين منهم أحدا بأية حال .

ويقول د . هيكل : لم يدفعنى الى هذا العزم قصد التحدى ، بل عرفت أثناء دراسة الموضوع وقبل أن أصدر فيه قرارا أن وزارة المعارف عيّنت من قبل بعض رجال المعاهد الدينية فى وظائف التدريس فيها وان هذا التعيين انتهى الى فشل ذريع من الناحية التعليمية ومن نواح أخرى . .

ويمضى د . هيكل قائلا : على أن اعتبارا أجل خطرا زادنى اقتناعا بأنه لا يعين وزير المعارف فى وظائف التدريس بمدارس الوزارة الا من يطمئن هو الى أهليتهم وكفائتهم فمدرس اللغة القومية فى أية أمة من الأمم هو الذى يصوغ ثقافة الأمة العامة فى مناحى حياتها جميعا ، هو الذى يصقل لسان الأبناء فى لغة التفاهم ، والخطاب ، وهو الذى ينقل المختار من آثار الماضى ، الى الحاضر ، وهو الذى يكشف عما فى هذه الآثار من معانى الجمال ، وصوره و . . و . .

ويقول د . هيكل : أما معلم اللغة القومية الذى يستطيع أداء الرسالة ، كما يريد لها هو فلم أكن أعتقد أن أجده من المتخرجين فى المعاهد الدينية واننى لأجده بشىء من الصعوبة فى المتخرجين فى دار العلوم .

وينسى د . هيكل الموضوع - موضوع انشاء تجهيزية دار العلوم « لانه اعتبر الموضوع منتهايا » ولكنه فوجئ بمحمد محمود باشا ، رئيس الوزراء ، عقب عودته من الخارج يطلب منه - بناء على طلب من شيخ الأزهر أن يعين حملة شهادات المعاهد الدينية العليا مدرسين للغة العربية ، تنفيذا لقانون الأزهر .

ويقول د. هيكل تعليقا على ذلك : اعتذرت لرئيس الوزارة ، وبينت له أسباب اعتذارى عن عدم اجابة هذا الطلب وشرحت له وجهة نظرى فى معلم اللغة العربية وما أردت أن أقوم به من اصلاح لمدرسة دار العلوم ، ولم أشعر أن رئيس الوزراء يخالفنى فى رأى وان لم يوافق عليه صراحة ، واتفقت الأسباب الأولى من السنة الدراسية ولم يحدث فى الجو ، كما ينذر بشئ ذى بال . على أن الصحف ما لبثت بعد حين أن تحدثت فى قانون الأزهر ، وما ينص عليه من أن شهادة المعاهد الدينية تؤهل لتدريس اللغة العربية والعلوم الدينية بالمدارس ثم ان ضجة بدأت تزعم بأن وزير المعارف ووزارة المعارف لا تعترض على تعيين حملة شهادات المعاهد الدينية فى المدارس الحرة فاذا أثبتت التجربة أهلية من تعين منهم ، على قدم المساواة مع أبناء دار العلوم ، لم نمنع من اختيارهم من بعد مدرسين بمدارس الوزارة .

وكان مقصدى الواضح ، من هذا البيان أن المدارس الحرة خاضعة لتفتيش وزارة المعارف وتلقى معونتها المالية . وان كل مدرس فيها ، توضع عنه تقارير من قسم التفتيش فمن أثبتت هذه التقارير أهليته بعد سنتين ، أو أكثر يمضيها بالمدارس الحرة أمكن اختياره للتعليم بالوزارة ويقول د. هيكل : ان هذا البيان ، لم يرض رجال الأزهر ، ولم يرض أبناء دار العلوم : حتى هؤلاء أن يكون خطوة تتلوها خطوة أخرى هى التسليم بتعيين حملة شهادات المعاهد الدينية فى وزارة المعارف ، وحسب رجال الأزهر ، انهم اذا ألحوا ثم ألحوا بلغوا مقاصدهم أما هذه الخطوة فلا ترضيهم ، ولم يزعجنى ما شعرت به من عدم رضا الجانبين لأننى كنت قد انتهيت الى عزم ولم أكن أقصد التراجع قيد أنملة عنه . . .

وأضرب أبناء دار العلوم ، احتجاجا على تدخل رجال المعاهد الدينية فى شئون وزارة المعارف : أضربوا مخافة انتصار رئيس الوزارة لشيوخ الأزهر كما كانوا يعرفونه بين الرجلين من صلة صداقة وطيدة .

وتركت أنا هذا الاضراب أيا ما لم أتعرض له ، فحدثنى رئيس الوزراء فى امره . وطلب الى أن أتخذ الاجراء الذى يعيد الأمر الى نصابه حرصا على أن تسود السكينة ، ولم يكن ذلك بالأمر العسير ، فقد طلبت عميد دار العلوم وأخبرته بأنه اذا لم يعد الطلبة الى دراستهم تخلت عن قضيتهم ، وعاد الطلبة وانتظمت الدراسة فى الدار . . لكننا فوجئنا بعد زمن باضراب فى الأزهر ، استغرق أيا ما كذلك ثم قضى عليه . .

ويقول د. هيكل ، معلقا على اضراب دار العلوم وضراب الأزهر : ان أحدا لم يتعمق الموضوع ببحثه ، من ناحية فكرية أو مبدئية بل نظر الاكثرون فى الأمر من ناحية الفائدة المادية التى تعود على الأزهر ، أو على دار العلوم من انتصار هذا الفريق أو ذاك لم يتراجع أحد يومئذ بحثا فى اللغة العربية والسبب الذى أدى

الى ضعف الطلاب في تحصيلها ، ولم يتناول أحد الموضوع من ناحية الجهة صاحبة الحق وفي قصور الثقافة العامة للبلاد : أهى وزارة المعارف أم المعاهد الدينية ، ولم ينتقب أحد في الآثار المترتبة على هذا الاتجاه أو ذاك بل عولج الموضوع معالجة سطحية ، من ناحية اضراب المعاهد الدينية أو دار العلوم وأثر هذا الاضراب في موقف الوزارة السياسى .

وقد أسفت يومئذ ، أن يعالج أمر - ذلك مبلغ خطورته - على هذا النحو السطحي التافه ، ولا أزال الى اليوم وسأظل من بعد يعاودنى الأسف أن نعالج الموضوعات الخطيرة التي تتصل بحياتنا القومية ، العليا على هذا النحو غير الناضج . . ويدعو رئيس الوزراء ، د. هيكل وزير المعارف ليتحدث اليه في هذا الموضوع الخطير الذى « تجاوز سياسة وزارة المعارف ، وامتد حتى تناول سياسة الوزارة العامة » وأنه لابد من حل يتفق مع هذه السياسة العامة ، ويعد د. هيكل مذكرة خاصة بهذا الموضوع ، تكون أساسا للمناقشة فى مجلس الوزراء ، ويحدد محمد محمود جلسة لمجلس الوزراء ، وفي مجلس الوزراء ، اقتنع الوزراء ، بموقف د. هيكل باعتباره الوزير المسئول الذى يملك التصرف فى شئون وزارته ، ولا يجوز لغيره أن يتدخل فى شئونها فذلك نص الدستور الصريح ، وذلك ما جرى عليه العمل فى كل الأحوال . وفي لقاء فى مكتب وزير المالية د. أحمد ماهر يلتقى حسين سرى وزير الأشغال و د. أحمد ماهر و د. هيكل ويكون هدف اللقاء ، بحث مسألة الأزهر ، ودار العلوم ، ويطلب د. ماهر ، وحسين سرى باشا من د. هيكل ، بعض التساهل لأن شيخ الأزهر ، يلج ، ويحرك الأزهر ، وأن هذه الحركات قد تكون سيئة الأثر فى حياة الوزارة ، ويسأل د. هيكل كلا من أحمد ماهر ، وحسين سرى ق وهل شيخ الأزهر على حق فيما يطلب ؟ ويجيب د. أحمد ماهر ، وحسين سرى : كلا : وأنت صاحب الحق فى الموضوع من أوله الى آخره ، ويقترح د. ماهر أن يعين د. هيكل واحدا ، أو اثنين من خريجي المعاهد الدينية على سبيل التجربة ؟ ويرفض هيكل هذا الاقتراح لأن معناه التراجع عن موقف يعترف الكل بأنه على حق فيه ، وتراجع صاحب الحق ، بأية صورة من الصور خذلان للحق ذاته ، ويقول د. هيكل : وإذا كان شيخ الأزهر ، يعتز باعتبارات خاصة فأنا أعتز بالحق وبتمسكى به ويطلب هيكل من أحمد ماهر ، وحسين سرى أن يبلغا رئيس الوزارة أنه على استعداد لتقديم استقالته من الوزارة إذا رأى هو ، وهو رئيس حزبه ، أن يقدم هذه الاستقالة ، وكان جواب الرجلين للدكتور هيكل : اذا كنت أنت لا ترضى أمام مطلب تعتقده ، حقا ، وتؤثر الاستقالة ، أفلا تكون استقالتك وقبولها تراجعا من مجلس الوزراء ، لا يجوز لك أن تعرضه له .

ويقول د. هيكل ، انتهى حديثنا فى جو أكثر صفاء من الجو الذى بدأ فيه ، وكان ذلك طبيعيا بعد أن ذكرت زميلى بكل الحلول التى عرضتها ورفضها

شيخ الأزهر ، ويوضح د. هيكمل هذه الحلول : فيذكر - مثلا - أن يدخل من شاء من أبناء المعاهد الدينية الامتحان النهائي لدار العلوم ، فمن نجح فيه كان له الحق في أن يعين بمدارس الوزارة ، مثل أبناء دار العلوم . . . وقد أبى الشيخ المراغى هذا الحل . . . فاقترح د. هيكمل أن يلتحق خريجو المعاهد الدينية بمعهد التربية ، كما يلتحق به خريجو قسم اللغة العربية ، بالجامعة المصرية فأبى الشيخ المراغى . . . واقترح د. هيكمل أن تجرى وزارة المعارف مسابقة بين خريجي دار العلوم وخريجي المعاهد الدينية يعين الفائزون فيها في مدارس الوزارة ، فأبى الشيخ المراغى أيضا . . .

أبى الشيخ الا أن يعين خريجو المعاهد في مدارس الوزارة رضى الوزير أم لم يرض . . . ويقول د. هيكمل ، لم تنته المشكلة ، عند هذا الحد ، وما كان لها أن تنتهى عنده . . . فقد كان للشيخ الأكبر المراغى يومئذ نفوذ مبسوط في حياة الدولة كلها : في سياستها ، في نظامها في اتجاه حكمها ، فلم يكن يسيرا أن يرد قوله اذ كان الاتجاه يومئذ الى تقوية المعاهد الدينية بزيادة عندها وفخامة عمارتها وبكل ما يمد من نفوذها . . . وكانت السلطات تعتمد على أبناء هذه المعاهد في الحركات السياسية ، فلم يكن يسيرا أن يرد وزير المعارف تهار هذا التوسع ، أو أن يحمى وزارته منه . . . ولقد خطب الاستاذ الأكبر ، يوم افتتح الملك معهد أسبوط الدينى فأشار الى مثل هذه المعانى اشارة لفتت الانتظار وتيامس في مغزاها بعض الوزراء . . .

أما والتيار مندفع هذا الاندفاع فليس من يجرؤ على صده من غير أن يعرض نفسه ، ليجرفه هذا التيار الثائر ، الفيضان . . . ولقد بلغ من عنف ثورته ، أن فكر شيخ الأزهر ، في ضم دار العلوم الى المعاهد الدينية حتى لا تنهض ضده حجة ، أو يبقى أمام وزير المعارف ملجأ غير هذه المعاهد ، لتدريس اللغة العربية . . . ويقول د. هيكمل : لم يزعجنى هذا التيار الجارف ولم يشننى عن موقفى ذلك لأننى أعتقد أن المبادئ السليمة منتصرة آخر الأمر لا محالة . . . وأن من واجب من يتولى العمل العام ألا يحيد عن هذه المبادئ السليمة لأى اعتبار . . .

وتظل المشكلة بين شيخ الأزهر ، و د. هيكمل وزير المعارف قائمة الى أخريات العام الدراسى ٣٨/٣٩ حيث يسأل محمد محمود باشا وزير المعارف هيكمل ، عما يراه لتلك المشكلة . . . ويقترح د. هيكمل ، أن تؤلف لجنة برئاسة عبد العزيز فهمى تنظر الموضوع وتفصل في الخلاف وتكون كلمتها فيه حاسمة . . . ويعرض رئيس الوزراء الاقتراح على شيخ الأزهر ، فيقبله ، ويؤلف مجلس الوزراء لجنة برئاسة عبد العزيز فهمى وعضوية عبد الحميد بدوى والشيخ أمين الحولى وتفصل اللجنة في الموضوع معتبرة أن وزير المعارف هو وحده المسئول عن

مساعد السرية التابعة لوزارة المعارف أو الخاضعة لاشرفها . وهو لذلك يعين بها من يشاء ، وليس لغيره أن يتدخل في تصرفاته في هذا الشأن . . . وترى اللجنة الموافقة على اجراء مسابقة بين خريجي دار العلوم ، وخريجي كلية اللغة العربية بالأزهر . لتعيين في وظائف التدريس . . . وتوصي اللجنة بضرورة توحيد المعهد التي تخرج معلم اللغة العربية .

ويعقب د . هيكمل على هذه القرارات ، بقوله : صدرت هذه القرارات عشية استقالة الوزارة فكان صدورها انتصارا لي ، ولكنه كان انتصارا نظريا . . . وزارة المعارف أسندت الى غيري في الوزارة الجديدة . . .

وعن المعركة التي خاضها هيكمل مع الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر يقول :
لم أسف على هذه المعركة التي خضتها يوما مع الشيخ الأكبر المراغي ، رغم ما كان بيننا من مودة اتصلت بعد ذلك الى أن انتقل - رحمه الله عليه - الى جوار ربه ، وانما دقعتني اليها حرصى على اتقان أبنائنا اللغة العربية ودقة وقوفهم على أسرارها وسلامة عبارتهم بها وحسن أدائهم لها ، ولم يكن مرجع هذا الحرص الى أن اللغة العربية هي اللغة القومية وكفى . بل كان مرجعه الى أنها لغة البلاد الممتدة من العراق شرقا الى مراكش غربا . . .

أما خطبة الأستاذ الأكبر ، الشيخ محمد مصطفى المراغي ، التي ورد ذكرها فيما قاله د . محمد حسين هيكمل فقد أقيمت في افتتاح المعهد الدينى بانبساط فى ٢٣ يناير ١٩٣٩ ، وكان نصفها عن الملك فؤاد ، والد فاروق الذى كان حاضرا الافتتاح ، وقد جاء فيها عن فؤاد انه كان حريصا على تقاليد الاسلام وعنى مكارم الأخلاق ، كما كان حريصا على اصلاح نظم التعليم واعلاء شأن علماء الدين . ورفعهم الى مراتبهم اللائقة بهم ، وهذا هو السر فى انشاء هذا المعهد . وما فكر فى انشائه قبله من كليات الأزهر ، ودور كتبه ، ومعاهده ، وغيرها من دور العلم ، وكان من بين ما جاء فى خطبة شيخ الجامع الأزهر : فسب بعض شعوب الشرق بمظاهر الغرب ونظمه وأسرفته فى انتهاز كثير من أساليب الحياة فيه ، واستعارت الرث الخلق من ثيابه مع قليل من جديده ، ولغنت من زينها الأول ومن هذه الرقاع المستعارة لباسا مشوها لا هو شرقى ، ولا هو غربى ، وأصبحت حياتها الاجتماعية أيضا ملفقة لا هي دينية ، ولا هي غير دينية . وكلما هبت الريح طارت رقعة من هذا الزى والناس فى هم مقعد عظم من ضم هذه الرقاع بعضها الى بعض ، الى أن يقول الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر : ألم يأن لهذا البلد الطيب أن تجتمع فيه قوى الخير فتتسج الحياة المصرية ثوبا تؤخذ خيوطه من مقومات الشعب ومزاجه ، ودينه وتاريخه ، وتقاليده ، ليستطيع السير فيه ، والنهوض ببادئ الحياة المريرة ، الثقيلة ، فى هذا المجتمع المادى الملىء بجموع الشهوات .

وعلى ذكر دار العلوم ، كمعهد عريق نذكر ان معركة كانت قد نشبت بين اساتذته وبين دكتور طه حسين عندما كان الدكتور عبيدا لكلية الآداب خول منهج الأدب العربي للسنة التوجيهية في المدارس الثانوية ، وكان الدكتور طه قد أبدى رأيا في هذا الموضوع في اجتماع مع مفتشى اللغة العربية في وزارة المعارف ثم تقدم به في صورة مشروع جديد الى وزارة المعارف وكان من رأى د . طه في هذا الموضوع : أن التاريخ من حيث هو ، فن من فنون الأدب لذلك لابد من وقفة عند أشهر المؤرخين : هيرودوت ، ثيوسبديد « من اليونان » ، تاليف ، تاسيت « من الرومان » الطبرى ، ابن خلدون « من العرب » ، وائنان من المؤرخين يجوز أن يتغيرا من عام ، الى عام ، وحول هذه النقطة من منهج د . طه حسين ، قالت جماعة دار العلوم : « لقد بحثت جماعة دار العلوم في هذه الفقرة وأدارت عليها وجوه الرأى لالتماس أية علاقة بين الأدب العربي ، وتاريخه ، وبين مؤرخ للتاريخ العام كهيرودوت الذى كتب تاريخه في القرن الخامس قبل الميلاد ، أى قبل أن يعرف الأدب العربي ، وتاريخه بقرون طويلة وأن اقحام هؤلاء المؤرخين للتاريخ العام ، على هذا النظام من الكثرة والتكرار فى تاريخ الأدب العربى ، يعد مناقضة ظاهرة للنظرية القائلة بتعيين اختصاصات العلوم ، وتحديد موضوعاتها وعدم تسليم العلماء بصحة الخلط بين مباحث هذه العلوم .

وتقول مذكرة جماعة دار العلوم ردا على منهج د . طه حسين ، لقد ذكر الفيلسفة وأنها من مظاهر الحياة الأدبية ورتب على ذلك دراسة سقراط وأفلاطون من قدماء اليونان ، ولو كان كل ما يعد مظهرا من مظاهر الحياة الأدبية . يجب دراسته فى تاريخ الأدب العربى ، ما بقى شيء من علم ، ولا فن . ولا صناعة لا يتعرض له تاريخ الأدب العربى ويترجم للمشهورين من رجاله ، على أن سقراط وأفلاطون ، يدرسان بتوسع فى المنهج الخاص بالفيلسفة وتاريخها فما الداعى الى حشره فى منهج الأدب العربى مرة أخرى وتقول الجماعة أيضا عن منهج د . طه حسين : ذكر أثر علم الكلام ، الاسلامى فى الأدب العربى ، وساق طائفة من أسماء علماء الكلام كلهم من المعتزلة .

ومما يوجب الأسف ، والدهشة ، أن يعنى المنهاج المقترح بدراسة المعتزلة فى تاريخ الأدب العربى ، ذون غيرهم ، وفى ذلك ما قد يلقي فى شعور الطلبة الميل الى مذهب المعتزلة دون غيره ، من مذاهب علماء الكلام ، وقد قال أهل السنة ، وهم كثرة المسلمين ، وجمهرة علماء الكلام الاسلامى فى المعتزلة أنهم مارقون يظهرون العقائد الفلسفية فى لباس من الجدل فى الكلام .

وتمضى جماعة دار العلوم فى تنفيذ المنهج الذى اقترحه د . طه حسين لدراسة الأدب فى التوجيهية فتقول : اقترح العميد حذف قواعد النحو ،

والبلاغة ، بناء على أن ما أخذ منها في السنوات الأربع يعد كافيا ، وهذه مناقضة صريحة لما ورد في المنهاج المعدل ، وتنتهي جماعة دار العلوم في مذكرتها التي اعترضت بها على المنهاج المقترح من الدكتور طه حسين بما يلي : لا ندرى ما حفز الدكتور الى اقتراحه ، بعدما ظهر له من استعداد أساتذة اللغة العربية من أبناء دار العلوم لمواجهة هذا المنهاج ، والتغلب على ما وضع فيه من شذوذ وتكلف وهل لذلك علاقة بما جاء في العبارة الختامية لكلام العميد اقتراحه الغريب ومن قوله : واضح أن هذا البرنامج قد يعجز أساتذة التعليم الثانوي عندنا كبقية المنهج الأولى بالسنة التوجيهية ، لم يعلن ما أخفاه من نيته في نصيحته بوجوب اصلاح برامج التعليم في المعاهد ، التي تخرج أساتذة اللغة العربية ، بحيث يصبحون قادرين على تعلم هذا النحو من الأدب ، فقد بان حينئذ ما حاول العميد أن يخفف من نيته وظهر أن المسألة ليست مسألة وضع منهج ولا مصلحة تعليم ، ولا اعدادا للجامعة ، ولا لغتها ، وانما المسألة كلها دائرة حول أساتذة اللغة العربية في المدارس الثانوية والتبرع الجريء بتقدير صلاحيتهم لدراسة الأدب أو عدم صلاحيتهم ، والاستدراج من جراء ذلك الى الوقوع في هذا الشذوذ الذي لم يسبق له مثيل في مناهج التعليم لا نظير له في مدارس العالم ، ولا ندرى كيف ساغ لصاحب الاقتراح ، أن يعرض مصلحة التعليم في البلاد لمثل هذه الأغراض التي لا تخرج عن الرغبة الجائرة في اغتصاب ما لأساتذة اللغة العربية من الملكات المكتسبة بطول المران ، والتجربة ، والاستفادة الحقة من حسن اعداد المعدين للتوفر ، على دراسة اللغة العربية وآدابها ، وحمل أمانتها ، والاضطلاع بحايتها ، والدفاع عنها ، والاجتهاد في تزويدها بكل ما يساير الحضارة في هذا العصر ، والتعدي على اختصاص وزارة المعارف في الاشراف الكامل ، على هذه السنة التوجيهية ، التي هي جزء مهم لمرحلة الثقافة العامة في الدراسة الثانوية ليصل من وراء ذلك الى غرضه ، .

على أية حال ان المعركة الأدبية ذات المستوى العالي التي نشبت بين دكتور طه حسين وجماعة دار العلوم ، لا يجب أن تنسينا معارك د. حسين هيكل باشا .

وعندما نعود الى معارك د. هيكل في وزارة المعارف ، آسف وزارة المعارف يتبين لنا - بدون جهد - أنه تحول من وزير للمعارف ، الى وزير للمعارف ، أو أنه حول وزارة المعارف الى وزارة للمعارف ، والدليل على ذلك أنه لم يكده يترك وزارة المعارف ، حتى تغيرت أمور كثيرة حظيت باهتمامه ، بل تم نقل بعض الذين عاونوه في شئون وزارته ، ومن بينهم الاستاذ محمد حسن العشماوي الذي تولى بدلا منه فور استبدال وزارة محمد محمود باشا بوزارة علي ماهر باشا ، الدكتور عبد الرازق السنهوري ، كوكيل لوزارة المعارف ، وقد كان

بين المعارك التي خاضها د. هيكل معركة تمصير وزارة المعارف وكانت معركة عنيفة وضارية لأنها لم تكن بينه وبين شيخ الأزهر ، أو كانت بينه وبين أحد زملائه الوزراء ، وإنما كان الطرف الآخر في تلك المعركة ، السراى ذاتها ، ممثلة في على ماهر ، الممثل للملك فاروق شخصيا .

وقصة تمصير وزارة المعارف ، أو تمصير الثقافة في مصر ، وخاصة تمصير الفنون الجميلة من القصص التي يجب أن نفرد لها الصفحات ، لقد كان لفرنسا نفوذها الثقافي ، والفنى في مصر ، وحتى أثناء اشتداد موجة الاحتلال البريطاني لمصر بقيت بعض المناصب الثقافية حكرا على الفرنسيين ، فمدير دار الآثار المصرية فرنسي ، هو مسيو جاستون ، ومدير الفنون الجميلة مسيو هوت كير ، وبعده ريمون ، وقد رأى د. هيكل ، أن يعين مديرا مصرية لدار الآثار المصرية والمتحف المصري ، وأن يكون مديرها الفرنسي الأب دريتون مستشارا فنيا ، ووقع الاختيار على الأستاذ مصطفى عامر ، ليتولى هذه الإدارة ، وبينما د. هيكل يعمل على تنفيذ تلك الفكرة ، حمل اليه الأب دريتون بلاغا موقعا من عدد من خبراء الآثار بمنطقة الأهرام يتهمون فيه الاستاذ سليم حسن وكيل المتحف المصري بأنه استغل نفوذه حين قيامه بالمخريات الأثرية في منطقة أهرام الجيزة واستولى من الأموال المخصصة لهذه المخريات ، على مبالغ طائلة لنفسه بأن كان يطلب من العمال التوقيع على أنهم قبضوا مبالغ معينة ولا يكونون هم قد قبضوا تلك المبالغ ، أو لا يكونون قد قبضوا منها الا النذر اليسير .

وأحال د. هيكل وزير المعارف البلاغ الى التحقيق الادارى ، مستغبرا توقيت تقديم هذا البلاغ ، في الوقت الذي كان يفكر فيه في تنظيم الادارة المصرية ، ويكون البلاغ ضد سليم حسن ، وكيل دار الآثار الذي تهيئه الظروف أو هو يهيئ نفسه ليتولى منصب مدير الآثار ، وبينما التحقيق الادارى يسير في طريقه العادى طلب على ماهر ، رئيس الديوان من د. هيكل ألا يستبدل بشخص معين في لجنة التحقيق آخر وأصيب هيكل بالدهشة لما طلبه منه على ماهر ، فلقد كان هيكل حريصا على ألا يتدخل في التحقيق بل يتركه في جو من الاستقلال ، ولم يعرف د. هيكل ، ما الذى يقصده على ماهر بالضبط ، الى أن فوجئ بسليم حسن ، يدخل عليه شاكيا من أولئك الذين يحققون معه هتما اياهم بالتحيز ضده ، ويقترح د. هيكل ، على سليم بك أن تتولى النيابة العامة التحقيق ، فيبادر سليم بك حسن ، بالموافقة سعيدا ، مغتبطا ، ويستمر التحقيق زمنا غير قصير ، فلما انتهى أحيلت أوراقه الى النائب العام يس بك أحمد ، ويسأل د. هيكل ، وزير الحفانية أحمد خشبة باشا ، عن مصير التحقيق ، فيؤكد له أنه ليس فيه ما يدين سليم حسن ، وكان على ماهر يسأل يوميا عن مصير التحقيق ، حتى لقد ضاق ذرعا ببطة النائب العام ، وقال عنه : انه لم يصبح النائب العام ، بل صار « النائم العام » .

واستقالت الوزارة ، ولما يتصرف النائب العام في التحقيق ، وبقي سليم بك حسن موقفاً عن عمله ، لا يتقاضى مرتباً ، الى أن تألفت وزارة علي ماهر ، في ١٨ أغسطس ١٩٣٩ ، ولم يكده مجلس الوزراء ينقده لأول مرة حتى كان من بين قراراته احالة سليم بك حسن الى المعاش ! .

وكان أحمد محمد خشبة وزير الحقانية في وزارة محمد محمود باشا قد فوتج في المشاركة في وزارة علي ماهر الجديدة ، على أن يلي وزارة الصحة ، لا وزارة الحقانية ، وكان هذا العرض بتلك الصورة قد أريد به احراج أحمد محمد خشبة حتى لا يدخل الوزارة الجديدة ؟ .

أليس هو - أحمد محمد خشبة - وزير الحقانية الذي لم يقبل الضغط على النائب العام حتى يحيل سليم بك حسن الى محكمة الجنايات ؟ .

كل هذه المعارك سواء في وزارة المعارف - وزارة المعارف - أو غيرها من الوزارات أدت الى نتيجة واحدة ووحيدة هي أن الطريق أمام وزارة محمد محمود باشا أصبح مسدوداً وأن محمد محمود باشا ينبغي عليه أن يرحل ، وقد كان .

الفصل الثالث

اجبار محمد محمود على الرحيل !!

قلت ان الدكتور محمد حسين هيكل قد تحول من وزير للمعارف الى وزير للمعارك وانه قد استطاع ايمانا منه بالدور الاصيل لوزارة المعارف ، ان يحيلها الى وزارة للمعارك ٠٠ لم يكن الرجل ينتهي من معركة الا ليدخل أخرى ، بل انه كان يخوض العديد من المعارك العنيفة والخطيرة فى وقت واحد ، وقد سبق لى أن أشرت الى معاركه مع صديقه الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ المراغى ، بخصوص تعيين خريجي المعاهد الأزهرية العليا كمدرسين للغة العربية فى مدارس وزارة المعارف ، والى معاركه مع على ماهر والسراى بخصوص التخلص من سليم حسن بك رجل الآثار المصرية العالم و ٠٠ و ٠٠ وترك الدكتور هيكل نفسه يروى لنا بعض المعارك التى خاضها من أجل استقلال الجامعة وقد كان هو استاذا فى الجامعة المصرية عندما كانت جامعة أهلية ٠٠ يقول د٠ هيكل : « أنا أؤمن باستقلال الجامعة ايمانا عميقا متأصلا فى نفسى منذ كنت طالبا بجامعة باريس لذلك لم يدر بخاطرى يوما أن أسوغ اغتداء وزير المعارف على هذا الاستقلال بحجة انه الرئيس الأعلى للجامعة حرصت على احترام هذا الاستقلال وعلى الدفاع عنه ، وكان هذا طبيعيا وقد قمت بالتدريس فى الجامعة المصرية الاهلية خمس سنوات شعرت أثناءها - أثناء التدريس بالجامعة الاهلية - بالاستقلال الصحيح وبما يدفعه هذا الاستقلال الى النفس من تقدير الواجب والمسئولية والاضطلاع بهما على خير وجه ، هذا الى أن استاذى لطفي السيد باشا قد عين مديرا للجامعة من يوم أن أصبحت حكومية فى سنة ١٩٢٥ تحرص على استقلالها ، وحافظ عليه حتى لقد استقال من منصبه فى سنة ١٩٣١ حين فصل فجلس الوزراء اذ ذاك الدكتور طه حسين من منصب الأستاذ بكلية الآداب وظل منصب مدير الجامعة شاغرا الى أن عاد اليه لطفي باشا فعاد يحافظ على استقلال الجامعة وكرامتها ، لا جرم أن يكون احترام الاستقلال عندى من المبادئ الأساسية لحياة الدولة العامة وأن الأمور لتجرى ، فى مجراها العادى إذا أضرب طلبة الجامعة عن تلقى دروسهم واجتمع

مجلس الوزراء فى الغداة فسألتنى محمد محمود باشا عما أنا صانع لاعادة الامور الى مجراها الطبيعى ، وكان الوزراء ينتظرون جوابى فلم أزد على أن قلت أن مجلس الجامعة سيجتمع غدا وسأتوجه اليه وأرأس جلسته ، وأنا مقتنع بأنه سيتخذ الاجراء اللازم لاعادة السكنى وعودة الطلبة الى كلياتهم لتلقى علومهم .

وكننت قد فكرت أثر هذا الاضراب فى أسبابه ، ودار بخاطرى ان عمدا الكليات وأساتذتها يقع عليهم تبعه غير يسيرة فيما حدث وما يحدث من مثله ، فاحترام الطلبة اساتذتهم لعلمهم ، وفضلهم ، وما للطلبة من ثقة بهم ، واطمئنان لرأيهم يفرضان محبة الأساتذة واحترام مشورتهم فلو ان الأساتذة بذلوا الجهد لمنع الاضراب عن طريق النصيحة والارشاد لما حدث ، ولو انهم بذلوا النصيحة فلم يسمح الطلاب لهم ، فكان جزاؤهم ان استمر الأساتذة فى القاء محاضراتهم على أقل عدد لتعطلت جهود المحرضين على الاضراب ، وبخاصة اذا أشعر الطلاب بأن المحاضرات قيمة حقا وبأن لهم فى سماعها فائدة تفوقهم ولا يسهل تعويضها اذا حال انقطاعهم عن حسن الاصغاء اليها ، أما أن يكون اضراب الطلبة وسيلة لانقطاع الدراسة فذلك غير جائز بل ذلك تحريض على الاضراب أى تحريض . .

وذهبت الغد فرأست مجلس الجامعة وأدليت الى رجالها الحاضرين بتفكيرى الذى قدمت فاعتذر بعضهم بنشوز الطلبة وعدم قبولهم نصائحهم وأقر البعض رأيى ، واتفقنا على تعطيل الدراسة ثلاثة أيام تستأنف بعدها بانتظام ، على أن يبذل رجال الجامعة جهدهم لعود الامور الى نصابها ، وبعد انقضاء الأيام الثلاثة انتظمت الدراسة من جديد واستقرت الامور فى نصابها الطبيعى . .

على أن تفكيرى - تفكير د. هيكى - فى مسئولية الأساتذة أدى بى الى الانتقال خطوة أخرى ، فلو ان الأساتذة قدروا واجبه كاملا لاستقامت الامور أكثر من استقامتها فى الوضع الحاضر ، وأول واجب للاستاذ فى الجامعة ان يكرس كل وقته وكل جهده للعلم ، الذى يدرسه ، ينقطع له ، ولا يفكر الا فيه ، ويحاول جهده ان ينتج فى نظرياته ومذاهبه جديدا يلقي على الحياة العلمية من الضوء ما يدعونا الى الشعور حقا باننا نتقدم ، أما ان يكون رجال العلم ، كغيرهم من الموظفين يطفى تفكيرهم فى درجاتهم الوظيفية على تفكيرهم فى العلم ، وسعيهم الى تقدمه ، فذلك ما لا يتفق والحياة الجامعية التى يمتاز رجالها على من سواهم بانهم سدة العلم وحراس محرابه ، ولو ان الأساتذة سلكوا بتفكيرهم وبحياتهم هذا السبيل ، لكان للحياة الجامعية فى نفس الطلاب أثر غير ما كان لها يومئذ ، ولكان لاستقلال الجامعة من الحرية ما يصد أية سلطة من التعرض له ، لم يكن الاضراب الذى حدث هو وحده مبعث هذا التفكير عندى بل كان مبعثه كذلك ما لاحظته من اتخاذ رجال الجامعة هذا الاستقلال للاسراع الى الرقى المادى

في الدرجات الوظيفية فقد كانت الجامعة تبعت قرارات الترقية ليوقيها الوزير فكنت الازل انها تصل يوم يكون رجل الجامعة مدرسا أو أستاذًا مساعدًا ، أو أستاذًا قد أمضى السنوات الأربع المفروضة قانونًا للارتقاء من درجة إلى درجة ولم تزد هذه السنوات أسبوعًا ، بل لم تزد يوما واحدا وكان وزراء المعارف يوقعون هذه القرارات عادة من غير بحث أو تردد اعتمادا على ان مجلس الكلية بحثها ، ثم بحثها مدير الجامعة ومجلس إدارة الجامعة من بعده ، لذلك كانت مناصب التدريس في الجامعة مرموقة يسعى إليها كل من وجد الوسيلة لبلوغها .

وقد تردد في البرلمان غير مرة ان أساتذة الجامعة ومساعدتهم ممن سمح لهم بمزاولة مهنة في الخارج ، لا يواظبون على أداء محاضراتهم ولا ينهضون بالبحث العلمي الذي تقضي الحياة الجامعية بالانقطاع له ، لذلك سألت بمناسبة عرض قرارات الترقية لرجال الجامعة على ، عما اذا كانت هذه القرارات تصحب بما قام به من يطلب ترقيته من بحث علمي خلال السنوات الأربع المنقضية بين الدرجة التي كان عليها والدرجة التي يطلب ترقيته إليها . ولما كان النفي جواب سؤالي طلبت إلى الجامعة أن ترفق كل قرار بمذكرة عن البحوث العلمية التي قام بها من صدر القرار لمصلحته وأذكر مع الشيء الكثير من الأسف ان هذه المذكرات لم تكن تحتوى أغلب الأمر على بحث ذي بال بل كان بعضها لا يذكر شيئا ، قام به صاحبها في السنوات الأربع ، وكان البعض يكتفى بذكر الرسالة التي قدمها صاحبها لنيل أجازة الدكتوراه .

ويقول د . هيكل ، انه أبدى ملاحظاته تلك إلى مدير الجامعة وقتئذ د . على إبراهيم باشا فكان رده على ملاحظاته : أولئك خير رجالنا ولو لم نرقهم ، لتركونا ثم لما وجدنا من يحل محلهم ويملا الفراغ العلمي ، الذي يخلّفونه وراءهم . .

ويقول د . هيكل انه قال لمدير الجامعة : ما بالنا لا نعتد على الأساتذة الأجانب المشهود لهم بالكفاية والفضل فنبدل لهم من المال ما يغريهم بالحضور إلينا ؟ . بل ما بال رجال الجامعة عندنا يسعون للتخلص من كل أستاذ أجنبي ولو كان ذا سمعة عالمية ليحلوا محله ، وليرقوا إلى درجته ، ويقترح د . هيكل ان يكون للأساتذة المصريين « كادر » لا ينقل على درجة منه أجنبي وأن يكون للأساتذة الأجانب « كادر » آخر لا ينقل إليه مصري ، فلا يطعم المصريون في درجات الأجانب ولا يسعون للتخلص منهم ، ويعد مدير الجامعة ببحث هذه الفكرة مبديا وجهة نظره في ألا يكون الأساتذة الأجانب ذوي كراس دائمة . . بل يكونون أساتذة زائرين فقط تتعاقد معهم الجامعة لسنة أو سنتين ويمكن تجديده عقودهم . .

سنوات ما قبل الثورة ج ٢ - ٤٤٩

ويعقب د. هيكل على ذلك كله بقوله : أكان حديثي في مجلس الجامعة وقراري ارفاق مذكرة بحوث من يطلب ترقيتهم من رجال الجامعة وتفكيرى فيما يجب من رعاية الأساتذة واجبهم ، وعدم تخلفهم عن محاضراتهم وحديثى مع مدير الجامعة عن الأساتذة الأجانب ، أكان فى ذلك كله أو فى شيء منه مساس باستقلال الجامعة من جانبى . أنا الحريص على هذا الاستقلال وعلى حمايته ؟ لم أر ذلك يومئذ ، ولا أراه اليوم ، فاضراب الطلاب اخلال بالنظام يتعدى خرم الجامعة فاذا لم تستطع الجامعة التغلب عليه خيف أن تتدخل السلطات غير الجامعية فى شأنه فخير ان يشترك رئيس الجامعة الأعلى مع مجلس الجامعة لاعادة النظام ، الى نصابه من ان تتولى اعادته سلطات الأمر بوسائلها التى تؤدى كرامة الجامعة حين يستطيع ، تجنب هذا الايذاء اجراء كالذى لجأت اليه ، والبحث العلمى أساس الحياة الجامعية ومسوغها فاذا لم يتوفر أساتذة الجامعة عليه لم يؤدوا واجبهم على الوجه الأكمل ، والاستقلال كالحرية أداء الواجب سياجه ، والكفيل باحترامه ، والأمر كذلك فى رعاية الأساتذة واجبهم فى لقاء محاضراتهم .

أما الأساتذة الأجانب والاستعانة بهم فواجب ترعاه الجامعات كلها فقد كانت الحياة الجامعية فى كل البلاد وفى كل العصور قائمة على أساس من أن العلم لا وطن له ، وفى الجامعات الكبرى فى البلاد المتقدمة فى الحضارة أساتذة من جنسيات مختلفة ، لكن للملاحظة التى أبدتها على باشا ابراهيم ، قيمتها ، فلا بد إذن من التوفيق بين عالمية العلم وسموه عن تدخل رجاله فى غير شأنه واستقلال الجامعة لا ينظمه قانون وانما يكفله حرص رجال الجامعة عليه ، وسموهم به فوق كل اعتبار ماضى ، أو غير ماضى وفرضهم الرقابة الجامعية الدقيقة على كل منتسب لمحاريب العلم حتى لا يخل أحد بواجبه عند ذلك تسمو مكانة الجامعة لا فى وطنها وحده . بل فى العالم بأسره .

وعن أسرار مجلس الوزراء ، يقول د. هيكل : بينما كان مجلس الوزراء منعقدا فى الأسابيع الأولى من عام ١٩٣٩ اذ عرض علينا رئيس الوزراء محمد محمود باشا فكرة لم تكن تخطر لاحد منا على بال : عرض علينا ان تنضم مصر الى ميثاق سعد آباد ، الذى تعاهدت فيه تركيا والعراق ، وايران ، وأفغانستان ، أن تعتبر كل اعتداء يقع على احداها واقعا عليها جميعا فى تضامن فى دفعه بكل قوتها . لم يخالجنى أى شك لدى سماع هذا العرض بأن الفكرة من وحي انجلترا وان مبعثها يرجع الى العناية بالدفاع عن الشرق الأوسط . وقد اعترضت على الفكرة قائلا : ان الدول الأربع المشتركة فى الميثاق متجاوزة بعضها مع بعض فالعدوان على احداها يعرض سائرهما لامتداد العدوان اليها ، وهنا ثم مصلحة فى التضامن لدفع المعتدى ، أما ونحن لا نجاور ايا منها . بل تبعد أقربها الينا مئات الأميال عنا فلا مصلحة لنا فى الانضمام الى هذا الميثاق ، وخالفنى فى هذا رأى بعض زملائى الوزراء محتجين بأنه لمصر مصلحة فى تكوين جبهة متضامنة فى هذا الركن من العالم لأن الحرب فى عهدنا أصبحت ميكانيكية

ولان الطيران الحربى ، أصبح لا يعبأ بمئات الأميال ولذلك أيدوا فكرة الانضمام الى الميثاق بمثل القوة التى أيدت بها عدم الانضمام اليه ، شاركنى فى رى جماعة من الوزراء فلما عرض الأمر للتصويت انقسم المجلس فريقين متعادلين فى العدد ، ولم يكن محمد محمود باشا قد أبدى رأيه ، لذلك قال : ان هذه المسألة الخطيرة لا يكفى فيها أغلبية صوت واحد ، لهذا لا أرى أن انضم لأى الفريقين بل أسحب الموضوع من المجلس . . وقد أعجبت أنا بتصرف محمد محمود باشا فى هذا الموقف فهو تصرف حكيم غاية الحكمة . .

وكانت وزارة محمد محمود باشا مؤلفة من الحزبين : اندستوريين والسعديين ومن المستقلين ، ولكن الوزراء - كم يقول د . هيكل - كانوا لا ينظرون الى المسائل من وجهة النظر الحزبية وفى أحيان كثيرة ، كان بعض الوزراء الحزبيين يختلفون مع زملائهم الحزبيين ، عند طرح موضوع معين ويلتقون بأراء زملائهم فى الحزب الآخر أو يلتقون مع المستقلين فى الرأى وكنموذج على السمو بالمسائل القومية فوق الاعتبارات الحزبية يقول د . هيكل : عرض د . أحمد ماهر وزير المالية منح شركة بواخر البوستة الخديوية اعانة من مال الدولة تتجاوز مائة ألف جنيه . . فقد اعترض بعض الوزراء بأن هذه الشركة ليست مصرية وانما هى شركة انجليزية فعلا ، وان كانت مصرية قانونا وكانت تنستر وراء اسم أحمد عبود باشا ودفع وزير المالية هذا الاعتراض بأن الشركة تمصرت بالفعل كما انها مصرية بالقانون ، وعهد مجلس الوزراء الى الاستاذ سابا حبشى وزير التجارة والصناعة أن يبحث الموضوع وأن يطلع على ملفات الشركة وأن يعرض على المجلس نتيجة بحثه ، وتقدم سابا حبشى - بعد بحث استغرق عدة أسابيع - الى المجلس مؤكدا ان الشركة ليست مصرية بالفعل ، وان اتسمت بمظاهر مصرية ، وانها لذلك لا تستحق ان تعاونها المالية المصرية ، وكان سابا حبشى وزيرا سعديا ، مع ذلك رد عليه د . أحمد ماهر ، رئيس الهيئة السعدية يفند حججه ويؤيد مصرية الشركة ، واشترك بغض الوزراء فى هذه المناقشة ثم طرح رئيس مجلس الوزراء الموضوع للتصويت وشعر أكثر الوزراء ، ان رئيس مجلس الوزراء يؤيد وزير المالية فى منح الاعانة فائز ذلك فى رأيهم . . وفى نفس الجلسة - بعد أن تمت عملية التصويت - قدم سابا حبشى استقالته من الوزارة وعندما أعلن محمد محمود باشا ذلك قال أحمد ماهر : يظهر ان سابا بك لم يقتنع بالحجج ، التى قدمتها ، فاطلب اذن تأجيل الموضوع حتى يعيد هو دراسته من جديد ، وينظر فى هذه الحجج ، ويزنها فى هدوء .

ويقترح د . هيكل على الاستاذ سابا حبشى احوالة الموضوع برمته الى لجنة القضايا لتبحث الموضوع فان أقرت الاعانة وافق هو عليها ، وان اعترضت على اعطاء الشركة الاعانة ، كان ذلك تقوية لوجهة نظره ، ويوافق الاستاذ سابا حبشى ، على ذلك الاقتراح ، ولا يرفض هذا الاقتراح ، أحمد ماهر ، وانما الذى

يرفضه محمد محمود باشا قائلا : لا بد من الفصل في الموضوع وليفعل سابا ما يشاء ، اننى لا أقر طريقته فى الجلسة الماضية بحال ..

ويقول د. هيكل ، لرئيس حزبه محمد محمود باشا : لكن الأمر ، فى هذا بينه وبين رئيس حزبه الدكتور ماهر باشا ، ويقول محمد محمود : ولو .. وما كان له ان يواجه ماهر باشا بمثل ما واجهه به فالدكتور أحمد ماهر ليس رئيس حزبه وكفى بل هو رجل تفاخر به أية أمة ، ان يكون وزيرا فيها ، ولكن أحمد ماهر يوافق على اقتراح هيكل ويحال الأمر الى بدوى باشا رئيس قضايا الحكومة ويبقى الأمر عنده الى أن استقالت وزارة محمد محمود باشا ..

وكان محمد محمود باشا قد صبر ، وصابر على ما يقوم به على ماهر ضده ، ولكن « للصبر حدود » كما يقولون وقد كان محمد محمود يستطيع ان يقاوم مؤامرات على ماهر كرئيس للديوان الملكي ولكن ان يصبح الملك نفسه من رأى على ماهر فهذا ما لم يستطع محمد محمود باشا قبوله بأية حال من الأحوال . كان أحمد خشبة باشا وزيرا للحقانية وقد رفض احالة سليم بك حسن ، الى محكمة الجنايات وأوغرت بطانة الملك صدره ضد النائب العام «يس بك أحمد» وضد وزير الحقانية أحمد خشبة ، وانتهاز الملك فرصة مقابلته لوزير الحقانية فاذا بالملك فاروق يوجه نقدا شديدا الى وزارة الحقانية ، ويتجه أحمد خشبة باشا ، الرجل الحريص ، على كرامته حرصه على حياته الى محمد محمود باشا الرجل الحريص أيضا على كرامة من يعملون معه ، حرصه ، على حياته ويقدم اليه استقالته من وزارة الحقانية ولكن محمد محمود باشا وقد رأى الجو المحيط بوزارته قد آفهر بصورة لا يمكن الرؤية فيه قال له : لا تتعجل فعما قريب ، تستقيل الوزارة كلها ..

وفى يونيو والوزارة فى مصيفها ببولكللى يطلب د. هيكل السفر الى لبنان لقضاء بضعة أسابيع ويوافق محمد محمود على سفر وزيره اذا وافق الملك ، ويستغرب هيكل مما يقوله رئيس الوزارة ذكرت مشورة محمد محمود باشا ليتولى أعمال الوزير الغائب ، وهو - أى صاحب رأى فى اجازة الغياب ، ولكن محمد محمود التعليم ببواطن الأمور ، يصر على أن يوافق الملك على قيام هيكل بالاجازة ويطلب هيكل من اسماعيل تيمور بك الأمين الأول للملك أن يستأذن الملك فى السفر الى لبنان ، ويبلغ اسماعيل تيمور د. هيكل ان الملك لم يأذن بسفروه وكان محمد محمود بعوره قد طلب من الملك أن يسمح له بالسفر الى أوروبا للاستشفاء فاعتذر الملك بأن البلاد بحاجة الى بقاءه بها ، ويقول د. هيكل ، لم يكن الجو صفوا من حول محمد محمود باشا فى يوم من الأيام بل كان يواجه شتى المتاعب ، فى كل حين وهذه المتاعب كلها تضنى الأعصاب ، ومحمد محمود باشا رجل يعيش بأعصابه لذلك تأثرت صحته فلم يكن بعد هذه الشهور الطوال التى قضاه فى الحكم على ما ينبغي ، ولقد كان

يخفى عني وعن كثير من الوزراء ما يلقاه من متاعب وعقبات ولم يكن يفضي بها لبعض أصفياه إلا في النادر والقد كان يشعر في هذا الصيف من عام ١٩٣٩ بأن المتاعب والعقبات تتراكم أمامه بغير علة تقتضي قيامها ، بل تراكما فكان يزيده شعورا بأن الأمور ليست ميسرة أمامه .

وانني لفي بهو الفندق ، ظهر يوم الجمعة الثاني عشر من أغسطس اذ لقيته مصادفة فقال لي بعد ان حييته : لقد قدمت استقالة الوزارة .

ولم يدر بخاطري أن أسأله عن سبب تقديمها . . على أنني علمت بعد قليل ان سعيد باشا ذو الفقار كبير الامناء ، جاء الى فندق وندسور حيث كان ينزل محمد محمود باشا وان رئيس الوزراء طلب اليه أن يبلغ الملك ، استقالته لانه علم أن علي ماهر باشا ، يتصل بأشخاص يعرض عليهم الاشتراك معه في وزارة جديدة ، وقال رجال القصر ان الملك ، هو الذي أوفد سعيد باشا ذو الفقار الى محمد محمود باشا ان يستقيل حرصا على صحته . .

ولما علمت أن علي ماهر باشا هو الذي يؤلف الوزارة الجديدة ذكرت مشورة محمد محمود باشا علي الملك عندما اشتد الخلاف بين علي ماهر باشا وكامل البنداري باشا ان يحتفظ الملك بعلي باشا وساءلت نفسي : « آكان ما حدث اليوم ردا للجميل ، أم أن السياسة لا تعرف عاطفة ولا جميلا أم أن الملك فضل رئاسة علي باشا ماهر ، للوزارة على رئاسته للديوان ؟ » . .

وعن استقالة محمد محمود باشا يقول : الأستاذ عبد الرحمن الرافعي : كان محمد محمود يقيم في مدة الصيف في فندق وندسور بالاسكندرية ففي يوم الجمعة ١١ أغسطس ١٩٣٩ دق جرس التليفون بالفندق واذا بالمتكلم سعيد ذو الفقار باشا كبير أمناء الملك يطلب من محمد محمود تحديد موعد ، لمقابلته بالفندق لينقله رسالة سامية . . وجاء في الموعد المحدد ، واقضى اليه برغبة الملك في استقالته وكان هذا هو موضوع المقابلة فلم يكده محمد محمود يتلقى نيا هذه الرغبة حتى استجاب لها ، وقدم استقالته الى الملك في اليوم التالي (١٢ أغسطس) بعد أن سلخت وزارته في الحكم نحو عشرين شهرا .

بنى محمد محمود - كما يقول أستاذنا الرافعي - الاستقالة على مرضه وقد كان مريضا معظم المدة التي قضاها في الوزارة ومع ذلك لم يكن المرض ليدعوه الى الاستقالة بل كان يجمع السفر الى مرسى مطروح للاستجمام والراحة وأعدت الطوافه فوزية لهذه الرحلة فما ان تمت المقابلة بينه وبين كبير الامناء حتى بادر الى تقديم استقالته ولا غرابة في ذلك فقد جاء الى الحكم ، وبقي في الحكم بأمر من الملك فكان يدهيا أن يعتزل الحكم تنفيذا لأمر الملك وبعبارة أخرى انه لم يستقل لأن مجلس النواب قرر عدم الثقة بوزارته فقد كان مؤيدا من معظم أعضائه وبدا انها شبه آقالة وكان البرلمان في عطلة الصيف فلم يكن من الأعضاء الا أن قابلوا هذه الاقالة بالصمت والوجوم .

ويرى د. لبيب يونان لبيب رزق . ان الصراع ظل بين محمد محمود باشا وبين على ماهر بين مد وجزر وفي نفس الوقت ، كان رئيس الوزراء يصارع المرض حتى اضطر الرجل الى تقديم أولى استقالاته فى ٦ يوليو ١٩٣٩ ولكن الملك رفض قبولها وطلب أن يتحمل زملاء الرجل بعض أعبائه مما اضطره الى سحب استقالته . ويضيف د. يونان ، الى الروايات الخاصة باستقالة محمد محمود باشا رواية أخرى ، نقلا عن محمد محمود باشا نفسه - كما تقول الوثائق البريطانية - ان محمد محمود قال للسير لامبسون عند تقديم استقالته انه ليس من سبب لتلك الاستقالة سوى ظروفه الصحية وانه فى جلسة مجلس الوزراء الأخيرة لم يتمكن من البقاء ، أكثر من ربع ساعة .

وكانت الصحف الصادرة فى ١٢ أغسطس ١٩٣٩ قد نشرت بعض الانباء عن استقالة محمد محمود باشا ومقابلة كبير الامناء له ، وكان من بين ما كتبه الأهرام :

قلنا منذ بضعة أيام فى معرض الخلاف الدستورى وعن الحل المنتظر انه سيلي فض الدورة البرلمانية تطورات فى الموقف السياسى وان الاتجاه ، الذى ستتجه اليه هذه التطورات لا يزال قيد البحث وما كادت الدورة البرلمانية تفض مساء الثلاثاء الماضى والميزانية تقرر على الوجه الذى عرفه القراء حتى تم بحث مختلف الاتجاهات التى يجدر ان يسير فيها التطور السياسى ، واستقر الرأى على خطة معينة ، وكان أمس يوم عطلة ومع ذلك فقد نشطت البعثات وذاعت الروايات وأصبحت الإسكندرية وأمست وجوها حافل بالانباء المختلفة وقد بدأت هذه الشائعات تروج مساء أمس الأول على أثر تشرف سعادة الأستاذ محمد محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ بالمقابلة الملكية وقد سألناه عن مقابله وعن علاقته بالموقف السياسى فقال . تشرفت بمقابلة « مولاى » الملك وقد لقيت من جلالتة كل عناية وكل اهتمام بشئون البلاد كبيرها ، وصغيرها . . ولم يشأ سعادته أن يزيد على ذلك . . والنسب عرفت ان رفعة رئيس الوزراء ، قد ألغى سفره ، الى مرسى مطروح وكان موعده بعد ظهر اليوم السبت على الطوافية فوزية وقد عرفت هذا الالقاء رسميا ، على أثر زيارة صاحب المعالى سعيد ذو الفقار باشا كبير الامناء ، لرفعة رئيس الوزراء فى الفندق ظهر أمس وقد علمنا كذلك انه على اثر زيارة معالى كبير الامناء ان رفعة رئيس الوزراء محمد محمود باشا التمس تحديد موعد للتشرف بمقابلة جلالة الملك ليعرض على جلالتة قبول استقالته ، واعفاءه من احتمال اعباء الحكم ليتيسر له الانصراف الى العناية الصحية .

وقد حدد منتصف الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم « ١٣ أغسطس ١٩٣٩ » موعدا لهذه المقابلة وتقول الأهرام : ومنتظر ان يتفضل « جلالة الملك » بقبول استقالة رئيس الوزراء .

وتقول الأهرام : « والمفهوم فى الدوائر السياسية ان الملك سيعهد الى على ماهر باشا تأليف الوزارة الجديدة » .

وتقول الأهرام أيضا : ان محمد محمود باشا بعد ان عاد من نزهته ، على شاطئ البحر أخذ الوزراء يفدون الى الفندق تباعا واجتمعوا برفقته بعض الوقت وسيجتمعون غدا برئاسة فى بولكللى . .

وفى اليوم التالى يجتمع أعضاء الوزارة المستقيلة ، وبعد كتابة الاستقالة يجمع محمد محمود باشا أوراقه الخاصة وكذلك بعض الوزراء ويتوجه محمد محمود باشا الى الملك حيث يستقبله أولا سعيد ذو الفقار وتمتد المقابلة مع الملك من السادسة والنصف الى السابعة ، وبعد أن يخرج محمد محمود من مقابلة فاروق يتجه الى رئيس الديوان الملكى على ماهر وكان على ماهر ، قد وصل الى القصر بعد وصول محمد محمود باشا بربع ساعة . ويقول محمد محمود انه قد قام بأعباء الحكم هو وزملاؤه لمدة عشرين شهرا وهذه المدة ليست بالقصيرة ، فى عمر الوزارات الديمقراطية ويقول ان المرض قد اشتد عليه وان أطباءه قد نصحوه بالانقطاع عن العمل حرصا على صحته وانه ما كاد يصمم على عزمه ترك الوزارة ، ويقبل الملك منه الاستقالة حتى شعر بتحسّن فى صحته بدليل انه بقى ثلاث ساعات فى مجلس الوزراء ليصفى بعض المسائل المعلقة .

ويؤكد محمد محمود باشا ، ان عبئا ثقيلًا قد انزاح عن كاهله بمجرد شعوره بزوال المسؤولية الكبرى التى كانت ملقاة على عاتقه فى تلك الأيام العصبية . .

ولكن لماذا كان اختيار على ماهر لرئاسة الوزارة ، ولم يكن أحمد ماهر ، وهو المرشح الطبيعى لها لانه هو الذى يرأس الهيئة السعدية ويستطيع الحصول على تسهولة - على ثقة البرلمان ؟

لماذا تولى على ماهر باشا وهو الرجل غير الحزبى رئاسة الوزارة والذى لم يكن له فى مجلس النواب نائب واحد ؟ سؤال يحتاج الى اجابة شافية وافية ؟

الباب السابع

الفصل الأول

« على ماهر » يغلف « محمد محمود »

● تقول التقاليد الدستورية بل النظام الدستوري المعمول به في كل البلاد التي تحكم حكما دستوريا سليما صحيحا انه في حالة استقالة الوزارة أو في حالة اقالمتها ، اذا كانت الاستقالة جائزة ينبغي - طالما المجلس النيابي قائم أو في النية الإبقاء عليه - ان يعهد الى الحزب الذي له ، أكبر عدد من النواب في ذلك المجلس ، أو يعهد الى الحزب الذي يليه في عدد النواب على أن يضمن هذا الحزب الآخر الحصول على الأغلبية قبل تشكيل الوزارة اما عن طريق تحالفه مع بعض الأحزاب الأخرى واما عن طريق ضمان أصوات النواب المستقلين ، الذين يشكلون معه الأغلبية البرلمانية ، أما ان يتولى تشكيل الوزارة الجديدة ، رجل من خارج البرلمان ، ليس له صوت واحد في مجلس النواب فذلك ما يعتبر مناقضا لنصوص الدستور ، ولروحه ، على حد سواء .

وفي حالتنا هذه ، التي لم يكن حزب الأحرار الدستوريين يملك وحده الأغلبية البرلمانية ولم يكن حزب الهيئة السعيدية يملك وحده أيضا الأغلبية ، كان من الواجب ، مراعاة لنصوص الدستور ، ولروحه أن يعهد بمهمة تأليف الوزارة الجديدة الى واحد من الأحرار الدستوريين ، غير محمد محمود باشا بالطبع أو يعهد الى رئيس الهيئة السعيدية أو أحد أقطابها مهمة تأليف الوزارة الجديدة ، بحيث يكون من السهل على هذا المرشح لتأليف الوزارة ، أو ذاك الحصول على الأغلبية البرلمانية ، اما أن يعهد بمهمة تأليف الوزارة الجديدة الى على ماهر باشا الرجل غير الحزبي والذي لا يسنده في المجلس النيابي نائب واحد ، فقد كان من الأمور الشاذة سياسيا ، ودستوريا .

وليس صحيحا أبدا ما قيل من أن القصر لم يعهد إلى د. أحمد ماهر بمهمة تأليف الوزارة الجديدة لان الوفد قد ركز الهجوم عليه في بعض القضايا كقضية دعم الشركة الفرعونية التي يملكها بالاسم ، أو بالقبيل ، أحمد عيود باشا ، أو

كفضية البنك التجارى ، أو غيرها من القضايا فلقد كان من المعروف ، أن تركيز هجوم الوفد ، على شخص ما ، يعنى أن القصر يبالغ فى احتضانه ويعتبر ذلك الهجوم العنيف محسوبا له ، لا عليه .

وقد كان فى استطاعة القصر اذا أراد اعمال النصوص الدستورية ، أو الروح الدستورية السليمة الصحيحة ، أن يعهد بمهمة تأليف الوزارة الجديدة مثلا - اذا كان الهجوم على د. ماهر هو السبب - الى محمود فهمى النقراشى باشا ، نائب رئيس الهيئة السعدية أو أى قطب سعدى آخر .

كل ما فى الأمر ، على ما فصلنا فى الحلقات السابقة - ان على ماهر ، لم يشأ ، أن يلى رئاسة الوزارة الجديدة التى أعقبت اقالة وزارة مصطفى النحاس تاركا لمحمد محمود باشا ، القيام بمهمة اجراء الانتخابات واعداد البيت وكلها مهام صعبة وقاسية لابد أن ينال كل من يقوم بها - فى الغالب - غضب قطاع من الجماهير - أراد على ماهر أن يلى الوزارة ، بعد أن تكون وزارة محمد محمود باشا قد قامت بمهمة الوزارة القنطرة وبذلك يأكل البيضة مقشرة كما يقولون .

وربما كانت تلك النية ، المتوفرة ضد على ماهر باشا منذ اقالة وزارة مصطفى النحاس هى التى دفعت على ماهر الى بذل قصارى جهده حتى لا تكون لوزارة محمد محمود باشا أية شعبية ، كما أن تلك النية هى التى جعلت على ماهر يبالغ فى مرمطة « وزارة محمد محمود باشا » ، كما لم « تتمرط » أية وزارة سابقة .

لم تكن المسألة ، مسألة دستور ، يجب أن يحترم ، أو مسألة تقاليد دستورية يجب أن تراعى بل كانت مسألة مبيتة من القصر أو من على ماهر ، الذى يتحكم فى القصر : هذه المسألة أن يحكم على ماهر علنا ، وعلى رعوس الأشهاد بعد أن ظل عشرين شهرا يحكم من وراء ستار .

وأغرب ما فى الموضوع أن على ماهر باشا كان مستعجلا للغاية فى تأليف وزارته الجديدة حتى انه لم ينتظر ، حتى يقدم محمد محمود باشا استقالته أو حتى يتم اتخاذ الخطوات اللازمة ، لدفعه الى الاستقالة بل لقد بدأ يباشر اتصالاته قبل أن يقدم محمد محمود باشا بصفة رسمية استقالته وكان يعرض على بعض أصدقائه الشخصيين الدخول معه فى الوزارة الجديدة التى سوف يؤلفها ، وكان بعض هؤلاء الأصدقاء - وهم فى نفس الوقت ، أصدقاء شخصيون لمحمد محمود - يحملون الى الرجل المريض المتعب « القرفان » أنباء تلك الاتصالات وعندئذ ، ثار محمد محمود ثورة « مصرية » دفعته الى ابداء « قرفه » بصورة رسمية ، وان كان الرجل أدبا منه ، وقبل لم يشأ ، وهو فى القصر ، لتقديم استقالته الا يمر بمكتب على ماهر ، بصفته رئيسا لديوان الملك . الملك الذى قدم اليه الاستقالة المطلوبة .

وقد كان الملك على ثقة مطلقة بأن على ماهر أصلح الناس ، لتولى الوزارة في تلك الفترة الحرجة من تاريخ البلاد . . . وقد كانت ثقته بعلي ماهر ثقة مطلقة !

وقد كانت التقاليد الدستورية لو أريد للتقاليد الدستورية أن تحترم بل كانت النصوص الدستورية ، لو أريد للنصوص الدستورية أو على الأقل ، لروح الدستور أن يكون لها وجود ، كانت التقاليد أو الدستور نصا ، أو روحا ، تفرض على ، على ماهر وهو بصدد تشكيل وزارته ، البرلمانية الجديدة ، أن يتصل برئيس الحزبين اللذين يشكلان الأغلبية في مجلس النواب ، ليخبرهما - ولو من قبيل الشكل ، لا أكثر ، ولا أقل - بأن الملك قد عهد إليه بتأليف الوزارة الجديدة ، وأنه يطلب معونتهما ! أو تسهيل مهمته الجديدة ، ولكن على ماهر ، كان يرى أنه أكبر من الحزبين الكبيرين ، الأحرار الدستوريين ، والهيئة السعدية ، بل كان يرى أنه أكبر من المجلس النيابي نفسه ! أليس هو صانع المجلس ؟ أليس هو صانع العهد ، من الألف الى الياء ، انه لا يستشير ولكنه يأمر ، فيطاع أمره دون مناقشة !

ولو أن حزب الأحرار الدستوريين وحزب الهيئة السعدية ، كانا يحترمان حقا التقاليد ولا أقول النصوص الدستورية ، بل لو كانا يحترمان نفسيهما ، لامتنعا بتاتا حتى عن الدخول في مناقشات مع علي ماهر باشا ، بخصوص وزارته الجديدة ، حفاظا ، على كرامة الحزبين التي أهينت ، بل التي كاد يقضى عليها على ماهر ، بدون رحمة ، بل بدون ذوق !

وقد رفض حزب الأحرار الدستوريين الدخول في وزارة علي ماهر ، في النهاية ولم يشكل هذا الرفض ، أية متاعب لعلي ماهر ، ولو أن الحزب - ومنذ البداية - قاطع المشاورات ، الخاصة بتشكيل الوزارة الجديدة لكان قد انتقم من علي ماهر ، شخصا ، انتقاما أدبيا كان سيذكر للأحرار الدستوريين .

وكنموذج ، لتصرفات علي ماهر باشا ، المرشح لتشكيل الوزارة الجديدة ، ازاء الأحرار الدستوريين والسعديين ، أنقل فقرات من مذكرات د. محمد حسين هيكل ، وهي وحدها كافية لاعطاء صورة حقيقية لتلك التصرفات .

يقول د. محمد حسين هيكل : أزمع محمد محمود باشا ، السفر الى مرسى مطروح يستجم بها بعد استقالته ، وعلمنا أنه سيستقل اليها باخرة من بواخر خفر السواحل ، تكون أكفل لراحته من القطار ، ومن الطائرة ، ومن السيارة .

وفي عشية سفره اجتمعنا حوله في بهو الفندق ، فذكر لنا أنه يرحب بعلي باشا ماهر رئيسا للوزارة وأنه يوافق تمام الموافقة على أن يشترك الأحرار الدستوريون ، معه ، وأن يبقى الوزراء الدستوريون في مناصبهم ، وأن يشغل أحمد « بك » عبد الغفار منصب وزير الزراعة مكان رشوان باشا محفوظ وأنه

عهد الى الدكتور أحمد ماهر باشا رئيس الهيئة السعدية ووزير المالية في وزارته ليقيم مقامه في مفاوضات تأليف الوزارة برياسة على ماهر باشا ، وذهبنا صبح الغد الى الميناء ، وصعدنا الى الباخرة وودعنا محمد باشا محمود في سفره ، الى مرسى مطروح وتمنيانا له الشفاء ، وموفور العافية ، وأقلعت الباخرة بالرجل ، الذي شغل مصر عشرين سنة كاملة خادما لها مجاهدا في سبيل سيادتها ، واستقلالها ، وكانت استقالته من الحكم ، هذه المرة ، آخر عهده به ، وعدنا الى مكاتب الوزارة في بولكل ، ننتظر ما يكون من تطورات الموقف في أمر الوزارة الجديدة ! وكان الوزراء مقتنعين بأن التأليف سيتم في اليوم نفسه ، أو في الغد ، اذا أراد على ماهر باشا أن يدخل بعض التعديل على الوزارة ، لكن اليوم انقضى ، وتلاه غده ، ولم يتحدث على باشا ماهر الى أحد فيما كلف به .

واتصل بى حسين سرى باشا بعد يومين يخبرني أن على ماهر باشا لم يخاطبه وان عبد الحميد بدوى باشا تحدث اليه حديثا غير رسمي ، وأنه لا يريد أن يبقى وزيرا للأشغال ، ولا يرضى الا أن يكون وزيرا للمالية .

وفى ذلك اليوم استدعى على ماهر باشا ، أحمد خشبة باشا ، وفاتحه في أمر الوزارة وذكر له أنه يريد أن يختار وزراء فنيين ويريد لذلك أن يكون مصطفى الشوربجي « بك » وزيرا للعدل ، ويعرض على خشبة باشا أن يكون وزيرا للصحة ، ودهش خشبة باشا لهذا العرض ، فقد كان وزيرا للعدل أكثر من مرة ومنذ سنوات طويلة كما كان وزيرا للعدل في الوزارة المستقيلة ، وهو من رجال القانون ، فما معنى أن يكون وزيرا للصحة ، اذا كان على ماهر يريد أن يعاونه وزراء فنيون ؟ أليس يعنى هذا أنه يعرض عليه هذا العرض ليرفضه وأنه راغب في معاونة خشبة باشا بالذات ، أو راغب عن معاونة الأحرار الدستوريين جميعا !

ويقول د . محمد حسين هيكل : كنا معشر الأحرار الدستوريين نجتمع أكثر من مرة كل يوم في فندق وندسور حيننا ، وفى فندق سان استفانو حيننا آخر ، وفى مكاتب الوزراء ببولكل أحيانا ، وكنا نتناول في أحاديثنا ما تقف عليه من اتصالات على ماهر باشا ، ويعلق كل منا بما يعن له ، وقلق بعض الشبان الذين كانت لهم صلات بمحمد محمود باشا فسافروا اليه في مرسى مطروح يعرضون عليه ما اتصل بهم ، رغم منع الأطباء له من أن يشغل ذهنه بأمر ذى بال ، حرصا على صحته .

وقيل لي يوما ان على ماهر باشا لا يريد أن أكون معه وزيرا للمعارف وذلك لما بينى وبين الشيخ الأكبر من خلاف على مسألة الأزهر ودار العلوم ، لم يبق إذن من الوزراء الدستوريين في وزارة محمد باشا محمود ، غير مصطفى باشا عبد الرازق وزير الأوقاف ، ولم يكن مصطفى باشا قد اختلف مع أحد خلافا

يدعو الى عدم اختياره ، ومع ذلك لم يرد ذكره بين من يرشحهم على باشا ماهر ،
لوزارته .

فكرنا - الكلام للدكتور هيكل - في الموقف ، الذي يجب أن نقفه ، ولما كان
محمد باشا محمود قد أناب عنه الدكتور أحمد ماهر رئيس الهيئة السعدية في
مفاوضات تأليف الوزارة ، فقد رأينا أن نتفاهم مع السعديين ليكون موقفنا ،
وموقفهم من على باشا ماهر واحدا ، وذهبنا بعد ظهر يوم الثلاثاء ، الى منزل
النقراشي باشا برمل الاسكندرية ، واجتمعنا بالدكتور ماهر باشا ، والنقراشي
باشا ، وآخرين من زعماء السعديين ، فانتهينا الى اتفاق أن يكون موقفنا وموقفهم
واحدا ، فاما أن نشترك ويشتركوا في الوزارة ، واما أن نمتنع ويمتنعوا عن
الاشتراك فيها .

وفي الصباح من يوم الأربعاء علمنا أن ابراهيم بك الهلباوى قابل على ماهر
باشا وتحدث اليه في تأليف الوزارة . وألح عليه في ضرورة اشتراك الحزبين
فيها ، ثم اننا عرفنا بعد الظهر من ذلك اليوم ، ان على ماهر باشا ، مستعد أن
يشرك معه اثنين من الأحرار الدستوريين ، هما : هلباوى بك ، وعبد المجيد بك
ابراهيم صالح ، ولم يكن أيهما وزيرا من قبل ، عند ذلك اجتمعنا في المساء
وتداولنا الرأي فقررنا على أن هذا التفكير من جانب رئيس الوزارة المقبلة
ينطوى على تجريح صريح للوزراء الدستوريين ، في وزارة محمد محمود باشا كما
أن اشراك اثنين في الوزارة لا يعتبر تمثيلا للحزب فيها . ولذلك قررنا عدم
اشتراك الحزب في الوزارة وبلغ أحمد خشبة باشا هذا القرار تليفونيا الى
الدكتور أحمد ماهر باشا .

وفي مساء الغد ذهبت الى مقهى ميامى بالاسكندرية واتخذت مجلسا الى
جانب نافذة مطلية على البحر ، واننى لهنالك اذ جاء من بلغنى ان الوزارة تألفت
وان السعديين اشتركوا فيها بأربعة وزراء وان النقراشي باشا عين وزيرا
للمعارف ، وانه طرب لذلك أشد الطرب وان على ماهر باشا أنشأ وزارة جديدة
للسئون الاجتماعية وأسندها الى عبد الرحمن « بك » عزام .

وهكذا نجح على ماهر في أن يقضى على التحالف الذى كان قد قام بين
الأحرار الدستوريين وبين الهيئة السعدية ذلك التحالف الذى بلغ يوما ما من
القوة ما جعل الكثيرين يعتقدون ان الحزبين سيكونان حزبا واحدا . . كما نجح
على ماهر - في نفس الوقت - في استقطاب السعديين الذين قالوا انهم لم يقبلوا
الاشتراك فى الحكم الا لخوفهم على العهد كله من أن يعصف به على ماهر فيجربى
انتخابات جديدة لا يكون لهم فيها مثلما لهم وقتئذ فى المجلس القائم .

ويقول بعض خصوم السعديين انهم قبلوا الحكم على أمل أن يرثوا وحدهم
النظام كله بعد على ماهر خاصة وان بعض قياداتهم كانوا يعتقدون أن وزارة على
ماهر باشا لا يمكن أن تستمر طويلا !!

وقبل أن تنتقل الى الحديث عن الوزارة الجديدة - وزارة على ماهر باشا - يجب أن نقول ان الوفد المصرى قد ابتهج جدا لاستقالة وزارة محمد محمود باشا أو لاقالتها ، وكان من بين ما قالته صحفه وقتئذ ، قالت صحيفة الوفد المصرى : حم القضاء ونفذ السهم وأصبحت وزارة محمد محمود باشا فى خبر كان ، الى أمس فقط كانت الصحف المأجورة تقول ان لاشئ هناك وان الوزارة لم تكن فى وقت من الأوقات أقوى وأثبت على البقاء منها الآن ، بينما كانت الاسكندرية ممثلة الأنق بأخبار انتهاء الحكم الصالح واستقالة رئيس الوزراء .. الى آخر لحظة كانوا يكذبون بل لقد كانت الوزارة فى النزاع الأخير ولا يزال مصنع الأكاذيب يستغل للايهام والتضليل ، الى ان تقول صحيفة الوفد المصرى : لقد افترض الحكم الصالح ، حتى فى تغطية نهايته وحتى فى « تكفين » وفاته ليموت كاذبا كما ابتدأ الحياة كاذبا مزيفا شاذا على الطبيعة والتكوين .

أما جريدة « المصرى » فقد قالت : أراد الوزراء أن يستروا النكبة المتوقعة لوزارتهم فقالوا انها لا تستقبل الا لان محمد محمود باشا قرر نهائيا العناية بصحته أولا وقبل كل شئ ولما كانت حالته الصحية لا تساعد مطلقا على القيام بأعباء الحكم فانه يرى ضرورة تخليه عن الحكم .

قال الوزراء هذا وذاك وهم يتنقلون بين مختلف المجالس والاندية وكانت هذه الحركة الغريبة فى نوعها من جانبهم دليلا على أنهم لم يروا بدا من الاعتراف بحقيقة الحالة المحزنة التى صارت اليها وزارتهم لم يدن أجلها وخلص الأمة منها ، وقد كانت كابوسا عليها (١٢/٨/١٩٣٩) .

وفى ١٤ - ٨ - ١٩٣٩ تقول جريدة المصرى تحت عنوان « مآثرة كبيرة نسجلها لمحمد محمود باشا » وقد جاء فيها : علم أننا لانعرف للحكم الصالح مآثرة واحدة نذكرها له فقد كانت أيامه أسود من خافية الغراب الاسحج لايتخللها بصيص من نور ولا قبس من ضياء ، ولكن واجب الدقة والإمانه يفرض علينا ان نسجل لمحمد محمود باشا أنه سافر الى مرسى مطروح عقب تقديم استقالته مباشرة وترك حزبه ووزراءه وحدهم على مدرجة من سيول الحوادث والخطوب .. الى ان تقول صحيفة المصرى : رأى الرجل ان من المهانة والمذلة لنفسيته ولكرامته ان يبقى يوما أو يومين ليتوسط لحزبه ولزملائه لدى خصمه ، الذى طعنه فى ظهره وكبر عليه ان يقول لعدوه خذ من انصارى خمسة بدل اثنين او خذ فلانا دون فلان .. لذلك عجل محمد محمود باشا بالرحيل وترك الدار تبكى من شادها وتنعى من بناها .

وتكتب جريدة الوفد المصرى فى ١٤/٨/١٩٣٩ تحت عنوان « اما محالفة أو لا محالفة » . وقد جاء فيها كتبت : لقد كان قيام حكومة الانقلاب « تجربة » استعمارية لمحاولة القضاء على استقلال المصريين ، ذلك الاستقلال الذى اعترفت

به بريطانيا العظمى فى معاهدة صداقة . . وقد جاءت هذه التجربة قبل أن يجف المداد الذى كتبت به تلك الوثيقة الخطيرة التى ربطت ما بين الشعبين وأتت عقب الشروع فى تنفيذها على أيدي ممثلى الشعب المصرى الذين وقعوها أمناً على حقوق بلادهم ، للتخلص من قيامهم على احترامها ، وإزاحتهم من الطريق ليخلو للانجليز وقد كادوا كيدهم ودبروا الغدر بالمعاهدة والشعب الذى ارتضاها والمصريين الذين أجمعوا أمرهم على احترام نصوصها والأمانة التامة فى تنفيذها .

أما جريدة الدستور فقد قالت فى ١٤/٨/١٩٣٩ تحت عنوان « عميد السياسة المصرية » وكان من بين ما قالته تلك الصحيفة :

هو صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا رئيس الوزارة السابقة ، فى رأى كاتب المقال الأول لجريدة « الدستور » وقد استهل الكاتب مقاله ذاك بما يلى :

« رجل يطمأن اليه ويعول عليه »

ذلك خلاصة ما يقال فى وصف المزايا الخاصة والعامة التى جعلت صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا عميداً للسياسة المصرية فى هذه المرحلة المأثورة من مراحلها الدقيقة .

فالحوادث المصرية كلها قد أظهرت ان هذا الرجل الذى يعتزل الوزارة اليوم رأس من رؤوس مصر التى لا يتم غيرها عمل من الأعمال الخطيرة فى تاريخ القضية الوطنية .

فمنذ اشترك فى ميدان السياسة المصرية لم يبرم فى البلاد أمر من الأمور الجسام الا كان له شأن بارز فيه ، ووزن محدود فى ميزانه ، وكلمة مرعية تتجه اليها الأسماع وتشغل به الأذهان .

ومضى الكاتب ، فأشار الى ما جرى عليه رفعة محمد محمود باشا فى وزارته ، وما كان من تعاونه مع من اشتركوا معه فى الحكم ، وقال انه :

« بهذا المسلك الحميد قد استحق محمد محمود باشا أن يسمى عميد السياسة المصرية وشيخ الساسة المصريين ، وسيظل على هذا الاعتبار مرجعاً لهم وموضعاً لطمئنانهم وتوقيعهم وصديقاً للمثقفين والمختلفين منهم ، وعاملاً من عوامل التدبير التى يستعان بها حيث كان فى الحكم أو فى خارج الحكم بلا اختلاف » .

وعند الكاتب ان رفعة محمد محمود باشا ترك المنصب وما أعطى أحداً من الناس سبباً مشروعاً للاستياء ، لانه كان سليم التصرف فى علاقاته وأعماله ومراميه ، ولا استثناء فى ذلك لأحد من المصريين .

سنوات ما قبل الثورة ٢٠ - ٤٦٥

وتقول صحيفة الاجيبشيان جازيت في نفس التاريخ ، ان استقالة وزارة محمد محمود باشا جاءت فجأة في وقت كان يظن فيه ان صحة رفعة محمد محمود باشا قد تحسنت الى درجة يستطيع معها استئناف نشاطه بعد راحة قصيرة . . الى أن تقول :

والواقع أن صحة رفعتة - على الرغم من تحسنها قليلا - لا تحمل على الأمل في العودة سريعا الى العمل . ولذلك رأى أن يستقيل في الظروف الحرجة المالية . وهذا ما كنا نتوقعه من محمد محمود باشا الذي طالما برهن على أن صدره يفيض غيرة على صالح بلاده .

وبعد أن تحدث كاتب المقال عن المجهود الذي بذلته الوزارة خلال العشرين شهرا التي تولت الحكم فيها ، وخصوصا في تدبير المال اللازم لتسليح البلاد . قال : ان المستوى النفساني في مصر ارتفع كثيرا خلال الأشهر الأخيرة بفضل أداة الحكم الصالحة والحكيمة . وقد ظلت الحكومة سائرة بحكمة وروية في الطريق التي اختطتها لنفسها بالرغم من العوامل المعاكسة ، التي ظلت تعترض سبيلها .

وأخيرا لما سادت صحة الرئيس ، ولم يعد في استطاعته ادارة دفة الحكم بتوجيه أعضاء وزارته ، بدأت الحكومة تتحول الى مجموعة من الأفراد يعمل كل منهم على طريقته دون أن تكون لديهم يد القائد التي تربط بينهم وتنسق أعمالهم في سبيل صالح الحكم . فلم ير محمد محمود باشا ، ازاء هذا ، الا أن يتقدم باستقالته الى جلالة الملك .

اما صحيفة البلاغ ، المؤيدة للعهد فقد قالت في ١٣/٨/١٩٣٩ :

كل من يعرف شيئا عن رفعة محمد محمود باشا يستطيع أن يكون على يقين جازم انه ما كافح الضعف وقاوم الاعياء الا وهو موقن أن مصلحة بلاده تتقاضاه هذا الجهد الشاق ، وانه ما استقال الا وهو موقن أن هذه المصلحة عينها تحتم عليه رعايتها أن يتخلى عن الحكم لمن هو أصح بدنا وأقدر بهذا العمل ، فما ينظر رفعتة قط الى شخصه أو يجعل باله الى منصب أو جاء ، أو تنقصه الكرامة حتى يستعبرها من ولاية الحكم ، وقد بلغ غاية ما يبلغه سياسى ، وأحل نفسه بشخصيته الكريمة وروحه النبيلة ، وسيرته القومية النزوية ، في أرفع المنازل وأجل المراتب .

وكل وزارة مصرية استقالت كانت استقالتها لازمة أو خلاف ، أو لانتهاه مهمتها أو لان الوقت حان لتغيير السياسة العامة والأخذ في نهج جديد الا الوزارة المحمدية ، فان قاعدة الحكم الحالى باقية كما هي ، والسياسة التي جرت عليها الوزارة واجبة الاستمرار ، والنهج لا يتغير ، ولا خلاف هناك ولا أزمة .

وتتكون وزارة على ماهر باشا الثانية على النحو التالى : على ماهر للرئاسة ، والداخلية ، والخارجية ، محمد على علوبة وزير دولة للشئون البرلمانية ، محمود فهمى النقراشى وزير المعارف ، محمود غالب وزير المواصلات ، حسين سرى وزير المالية الدكتور حامد محمود وزير الصحة ، سابا حبشى وزير التجارة والصناعة ، عبد الرحمن عزام وزير الأوقاف ، ابراهيم عبد الهادى وزير دولة للشئون البرلمانية ، مصطفى محمود الشوربجى وزير العدل ، عبد السلام الشاذلى وزير الشئون الاجتماعية ، عبد القوى أحمد وزير الأشغال ، محمد صالح حرب وزير الدفاع الوطنى ، محمود توفيق الحفناوى وزير الزراعة .

والوزارة الجديدة اعتمدت أساسا على المستقلين . . تسعة وزراء من بين أربعة عشر وزيرا . أما الوزراء الحزبيون فلم يكونوا يزيدون على الخمسة هم جميعا من الهيئة السعدية ، وقد اعتذر أحمد ماهر عن دخول الوزارة الجديدة لأسباب كثيرة مختلفة قيل من بينها : انه كان على خلاف دائم مع شقيقه على ماهر فى سياسته ، أسلوبا ومنهجيا ، وقيل أيضا انه فضل أن يرأس مجلس النواب بعد المتاعب التى واجهته من الوزارة لانه برلمانى ، ويفضل أن يعيش مع البرلمانيين ، وقيل أيضا انه كان يعرف أو يستنتج أن وزارة على ماهر لن تدم طويلا ، وانه أثر ألا يحرق نفسه فى وزارة مؤقتة ، ومؤقتة بزمان قصير ، وقيل ، وقيل ، والرأى عندى أن الرجل ، أحمد ماهر ، وفاء منه للرجل محمد محمود قد أثر أن يبتعد عن الحكم لان عجلة الحكم قد بدأت تدور بطريقة عكسية ، وهو رجل صريح ، وواضح ثم ان الرجل - وقد عرفت ذلك من بعض المتصلين به - أثر أن يكون ابتعاده عن الحكم نوعا من الاحتجاج الصامت ، للطريقة المهينة التى استغنى بها عن خدمات صديقه محمد محمود باشا .

وكان اختيار صالح حرب ، ومصطفى الشوربجى وعبد الرحمن عزام كوزراء فى وزارة على ماهر ، واختيار عزيز المصرى كرئيس لأركان حرب الجيش المصرى ايدانا ببدء معركة مع بريطانيا ، وقد عبر سير مايلز لامبسون عن مخاوفه من تشكيل تلك الوزارة من هؤلاء الوزراء ، عبر عن مخاوفه فى خطاب بعث به الى لورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانية وقتئذ !

وقد كان القصر متأثرا فى ذلك بالايطاليين ، ذوى النفوذ القوى فى القصر ، يرغب فى تجنب مصر ، ويلات الحرب وكانت الحرب على وشك الوقوع ، وكان الايطاليون ، ذوو النفوذ فى القصر على علاقات وثيقة بالدوتشى موسولينى الذى كان يكن قدرا كبيرا من الكراهية لبريطانيا ، ولسياستها الأفريقية بنوع خاص !!

وكان على ماهر مقتنعا وبصفة شخصية بان بريطانيا سوف تدخل الحرب وسوف تحت مصر على دخول تلك الحرب ، الى جانب بريطانيا تطبيقا لنصوص

معاهدة ١٩٣٦ وكان على ماهر يؤمن ايمانا قاطعا - وهذا ما يذكره له التاريخ - مؤمنا الى أبعد حدود الايمان بأن مصلحة مصر في البقاء بعيدة عن أتون تلك الحرب. ولأن على ماهر كان يعرف جيدا أن أية اصلاحات في الجيش المصرى لن تتحقق بسبب معارضة البعثة العسكرية البريطانية المسيطرة على كل أمور الجيش المصرى ، صغيرها وكبيرها ، ولذلك فقد كان أول ما فكر فيه انشاء قوة حربية محلية لا تخضع لسلطان البعثة العسكرية البريطانية ، ونعنى بتلك القوة ، الجيش المربط « وهو جيش اقليمى » يتألف من المجندين الذين يزدنون على حاجة الجيش العامل ، ولم تنقض مدة التزامهم بالخدمة العسكرية ومن ينضم اليهم من المتطوعين ٠٠ ومهمة هذا الجيش - فى السلم - تنمية وتعميم الخصال والفضائل العسكرية وموافاة الجيش عند الاقتضاء بما يحتاج اليه من الجند ، والقيام بما يعهد اليه من الخدمات العامة أو الخدمات الاجتماعية . ومهمة هذا الجيش - فى الحرب - القيام بحراسة المرافق العامة وأداء الخدمات العسكرية المختلفة وراء ميادين القتال وانجاد الجيش عند الحاجة ، ومدة الخدمة فى الجيش المربط لا تتجاوز ستة أشهر ، ويتولى تدريب الجيش المربط ضباط الجيش العامل أو المحالون منهم الى المعاش والاستيداع .

● تحدثنا عن ذهاب وزارة محمد محمود باشا الرابعة ، والأخيرة ورأى الصحافة المصرية على اختلاف مذاهبها واتجاهاتها الحزبية فى عملية « الذهاب » هذه كما تحدثنا عن مجيء وزارة على ماهر باشا ، الثانية والظروف التى لا يستعملية « المجيء » هذه وأشرنا - مجرد اشارة - الى ما تميزت به وزارة على ماهر من ضم بعض الشخصيات الوطنية التى رأت بريطانيا فى ضمها الى وزارة على ماهر نوعا من التحدى لها ، كما أشرنا أيضا - مجرد اشارة - الى حرص على ماهر على تشكيل الجيش المربط ليكون قوة الى جانب قوة الجيش المصرى الذى تؤثر فى تسليحه وتشكيله البعثة العسكرية ، البريطانية التى كانت حريصة باستمرار على « تحجيمه » وعدم اعطائه الفرصة للانطلاق ، وقد كان اختيار عزيز على المصرى رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى ، مثارا للمنازعات بينه وبين البعثة العسكرية البريطانية ، تلك المنازعات ، التى بدأت عندما كان مفتشا عاما للجيش المصرى .

واذا كان عزيز على المصرى لم ينجح فى مجابهته للبعثة العسكرية البريطانية عندما كان مفتشا عاما للجيش المصرى ، لان وزراء الحربية كانوا ضده ولان رئيس الوزراء لم يكن يريد أن يتطور الصدام بين عزيز على المصرى وبين وزراء الحربية الذين عمل معهم من ناحية وبين البعثة العسكرية البريطانية من ناحية أخرى الا أن الوضع قد تغير مع مجيء وزارة على ماهر : لقد حرص على ماهر على أن يقف الى جانب عزيز المصرى ، وحرص - فى نفس الوقت - على تقليص نفوذ البعثة العسكرية البريطانية . وقد رأى السير مايلز لامبسون أن فى مقدمة

ما استهدفه عزيز المصرى بعد مجيء على ماهر باشا الى الحكم ، العمل على تقويض مركز البعثة العسكرية البريطانية فى مصر . وقد كان تشجيع على ماهر باشا لعزیز على المصرى فى مقدمة الأعمال التى اعتبرتها السفارة البريطانية فى مصر معادية لبريطانيا والتي من أجلها ثار الخلاف بين على ماهر وبين بريطانيا ، والتي حالت بين قيام تعاون وثيق بينهما فى المستقبل .

والجدير بالذكر أن على ماهر باشا عندما سافر الى لندن للاشتراك فى مؤتمر لندن لبحث القضية الفلسطينية كان قد تقابل مع المسئولين البريطانيين أكثر من مرة وكان هدف على ماهر من تلك المقابلات و « الاجتماعات المكثفة » اقناع المسئولين البريطانيين بأنه لا يمكن أبدا أن يوضع فى صف السياسيين المصريين المعادين لبريطانيا بل انه فى مقدمة الراغبين فى تنفيذ معاهدة ١٩٣٦ بروح طيبة . وأنه - أى على ماهر - لا يحمل فى نفسه كراهية للبريطانيين بل انه على العكس ، مما يشاع عنه صديق لبريطانيا وكان على ماهر باشا أيضا قد حرص على أن يوحى للسياسة البريطانيين انه القادم الجديد لحكم مصر ، وان بقاء محمد محمود باشا فى الحكم من الأمور الوقتية وانه وحده هو الذى يقرر متى تنتهى مأمورية محمد محمود باشا .

ولكن الملاحظات التى أحاطت بتشكيل وزارة على ماهر واختيار بعض معاونيه للمشاركة فى تلك الوزارة ، ومحاولة ظهوره - منذ بداية تشكيله الوزارة - بمظهر الوطنى المستقل قد أثار مخاوف سير مايلز لامبسون سفير بريطانيا فى مصر الذى لم يكن يستطيع للظروف الدولية الخطيرة التى تكتنف العالم أن يعترض على رئيس الوزراء الجديد أو على الأقل يعترض على بعض الأعمال التى قام بها حتى لا يؤول هذا الاعتراض على أنه تدخل سافر فى الشؤون الداخلية لمصر !

وكان على ماهر - والحق يقال - قد أحسن استغلال ظروف تدهور الحالة الدولية ووقوع بريطانيا فى أكثر من مأزق دولي ، بل ان على ماهر لذكائه - ولا أحد يستطيع أن ينكر عليه ذكائه الحاد - قد رأى ان بريطانيا لن تحاول أبدا فى تلك الأيام التدخل فى شئون مصر ، وخاصة وأن على ماهر - رئيس الوزراء - مؤيد الى أبعد حدود التأييد من الملك .

وأصحاب الذكاء الحاد ، ينجحون دائما ، وباستمرار ولكن عندما يخطئ الواحد منهم خطأ فاحشا واحدا فانه يفقد وبسرعة كل ما حققه من نجاحات ولذلك فقد نجحت سياسة على ماهر باشا فى البداية فحقق كل ما كان يريد تحقيقه من تأخير تدخل بريطانيا فى كثير من الأمور ، الداخلية ، التى رأى تنفيذها ، ولكن بريطانيا التى صبرت ، على ، على ماهر طويلا ، لم تستطع بعد اعلان الحرب ودخولها الى جانب بولندا وضد ألمانيا - للانتظار طويلا على على ماهر وكانت الفرصة التى استغلتها أبرع استغلال دخول إيطاليا الحرب الى

جانب ألمانيا وضد بريطانيا فكان ما كان من اصرار بريطانيا - بصورة رسمية
سافرة - على احداث تغيير وزارى فى مصر ولم تكن وزارة على ماهر قد اكملت
شهرها العاشر . لقد دخلت بريطانيا الحرب فى ١٠ يونيو ١٩٤٠ وأجبر على
ماهر على الاستقالة كرئيس لمجلس الوزراء - بناء على تدخل بريطانيا - فى
٢٧ يونيو ١٩٤٠ .

واذا كان على ماهر قد بدأ منذ اليوم الأول لتشكيل وزارته معركة التحدى
ضد بريطانيا أو ما يمكن أن يسمى بالخروج عن المألوف فى تشكيل الوزارات
وضرورة استئذان بريطانيا فى كل الخطوات التى تسبق التشكيل الوزارى
وتواكبه ، الا أنه قد بدأ منذ اليوم الأول تحقيق كل ما كان يريده القصر من
أمر رفض تنفيذها ، أو أرجأت التنفيذ وزارة محمد محمود باشا ، وفى مقدمة
تلك الأمور - وعلى سبيل المثال لا الحصر - احالة سليم بك حسن الى المعاش ،
بعد خلافه مع الأب دريتون مدير دار الآثار المصرية ، وبعد أن رفض النائب العام،
أو « النائب العام » كما كان يسميه على ماهر باشا حالته الى محكمة الجنايات
لأن النائب العام لم يكن يرى فيما نسب الى سليم بك حسن ما يوجب حالته
الى محكمة الجنايات فجاء مجلس الوزراء بعد ثلاثة أيام من تشكيله وفى أول
اجتماع رسمى له - ليحيل سليم بك حسن ، الى المعاش لا الى محكمة الجنايات .

وكان مجلس الوزراء قد عين فى أولى جلساته ٢٠ أغسطس ١٩٣٩ محمد
كامل نبيه بك وكيلًا لوزارة الأشغال ، والفريق عزيز على المصرى باشا رئيسًا
لأركان حرب الجيش المصرى وعبد الرازق أحمد السنهورى بك وكيلًا لوزارة
المعارف - بدلا من العشماوى بك الذى كان يقف الى جانب د. محمد حسين هيكل
وزير المعارف السابق فى كثير من آرائه واتجاهاته وقراراته ، وحسن مختار
رسمى بك وكيلًا لوزارة المالية ، والأستاذ عبد المقصود أحمد ، وكيلًا مساعدًا
لوزارة المالية ، واللواء حسن عبد الوهاب باشا قائدًا للأساطيل الجوية !

الفصل الثامن

طلعت حرب يلقي جزاء سنمار القصر يقبل رئيس بنك مصر

● كان من أخطر ما أقدم عليه مجلس الوزراء ، فى تاريخه ما استخدمه
خاصا بطلعت حرب باشا : وادع الدكتور محمد حسين هيكل يروى قصة مجلس
الوزراء الجديد مع طلعت حرب بقول د. هيكل :

أثارت احوالة سليم بك حسن وجماعة من كبار الموظفين الى المعاش . على
هذا النحو ، المفاجيء دهشة الناس وتسليقات الصحف ، لكن أمرا أجل خطرا
كان أكثر لفتا للنظر ، فقد استدعى حسين سرى باشا وزير المالية محمد طلعت
حرب مدير بنك مصر ، وتحدث اليه فى مركز البنك ، وفى دقة هذا المركز دقة
توجب على الحكومة ان تتدخل لمصلحة المساهمين فيه وأصحاب الودائع ، وطلب
اليه أن يتنحى عن ادارة البنك وترامى الى الناس هذا النبا ففتحوا عيونهم واسعة
من الدهشة ، فطلعت حرب هو مؤسس البنك منذ عشرين سنة ، وهو الذى انشا
شركات البنك ، واحدة بعد أخرى ، وبعث فى البلاد نهضة صناعية لم تعهدها
من قبل ، وهو لهذا موضع تقدير الشعب وأكباره ، واجلاله ، افيعامل رجل
خدم بلاده أجل خدمة على هذا النحو المهيمن وهو المدير ، بكل اكرام ، وتقدير ؟
وتولى طلعت حرب لهذه المفاجأة ، ما تولى الناس جميعا . لقد كان بنك مصر ،
يعانى فى هذه الفترة أزمة تعانيتها المنشآت المالية جميعا ، بسبب الازمة المالية
الطاحنة التى حلت بالعالم واستمرت عدة سنين لكن الرجل لم يكن يحسب ان
الأمر ، يصل بالحكومة الى أن تعامله هذه المعاملة وهو فى نظر الشعب أكبر من
وزير ، وأكبر من رئيس وزراء لانه هو الذى اقام المؤسسة المصرفية الكبرى
والشركات التابعة لها باقدامه فهو الذى خلق هذه المنشآت ولم يخلقه هو الا الله
وهو لم يهتم يوما فى ادارة البنك ، ولم ترق الى نزاهته شبيهة ، وبعض الرعاية
من جانب الحكومة للبنك كقيل بأن يعاونه على تخطى هذا المركز الذى لم يلبس

من الدقة ما يريد وزير المالية ان يصوره ، لكن وزير المالية حاسم فيما طلبه وللحكومة في البنك ودائع ضخمة اذا هي فكرت في نقلها الى بنك غيره ، عرضت سمعة البنك للخطر ، أى عرضت كيان البنك للخطر ، والبنك هو طلعت حرب ، هو سمعته ، وهو حياته ، وهو تاريخه الباقي ، لن تستطيع الأيام محوه ما بقي البنك دائما ووزير المالية حاسم قاطع في طلبه ، ان يتنحى منشاء البنك عن ادارته ، وهو يضرب له موعدا - ثلاثة أيام - ليتلقى جوابه وهذا الموعد انذار نهائى معناه ان ينزل طلعت على الحكم ، أو أن تقف الحكومة من البنك موقف الخصم .

ما عسى تكون الحواطر ، التي مرت بنفس طلعت خلال الأيام الثلاثة التي ينتهى فى آخرها هذا الانذار النهائى وكيف قضى الرجل هذه الأيام الثلاثة وهو يفكر فى النزول عن عرش مصرفه بعد أن أقام قواعده وبعد أن قضى فيه وفى شركاته عشرين عاما كان أثناءها مقصد العشرات والمئات والألوف من المصريين شبابا وشيبا ، رجالا ونساء ، أغنياء ، وفقراء ، وكان أثناءها صاحب الكلمة المسموعة ، والرأى النافذ .

لقد ذهبت اليه قبل ذلك بأسابيع اجابة لرجاء من أحمد ماهر باشا وزير المالية أحدثه فى وسيلة يقترحها لدعم البنك فكبر عليه ان يسمع ان البنك فى حاجة الى دعم وأخبرنى أن كل شئ يسير على أقوم طريق ، أما وهو اليوم بازاء هذا الانذار من وزير المالية الجديد فلا مفر له من أن يتخذ قرارا اما بالتخلي عن ادارة البنك واما بالتعرض لوقوف الحكومة من البنك موقف الخصومة . وأثر الرجل ، أن يتخلى عن ادارة البنك ابقاء على تاريخه فبلغ وزير المالية رأيه ، قبل انقضاء الموعد ، المحدد ، واختارت الوزارة الدكتور حافظ عفيفى باشا مديرا للبنك مكانه وتخلي كذلك فؤاد بك سلطان ، عن مركزه ، بصفته عضوا منتدبا عن مجلس الادارة وحل محله عبد المقصود أحمد ، وقبل ان نتحدث عن طلعت حرب وعن الظروف التي أدت الى التخلص منه ، نحب ان نشير الى « استقبال » الصحافة لوزارة على ماهر ، بعد أن تحدثنا ، عن « توديع » الصحافة لوزارة محمد محمود وسوف نختار « عينات » قصيرة ، وموجزة ، لما نشرته الصحف المصرية ، عن وزارة ، على ماهر وعن على ماهر أيضا .

اشارت صحيفة الدستور الناطقة باسم الهيئة السعدية - ١٩٣٩/٨/٣٠ - الى أن الوزارة خلت من الأحرار الدستوريين كما أشارت الى « أسف » رئيس الوزراء ، لذلك ، وأسف الكثيرين وقالت أيضا : اذا تيسر للجميع بما يتضافرون عليه من الخدمة العامة ، والأعمال النافعة ان يتبادلوا الثقة والتأييد ففى ذلك تعويض حسن ، لما كان منتظرا من مشاركتهم الفعلية فى توجيه تلك الأعمال « ومضى كاتب مقال الدستور يقول : ان أعضاء الوزارة البرلمانيين من النواب والشيوخ قليلون : لكن الدستور المصرى ، وبعض الدساتير الأوروبية ، الراقية

لا توجب اختيار الوزراء جميعا من النواب والسيوخ ، الى أن يقول كاتب الخال : ولكننا لا نرى ما يمنع التوفيق بين المطلبين والجمع ، بين الكفاءة والنيابة في وقت واحد قياسا ، على ما حصل عندنا ، أكثر من مرة وقياسا ، على ما يحصل في البلدان الدستورية العريقة التي يتفق فيها أحيانا أن يتخلى بعض النواب عن دوائهم من يراد الانتفاع بهم في سلك الوزارة من ذوي الكفاءات أو ذوي المكانات وقد دلت الوزارة على عظيم رغبتها في احكام الصلة بينها وبين المجلس باشتغالها على عضوين بارزين أحدهما لمباشرة الشئون البرلمانية في مجلس الشيوخ ، والآخر لمباشرة هذه الشئون في مجلس النواب ، ويختتم كاتب الدستور مقاله بقوله : هذه العناصر ، الجديدة في الوزارة الماهرة هي العناصر التي عرفتها ميادين الوظائف وميادين البعثات السياسية فنحن نستقبلها بالرجاء وننتظر منها السداد في صياغة مصالح البلاد وفي مقدمتها أغلى وأنفس مصالح بنى الانسان الحرية والاستقلال .

أما جريدة المصرى فتقول تحت عنوان ، المحسوبيات العليا : وظائف تخلق للأشخاص لا رجال يخلقون للوظائف : يقول المصرى : ظهر ان جميع الوزراء الجدد - فيما عدا اثنين - هم موظفون عاديون من محافظ ، ومهندس ومدير مصلحة ، ومدرس ، أما باقى الوزراء فهم بلا شك من أضعف أعضاء الوزارة المستقبلية . وفتح المصريون عيونهم وحدثوا فلم يروا كفايات بل وقعت أبصارهم على مفاجآت تجعل الوزارة الجديدة جدرة بأن تكون أعجوبة بين الوزارات ، وأعجب ما في الوزارة أن صاحبها لم يجترأ تشكيلها من طائفة الموظفين الذين تعج الحكومة بالثبات من أمثالهم ولكنه خلق ثلاث وزارات جديدة لثلاثة وزراء جدد ، واستحدث لهم اختصاصات ما أنزل الله بها من سلطان .

ثم قالت جريدة المصرى : هذه أعاجيب لا نرى لها مثيلا في بلد غير مصر ، ولا في وزارة غير الوزارة الحاضرة ولا نعرف لها قياسا ، ولا سابقة : ونحن أمام تفسير واحد ، هو أن هذه الوزارات قد خلقت خلقا ، لأشخاص أريد التحايل على ادخالهم في الوزارة لتسيير أمر تشكيلها أو لارضاء الصداقة ولكن على حساب ميزانية مصر المسكينة التي عجزت عن الضرورات فأصبحنا نراها في عهد ماهر باشا ، تتسح لما تضيق عنه ميزانية بريطانيا العظمى .

وإذا لم تكن هذه هي المحسوبية ، العليا ، المضاعفة بكسر العين وفتح الفاء في وظائف الدولة الأساسية فما هي المحسوبية اذن ، وكيف تكون ؟

وقالت جريدة « البلاغ » معلقة على انشاء وزارة للشئون الاجتماعية ، وهي إحدى الوزارات الجديدة التي انتقدت (جريدة المصرى) على ماهر ، على استحداثها ضمن الوزارات :

« ان الأمر في الشئون الاجتماعية كان مفرقا مبعثرا ، بين وزارات ومصالح شتى وان هذه الشئون لم تكن تعد من المهام الأساسية لوزارة من الوزارات

فالتعاون ليس مهمة أساسية لوزارة الزراعة ، وشئون العمال ورفع مستواهم واستحداث أسباب الترفيه لهم في أوقات الفراغ لم تكن عملا رئيسيا لوزارة التجارة والأشاد والدعاية والتثقيف والمحاضرات ، وما الى ذلك عمل ثانوي للوزارة التي كانت تعنى به ، وهكذا ، ومن أجل ذلك لم يكن مستغربا ألا تشعر وزارة معينة ان عليها واجبا يتحتم أدائه على وجه السرعة وينبغي تقديمه على كل ما عداه مما تقوم به من أعمالها الرئيسية ، ثم ان هذه البعثة للمصالح والشئون ، على وزارات كثيرة لم يكن من شأنها أن تسهل التعاون على خدمة الأغراض الاجتماعية وتنسيق الجهود في سبيلها .

ومضت « البلاغ » تقول عن الوزارة انها « أوجدت من أول لحظة لتقليدها الحكم ، شعورا بين موظفي الدولة بأن العمل مطلوب منهم بأقصى قوتهم ، وشعورا خارج دوائر الحكومة ببشائر نشاط سيكون له أثره الحميد في حركة العمل والإنتاج ، وفي روح الأمة على العموم » .

وكانت مجلة الاثنين قد اتجهت الى ما اتجهت اليه جريدة المصري من انتقاد انشاء وزارات جديدة وتعيين وزراء جدد ، وكان من بين ما قالت في هذا الخصوص : للمرة الثانية اتجهت النية الى زيادة عدد الوزراء في مصر بانشاء وزارات جديدة وتعيين أشخاص وزراء دولة ، وهذه بدعة نعيذ مصر ، من ضرورها وويلاتها فالزيادة في مناصب الوزراء ، لا توجبها حاجة العمل ولكن اندى يوجبها ارضاء الأشخاص الحزبيين على حساب أموال الدولة وليس يجهل أحد ما ينعم به الوزير في مصر ، من مميزات وخصائص ، فهو يقبض مرتبا ضخما ويمنح سيارة فخمة وتكون أكثر مرافق الدولة في خدمته ولا يكاد يوجد شعب ناهض يرضى أن يثقل كواهل دافعي الضرائب لينعم بعض الأشخاص بالمناصب العالية .

ان الواجب اليوم يفرض النقص في عدد الوزراء لا زيادتهم فثمة وزارات يمكن أن يشرف عن اثنتين منها وزير واحد ، وفي أكثر العهود الماضية كانت تظل احدى الوزارات من غير وزير ، يقوم على شئونها وزير منتدب ومع ذلك فما رأينا عجزا في ادارة شئونها .

وعرضت جريدة « المقطم » في افتتاحيتها لما أذاعته جريدة « الديلى هيرالد » من أن « على ماهر باشا قد يحكم مصر بدون برلمان » فنفتها وقالت :

« ولا ندرى لماذا يعزى الى على ماهر باشا احتمال الانفراد بالحكم بغير برلمان وقد كان من أبرز أعضاء اللجنة التي عنيت بوضع الدستور وتولى اعادة النظام البرلماني أثناء وزارته الاولى ومهد السبيل للانتخابات وابتكر أسلوبا

لانتخاب مجلس الشيوخ بسرعة حرصا على مقتضى الدستور في أمر الوصاية على العرش . وبين أعضاء وزارته الحاضرة وزراء شديدي الايمان بالعمل البرلماني ونظام الحكم النيابي .

ولكن لماذا نعتب على جريدة انجليزية اذا اشارت الى احتمال وقوع هذا الأمر ونحن ما برح بعض صحفنا يردد أنباء العزم على حل هذا المجلس أو ذاك من البرلمان أو حل البرلمان كله مع ما في هذا التردد من خطر حقيقي بما يقلل من هيبة البرلمان وتأثيره ويخلق حوله جوا غير صالح ، .
وانتهت من هذا الى قولها :

« لهذه الاعتبارات وسواها لا يمكن أن يخطر ببالنا أن سياسيا عبقريا كصاحب المقام الرفيع على ماهر باشا يخطر له أن يحكم بدون برلمان وخصوصا في هذا الأوان ولا سيما بعد ما أعربت مصر عن مشيقتها من هذه الناحية غير مرة اعرابا صريحا لا يشوبه غموض ولا ابهام » .

وقالت جريدة « البورص » في مقال بهذا العنوان :

وعندما عرف الناس أن على ماهر باشا قد دعي الى تولي الحكم جاش الأمل في جميع القلوب ، فان الجميع يعترفون لرئيس الحكومة الجديد بصفات بارزة . نعم انه ليس بالرجل الساحر الذي يستطيع أن يسوى جميع المشكلات بعصاه السحرية : فلن يستطيع على ماهر باشا أن يرفع أسعار القطن الخاضعة لتقلبات الأسواق العالمية ولن يستطيع تخفيض النفقات العسكرية أو تخفيض الضرائب عن الممولين ما دامت الازمة الدولية تهدد العالم . فيجب عدم التماهي في الأمل والتفاؤل لئلا يعقب ذلك شيء من خيبة الأمل .

ان الفلاح لم يسمع ولم ير حتى الآن الا وعودا . فان جميع خطب العرش علته بأجل الوعود ولكنها كانت تذهب هباء مع الريح . أما اليوم فيخيل الى انه قد صحت العزيمة على تحقيق شيء من آماله . فان الوزارة منذ أول اجتماع عقدته قد اهتمت بشئون الفلاح وأخيه الزارع ، .

وتابعت الجريدة المشار اليها كلامها فقالت :

ان الكتاب المرفوع من رئيس الحكومة الى جلالة الملك يسطر برنامجا تدريجيا ولكنه كثير النفقات ، وليس من شك ان في الوقت الحاضر ، وحالة العالم الاقتصادية على ما هي عليه قد بلغت الضرائب المباشرة وغير المباشرة التي يدفعها الممول المصري مستوى لا سبيل الى تجاوزه بلا خطر ، لذلك قوبل تصريح الرئيس بعزمه على الاقتصاد في النفقات بكثير من الارتياح ، .



● وانتقل بعد هذا العرض السريع ، لاستقبال وزارة على ماهر ، الى الحديث عن طلعت حرب الذي عاملته وزارة على ماهر أسوأ معاملة يمكن أن

يعامل بها مواطن عظيم لعب أخطر الأدوار في تاريخ مصر ، السياسي والاقتصادي . والغريب ان الجانب الاقتصادي في شخصية طلعت حرب قد طغى على بقية الجوانب الأخرى في شخصيته وهي جوانب هامة وخطيرة وقد لا يعرف الا القليلون جدا أن كتابا لطلعت حرب عن المرأة ، أحدث دويا هائلا وكان اسمه « تربية المرأة والحجاب » وقد طبع في عام ١٨٩٩ م - ١٣١٧ هـ وكان في ١٤٠ صفحة من القطع الكبير . وقد صدر طلعت حرب غلافه بكلمات خالدة من بينها قول الرسول عليه الصلاة والسلام « ان لكل دين خلفا ، وخلق هذا الدين «الحياء» . وقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه « أكف أبصارهن بالحجاب فشدة الحجاب خير لهن من الارتياح » وقول فاطمة رضى الله عنها « أصلح شيء للمرأة ألا ترى رجلا ، ولا يراها رجل » وقول الحسن بن علي رضى الله عنه « لا تدعوا نساءكم يزاحمن العلوج في الأسواق ، قبح الله تعالى من لا يغار » .

وقد جاء في مقدمة ذلك الكتاب الفريد في نوعه : كثر في هذه الأيام البحث والكتابة في حالة المرأة ، وما يجب عليها ولها وفي طرق تعليمها ، والفضل في فتح باب هذا البحث لكتاب تحرير المرأة الذي وضعه حضرة الفاضل قاسم بك أمين الذي يقول فيه : ان المرأة مساوية للرجل ، من جميع الوجوه وان الرجل ظالم لها في حقوقها ، ويحث فيه على تربية المرأة ، وتعليمها كما يتعلم الرجل سواء بسواء ويقول بلزوم رفع الحجاب ، ووجوب الاختلاط لأن حجاب المرأة ، وعدم اختلاطها مما يقيد حريتها التي منحها الله إياها ويمنع من قيامها بالعمل المكلفة به في الهيئة الاجتماعية الى آخر ما يدعو اليه ، ولم يكن يظهر هذا الكتاب في عالم الوجود حتى أشيع في بعض الجرائد ، انه تألفت لجنة في مصر ، تحت رعاية عظيم بها لتحرير المرأة الشرقية على الطريقة التي أشار اليها حضرة المؤلف في كتابه وأخذ الناس من ذلك الوقت يبحثون في موضوع الكتاب وما احتوى عليه من أفكار ، وأمان ، ولقد انقسموا حزبين : حزب يرى رأى المؤلف وهم قلائل يعدون على الأصابع والحزب الآخر وهو الأعظم عدداً أجمع على استهجان ما ورد بالكتاب ، ويقول انه يدعو الى بدعة في الدين لا في العوائد فقط ، وكلا الحزبين سلم ولله الحمد بأن الدين لا يمنع مطلقاً من تعليم المرأة وتربيتها وتهذيبها بل هو يحض على ذلك ويأمر به ولكنهما يختلفان فيما ينبغي أن تتعلمه المرأة وفي طريقة التعليم والتهذيب .

ولما رأينا - هكذا يقول طلعت حرب - هذا الجدل والكفاح بين فريقين يعزز كل منهما قوله بالشرع ، ويقول ان الحق والدين في جانبه ، ورأينا انه لم يكن يخلو مجتمع من الكلام في هذا الموضوع تأقت نفسنا الى البحث ، والتنقيب والدخول فيه ، ونحن نعرض على القراء نتيجة بحثنا فان أخطأنا فلنا من حسن النية ما نرجو معه غفران سيئات خطئنا وان أصبنا المرمى كما نظن فلسنا نسال على عملنا أجراً فنقول : « أول شيء طرأ ، على ذهننا حين قرأنا الكتاب ورأينا الناس أخذت « تسلق » حضرة المؤلف بالسنة حداد ، ويحملون عليه وعلى كتابه

حملات لم نتعودها على مؤلف غيره من قبل ، انه لا بد من الأمر من شيء مهم حمل الناس على ذلك اذ لا يمكن أن يجتمع كل الناس على ضلالة ولا يخفى ان السنة الخلق ، اقليم الحق ، فاحذنا نساء ، وبتساءل ونبحت ، وبتناظر ، حتى علمنا ان معظم هياج الرأي العام على حضرة المؤلف ناتج مما هو راسخ في اذهانهم من أن رفع الحجاب ، والاختلاط كلاهما أمنية تتمناها أوروبا من قديم الزمان لغاية في النفس يدركها كل من وقف على مقاصد أوروبا بالعالم الاسلامي ، ويقولون ان لأوروبا مطامع قديمة ومآرب في النفس يظهرها زيادة التقرب بين العالمين الشرقي والغربي ، حتى أن بعض امراء المسلمين اتخذ هذه المقاصد ذريعة يتقرب بها الى بعض دول أوروبا في نيل مآربه ، ومن ذلك ان اسماعيل باشا خديو مصر الأسبق لما كانت نفسه تميل الى الاستقلال وتكوين مملكة مستقلة بأفريقية يحكمها هو ومن يأتي بعده من أولاده . كان عاملا على جذب دول أوروبا اليه لتساعده على تحقيق أمنيته في مقابلة تحقيق أمنيتهم بأن يدخل العادات الأوروبية بين امته مما كان يظنه سهل المنال حتى أنه كثيرا ما كان يتظاهر ويقول ان مصر قطعة من أوروبا وان أخلاق المصريين وعوائدهم التي ورثوها ستصبح بمساعده بعد قليل مماثلة لعوائد أوروبا وأخلاقها ليكون له من ذلك وسيلة يتقرب بها اليهم .

ويقول محمد طلعت حرب : اني أجل حضرة الفاضل قاسم أمين من أن يكون له غاية من وضع كتابه خلاف حب الخير والارتقاء ، لأمته كما هو ظاهر ، من كلامه عن تربية المرأة فانه وصف حالتها اليوم أحسن وصف ، وقال بوجود تربيتها تربية تهذب أخلاقها ، وتقوم نفسها ، فلحضرتة مزيد الشكر على ذلك وسيرانا في هذا الكتاب داعين الى مثل دعوته رافعين صوتنا مع صوته لعل دعواتنا تخرق تلك الأذن الصماء فيهم القوم بأمر هذه التربية وننال ضالعتنا التي ننشدها وهي تحسين حالنا ، وما على الله بعزيز ، واننا مع موافقتنا لحضرتة على هذا المبدأ نخالفه في غيره فنستسمحه العفو ، عما يجده خلال بحثنا من المخالفة والمباينة في الرأي والفكر فحضرتة حر ، ولا نخاله الا أن يحب كل حر الفكر .

ويقول طلعت حرب : ولكي يطابق الاسم مسماه سميننا الكتاب « تربية المرأة ، والحجاب » وهو اسم كنا نتمنى أن يجعله حضرة قاسم به أمين عنوانا لكتابه فانه أولى وأليق به من اسم « تحرير المرأة » ، حيث ان المرأة المسلمة بشهادة حضرتة قد خولت لها الشريعة السمحاء منذ نحو ثلاثة عشر قرنا ، حقوقا وامتيازات لم تحصل زميلاتها الفرنجيات على جزء يسير منها الا من عهد غير بعيد ، وهي الآن قد زادت حريتها على الحد الشرعي .

ويورد طلعت حرب في مقدمة كتابه العبارة المقررة « اذا هفا اليراع هفوة ، فالغرض مما نقدمه الجوهر لا العرض وجل غرضنا المشاركة في البحث توصلا للحقيقة التي هي ضالتنا جميعا فما تزاومت الظنون على شيء الا وانكشف » .

وفي الفصل الثالث من الكتاب الذي خصصه طلعت حرب ، للحجاب يشير المؤلف الى قول الرسول صلوات الله عليه : الحياء حسن ولكنه من النساء أحسن » والى قوله صلى الله عليه وسلم : ان الله اذا أراد ان يهلك عبدا نزع منه الحياء » والى قوله صلى الله عليه وسلم : « ان لكل دين خلقا ، وخلق هذا الدين الحياء » وتحت عنوان الحجاب أعظم قائد للعبة يشير الى ما قاله أحمد زكي بك سكرتير نائي مجلس النظائر في كتابه « السفر الى المؤتمر » ان المرأة بعد كل تهذيب أراها ضعيفة ميالة أكثر من الرجل لداعي الشهوات والتفاني في الملاذ ، فالواجب ان تكون لهن الحرية كالملاح في الطعام فان التعليم ليس بقادر أن ينزع منهن هذه الأميال وان نزع منهن الحرافات التي يبتثنها في عقول الاطفال ، كما يقول طلعت حرب . لذلك حافظ المسلمون ، على الحجاب . وحذروا من نزعها فكان الصحابة رضی الله عنهم يسدون المنافذ والثقوب ، التي في الجدران لئلا يطلع منها النساء على الرجال أو الرجال على النساء وقد رأى معاذ امرأته تتطلع في الكوة فضر بها وكان على كرم الله وجهه يقول : « أكف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب ، خيرا من الارتياب » ، ويشير طلعت حرب - في هذا الباب الى قول عاتكة امرأة الزبير ، لما قعدت عن الخروج وسألها زوجها ألا تخرجين يا عاتكة . . لقد قالت : كنا نخرج اذ الناس ناس ، وما بهم من بأس وأما الآن فلا .

ثم ينهي طلعت حرب هذا الفصل بقوله : فهل بعد هذا دليل وإثبات على ان الحجاب دافع ، أو هاما ، وإرتيايا وشكوكا ، وحسن حصين للعبة والصيانة ؟

ويناقش طلعت حرب رأى قاسم أمين في الحجاب وكونه لم يجد نصا في الشريعة يوجب الحجاب ، على هذه الطريقة المعهودة ، وانما هي عادة عرضت عليهم من مخالطة بعض الأمم فاستحسنوها وأخذوا بها وبالفوا فيها وألبسوها لباس الدين كسائر العادات الضارة ، التي تمكنت في الناس باسم الدين والدين براء منها ولذلك لا نرى مانعا من البحث فيها بل نرى من الواجب أن نلم بها ، ونبين حكم الشريعة في شأنها وحاجة الناس الى تغييرها .

ويقول طلعت حرب تعقيبا على تلك الفقرة من فقرات كتاب تحرير المرأة ، لقاسم أمين : نحن لا نلام اذا كنا نخالفه في هذا الفكر ، وقلنا ان في الشريعة نصوصا ، تقضي بالحجاب الشرعي ، ونعني به ستر البدن ، بأكمله وملازمة المرأة ، خدرها ، الا لضرورة ، أما الحجاب الحالي فلا شك انه بدعة لم يأمر بها دين ، ولم يقل بها شرع ، ويشير طلعت حرب الى قول الله تعالى وهو أصدق القائلين : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون » ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن ، أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخواتهن أو بنى اخواتهن ، أو بنى اخواتهن ، أو نساتهن أو ماملكت ايمانهن

أو التابعين غير أولى الأربّة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن « صدق الله العظيم » .

ويناقش طلعت حرب ما نقله قاسم أمين عن كتاب الروض في المذهب الشافعي : نظر الوجه والكفين عند أمن الفتنة من الرجل للمرأة ، وعكسه جائز . ويقول طلعت حرب ان هذا القول مرجوح ، ويخطئ قاسم أمين بأنه أخذ القول المرجوح من مذهب الشافعي وترك القول الراجح الذي عليه القول عندهم .

ويأخذ طلعت حرب على قاسم أمين قوله ان البرقع والنقاب كانا غير معروفين في الاسلام وهذا قول يدفعه - هكذا يقول طلعت حرب - ما جاء في نفس كتاب تحرير المرأة من أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى المحرمة عن لبس القفازين والنقاب ، وهل لذلك معنى سوى أن النقاب كان موجودا ومعروفا وان كان معمولاً به وواجبا ، وكان النساء يستعملنه حتى في وقت الاحرام فنهاهن النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك في هذه الحالة فقط .

ويقول طلعت حرب ان الحجاب الحالى - ١٨٩٩ - غير شرعى وان النساء لسن الآن محتججات بل هن في الحقيقة متبرجات مفسدات وان النقاب الشرعى يشترط فيه الا تبدو منه الا العين الواحدة أو العينان . ويقول ان الاصل في المرأة احتجابها وعدم ابتذالها فاللازم الرجوع الى الشرع اذا أمكن وعند عدم الوصول الى ذلك يلزم على الأقل عدم المغالطة والتمحك في الشرع والدين لاعلاء فكر يخالفهما أو اظهار رأى يناقض ما أمر به الله ..

ويقول طلعت حرب في ختام مؤلفه : بعد أن تهيأ الكتاب للطبع وطبع معظمه ، قرأت في المؤيد الأغر « ١٢ نوفمبر ١٨٩٩ » مقالة رائعة المعنى شائقة المبنى لحضرة صاحب الحجج الدامغة والفصاحة البالغة فريد أفندى وجدى ، ألهمت بجميع أطراف هذا الموضوع بعبارة سلسلة معقولة فاتماما للفائدة ، وحفظنا لهذه الدرر والغرر قد رأيت أن أختتم بها كتابى ليكون ختامه مسكا ، ان شاء الله تعالى ومما جاء في مقالة الأستاذ فريد وجدى ان المرأة أشد عبودية في البلاد العربية منها في البلاد الشرقية لأن حريتها ليست في رفع الحجاب والاذن لها بالخوض في معترك الحياة وهو ذلك المعترف الذى لا ينال الفوز فيه الا باقتحام المخاطر : معترك يأكل القوى فيه الضعيف وليست القوة والضعف فيه تتعلق بصلاصة العضل أو بليته فقط بل بأمور أخرى أيضا مركزها العقل وحسن التصرف بقوى الفكر ولو قارنت بين الرجل والمرأة في هاتين الحيتين لحكمت لأول وهلة أن الغالب ان يكون على أية حال الا الرجل دون سواه .. » .

والجدير بالذكر أن خاتمة كتاب « تحرير المرأة » لقاسم أمين كانت على النحو التالى : أحسن طريقة أراها لتنفيذ ما عرضناه في هذا الكتاب هي

أن نؤسس جمعية يدخل من الأدباء من يريد تربية بناته على الطريقة التي شرحناها وأن يختار لتلك الجمعية رئيس من كبار المصريين « ولا أظن أن الطبقات العليا من أهل بلادنا تخلو من واحد منهم » وأن يكون عمل هذه الجمعية في أمرين : الأول يتعاون على تربية البنات على هذه القاعدة الجديدة ، والثاني السعى لدى الحكومة في إصدار القوانين التي تضمن للمرأة حقوقها بشرط ألا تخرج في ذلك عن الحدود الشرعية . ولكن بدون أن تنقيد بذهب من المذاهب بل تأخذ عن كل منها ما هو موافق لحاجتنا الحاضرة وضرورات عصرنا . كما حصل مثل هذا في وضع المحكمة العثمانية وكما حصل عندنا مرارا في بعض المسائل المتعلقة بالمحاكم الشرعية فإذا تشكلت هذه الجمعية يخف اللوم ، على كل واحد من أعضائها فإن قوة الانتقاد تأتي ، متوزعة على جملة من الأفراد فيسهل احتمالها ، ومقاومتها فلا يكون في شدة الانتقاد ما يبعث على فتور الهمة ، وضعف الإرادة ، عن العمل لأن في قوة الجماعة من الاقتدار على الدفع ليس في قوة الفرد الواحد ، والاجتماع هو القوة الحقيقية التي بدونها لا ينجح شيء .

نرى حكومتنا - هكذا يقول قاسم أمين - تهتم بمسألة صغيرة ، كمسألة الشفعة فتعين لها لجنة شرعية لتبحث في المذاهب وتجمع ما تراه مناسبا من الأحكام ، ونرى كثيرا من المصريين يدخلون في كثير من الجمعيات مثل جمعية الرفق بالحيوان ومعارض الأزهار ، وغيرها ، ولا يضمنون بوقتهم ، ولا بمالهم ، في تعضيد مشروع من المشروعات يعتقدون صلاحيته ونرى الجرائد تنشر بين طبقات الأمة ، من المعارف ما يساعد على تربيتها ، وتهذيبها وقد آن الوقت ، الذي يجب فيه على الحكومة وعقلاء الأمة وأرباب الأقلام ، أن يوجهوا التفاتهم الى حال المرأة المصرية فاني لا أرى مسألة تمس حياة الأمة أكثر منها ، ولا أحق منها أن تكون موضوعا لنظرهم ، ومجالا لآرائهم ، وأفكارهم .

وظلعت حرب - للعلم - من مواليد ٢٥ نوفمبر ١٨٦٧ ، أبوه من عائلة حرب بناحية ميت أبو علي « الزقازيق » عاش في القاهرة ويقال أنه ولد في قصر الشوق ، بجهة الجمالية ، كان والده حسن محمد حرب موظفا بمصلحة السكة الحديد : نال طلعت حرب شهادة مدرسة الإدارة والألسن ، التحق مترجما بقلم قضايا الدائرة السنية خلفا للزعيم محمد فريد ، الذي تولى حينذاك رئاسة هذا القلم . تدرج في هذا المنصب الى أن أصبح مديرا ، لأقسام القضايا ، ثم عمل مديرا لشركة كوم امبو و . . وفي شركة كوم امبو ، أحيلت عليه في الوقت ذاته إدارة الشركة العقارية المصرية حيث تدرب على الأعمال المالية على يد خبراء ماهرين واستمر في عمله في هذه الشركة حتى مصرها وأصبحت عالمية رأس مالها في أيدي المصريين ، و . . و .

استفاد من ثورة ١٩١٩ فدعا الى انشاء بنك مصر وتحقق له امله القديم هذا فى ٧ مايو ١٩٢٠ الذى هو عيد ميلاد بنك مصر وابتعد بالبنك عن السياسة والحزبية ونجح نجاحا رائعا فى انشاء مطبعة ومكتبة مصر ، و ٠٠ و ٠ وانتقل بنشاطه الى البلدان العربية ، فأنشأ « بنك مصر وسورية ، لبنان ، و ٠٠ و ٠٠ واتجه الى تعضيد المسرح العربى فشيّد دار التمثيل العربى بحديقة الأزبكية .

وقد توفى طلعت حرب فى ٢١ أغسطس ١٩٤١ أى بعد حوالى عام من اقالته من بنك مصر .

وحول اقالة طلعب حرب من بنك مصر ، يقول : د- عبد الرازق حسن : كان المجتمع المصرى ، قبل الحرب العالمية الثانية يموّج بالحركة ، وتؤذّن الظروف باحتمال تغيير كبير لمواجهة المطالب المتزايدة للسكان الذين كان يتضخم عددهم سنة بعد أخرى ولا تكفى المشروعات العامة لمواجهةها : كانت هناك مطالب عامة ملحة ككهربة خزان أسوان وانشاء صناعة للحديد والصلب واشتد النداء بضرورة تأمين قناة السويس ، وتحويل بنك مصر الى بنك الدولة واعتباره هو البنك المركزى حتى لا تتكرر مهزلة الأرصدة الاسترلينية فى الحرب العالمية الاولى لو ترك الحبل على الغارب للبنك الأهلى المصرى الذى كانت بريطانيا تسيطر على ادارته فى ذلك الوقت : كان من الواضح أن الرأسمالية الوطنية فى تناقض مع الرأسمالية الاحتكارية الأجنبية وكان من الواضح أن التزاوج الذى تم فى الثلاثينات لا يمكن أن يستمر فى أبعد من الحدود المرسومة له ، وكانت القوى الاستعمارية تخشى عند قيام الحرب العالمية الثانية أن تلعب الرأسمالية الوطنية المصرية دورا يضر بمصالحها ، كان من السهل القضاء على مشروع كهربة أسوان ، والمشروعات الملحة ، بأحدث مشكلة سياسية نذكر كيف أدت الى تفكك أكبر حزب كان قائما فى ذلك الوقت وهو الوفد وقدمت بعض التنازلات بالنسبة لشركة قناة السويس ولم يكن هناك مفر لضرب بنك مصر ، لضمان سير الرأسمالية فى ركاب الاستعمار ، وكانت المؤامرة ، فبعد قيام الحرب سحبت الحكومة المصرية قدرا كبيرا من أرصدها فى البنك ، وقروضها من صندوق توفير البريد ، وكان معنى ذلك نقص الأرصدة السائلة ، ووجد البنك أن الظروف العامة واضطراب السوق ، تحول دون عرض محفظة أوراقه المالية البالغ قيمتها ، أربعة ملايين من الجنيهات للبيع فى البورصة لأن ذلك يعنى انهيار السوق ، وإثارة المتاعب للشركات التى يشترك البنك فى رأسمالها فأخذ الاتجاه الطبيعى ، وهو البنك الأهلى ، المصرى ، وقدم له هذه المحفظة طالبا الاقتراض عليها ، وكانت المحفظة تضم فى جزئها الأكبر سندات على الخزنة ، وسندات للدين العام ولكن يبدو أن طلعت حرب قد نسى الحطة التى قدمها فى خطاب له فى مايو ١٩٢٠ حينما ذكر ، أن لكل بلد فى العالم

سياسة مالية ، يجب أن يسير عليها واستقلالاً اقتصادياً يجب أن يعمل على الحصول عليه ، والاستمرار فيه والمهيم على هذه السياسة وهذا الاستقلال الاقتصادي في كل بلد من بلاد العالم ، هو بنكها الوطني الذي يحصل على امتياز إصدار البنكنوت ويكون فوق كل البنوك ، يشرف عليها ولا يزاحمها ، واستطرد في كلامه عن مهام البنك المركزي ازاء البنوك وختم كلامه بأن هذه هي وظيفة البنك الأهلي في مصر ، الذي كان يجب أن يكون أهلياً بكل معاني الكلمة وهو يعمل مزاحماً للبنوك الأخرى . . أي أن طلعت حرب كما يقول د . عبد الرازق حسن - كان يدرك أن البنك الأهلي هو غريمه ، وأنه لم يكن يقوم بدور البنك المركزي ، أو يعمل بسياسة استقلالية وكانت النتيجة المباشرة والمنطقية لهذا كله رفض البنك الأهلي لطلب بنك مصر ، وكان لا مفر لإدارة البنك الأخير « بنك مصر » أن تخضع لتحول دون انهياره فقبلت خروج طلعت حرب ومجموعته مقابل ضمان الحكومة لودائع البنك .

وكما لو كان هناك استيلاء على المشروع الاقتصادي الوطني ودخل البنك مراقبو حسابات أجنبية هم : هيوات ، وبريدسون ، وثيوبى ، واحتل مقاعد إدارة البنك وشركاته مجموعة ممن عرفوا بأدوارهم في ضرب الحياة الدستورية أو بأعمالهم المشبوهة مع الأجانب كاسماعيل صدقي ، وعبود ، والياس أندراوس ، وعلى يحيى ، والأبراشي ، وهناك أكثر من رأى يقول أنه كان وراء اقالة طلعت حرب من بنك مصر ، أحمد عبود فلقد كان لبنك مصر شركة ملاحه ، وكان لعبود - ولو في الظاهر - شركة ملاحه أخرى هي تلك التي عرفت بالحدوية وكان طلعت حرب ضد اعانة الشركة الحدوية - الأمر الذي أدى الى عدم تدعيم مركز الشركة الانجليزية : الانجليزية فعلا التي تحمل اسم عبود « اسما » ، واعتبر أحمد عبود طلعت حرب هو المسئول عن حجب تلك الاعانة عن شركته ، وجاءت وزارة على ماهر ، وكان لعبود أصدقاء كثيرون في وزارة على ماهر ، وحانت الفرصة لينتقم أحمد عبود من طلعت حرب ، وكان أن نحي طلعت حرب من مكانه في بنك مصر وشركاته ، وانتصر أحمد عبود .

ولم يكن انتصار أحمد عبود انتصاراً شخصياً بل كان انتصاراً للاستعمار الاقتصادي الأجنبي . . في مصر !

ويقول د . فؤاد مرسى ، ان طلعت حرب بذل محاولات كثيرة لانقاذ بنك مصر ، الا أن التعصب لدى البنك الأهلي وإدارته ضد بنك مصر دفعه الى رفض انقاذ بنك مصر . وهكذا وضحت مخالفة البنك الأهلي لأبسط قواعد ومبادئ العرف المصرفي . وقت الأزمات مع بنك مصر . وأكد أن البنك الأهلي كان يتصرف في ضوء مصلحته التجارية ومركز لرؤوس الأموال الأجنبية في مصر .

وكان سير ادوارد لوك ، محافظاً للبنك الأهلي وظل يشغل هذا المنصب من أول مارس ١٩٣١ حتى ٢٧ أكتوبر ١٩٤٠ .

ويقول د. محمود متولى : يتضح من الشروط التى وضعتها الحكومة آنذاك وادعت أنها فى صالح البنك وبفرض تدعيمه أن الهدف الأساسى كان طلعت حرب نفسه ، الذى كان رمزا للوطنية الاقتصادية ، وتعتبر ثورته الرأسمالية الاقتصادية ثورة فعلية من أجل التقدم ، وكانت مبادئه تتعارض بشدة مع مبادئ الاستغلال والسيطرة ، التى كانت فئة من المستغلين والمنتفعين والمتصرين تسعى اليها وتمارسها على الشعب المصرى ، كما كانت القوى الاستعمارية تشعر بالأرض الوائقة من نفسها التى يقف عليها بنك مصر ، والخطوات التى يخطوها من أجل تصنيع البلاد وما يعنيه ذلك مستقبلا بالنسبة لها .

وقد قدم طلعت حرب استقالته أو بمعنى آخر أصر على تقديمها . ظنا منه أن ذلك كفيل بانقاذ البنك بعد أن فطن أنه هو المقصود الأول وكان ذلك فى ١٤ سبتمبر ١٩٣٩ .

وتذكرنى عملية « ذبح » طلعت حرب - وعذرا لاستخدام هذه الكلمة - بعملية « ذبح » أخرى ، كان ضحيتها رجل الآثار المصرية العظيم د. سليم حسن ، وإن كانت عملية « الذبح » الأخيرة قد اتخذت صورة الاحالة الى المعاش ، وسليم حسن - الضحية الثانية بعد طلعت حرب - من مواليد ١٨٨٦ ، فى قرية ميت ناجى مركز ميت غمر ، ومن خريجي مدرسة المعلمين العليا ، وفى ثورة ١٩١٩ حدد الانجليز اقامته ، لنشاطه الوطنى ، وبعد ثورة ١٩١٩ دخل ميدان الحفريات الذى كان مقصورا على الأجانب ، وقد تعلم - فيما بعد - العديد من اللغات القديمة وحصل على دبلوم الديانات القديمة من السوربون ، ثم عمل بعد عودته من السوربون محاضرا فى كلية الآداب وكان من أشهر كشافه مقبرة رع ، وهرم الملكة « خت كاوس » وفى السنوات الأخيرة كلف من قبل قادة ثورة ٢٣ يولية بدراسة آثار النوبة ، فكتب عنها بحثا من أهم البحوث ، وقد توفى فى ٢٩ سبتمبر ١٩٦١ عن أربعين كتابا من خيرة الكتب ، وربما كان سليم حسن من القلائل الذين احيلوا الى المعاش ولما يبلغ الثانية والأربعين من عمره ، كما أنه من القلائل ، الذين أحدثت احواله الى المعاش ضجة عنيفة لا بين موظفى دار الآثار المصرية ، وإنما بين عامة الشعب ، وهو أيضا من العلماء القلائل الذين خاضوا - ومبكرا - المعارك العنيفة ، مع الأجانب الكبار الذين كانوا يسيطرون على دنيا الآثار المصرية ، وفى مقدمتهم الأب دريتون الذى كان يتمتع بحظوة كبيرة ، عند الملك فاروق ورجال قصره .

ومما أذكره عن سليم حسن أنه كان يدعو باستمرار الى أن يكون التاريخ المصرى ، تاريخ شعب لا تاريخ حكام ، فتاريخ الشعب هو الذى يمكن أن يعتد به الشعب .

وقد تأثر سليم حسن - كما قال أكثر من مرة - بشخصية « بتاح حنب » صاحب الحكم المشهور ، وكان سليم حسن يعتز كثيرا باكتشافه مقبرة الملكة « خت كاوس » والمعروف بالهرم الرابع ، وقد استطاع هذا الكشف أن يربط بين الأسرتين الرابعة والخامسة بعد أن كانت خت كاس - أول مصرية حملت لقب ملكة - هي الحلقة المفقودة بينهما مع أن أولادها هم ملوك الأسرة الخامسة ، ولم تكن خت كاوس أول ملكة حكمت مصر ، بل كانت أول ملكة ظهرت في تاريخ العالم كله .

ويقول سليم حسن ان الاسم الحقيقي لأبى الهول « بول جول » أى مكان عبادة الشمس ومقبرة رع وير التى اكتشفها سليم حسن بجوار أبى الهول من مقابر الدولة القديمة . وقد كتب سليم حسن عن كشفه الأثرية اثني عشر مجلدا .

وعندما أجلس سليم حسن ذات مرة على كرسي الاعتراف أجاب أن أقصى درجات الشقاء بالنسبة للانسان : أن يسجن العالم مع الجهال ، وعن أشد كارثة يمكن أن تنزل به قال : أن أعيش فى وسط لا يفهمنى ، ولا أفهمه .

ومن أحب بطلات التاريخ اليه قال : حتشبستوت ، وعن المهنة التى يفضلها قال : التأليف ، وعن الصفة التى يفضلها فى الرجل قال : أن يكون رجلا ، وعن المرأة : أن تكون أنثى .

وعن أحقر أشخاص التاريخ فى نظره قال : الذين يخادعون بلادهم حبا فى نيل الجاه ، وعن أبغض الأشياء اليه أجاب : نكران الجميل !

وعن المكان الذى يحب أن يعيش فيه قال : فى بيتى الذى يحوى مكتبتي ، ويطل على الأهرام ، حيث أفنيت زهرة حياتى فى انجاز أحب عمل الى .

الباب الثامن

الفصل الأول

وبدأت الحرب بين الانجليز وبين على ماهر لأسباب شخصية

● سبق أن تحدثنا عن أول القرارات التي أصدرها مجلس الوزراء برئاسة على ماهر باشا - أغسطس ١٩٣٩ - والخاص بحالة سليم بك حسن وكيل مصلحة الآثار المصرية ، الى المعاش بعد أن تقررت إحالته الى محكمة الجنايات يوحى من القصر ، كما تحدثنا عن ذلك الجرم الخطير الذي ارتكبه وزارة على ماهر باشا بإصرارها ، على استقالة طلعت حرب باشا رجل الاقتصاد الأول في مصر ، من رئاسة بنك مصر ، وشركاته ، رغم أنه هو صانعها كلها بل هو بنك مصر وشركاته . وقد حاولت أن أثبت من الصحف الأسباب التي أدت الى اقالة طلعت حرب من بنك مصر أو الأسباب التي أدت الى إحالة سليم بك حسن ، الى المعاش ، فلم أستطع إذ كانت الرقابة قد فرضت على الصحف والمطبوعات بعد أيام من تولى على ماهر باشا ، رئاسة الوزارة بسبب قيام الحرب العالمية الثانية ، الأمر ، الذي أكد لي أن الصحف في أوقات الرقابة لا يمكن أبداً أن تكون مصدراً رئيسياً من مصادر التاريخ وإن كان يجوز بعد توافر شروط معينة في المؤرخ أن تكون مصدراً ثانوياً .

والذي حزننت له حقيقة ، أنني لم أجد كلمات انصاف - في الصحف المصرية - لطلعت حرب ، لا بصفته صاحب أفضال جمة ، على كل الصحف التي كانت تصدر يومئذ : أفضال عامة ، وأفضال خاصة بل بصفته الرجل الذي خاض الحروب العنيفة الشرسة ، عشرين عاماً من أجل انقاذ الاقتصاد المصري من مخالب أسود أصحاب رؤوس الأموال الأجنبية : لم أجد كلمات انصاف أو حتى كلمات رثاء لذلك الرجل الذي كان ينحت في الصخر ، ولمدة عشرين سنة لبنى قلاعنا الاقتصادية ، المصرية ، الوطنية بل أنني عندما حاولت تتبع كل ما قيل عن طلعت حرب ، بعد وفاته ، أو في مناسبات أخرى عديدة ، خاصة

لى استقالة أو اقالة طلعت حرب ، من بنك مصر ؛
الأمور العادية الطبيعية التى تحدث كل يوم فى
حكومية .

أمام السلبية الخطيرة التى يتميز بها مجتمعنا
« الصحفي » بل مجتمعنا كله اذا جاز لى استخدام ، التعميم فى هذه النقطة ،
وأعني بها ، أننا نبالغ فى اظهار حقائنا ، واحترامنا وتقديرنا ، بل نبالغ فى
تملق من بيده السلطة أو المال ، أو الجاه ، أو النفوذ حتى تكاد نفسد عليه
أموره ، وتكاد نفسد أيضا على أنفسنا أمورنا ... نعطي - فى الغالب - صاحب
النفوذ أو صاحب المال ، أو صاحب السلطة الكثير ، الكثير ، الذى لا يستحقه
عادة بل الذى لا ينتظره ، هو عادة ، وفى أحيان كثيرة يحس ، ذلك الذى فى
يده ، المال أو الجاه ، أو النفوذ ان تملقنا له لا لشخصه وانما لماله ، أو جاهه ،
أو نفوذه ، فلا يسعد بما نقدمه اليه لانه يعرف جيدا ، وأكثر من غيره أن
ما يقدم اليه مرتبطا ببقاء نفوذه ، أو جاهه ، أو ماله ، وعندما يزول عنه هذا
المال ، أو النفوذ أو الجاه ، يزول كل ما يقدم اليه ثم يتلاشى نهائيا . بل يمكن
أن يقدم اليه - عند زوال جاهه ، وماله ، ونفوذه - العكس تماما ، عكس ما كان
يقدم اليه ، أيام الجاه ، والنفوذ والمال وقد عرفت صحفيين كبارا أنفقد طلعت
حرب صحفيهم ، بل وبيوتهم من « الحجوزات » بل من الخراب وكانوا دائما
يسبحون بحمده ، ويقولون فيه بل ويكتبون عنه من قصائد ، الغزل ، والشكر ،
والثناء والاشادة ، ما لم يقل من قبل ، وما لم يكتب ، لا من قبل ، ولا من بعد :
هؤلاء لم يكتبوا حرفا واحدا ، عن طلعت حرب فى مأساته التى كانت بلا جدال
أعنف مأساة مرت به ، بل كانت بلا جدال الضربة القاضية التى أنهت حياته .

وأقول ، ان صاحب المال ، أو الجاه أو النفوذ قد لا يكون بحاجة الى كل
ما يقال فيه أو ما يكتب عنه عندما يكون فى الصورة لان ما يكتب عنه ، أو
يقال فيه قد يصيبه فى بعض الأحيان بالتخمة أو قد يصيبه اذا كان ضعيف
الشخصية ، بالغرور ، ولكنه فى أمس الحاجة الى كلمة واحدة تقال له أو تكتب
عنه عندما يزول عنه جاهه ، أو ماله ، أو نفوذه لا لانه قد يكون فى أمس الحاجة
الى تلك الكلمة وحسب ، بل انها قد تكون أصدق ما يقال فيه .

وعندما كنا صغارا فى قريتنا الصغيرة المتواضعة التى يحوطها نيلنا الحبيب
بحبه ، ومائه كنا نسمع من آبائنا ، وأجدادنا : عندما يموت ، للعمدة ، حمار
أو جاموسة ، أو حتى نعجة ، تذهب القرية كلها لتعزية العمدة فى حمارة ، أو
جاموسته ، أو نعجته ، ولكن عندما يموت للعمدة لا أحد يذهب للتعزاء فيه ،
فلا بد من التريث حتى يعرف ، القادم الجديد هل كان على علاقة طيبة ، بالراحل
القديم ، أم هو من اتجاه آخر غير ذلك الذى كان يمثل العمدة الناهب ، وفى

أية حال من حالات تقديم العزاء لا يكون السبب وراءها ، الا ارضاء القادم الجديد ! .

وأخشى أن يجرفنى الحديث عن هذا العيب الاجتماعى الخطير ، فأخرج عن الخط ، الذى وضعته لنفسى فى كتابة « سنوات ما قبل الثورة » وأعود فأقول اننى ظلمت سنين طويلة لا أعرف الا بين الكواليس ، الأسباب التى أدت الى احالة سليم بك حسن ، الى المعاش حتى هو نفسه لم يكن بقادر على أن يبوح بهذه الأسباب ، وقت احالته الى المعاش ، حتى لا يزيد الحرق على الراقع ، كما يقولون ، أو حتى لا يزيد الطين بلة ، فيحارب فى رزقه أو يحارب فى وجوده ، الى أن أتيت لى فرصة لقائى به ، وتحدثت معه فى هذا الموضوع ، بعد أن أقصى الملك فاروق عن العرش ولم يعد غضب التصبر تهمة تصيب المغضوب عليه بمرض معد ، يجعل الكثيرين يتأون عنه ، بل أصبح هذا الغضب وساما يضعه على صدره كل من كان « حظى » بهذا الغضب .

يقول سليم بك حسن ضمن ما قاله : يخطئ البعض عندما يتصور ان الخلاف بينى وبين الأب دريتون مدير مصلحة الآثار كان خلافا شخصيا ، أو كان خلافا على تمصير المصلحة ، فقد كان الأب دريتون فى القصر ، أقوى من مدير مصلحة ، بل أقوى من وزير ، وقد كان الأب دريتون « نافذا » على الملك ، لا على كبير الأمناء ، أو رئيس الديوان فقط ، وقد كان لدى من المؤهلات ما يجعلنى أحق الناس بمنصب مدير مصلحة الآثار ، كنت أحق بهذا المنصب من أى مصرى آخر ، بل من أى أجنبى أيضا ، فلقد قمت باكتشاف آثار خطيرة فى مقدمتها هرم الملكة خنت كوس ، أول امرأة حملت لقب ملكة فى التاريخ ، وعن اكتشافاتى الأثرية أصدرت اثنى عشر مجلدا ، كان لها أهميتها العلمية لا فى مصر وحسب بل فى الخارج أيضا ، وكانت الحكومة الفرنسية تعتبر أن منصب مدير الآثار المصرية ، يجب أن يكون وقفا على الفرنسيين ، وقد جدت - أكثر من مرة - ان محمود فخرى باشا ، سفير مصر فى باريس ، حذر أكثر من مرة من تعيين مصرى فى هذا المنصب وكان من رأى المرحوم أحمد عبد الوهاب باشا أن أصبح أنا وكيلًا لمصلحة الآثار ويكون الأب دريتون مديرا لها بعقد لمدة ثلاث سنوات ، بعدها آكون أنا مدير المتحف المصرى .

وكانت عملية البحث عن الآثار المصرية موزعة بين الانجليز ، والفرنسيين ، والاطاليين ، بحيث يكون لكل فريق من هؤلاء ، المنطقة التى يعمل بها ، وقد استصدرت من زكى العرابى باشا - وكان وقتئذ وزيرا للمعارف - قرارا بأن اكون المشرف على عملية تقسيم المناطق الأثرية على الأجانب ، وعلى المصريين ، وكان من رأى ، ومن رأى زملائى المصريين أن يكون للمتحف المصرى كل الآثار الثابتة السليمة ، على أن تدفع الحكومة المصرية لمن يعثرون على اثار مصرية قيمة التكاليف التى أنفقوها فى عملية البحث والتنقيب ، كما حدث بالنسبة لآثار

توت عنخ أمون حيث وافقت الحكومة المصرية ، على أن يعطى كارتر المشرف على عمليات الخفر مبلغ ثمانية وأربعين ألف جنية على أن تدخل آثار توت عنخ أمون المتحف المصرى ، ودخلت فعلا ، آثار توت عنخ أمون إلى المتحف المصرى ، فيما عدا « العصا » الحادية عشرة التى لم تعرف وقتئذ أين ذهبت ؟

وعندما توفى الملك أحمد فؤاد ، « أوصى » بمجموعة من الآثار، التى كانت فى حوزته لصالح المتحف المصرى ، كهدية منه ، تسلمتها من أحد أمناء القصر ، ولكن عندما أصبح فاروق ملكا ، أرسل إلى مراد محسن باشا - رجل القصر - ليسترد آثار والده ، بأعبأه وإراثه له ، ولكننى بادرت بتسجيل تلك الآثار فى سجلات المتحف لتصبح من ممتلكات الدولة التى لا يمكن خروجها منها الا بقانون يوافق عليه البرلمان : وقلت لمراد محسن باشا : اننى لا أستطيع تسليمكم الآثار التى هى ضمن ممتلكات الدولة الا اذا كتبتم لى ايصالا بأنكم تسلمتموها كإمانة ترد عندما يطلب ذلك من القصر ، ورفض مراد محسن باشا وتكررت زياراته لى وكنت فى كل مرة أصر ، على وجهة نظرى .

واعتبر فاروق ماقتت به للمحافظة على الآثار المصرية جريمة ، وبدأت مؤامرات إبعادى عن المتحف ، بل محاولة تقديمى الى محكمة الجنايات ، وأذكر أن « يس بك أحمد » النائب العام وقتئذ قد سمي الاتهامات الموجهة الى بأنها سفاح ، أى اتهامات بدون أب أى بدون أساس قانونى ، وقد دفع « يس بك أحمد » ثمن وقوفه الى جانب الحق ، فى هذه القضية ، كما دفعت أنا ثمن حرصى على آثار مصر ، وإن كان « يس بك أحمد » قد رد إليه حقه ، فيما بعد ، أما أنا فلم يرد الى حقى ، بل لم يرد الى اعتبارى الا بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وإخراج فاروق من مصر : لقد حاول أكثر من وزير للمعارف إعادتى الى عملى ، ولكن فاروق كان يثور باستمرار ضد عودتى ، الى العمل ، الأمر الذى جعل وزراء المعارف فيما بعد لا يفكرون على الإطلاق حتى فى اقتراح عودتى الى عملى لأن فاروق اعتبر مسألة خلافى معه مسألة شخصية بحته !



وأعود بعد ذلك كله للحديث عن وزارة على ماهر باشا ، الثانية وزارة الحرب ، وزارة الأزمات الداخلية والخارجية العنيفة ، وزارة التآرجح بين تأييد سياسة ألمانيا وإيطاليا « المحور » وتأييد سياسة بريطانيا « الحليفة » كما تنص معاهدة ١٩٣٦ !!

وأنقل - فى البداية - وجهة نظر مارسيل كولومب فى تلك الاحداث كما جاءت فى كتابه تطور مصر « ١٩٢٤ - ١٩٥٠ » ترجمة زهير الشايب وتقديم

د - أحمد عبد الرحيم مصطفى : واستقال محمد محمود في أغسطس ١٩٣٩ ، بسبب مرض مزمن ، وانتهم الملك الفرصة كي يمهّد بالوزارة الى علي ماهر باشا ، وقبل السعديون في الحكومة الجديدة بخمسة أعضاء بالإضافة الى تسعة من المستقلين ، بينما رفض ذلك الاحرار الدستوريون ، وهكذا جرت محاولة جديدة لاقامة حكم فردي ، وبعد ذلك بـ ١٥ أيام غزا الجيش الألماني بولندا وفي ٢ سبتمبر أعلنت بريطانيا العظمى وفرنسا حالة الحرب ضد ألمانيا ، وكانت معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ ، واجبة التنفيذ وكان تطور الأزمة الدولية يلقي في مصر ، اهتماما كبيرا وكان لكل من النظامين الهتلري والفاشستي معجبون في مصر بل ان رئيس وزراء سابقا - هو اسماعيل صدقي باشا - قد امتدحهما علانية في مجلس النواب في ٢١ ديسمبر ١٩٣٨ وخلال الأشهر السابقة على اندلاع الممارك كانت دعايات الاذاعات الألمانية بالغة النشاط وحظيت حملاتها ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي بترحيب خاص في كل الأوساط بل من جانب القادة أنفسهم ، كما أن تهكمها على الديمقراطيات كان له صدى كبير ، وبدأت تنتشر شيئا فشيئا فكرة مؤداها أن انتصار ألمانيا هو السبيل لتحرير الشرق من الوصاية الغربية ، .

ويقول مارسيل كولومب : أمكن للدبلوماسية الفاشستية ، بمهارة تامة أن تخفف من مشاعر التوجس ، التي ولدتها حرب الحبشة ، لكن مشاعر الريبة والخوف التي خلفتها الاطماع الإيطالية عام ١٩٣٥ ثم تكن بلا شك قد اختفت تماما على أن القوى المتصارعة في ذلك الصدام الذي كان يتشكل كانت تبدو في نفس المستوى فكان الموقف منهما واحدا ، كما أن انتصار الحلفاء ، لم يكن مؤكدا . ليس من الأفضل إذن أن نتجنب الانحياز بشكل واضح الى المعسكر المعادي لقوى المحور ؟ تلك هي السياسة الحذرة ، التي احتذاها الملك فاروق ومستشاره علي ماهر باشا ، وشجعهما على هذا موقف الحياد ، الذي اتخذته إيطاليا في البداية ، واكتفت الحكومة المصرية بتنفيذ الالتزامات المنصوص عليها في المادة ٧ من المعاهدة فأعلنت حالة الطوارئ ، وفرضت الرقابة على الصحف ، وسمح لبريطانيا العظمى باستخدام الموانئ ووسائل النقل ، والمواصلات ، وفتحت قوسا ، لنقول ان بريطانيا قد دعت الملك فاروق وعلي ماهر باشا ، الى اعلان الحرب على ألمانيا ثم تخلت عن هذا المطلب بعد أن ظهر لديها أن عدم اعلان مصر الحرب على ألمانيا فيه مصلحة لبريطانيا .

وسوف أعود الى هذه النقطة فيما بعد ، وأقول القوس ، وأعود الى ما كتبه مارسيل كولومب : وهو يمثل وجهة نظر جديدة بالاحترام - يقول مارسيل : اكتفت مصر بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا أما بقية بنود المعاهدة ، فإن مصر لم تخلع عليها - عند دخولها في محك التطبيق - ذلك التفسير الواسع الذي كانت لندن تمنى أن تخلعه على هذه البنود ، وظهرت الى حيز العلن خلافات

بين السلطات العسكرية في كلا البلدين وتضاعفت هذه الخلافات أثناء السنة الأولى من الحرب ، ولم تستطع بريطانيا العظمى أن تحسم هذه الخلافات كما كانت تهوى وذلك بسبب وجود أناس يتوقدون وطنية على رأس الجيش وفي صفوف الوزراء ، وفي أغسطس ١٩٣٩ عين الفريق عزيز على المصرى باشا رئيساً لأركان حرب الجيش المصرى وكان هذا الضابط الكبير الذى قلما عرف الهزيمة فى المعارك التى خاضها ، فى طرابلس فى صفوف الجيوش العربية التركية ، يقدم طواعية ، وعن طيب خاطر الأدلة على وطنيته المتطرفة ، ولهذا فقد استقبل تعيينه فى هذا المنصب بتحفظ شديد فى لندن ، وبعد ذلك بقليل وفى أول سبتمبر أنشئ جيش مرابط وضع تحت قيادة وزير الأوقاف عبد الرحمن عزام ، وهذا الجيش الذى بلغ تعداده فيما يقال ٢٥ ألف رجل كان محط آمال رئيس الوزراء وموضع عنايته ، وقد عمل قائده بهمة على أن يثبت فى جنوده الحمية الوطنية ، التى تحركه هو نفسه ، منذ الوقت الذى كان يحارب فيه فى صف طرابلس ، العثمانية مثله فى ذلك مثل عزيز المصرى باشا ، وكانت شخصيته تشغل السفارة البريطانية ، مثلها كذلك مثل شخصية وزير الدفاع صالح حرب باشا .

وفى القاهرة كانت الهمسات المعادية لقضية الحلفاء تسرى وتنتقل من فم الى آخر ، وسرى الظن بأن بريطانيا العظمى تنوى ان تعود لتفرض من جديد الاجراءات والقيود التى كانت قد فرضتها أثناء الحرب العالمية الاولى ، وسرى كذلك بأنها تريد أن تنشئ فرقة للعمل شبيهة بتلك الفرقة التى كان مجرد طريقة جمع أفرادها قد خلف فى النفوس ذكريات مريرة ، تردد الادعاء بأن أركان الحرب البريطانية قد اقترحت ارسال جيش من المتطوعين لحوض غمار الحرب ، على الجبهة الاوربية .

كما تردد فى ريف مصر ، بأن الدواب ، والمواشى سوف تصادر وبأن مساحة الأراضى المنزرعة قطناً ستحدد ، بل لقد قيل ان مديرى المديريات سوف يستبدل بهم ضباط انجليز

ويشير مارسيل كولومب الى استيلاء الألمان على وارسو عاصمة بولندا ، وتزايد الاعجاب بقوة الرايخ العسكرية كما يشير الى الكوارث التى ألمت بقوات الحلفاء فى النرويج ، وهولندا ، وبلجيكا ، وإلى ارتفاع أصوات مصرية تطالب بالتزام الحياد ، بل ان بعض هذه الاصوات ، انطلق ينادى بادخال تعديلات جوهرية على معاهدة ١٩٣٦ كاتفاص فترة بقاء القوات البريطانية فى مصر ، الى عشر سنين بدلا من عشرين سنة « وهكذا - كما يقول مارسيل كولومب - نهضت الروح القومية تدعمها الدعايات الألمانية ، والايطالية ، وتشجعها بذلك كل من الحكومة المصرية والسراى » الى أن يقول مارسيل كولومب : انتاب

السفارة البريطانية القلق ، فزاد تدخلها وضغطها على رئيس الوزراء على ماهر ،
الذى اضطر للتخلي عن رئيس أركان الحرب ومنحه مرتين متعاقبتين أجازة لمدة
ستة أشهر ، ثم أحيل الى الاستيداع فى ٧ أغسطس ١٩٤٠ .

ولا نريد ان نسترسل فى الحديث عن الازمات ، التى واجهتها وزارة
على ماهر بالجملة ، وإنما نؤثر الحديث عنها بالتفصيل نظرا لما لها من أهمية
بالغة فى تاريخ تلك الفترة الحرجة من التاريخ المصرى المعاصر !!

عندما أعلن عن تشكيل وزارة على ماهر باشا ، واختيار محمد صالح حرب
باشا وزيرا ، للدفاع بها نظرت السفارة البريطانية الى تلك الوزارة نظرة شك
وارتياب وتحولت تلك النظرة بعد تعيين عزيز على المصرى باشا رئيسا لأركان
حرب الجيش المصرى ، الى نظرة حقد ، وكراهية ، فعزیز على المصرى معروف
بعمائه الشديد للبعثة العسكرية البريطانية ، وقد كانت أزماته معها عنيفة ،
عندما كان مفتشا عاما للجيش المصرى وكانت اختصاصات المفتش العام للجيش ،
غير محدودة ، ومجى عزيز على المصرى كرئيس لأركان حرب الجيش ، ووظيفة
رئيس أركان حرب الجيش ذات صلاحيات هامة ، وذات اختصاصات كبيرة ،
وخطيرة محددة . ولا سبيل ، أبدا الى نكرانها وتجاهلها ، وقد حاول عزيز على
المصرى فى بداية تسلمه ، لوظيفته الجديدة أن يقنع السفارة البريطانية والبعثة
العسكرية البريطانية أنه راغب فى التعاون مع الجانب البريطانى ، الحليف
طبقا لمعاهدة ١٩٣٦ الى أبعد حدود التعاون ولكن الجانب الانجليزى لم يقتنع
أبدا بما أبداه عزيز على المصرى من نوايا طيبة كما لم يقتنع أيضا ، بأنه راغب
فى هذه المرة فى التعاون مع الجانب البريطانى .

ومما ساعد الجانب البريطانى على التشكك فى اتجاهات وميول عزيز
المصرى أنه ومنذ الساعات الاولى لتعيينه رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى
كان كتلة من النشاط ، ورغم أنه أصيب فى حادث بالطريق الصحراوى وهو
يقود سيارته بنفسه ، وهو فى طريقه الى الاسكندرية ، لمباشرة عمله الجديد الا أنه
لم يبق فى مستشفى المواساة بالاسكندرية الا وقتا قصيرا غادر بعده المستشفى
الى بولكلى لمقابلة على ماهر باشا ، رئيس الوزراء الجديد ، ثم اتجه ، بعد مقابلته
لعلى ماهر باشا - مباشرة - لحضور اجتماع المجلس الفنى للجيش برئاسة محمد
صالح حرب باشا وزير الدفاع وظل فى الاجتماع - رغم أنه أصيب برضوض
شديدة ، ورغم أن سيارته تحطمت تماما - أكثر من ثلاث ساعات وفى اليوم
التالى ، يقابل عزيز على المصرى الملك كما يقابل الجنرال مكريدى رئيس البعثة
العسكرية البريطانية ، كما يستقبل كبار رجال الجيش المصرى ، اللواء حسن
حسنى الزيدى باشا واللواء أحمد أحمد عطية باشا ، واللواء جسين عبد الوهاب
باشا .

وبعد أيام قلائل يتجه بصحبة على ماهر رئيس الوزراء الى مرسى مطروح وبعد عودته مباشرة من مرسى مطروح يتجه الى سلاح المدفعية حيث يتولى تفتيش وحداته المختلفة ، بصحبة اللواء حسن حسنى الزيدى باشا القائد العام لسلاح المدفعية والقائم مقام حسن محمود بك مساعد القائد العام ، والقائم مقام ، محمد شاهين بك مدير مدارس المدفعية وبعض ضباط السلاح .

وبعد ثلاثة أيام من زيارته لسلاح المدفعية يتوجه الى الكلية الحربية ، لزيارة أقسامها المختلفة ، وللتفتيش على طلبتها وللوقوف على مدى استعدادها لاستقبال العام الدراسي الجديد وكانت زيارته تلك بصحبة اللواء مصطفى صادق باشا و ٠٠ و ٠٠ وفى اليوم التالى يتوجه أيضا الى سلاح الإشارة ، لزيارة السلاح ولزيارة مدارسها وبعد ثمان وأربعين ساعة من زيارته لسلاح الإشارة يتوجه بصحبة اللواء محمد صادق باشا ، قائد قسم القاهرة لزيارة أورطة الأساس وبعد ثمان وأربعين ساعة أخرى يتوجه عزيز على المصرى الى المستشفى العسكرى بمنشية البكرى حيث يتفقد حالة المرضى من الضباط والجنود ، وقد كان فى استقباله فى المستشفى العسكرى ، الدكتور الأميرالدى باسيلي سوسو بك كبير أطباء الجيش المصرى و ٠٠ و ٠٠ .

وفى اليوم التالى لزيارته للمستشفى العسكرى يتجه الى سلاح الأسلحة والمهمات بالقلعة و ٠٠ و ٠٠ حركة دائبة ونشاط ، غير مألوف ، ثم حرص شديد على معرفة كل شىء وعلى إعطاء الأوامر الضرورية ، والعاجلة بدون انتظار رأى أحد غيره ، كل ذلك أثار الجانب البريطانى وأكد ان عزيز المصرى فى منصبه الجديد سوف يكون أكثر خطورة على البعثة العسكرية البريطانية وعلى السياسة البريطانية وخاصة ما يتصل منها بالجيش ، أكثر منه عندما كان مفتشا عاما للجيش المصرى هذا عن عزيز على المصرى باشا ، أما عن صالح حرب باشا فان الجانب البريطانى لم ينس أبدا أن صالح حرب باشا كان يقف دائما ، ويكون هوادة ضابطا ، وعضوا فى مجلس النواب ضد السياسة البريطانية .

والذى جعل الجانب البريطانى ، يخشى محمد صالح حرب باشا أكثر من أى وزير آخر فى وزارة على ماهر باشا ، انه كان يتمتع برصيد شعبى ضخم وانه كان معروفا بالاستقلال فى رأى وعدم الالتجاء الى سياسة المداينة أو التملق لا للسراى ، ولا للانجليز وعن تاريخ صالح حرب باشا كتبت صحيفة البلاغ فى عددها الصادر فى ١٩ أغسطس ١٩٣٩ - غداة توليه وزارة الدفاع ، كتبت تقول :

« أكبر ما يمتاز به صاحب المعالي اللواء محمد صالح حرب باشا تقوى الله وطهارة الضمير ومجانبة السوء عملا أو قولا . ولا عجب فى أن ينحو محمد صالح حرب باشا هذا النحو الدينى ، فقد تربى تربية دينية فلما ألحق بمدرسة خفر

السواحل كتلميذ ضابط كان أكثر زملائه حرصا على تأدية الصلاة في أوقاتها وأكثرهم تلاوة للقرآن الكريم .

ثم رقى الى رتبة «ملازم ثان» فكان هو الرجل الذي يركن اليه كل عسكري مظلوم في طلب الدفاع عنه ، وعرف بكفاءته كما عرف بنشاطه وسرعان ما رقى الى رتبة الملازم الأول فرتبة اليوزباشي ، وأعلنت الحرب العالمية وهو قائد خفر السواحل في مرسى مطروح فلما أعلنت الحماسة البريطانية على مصر جمع الضباط والجنود الذين كانوا تحت قيادته وسار بهم وبأسلحتهم الى القوة العثمانية التي كانت مرابطة خلف الحدود المصرية الطرابلسية .

وأما هو وهؤلاء الضباط والجنود طوال سنوات الحرب العالمية بين طرابلس والمغرب وتركيا محاربين .. واستطاع خلال هذه السنوات أن يستكمل دراسته العسكرية نظريا وعمليا ، وشهد بكفائه القواد العثمانيون فترقى في السلك العسكري العثماني بجدارة واستحقاق حتى بلغ رتبة « القائمقام » .

وانتهت الحرب العالمية ، ثم أعلن الدستور في عام ١٩٢٣ وكان قد صدر العفو عن المحكوم عليهم ، فرأى « محمد صالح حرب » الفرصة مواتية للعودة الى مصر فوصل اليها وما لبث أن رشح نفسه للنيابة ، ودخل مجلس النواب فكان من أقوى النواب دفاعا عن حقوق الشعب وأقواهم في المطالبة بإنشاء جيش حديث لمصر .

وخلا منصب وكيل مصلحة السجون في أواخر سنة ١٩٢٨ فعيّنته الوزارة النحاسية وقتئذ في هذا المنصب وبقي فيه حتى عام ١٩٣٩ ثم اختير مديرا لمصلحة خفر السواحل ومنح رتبة اللواء وفي ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٩ اختير لمنصب وزارة الدفاع ، وقد شهد بأعماله في خفر السواحل خلال الأشهر القليلة الماضية كل رجال العسكرية من بريطانيين ومصريين .

وقد أحدث اختيار صالح حرب وزيرا للدفاع ضجة كبيرة في الدوائر البريطانية خاصة في السفارة البريطانية وقيادات القوات البريطانية في مصر كما يتضح من الفصل التالي :

الفصل الثاني

معارك عنيفة في الداخل وفي الخارج وتوفيق الحكيم يفتح النار على المرأة المصرية

● اعتبرت الدوائر البريطانية تعيين محمد صالح حرب باشا وزيرا للدفاع في وزارة على ماهر باشا بمثابة حرب اعلان ضدها ، وقد سبق أن أشرت في الى ملخص لتاريخ صالح حرب باشا باعتباره من خيرة الشخصيات الوطنية الجديرة بالحب والتقدير والاحترام .

وقد عرفت صالح حرب باشا لأكثر من ربع قرن من الزمان وخاصة عندما كان رئيسا لجمعية الشبان المسلمين العالمية ، وأشهد أن الرجل كان حقيقة من خيرة القادة الوطنيين المخلصين الذين يعشقون مصر والسودان ويرون في وحدة وادى النيل دعامة قوية ، لتحرير افريقيا ، وأن هذه الوحدة هي أهم ركائز تقدم الأمة العربية والعالم الاسلامي .

ومما أذكره عن محمد صالح حرب باشا أنه فتح لنا نحن الشباب في بداية عام ١٩٤٧ جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة لتتدرب ولتدرب زملاءنا من الشباب على حمل السلاح دفاعا عن حرية وادى النيل ودفاعا عن القضية الفلسطينية ، كما أنه كان من خيرة العاملين على زرع بذور الرجولة ، والوطنية ، والثورة في نفوس الشباب ، وكان في تربيته للشباب قويا ، وعنيفا وصارما ومستقيما كالسيف .

ويوم يتاح للمرء ، أن يكتب عن محمد صالح حرب فسوف يرى القراء نموذجا رائعا ، للرجولة ، والتضحية والفداء لم يتغير أبدا ، ولم يتبدل ولم تهدأ تأثيرته ، حتى بعد أن تجاوز الثمانين من عمره : ظل هو هو ، طالبا ، أو ضابطا في خفر السواحل ، أو مجاهدا في سبيل تحرير طرابلس وبرقة وبنغازي من الاحتلال الايطالي . ظل هو ، كما هو نائبا في مجلس النواب ، وزيرا ، أو

رئيسا لجمعية الشبان المسلمين العالمية : شاب دائما ، بالغ العنف والثورة ، مع غيره بل مع نفسه قبل أن يكون مع الآخرين .

أذكر أننا كنا نفرد مكانا في المصور لصورة شخصية عامة رسمها الرسام فايق ، وتحت الصورة ، كلمة يكتبها صاحب تلك الشخصية عن نفسه تحت عنوان « أنا » وأذكر ، أن صالح حرب في عدد المصور الصادر في ١٩٥١/٨/٣ - وكانت الحركة الوطنية المصرية في عنفوان قوتها وثورتها - كتب عن نفسه يقول بالحرف الواحد : « كنت الى ما قبل ثلاثين عاما ، لا يخجلني أن أقول أنا ، ويشهد بذلك تاريخ الجهاد والسياف ، والقلم ، وما تدلى من العنق ، أو يزدان به الصدر ، يوم كنت الفريق صالح حرب باشا القائد العام للجيش السنوسي في إفريقيا ، أما اليوم فقد أصبحت - كما أصبح غري - من أشباه الرجال ولا رجال ، فأى مصرى يحق له أن يمشى على الأرض رافعا رأسه ويقول « أنا » ؟ وكأننا ارادتنا من وراء ظهر الغيب ، غفيرة بنت عفان حين قالت :

وان أنتموا لم تغضبوا بعد هذه

فكونوا نساء لا تعاب من الكحل

ودونكمو طيب العروس فانما

خلقتم لأثواب العروس ، وللغسل

فسحقا وبعدا للذى ليس دافعا

ويختال يمشى بيننا مشية الفحل

ألا رحمة الله على الرجولة في مصر ، ورحم الله كل من كان فيها يستطيع أن يقول أنا !

وقليلون جدا ، هم الذين يعرفون ، أن محمد صالح حرب هو قاتل « ياسين » صاحب أسطورة ياسين وبهية ، التي جاء فيها : يا بهية وخبريني ، ع إلى جتل ياسين ، جتلوه السود عيونى ، من فوق ظهر الهجين .

وقد كان أحب الاوقات بالنسبة لنا ، نحن « حوارى صالح حرب » أن نستمع اليه وهو يروى ذكرياته القديمة ، التي مضى عليها أكثر من خمسين ، أو ستين سنة ، وكأننا يقرأ من كتاب مفتوح أمامه ، ومن بين ماسمعه عن مقتل ياسين هذا قوله : أن ياسين كان من أكبر مجرمي الصعيد ، وكان ينتسب الى قبيلة العبابدة ، وقد ضاقت الحكومة بجرائمه ويئست من القبض عليه ، وقد رأت وزارة الداخلية ، بعد أن عينت ضابطا بحدود خفر السواحل برتبة ملازم ثان أن تستعين بعمدة القبيلة التي ينتسب اليها ياسين مهددة اياه بتجريدته من رتبته ونياشينه ، اذا هو لم يلق القبض على ياسين حيا أو ميتا ، ويصل على

بك ، العمدة ، الى حيث يختفى ياسين في مغارته ، ويطلب منه أن يسلم نفسه . ولكن ياسين يرفض أن يسلم نفسه ويطلب من العمدة ، أن يتركه وحاله ، فهو لن يسلم نفسه حيا أبدا ، كما أنه لن يموت رخيصة . ويعتذر العمدة عن القيام بما هو مطلوب منه معلنا أنه على أتم الاستعداد ، للتخلي عن رتبته ونياشينه ، وقد حدث أن انتدبت للعمل - وأنا في سلاح الهجاة - على شراء جمال من وادي حلفا ، وقد اشترينا من البشارية ما نحن بحاجة اليه ، ثم عدنا ومعى دليل وهو من قبيلة العباددة ولم يكن معى ، الا جنديان فقط ، وقد لاحظ أحدهما أن اعرابيا ينام على بطنه ويده بندقيته ، فاذا بالدليل يلوم هذا الجندى ، لتدخله في شئون الآخرين بعد أن عرف أن هذا الاعرابى هو « ياسين » ، وعندما حاول صالح حرب أن يعود الى المكان ، الذى كان ينام فيه الاعرابى اعترض الدليل ، الذى كان ينتمى الى قبيلة العباددة ، التى ينتسب اليها ياسين « وحاول أن يشيننى عن عزمى ، ولكننى أبيت ، وعقلنا الجمال ، وعدت أنا والدليل الى حيث المغارة ، التى كان يوجد بها ياسين وعندما اقتربنا منه لم يشأ أن يطلق علينا النار حتى نتقدم ويكتشف أمرنا » .

ويقول صالح حرب أنه فكر فى اشعال النيران قرب المغارة حتى يدخل دخانها الى داخل المغارة ، فيجبر ياسين ومن معه على الخروج منها بعيدا « فنستطيع أن نصيبه ، ولكن ياسين بادر باطلاق الرصاص علينا فأصاب طربوش الجندى ، فانبطحنا على الأرض وأخذنا نزحف الى حيث تبرك الجمال » .

ويقول صالح حرب : أمرت دليل الطريق أن يأخذ جملا ، ويذهب بأقصى سرعة الى عزبة البوص ، القرية ويحملة بوصا ، وبعد أن امتنع الدليل وافق ، غير أن ياسين أطلق عليه النار فأصاب « الجمال » . و ٠٠ و ٠٠ وقد حاول ياسين فيما بعد أن يهرب الى جبل آخر وتبادل صالح حرب ومساعداه النار مع ياسين ويصاب أحد الجنديين ، وكان صالح حرب لا يطلق الرصاص فى المليان ، ويأمر من معه ، ألا يطلقاه أيضا فى المليان ، فقد كان حريصا على أن يقبض على ياسين حيا ، ولكنه غير من خطته فأطلق الرصاص على الجزء الظاهر من جسم ياسين ، ويلقى ياسين سلاحه ، ويجرى ، فيجرب صالح حرب ومن معه خلفه فاذا به قد انتهى ، لقد أصابته احدى الرصاصات فى قلبه ، والثانية تحت إبطه ، والثالثة كسرت ترقوته والرابعة مست ذراعه اليمنى ، وبعد تفتيشه وجدوا فى سرواله « ختما » باسمه فتأكدوا أنه هو ، ويكتشف صالح حرب أن ياسين كان معه زوجته وطفله واذا بالزوجة بعد أن تأكدت من مصرع زوجها ياسين اندفعت تزغرد : بركة لى ، بركة لى : أى باركوا لى ، باركوا لى ، وطن صالح حرب أنها تتصنع الفرحة ، ولكن ظهر أنها كانت جادة ، وتم وضع جثة ياسين فى جوال وركبت المرأة وابنها الطفل ، وقاد صالح حرب الراكب الى محطة الحاميد ، ولم يصدق المأمور أن ياسين قد قتل ، وفى اليوم التالى لمصرع ياسين

جدات وزارة الداخلية تتوالى ، ويفد الى محطة المحاميد : الضباط من جميع الرتب ، ووكيل نيابة قنا ، ووكيل نيابة أسوان ، وكم كانت المفاجأة ، لقد بدأوا يحققون مع صالح حرب لانه قتل ياسين ، وامتنع صالح حرب عن أن يرد على أسئلة النيابة ، وترك ممثلي النيابة وأرسل برقية الى مفتش الصحراء الغربية الأميرالاي الألماني فون دومريكر بك ، وجاء مفتش من الداخلية اسمه مستر وندسون ، وذهب الى مكان الحادث هو والدليل ، وأحد الجنديين ، ووقف مفتش الداخلية مستر وندسون يقول بعد أن عاد أمام الأهالي بلغة عربية تداخلها اللكنة الانجليزية : باسم وزارة الداخلية أشكرك كثير خالص ، أنت قمت بعمل عظيم خالص ، خلصت مديرتي قنا وأسوان من مجرم ، كان خطرا على الأمن العام ، والتفت الى بقية الضباط من ذوى الرتب الكبيرة قائلا : تقدرؤا دلوقت تنامؤا كويس مافيش خطر ، مافيش خوف : هذا الضابط الصغير جدا خلصكم من الخطر الكبير .

وصرفت وزارة الداخلية لمحمد صالح حرب ثمانين جنيها مكافأة ، كما أعطت للأومباشي ، والعسكريين والدليل ثمانين جنيها أخرى ، وأعطى محمد صالح حرب من عنده لكل واحد من الثلاثة خمسة جنيها ، ولم تمض أيام حتى نظم أبناء الصعيد أغنية فى ياسين راح الشعب يرددؤا : يا بهية وخبرينى ع الى جتل ياسين ؟

والى جانب محمد صالح حرب باشا ، وعزيز المصرى ، اللذين أثار اختيارهما فى منصبيهما ثورة الانجليز ، كان أيضا اختيار مصطفى الشوربجى ، وزيرا للعدل ، وبعد الرحمن عزام وزيرا للأوقاف فى البداية ، وقائدا عاما للجيش المرابط ٠٠ من أسباب ثورة الانجليز على على ماهر ووزارته .

ومصطفى الشوربجى من تلاميذ مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وقد ظل على العهد - عهد مصطفى وفريد - الى أن لقي ربه ، وكان مصطفى الشوربجى من أجراء الشباب على سعد زغلول باشا وقد قال لسعد زغلول وهو فى قمة مجده : انه لن يوقع على توكيل الأمة للوفد المصرى الا بشروط ثلاثة من بينها أن يكون أساس المفاوضة الاستقلال التام ، وأن تشمل المفاوضة موضوع السودان ، وألا يكون الوفد مفوضا من الأمة بشكل مطلق ، ولمصطفى الشوربجى العديد من المؤلفات الوطنية : « القضية المصرية » ، « لا حماية ، لا اتفاق ، لا مفاوضة ، لا تحالف » . وعندما اختاره وزير الحقانية على ماهر - ١٩٣١ - ليكون مستشارا بالاستئناف رفض الملك فؤاد التوقيع على مرسوم التعيين ، غير أن على ماهر هدد بالاستقالة من الوزارة ، وقد ظل مستشارا فى محكمة الاستئناف تسع سنوات رشح بعدها ليكون مستشارا فى محكمة النقض غير أن على ماهر كان قد اختاره وزيرا للحقانية : من نواب الحزب الوطنى ، ومن

شيوخه أيضا ، أهدى مكتبته - ٣٥٠٠ كتاب - الى نقابة المحامين وكان قد تجاوز ال ٨٥ عاما من عمره وكانت قيمتها وقت اهدائها - ١٩٦٤ - تزيد على العشرة آلاف جنيه و ٠٠ و ٠٠

أما عبد الرحمن عزام ، فقد كان من خيرة الذين حملوا لواء الوحدة العربية ، والاسلامية ، فى مصر ، واليه يرجع فضل التفكير المبكر ، فى انشاء الجامعة العربية ، وقد عرفت عبد الرحمن عزام سنوات طويلة عندما أتبع الى كصحفى ناشئ أن أتابع أخبار الجامعة العربية ، بعد انشائها بسنوات قليلة ، ولم يكن رأبى وقتئذ - كما هو الآن بالطبع - فى الجامعة العربية ما يسر الأمن العام للجامعة ، وعندما كنت ألتقى به وأذكر له اعتراضاتى كشاب قاصر على مجريات الامور فى الجامعة العربية ، كان عبد الرحمن عزام يتقبل تلك الآراء بصدر رحب ، بل كان فى كثير من الأحيان يوافقنى على بعض آرائى ، وكان يقول لى باستمرار : انها مجرد خطوة للعمل العربى المشترك .

وفى بعض الأحيان ، كان يسألنى ، وأنا أحاوره : لو خيرت وكنت أنت فى مكائى بين اتخاذ هذه الخطوة ، وعدم اتخاذها ؟ هل كنت تختار عدم قيام الجامعة العربية أم قيامها بتلك الصورة ، الضعيفة ؟

وفى الواقع ، كنت - وقتئذ - لا أرى ما يمنع من الانتظار وقتا أطول لكى تقوم الجامعة العربية قوية منذ البداية ، بدلا من أن تقوم بتلك الصورة الهزيلة . وكان عبد الرحمن عزام - يرحمه الله - يتسهم ويقول : هذه دائما ثورة الشباب ، عندما كنت فى مثل سنك ، كنت أقول هذا الكلام ولم أكن أقبل مثل هذه الخطوات البسيطة والضعيفة ، ولكننى عندما تجاوزت تلك المرحلة ، وعندما وجدت على الطبيعة ظروف البلدان العربية كلا على حدة ، وظروف البلدان العربية مجتمعة ، وجدت أنه من المصلحة الترحيب بتلك الخطوة على أن تتبعها خطوات أخرى تطور العمل العربى وتزيده قوة ، وترابطا واندفاعا . على أننى كنت باستمرار - ولعل لا أزال كذلك حتى اليوم - أرى أن ضعف الجامعة جاء بسبب عدم التزام الأعضاء فى الجامعة بميثاق الجامعة ، وكون الدول التى تنفذ قرارات الجامعة ، هى تلك التى توافق عليها ، أما الدول التى لا توافق على أى قرار ما فهى غير ملتزمة بالطبع بتنفيذ ذلك القرار ، كما أن من أهم أسباب ضعف الجامعة ، كونها ملتزمة بأراء الحكومات ، وكون التنظيمات الشعبية التى تمثل الملايين من المواطنين العرب ليست بداخلة فى اطار الجامعة العربية ! و ٠٠ و ٠٠

وحياة عبد الرحمن عزام - كما سبق لى أن قلت - مليئة بجلائل الأعمال ، تعطى الدليل القاطع على أن الايمان بالقيم والمثل العليا ، لا يمكن أبدا - أن يتحول الى العكس : قد يصاب ذلك الايمان فى بعض الفترات بالضعف نتيجة

لعوامل خارجية ضاغطة ، ولكن ذلك الايمان لا يمكن أبدا أن يتلاشى أو يتجه الى طريق آخر ، وبمعنى أدق لا يمكن أبدا لصاحب القيم ، والمبادئ ، والمثل العليا ، وخاصة اذا كانت تلك القيم والمبادئ ، والمثل العليا ، نابعة عن عقيدة دينية راسخة أن يتخلى - مهما ووجه بالصعوبات والمشاق - عن كل ما يؤمن به ، وما يعتقد أنه الحق ، والعدل ، وحياة رجل كعبد الرحمن عزام عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات ، فيها فترات قوة ، وفيها فترات ضعف ، وفيها فترات تتميز بالاندفاع ، وفترات أخرى تتميز بالحكمة والاناة ، ولم يحدث أن عبد الرحمن عزام - الذي كان مضطرا في بعض الأحيان ، الى الاعتكاف أو العزلة - أن عمل عملا ما صغيرا ، أو كبيرا ، يختلف مع ضميره وجدانه ، وتلك هي الميزة الكبرى لتلك الشخصيات الرائدة ، التي قد تجد نفسها عاجزة عن العمل في بعض الأحيان ، وقد تحترق وهي في حالة العجز هذه ، ولكنها لا يمكن أبدا تحت أي ضغط مادي أو أدبي ، أن تعمل عملا لا تؤمن به .

وعندما كان عبد الرحمن عزام طالبا في المدرسة السعيدية أنشأ جمعية سماها جمعية « الرابطة الاسلامية » - وكان وقتئذ متأثرا بأفكار الحزب الوطني - لبث الحمية في نفوس الشيبية ، وفي لندن بدأ يدرس الطب من عام ١٩١٢ ، ولكنه لم يكن يميل أبدا الى هذا النوع من الدراسة التي لا تتفق مع مواهبه ، واستعداده ، ولكنه رغم ذلك راح يقبل على دراسة الطب اقبالا شديدا ، وفي لندن أسس جمعية « أبو الهول » ودعا هو وزملاؤه في الجمعية الزعيم محمد فريد ، ليقم معهم أياما أعربوا فيها له عن حبهم ، وإخلاصهم وزودهم هو بفيض من وطنيته الصادقة ، و ٠٠ عندما قامت الحرب البلقانية وكانت الهزائم تلحق بتركيا دولة الخلافة الاسلامية ، أصر على أن يلتحق بالقوات التركية فاخترق غرب أوروبا ووسطها بالقطارات حتى وصل الى ميناء تريسته على بحر الأدرياتيك وليس معه جواز سفر ولا تأشيرة لدخول أي من الدول التي تطل على بحر الأدرياتيك ، بل لم يكن معه أية ورقة الا خطاب من محرر جريدة عمالية بريطانية يؤكد أن عبد الرحمن عزام مراسل لتلك الجريدة ، المتواضعة التي لا يقرؤها أحد خارج لندن ، ومع صعوبة موقفه ، دخل النمسا ، والمجر والجبل الأسود الى أن تعرف على بعض الثوار الأرناؤوط الذين استضافوه ومكنوه من الوصول الى استمبول حيث استقبله الشيخ عبد العزيز جاويش وقلعه الى كبار الشخصيات العربية ، والتركية ، ومن استمبول اتجه الى أدنة حيث انضم الى قوات الجيش العثماني ، التي كانت تقاقل الثوار .

ولم يكن عبد الرحمن عزام وقتئذ ، قد تجاوز العشرين من عمره ، وقصة عبد الرحمن عزام في الحرب البلقانية كقصته في الحرب العالمية الأولى ، فكل قصص عبد الرحمن عزام تتميز بالبطولة والرجولة والفداء ، وكلها حقيقة تصلح أن تكون مثلا يحتذى ، لا لشباب مصر ، والعالم العربي ، والعالم الاسلامي وحسب ، وإنما لشباب الدنيا كلها .

وبعد تلك الرحلة الطويلة مع تلك الشخصيات الوطنية التي أثار اشتراكها في وزارة على ماهر باشا الثانية نائبة الانجليز نعود الى الأجواء السياسية المصرية ، والعربية والدولية ، التي كانت تعيش فيها وزارة على ماهر باشا ، وزارة الأزمات ، والتحديات ، والجدير بالذكر أنه بعد أيام من تشكيل وزارة على ماهر أعلنت الحرب العالمية الثانية ، وبمقتضى معاهدة ١٩٣٦ ، وبناء على اشتراك الحليفة بريطانيا في تلك الحرب تم فرض الأحكام العرفية في جميع أنحاء مصر ، وخول على ماهر باشا رئيس الوزراء السلطة في اتخاذ كل التدابير الواردة في نظام الحكم العرفي والمحافظة على النظام والامن العام ، وزعم أن حزب الاحرار الدستوريين لم يكن مشتركاً في الوزارة ، الا أن محمد محمود باشا رئيس الحزب ، قد أكد لعل ماهر باشا تأييده وتأييد حزبه له ، في هذا الموقف الدولي ، المكفهر وكان الشيخ المحترم ، لويس فانوس عضو الهيئة الوفدية قد ابرق الى على ماهر باشا مؤيداً ، دون انتظار لقرار الوفد ، في هذا الموضوع ، فبدأ الوفد يحاسبه لخروجه على الخط الحزبي .

ومن الأمور الطريفة ، ان مجلة المصور أجرت استفتاء لبعض الشخصيات الهامة حول مدة الحرب ، وقد كان من رأى عبد القادر حمزة باشا - صاحب جريدة البلاغ - أن الحرب ستطول الى سبعة أعوام ، وأن الحلفاء سينتصرون بعكس رأى الاستاذ عباس محمود العقاد - فيما يتعلق بمدة الحرب - الذي قال أن الحرب لن تطول أكثر من عام ونصف ، وقد كان من رأى العقاد - أن روسيا لن تنتصر لألمانيا في هذه الحرب لأنى - العقاد - لا أثق في أغراضها ، وموانيقها كما كان من رأى العقاد أيضاً ان إيطاليا لن تخرج على حيادها ولن تشتبك في الحرب ، أما الاستاذ عزيز خاكي بك فقد كان من رأيه أن الحرب لن تطول أكثر من سنة واحدة . وأن ألمانيا ستنهزم في تلك الحرب وسيقضى على الهتلرية بالقضاء الأخير .

وكان من القضايا التي أثارت اهتمام الرأى العام وقتئذ القضية التي حركتها النيابة العامة ضد مصطفى النحاس باشا لانه في إحدى خطبه ، نسب الى د . أحمد ماهر . وزير المالية وقتئذ أموراً اعتبرتها النيابة قذفاً في حقّه ، وظلت الدعوى قائمة حتى بعد خروج أحمد ماهر باشا من وزارة المالية ، وكانت هيئة الدفاع عن مصطفى النحاس مكونة من مكرم عبيد ، أحمد نجيب الهملاي ، ومحمد صبرى أبو علم ، وعبد الفتاح الطويل ، ويوسف الجندى ، وكامل صدقى ، وعبد الحميد عبد الحق ، وكان محامى الدكتور أحمد ماهر ، المدعى بالحق المدنى والمطالب بمبلغ عشرين ألف جنيه كتعويض هم إبراهيم الهلباوى ، محمد موسى بدر ، محمد توفيق خليل ، وعبد الرحمن البيل و . . و . .

وقد كانت الصحافة ممثلة في مجلس الشيوخ بفارس نمر باشا ، وعبد القادر حمزة باشا وأنطون الجميل بك ، و خليل ثابت بك ، وكانوا كلهم من الأعضاء

المعينين . أما ممثلو الصحافة في مجلس النواب فقد كانوا : جبرائيل تقلا
« دائرة تكلا » محمود أبو الفتوح « دائرة نقطة العرب » فكرى أباطة « منيا القمح »
عباس محمود العقاد « العامرية » .

وقد كان الشباب مندفعاً ، الى التدريب العسكرى ، وكان د. محبوب بك
ثابت يولى هذا التدريب كل اهتمامه ، وكان هناك نشيد قومى عسكرى ، الفه
الأستاذ حسن اسماعيل ، ولحنه « الطالب » عبد الحميد توفيق زكى وكان من
بين كلمات ذلك النشيد :

نحن السيوف المشرعات للعدا
أرواحنا للنيل ، والعرش فلدا
إذا دعت مصر رفعنا العلم
وفى دم الأعداء خضنا أسدا
تخالنا الأبصار ، زوايها من نار
فى عزمه الجبار ، فى قوة الأقدار
نحن السيوف المشرعات ، نحن الرعود
العاصفات ، فى الهول لا نخشى الدماء

وكانت كلمات ذلك النشيد تنتهى كما يلى :

يا شباب التضحيات هات مجد النيل هات وابعث النور الجديد



وكان شعار الجيش المرباط ، الذى صدر بتشكيله مرسوم ، وتم تعيين
الأستاذ عبد الرحمن عزام وزير الأوقاف قائدا عاما له كان شعاره الآية الكريمة
« يا أيها الذين آمنوا اصبروا ، وصابروا ، وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

وكان فى مقدمة الذين تطوعوا للخدمة العسكرية النائب المحترم « أحمد
مرتضى المراغى » الذى قال ان أحب شيء الى نفسه أن يحمل السلاح ، ويرتدى
ثياب الأنفار ، ويشترك مع اخوانه المصريين فى الجهاد والدفاع عن سلامة
البلاد ، كما كان حسن أنيس باشا أول الطيارين المصريين الذين تطوعوا
للاشتراك فى الحرب دفاعا عن سلامة الوطن .

وكان ابراهيم عبد الهادى بك ، يطلق عليه فى وزارة على ماهر باشا الثانية
لقب وزير الشباب .

وقد تحدث فى ٢٨ نوفمبر ١٩٣٩ القائد العام للجيش المصرى عزيز على
المصرى عن الجندى المصرى فقال : بعد الرحلات العديدة التى قمت بها منذ أن

عهد الى برياسة أركان حرب الجيش المصرى ، أقول أن العسكرى المصرى -جنديا ، كان أم ضابطا - يستطيع أن يقوم بكل ما يعهد اليه كارقى عساكر العالم ، فالخامة اللازمة لصنع الجيش المصرى المطلوب اذن موجودة وهى من نوع جيد متين وفى الامكان عمل الأنواب اللازمة منها متى وجد من يجيد ، هذا العمل ، ومتى وجد المال اللازم ، .

ويقول عزيز على المصرى ، ان الجيش المصرى فى حاجة الى الشباب الى جهود الشباب وحماس الشباب ، وما من جيش قوى فى العالم ، الا كان الشباب عدته وغذاه ، ولست أقصد شباب الجسوم فقط ، وإنما شباب النفوس كذلك ، النفوس الطاهرة ، المخلصة . ولا يرحب عزيز المصرى بانشاء أسطول بحرى اذ أن اجزاء الدفاع الساحلى تامة ووافية ولكن لا خير من أن يكون لمصر أسطول صغير يعاون الدفاع الساحلى فى صد أى هجوم على حدودنا المائية . اذا أريد لمصر ، أن تنفرد بالدفاع عن نفسها ، ويقول اللواء حسن عبد الوهاب باشا مدير سلاح الطيران : ان مدير سلاح الطيران ، لا يجب أن يكون مديرا فالطيران فى ذاته شئ ، والادارة شئ آخر . كما يقول : أثبت الطيارون المصريون كفاءة ممتازة تستحق الثناء ، والاعجاب . وقد أثنى على الطيارين المصريين السير وليام متشل قائد الطيران البريطانى فى مصر ، والشرق الأدنى ، وينفى مدير سلاح الطيران وجود أية طائفة فى مدرسة الطيران ، زاد طيرانها على ١٠٦٧ ساعة ، وعن حوادث الطيران يقول اللواء حسن عبد الوهاب باشا : هذه الحوادث ترجع الى انفعاى عصبى ، قد يصيب بعض الطيارين المبتدئين ، ومثل هذه الحوادث تقع فى أية مدرسة طيران فى العالم ، بل ان مدرسة الطيران البريطانية فى أبو صوير وقعت بها حوادث لا تقل فى عددها ، عن أربعة أمثال الحوادث التى وقعت فى مدرسة الطيران المصرية .

وقد كان الى جانب المعارك التى تدور رحاها فى أوروبا معركة هامة وخطيرة أثارها الأستاذ توفيق الحكيم ، عندما نشر له المصور .

« ١١ نوفمبر ١٩٣٩ » حديثا هاما يقول فيه « لا وجود للزوجة الصالحة فى مصر » ، وكان بداية تحرش الأستاذ توفيق الحكيم للمرأة رده على السؤال التالى: ما رأيكم فى المرأة المصرية لا بصفتكم عدو المرأة بل بصفتكم من المسئولين الآن ، عن نهضتها فى وزارة الشئون الاجتماعية ؟ وكان رد الأستاذ توفيق الحكيم : لا تذكرنى بالمرأة ان الحديث عنها سواء بصفتى الشخصية أو الرسمية ، لما يعكر الدم ، لن أكثر من الفاظ النعمة والغضب ، ولكن أسوق اليك فى هدوء حديثا دار بينى أخيرا وبين نخبة من خيرة شباب مصر المسئول ، أولئك الذين اضطلعوا فعلا بأعباء ملحوظة فى المجتمع ، لقد اتفق هؤلاء بالاجماع على أنهم لا يجدون فى مصر الزوجة التى تصلح لهم زوجا ، وليس فى قولهم مبالغة فالمرأة الآن فى مصر ، احدى اثنتين : واحدة تخرجت بنجاح من دور السينما والملاهى ، وحذقت تقليد ممثلات

هوليود ، الرقيعات ورأت كلود كولير تصفع زوجها في الرواية على حده الأسيل فيمسح مكان الصفع بالمنديل ، وراحت تراقص هذا وذاك وتجلس على مقعد « البار » العالى ، وتمدد على أديم الرمال ولا تعرف من شئون الدنيا والآخرة ، غير الكلام فى الجاذبية وقلة الجاذبية التى عند الرجال ، ولا تدرك أن عليها لزوجها واجبات فهى ليست مسئولة عن بيت ولا مطبخ ، ولا أولاد لان هذا من عمل الخدم والمربيات . أما هى فوظيفتها فى الصباح الطواف بحوانيت الزينة والذهاب الى الخياطات ، وفى الظهر استقبال زوجها بالطلبات ، وفى العصر التعلق برفقته ليخرج معها الى النزهة ، أو يدعها تذهب الى زوزو وشوشو ، وموشو للعب البريدج والكونكان : أظنك توافقنى على أن الرجل المحترم المسئول هو آخر من يفكر فى قبول مثل هذه المرأة شريكا محترما يسير الى جانبه فى طريق حياة جذية قد تكون عقيمة الاثر فى تاريخ بلاده ، أما النوع الثانى من المرأة فى مصر اليوم فهو نوع تخرج بنجاح فى المدارس والجامعات فحذق بتقليد الرجل فى جهله بشئون البيت ومعرفته بأراء أفلاطون وأبو العلا .

والمعركة حامية ونكتفى بهذا القدر من تلك المعركة لننتقل الى معركة أخرى أكثر عنفا هى تلك التى دارت بين السعديين والدستوريين حول رئاسة مجلس النواب ، كما سيتضح فى الفصل التالى .

الفصل الثالث

معركة بين السعديين والأحرار الدستوريين حول رئاسة مجلس النواب

● سبق أن أشرت الى تلك المعركة التي أعلنها الأستاذ توفيق الحكيم ضد المرأة المصرية ، باعتباره وقتئذ - عام ١٩٣٩ - عدوا للمرأة ، أو هكذا كان يقول هو عن نفسه ، أو يحب أن يقال عنه أنه كذلك ، بالرغم من أنه في حقيقة الأمر ، لم يكن كذلك أبدا : لقد كان توفيق الحكيم ، ولا يزال في مقدمة أنصار المرأة ، وإن كان يحلو له بين الحين ، والحين « مناوشتها » و « مناغشتها » و « جر شكلها » .

وكنا قد وقفنا عند الرأي الذي أبداه توفيق الحكيم في المرأة المصرية ، وكونها واحدة من اثنتين : واحدة تخرجت بنجاح ، من دور السينما والملاهي ، وحذقت تقليد ممثلات هوليوود الرقيعات ، والثانية تخرجت بنجاح في المدارس والجامعات فحذقت تقليد الرجل في جهله بشئون البيت ، ومعرفته بآراء أفلاطون ، وأبي العلاء .

يشير توفيق الحكيم الى ذلك النوع من النساء حائزات البكالوريا ، أو الدبلومات اللاتي قد يصلحن للتدريس أو التوظيف ولكنهن لا يصلحن زوجات ونساء يعرفن أفلاطون ، ولا يعرفن كيف تقلى بيضة ، فاذا مرض الطباخ أو خرج تغاضى الزوج المحترم بزيده ، أفكار أفلاطون ، أما خريجات المدارس الأجنبية ممن تعلمن قشور اللغة الفرنسية ، أو الانجليزية ، ومبادئ البيانو ، فانهن عزائس جوفاء ، صنعت في حوانيت « الميردى ديو » أو « الدام دى سيون » ، لتوضع مع جهاز العرس ، في بيت زوج مسكين كتب عليه أن ينكب بحمل هذه الدمية المتحركة الناطقة بمون شير وما شيرى من حيث أراد معينا يعينه على حمل متاعب الحياة .

وكلتا المرأتين لم تفهم بعد ما تعلمته في هذه المدارس ، المختلفة غير شي .
واحد : حقها المطلق في السيطرة على الرجل ، واخضاعه ، وعدم طاعته ، وجعله
خادما لمطالبها نازلا على ارادتها ، واعتبار أى حق له في القرار ، أو الأمر ،
والنهي ، تأخرا يقابل من المرأة بالاحتجاج والازدراء .

ويشير توفيق الحكيم الى ما جاء على لسان زوجة فاضلة في احدى القصص
الفرنسية الشهيرة -التي قرأها مصادفة : « منذ الأيام الأولى لزواجي رسمت
لنفسى خط سير محدد ، هو أن أسمع ، وأعمل كل ما يريده زوجي ، ولم أنحرف
أبدا عن هذا المبدأ ، ولقد وجدت نفسى بذلك على خير حال ، اذ بفضل ذلك جعله
زوجي يسمع ، ويعمل كل ما أريد ، هنا سر سعادتي ، وهى كما ترى قائمة على
هذا المبدأ البسيط فلتفعل الزوجة ما يعجب زوجها ، يفعل هو ما يعجبها » ثم
يتساءل توفيق الحكيم : هل نستطيع أن نعدد كثيرا من الزوجات عندنا اليوم
يسرن على مثل هذا المبدأ البسيط ..

وعندما يسأل توفيق الحكيم : كيف تكون الزوجة الصالحة في نظره ؟
يجيب قائلا : الزوجة الصالحة في نظرى هى تلك التى أستطيع أن أكل من
طهو يدها طبقا واحدا شهيا ، ولو «صينية بطاطس في القرن» ، وألبس من صنع
يدها رداء صغيرا ، ولو « طاقية نوم من الكستور » ، وأجد من حسن ذوقها في
ملبسها وزينتها ، ونظام بيتها منظرا جميلا ، ولو ببضع زهرات في انا ، وأسمع
من فمها حديثا عذبا ، ولو « حدوة القط والفار ؟ » ، وأرى في وجهها ملامح
لطيفة تنم عن حلوة النفس ، ورقة الطبع وطهر القلب ونبل الروح ، ثم أريد
بعد ذلك أن تقف حياتها على صنع كل ما أريد ، وأنا ضامن بانها سوف تجعلنى
بذلك أصنع كل ما تريد . وهذا ما أثق بندرته في المرأة المصرية اليوم ، ان لم
يكن من المستحيلات ..

ويقول توفيق الحكيم ضمن ما يقوله في حملته الشعواء بـ كما قاله
المصور - عن المرأة المصرية . ان المسئول عن النوع الأول ، المقلد لمثلات السينما
هم الأمهات والآباء بتهاونهم في غرس المثل العليا السليمة في نفوس بناتهم ،
وبتراخيهم في استعمال سلطتهم الأبوية وانصرافهم عن الاشراف الدقيق على
تربية البنات أما المسئول عن النوع الثاني ، المتخرج في المدارس والجامعات
فهى السياسة القديمة لوزارة المعارف في التعليم ، فقد نجحت هذه السياسة
في قلب البنات الى صبيان ، والصبيان الى بنات ، فالبنت تحشو رأسها بكتب
الولد ، والولد يرتب شعره اللامع ، كالبنات ، ويقرأ في مثل كتبها ، فلا ترغب
في قوة الشخصية ، ولا تدريب على ما ينمى روح الرجولة .

ويقول توفيق الحكيم أنه بفضل الزوجة التى تكون نفسها ، بنفسها ،
وتقرأ للتسلية والفائدة في أوقات فراغها ، وتعتمد في ثقافتها على مطالعتها .

ومجهوداتها الشخصية ، ولا أطلب في الزوجة ثقافة عليا ، ولكن أريد أن تستطيع مشاركة زوجها في سيره الطويل الشاق ، في طريق الحياة •

وينهى توفيق الحكيم حديثه الثائر بقوله : كم أثرت في نفسى صورة أخيرة للمستتر تشمبرلن وهو يمشى الى جوار زوجته متنزهين في أحد الطرق ، كل ما فى هذه الصورة يدل على أن هذين الزوجين قطعاً معا على هذا النحو طريق الحياة بما فيه من هناء ، وشقاء • كذلك أثرت في نفسى كلمة اهداء صدر بها أحد كبار رجال السياسة فى فرنسا كتابا له ختم به حياة كلها كفاح : « الى زوجتى التى تشاركنى أيامى البيض وأيامى السود » ، فالى أن توجد فى مصر ، مثل هذه الشريكة لن تجد بكثرة رجالا عظاما يحتملون السير وحدهم فى طريق الجهاد والمجد حتى النهاية •

وكان المصور ، قد اختار لحديث توفيق الحكيم عنوانا مثيرا هو : لا وجود للزوجة الصالحة فى مصر ، وصدره بالعبارة التالية : « ان المرأة التى تصنع لى صينية بطاطس فى الفرن ، أجدى عندى من المرأة التى تقدم لى جميع دبلومات الفلسفة » •

وكان المصور أيضا قد قدم حديث توفيق الحكيم بالكلمة التالية : اشتهر صديقنا الكاتب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم بعدائه للمرأة ، ولكننا لم نكن نتوقع عندما سألناه أن يحدث قراء « المصور » عن المرأة المصرية أن يحمل عليها هذه الحملة الشعواء ، ولذلك نفسح المجال للرد عليه – رد الجنس اللطيف طبعاً – وسنرى أى الفريقين سينتصر فى النهاية !

وتكون الآنسة ايغا حبيب المصرى ، رئيسة تحرير « المصرية » أول من يتولى الرد ، ويعنف على الأستاذ توفيق الحكيم •

ويختار « المصور » لمقال الآنسة ايغا العنوان التالى : « الصراع بين عدو المرأة والجنس الناعم : الزوجة الصالحة موجودة فى مصر ، ويكون لمقال الآنسة ايغا حبيب المصرى عنوان فرعى : اختير من بين كلماته : لا يستطيع الحكم التنزيه رجل يعترف بأنه « معكر الدم » فالتفكير السليم ، وتعكير الدم لا يجتمعان •

وتبدى ايغا حبيب المصرى دهشتها لصدور الحديث من مؤلف عودة الروح ، وأهل الكهف ، وعصفور من الشرق ، وغيرها من القطع الأدبية الرائعة ، التى يلمس فيها القارئ سمو الفكر ، والولع بالفن وبالروحيات ، وتقول : لقد طالما شاع وذاع أن الأستاذ توفيق الحكيم عدو المرأة ، وكنت أعتقد ان مثل هذا القول دعابة أدبية أو أنه ان صحت عداوته للمرأة فان ذلك يرجع الى أنه مثل بيجماليون فى تلك الأسطورة الاغريقية القديمة الجميلة ، قد رسم للمرأة فى خياله تمثالا بديعا فيه كل معانى السمو ، والجمال ، والكمال ، فكل مقارنة بين

الحقيقة والخيال ، تجعل الحقيقة شاحبة اللون الى جانب الصورة الرئيسية في ذهنه . وتقول ايضا متسائلة : أتكون تلك الدعاية حقيقة واقعة ، وهل يكون الكاتب الكبير ، عدوا للمرأة حقيقة كارها لها ناقما عليها ، أو موتورا منها ، وتقول بعد ذلك التساؤل : انها ليست صحيحة الحق ، والعلم ، والنور ، بل هي صحيحة الكره والنقمة ، والكره كالحب أعمى ، بل لعله أكثر من عمى .

وتدافع الآنسة ايضا حبيب المصرى دفاعا رائعا عن المرأة المصرية وتقول ضمن ما تقوله في دفاعها : اذا كان طهو صينية البطاطس هو مقياس صلاحية المرأة للزوجية والأمومة ، فأين التنافر بين العلم ، والطهو ، وما الذى يمنع المرأة ، المتعلمة عن أن تجيد الطهو ، وتجيد العناية بشئون زوجها ، وشئون أولادها ، وشئون مملكتها البيتية عامة ! كما تقول : أن التعليم الصحيح ، هو الذى يوسع الآفاق ، أمام المرأة فيجعلها زوجة صالحة وأما صالحة ، ومديرة بيت صالحة ، تحسب حساب الدخل ، والمخرج ، وتعرف مدى المسئولية ، وتقدر لنفسها كرامتها وكرامة زوجها وأولادها ، وتجعل فوق ذلك أقدر على حسن الطهو ، والاضطلاع بشئون المنزل .

وتنهي ايضا حبيب المصرى مقالها مخاطبة توفيق الحكيم قائلة : تعال يا سيدى معى ، وأنا أريك سيدات من أرقى السيدات وأوسعهن علما وثقافة. لم يعرفن ولن يعرفن الجلوس الى المقاعد العالية فى البارات ، هن اللاتي يضعن ميزانية البيت ، ويراقبن المطبخ ، ويتولين الطهو عند اللزوم ، ويعتنين بشباب الأولاد والزوج ، ولكن ، الدمى ، الدمى وحدهن هن اللاتي ، لفتن نظرك وعليهن وحدهن ، بنيت حكمك الغاضب الحانق ، انك يا سيدى رفيع المرتبة فى عالم الفضل ، ولك كلمة مسموعة نافذة ، فلا توجه الشباب المضى مثل هذا التوجيه الجائر ، الظالم ، الضار ، اجعل للروحانيات وللمثل العليا ولحاجتنا الشديدة الى تقويم أخلاق الناشئة مكانا من عنايتك وجميل تفكيرك ، ولعلك راجع الى الحق ، والانصاف ، فمثلك لا يصر على باطل .

وفى عدد ٢٤ نوفمبر ١٩٣٩ يفرد المصور أكثر من صفحة ويختار عنوانا مثيرا هو : « ثورة على الأستاذ توفيق الحكيم » وتشترك فى تلك الثورة عليه : هدى هانم شعراوى ، شريفة هانم رياض ، حرم محمد على علوبة ، وإبتسبام ممتاز « كلية الحقوق » وفاطمة فهمى « كلية الآداب » بالاضافة الى الآنسة بشينة عبد العزيز فهمى ، والآنسة نعمت حامد محمد .

قالت هدى هانم شعراوى : أؤكد أن مقال الأستاذ توفيق الحكيم قد ترك أثرا سيئا فى نفوس الكثيرين : زوجات وأزواجا وبنات وشبابا ، بل لعل لأبالغ اذا ما قلت أنه ما من أحد الا استاء مما قال .

وتقول هدى شعراوي : عجيب حقا ، أن تكون واحدة أو عشرة أو مائة أو مئات سببا في أن يطلق حكمه على المصرية ، ويعلن ألا وجود للزوجة الصالحة في مصر . ألم تكفه أزمة الزواج ؟ وهل يظن أنه بث تلك الروح في شباب مصر يؤدي خدمة لبلده أو يكون قد أصلح من شأن المرأة أم أنه يرمى إلى حت الشباب على الزواج من الأجنيات ما دامت مصر قد عقلت ولم تعد بنا لزوجة واحدة صالحة .

وتهاجم هدى شعراوي في كلمتها التي اختارت لها عنوانا عوا أسوأ دعاية من مدير الدعاية ، مهاجم توفيق الحكيم في الصميم ، ولقد كنت أعجب . كلما سمعت أن الأستاذ الحكيم عدو المرأة وزاد عجبى حينما وجدته عدوا ، للمرأة المصرية بالتحديد عداوة تنسيه واجبه ، كقائم بأمر الدعاية في وزارة الشؤون الاجتماعية ، وكمصرى عليه واجبات في مقدمتها النزاهة والانصاف ومعالجة أوجه النقص ، ليصل إلى الكمال لا الهدم ، والتخريب وبث روح التشاؤم والتشهير !

أما السيدة شريفة هانم رياض فقد رأت ان الذي يجب أن يرد على توفيق الحكيم هم الأزواج : لا الزوجات كي يلزموه بالحجة . وتقول في اعتقادي أن الأزواج قد ردوا جميعا عليه وفي كل يوم يردون ، بما يتعارض مع كلامه ، ذلك لاننا ولله الحمد لم نسمع من أحد من ملايين الأزواج بل وملايين العزاب ما قاله توفيق الحكيم ونحمد الله ، على أن واحدا فقط هو الذي انطلق لسانه بهذا الكلام .

وتقول ابتسام ممتاز تحت عنوان « حتى أنت يا بروتس » أكبر ظني أن الأستاذ توفيق الحكيم أصابته صدمة في زمن ما من امرأة لم يكن ليوافق مشاربها ، وميولها أو العكس ، ولم يكن التفاهم بينهما على ما يرام فخببت آماله فيها فرماها ورمى جنسها جميعا بالنقمة ، والغضب .

وتقول فاطمة فهمي للأستاذ توفيق الحكيم : اسمح لي يا سيدي أن أقول لك بدوري أنه لا وجود للزوج الصالح في مصر ، وان شئت فاني مستعدة لتقديم الدليل !

وتردد نعمت حامد محمد قول الشاعر عن المرأة :

هي شيطان ان أفسدتها

فاذا أصلحتها فهي ملك !

وينشر المصور فيما بعد العديد من رسائل القراء ، والقارئات ويكون نشر الرسائل تحت عنوان : عدو المرأة بين خصومه وأنصاره . ثم يعلن المصور في

عدده الصادر فى ٨ ديسمبر ١٩٣٩ عن صدى حديث توفيق الحكيم وكيف أن أحد الشيوخ المحترمين وجه سؤالاً الى وزير الشؤون الاجتماعية عن حديث توفيق الحكيم ، وعما اذا كان يعبر عن رأى الوزارة : وقد انتهر الأستاذ توفيق الحكيم الفرصة فأرسل الى وزير الشؤون الاجتماعية كتاباً قال فيه : أنه ليسرنى أن تتاح لى الفرصة لأبين أن سياق الحديث ومرماه ينصرفان بطبيعتهما الى ذلك الفريق . الذى أضر فعلاً بسمعة الفتاة المصرية لسوء فهمه مقتضيات العصر الحديث فأهمل البيت وحسب الرقى فى الترفع عن واجب المرأة الأسمى ولعل صراحتى التى تدفعنى إليها دائماً رغبتى الطيبة والاطار الصحفى الذى وضع فيه الحديث قد أثاراً بعض الشيء زوجات صالحات لم يدخلن فى مرمى حسابى ، عندما ألقيت الكلام الى هؤلاء أقدم أسفى وأرجو منهن أن يكن معنا عوناً على هداية كل امرأة تفضل طريق التقدم الحقيقى وإذا كانت الصفة الشخصية لحديثى قد حالت دون ذكر تفصيل الوسائل الكفيلة بتحقيق هذه الغايات فانى أعلن ان تفكير معاليكم يتجه الى تدبير الأسباب المؤدية الى اعداد الجيل الصالح من فتيان وفتيات !

ويعقب المصور على خطاب توفيق الحكيم لوزير الشؤون الاجتماعية الذى كان توفيق الحكيم يتبعه من الناحية الوظيفية كمدير للدعاية فى وزارة الشؤون الاجتماعية ، يعقب المصور معلناً سروره « لانتها هذه المعركة الى نهايتها الواجبة بفضل وزارة الشؤون الاجتماعية وبفضل الأستاذ توفيق الحكيم ، ثم بفضل المصور ، الذى استطاع أن يبرز الرأى العام ، بقوته ، وتياره الجارف ثلاثة أسابيع وهكذا يوضح الأستاذ الكبير توفيق الحكيم موقفه على حقيقته وكما أراد فى الواقع وهكذا تخرج الزوجة المصرية ، والفتاة المصرية ، من المعركة بفوز أدبى حاسم » .

وهكذا تنتهى المعركة التى أثارها توفيق الحكيم ضد المرأة المصرية . . . تنتهى بتفهم الأستاذ توفيق الحكيم ، تنتهى بعد أن « كسب » الأستاذ توفيق الحكيم المزيد من عداوة المرأة ، كما « كسب » فى نفس الوقت المزيد من الدعاية ، بوصفه عدواً للمرأة ، وهكذا أثبت مدير الدعاية بوزارة الشؤون الاجتماعية أنه خير بفتون الدعاية .



وننتقل بعد تلك المعركة الساخنة ، الناعمة فى نفس الوقت ، الى الحديث عن بعض ما كان يشغل الرأى العام المصرى ، فى تلك المرحلة من مراحل التاريخ، المصرى ، مرحلة وزارة على ماهر باشا الثانية !

لم تكن الأمور تسير سيرا حسناً بالنسبة لوزارة على ماهر باشا فيما يتعلق بمجلسى البرلمان ، فالسعديون ، الذين قبلوا المشاركة فى وزارة على ماهر لم

يكونوا يملكون الأغلبية ، بينما الأحرار الدستوريون ، الذين لم يشتركوا في تلك الوزارة لانهم لم يرغبوا في الاشتراك فيها ، كما يقولون ، أو لان على ماهر باشا ، لم يكن جادا في أمر اشراكهم في الوزارة ، كما يقول هو ، والمتصلون به : الأحرار الدستوريون كان لهم في مجلس النواب ٨٩ كرسي ، وهي أقلية قوية ، كما أنهم يملكون في مجلس الشيوخ اثني عشر كرسي يمكن أن يشكلوا مع الوفد ، أغلبية محترمة في مجلس الشيوخ تستطيع اعاقه كل ما تريد الحكومة إصداره من تشريعات .

وكانت العلاقات بين الحزبين الكبيرين في مجلس النواب - حزب الهيئة السعدية - وحزب الأحرار الدستوريين - سيئة للغاية خاصة بعد أن أحس الدستوريون بمرارة لاشتراك حلفائهم السعديين في وزارة على ماهر دون أن يتضامنوا معهم ، في عدم الاشتراك فيها ، وكان سوء العلاقات بين السعديين ، والدستوريين من الأمور التي سببت أزمات كبيرة للحكومة وإن لم تستطع أن تصل الى حد النجاح في اعاقه عمل الوزارة الماهرية تماما .

وقد حاول بعض وسطاء الخير إعادة المياه الى مجاريها بين الأحرار الدستوريين والسعديين - حلفاء الامس - غير أن هؤلاء الوسطاء فشلوا في محاولاتهم ، خاصة وقد ظهر ان المشقة قد بعدت بين الحزبين البرلمانيين الكبيرين فالسعديون - على لسان محمود فهمي النقراشي باشا - يرون أن الدخول في الوزارة مسألة قومية ، وليست مسألة شخصية « وقد اعتقد السعديون أن المصلحة العامة تفرض عليهم الدخول في الوزارة ووثقوا ، أن تعاونهم مع أعضائها ، يحقق الغاية التي يرمون اليها على الدوام ، وهي إقامة الحق ونشر العدل واصلاح البلاد ، وتوطيد النظام ، والعمل لرقى الشعب وبث روح الفضيلة بين أفرادها ، وقد أبدينا وجهة نظرنا هذه للأحرار الدستوريين فلم يأخذوا بها » والدستوريون - على لسان أحمد خشبة باشا ، الذي كان مفوضا من قبل محمد محمود باشا ، أثناء اعتكافه أو مرضه بمعنى ادق في مرسى مطروح أثناء تشكيل الوزارة ، الماهرية - يقولون : ان على ماهر عرض عليهم الاشتراك في الوزارة على أن يكون الوزراء : أحمد خشبة باشا ومصطفى عبد الرازق بك وعبد القوى أحمد بك ، وأن يعين د. هيكمل وزير دولة في نوفمبر القادم ، ورأينا أن عبد القوى بك أحمد ليس من الأحرار الدستوريين ، وإن رفعة رئيس الوزراء قد آثر أن يحتفظ بوزارة العدل لمصطفى بك الشوربجي على اعتبار أنه فني ، وكأنتي لست فنيا في وزارة العدل ولكننا - أحمد محمد خشبة باشا - لم نرفض لأنه أخذت منا وزارات كنا نشغلها في الوزارة السابقة أو لأنه فرض علينا فرض وزيراً ليس منا ، أو ٠٠٠ بل لأننا رأينا من مفاوضاتنا مع على ماهر ، أن مصلحة البلاد تدفعنا الى هذا الرفض وقد حادثنا السعديون في موقفنا فأكدوا لنا انهم يرون أن مصلحة البلاد تفرض عليهم الاشتراك في الوزارة ، هذا بالرغم

من أن موقف محمد محمود باشا كان يرى حتى من قبل اعتكافه ، أو مرضه بمعنى أدق أن يدخل الدستوريون الوزارة اذا ما دخلها السعديون ، وان يرفضوها اذا مارفضها الدستوريون .

ولذلك ظلت العلاقات بين الحزبين متوترة الى ان كانت معركة رئاسة مجلس النواب فكانت المواجهة بين الحزبين « المتحالفين سابقا » ، كان محمد محمود باشا رغم تقديره واعازاه للدكتور أحمد ماهر ، يرى أن يكون رئيس مجلس النواب مستقلا لا حزبيا وقد رشح الأحرار الدستوريون بهي الدين بركات لمنصب رئيس مجلس النواب والذي أيده في نفس الوقت الوفديون . ولم يكن لهم في مجلس النواب أكثر من ١٢ كرسيًا هذا بينما أصر السعديون على ترشيح د . أحمد ماهر رئيس الهيئة السعدية رئيسا لمجلس النواب ، وكانت معركة من أعنف المعارك ، حاول فيها على ماهر أن يقف على الحياد ولكنه لم يستطع حتى لا يغضب السعديين شركاءه في الحكم ودخل السعديون المعركة بكل ما يملكون من قوة ، وأيدهم بعض المستقلين ، بل أيدهم - سرا - بعض الأحرار الدستوريين الذين كانوا على علاقات وثيقة بالدكتور أحمد ماهر ، بل ان أحد النواب الدستوريين الأستاذ شفيق جبر أكد علنا أنه لن يشترك في انتخابات رئيس المجلس لارتباطاته الوثيقة بأحمد ماهر وقد استأذن من حزبه في أن يتغيب عن جلسة الانتخابات فأذن له حزبه هذا بينما كان بعض أقطاب الدستوريين متحمسين جدا لبهى الدين بركات باشا نكابة في السعديين ، وقيل ان رشوان محفوظ باشا وزير الزراعة الاسبق ، الذي كان يرى أن السعديين مشاركون في عملية اقصائه من الوزارة قال عندما رشح الأحرار الدستوريون بهي الدين بركات باشا : « النهاردة بس بقى الأحرار الدستوريين أحرار دستوريين صحيح » ومع ذلك نجح أحمد ماهر في معركة الرئاسة وحصل على ١٤٤ صوتا وحصل منافسه بهي الدين بركات على ١٠٨ أصوات ، ووقف محمد محمود يهنيء صديقه القديم أحمد ماهر برئاسة المجلس ، كما وقف بهي الدين بركات يهنيء منافسه أحمد ماهر ، على ما حققه من فوز ، وهكذا لم ينجح - في مجلس النواب - تحالف الدستوريين مع الوفديين . وان كان هذا التحالف الوفدي الدستوري قد نجح في انتخابات مجلس الشيوخ حيث تم اسقاط مرشحي الهيئة السعدية ، ذلك لأن الوفد والأحرار الدستوريين كانوا يملكون - كما سبق أن قلت - أغلبية كبيرة في مجلس الشيوخ .

وأستأذن قارئى العزيز فى أن أنقل بعض ما جاء عن تلك المعركة الساخنة معركة رئاسة مجلس النواب : يقول د . محمد حسين هيكل : وافقنا على اعلان الأحكام العرفية ، ولم تكن موافقتنا تلك تعنى أن نفوسنا اطمأنت الى الوزارة الجديدة ، أو أننا نسينا ما حدث حين تأليفها بل كان ما حدث من دفع محمد محمود باشا للاستقالة ، ومن التماس الوسيلة لاقضاء الأحرار الدستوريين

عن الحكم عذرا لا مسوغ له في نظرنا وكان محمد محمود باشا قد استفاد من الهدوء ومن النشاط . ومن الصحة ما يسمح له بتولى زعامة المعارضة وكان بطبيعة الحال أشدنا غضبا من ذلك الغدر وأكثرنا حرصا على أن تظهر الوزارة الجديدة في صورة لا تحسد عليها وفكرنا في الخطوة التي نتخذها لدرك هذه الغاية فاستقر رأينا على إعادة ترشيح بهي الدين بركات باشا رئيسا لمجلس النواب وكان طبيعيا أن يقبل بهي الدين هذا الترشيح لانه رئيس المجلس بالفعل ، ولانه مستقل عن الأحزاب فلا شيء يدعو للتخلي عن هذه الرئاسة فلو أنه تخلى عنها لاعتبر الناس تخليه انضماما لحزب ضد حزب آخر ، وهو حريص على صفة الاستقلال عنده والناس حريصون على أن يكون رئيس مجلس النواب مستقلا ، حتى يكون حكما بين الأحزاب التي يتألف منها المجلس .

ولو أن على ماهر باشا وزملاءه في الوزارة كانوا يريدون جو سلام برلماني ويرتفعون برياسات الدولة فوق الاعتبارات الوقتية لوافقونا على ترشيح بهي الدين باشا ولما كانت هناك معركة حول رئاسة مجلس النواب ولاستقر في مصر تقليد صالح أن يكون رئيس مجلس النواب مستقلا ، فإذا استقر هذا التقليد بضع سنوات تأثر به اختيار رئيس مجلس الشيوخ حين تعيينه فاختير مستقلا كذلك ، لكن الدكتور أحمد ماهر باشا لم يشترك وزيرا مع أخيه على باشا ماهر زغم اشتراك حزبه في الوزارة وإذا كان الدكتور أحمد ماهر رئيسا لمجلس النواب غير مرة قبل اشتراكه في وزارة محمد محمود باشا فقد كان مفهومنا عندنا وعند الناس جميعا أنه سيكون مرشح الحكومة لرئاسة مجلس النواب .

وعن معركة رئاسة مجلس النواب يقول د. هيكال : بدأت معركة الانتخابات للرئاسة بين بهي الدين بركات باشا يؤازره الأحرار الدستوريون وبعض المستقلين والدكتور أحمد ماهر باشا يؤازره السعديون وتؤازره الحكومة وأولياؤها من المستقلين وكانت معركة حامية شعرت الوزارة بأنها ان انهزمت فيها هدت الحكومة مركزها ولم تخف هذا الشعور ولم تترك المعركة حرة ينتخب فيها من ينتخب بل كتب بعض الوزراء في الصحف وأدلى آخرون بتصريحات نشرتها الصحف كذلك وقيل في هذه التصريحات والمقالات ان الحكومة ترى المعركة معركةها ، ولا ترضى بأن ينهزم مرشحها ولم ينس محمد محمود باشا ما كان بينه وبين الدكتور أحمد ماهر باشا من مودة أثناء قيام وزارته ولم ينس أنه عهد الى الدكتور ماهر عشية سفره الى مرسى مطروح أن يقوم مقامه في محادثات الوزارة ولم ينس اتفاق السعديين مع الأحرار الدستوريين على أن يكون موقفهم موحدا ، بالاشتراك أو عدم الاشتراك فيها ونكت السعديون هذا الاتفاق ولهذا كله عني ان يقود معركة الانتخابات لرئاسة مجلس النواب بنفسه ودفعت هذه العناية من جانبه الى مضاعفة الحكومة جهدها من جانبها هي كذلك حتى لقد اتصلت بجماعة من أعيان الأحرار الدستوريين تفرغهم وتعددهم ليعطوا أصواتهم

للدكتور ماهر باشا ، وقد ظفرت من بعضهم بما أرادت وفاز الدكتور أحمد ماهر باشا بأغلبية ضئيلة في انتخاب الرئاسة ويقول د . هيكل تعليقا على مارآه من تدخل الحكومة في انتخابات رئاسة المجلس أن هذا التدخل ينافي الروح البرلمانية منافاة صريحة ، فأساس الحياة البرلمانية الحرية ، الحرية التامة الصريحة التي لا تعرف قيда ، ولا حدا ، وعضو البرلمان الجديد حقا باسم النائب المحترم ، أو الشيخ المحترم هو الذي يأبى أن تتدخل لديه السلطة التنفيذية في أى أمر لان هذا التدخل ينافي حرية النائب أو الشيخ وينافي مبدأ فصل السلطات وينافي نص الدستور ، على أن النائب حر ، لا يملك ناخبوه ولا تملك السلطة التي عينته أن تطلب إليه أمرا على سبيل الإلزام ، وأى الزام كان يشعرني أنني مهدد في مالى أو في عيالى ! أو في مكانتى ، اذا لم أسلك مسلكا معيناً في الكلام ، أو في التصويت ، أو في الانتخاب : ألا لئن صح أن يلام حاكم مستبد يلجأ الى سيف المعز ، وذهبه لأجدر باللوم . . ذلك الحاكم ، الذى يزعم أنه يستند الى ثقة الأمة ونوابها في البرلمان ثم يلجأ الى الاغراء ، أو التهديد أو الى الوعد ، أو الوعيد . ويقول د . هيكل : وانما يخفف من هذا اللوم أننا لا نزال متأثرين في مصر بطبائع الاستبداد ، التي طبعت نظم الحكم ، عندنا أجيالا متعاقبة والتي جعلت من الحاكم سيذا يجب طاعته وان خالف القانون . . لم تتأصل فكرة الحرية بعد في نفوس أبناء هذا الجيل الذى شهد الحكم المطلق وخضع له فلا عجب أن تبقى عالقة به شوائب من هذا الميراث الكريه لا يستطيع التغلب عليها ، أو التخلص منها . . ويأبى د . هيكل الا أن يرجو كل الرجاء في أن تتطهر الأجيال المقبلة من هذا الميراث وأن تضعر أن عمل الحاكم أن يكفل لأبناء الشعب حقهم في الحرية ولو ضد الحاكم أو ضد جمهرة الشعب نفسه ، يومئذ يكون لما تبديه الأمة من لوم ، أو تشريب موضع الحق ، ولا يخفف منه اعتبار أيا كان ، ويومئذ يثور الشعب بمن يعتدى على الحرية ويرى هذا الاعتداء ، اهدارا لحقه ولكرامته لا يمكن السكوت عليه . .

وينقل على لسان محمد محمود باشا أنه قال لأحمد ماهر باشا : ثق يا باشا أنني لم أنتخبك للرئاسة لا لأننى أجحد مواهبك ولكن لأننى أردت للنواب رئيسا مستقلا ، ويقال على لسان د . ماهر باشا أنه عاتب صديقه محمد محمود لانه ذكر في معركة الانتخابات موضوع البنك العقارى الذى ادعى الوفديون أنه ماس بنزاهة أحمد ماهر فما كان من محمد محمود باشا الا أن ثار قائلا : ان رأيى في سعادتك أبدية قبل أن تستقيل وزارتي وأنت تعرف أنني صبرت على مضض في الحكم حتى تحدد موعد للقضية « كان د . ماهر قد أبلغ النيابة ضد رئيس الوفد المصرى بسبب ما قاله عن علاقة د . ماهر بالبنك العقارى » . . كل هذا لأننى أعتقد فيك ما يعرفه الجميع من نزاهتك ، وكفاءتك ! وهناك - فى الفصل التالى - بقية حديث عن معركة رئاسة مجلس النواب .

الفصل الرابع

الوفد المصرى يفتح النار على الانجليز

وعلى وزارة على ماهر باشا معا

● أشرنا الى معركة توفيق الحكيم مع الجنس اللطيف ، وكيف انتهت بتقهقر الأستاذ توفيق الحكيم فى نهاية تلك المعركة ، وسحب ، لكل الاتهامات والانتقادات - أو معظمها - التى كان قد وجهها الى المرأة المصرية فى خطابه الذى بعث به الى وزيره ، وزير الشئون الاجتماعية ، كما أشرنا فى نفس الوقت ، الى المعركة التى دارت بين الاحرار الدستوريين ، والسعديين حول كرسى رئاسة مجلس النواب حيث رشح الدستوريون ، الدكتور بهى الدين بركات باشا ، ورشح السعديون د. أحمد ماهر ، وكيف انتهت المعركة بفوز الدكتور أحمد ماهر ، على منافسه الدكتور بهى الدين بركات باشا .

وكان نجاح أحمد ماهر بأغلبية غير متوقعة . قد أحدث ثورة داخلية فى حزب الوفد الذى كان يعارض انتخاب د. أحمد ماهر والذى كان له فى مجلس النواب اثنا عشر عضوا قيل ان بعضهم - رغم تأكيدات القيادة الوفدية على ضرورة انتخاب « بهى الدين بركات » والى ضرورة عدم انتخاب أحمد ماهر - قد أعطى صوته للدكتور أحمد ماهر ، الأمر الذى أدى الى اجراء تحقيق داخل حزب الوفد ، فى هذا الموضوع ، كما أن انتخاب أحمد ماهر أيضا بتلك الأغلبية الكبيرة ، قد أدى الى ثورة داخل حزب الاحرار الدستوريين ، اذ ثبت للقيادة الدستورية ان نوابا كثيرين من نواب الاحرار الدستوريين خرجوا على ارادة حزبهم وانتخبوا أحمد ماهر ، ولم ينتخبوا مرشح حزب الاحرار الدستوريين ، بهى الدين بركات ! ورغم أن العلاقات كانت طيبة جدا بين محمد محمود باشا رئيس حزب الاحرار الدستوريين وبين دكتور أحمد ماهر رئيس الهيئة السعدية الا أنه قد ثبت جليا ان تلك العلاقات قد ساءت بسبب تلك المعركة ، كما ساءت أكثر وأكثر ، بعد انتصار السعديين فى تلك المعركة ، على حلفائهم السابقين ، الدستوريين . ويتجلى ذلك بصورة رسمية فى تلك الكلمة التى هنا بها محمد

محمود باشا زعيم المعارضة صديقه وحليفه السابق د. أحمد ماهر برئاسة المجلس اذ لم تتجاوز كلمة التهنة سطرين - وهو أمر غير مألوف في تلك المناسبات - اكتفى محمد محمود بقوله : تتقدم المعارضة بدورها - بعد الحكومة - بالتهنة الصادقة الى حضرة صاحب السعادة رئيس المجلس الموقر ، لوحظ أنه لم يذكر حتى اسم رئيس المجلس المنتخب والذي يوجه محمد محمود باشا اليه التهنة - ونرجو له في عمله ، كل توفيق ، ونجاح ، ان شاء الله ، .

وكانت كلمة أحمد ماهر بعد انتخابه قوية للغاية وكانت ذات معان عديدة ، غير المعان التي تتجه اليها عادة كلمات الشكر والثناء في مثل تلك المناسبات ، قال د. أحمد ماهر : من الطبيعي أن يقوم من تشرفونه بالانتخاب لرئاسة المجلس بتوجيه عبارات الشكر ، والثناء على المعاني الكريمة التي ينظر اليها في مثل ذلك الانتخاب ، وهي الاحترام والمودة والثقة المتبادلة ، ولم يفتني في المرات السابقة التي تشرفت فيها بهذا الانتخاب أن أؤدي ذلك الواجب ، ولكنني ألح في هذه المرة ، واجبا آخر ، تقضى الظروف بأن أؤديه الى جانب الحمد والثناء وأن أؤكد معناه بل أقول ان ظروف هذا الانتخاب بما لايسها من نشاط واختلاف في الرأي تحتم علي أن أقول كلمة في واجب رئيس المجلس في مثل هذه الأحوال :

ذلك أن اختلاف وجهات النظر في التشريع والدوافع والآراء التي حدثت بكل فريق لتأييد غرضه فيه ، لا يمكن أن تكون ذات أثر في علاقة رئيس المجلس بسائر أعضائه ، أو أحزابه مؤيدين ، أو معارضين ، تلك العلاقة المقدسة التي تقويم على أساس العدل ، والمساواة ، والاحترام المتبادل وحماية الرأي ، وكفالة الحرية ، فلا يمكن ولا يصح أن ينظر رئيس المجلس الى الورا ، مفتشا أو متقبلا بل هو أبدا متجه الى الامام في أداء واجبه الذي يرجو أن يلازمه فيه التوفيق .

ويقول د. أحمد ماهر : اذا كان من واجبي أن أكفل أمن المجلس ونظامه وإدارة المناقشات فيه وصيانة حقوق الأعضاء ، والدفاع عن الحريات التي كفلها الدستور وأقام المجلس ، ورئيسه حراسا عليها ، فان على حضرات الأعضاء أن يتوفروا بكلماتهم على أداء واجباتهم ، وتمكين الآراء ، واحترامها ، وتوسيع الصدر للخلاف فيها ، واحلال المودة والحسنى في المكان الأول من كل شأن من شئون العمل ، وأخيرا تمكين الرئيس من أداء واجبه ، وعونه على ذلك أحسن العون ، ويقول د. أحمد ماهر : وستجد المعارضة مني كما كانت تجد على الدوام ، حماية واحتراما للرأي ، وتمكيننا من العمل بحيث تؤدي واجبه المقدس على الوجه الأكمل ، وكم هو واجب نافع ، ومفيد اذا صين من الشذوذ وأحيط بالصدق والاخلاص ، وانه ان شاء الله لكذلك ، كما أني لن أتوانى في أن أقف في وجه كل من تحدته نفسه بأن يعكر عليكم صفو عملكم ، وجلال نظامكم ، ولن أتسامح

فى هذا السبيل ، بحيث يمكن للجميع أن يجد فى هذا المكان المقدس الذى يبدى فيه رأيه ، ويرسل نشاطه المشكور ، لخدمة البلاد ، وحرىاتها ، وأحب أن تسود علاقاتنا جميعا أواصر المحبة والمودة ، وأن نمضى فى عملنا مؤيدين ، أو معارضين على سنن من الصفاء ، والاخلاص حتى تتضاعف ثمرات الأعمال وتتصل خيراتها ، وتعم بركاتها .

ويأبى د . أحمد ماهر الا أن يؤكد لزميله وصديقه بهى الدين بركات باشا خالص تحيته واحترامه وتقديره لعمله المشكور فى رئاسة المجلس ، التى قضى فيها زهاء العامين ، فمضى فيهما على أحسن السنن ، وأقام العدل ، والنظام ، وأكد كفالة الحريات ، « فوجدنا جميعا ، ووجد المجلس فيه وفى رياسته خير عون على أداء الواجب على أكمل وجه » .

وفى كلمة محمد على علوبة باشا التى ألقاها باسم الحكومة اشارة الى ما يتمتع به أحمد ماهر باشا من نشاط جم ، وذكاء متعدد ، وثقافة عالية ، وبعد عن الهوى ، وخلق كريم ، ورجولة كاملة ، تلك الصفات التى نرحب بها ونرجو منها الخير ، لأعمال مجلسنا الموقر فى دورته الحالية .



واذا كنا قد أشرنا - وباختصار - الى موقف الاحرار الدستوريين من على ماهر باشا ووزارته ، كما أشرنا الى موقف السعديين من على ماهر باشا ووزارته فاننا لابد أن نشير الى موقف الوفد من على ماهر باشا ، ووزارته حتى تكون الصورة مكتملة .

كان على ماهر - كما سبق أن ذكرنا - قد حاول أن يتقرب الى الوفد المصرى ، ورئيسه مصطفى النحاس نكايّة فى محمد محمود باشا ووزارته ، على أمل أن يحصل على ماهر على تأييد الوفد له اذا ما ألف الوزارة الجديدة ، وقد استجاب الوفد فى البداية الى غزل على ماهر ، ولكنه سرعان ما اكتشف انه ما أراد التقرب من الوفد الا لصالحه الشخصى ، والا لاجراج محمد محمود باشا ، فبدأ الوفد يظهر الكراهية لعلى ماهر باشا ، بصورة عنيفة حتى قبل أن يؤلف على ماهر باشا ووزارته بأكثر من ثلاثة أشهر .

وقد بدأ الهجوم مركزا على على ماهر فى نهاية مايو ١٩٣٩ ، حيث راحت جريدة الوفد المصرى ، لسان حال الوفد المصرى ، تكتب بقلم « صريح » عن موقف على ماهر من حقوق العرش وما يتعلق منها بمطلق التصرف فيمن يبقى ، ومن يخرج من رجال السراى وتساءلت جريدة الوفد المصرى : من هو على ماهر ، حتى يجترئ على الوقوف من حقوق العرش هذا الموقف الذى لم يسبق له مثيل فى تاريخ البلاد ؟ وتولت الجريدة الوفدية الرد على سؤالها بتعداد كثير من مواقف

على ماهر ، وتنصله من مسئولية الانقلاب « تغيير وزارة الوفد ، بوزارة محمد محمود ، والقائه - أى على ماهر - تبعه هذا الانقلاب ، على الانجليز ، فلما سعى سعيه لإخراج الوزارة فى العام الماضى (١٩٣٨) سارعت الوساطة الانجليزية الى النجدة ، وتمخضت الحركة عن اشراك الدكتور أحمد ماهر وجماعته فى الحكم ٠٠ وظهرت بعد ذلك أزمة الجيش فانتهدت بما لا يريد على ماهر ، وبقي محمد محمود واستمرت الحرب بينهما ، حتى بعد مفاجأة اختيار على ماهر دون محمد محمود باشا للسفر الى لندن . وكان المفهوم ، عند رجال السراى أن على ماهر ذهب ليدافع عن قضية معينة ضد محمد محمود باشا فاذا معجزة كبيرة تقع اذ كسب الانجليز ماهر باشا الى عكس قضيته ، وربطوا بينه وبين رئيس الوزارة ، ويشير الوفد المصرى الى خطاب فاروق فى عيد الهجرة والأزمة التى أحدثها على ماهر ، بسبب هذا الحديث مع البندارى باشا ، وانضمام محمد محمود باشا الى جانب على ماهر ضد وجود البندارى باشا ، فى السراى حتى ان محمد محمود - كما قالت صحيفة الوفد المصرى فى ٢٥ مايو ١٩٣٩ - هدد بالاستقالة من منصبه كرئيس للوزارة ، اذا لم يقص البندارى باشا من السراى ، استجابة لطلب على ماهر باشا ، وبقي على ماهر فى السراى ، وأطيح برأس البندارى ، وتشير الصحيفة الوفدية ، الى أن النحاس باشا عندما صدر أمر ملكى بتعيين على ماهر رئيسا للديوان الملكى قابل الملك وأعلن لجلالته استعداد الوفد للتعاون مع على ماهر مادام الامر الملكى قد صدر ، رغم أن الوفد كان له سابقة فى معارضة تعيين نشأت باشا فى الديوان الملكى ، وتقول جريدة الوفد المصرى : لقد ظل على ماهر يقول ان لصاحب العرش الكلمة الاخيرة لا فيما يختص برجال السراى ، بل فيما يختص بموظفى الحكومة العاديين فأين وقف على ماهر اليوم من موقفه السابق ، اذ يسمح لنفسه وهو رئيس الديوان وكبير خدام العرش ، ان يخير الملك بين الاستقالة وبين اخراج موظف فى السراى هو وكيل الديوان ، وبعد أن يذيع هذا فى الصحف يسترد استقالته بدعوى أنه استرضى وأجيب الى مطلبه بلا تحوير ولا تبديل ، وتقول جريدة الوفد المصرى : ياله من جد عاثر ، وياله من قدر ساخر ، وياله من خاتمة عادلة ليس أخلق بها ولا أجدر من على ماهر !

وفى ٢٦ يوليو ١٩٣٩ تقول صحيفة الوفد المصرى عن ترشيح على ماهر باشا لرياسة الوزارة : واضح السياسة الانجليزية ان مثل هذا الترشيح ليس الا حلقة جديدة من مأساة لندن وما وراء لندن ، لان الوقائع والحوادث كلها تنطق بأن على ماهر باشا لا يمكن أن يحرز الا ثقة الانجليز وحدهم دون سائر الجبهات : على ماهر - هكذا تقول صحيفة الوفد المصرى - خصم قديم من ألد خصوم الأمة خرج على سعد فى مقدمة الخوارج واشترك فى كل وزارة من وزارات الانقلاب بدون استثناء ! ماهر باشا ثانيا - قطب من أقطاب المؤامرة ، التى أدت الى الانقلاب الحاضر ، بل لعله قطب الدائرة فيها وتقول الجريدة الوفدية لقد

أسفرت مأساة لندن - ذهاب على ماهر : الى لندن لحضور مؤتمر فلسطين - أسفرت عن نتيجة خطيرة جدا ، في تاريخ الحكم المصرى بعد المعاهدة ، ولقد تجلت هذه النتيجة على أبشع صورها في موقف على ماهر باشا الى جانب السياسة الانجليزية بعد عودته من لندن وأخيرا : على الوقوف موقف التحدى السافر لحق أولى من حقوق صاحب العرش - يبدو هذا التناقض واضحا بين موقف الوفد السابق من تعيين حسن نشأت باشا فى السراى كوكيل للدويان وموقفه اليوم من الدفاع عن حقوق صاحب العرش فى أن يعين من يشاء فى السراى دون توقيع رئيس الوزراء ، الى جانب الملك على هذا التعيين - فى ابقاء موظف أو اخراج موظف كبير من رجال القصر كائنة ما كانت الثقة الملكية بهذا الموظف ، هذا موقف لايمكن أن ينسأه الانجليز لصديقهم الجديد على ماهر باشا ولا يجوز ان يترك بلا مكافأة سخية واليوم تتخذ هذه المكافأة شكل الترشيح لرئاسة الوزارة بعد مادبر فى لندن »

وفى ٢٩ يوليو ١٩٣٩ تستمر صحيفة الوفد المصرى - لسان حال الوفد المصرى - فى هجومها على على ماهر باشا وفى دفاعها عن صاحب العرش وتهاجم - فى نفس الوقت - انجلترا التى لا تحترم المعاهدات والحقوق والكرامات التى تتصف - أساسا - بالغدر وخيانة العهود ، وتنهى الجريدة الوفدية مقالها الافتتاحى الذى شغل الجزء الاكبر من الصفحة الاولى بتوجيه تحذير الى بريطانيا ، بعد أن تبين الحيط الأبيض من الحيط الأسود من الفجر ، وأصبح الأمر أوضح من أن تركز فيه الى الشك لا يستمتع فيه الى تضليل المضللين من ماجورى السياسة الانجليزية فى هذه البلاد « وسيعلم » الانجليز ان فى مصر أمه بل أمة حية لاتخدع ولا تنام على كرامة مجروحة أو حق مغصوب وليأتينهم نبأه بعد حين ...

ويقف الوفد المصرى موقفا معاديا من موقف محمد محمود باشا ، الرجل المستفيل أو المقال ومن على ماهر باشا المكلف بتشكيل الوزارة الجديدة ، وتنشر جريدة المصرى فى ١٢ أغسطس ١٩٣٩ كشوفا بعدد الأيام ، التى اعتكف فيها محمد محمود باشا والى خارج العاصمة ، أو الى خارج البلاد فأيام الاعتكاف فى ١٩٣٨ بلغت ٤٥ يوما ، وفى ١٩٣٩ بلغت ٣١ يوما ، أما عدد أيام الرحلات فقد بلغت ٧٥ يوما ، وتقول فى عناوينها البارزة : زوال كابوس الوزارة السلمانية : كبيرها يعد لوحده كتاب الاستقالة « وفى اليوم التالى تقول صحيفة المصرى التى يدير سياسيتها الوفد المصرى فى ١٦ أغسطس هل تؤاد وزارة على ماهر باشا ، وهى جنين ؟ استحكام الحلاف بينه وبين الأحرار الدستوريين وذيلهم ، وفى مكان آخر من الصفحة الأولى ، وتحت عناوين بارزة تقول « المصرى » : على ماهر باشا يبطن غير ما يظهر ، وتقول المصرى تحت عنوان : ذعر : هل قرروا عدم الاشتراك ؟ ٠٠ قيل قبل منتصف الليل ان الأحرار الدستوريين ، والمهاهرة - جماعة أحمد ماهر - قرروا عدم الاشتراك فى

الوزارة ماداموا لم يجابوا الى مطالبهم - وتنشر المصرى - فى صفحتها الاولى -
قصيدة للأستاذ خالد الجرناوى :

أنى أودعهم ، وليست بشامت
يكفى صريع الظلم طول حسابه
أحصى السجل لهم ذنوبا جمّة
أقصت هوة الحكم عن أبوابه
هل كان هذا العهد الا ربقة
علقت بهذا الشعب فى أثوابه
جاءوا بها من كل لون شائه
مهما حوى الشيطان فى جلبابه
فلينبح الأجراء ملء حلقهم
فالعهد لا يبقى على أذنايه
من مات فى الايام اشنع ميتة
هيهات يرجعه نباح كلابه !

وعندما تؤلف وزارة على ماهر الثانية تقول صحيفة الوفد المصرى فى ١٩
أغسطس ١٩٣٩ تحت عنوان : تأليف الوزارة الماهرية الجديدة وزارة لسد
الخانة وانهاء الموقف على صورة من الصور : الفتور العام ، الذى قوبلت به فى
البلاد مديح الانجليز فى الماهريين وتنديدهم بالأحرار الدستوريين تناقض ظاهر
بين القول والعمل من الخطوة الاولى للوزارة الماهرية : تقول صحيفة الوفد المصرى
لا نظن ان وزارة قد قوبلت عند تشكيلها من رأى العام ، بمثل الفتور ، الذى
قوبلت به هذه الوزارة ، وقامت فى وجه تأليفها الصعاب وتسابقت على تخاطف
أشلائها النواجز ، والانياب ، وكان موقف الماهريين النقراشيين مهينا للغاية !
وقد قوبل من الناس بالاشمئزاز لانهم تكشفوا عن طلاب مناصب ومشتبهى
مراكز حتى وان خانوا فى سبيل الظفر بها أصدقاءهم المستحدثين ، وحتى وان
عنف عنها الاتحاديون الشعبويون ، وهم مثلها فقراء ، وتشير صحيفة الوفد
المصرى الى طعن الانجليز طعنا مرا فى الدستوريين الذين غلبوا الاعتبار الشخصى
أو الحزبى على الصالح العام ، ومن المخزى - هكذا قالت صحيفة الغازيت -
أن نرى حزبا كان يوما من الايام يضم المستنيرين والمسؤولين يهوى وينحط الى
هذا الحد ..

وفى اليوم التالى - ٢٠ أغسطس ١٩٣٩ - تنشر صحيفة الوفد المصرى
موضوعا تحت عنوان : وزير فى الوزارة الحاضرة ، يقول عن على ماهر باشا :

لو ترك الامر لى لارسلته الى السجن : والموضوع عبارة عن نقل مقتطفات من مضبطة الجلسة الحادية والعشرين لمجلس النواب في السبت ٣١ يوليو ١٩٣١ . وردت على لسان النائب المحترم ، عبد الرحمن عزام تتعلق بعلى ماهر باشا وزير المعارف في وزارة أحمد زيور باشا - وزارة الانقلاب على النظام الدستوري ، الشعبى وعلى وزارة سعد زغلول باشا - وذلك كله على النحو التالى :

النائب المحترم : عبد الرحمن عزام أفندى « . . . فالمسألة اذن تنحصر فيما يأتى : ماذا يجب أن يعامل به وزير تصرف تصرفا مضرا .

« أرى أنه يجب على مجلس النواب أن يفصل مرة واحدة في المسألة لا أن يتعد عنها كلما دعت الحاجة . ولا مندوحة من أن يصدر المجلس قرارا بهذا الخصوص لأننا نصطدم بين حين وآخر بمسألة كهذه ، ولا نجد طريقا للعقوبة لأن القوانين العامة قد لا تمكننا من ذلك أو لأن العرف جرى فى هذه البلاد بالتسامح والصفح عن أمثال هذه التصرفات ، الا أنه يجب علينا أن نقضى على هذا العرف قضاء أبديا حتى يعلم كل وزير أنه ملزم بتقديم حساب للأمة عن تصرفاته حتى بعد تركه كرسى الوزارة . فيجب أن يكون موضوع هذا الحساب وما ترتب عليه فان رأيتم تأجيله فيكون ذلك لوضع قاعدة لمحاسبة كل من فرط فى حقوق الأمة من الوزراء السابقين واللاحقين .

« الرئيس - هل تعرف عقوبة خاصة ؟

« أما لوم وزير المعارف السابق فأمر ضرورى الا أنني لا أجد فى اللوم عقوبة كافية لان اللوم قد يقع وقعا سيئا على وزيره شعور - وزير لايراعى مصلحة بلده - أما أولئك الوزراء الذين عبثوا بمصالح البلاد سنة ونصف فأرى ان كل لوم يوجه الى أى وزير منهم غير كاف ولا بد للمجلس من ان يبحث عن عقوبة زاجرة . .

« أما اذا رأيتم أنكم على استعداد لنظر الموضوع الآن فلا مانع من ذلك

عبد الرحمن عزام أفندى : لو ترك الامر لى لارسلته الى السجن « تصفيق » انى اعتقد أن الشقى الذى يرسل الى السجن ، انما يجنى جناية جزئية بالنسبة الى ما ارتكبه أولئك الذين اعتدوا على الدستور فانتهكوا حرمة ، واغتصبوا سلطة الأمة وبددوا أموالها التى جمعت من عرق الفلاح المسكين ، ليس ذلك فقط بل فرطوا فى حقوق البلاد وكرامتها واعتدوا على حرية الأشخاص فلا تعجبوا اذا قلت ان مثل وزير المعارف السابق - على ماهر باشا - يجب ان يرسل الى السجن لاننى لم آكن مغاليا أو مبالغا عندما أبديت هذا رأى ، ولا تعقب جريدة « الوفد المصرى » على ما نشرته من مضابط مجلس النواب تاركة التعقيب للقارىء !! وبعد ذلك الهجوم الضارى المكثف من صحافة الوفد المصرى ، بدا رفعة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصرى فى الهجوم الضارى المكثف ،

على رفعة على ماهر باشا ، فيقول في ٢٠ أغسطس ١٩٣٩ بالاسكندرية من بين ماقاله عن على ماهر باشا مايلي : هذه طلائع عهد رأس الانقلاب ، ومؤسسه على ماهر باشا. قد بدت في أشد مظاهر القوة والجبروت وها هي مصر ترى وتشهد ، ولما ينقض على تشكيل وزارته ، الا يومان ليتفننوا في القمع والارهاب والحيلولة بين الناس ، ودخول المنتديات ودور الصحف ثم يمضوا في مطاردتهم والاعتداء عليكم . ان حاولتم الوصول الى زعيمكم ليحدثكم عن الحوادث الجسام التي تجرى في مصر الآن ، واذا كان الكتاب يقرأ من عنوانه فيها هو عنوان عهد على ماهر باشا قد بدأ في حرب الامة اليوم سافرا ، وقد كان بالامس متسترا : بدأ يحاربها علانية بعد أن ضمن معونة وتعظيم الانجليز ، أصفيائه الجديدين وحين اطمأن الى حرايهم تحميهم ، ورجالهم يؤيدونه وأنه أصبح عندهم اليوم رجل الساعة المطلوب لاتمام تسليم البضاعة « ولعل ، أول ما امتاز به هذا العهد الجديد القديم ، ان أول قصيدة - كما يقول المثل ٠٠ قد جاء كفرا ٠٠ . ويوضح رئيس الوفد . بعض ما قام به ماهر ضد الحياة الدستورية من وجهة نظره ، ومن جهة نظر الوفد فيقول :

وكان ماكان . مما تعرفون ولا تعرفون ، من تدبيرات ومكائد ، ضد حكومة الوفد ، وضد دستور الامة ، بدأت منذ تعيين على ماهر باشا في رئاسة الديوان وأخذت تزداد ، حتى بلغت أشدها في ديسمبر سنة ١٩٣٧ وأنا طريح الفراش ، وكان رئيس الديوان ، فارسها المجلى في الحلبة ، يعرض الحلول ، ويساومني فيها ، ويتخذ لنفسه ذريعة للتحدث في الحقوق الدستورية والخلاف عليها ، وكنا أحرص الناس على المحافظة على حقوق العرش وعلى حقوق الامة الدستورية علما منا بأن أي مساس بالدستور وحدوده التي نص عليها ، فيه القضاء كل القضاء على الحكم الدستوري وعلى سلطة الامة ويتخذ تكأة لتدخل الاجنبي وتخطي الحكومة الدستورية والوقوف وجها الى وجه أمام السلطة التنفيذية التي لاتستطيع اذ ذاك ان تقف في وجهه أو ترفض له مطلبها ، والا كان نصيبها الاقصاء عن المناصب ، وفقدان الجاه والسلطان .

أخذ رئيس الديوان - يعد العدة من الخلف - لاقامة صرح الانقلاب وتدعيم أركانه ، بل أخذ يستدعي الى مكتبه في رئاسة الديوان ، وكيل الداخلية ومدير الامن العام ، وحكمदार البوليس ، ويصدر اليهم الاوامر والتعليمات بأن يعدوا العدة ، ويتخذوا التدابير اللازمة عند اذاعة أمر اقالة الوزارة الدستورية ، وقد كان تشكيلها كذلك قد انتهى من أيام .

ألفت وزارة محمد محمود باشا صديق الانجليز القديم فأخذ على ماهر باشا يلعب من وراء الستار ألعيبه ، وينثر حبائله ، ويتفنن في تمثيل دوره ، الذي أخذ يتمرن عليه من زمن بعيد ، ويضع العراقييل في طريق محمد محمود باشا ،

ليمهد الطريق لشقيقه أو لنفسه ، ولكن الطبخة لم تكن بعد قد استوت .
والأسياد لم يكونوا قد ملأوا أيديهم منه جيدا ، فلم يستطع ان يعمل الا ان أشرك
أخاه . وزملاءه في الحكم ، انتظارا للفرص ، ورضوا أن يكونوا أذنابا لمحمد
محمود باشا اسما وان كانوا هم العاملين في الوزارة فعلا ، على أمل أن يواتيهم
الحظ يوما في التغلب على محمد محمود باشا ، واقصائه عن الحكم ، فتكون
لأحمد ماهر أو لشقيقه الرياسة .

ومضت الشهور والأيام ، حتى واثت الفرصة على ماهر باشا سانحة بتعيينه
عضوا في مؤتمر فلسطين ، فتمنحخص الى انجلترا ، وهناك بذل نفسه بذل السماح .
وعرض خدماته وتفكيره ونشاطه على أنصار الديمقراطية ودعاتها السادة الحلفاء ،
فما أن وثقوا منه ، واطمأنوا اليه ، ادخروه لليوم الذي يريدونه ، حتى اذا ما رأوا
صححة صديقتهم القديم لا تساعده على اتمام تقديم ما يطلبون ، تخلوا عنه وهو
مريض ، وظهر على ماهر على المسرح هذه المرة للعيان ، يضرب باليمين وبالشمال ،
ويشكل وزارته قبل ان يستقيل محمد محمود باشا - تماما - كما فعل معنا !!

تلك لمحة خاطفة عن تدبيرات على ماهر الذي يحكم البلاد الآن مستمدا
المعونة لا من الله ، ولا من الأمة التي أنبتته ، ونشأ بين ظهرائها ولكن من
الانجليز الذين يرون المصلحة العاجلة تطلب اليهم نصرته وتأييده ، وهذه هي
بعض أخلاق مؤسس الانقلاب ومخترعه الذي لم يكفه ان تكبت الامة بما تكبت
به في أخلاقها ومرافقتها ، وكيانها ، تلك التكبكات المروعة عشرين شهرا ، فأتى
على أنقاض سلفه ليقم انقلابا جديدا فيه القضاء المبرم على الشعب المصري
المسكين .

ويخاطب مصطفى النحاس باشا على ماهر بقوله : أيها السيئ الطالع ،
انك لم تعتبر بمن مضى ولم تفكر فيما أنت مقدم عليه ، بل قمت من غير تفكير
ولا روية تحكم الشعب بقوة المستعمر ، الطامع ، ونسيت أن الله سيمهل لك
كما أمهل لغريك ، حتى اذا حان يومك كان أشد ممن لم تعتبر بنهايتهم وهذه
هي الحاتمة الطبيعية لكل من خرج ، على اجماع أمته أو شد عن ارادتها .

وتقول جريدة المصري في ٢٢ أغسطس ١٩٣٩ تحت عنوان : الجناية الكبرى
على استقلال الوطن : « خطة مدبرة لتأخير الجلاء ومد أجل الاحتلال ، الى ما شاء
الله ، لقد خسرنا كل ماكسيناه ، بالمعاهدة ولم نكسب غير الخراب المالي ،
والتعرض للفناء في حرب طاحنة . ثم تقول المصري : لقد انتهى بنا الانقلاب
اذن ، نهاية هي غاية الخطورة فقد مكن الانجليز من تضيق جهود الأمة ،
في مدى السنين الماضية وقبر المعاهدة وسجل على البلاد تخليد الاحتلال ، الى
الابد فلا اعتمادات لبناء الثكنات تدرج في الميزانية ولا وكالة الثكنات تبقى

بعد ان أنشئت لمجرد ترقية قريب سرى باشا ولا الانجليز يفكرون أنهم تاركون البلد يوما بل على الضد هم يشيدون الأبنية لجنودهم في محطة مصطفى باشا برمل الاسكندرية ويؤجرون الاراضى الفسيحة لمدة عشر سنوات ، و بعد أيام تقوم وزارة على ماهر بتفتيش منازل مصطفى النحاس ، ومكرم عبيد ، وأحمد نجيب الهلالي ، وتشير الصحف الى ما قاله مصطفى النحاس ، عن تفتيش داره حيث فاجأت النيابة سكان المنزل على غرة منهم « وروعت السيدات ، والأطفال المقيمين به ، بل لقد وصل الأمر الى أن اقتحموا غرفة السيدة حرمى ، وهى طريجة الفراش ، وقلبوا أثاث البيت رأسا على عقب ولم يتركوا مكانا حتى دخلوه وفتشوه ، الى حد أن فتشوا ، أسرة الأطفال وأراجيحهم وأوانى الزهر ، كأننا كنا نخفي فيها شيئا يعاقب عليه القانون ، وقد فوجئت بالخبر ، وأنا فى سرادق ذكرى سعد ، فاتصلت بحضرة رئيس النيابة أسأله لماذا يفتش وعن ماذا يبحث فأجاب ان لديه أمرا بتفتيش المنزل للبحث عن أصل الخطبة التى ألقيتها يوم الأحد الماضى ، ونشرتها الصحف الوفدية فى اليوم التالى فأجبت ، اننى تعودت أن ألقى خطبى ارتجالية حسب الظروف ومقتضيات الأحوال وان السكرتير المختص يدونها عند لقائها ثم يبيضها ويعرضها على فاراجعها وأقرأها وأمره أن ينشرها . وهاهى ذى عادتي دائما الا فى المناسبات الأخرى كذكرى عيد الجهاد الوطنى مثلا فأننى أحضر الخطبة ثم أتلوها ، أما الخطبة التى تبحث عنها النيابة فقد كان الشأن فيها شأن جميع خطبى الارتجالية ، وأما اصلها فقد يبقى فى السكرتارية بعد نشرها وقد تلقى فى سلة المهملات . ثم اننى - هكذا قال مصطفى النحاس لوكيل النيابة - مسئول عن هذه الخطبة التى نشرت وعن غيرها من الخطب التى نشرت متحمل كل ما يترتب عليها ولست أفهم معنى لتفتيش منزلى للبحث عما يقولون مادمت لم أنكره ولم أتصل من تبعته

وقد أخذوا - هكذا قال مصطفى النحاس - بعد تفتيش منزلى ورقتين تافهتي الشأن احدهما مطبوعة من عبد القادر مختار بك ، وبتوقيعه يشكو فيها من الماهرين الذين ينتمى اليهم لأنهم لم ينصفوه ولم يحسنوا معاشه ، كما حسنوا معاش سلامة ميخائيل بك زميله فى الماهرية . والثانية شكوى من علماء الأزهر الشريف بغير توقيع من ان جريدة المصرى لا تنشر لهم ، أخبارهم وان مندوب الجريدة فى الأزهر غير مأمون ولأن له اتصالات بالمستولين فى الأزهر ، وهو ينقل اليهم أخبار من يكتبون الى المصرى .

الفصل الخامس

سر هجوم الوفد على « الانجليز » وعلى « على ماهر باشا »

أشرنا فيما سبق الى الخطاب الهام الذى ألقاه مصطفى النحاس باشا ، رئيس الوفد المصرى بالاسكندرية . ومهاجما على ماهر باشا بقسوة شديدة موجها له الاتهام بأنه نزل الى مستوى لم ينزل اليه رئيس وزارة سابق عندما قامت وزارة بتفتيش منزله ، أى منزل مصطفى النحاس ، بحثا عن أصول خطبة كان قد ألقاها بالاسكندرية ، ونضيف الى ما سبق أن ذكرناه أن مصطفى النحاس عندما أعلن عن استيائه الشديد لتفتيش منزله بأمر من النائب العام ، قال بالحرف الواحد : لو كنت رئيسا للوزارة ، ووقع ، ما وقع ما أبحث لنفسى أبدا أن أمر بتفتيش دار أى زعيم سياسى مصرى ، على تلك الصورة المزرية ، الحالية من كل ذوق ، المنافية لكل عرف ، وقانون » .

وكان مصطفى النحاس باشا قد أشار فى خطابه أيضا الى أنه اكتشف وجود رصاص فى سيارته ، على مقربة من الأسلاك الكهربائية المتصلة بموتور تلك السيارة ، وأنه قد قام بإبلاغ النيابة عن ذلك الحادث وأنه - أى مصطفى النحاس - رفض أن يتهم أحدا بتدبير ذلك الحادث لأن ضميمه لا يطاوعه ، فى أن يجزم باتهام أحد .

وقد ظهر جليا أن الوفد المصرى ، كان قد أعد خطة محكمة قام بتنفيذها بحذافيرها ، وتتلخص تلك الخطة فى الهجوم فى وقت واحد ، على جبهتين : الجبهة الأولى : السياسة البريطانية ، لا فى مصر وحدها ، وإنما فى كثير من أرجاء العالم ، بعدما تأكد ، للوفد ، أن السياسة البريطانية ضالعة فى المجيء على ماهر ، الى رئاسة الوزارة ، وكانت الجبهة الثانية ، هى جبهة على ماهر ، وأحمد ماهر معا وقد سبق لنا أن ذكرنا الأسباب التى دفعت الوفد المصرى الى الانقلاب على على ماهر باشا ، الذى ضحك عليهم وأوهمهم ، أنه يعمل لصالحهم . ونضيف الى ذلك ، أن فى مقدمة الأسباب التى دفعت ، الوفد المصرى ، الى

تشديد الهجوم على أحمد ماهر ، كونه شقيقا لعلى ماهر ، الى جانب أنه - أى أحمد ماهر - عندما خرج على الوفد ، مؤيدا محمود فهمى النقراشى باشا فى موقفه ، تسبب فى احداث شرخ خطير فى الوفد المصرى كما أن أحمد ماهر ، عندما خرج على الوفد أسرف فى الهجوم عليه ، ثم ان الوفد المصرى ، كان يريد من تشديد النكير ، على أحمد ماهر ، أن « يحرقه » سياسيا فلا يصبح مرشحا ، لتولى أية وزارة جديدة فى المستقبل ، أو هكذا كان يتصور الوفد .

وقد كتب أحد قادة الوفد ، المصرى - قد يكون أحمد نجيب الهملاى باشا ، أو محمد صبرى أبو علم باشا - سلسلة من المقالات فى صحيفة الوفد المصرى ، بتوقيع « صريح » ، تتضمن الهجوم الشديد القاسى ، والعنيف على أحمد ماهر باشا ، وعلى ماهر باشا ، وكانت احدى مقالات هذه السلسلة تحت عنوان : على حساب مصر : مؤامرة الشقيقتين فى سبيل الحكم ، وكانت المقالة الاولى من تلك السلسلة قد صدرت بقول الله تعالى وهو أصدق القائلين : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات ، أن نجعلهم كالذين آمنوا ، وعملوا الصالحات سواء محياهم ، ومماتهم ساء ما يحكمون ، وخلق الله السموات والأرض ، ولنجزي كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » وكانت المقالة الثانية قد صدرت بقوله تعالى : « لا يفرنك ، تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ، مأواهم ، جهنم وبئس المهاد » صدق الله العظيم .

والجدير بالذكر أن جريدة الوفد المصرى - لسان حال حزب الوفد المصرى - قد نشرت فى ١٣ أغسطس ١٩٣٩ - أى فى الوقت الذى كان فيه على ماهر يقوم بتشكيل وزارته ، افتتاحية موجزة ، تحمل العنوان التالى : على ماهر : عدو الشعب رقم « ١ » أصبح الانجليز فى ترشيحه للوزارة ، وكان قد جاء فى تلك الافتتاحية ما يلى :

لم يسجل التاريخ السياسى لعلى ماهر باشا الا العمل على مناهضة الامه والتدبير ضد مشيئتها وارادتها كلما سنحت له فرصة فى الخفاء ، حتى لا يكاد انقلاب واحد من الانقلابات الرجعية يخلو من أصبح هذا الرجل الذى تخصص فى الكيد لهذه الأمة .

فقيامه على رأس وزارة الآن لا يمكن الا أن يكون مظهرًا من مظاهر التحدى الانجليزى للأمة ، ودليلا من أدلة استهتار الانجليز بالشعب المصرى وحقوقه وكرامته اذ هم المرجع فى ترشيحه والسند الذى يرى أن يعتمد عليه ، وهم لا يمثلون هذا الدور من وراء ستار بل يمثلونه على عين الأمة وتحت سمعها . . . والا فليقل لنا على ماهر باشا ، كيف استباح لنفسه أن يبعث ببرنامج وزارته وأسماء من يرشحهم للاشتراك معه فى الوزارة الى السفارة البريطانية !

على ماهر باشا رجل تحدى الأمة في كل مراحل جهادها ، وتحدى الأحزاب جميعها بل تحدى محمد محمود باشا نفسه وطعنه من الخلف بشروعه في تأليف وزارة جديدة في نفس الوقت الذي كان يعلن فيه محمد محمود باشا بأعلى صوته أن وزارته باقية ولا سبب هناك يدعو إلى الاستقالة !

وعلى ماهر باشا هو الذي وضع أساس هذا الانقلاب الذي نكبت به الأمة شر نكبة .

وعلى ماهر باشا هو الذي عاد من لندن معتزاً بالصدقة الانجليزية الجديدة فلم يتردد في تحدى حق من حقوق العرش وذلك بإصراره على إخراج البندارى باشا من القصر .

على ماهر باشا اذن هو أصل البلوى التي حلت بالبلاد ، وهو الرجل الذي يصلح لأن يكون أداة طيعة في يد السياسة الانجليزية التي تريد التنكيل بالشعب المصرى ، وتريد أن تنشر المجاعة بين الفلاحين ، وأن تجر على هذه الأثمة الخراب السياسى والاجتماعى والخلقى فى سبيل أن تسد ما بقى لها من مطامع ، وأن تعتصر البقية الباقية من دم هذا الشعب بعد ما اعتصرت معاله على أيدي وزارة الحكم الصالح .

وما من ريب فى أن هذا العمل العدائى من جانب الانجليز للشعب المصرى يفقدهم كل ثقة بهم ، بل سيعلمون أن هذا الشعب الباسل سيقابل عداء الانجليز بالحزم الواجب ، والحركة العملية التي سوف يقفون أمامها هشدين يعضون بنان الأسف والتندم ، حين يعلمون أن الشعب المصرى لم يعد يقبل هذا التمثيل الذى يقوم به السادة الانجليز وبخاصة بعد أن انكشف عنه الستار .

واذا كان الوفد ، المصرى ، كحزب سياسى ، قد استمر فى ملاحقة على ماهر باشا ، ووزارته بالحملات العنيفة القاسية فان على ماهر باشا ، ووزارته قد استمروا - كحكومة - فى ملاحقة الوفد ، وصحفه : لم تكتف وزارة على ماهر باشا ، رئيس الوفد ، أثناء عدم وجوده ، به ، بل راحت تفتش وبعنف منزلى مكرم عبيد باشا ، سكرتير الوفد ، ونجيب الهلالى باشا ، أحد أعضاء الوفد بل كبار قادته أثناء غيابهما عن منزليهما أيضا . . . وزارة على ماهر ، لا تكتفى بتفتيش دور الصحف الوفدية وباعتقال رؤساء تحريرها ، بل راحت تحرم تلك الصحف - كعقوبة - من الاعلانات الحكومية ، التي هى من أموال الدولة بما فيها حتى اعلانات السكة الحديد !!

ولم يترك ، الوفد المصرى ، فرصة ، تمر دون أن ينتهزها للهجوم على وزارة على ماهر ، ولاعاقبة مسيرتها ، ولان الوفد كان يملك ، أغلبية معترمة فى مجلس الشيوخ فقد أتبع له أكثر من فرصة - فى المجلس - فرض فيها ارادته ،

سنوات ما قبل الثورة ج ٢ - ٥٢٩

على الحكومة ، أو على الأقل ، حال دون ، تحقيق كل الذي تريده ، وكان في مقدمة تلك الفرص ، فرصة عرض مرسوم اعلان الأحكام ، العرفية ، على مجلس الشيوخ : لقد كان البرلمان في أجازة عندما نشبت الحرب العالمية الثانية . وعلى الفور ، طلبت السفارة البريطانية في القاهرة من حكومة علي ماهر ، تنفيذ المادة السابعة من معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ اعلان الأحكام ، العرفية ، ووضع الرقابة على المطبوعات فلم يسع الحكومة - وكانت العلاقات بينها وبين بريطانيا وقتئذ طيبة - الا أن تبادر باعلان ، الأحكام العرفية ، بمرسوم ملكي صدر في أول سبتمبر ١٩٣٩ وتم تعيين علي ماهر باشا حاكما ، عسكريا و . . و . .

ودعى البرلمان لاجتماع غير عادي في يوم الاثنين ٢ أكتوبر ١٩٣٩ ، ليعرض عليه مرسوم فرض الأحكام العرفية وكذلك المراسيم الأخرى الصادرة أثناء عطلته وذلك تطبيقا للمادة ٤١ من الدستور . . لم يكن هناك مشكلة بالنسبة لمجلس النواب فان الأحرار الدستوريين رغم عدم اشتراكهم في الوزارة لم يقبلوا معارضة هذا المرسوم ، اتساقا مع مبادئهم ومع خططهم الجديدة بعد أن خرجوا ، أو أخرجوا من الحكم ، ولذلك جاءت موافقة مجلس النواب بأغلبية الأعضاء ، السعديين والأحرار الدستوريين ، والمستقلين ، ضد ١٢ صوتا هم نواب الوفد ، ولكن كانت مشكلة الموافقة على هذا المرسوم في مجلس الشيوخ ، مشكلة ، ومشكلة عنيفة بالنسبة للحكومة ، ذلك ، أن للوفد في مجلس الشيوخ ، أغلبية وأغلبية محترمة ، وقد حرص الوفد على معارضة الأحكام العرفية ، رغم أن فرض تلك الأحكام ، كان بناء على المادة السابعة من معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ ، التي وقعها ، رئيس الوفد ، والوفد والتي أطلقوا عليها معاهدة الشرف والاستقلال .

وكان مجلس الشيوخ قد ألف لجنة من بين أعضائه لبحث هذا الموضوع كانت أغلبيتها - بالطبع - من الوفديين ، وانقسمت تلك اللجنة الى أغلبية وأقلية : وكان من رأى الأقلية استمرار الأحكام بشروط ثلاثة : حصر تطبيقها هذه الضرورات العسكرية ، الرجوع ، الى البرلمان ، في الشؤون الخطيرة ، وأخيرا تخفيف الرقابة على الصحف ، وكان قد تأكد للجنة أن الحليفة البريطانية هي التي طلبت اعلان الأحكام ، العرفية .

وكان تقرير اللجنة قد أشار الى رأى الأقلية ، وإلى رأى الأغلبية بالتفصيل ، كما أشار تقرير اللجنة الى أن رئيس الحكومة قد ذكر في بيانه أمام مجلسي البرلمان أنه قد طلب من هذه البلاد ، اعلان الأحكام العرفية ولكن عندما سبّحت الحكومة في اللجنة عن الكيفية التي طلب بها اعلان الأحكام العرفية أشار عبد الحميد بدوي باشا الى أن هذا الطلب جاء من السفارة البريطانية كتابة وبطريقة رسمية ، الى الحكومة المصرية ، وكان هذا الطلب ، يشير الى المعونة ، التي تقدمها مصر ، للحليفة في أوقات الحرب ، تطبيقا للمادة السابعة من

المعاهدة - معاهدة ١٩٣٦ - وهذه المعونة تتلخص في فرض الأحكام العرفية ، وتنفيذها وكذلك اعلان الرقابة على الصحف ، والمطبوعات ، وكذلك إيجاد نظام لتفتيش السفن .

وتقول اللجنة أنها طلبت من الحكومة الاطلاع على الطلب الذي تقدمت به السفارة البريطانية الى الحكومة المصرية طالبة معونتها ولم تستطع الاطلاع على ذلك الطلب ، أو تلك المذكرة .

وتقول اللجنة في تقريرها أيضا ، ان خمسة من أعضائها رأوا عدم استمرار الأحكام العرفية بينما رأى ثلاثة من الأعضاء استمرارها بتلك الشروط ، التي سبق الإشارة إليها ، كما يقول تقرير اللجنة ان رئيس اللجنة ، قد امتنع عن إبداء رأيه .

والجدير بالذكر أن تقرير اللجنة ناقش مناقشة موضوعية موضوع ضرورة حصر الأحكام العرفية في المسائل العسكرية بالرغم من أنها ذكرت ان على ماهر باشا رئيس الحكومة رفض الأخذ بهذا الاقتراح ، كما أن اللجنة ناقشت أيضا موضوع سلطات الحاكم العسكري وضرورة تقييدها وكان من بين ما جاء في رأى الأغلبية : « ان البلاد لا تطمئن اطلاقا ، أن تجعل تنفيذ الأحكام العرفية في يد ليست موضع الرضا منها .. فضلا عن ذلك فان قضية الحرية والديمقراطية ، التي أعلنت انجلترا ، وفرنسا الحرب ، للدفاع عنها يجب أن تشترك مصر ، في الدفاع عنها بكل قواها ، وبكامل رضاها ، لان مصيرها يتوقف على نتيجتها تلك ومن أجل هذا يقتضى أن تكون السلطة التي تباشر صيانة هذه المصالح التجارى مع رعايا ألمانيا كما قبض على هؤلاء ، الرعايا ، وصودرت أملاكهم .

وقد كان من بين ما جاء في خطاب الأستاذ يوسف الجندى ، زعيم المعارضة فى مجلس الشيوخ : لا يرضينا بأن نسلم أنفسنا الى سلطان مطلق لو وضع فى يد عمر بن الخطاب نفسه لما اعتصم من الخطأ ، .

على أية حال لقد وافق مجلس الشيوخ - فى النهاية - على مرسوم اعلان الأحكام العرفية بأغلبية ٦٨ صوتا ، ضد ٥٩ صوتا .

وقد اقترن اعلان الأحكام العرفية بقطع العلاقات السياسية بين مصر ، وألمانيا ، كما أصدر الحاكم ، العسكري - على ماهر باشا - قرارا ، بمنع التعامل التجارى مع رعايا ألمانيا كما قبض على هؤلاء ، الرعايا ، وصودرت أملاكهم .

والمتتبع لسياسة الوفد المصرى حتى ذلك التاريخ (١٩٣٩) يرى أن سياسة الوفد المصرى كانت قد رسمت بوضوح ، وبجلاء على أساس تنفيذ هدفين رئيسيين : البقاء فى الحكم اذا ما كان الوفد فى الحكم باعتبار الحكم حقا من

حقوق الوفد المصرى صاحب الأغلبية في أية انتخابات حرة ، وأنه لا يجب أبدا ، أن يقصى عن الحكم بأية وسيلة دستورية ، أو غير دستورية الا اذا تخلى الناخبون عن تأييده واختاروا بدلا منه حزبا آخر ، أو جملة أحزاب ، الهدف الرئيسى الآخر للسياسة الوفدية ، ضرورة السعى الى الحكم أو بمعنى آخر يحسن أن يكون أكثر دقة فيما يتعلق بغرض السياسة الوفدية ، ضرورة السعى لاستعادة الحكم ، الذى هو حق للوفد ، دون سواء من الأحزاب الأخرى ، وعملية استعادة الحكم هذه تتطلب خوض ، أية معركة ، واستخدام أية أسلحة ، واعتبار كل من يقف فى سبيل عودة الوفد ، الى الحكم ، عميلا للانجليز ، خائنا للشعب !

ولهذا لا بد من أن نتوسع فى بحث ذلك الموضوع الحيوى الهام : ماذا يحدث عندما يكون الوفد فى المعارضة أى خارج الحكم ، هذا ما سنفصله فى الفصل التالى .

الفصل السادس

عندما يكون الوفد في المعارضة !!

تحدثنا عن السياسة التي وضعها الوفد المصري منذ أن أقصى عن الحكم في ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ ، والتي تتلخص في معارضته - قدر الامكان - للسياسة البريطانية في مصر ، وانطلاقا من تلك السياسة كان يعارض أية وزارة وليت الحكم بعده : عارض وزارتي محمد محمود باشا ، الثانية والثالثة ، وعارض وزارة علي ماهر باشا ، الثانية ، ولان العلاقة بين الوفد المصري وبريطانيا ، وخاصة أثناء الحرب العالمية الثانية كانت تشكل ركيزة هامة وخطيرة في السياسة المصرية في الداخل ، وفي الخارج فاننا نستأذن القارئ العزيز في أن نولى هذه العلاقة ما تستحق من أهمية ، خاصة ان الكلام - بالتفصيل - عن هذه العلاقة يوضح كثيرا من الأمور والأحداث ، التي وقعت في مصر في الفترة من ١٩٤٠ وحتى الربع الأخير من عام ١٩٤٤ ، ولاننا لا نريد أن نعرض رأينا في مثل هذا الموضوع التاريخي الهام ، فاننا نستأذن القارئ العزيز ، مرة أخرى في أن نستعين بالعديد من الآراء ، التي تناولت هذا الموضوع مؤجلين ابداء وجهة نظرنا ، الى ما بعد ابداء آراء الآخرين ، الذين هم من خيرة من تناولوا هذه الفترة التاريخية الهامة بالتاريخ .

يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعي ، وهو يتحدث عن وزارة مصطفى النحاس باشا الرابعة ، التي أقيمت في ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ : « يبدو أن النحاس بعد توقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ قد ازداد تعلقا بالحكم المطلق ، المستند الى الدكتاتورية البرلمانية لانه اطمأن الى تأييد الانجليز له . بعد أن ظفروا منه بالمعاهدة وروج لها وسماها « وثيقة الشرف والاستقلال » فحفظوا له هذا الجميل ، وجاوزه عليه بتأييده في حكمه ومن ثم أخذ يسير في وزارته سيرة « الحاكم بأمره » ، ويقص عن حظيرة الوزارة والوفد كل من يعارضه مهما كانت منزلته السابقة في الجهاد .. »

ومما يؤخذ على هذه الوزارة أنها قررت اعتبار يوم ٢٦ أغسطس وهو يوم توقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ عيداً وطنياً وأسمته « عيد الاستقلال » ، وما هذه المعاهدة المشنومة بمعاهدة استقلال ، بل هي مهددة له مقوضة لأركانها فجاء اعتبار يوم توقيعها عيداً وتسميته عيد الاستقلال من المتناقضات المخزية .

ويقول الأستاذ الرافعي ، انه عندما احتدمت الأزمة الدستورية بين الوفد والسراى حول تعيين أحد أعضاء مجلس الشيوخ وحول رفض السراى توقيع مشروع قانون بفتح اعتماد اضافي طلبت الوزارة توقيعهم وحول طلب السراى حل جماعات القمصان الملونة ، سعى السفير البريطاني سير مايلز لامبسون في تسوية الأزمة بقاء وزارة النحاس في الحكم ، ولتساهل من الجانبين ، أصرت السراى على موقفها . .

ويشير عبد الرحمن الرافعي - في كتابه « في أعقاب الثورة » الجزء الثالث - الى مذكرة الوفد الى الحكومة البريطانية في أول ابريل ١٩٤٠ ، تلك المذكرة التي أحدثت كما يقول الأستاذ الرافعي رجة كبيرة في البلاد ، لانها أول صيحة بالخروج على معاهدة سنة ١٩٣٦ من إحدى الهيئات التي وقعتها ، ومن الهيئة التي اعتزت بها ، وروجت لها ، وحثت الناس على قبولها ، والمذكرة التي يشير اليها الأستاذ الرافعي قدمها مصطفى النحاس أول ابريل ١٩٤٠ الى السفير البريطاني ليبلغها الى الحكومة البريطانية ، وقد تضمنت المذكرة المطالب الآتية :

١ - تصرح الحكومة البريطانية من الآن - ابريل ١٩٤٠ - بأنه عندما تضع الحرب العالمية أوزارها ويتم عقد الصلح ، بين الأمم المتحاربة تنسحب من الأراضي المصرية القوات البريطانية جميعها سواء في ذلك القوات العسكرية ، قبل الحرب أو بعدها ، وأن تحل محلها القوات الحربية المصرية على أن تبقى المحالفة فيما عدا ذلك قائمة بين الطرفين بالأوضاع المبينة فيها .

٢ - عند التسوية النهائية يجب أن تكون مصر طرفاً فيها وأن يكون لها اشتراك فعلي في مفاوضات الصلح للدفاع عن مصالحها والعمل على تحقيق أغراضها معنوية كانت أم مادية .

٣ - بعد انتهاء مفاوضات الصلح يجب أن تدخل مصر ، وانجلترا في مفاوضة يعترف فيها بحقوق مصر كاملة ، في السودان لمصلحة أبناء النيل جميعاً .

٤ - المطالبة بإلغاء الأحكام العرفية .

٥ - عدم الحيلولة دون تصدير القطن المصري ، الى البلاد المحايدة أو شرائه بالأسعار والشروط المناسبة .

ويقول الأستاذ الرافعي : أحدثت هذه المذكرة تأثيراً كبيراً ، وقوبلت - في الجملة - باعتراف اذ كانت أول صوت ارتفع من بين الهيئات التي وقعت المعاهدة

بالانقضاء عليها ووضحت تعلق البلاد بالجلاء وجاءت - فيما عدا حديثها عن المحالفة وعن السودان - انتصارا كبيرا ، لقضية الجلاء ، ولوجهة نظر الحزب الوطنى فى هذه المسألة الهامة التى هى جوهر الاستقلال .

أما لدى الجانب البريطانى فقد قوبلت بداهة بالاستياء ، والتذمر ، وبالرغم من انهماك بريطانيا وقتئذ فى الحرب ورغبتها فى كسب رضا الشعوب فان جواب حكومتها ينم عن روح السخط ، والحنق ، فقد أجابت عليها برد أرسله اللورد هاليفاكس وزير خارجيتها بطريق البرق ، الى السفير البريطانى ، وهذا بلغه الى النحاس باشا يوم ٦ أبريل ١٩٤٠ وصيغة هذا الرد كما يلى :

١ - أبلغوا النحاس باشا ، فى الحال أن الحركة التى قام بها ونشرت على الناس فعلا قد أحدثت لدى الحكومة البريطانية شعورا أليما للغاية ولا تستطيع الحكومة البريطانية الا اعتبار قرارات الوفد ، كمحاولة مقصورة للعب دور فى السياسة الداخلية فى حين أن بريطانيا العظمى مشتبكة فى صراع ليس أثره على مصير مصر واستقلالها بأقل منه على بريطانيا العظمى نفسها .

٢ - أما فيما يختص بالمسائل ، التى أثارها النحاس باشا فمن البديهي أنها تؤدي الى :

(أ) إعادة النظر فى المعاهدة المصرية ، البريطانية .

(ب) تدخل من جانبنا فى السياسة الداخلية المصرية .

(ج) الطعن فيما نستخدمه من وسائل الضغط الاقتصادى فى الحرب ضد ألمانيا :

٣ - لما كانت نتيجة الحرب ذات أثر فعال بالنسبة لمصر ، ومن الجلى بلا شك للنحاس باشا ، أنه لو انتصر العدو لم يبق الا قليل احتمال فى مناقشة مستقبل مصر ضمن حدود ديمقراطية فان الحكومة البريطانية موقنة بأن المسئولين عن مصير الشعب المصرى ومنهم النحاس باشا سيواجهون المسئوليات التى تجابههم فى ساعة خطيرة من تاريخ العالم .

٤ - أننا نحارب لسلامة الأمم الصغيرة واحترام العهد المقطوع ، فقل للنحاس باشا - وأنا أحد الموقعين على المعاهدة - يبدو لى أنه غير مفهوم أن يشعر النحاس باشا الناس بأنه يريد التشكيك فيما للمعاهدة من صفة قطعية ورسمية ، وأنه ليسعدنى أن أتأكد أن النحاس باشا سيعمل جهده ، بتخفيف أثر هذه الحركة التى لم تقترن بالسداد .

وقد رد الوفد ، على هذه الرسالة بخطاب أيد فيه مذكرته الأولى !

ويقول د. يونان لبيب رزق - في كتابه تاريخ الوزارات المصرية ، أنه عندما عين الملك علي ماهر باشا رئيسا للديوان الملكي تحفظت صحف الوفد وارتاحت الدوائر البريطانية ، لهذا التعيين باعتباره - كما تقول الوثائق البريطانية - شخصية مسئولة بدلا من مناورات الرجال غير المسئولين في القصر ، أما الصحف الموالية للقصر فقد شنت حملة واسعة على النحاس تتهمه فيها بأنه قد لجأ الى السفارة البريطانية طالبا العون في موضوع علي ماهر وأنها - أي السفارة البريطانية - لما حاولت التدخل فان رئيس الديوان الجديد ذكر للمستول البريطاني أن هذا الموضوع من اختصاص الملك وحده .

وقد انتهزت المعارضة الفرصة فكتب رئيس حزب الاحرار الدستوريين ، محمد محمود باشا خطابا بعث به للسفارة البريطانية يحتج فيه على التدخل الانجليزى في شئون مصر الداخلية ، كما كتبت الأهرام - ١٩٣٧/١١/١٤ - تنصح البريطانيين بعدم استغلال المعاهدة ، لكسب امتيازات جديدة في البلاد فان ذلك سوف يثير حالة السخط بين المصريين ويقول د. يونان لبيب رزق ، أنه عندما تعقدت الأمور بالنسبة لوزارة علي ماهر باشا بعد دخول إيطاليا الحرب ، في يونيو عام ١٩٤٠ ومع ما ترتب على هذا من زيادة المخاطر ، على مصر والوجود الإيطالي رابض على حدودها الغربية فقد صحبه تشجيع الوزارة ، والملك على انتهاج خطة العداء نحو الوجود البريطاني والسعى الى الاتصال بملوتى المحور ، وعند هذا الحد ، تحرك السير مايلز لامبسون فكتب الى لندن ، في ١٥ يونيو يصف علي ماهر ، بأنه غير متعاون ، ولا يمكن الاعتماد عليه ، بل ولا احترامه فهو بالرغم من وعوده المتكررة قد فشل تماما ، في توجيه الراى العام ، الى الوجهة السليمة ، ولم يبق في طاقتي أو في مقدورى ، أن يظل في منصبه أكثر من ذلك ، وقد شهد النصف الثانى من يونيو ١٩٤٠ ما يمكن أن نسميه بحادثة « ٤ فبراير ، الصغيرة » ، فقد وضع البريطانيون هدفا أمامهم يتمثل في السعى لاجراج علي ماهر من الوزارة ومن الديوان الملكى على أن يحل محله أحد ثلاثة من المعروفين بولائهم ، للحليفة من طراز حسن صبرى أو حافظ عفيفى ، أو حسين سرى .

وكانت وجهة النظر البريطانية في ذلك أن يكون رئيس الوزارة الجديدة غير وفدى ، ولكن يتمتع بثقة الوفد ، على أساس أن تعيين وزارة وفدية سيكون من شأنه اغضاب القصر ، وبعض الدوائر السياسية الأخرى ، بما يهم انجلترا أن تظل على تعاونها معهم ، هذا بالإضافة الى ما يتمتع به الوفد - كما تقول الوثائق البريطانية من شهرة سيئة من ناحية انعدام الكفاءة الادارية » .

ويرى مارسيل كولومب في كتابه « تطور مصر ١٩٢٤ - ١٩٥٠ » : لقد تحققت الآمال البريطانية ، فقد وقعت المعاهدة المنشودة في لندن في ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ على يد وفد مصرى برئاسة مصطفى النحاس باشا نفسه ورغم ذلك فلم يكن ثمة ما يشتم منه هبوط شعبية الوفد ، بل وليس من المؤكد أن يكون الراى

العام المصرى قد تفهم مدى خطورة العمل الدبلوماسى الذى تم التفاوض بشأنه
والذى جعل من مصر دولة تدور فى فلك بريطانيا العظمى وترتبط معها بتحالف
لا يتضمن أية ترتيبات لتحديد مدته .

وينتقل مارسيل كولومب بعد الحديث عن توقيع معاهدة ١٩٣٦ وآثارها
فى السياسة المصرية ، الى الحديث عن سياسة الوفد بعد أن أقصى عن الحكم ،
فيقول : لقد عمل الوفد منذ انضمامه ، لصفوف المعارضة على أن ينفرد بذلك
الدعم الحقيقى ، أو المفترض الذى تقدمه السفارة البريطانية للقصر الملكى ولكل
« الرجعيين » محاولا بذلك أن يسترد شعبيته التى استطاع الملك الشاب أن
يكسب بريقها الى حد ما ، وبعد ذلك وقف الوفد ضد المحادثات التى أجراها
« فى روما ٨ مارس ١٩٣٨ » اللورد بيرث حول مشاكل البحر الأبيض المتوسط ،
والمسائل الافريقية دون استشارة سابقة لمصر ، كما أنه رأى الاتفاق الانجليزى
الايطالى المفقود فى ١٦ ابريل ١٩٣٨ بمثابة عدوان على استقلال البلاد وكيانها
الدولى ونكت عهود مقطوعة ، فى معاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا ، والتفريط
فى حقوق مقدسة مقررة لمصر والسودان . كما أنه لم يخف من انتقاداته للاتفاق
الانجليزى ، المصرى ، الذى عقد فى ٤ أغسطس ١٩٣٨ حول بناء ثكنات عسكرية
فى منطقة قناة السويس ، كما أصدر فى الرابع من سبتمبر (١٩٣٨) بياناً
يستثير فيه الرأى العام ضد أول خرق ، لنص معاهدة ١٩٣٦ .

ومع ذلك فمع بدء العمليات الحربية فى أوروبا تغير موقف الوفد ، وبدأ
تنديده ، ببريطانيا يفقد حدة تدريجياً ثم يختفى كلية على وجه التقريب من
الصحف الوفدية ، تبني الوفد سياسة أكثر ملامعة وقادرة فى الوقت نفسه
على أن تضمن له ولاء الجماهير ، وعبر الوفد فى مذكرة سياسية سيلها الى
السير مايلز لامبسون فى أول ابريل ١٩٤٠ عن تخوفه من أن يعرض التحالف
الانجليزى المصرى لازمة أخلاقية بالغة الخطورة يمكن أن نلمح دلالات عليها عند
عناصر ، يعينها من الشعب المصرى - حسب تعبيره - وعند آخرين من أبناء
الشعوب العربية والشرقية .

وكى تدراً بريطانيا هذا الخطر لزم عليها أن تعلن منذ ذلك الوقت « أن
القوات البريطانية بعد انتهاء الحرب الدائرة واستتباب السلام ، بين الأطراف
المتحاربة ستسحب كلية من الأراضى المصرية لتحل محلها قوات عسكرية
مصرية ، كما أن من المسلم به ، أن معاهدة التحالف سوف تظل نافذة المفعول
بين الطرفين كما اقتضى الأمر أيضاً أن تؤكد بوضوح أن مصر سوف تشارك فى
الترتيبات النهائية للحرب ، كما أنها ستكون طرفاً فعالاً فى مفاوضات السلام ،
حتى تكون فى وضع يسمح لها بالدفاع عن مصالحها وحتى تحقق أهدافها المادية

والروحية ، ومن جهة أخرى فما أن يسود السلام حتى تكون حقوق مصر في السودان موضع اعتراف من جانب بريطانيا العظمى لمصلحة سكان وادي النيل العظيم » .

ولم يكن من شأن بيان الوفد هذا الا أن يسبب بعض الضيق في لندن كما أن رد الحكومة البريطانية كان يتسم بشيء من الحزم وفي نفس الوقت ، فإن الوفد لم يتردد في اعلان ارتباطه بقضية الديمقراطية ، وأكد أن مصر تمتد يدها للشعب الحليف وأن الشرف يقتضى من كل مصرى أن يساعد الدولة الحليفة بريطانيا ويشد من أزرها وأن يتجنب بوجه خاص كل ما يمكن أن يؤخذ على أنه طعنة في الظهر » .

وغداة دخول إيطاليا الحرب خرج الوفد بكلماته الى حيز التنفيذ ، فمنذ ذلك الحين تفاضى الوفد ، عن المطالب المعلنة في برنامجهم وظل يعلن أنه يقف الى جانب تقديم المساعدة المخلصة لبريطانيا العظمى في اطار معاهدة ١٩٣٦ مع رفض الزج بمصر في أتون الحرب ، وخففت هذه السياسة شكوك السفارة البريطانية كما جعلتها في الوقت نفسه تأخذ في الاعتبار رغبات الشعب المصرى وبفضل هذه السياسة أيضا باتت بريطانيا مقتنعة - بعد أن أدركت ما تواجهه من صعوبات - بعدم امكانية تحقيق فكرة جر مصر الى الحرب واذا ما لمستة بريطانيا من مناورات على ماهر باشا والمحاولات المتخبطة التي قام بها حسن صبرى باشا ، وحسين سرى باشا بدأ الوفد بوصفه الحزب الوحيد ، والذي لا يزال يحوز صفة الشعبية الكافية ، القادر على أن يقنع الرأي العام ، بتقبل الاجراءات التي تحتم الضرورة اتخاذها أثناء الحرب وكذا فانها - بريطانيا - لم تتردد في أن ترغم الملك فاروق على اعادة النحاس باشا الى الحكم ، مفضلة اياه على أحمد ماهر باشا الذي بدت لها آراؤه المتطرفة بمثابة خطر على استتباب الأمن والنظام في مصر » .

أما د. عبد العظيم رمضان في كتابه : « تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة ١٩٣٧ الى سنة ١٩٤٨ » ، فيقول عن موقف الوفد من بريطانيا ومن تنفيذ المعاهدة ، المصرية ، البريطانية ، ومن دخول مصر الحرب الى جانب الحلفاء و . . . وغير ذلك من الموضوعات الهامة : واضح من حديث للنحاس باشا في شهر نوفمبر ١٩٣٧ أدلى به لمراسلة احدى وكالات الأنباء الأجنبية بأن الصورة القائمة في ذهنه في حالة حدوث اعتداء من ناحية ليبيا ، أن يدافع الجيش المصرى عن البلاد ، وتساعد في ذلك القوات البريطانية : سينحارب أولئك الجنود « الانجليز » معنا بصفة حلفاء لنا اذا طرأ طارئ لهذا وقد فرق هذا الحديث بين هدف مصر ، من الحرب ، وهدف بريطانيا فقال : اذا حاربت مصر فستحارب دفاعا عن سلامة أراضيها وستحارب بريطانيا العظمى ، دفاعا عن سلامة امبراطوريتها . فلما وقعت الأزمة العالمية في سبتمبر ١٩٣٨ لم تتحدث احدى

الصحف الوفدية عن مسألة دخول مصر الحرب على الرغم مما كانت تهاجم به الحكومة لاهمالها اتخاذ اجراءات الدفاع عن البلاد ، والفرق بين الموقعين أن النحاس باشا عندما أدلى بتصريحه السابق كان في الحكم ، وكانت علاقته مع انجلترا على ما يرام ولكن في سبتمبر ١٩٣٨ ، كان في المعارضة وكانت علاقته بانجلترا على درجة كبيرة من السوء ، ومع ذلك فعندما تحدث صدقي باشا عن إبرام معاهدة عدم اعتداء ، بين مصر وإيطاليا ، اعتبرت الصحف الوفدية أن هذا الاجراء يعد انتهاكا لمعاهدة ٣٦ ، التي رأت أنها تلزم مصر بالمساعدة داخل أراضيها سواء كانت الحرب التي ستخوضها انجلترا ، دفاعية أم هجومية .

وقد اتضح موقف الصحف الوفدية من مسألة الحرب الدفاعية عندما قدم المارشال باليو ، الى مصر ، في مايو ١٩٣٩ ، فقد انتقدت هذه الصحف زيارة المارشال وهاجمت تصريحاته التي أعرب فيها عما ينعم به مسلمو طرابلس تحت الحكم الايطالي ، ويقول د . عبد العظيم رمضان : يمكن القول أن موقف الوفد كانت تنازعه جملة عوامل : أولا تأييده لقضية الديمقراطية ، والثاني عدوانته للاستعمار والثالث كراهيته للفاشية فلقد كانت انجلترا دولة ديمقراطية ولكنها كانت دولة استعمارية أيضا : لهذا كان الوفد يشدد الهجوم عليها ، بسبب ما كان يعتبره تأييدا فيها للحكم الاوتقراطي في مصر ويعتبر أن الحكومة القائمة مدينة بمقاعدها للنفوذ البريطاني ولكنه من جانب آخر كان يكره المعسكر الفاشي بدرجة أكبر ، ويدرك مدى الخطر الذي يحيق بمصر ، في حالة انتصاره ولهذا وقف الى جانب المعسكر الديمقراطي ويشير د . رمضان ، الى خطاب النحاس باشا في ١٦ يوليو ١٩٣٩ الذي ندد فيه بالانجليز الذين رأوا في الحكم الصالح حكم محمد محمود !! - بقرة خلوب تجلب لهم الخير الجسيم ، والنفع العميم ، فنقضوا ما أبرموا ، وأنكروا ما وقعوا وأخذوا باليسار ما أعطوه باليمن ، وكما فعلوا بمصر فعلوا بفلسطين الشهيد المستبسل فقسموها باسم الانتداب ، تقسيما هو القضاء عليها والفناء لها ، ولما رفضت ما فرضوه عليها أخذوا يسومونها سوء العذاب بفعل الانجليز ، هذا في مصر ، وفلسطين ، ثم لا يتورعون عن أن يتغنوا بالحرية ، ويعزفوا لحن العدالة والمساواة . . .

ويقول د . عبد العظيم رمضان : انفجر عداؤ الوفد للانجليز عندما سقطت وزارة محمد محمود باشا وألف على ماهر باشا وزارته على انقاضها ، وكانت الأنباء قد استفاضت قبل ذلك في الصحف الوثيقة الصلة بعلي ماهر عن الاتفاق ، الذي عقده في لندن مع اللورد هاليفاكس أثناء حضوره مؤتمر المائدة المستديرة ، وكان معروفا ان علاقاته بالسفير البريطاني قد توطدت بعد تحالفهما ضد البنداري باشا ، فقد اعتبر الوفد اعتلاء علي ماهر باشا الحكم ثالثة الاثافي بعد ان تحمل المصريون من حكم محمد محمود باشا ما تحملوا ، ونشأ في ذلك الحين اتجاه خطير في الوفد نحو عدم الاعتراف بالمحالفة . وكما قالت « المصري » ان خطة

الوفد ليست موجهة ضد المعاهدة اذ من الخبل أن يحارب الوفد عملا من صنعه بل من مفاخره ولكنها موجهة الى اساءة تنفيذ المعاهدة والى تدخل حلفائنا الديمقراطيين ضد الديمقراطية المصرية والاستقلال المصرى » .

وقد هدد النحاس باشا ، الانجليز فى خطابه الذى ألقاه بالاسكندرية يوم ١٣ أغسطس ١٩٣٩ قائلا : بيننا وبينكم معاهدة فاذا كانت تنفذ حسب نصوصها وعلى قدم الاخلاص والمساواة واعطاء كل ذى حق حقه فأهلا بها ومرحبا ، والا فلا كانت محالفة ولا صداقة اذا كان من ورائها الجوع ، والعرى ، والدمار لمصر ، والغنى والكسب لكم وحدكم ويقول النحاس باشا أيضا فى خطابه « أيتها الانجليز : اما صداقة وصفاء ، واما جفاء وعداء فاختاروا لأنفسكم ما تريدون » ويقول د. عبد العظيم رمضان : حين أعلنت الحرب العالمية الثانية بعد نصف شهر ، تقريبا من خطاب النحاس باشا ، الذى توعده فيه الانجليز ، والمسكر ، الديمقراطية كله ، لم يتردد الوفد فى ابتلاع تهديداته السناجقة . فكتبت جريدة « المصرى » تقول أن مصر ستكون مع حليفها انجلترا ، فى هذا الموقف الدقيق قلبا وقالبا وانما ستكون وفية لعهدا ، مؤيدة بكل قوتها الديمقراطية ضد الدكتاتورية » .

ولان المجال فيما اعتقد لا يسمح : بمناقشة تلك السياسة ، الا اننا نقول كتعليق سريع على تنفيذ تلك السياسة ، لا على السياسة ذاتها ، أنه ما كان للوفد أبدا ان يسرف فى توجيه الاتهامات الى معارضيه ممن يسعون للاستمرار بدورهم فى الحكم ان كانوا فيه ، أو ممن يسعون بدورهم للحصول عليه . اذا كانوا ، بعيدين عنه ، والاعتراض هنا ، على الأسلوب ، لا على المبدأ . والإفكار ، ولست أقول هذا رأى دفاعا عن على ماهر الذى « حظى » بأكبر قدر من الهجوم الوفدى عندما شكل وزارته الثانية ، اذ أن لى تحفظات كثيرة على على ماهر ، وعلى سياسته ولكننى أقول ان الاسراف فى الهجوم الشخصى ، والاسراف فى توجيه الاتهام ، ليس أبدا من أصول اللعبة السياسية النزيهة خاصة ان الاسراف فى الهجوم والاسراف فى توجيه الاتهام كان يتناقض الى حد كبير ، مع رأى الوفد المصرى فى على ماهر عندما تولى رئاسة الوزارة لأول مرة - وزارة المائة يوم - ولذلك وحتى لا تقع الجماهير فى أخطار دوامة الاسراف فى الهجوم الشخصى ، وفى توجيه الاتهام ، ينبغى الالتزام بالمعارضة الموضوعية ، الهادفة البناءة ، كما ينبغى على المعارض - على الأقل - ألا يتناقض مع نفسه فيقول اليوم عكس ماكان يقوله بالأمس تماما - كما أنه ينبغى الايمان ، بان شدة الهجوم ، وعنفه لا يقيدان المهاجم فى قليل أو كثير ، بل على العكس فان هذه الشدة ، وهذا العنف ، يبعدان عنه الجماهير التى لا تؤمن ، بالمعارضة ، العنيفة والقاسية بل والجارحة !

ونتقل الى آراء أخرى للوفد ، خاصة بسياسته في الداخل عندما يكون في المعارضة فاشير الى رأى أبداه قطب وفدى كبير عندما سئل ، عن مواصلة الوفد « الجهاد » ليكون في الحكم وحده ، دون بقية الأحزاب الأخرى اذ قال : « ليقولوا ما يقولون ، فهذه ليست أول مرة يتهمون فيها الوفد بالتهافت على الحكم في حين لا يطلب الوفد أن يكون في الحكم الا لتحقيق الغاية الكبرى وهي صون ، الاستقلال ، واستكمال ، والمحافظة على الدستور ، وتحقيق سلطة الأمة فمنذ قام الدستور ، لم يصبح طلب الحكم عيبا ، اذا ما جعله حزب من الأحزاب هدفا ، اذ لا يحتاج له أن يعمل ، وينفذ فكرته ووجود رأيه في الشئون العامة الا اذا تحمل تبعه الحكم ، واضطلع بمسئوليته ، فالحكم اذن ليس غاية الوفد ، انما هو وسيلة ، وهذا هو الفرق ، بيننا وبين الأحزاب الأخرى ، ومتى أصبح الحكم شهوة من الشهوات ، وانصرف الأحزاب عن هذه الغاية القومية ، الى التطاحن من أجل الحكم فلا يتردد حزب من الأحزاب في اتخاذ أية وسيلة في سبيل الوصول اليه وبذلك تضطرب الأوضاع الصحيحة وتهتز قواعد الديمقراطية الصادقة ، لا علاج لذلك الا بأن يتولى حكم الشعب من يحسنون تمثيله ، والتعبير عن مطالبه ورغباته » .

ويؤكد القطب الوفدى الكبير ، على تجارب « الوزارة القومية » التي تشترك فيها أحزاب كلها قد فشلت وأعطت المصريين درسا بل دروسا لا يمكن نسيانها أو تناسيها ٠٠ لا مجال - هكذا يقول القطب الوفدى الكبير - للوحدة ولا سبيل الى الائتلاف بعد الذى ثبت من تباين الأغراض والوسائل وانما السبل الممكنة الى تخفيف الصراع على الحكم ، هي التزام روح الدستور ، لان ذلك وحده ، هو الطريق الى الاستقرار وعندئذ ، لا يلبث التنافس على الحكم ، أن يسير في مجرى طبيعى وتحقق سلطة الأمة بتوالياتها شئونها من تنق به وتؤمن باخلاصه .

وعن اتفاق الأحرار الدستوريين مع الوفديين ، حول ترشيحات مكتبى المجلس « مجلس الشيوخ ، ومجلس النواب » يقول القطب الوفدى : « أنه لم تجر بين الوفد والأحرار الدستوريين مباحثات بصدد الائتلاف وكل ما حدث لا يعدو أن يكون توافقا غير مقصود وفى مسائل كان رأى الحزبين فيها واحدا » .

والوفد ليس ملزما بأن يعارض كل فكرة يراها ، الدستوريون أو غير الدستوريين من الأحزاب بل ان هذا التوافق كثيرا ما يقع على تصرف من تصرفات الوزارة نفسها ولا يمكن يومئذ أن يقال - عقالا - أن الوفد يتفاهم مع الوزارة ، أو أنه يمهّد للائتلاف .

والذى لا جدال فيه « ان معارضة الوفد » لفكرة الائتلاف الحكومى لا يمكن أبدا ، أن تقبل على طوال الخط ، اذ يحتمل - مثلا - أن يكون الوفد ، على حق ، في رفض الائتلاف في وقت من الاوقات أو رفض الائتلاف مع حزب من الأحزاب ، أو مع مجموعة من الأحزاب ، وقد يحتمل أيضا ، أن التجربتين اللتين مرت بهما

الوزارة الائتلافية التي اشترك فيها الوفد مع الأحزاب الأخرى في الحكم ، كانت تجربتين مبررتين ، ومن الممكن أيضا أن يكون الوفد ، قد أخطأ في هاتين التجربتين ، كما أخطأت الأحزاب الأخرى ، أو بعض الأحزاب المشتركة في الحكم ، وقد يكون خطأ الوفد باعتباره حزب الأغلبية في الوزارة الائتلافية أكبر من خطأ ، أي حزب آخر مشترك ، في تلك الوزارة . وقد يكون ، العكس ، و . و .

ولكننا نقول ، ان رفض الوزارة ، القومية كمبدأ ، وكسياسة غير مقبول على الإطلاق فقد تجد أمور خطيرة تتطلب من كل السياسيين نسيان الماضي كله ، بل نسيان مصالحهم الخاصة والحزبية ، كما تتطلب منهم تخصيص كل جهودهم ، لانقاذ البلاد ، مما تتعرض له : . . . قد تكون الوزارة القومية ، وزارة انقاذ للبلاد مما تتعرض له من أخطار وعندئذ ، يصبح رفضها بمثابة رفض للاشتراك في انقاذ البلاد .

وقد يطلب حزب الأغلبية ، أو الحزب الذي يؤمن بأن الشعب أو غالبية الشعب الى جانبه شروطا معينة للموافقة على المشاركة في تأليف وزارة قومية ، كان يجرى الاتفاق على سياسة محددة واضحة ، أو كان يتم - قبل التشكيل الوزارة - حل بعض المشاكل الناتجة ، أو كان يطلب حزب الأغلبية ، أو الذي يرى أنه صاحب الأغلبية ، أو الذي يرى أنه صاحب الأغلبية الشعبية ، أن يكون عدو وزرائه في تلك الوزارة ، أزيد من نصف عدد الوزراء ، أو ، أو . أما رفض الفكرة من أساسها فهو خطأ سياسي بل خطأ وطني وقد دفعت مصر - مصر كلها - في بعض الأزمات السياسية ، الخطيرة ، التي رثى فيها تأليف وزارة قومية ورفض الوفد المصري للمشاركة فيها ، دفعت مصر ، الثمن ، وكان الثمن في كل مرة ثمنا باهظا . . . من حريتها ومن كرامتها !

ونستزيد من الحديث عن موقف الوفد المصري ، عندما يكون في المعارضة من « الحليفة » . . .

والمتتبع أيضا لسياسة الوفد المصري حتى ذلك التاريخ (١٩٣٩) يرى أن سياسة الوفد كانت قد رسمت بوضوح وبجلاء على أساس تنفيذ هدفين رئيسيين لا ثالث لهما : أول هدفين : مضادقة بريطانيا عندما يكون الوفد ، في الحكم ، من أجل ضمان الاستقرار في الحكم ، باعتبار أن بريطانيا تفتي أيضا توقيع معاهدة ٣٦ أغسطس ١٩٣٦ هي صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة فيما يتعلق ببقاء الوزارة المصرية ، أية وزارة مصرية . في الحكم ، وقد تجيء مثلا في البداية ، وزارة لا ترضى عنها بريطانيا الرضاء الكامل ولكن ، لا يمكن أبدا لتلك الوزارة ، أن تستمر أو تستقر في الحكم الا اذا ضمنت تلك الوزارة ، ذلك الرضاء السامي !

وقد تبقى وزارة من الوزارات المصرية مثلا بضعة أسابيع ، أو حتى بضعة أشهر ، وهي في خلاف مع السفارة البريطانية حول بعض « الأمور » غير الخطيرة ولكن هذه الوزارة لا يمكن أبدا أن تستمر ، أو أن تستقر ما لم ترض عنها بريطانيا ، رضاء تاما . وقد وقر في ذهن القادة الوفديين ، وخاصة بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ أنه لم يعد هناك ، أبدا مبرر لمعاداة بريطانيا ، وأنه لابد من أن تتحول سياسة الوفد تجاه بريطانيا من خصومة شبه دائمة الى صداقة دائمة .

وربما كان ذلك التحول الخطير في سياسة الوفد المصرى من الأسباب الرئيسية التي جعلت كثيرين من غير الحزبيين أو على الأقل ، كثيرين من المتعاطفين مع الوفد ، يأخذون على الوفد هذا التحول الذى كان يصل فى بعض الأحيان الى نتائج تؤذى الشعور الوطنى .

وعلى عكس هذه السياسة تماما ، سياسة التحالف الدائم مع بريطانيا ، عندما يكون الوفد فى الحكم ، كانت سياسة الوفد وهو خارج الحكم ، ضد السياسة البريطانية ، على طول الخط ، بل أن الوفد كان يتخذ وهو خارج الحكم – وخاصة فى الأزمات الدولية التي تتعرض لها بريطانيا أو تتعرض لها مصر – سياسة ، عدائية للغاية ضد بريطانيا إما انتقاما منها لأنها لم تقف الى جانبه عندما أقصى عن الحكم ، واما لأنه يريد أن يقوم بضغط على بريطانيا أو على غيرها

من جهات « النفوذ » لتشارك فى عودته الى الحكم ، وقد أدت هذه السياسة الى اضعاف الوفد من ناحية وإلى اظهاره أمام الانجليز بمظهر ذلك الذى لا يؤتمن جالبه الا عندما يكون فى السلطة .

ولن نطيل أكثر مما أطلنا فى الحديث عن « الوفد عندما يكون فى المعارضة لننهي هذا الجزء من الكتاب بعد أن نفرد جزء آخر عن الرأى والرأى الآخر .

الفصل السابع

الرأى والرأى الآخر فى أحداث سنوات ما قبل الثورة

كما أقول. باستمرار ، أنها المرة الأولى التى يكتب فيها شعبنا المصرى العظيم تاريخه بنفسه ، ومنذ أخذت على عاتقى المشاركة فى إعادة كتابة تاريخنا الحديث وأنا أحرص على الرأى الآخر ، بل أسعى اليه بنفسى ، ليكون الرأى والرأى الآخر معا فى مجلدات تاريخ سنوات ما قبل الثورة .

وفىما يلى تعقيبات ، وتصويبات وأسرار جديدة تذاع لأول مرة كتبها أخوة أعزاء كان لهم أو لأبائهم من قبلهم فضل المشاركة فى صنع التاريخ المصرى :

٥٠ هيكىل والقمصان الزرقاء

فى رسالة بعث بها اليها الأستاذ حافظ محمود النقيب الأسبق للصحفيين وردت تلك الكلمات عن « القمصان الزرقاء » و ٥٠ هيكىل :

● الرواية لها بقية ، والبقية عندى لاننى كنت أحد شهودها ، والرواية التى أعنيها هى الفقرة الخاصة بذهاب الدكتور محمد حسين هيكىل لمقابلة لطفى السيد باشا فى الجامعة للتحديث اليه فى الاحتفال بتأبين محمود عبد الرازق باشا . كان هذا فى نوفمبر سنة ١٩٣٧ وأعصاب الشباب الجامعيين متوترة جدا . وقد اصطحبني الدكتور هيكىل معه وهو يقول ضاحكا « على الأقل لكى تشفع لى عند زملائك الطلبة » .

فلما بلغت السيارة بنا الى مشارف الجامعة وجدنا أبوابها موصدة وحولها « كردون » كثيف من رجال الشرطة يحاولون اقتحام الأبواب ، لكن الطلبة استطاعوا منعهم بأن سلطوا عليهم - من وراء الأسوار - خرطوم الماء الدافق .

سنوات ما قبل الثورة ج ٢ - ٥٤٥

وفكر الدكتور هيكل فى الرجوع ، أو على الأقل كان ذلك اقتراحا من سائق سيارته ، لكن الطلبة سارعوا إلينا تحت حماية خراطيم الماء - وحملوا الدكتور هيكل على أكتافهم إلى حرم الجامعة . ثم أعادوا إغلاق الباب جيدا . . . وهناك طلب الطلاب من الرجل أن يلقي كلمة ، فلم يزد على قوله : « ان كل وطنى يؤدى واجبه فى موقعه » . . . واستبدل الطلبة بالخطب هتافا لكتاب المعارضة وهم يطوفون بالرجل محمولا على أكتافهم حول فناء الجامعة .

وانتهز الدكتور هيكل فرصة دنونا من الباب الخلفى فشكر الطلبة وانصرف ، وقبل أن ينصرف همس فى أذنى بأنه بعد هذه المظاهرة السياسية لا يليق به أن يصعد إلى مكتب مدير الجامعة ، ثم قال لى : أما أنت فلا أحد يمكن أن يشك فى أنك واحد من طلبة الجامعة ، فاصعد أنت وحدك إلى لطفى باشا واعتذر له عنى وحدثه فيما جئنا من أجله .

وعند انصرافى بعد أداء هذه المهمة لاحظت أن مظاهرة الطلبة داخل الحرم الجامعى قد تحولت إلى مظاهرة عداوية لأستاذنا الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب آنذاك بسبب انتمائه إذ ذاك إلى « الوفد » وعلمت أن أحد الطلبة إذ ذاك وهو حاليا من كبار المحامين ، كان قد امتدت يده بالإساءة إلى طه حسين . . . وحين سمع منى الدكتور هيكل بهذه الواقعة أبدى أسفه الشديد لما حدث . ولكن ما أن ظهرت صحف الصباح فى اليوم التالى حتى قرأنا على صفحات جريدة « المصرى » تحقيقا صحفيا واسعا عما حدث فى الجامعة ، وانتهى كاتب التحقيق الصحفى إلى أن الدكتور هيكل لم يذهب إلى الجامعة الا للتحريض على الدكتور طه !!

العجيب أن طه حسين ظل مصدقا لهذه الأكذوبة إلى السنة الأخيرة فى حياته إذ رواها فيما رواه للزميل الأستاذ كمال الملاخ مما حملنى على أن أصحح له هذه الواقعة . . .

وفى مساء ذلك اليوم كان الدكتور هيكل معتزما أن يصحبنى معه فى زيارة للدكتور طه فى بيته للمجاملة ، وبينما كان يتحدث فى ذلك سمعنا أصواتا هادرة فى طريقها إلى مقر جريدة « السياسة الأسبوعية » بشارع الشيخ بركات - شارع كمال الدين صلاح الآن - بحى قصر الدوبارة وجاء سائق سيارة الدكتور هيكل وبلغه أن آلافا من شباب القمصان الزرقاء فى الطريق إلينا ، وأن الدكتور هيكل هو هدفهم .

حاول الدكتور هيكل أن يناقش الأسباب ، لكن السائق قد حملة حملا ووضع على كرسيه فى السيارة ، وانطلق به إلى بعيد . . . أما أنا فقد قفزت من جهة أخرى إلى الخارج . . . ووقفت بعيدا أرقب هذه المظاهرة التى قلبت كل شىء

فى الدار رأسا على عقب نتيجة لأكذوبة دسها بعضهم على جريدة « المصرى » ٠٠!

وبعد أربعين يوما بالضبط من هذه الواقعة سقطت وزارة النحاس باشا ، وتولى محمد محمود باشا الحكم ٠٠ فخطر لى أن أعمل كما يعمل الصحفيون بتوجيه الأسئلة الى الساسة ٠٠ وسألت محمد باشا قائلا : أظن أن أول قرار ستتخذه هو قرار بحل « القمصان الزرقاء ؟ » • فابتسم الرجل ابتسامة ذات مغزى وهو يقول : « لكن لماذا ؟ ٠٠ ان النحاس باشا هو الذى سيحلها » ٠٠٠٠ وقد فسرت مذكرات « سنوات ما قبل الثورة » سر هذه الإجابة •

« حافظ محمود »

القمصان الزرقاء تردت فى هاوية الحزبية وتقاتل أعضاؤها

صبرى أبو المجد ٠٠

● سبق ان أرسلت الى سيادتكم خطابا تضمن ردى على ما نشر فى – سنوات ما قبل الثورة – خاص بقصة تكوين القمصان الزرقاء • وكنت أعتقد ان الموضوع قد استوفى حقه من الايضاح والشرح المستند الى الحقائق التاريخية الثابتة التى لا لبس فيها ولا غموض • ولكن ما أثار دهشتى حقا أننى اطلعت على ما نشرتموه بعنوان لم ينشئ الوفد القمصان الزرقاء وانما نشأت تلقائيا • وما يعنينى مما ورد فى هذا المقال هو ما جاء فيه من ان الدكتور بلال هو صاحب الدعوة لقيام هذه الفرق ومنشئها • وهذا الادعاء – كما سبق ان أوضحت – يجافى الحقيقة ولا يتفق مع الوقائع التاريخية التى يعرفها الذين عاصروا نشأة هذه الفرق • واننى للحقيقة وللتاريخ المجردين عن الهوى والزيف أعيد سرد قصة انشاء هذه الفرق مع التوسع فى التفاصيل عما سبق نشره عسى أن يكون فى ذلك وضع للنقط فوق الحروف واعطاء كل ذى حق حقه • وفيما يلى ما هو مدون فى مذكراتى عن هذه الفرق : – فى صيف عام ١٩٣٤ فكرت فى تكوين هيئة من الشباب اخترت ان أطلق عليها اسم « فرق القمصان الزرقاء » على ان ينضم اليها الشباب المثقف وشباب العمال والتجار والموظفون من ذوى السمعة الطيبة على أن تزكيهم لجان الوفد والشبان الوفديون للاطمئنان الى خلقهم وحسن سيرتهم – وكان غرضى من تكوين هذه الفرق أن

أسعى جاهدا لانتشال شبابنا من الوهدة التي أردته الحزبية الهوجاء فيها حيث أوقدت نار الخصومة العنيفة بينهم فاعتدى بعضهم على بعض الى حد القتل - وكان برنامجي أن أفتح المجال الواسع أمامهم للتدريبات الرياضية والكشفية وأن يتلقوا عن طريق المحاضرات الدينية والوطنية والدروس التي تجعلهم قدوة صالحة وعدة قوية للوطن - وعند عرض الفكرة على صديقي وزميلي الأستاذ زهير صبرى همل لها وسر كثيرا وسافر الى الاسكندرية لعرضها على سكرتير الوفد المصرى مكرم عبيد . ووصل منه الرد المتضمن أن سكرتير الوفد رفض الفكرة « بحجة ان تنفيذها فى هذه الظروف فيه احراج لوزارة توفيق نسيم الصديقة التى تمهد لعودة الوفد الى الحكم وعلى ذلك يربأ التنفيذ الى مستقبل قريب » وأردت أن أمهد لتنفيذ الفكرة باعادة تنظيم لجان الشبان الوفديين بحيث تكون أقرب الى ما أنشده . وفعلا أنجزنا تكوين لجان فرعية عشرية فى غضون عام ١٩٣٥ . وفى نوفمبر من العام المذكور أذيع على الملأ التصريح المشهور باسم « تصريح هور » الذى كان وزيرا لخارجية بريطانيا وقتذاك وغضب الشعب بجميع طبقاته لما ورد فى هذا التصريح من اعتداء على كرامة مصر واستقلالها .



وكان نادى المحامين يزخر كل ليلة بالمئات من الشباب وغيرهم ومن بينهم أعضاء لجنة الطلبة التنفيذية . ورأيت أن الفرصة مواتية لاجراج فكرة تكوين فرق القمصان الزرقاء الى حيز التنفيذ بدون أن تلقى معارضة لان التيار الشعبى كان جارفا وزعماء الأحزاب يتراشقون فيما بينهم بالتهمة العنيفة التى تتضمنها بياناتهم التى تنشرها لهم الصحف . وبدأت أستعرض فى ذهنى أعضاء لجنة الطلبة التنفيذية لاختيار الزملاء الذين سيشاركوننى فى التنفيذ . ووقع الاختيار على الاخوة الزملاء محمد كامل الدماطى ومحمد بلال وفهمى سليمان سيدهم وبمجرد عرض الفكرة عليهم وافقوا على الاشتراك فى تنفيذها فورا . وأعددنا القمصان الزرقاء الأربعة واجتمعنا فى مكتبى بالنادى - حيث كنت أشغل وظيفة سكرتير النادى منذ افتتاحه فى ابريل سنة ١٩٣٤ الى أن نقل الى مقر النقابة فى عام ١٩٣٧ - وبعد ارتداء القمصان سرنا فى طابور نظامى اجتاز صالة الاجتماعات بالنادى الى مكتب رئيس النادى مكرم عبيد حيث كان بداخله الرئيس مصطفى النحاس وبعض أعضاء الوفد ، ثم وقفنا صفّا واحدا وقبضة باليد اليمنى على القلب ورفعنا الذراع فوق الرأس علامة تحية الفرق التى كنا اتفقنا عليها . وهتفنا « فرقة الدفاع عن الوطن والموت لأعداء مصر » وهتف مكرم عبيد فورا « برافو والموت لأعداء الوفد » وكان هذا هو قرار التصديق على قيام الفرق ، وعلم جميع الذين كانوا بالنادى بالموضوع كما نشر ثانى يوم بالصحف . وزحفت طوابير الشباب بأزيائهم المختلفة أمام النادى ، ودعوت

الرابطة العامة للجان الشبان الوفديين للاجتماع بصفتي سكرتيرها العام وأخذت الرابطة علما بموافقة الوفد على قيام الفرق وبعد بحث مستفيض وضعت الرابطة الضوابط والقواعد التي تضمن استمرار حسن نظام الفرق وسيرها في الطريق المستقيم وتجنب الانحراف والزلل وعلى أمل أن يكون في تكوين هذه الفرق الخير والصالح للوطن ولأبنائه من الشباب كما قررت الرابطة أيضا توجيه الدعوة لعقد مؤتمر عام للجان الشبان الوفديين بالقطر المصري يوم ٥ يناير سنة ١٩٣٦ بالنادي السعدي . وعقد المؤتمر فعلا وحضره مكرم عبيد سكرتير عام الوفد وألقيت فيه كلمات منى ومن الأستاذ زهير صبرى رئيس الرابطة ومن الزميل محمد بلال . وأعلن رسميا قيام الفرق . وتكون منا الأربعة مجلس قيادة للاشراف على الفرق وفق القواعد التي وضعتها الرابطة ، وبعدها دُعيت لمقابلة سكرتير عام الوفد مكرم عبيد وسألني عن الفرق والنظام الذي تسير عليه وأخبرته بالتفصيل عن كل ما سأل عنه فأظهر ارتياحه وأخبرني أنه يوافق تماما على ما ذكرته له وانصرف معتقدا أنني ظفرت بالتأييد المطلق لما تسير عليه الفرق . وما كنت أدري بما يدبر في الخفاء مما كانت نتيجته أن ظهرت بوادر خلاف بيني وبين الزميل بلال وفجأة نشرت جريدة الجهاد التي كانت لسان حال الوفد ما سمي بقرار « المجلس الأعلى لفرق الشباب الوفدي » ويقضى بفصل شوقي عبد الوهاب من الفرق والتحذير من الاتصال به أو التعامل معه وفصل كل من ينفذ أوامره « واجتمعت الرابطة في مساء نفس اليوم وحضر الاجتماع بعض أعضاء الهيئة الوفدية وعرف في هذا الاجتماع أن تصرف محمد بلال كان يعلم سكرتير عام الوفد وبتأييد منه . وأصدرت الرابطة « وهي الهيئة الرسمية التي تشرف على لجان الشبان الوفديين بالقطر المصري » قرارها باعتبار محمد بلال ومن يؤيده مفصولا من هيئات شباب الوفد والاستمرار في سياسة تدعيم الفرق وتقويتها على أن تسمى باسم « فرق الرابطة العامة للجان الشبان الوفديين » وتعين شوقي عبد الوهاب قائدا عاما لها ومنحه السلطات الكاملة للتصرف مع عرض الأمر بأسرع وقت ممكن على رئيس الوفد لوضع حد حاسم لهذه المهزلة التي لم يسبق لها مثيل . ومع الأسف عند مقابلة بعض أعضاء الوفد والهيئة الوفدية للرئيس أخبرهم « دولته » أنه لا شأن له بالفرق وإن المختص بالموضوع هو سكرتير عام الوفد مكرم عبيد وعند مقابلة الأخير قال للذين اجتمعوا به أنه قصد إجراء منافسة بين شوقي وبلال وإن البقاء للأصلح . وبذلك انقسمت الفرق الى فرقتين احدهما باسم « الشباب الوفدي » بقيادة محمد بلال . والثانية باسم « فرق الرابطة » بقيادة شوقي عبد الوهاب . وبناء على ما تم الاتفاق عليه بين الرابطة وبعض أعضاء الوفد والهيئة الوفدية ومنهم محمود النقراشي واللواء على فهمي والدكتور نجيب اسكندر تسلمنا حديقة شاسعة في شبرا ملحقة بمدارس الاستقبال واتخذنا منها مقرا رئيسيا لفرق الرابطة وانفصل كامل السماطي من مجلس قيادة فرق

شباب الوفد وانضم الى مجلس قيادة فرق الرابطة التى أصبحت تشرف على جميع فرق الرابطة فى القاهرة والأقاليم واستمر الموقف هكذا هادئا هدوء الرياح التى تسبق العاصفة الى أن انكشف المستور وتنفذ ما سبق أن اتفق عليه داخل الأبواب المغلقة وكانت ساعة الصفر هى الاعلان عن تاريخ عودة الوفد الرسمى من لندن بعد توقيع معاهدة أغسطس سنة ١٩٣٦ ففى الليلة التى سيحتفل الشعب غداًتها بالوفد العائد لاحظنا ونحن داخل معسكر الرابطة بشبرا أن أنوار الشوارع المحيطة بالمعسكر قد أطفئت ثم وقفت أمام المعسكر أربع عربات لورى مليئة بذوى القمصان الزرقاء وأخبرنى قائد حرس المعسكر بأن الزميلين محمود يونس وعلى حسيب يطلبان مقابلتى عند الباب الرئيسى وانهما يرفضان الدخول وتوجهت لمقابلتهم بحسن نية وليس فى تفكيرى مطلقا ان هناك غدرا أو خيانة أو مؤامرة . وما ان وضعت قدمى فى الخارج حتى سمعت صوتا أجش يصيح من أنت ؟ وبنفس حسن النية عندى أجبت أنا شوقى عبد الوهاب وفى الحال زمجر الصوت الأجش وصاح هو الدسياسة فاقتلوه - وقبل ان أفيق من هول المفاجأة سأهدت شخصا ممتلئ الجسم طويل القامة بيده شيء لم اتبين حقيقته للظلام الذى كان يحيط بنا ثم هوى بهذا الشيء على رأسى وصوته يدوى مجلجلا خذا من كامل المحلاوى وسقطت فاقد النطق تنزف الدماء منى بغزارة .



وعلمت بعد ذلك ان الغزاة الفاتحين اقتحموا المعسكر بالقوة وحطموا كل ما وصلت اليه أيديهم واستولوا على الحيام وحملوها على اللورى كما حملوا جثتى انهيلة الثياب الغارقة فى دمانها ووضعوها فى اللورى وعادوا الى معسكرهم فرحين بالانتصار الساحق وكانوا يهتفون فى الطريق « يسقط شوقى عبد الوهاب دسياسة الطليان » اذ أن بعضهم ذكر فى التحقيق أنه قيل لهم أن شوقى عبد الوهاب يقوم بتدريب الشبان فى معسكره بشبرا ليدعث بهم ليحاربوا فى صفوف جنود الجيش الايطالى الذى كان يحاول غزو الحبشة وقتذاك . كما علمت أيضا ان جنود البوليس قاموا بضبط الواقعة واقتادوا من استطاعوا الامساك بهم من فلول فرق الرابطة وباشرت النيابة التحقيق والبحث عن قائده الفرق الذى أختطف بعد الاعتداء عليه . واضرب صفحا عن ذكر ما حدث لى وأنا محتجز بمعسكر فرق الشباب الوفدى واوجز القول بان البوليس عثر على جثتى بداخل عربة تاكسى فوق كوبرى شبرا المجاور لمحطة سكة حديد مصر وتعذر أخذ أقوالى لحطوة الاصابة ومن المفارقات العجيبة أنه فى الوقت الذى كان الشعب يهتف ويصفق لوفد المفاوضات وهو يشق طريقه فى شوارع القاهرة كنت أنا بين يدي الطبيب الشرعى يفحص حالتى ليقدم تقريره الى النيابة . مرة أخرى لا اريد الخوض فى تفصيل ما دار فى التحقيق واكتفى بالقول بان بعض من كان بيدهم الحول والطول وجهوا التحقيق الى ما يؤدى الى اعتبار الحادث اشتباكا - أى خناقة - بين الفرقتين يحكم فيها بالغرامة أو الحبس

على المتشاجرين • ولم يأخذ العدل مجراه في هذه القضية الا بعد صدور قانون حل القمصان الملونة في عهد وزارة محمد محمود • ويجدر بي الإشارة الى ان ما حدث للمعسكر الرئيسى لفرق الرابطة بشبرا حدث مثله لجميع معسكرات فرق الرابطة فى الاقاليم • وبذلك يكون قد قضى على جميع فرق الرابطة بضربة واحدة ولم يبق فى الميدان سوى فرق الشباب الوفدى • وفى الحقيقة أننى لم أحاول بعد هذا الحادث إعادة تكوين فرق الرابطة لان الضربة الفادرة كانت شديدة الوقع على نفسى وخلفت آثارا خطيرة دمرت كل ما كنت أعتقده فى السياسة الحزبية من قيم ومثل وأيقنت ان المجاهرة بالرأى الحر وقول الحق بدون خشية والعمل الخالص لوجه الله والوطن لا يحظى بالتقدير والاحترام من الزعماء والقادة بل تأكد لى أن هؤلاء الزعماء قد فتحوا الباب على مصراعيه للمحاسبين الذين يحسنون انتهاز الفرص للصعود فوق الأكتاف وأنف العاملين المخلصين فى الرغام • ولهذا فأننى بدأت أهدأ لاعتزالي العمل الحزبى ، وتم هذا فى منتصف عام ١٩٣٨ • أما فرق الشباب الوفدى فقد صالت وجالت بمفردها ولها تاريخ حافل لا أريد الإفاضة فى الحديث عنه ولكن يكفى أن أثبت هنا بعض فقرات وردت عن القمصان الزرقاء فى كتاب تطور الحركة الوطنية فى مصر من سنة ١٩٣٨ الى سنة ١٩٤٨ لمؤلفه الدكتور عبد العظيم محمد رمضان فى صفحتى ١٠٧ و ١٠٨ وهو بالحرف الواحد ما يلى : « وهكذا انقلبت القمصان الزرقاء من مصدر قوة رهيبة للوفد الى مصدر قوة لخصومه حتى أصبح للقصر - كما لاحظت جريدة « برمنجهام بوست » أقوى مما كان عليه فى العهد الأخير للملك فؤاد وأصبح الوفد - كما قالت الجريدة أيضا - « أضعف مما كان » وفى الحق أن فرق القمصان الزرقاء كانت سلاحا ذا حدين • وقد اختار النحاس باشا الحد الذى ذبح به نفسه وحزبه • فأقيل - فى وجود القمصان الزرقاء - أسوأ اقالة فى تاريخه وتفرق القمصان أيدي سبأ عند أول طلقة أطلقتها حكومة محمد محمود باشا وأزيلت معسكراتهم بين عشية وضحاها فى جميع أنحاء البلاد » •

وهكذا أسدل الستار نهائيا ليس على القمصان الزرقاء فحسب بل على الفرق الملونة جميعها. وأصبحت فى ذمة التاريخ وعصفت الرياح الحزبية الهوجاء بالجهود الوطنية المخلصة التى كنت أبذلها وشاركنى فيها اخوانى الكرماء المخلصون وكان مقصدنا جميعا أن نؤدى لمصرنا العزيزة بعض ما علينا من واجبات مقدسة حيالها •

وختاما أرجو أن أوجه النصيحة خالصة لابنائنا من جيل ثورة ١٩٥٢ وما بعدها فى أن يكون عملهم وسعيهم الدءوب من أجل مصر وحدها وأن يكون رأيهم حرا صادرا من أعماق نفوسهم الصافية الشفافة وأن يضربوا من غير شفقة أو رحمة على كل غادر يدبر المؤامرات ضد الوطن المفدى أو يحاول الإيقاع بأخيه فى الوطن وأن يسير الجميع وفق المنهج العظيم الذى رسمه لنا خالق السموات

والأرض حيث يقول في كتابه الكريم « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
المؤمنون » وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »
صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مناضل قديم

صفحات مجيدة عن ثورة ١٩١٩ بمدينة سمند

● يسعدني أن أذكر في هذه الرسالة بعض الأحداث الجلية التي حدثت
بمدينة سمند ابان ثورة ١٩١٩ فقد كنت طالبا بمدرسة سمند الثانوية وكان
ناظرها هو الأستاذ توفيق عبد السيد وكان يلقي علينا في بعض الأوقات دروسا
في الوطنية .

وفي صباح يوم من أيام الثورة دخل فصلنا وقال ان بعض المواطنين مجتمعون
بالمسجد وانهم سيقومون بمظاهرة للاعراب عن شعورهم ضد الاحتلال الانجليزى،
وطلب منا أن نتوجه الى المسجد لتنضم اليهم ، فخرجنا من المدرسة ومعنا باقى
الطلبة وكان يقودنا الأستاذ ابراهيم فرج الوزير السابق ودخلنا الى المسجد
وقمت كلمة قصيرة ، ثم طفنا شوارع سمند هاتفين « الوطنية ديننا والاستقلال
حياتنا » وغير ذلك من الهتافات .. الى أن وصلنا الى الشارع الرئيسى الموازى
لجسر النيل ولما وصلنا الى قرب نهايته وقف المتظاهرون يستريحون وطلبوا منى
القاء كلمة وحملوني على أكتافهم وكان وقوفنا بالقرب من مخزن « السلطة
العسكرية » الذى تجمع فيه الحبوب التى كانت تأخذها من المواطنين بالقوة
وبأبخس الأثمان وأذكر بعض الكلمات التى قلتها ، فقد قلت : « أيها المواطنون
ان الوطن يناديكم .. انقذوه من قبضة الاستعمار البغيض وطهروا أرضه من
آخر جندي انجليزى مهما كلفكم ذلك من جهد ومشقة .. انظروا الى السلطة
العسكرية قد أخذت قوتكم رغما عنكم وبأبخس الأثمان » وأشارت بأصبعى الى
المخزن فنار المتظاهرون وأخذوا يكسرون أبواب المخزن وهم يرددون : « فلتسقط
السلطة العسكرية الى الأبد » واذا بضابط النقطة قد حضر ومعهم قوة من عساكر
البوليس مدججة بالسلاح واستعملوا الشدة فى تفريق المتظاهرين فأطلق أحد
المتظاهرين عيارا ناريا أصاب الضابط وأرداه قتيل .

لم يمض الا وقت قصير واذا بقطار مسلح يصل سمند وبه قوات انجليزية
مدججة بأسلحتها ونزلوا من القطار وضربوا حصارا حول المدينة حتى لا يدخلها

أحد ولا يخرج منها أحد وطبعاً كنت أعتقد أنى أول شخص سيقبض عليه فأسرعت الى مدينة أجا وأخبرت والدى فأمرنى أن أسافر فى الحال الى القاهرة .

وعلمنا بعد أن هدأت الحالة أن الانجليز أقاموا محكمة عسكرية لمحاكمة أهالى سمنود ولكن لم يتقدم للمحكمة أى فرد للدلاء بأية معلومات حتى عساكر الشرطة قرروا أنهم لا يعرفون المتظاهرين ولا من قتل الضابط ووجهت النهمة الى ضابط المدرسة وناظرها ، وحكمت عليها بالسجن ستة أشهر لكل منهما .
كما حكمت بالأشغال الشاقة المؤبدة على عمدة سمنود وعلى شيخ الخفراء بالإعدام وكان فى استطاعة ضابط المدرسة تبرئة نفسه اذا ما قال اننى أنا الذى خطبت فى المتظاهرين ويشهد معه الطلبة ولكن وطنيته الصادقة أثبت عليه ذلك وكذا وطنية الناظر والطلبة وأنقذوا حياتى من الاعدام .

وبعد الافراج عن ناظر المدرسة وضابطها بعد قضاء مدة العقوبة أقامت أسرة الأستاذ ابراهيم فرج حفل تكريم لهما ودعانى الأستاذ ابراهيم فرج لحضور هذا الحفل وفعلاً حضرت من القاهرة وألقيت كلمة فى المجتمعين بدأنيًا بترنيمة الملائكة « المجد لله فى الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » وكان يوماً لا ينسى من أيام مصر الخالدة .

كامل بولس قدسى

٢٣٢ شارع بور سعيد اسبورتنج الاسكندرية

محمد حنفى الشريف

مناضل قديم مات بعيداً عن وطنه

● رحل عنا منذ أيام مناضل ومجاهد صابر .. مات غريباً عن وطنه وعاد ليطويه تراب مصر حيث وفد ... وحيث بذل أغلب عمره لوطنه وأفنى من أجله زهرة شبابه ..

تزامننا مع عام ١٩٣٢ حيث جمعتنا حجرة واحدة فى حى المنيرة كل فى كليته : الهندسة والطب .. وأمضينا معاً فترة رتيبة غير قصيرة .. وما لبثنا ان انخرطنا معاً فى ثورة شباب الجامعة ١٩٣٥ وهتفنا مع الهاتفين بحياة مصر وحريتها ودستورها .. وكنا نفشى المظاهرات فى ساحات الكليات وشوارع القاهرة والجيزة مجتمعين تارة ومنفردين تارة أخرى .. ثم تجمعنا فى المساء غرفتنا المشتركة أو أحد سجون الاقسام .. أو زنزانتان متجاورتان بسجن الاستئناف أو قرة ميدان ..

وحين أعلننا قيام لجنة الطلبة العليا كان واحدا مبرزاً ممن مثلوا كلية الهندسة . ثم امتد نشاطه الى صفوف الشباب فاسهم معنا بقسط وافر في قيام تنظيماته وكان عضواً بمجلس قيادة فرقة الشباب تحت لواء الوفد .

ومن المعتقل عام ١٩٤٥ أعلن ترشيح نفسه نائباً عن دائرة سوهاج وابرق لوالده لينوب عنه في اجراءات الترشيح ويسدد التأمين . وأولاده النخبون ثقتهم . تقديراً لكفاحه وتشجيعاً له ليوصل مسيرته . وكان الوفد قد قاطع تلك الانتخابات والتي أجراها المرحوم أحمد ماهر . وأصبح حنفى المعارض الوحيد في تلك الدورة والتي انتهت عام ١٩٤٩ . وكان له بها مواقف مشهورة وجولات صارخة في مواجهة سياسة الحكومة الداخلية والخارجية .

وفي انتخابات ١٩٥٠ التي أجراها حسين سرى كان مرشح الوفد في دائرة سوهاج واختاره النخبون من بين عشرة آخرين ومنهم وفدى آخر .

وسجلت له منصة مجلس النواب الجديد مواقف مجيدة يعتز بها كل نائب وطني . فلقد أسهم في مناقشة تشريعات الصحافة التي تقدم بها أحد النواب . ثم شارك أكثر من مرة في مناقشة القضية الوطنية وقضية فلسطين وهي المناقشة الوطنية التاريخية والتي تجاوبت مع خواطر الحكومة الوفدية وأعلن مصطفى النحاس في أعقابها إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وقال من فوق المنصة عبارته المشهورة : من أجل مصر وقعت المعاهدة ومن أجل مصر أطالبكم بإلغائها وكان ذلك في ٨ أكتوبر ١٩٥١ .

ولقد أمضى حنفى الشريف ، ما يناهز سبع سنوات متنقلاً بين السجون والمعتقلات . حتى لقد توفي والده وهو في سجن القناطر . ولم يكن يفرج عنه الا ليعود بعد أيام أو أسابيع لنفس السجن أو لغيره . ولم تكن صورة زائر الفجر غريبة على أهله وأولاده في منشية البكرى . وكمن مرة بذلت معه مساومات ليتخلى عن مبادئه دون استجابة منه . وكانت حريته وسعادة أولاده دائماً هي الثمن .

وغادر أرض وطنه مرات ومرات يضرب في الأرض ويمشي في مناكبها كلما ضاقت في وجهه السبيل في وطنه وهو المهندس البار . فسافر الى السعودية مرات ومرات ثم سافر أخيراً الى العراق حتى عاد منه أخيراً جثماناً طاهراً لمناضل شريف .

وبين دموع زملاء كفاحه وعارفي فضله حمله أبناء سوهاج الى مثواه الأخير .

مات بعيدا عن وطنه .. ولكن ذكراه بين المناضلين الوطنيين على أرض الوطن ستبقى خالدة على مر الايام ..

مات ولم يترك لاولاده أو ذويه ثروة ولكن التراث الوطنى الذى تركه يفوق كل ثروة ويفضل كل مال ومتاع .

لئن كنت أنعيه اليوم الى الباقين من المناضلين والاحرار من جيلنا ورعيلنا فانه أقدم للجيل الجديد مثلاً ، مضيئاً من شباب الماضى وصورة بارزة من ايمانه بوطنه واقدامه على التضحية فى سبيل حرية الوطن ورفعته وكرامته .. وأعرض صفحة من صفحات الماضى وما حفلت به من بذل وعطاء وكفاح .. ان طويت بعض الوقت فسوف تنشر حتما بعد حين ..

د • محمد بلال

عزيز على المصرى : فى مدرسة البوليس والادارة كان يريد لهم رجالا أحرارا وفرسانا

صبرى أبو المجد ..

● اطلعت على ما كتبتموه أخيرا عن عزيز المصرى ، المفتش العام للجيش المصرى . وقد أشرت الى « الخطبة النصارية » - على حد تعبيركم - التى ألقاها الفريق عزيز المصرى باشا فى الحفلة التى أقامها خريجو كلية البوليس - « مدرسة البوليس والادارة » .. كما كان يطلق عليها فى ذلك الحين - فى فندق هليوبوليس بلاس فى ٢٥ فبراير ١٩٣٨ تكريما له ، باعتباره مديرا سابقا لكلية البوليس ، وعرفانا بمآثره عليها ، وذلك بمناسبة تعيينه كأول مصرى فى ذلك المنصب الكبير .

ولما كنتم قد أشرت الى شخصى ، وإلى زميلى الأستاذ عبد الله شعيب على اعتبار أننا كنا فى مقدمة الذين تحدثوا فى تلك الحفلة ، وحيث كنا من أعضاء هيئة التدريس للمواد القانونية فى ذلك الحين . ولما ذكرتم فى مقالكم أنه « لعل بعض الذين استمعوا الى تلك الخطبة التى ألقاها عزيز المصرى .. يتفضلون فيبعضون إلينا ببعض مشاعرهم عندما سمعوا لأول مرة فى حياتهم المفتش العام الجديد للجيش المصرى يتحدث اليهم وإلى زملائهم من شباب الجامعة والبوليس ، هذا الحديث الجديد فى « نوعه وأسلوبه » .. لذلك ، رأيت ان أبعث اليكم بهذه الكلمة ، التى آمل الا تقصر ، رغم قصرها ، دون تحقيق هدفها وهدفكم .

لا أكتكم ان ما ذكرتموه عن ذلك « الحديث الجديد فى نوعه وأسلوبه » .. وان كان يعد جديدا غريبا حين يصدر فى اجتماع عام من مفتش عام للجيش

المصرى ، فى عهد الاحتلال الانجليزى ٠٠ الا ان مثل ذلك لم يكن جديدا على ولا غريبا على مسمعى ٠ الذى طالما استمعت منه الكثير من عزيز المصرى ، سواء فى احاديثه الشخصية معى ومع غيرى ، أو فى تعليقاته على المحاضرات العامة التى كان يكلف بتحضيرها بعض الطلبة ، لالقائها على طلبة الكلية جميعا ٠٠ فى اجتماع كان يحضره أساتذة الكلية وضباطها ٠

كانت تعليقات عزيز المصرى تتسم بصراحة وجرأة نادرتين ، ندرة ليس وراء حدودها أى حد ، ولم يعرف مثلها من قبل ولا من بعد ٠ اذ كانت تعليقاته من ذلك الطراز الذى يثير عليه رجال الحكم ، لاسيما ان العهد كان وزارة صدقى باشا ، ذات النزعة الديكتاتورية ٠

ولقد كان عزيز المصرى يهدف من وراء تعليقاته - فيما كان يهدف اليه - الى ان يجعل من الطلبة والضباط ، رجالا يحسنون بعملهم وخلقهم خدمة بلادهم ، وان يجعل من مدرستهم - على حـد تعبير مقالكم - « مدرسة الرجولة والقروسية » ٠٠ بل « مدرسة الحرية » ٠٠ على حد تعبيره فى الحفلة التى أقيمت بمناسبة تركه مدرسة البوليس ، واختياره رائدا لغاروق ولى العهد حين بعث به والده الملك فؤاد الى انجلترا للدراسة عام ١٩٣٥ ٠

والحقيقة أنه قد ربطتنى بذلك الرجل العظيم - منذ التحاقى بهيئة تدريس المواد القانونية فى الكلية فى العام الدراسى ١٩٣٢/١٩٣٣ - رابطة قوية ، زادها قوة مرور السنين حتى سنة انتقاله الى رحمة الله عام ١٩٦٤ ٠٠

وقد عرفت الكثير عن هذه الشخصية الفذة العظيمة ٠٠

رحم الله عزيز المصرى ٠٠ ولكم منى صادق التحية والتقدير ٠

د ٠ عبد الحميد متولى

أستاذ غير متفرغ بكلية الحقوق

كيف سقط النحاس باشا فى دائرة

سمنود سنة ١٩٣٨ أمام على المنزلاوى

صبرى أبو المجد ٠٠

تحية وطيبة وبعد :

أتابع باهتمام بالغ ما تنشرونه من بحوث عن سنوات ما قبل الثورة التى تبذلون فيها الجهد الجليل لانارة الطريق أمام أبناء الجيل الجديد وذلك بروح وطنية صادقة ٠

وقد جاء تحت العنوان الآتى :

« تمت هزيمة النحاس باشا الأولى فى دائرة سمنود على يد المنزلاوى مرشح الحكومة » • وتوضيحا لظروف هذه المعركة التى عاصرتها أرى احقاقا للحق بيان الأمور الآتية :

أولا : لم تكن هزيمة النحاس باشا ضد المنزلاوى فى انتخابات سنة ١٩٣٨ هى الهزيمة الأولى بل سبقتها هزيمة أخرى فى انتخابات سنة ١٩٢٥ اذ انتخب وقتئذ على المنزلاوى بك نائبا بمجلس النواب عن هذه الدائرة وقد حاز الوفد المصرى أغلبية كبيرة فى تلك الانتخابات ولم يكن النحاس باشا الوزير الوفدى السابق بين الفائزين وعندما علم بهذا النبأ رئيس الوفد سعد زغلول باشا أرسل اليه بوقية مجاملة يقول فيها : « ان لم تكن معنا بجسمك فانت معنا فى مجلس النواب بروحك » وكثير من الذين عاصروا نتائج تلك الانتخابات ما زالوا يذكرون عبارات البرقية التى خص بها زغلول باشا زميله فى الوفد المصرى •

ثانيا : ليس صحيحا أن المنزلاوى بك كان مرشح الحكومة فى انتخابات سنة ١٩٣٨ بل تقدم لترشيح نفسه مستقلا عن الأحزاب وكان قد استقال من حزب الأحرار الدستوريين قبل ذلك بسنوات ولم يرد اسمه فى قائمة مرشحي الحزب وانما تقدم فى تلك المعركة معتمدا على الله وعلى ماضيه وجهاده السياسى منذ مطلع شبابه فضلا عن صلاته الوثيقة بالدائرة التى لم تنقطع منذ أن فاز فى انتخابات الجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ على منافسيه قبل الحرب العالمية الأولى وحين كان النحاس باشا بعيدا عن أى نشاط سياسى بل كان يعمل حينذاك قاضيا فى محراب العدالة •

ثالثا : عند بدء الانتخابات شعر النحاس باشا بحرج مركزه وخاصة بعد الحملات الصحفية العنيفة التى كانت قد اشتدت ضده فى أواخر عهد حكومته من كبار مؤيديه السابقين من صحفيين وسياسيين أمثال المرحومين الأستاذ عبد القادر حمزة والأستاذ عباس محمود العقاد وصحيفة روز اليوسف فضلا عن خروج بعض أقطاب الوفد أمثال الدكتور أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى والدكتور حامد محمود والأستاذ محمود غالب والأستاذ إبراهيم عبد الهادى وغيرهم الذين عارضوا بشدة بعض تصرفاته فى أثناء توليه الوزارة خلال عامى ١٩٣٦ و ١٩٣٧ ونتيجة لذلك رأى النحاس باشا أو نصحه أنصاره بالتقدم فى دائرة انتخابية ثانية الى جانب دائرة سمنود أخذا بالأحوط فرشح نفسه لأول مرة فى دائرتين الأولى سمنود والثانية دائرة فى شمال الدلتا قد تكون دائرة

الزعفران على ما أذكر مؤيدا من أنصار آل سراج الدين هناك اليس في هذا الاجراء دليل على عدم اطمئنانه بالفوز في دائرة سمنود مسقط رأسه ؟ •

رابعا : جاء بدراستكم ما يلي :

« ورغم ان على المنزلاوى بك يتمتع في قريته وما حولها بتأييد قوى الا ان مصطفى النحاس كان يتمتع في عاصمة المركز مركز سمنود وما حولها بتأييد جارف ولم يكن يتصور أحد ان مصطفى النحاس كان يمكن ان يسقط في دائرته لولا تدخل الحكومة الى جانب مرشحها على المنزلاوى بك فقد ظل مصطفى النحاس باشا منذ بداية الحياة النيابية نائبا عن سمنود كما ان خدماته لابناء الدائرة وعرفان أبناء هذه الدائرة بأفضال مصطفى النحاس عليهم كانت تفرض نجاحه في سهولة ويسر »

وتعقبيا على ذلك أقول ان النحاس باشا قد نال الاغلبية الساحقة في عاصمة المركز بحيث لم ينل المنزلاوى بك سوى ١١١ صوتا من حوالى ثلاثة الاف صوت اليس في هذا دليل على حيده الانتخابات وأضيف الى هذا ان النحاس باشا قد وقع على أنه ليس له مندوب في لجان الانتخابات في قريتي أبى صير بلدة المنزلاوى وشبرا بابل بمعنى أنه لم يجد له نصيرا بهما لمراقبة عملية الانتخابات نيابة عنه وهاتان القريتان عدد الناخبين بهما يكاد يعادل عدد ناخبى سمنود فضلا عن قرى اخرى لم تكن تؤيده •

وفوق هذا فقد حاز النحاس باشا في تلك الانتخابات حوالى ٤٣٠٠ صوت مقابل ٥٢٠٠ صوت حازها المنزلاوى أى أن الفارق كان في حدود تسعمائة صوت فقط • فهل هذا هو التزييف اذا عقدنا مقارنة بفارق الأصوات في الدوائر الأخرى ذلك أن دائرة سمنود كانت محط الأنظار فاذا كانت الحكومة قد تدخلت في دوائر أخرى فانها كانت حريصة كل الحرص على الابتعاد عن التدخل في هذه الدائرة وخاصة ان منافس النحاس باشا لم يكن فوزه ذا أهمية لديها فلم تكن قد زالت بعد من النفوس آثار قضيته ضد جريدة السياسة التى كسبها في الجولة الأخيرة أمام محكمة النقض التى أدانت مسلك الصحيفة المذكورة وأخيرا أرجو الا أكون قد اطلت فقد حاولت الايجاز قدر المستطاع ولم أذكر كثيرا من الوقائع التى عاصرتها مؤثرا التركيز على ما كان منها أكثر دلالة واعم نفعا في كشف القموض عن بعض صفحات تاريخنا واحداثنا قبل سنوات الثورة •

مصطفى المنزلاوى

قصة الخلاف بين حسن صبرى باشا و ابراهيم دسوقي أباطة باشا حول التجهيز لانتخابات ١٩٣٨

أخى الاعز الأستاذ الكبير صبرى أبو المجد ..

تحية طيبة واجلالا .. وبعد ..

فلعلك لا تدري مقدار الاكبار الذى نقرأ به لك عرضك لتاريخ ما قبل الثورة فهو عرض فيه الامانة المطلقة والحيدة البعيدة كل البعد عن المظنة . الأمر الذى افتقدناه فلم نجده منذ سنوات ..

ولقد تفضلت فذكرت فى عدد سابق أبى المرحوم ابراهيم دسوقي أباطة وانى لاشكر لك كلمة الحق التى ذكرته بها وانتهاز الفرصة لاطلعلك على أمر أشرت فى كتابتك أنك لا تعرف السبب فيه . والواقع ان أحدا لا يعرف هذا السبب الا نحن الذين كنا فى البيت ونعرف من دخائله ما لا يعرفه أحد .

وكان هناك اجتماع مجلس وزراء فى اليوم الذى كان محمدا لتوقيع مرسوم لانتخابات عام ١٩٣٨ التى جرت فى ظل وزارة محمد محمود باشا التى ائتلف فيها الاحرار الدستوريون مع الهيئة السعدية . وكانت تلك هى المرة الاولى التى تشترك فيها الهيئة السعدية فى الوزارة بعد انشقاقها عن الوفد . وكان أبى بوصفه سكرتيرا عاما لحزب الاحرار هو الذى يعد قوائم الترشيح بالاتفاق مع الهيئة السعدية . وبينما كان أبى مشغولا بهذا العمل المضنى دق جرس التليفون فى بيتنا وكان المتحدث المرحوم حسن باشا صبرى . فطلب الى أبى ترشيح شخص معين فى دائرة معينة فقال أبى :

— ان هذه الدائرة بها شخص سعدى ومتقدم لها مرشح على مبادئ حزب الاحرار الدستوريين ولهذا لا يمكن ترشيح أحد آخر فى هذه الدائرة ..

فاذا بحسن باشا يقول :

— أتناقشنى ؟

ودهش أبى ولم يجد شيئا يقوله الا أن يضع سماعة التليفون دون أن يجيبه .

وبعد أن حدثت أزمة وزير الزراعة قرر محمد محمود باشا اختيار أبى لوزارة الزراعة وأعد المرسوم فعلا ..

وكان هناك اجتماع مجلس وزراء فى اليوم الذى كان محمدا لتوقيع مرسوم أبى فأنهى محمد محمود باشا الجلسة وقال معتذرا للوزراء أنا ذاهب للسراى لأوقع مرسوم وزير الزراعة وقد اخترت لها وزيرا « برلنته » أى ماسة . وهو دسوقي أباطة . وظهر الابتهاج على الوزراء جميعا الا أن حسن باشا صبرى قال :

– دسوقي أباطة يدخل من هذا الباب وأنا أخرج من هذا الباب •

وهكذا لم يتم تعيين أبى فى هذه الوزارة •

بقى أن أكمل القصة لان فيها ما يستحق الذكر •

لقد ألف حسن باشا صبرى الوزارة بعد ذلك ولم يدخل فيها أبى طبعاً •
أما الذى لعله يدهشك أن أبى طوال فترة وزارة حسن باشا صبرى كان يمدح سياسته مدحاً شديداً لنا نحن أهل بيته • وكنت أعجب بهذا الرجل الذى استطاع أن يجعل ميزان العدل عنده بهذه النزاهة •

ولعلك تحب أن تعرف نهاية هذه الخصومة ••

حدث بعد ذلك أن اختلف حزب الأحرار مع الهيئة السعدية فى مشكلة دخول الحرب ووضح هذا الخلاف فى أشد صوره حين رشحت الهيئة السعدية المرحوم الدكتور أحمد ماهر باشا لرئاسة مجلس النواب ورشح حزب الأحرار الدستوريين أبى • وكان موقف أبى فى هذه الانتخابات قويا • وأذكر أننا بينما نحن جالسون بحجرة مكتبه فى المنزل أن دقت باب المكتب يد مهذبة ثم فتح الباب لئرى الأستاذ ميشيل ساويرس تشريفاتى رئيس الوزراء يتوسط الحجرة ويقول فى أدب جم :

– دولة رئيس الوزراء ••

فقمنا جميعاً وتقدمنا أبى الى بهو البيت حيث كان يقف حسن باشا صبرى وهو يقول :

– أهلاً رئيسنا •• أهلاً رئيسنا ••

إشارة الى توقع فوزه برئاسة مجلس النواب وتعانق الرجلان ثم انفردا فى غرفة الاستقبال مدة أذكر أنها تجاوزت الساعة ونصف الساعة ••

ثم انصرف حسن باشا صبرى •

وكانت المرة الأخيرة التى رأيناه فيها فقد كان افتتاح البرلمان بعد هذه الزيارة بأيام قليلة وحدث ما نعرفه جميعاً ومات رحمه الله وهو يلقي خطبة العرش ••

حيالك الله يا أخى صبرى فقد أتحت لى أن أروى ذكريات حبيبة الى نفسى وليس عجيباً أن يثير شخص حبيب مثلك كل ما هو حبيب الى نفوسنا ولك كل إجلال ••

ثروت أباطة

البندارى وقصص أخرى في سنوات ما قبل الثورة

أخي صبرى :

في مسلسلتك التاريخية روايات لها تمة عندى الحصا فيما يلى :

الانتخابات البرلمانية التى أجرتها وزارة محمد محمود فى ربيع سنة ١٩٣٨ كان من المقرر أن تكون فرص السعديين والدستوريين فيها متساوية ، وكان محمد محمود - وهو زعيم الدستوريين - حريصا على ذلك لدرجة أنه أبعد عن السلطة أحد أقربائه ، وهو المرحوم محمود غزالى مدير محافظة البحيرة اذ ذاك لانه رجح كفة الدستوريين على السعديين ، ولم يكن أحد الحزبين يخشى قلة التأييد له فى مجلس النواب لان الاتفاق بينهما كان قائما على أساس أن يتبادل الحزبان رئاسة الوزارة ورئاسة مجلس النواب أو مجلس الشيوخ ، فحين كانت رئاسة الوزارة للدستوريين كانت رئاسة مجلس النواب للسعديين ، وحينما آلت رئاسة الوزارة للسعديين كانت رئاسة مجلس الشيوخ للدستوريين .

أما قصة الأستاذ كامل البندارى « باشا » أو « الباشا الأحمر » كما كانوا يسمونه فى الجيل السابق فخلاصتها ما يأتى :

أراد محمد محمود أن يجمع فى وزارته « وزارة أول يناير سنة ١٩٣٨ » عنصرى الشيوخ والشباب ، وكانت كلمة « شباب » اذ ذاك تطلق على من هم دون الخمسين بشرط أن يكونوا فوق الأربعين ، فاختار لعنصر « الشباب » فى الوزارة الدكتور محمد حسين هيكل والأستاذ كامل البندارى وعدل عن اختيار المرحوم دسوقي أباطة رغم كونه سكرتير عام الحزب لانه كان يوم تشكيل الوزارة دون الخامسة والأربعين ربما بأيام ٠٠ وكان على ماهر « باشا » رئيس الديوان الملكى متحمسا لترشيح البندارى ٠٠ وكان لهذا التحمس ما بعده .

فذات يوم دخل محمد محمود مجلس الوزراء أثناء انعقاده ، وكان قادما من القصر الملكى ، فبدأ حديثه الى الوزراء قائلا : « الى مش قادر يكتم أخبارنا عن السراى يبقى مش غاوز يقعد معانا » .

وعقب هذه الجلسة خرج البندارى من الوزارة وعين على الفور وكيلًا للديوان الملكى ٠٠ وكان الذى اقترح هذا التعيين بطبيعة الحال هو رئيس الديوان الملكى على ماهر .

وفجأة أعلن ابراهيم الهلباوى بك شيخ المحامين وصديق على ماهر عن اقامة حفل تكريم للبندارى بفندق الكونتنتال وكان الهلباوى سعيدا باقامة هذا

الحفل لانه اعتبره ردا على عدم ترشيح محمد محمود له عند تشكيل الوزارة . .
وفى هذا الحفل ألقى الأخ الأستاذ أحمد حسين - بوصفه اذ ذاك رئيسا لحزب
مصر الفتاة - كلمة قصيرة ، لكن هذه الكلمة القصيرة كانت لها صلة ما بتفسير
بعض ما حدث فيما بعد .

فقد حدث فيما بعد أن سافر على ماهر باشا الى لندن على رأس وفد مصرى .
بقرار من الحكومة المصرية . لحضور مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن ، وكان
هذا أول مؤتمر رسمى يجمع بين الدولة المنتدبة على فلسطين ، وهى بريطانيا ،
وبين ممثلى عرب فلسطين واليهود وبين مندوبين من البلاد العربية بزعامة مصر . .
وليت الاخوة الفلسطينين عرفوا كيف يفتنمون فرصة هذا المؤتمر ، فقد كان
المشروع البريطانى يعطيهم ثلثى فلسطين لليهود الثلث فقط . . وكان يعطى
الفلسطينيين الادارة ببعض المشاركة من جانب اليهود والمسيحيين . . لكنهم
رفضوا المشروع كله بسبب بعض القيود الوقتية !!

ولقد كان طبيعيا أن يقوم بأعمال رئيس الديوان الملكى أثناء غيابه وكيل
الديوان « كامل البندارى باشا » . . ولاحظ على ماهر رئيس الديوان ، وهو فى
لندن ، أن تقاربا شديدا قد ظهر بين الملك وبين وكيل الديوان لدرجة أن البندارى
استطاع أن يقنع الملك بتوجيه بيان سياسى « حماسى » الى الأمة ، وقد قيل اذ ذاك
أن هذه « الحماسة » ترجع الى استعانة البندارى باشا بصديقه الأستاذ أحمد
حسين فى كتابة هذا البيان . .

من هنا جاءت استقالة على ماهر من رئاسة الديوان الملكى عقب عودته من
لندن . لكنه لم يكتب هذه الاستقالة الا بعد أن كان قد أقنع الملك بخطأ هذه
السياسة « الحماسية » . . واتفق الاثنان - الملك ورئيس ديوانه - على أن
وجود البندارى بين مستشارى الملك قد صار يشكل خطرا .

وكما كان على ماهر قد أدخل « صديقه » البندارى الى القصر أخرجه منه . .
وكان خروج البندارى هو ثمن سحب استقالة على ماهر اذ كانت استقالته فى
تلك الظروف تشكل هزيمة لسياسة الملك الذى لم يكن . . ولى العرش الا منذ
سنة واحدة . وكان يتردد فى الأوساط السياسية أن ارتقاء الملك فاروق للعرش
لم يخل من خسة أداها له على ماهر حينما كان رئيسا للوزارة حين قرر أن ولى
العهد ، أو الملك تحت الوصاية « فاروقا » ، سيبلغ سن الرشد التى تمكنه من
ارتقاء العرش بالتاريخ الهجرى وليس بالتاريخ الميلادى خلافا لما هو معمول به
دائما ، فاختصر بذلك حوالى عشرة أشهر من فترة الوصاية على فاروق .

وبقى أن أشير إشارة خفيفة الى اللبس الذى جاء عفا في هذه الدراسة بين « مصطفى » وبين « على » عبد الرازق . فالوزير الذى دخل منهما وزارة محمد محمود ثم عين شيخا للأزهر هو مصطفى عبد الرازق ، وليس مصطفى هو مؤلف كتاب « الاسلام وأصول الحكم » انما ألفه شقيقه على عبد الرازق « رحمه الله جميعا » .

حافظ محمود

أسألك العفو عمن جهل قدر المعرفة والعلم

الكاتب والمؤرخ :

صبرى أبو المجد . .

أهديك تحية الاسلام والسلام ، وأكتب اليك بعد أن قرأت لك مؤخرًا تعقيبًا على من لم يتفق معك فيما تكتب عن تاريخ مصر المعاصر . وذلك فى عدد ١١ يناير ١٩٨٠ الذى قرأته عند عودتى من الخارج أخيرًا .

لقد أحسست فى تعقيبك مرارة وأسى ، تسيل من قلبك الى قلمك وكلمك، فخشيت عليك انقباض النفس وانحباس الفكر وعزوف الارادة وانزواء القلم ، عما تقوم به من عمل تاريخي ثقافي حضارى شامخ . فبادرت بالكتابة اليك لأعبر عن تقدير متواضع لما تقوم به من عمل رائع .

فأنت تسجل لأهم قضايا التاريخ السياسى المعاصر لحقبة من الزمن اعتورها تغيير اجتماعى وثقافى سريع الخطوة متعدد الاتجاهات . كانت فيه مصر والمصريون بوتقة تفاعلت فيها روح مصر الشابة المتعلقة بالقيم الانسانية الأصيلة ، والمصارعة مع دكتاتورية القصر وأطماع القوى الاجنبية وعلى رأسها الانجليز .

فأنت تكتب وتسجل لتاريخ هذه الحقبة ، والتاريخ ركن من أركان الثقافة والمعرفة ولذلك أفردت الكتب السماوية له فيها مكانا واهتماما فيه من رسالة حضارية وانسانية يحملها السلف الى الخلف .

وما كان التاريخ ليخلو من اختلاف فى تفسيره ، وتلك سنة الخالق فى الخلائق . ولكن الخطأ كل الخطأ ، أن يخرج فى الراى عن الموضوعية العلمية الى حدود الاسفاف والنزق ، والخروج عن المؤلف والمعروف ، حاجبا تلك الاشراف الحضارية والثقافية والعلمية .

فهل لى أن أسألك العفو عمن جهل قدر المعرفة والعلم والتاريخ . كما أسألك المزيه ، وفقك الله الى كل ما تريد .

فألله سبحانه وتعالى بارك في المعرفة والعلم وجعلهما في مراتب التقوى
والإيمان .
والسلام عليك ومنك ولك .

المخلص

د . محمود محمد محفوظ
رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية لنشر
الثقافة والمعرفة العالمية

● أوكد للأستاذ الدكتور محمود محمد محفوظ ، أستاذ علاج الاورام
بالاشعاع والطب النووي أنني وان كنت قد جزعت حقاً لما ورد في رسالة القارئ
ايه ، الا أنني لم أفكر في العزوف عن تكملة سنوات ما قبل الثورة وخاصة أن
العديد من الرسائل الكريمة التي يتفضل بها على القراء الكرام ومنهم الأستاذ
الدكتور محمود محمد محفوظ ، تزيدني قوة ، وتبعث في الأمل الذي أرجو ان
يبقى مابقيت الحياة .
ص ١٠

اعتذار واستدراك :

وأنا أكتب عن إعادة تشكيل وزارة محمد محمود باشا الثالثة وقع خطأ مطبعي
اذ ورد اسم الشيخ على عبد الرازق مكان شقيقه الأستاذ مصطفى عبد الرازق
واني اذ أعلن اعتذاري وأسفي عن هذا الخطأ ، الذي كثيراً ما يحدث في دنيا
الطباعة خاصة وأني سبق ان ذكرت قصة الشيخ على عبد الرازق وكتابه :
الاسلام وأصول الحكم وكيف أن الملك فؤاد قد وضع « فيتو » على آل عبد الرازق
جميعاً ، بسبب ذلك الكتاب وأكثر من مرة كان حزب الأحرار الدستوريين يتقدم
باسم الشيخ مصطفى عبد الرازق ضمن المرشحين للوزارة فكان الملك يشطب
الاسم كما أنني سبق أن قلت أن وزراء الأحرار الدستوريين قد استقالوا من
وزارة زيور باشا - وزارة انقاذ مايمكن انقاذه أو وزارة اغراق مايمكن اغراقه
بسبب الخلاف الذي نشب في الوزارة حول كتاب الاسلام وأصول الحكم ،
مؤلفه الشيخ على عبد الرازق ، وكان وقتئذ قاضياً بمحكمة المنصورة الشرعية
وقد تلقيت رسالة من أستاذي د . مهدي علام ، حول هذا الخطاب ، سعدت بها
للفأية ، حتى لقد حببت الى الوقوع في الأخطاء لكي أتلقى مثل تلك الرسائل
المفعمة بالحب والود ، وفيما يلي رسالة الدكتور مهدي علام :

عزيزي الأستاذ صبري أبو المجد . .

أخلص تحياتي وتعبري عن الاعجاب بما تسطره من سنوات ما قبل الثورة
وأرجو أن تأذن لي في الاستدراك الآتي خاصة بالمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق،

فقد جاء أن من وزراء وزارة محمد محمود باشا الثالثة « الشيخ مصطفى عبد الرازق الذى كان اشتراكه لأول مرة فى الوزارة حدثا سياسيا بارزا بعد أن رفع القصر عنه « الفيتو » الذى كان قد وضعه على اشتراكه فى الوزارة من قبل ، بعد أن أصدر كتابه « الاسلام وأصول الحكم » ، الذى رأى فيه الملك فؤاد محاربة لمظامعه السياسية التوسعية » .

والذى أصدر كتاب « الاسلام وأصول الحكم » هو المرحوم الشيخ على عبد الرازق . شقيق المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق . وقد كان كل منهما عضوا فى مجمع اللغة العربية .

ولك منى أخلص التحية والتقدير ..

المخلص

مهدي علام

الأمين العام ، لمجمع اللغة العربية

رسالة أخرى من د . مهدي علام

عزيزى الأستاذ صبرى أبو المجد ..

أعمق تقديرى لصدق الرواية ، ودقة التاريخ لما تكتبه ، وبعد .. فأنا لا أفكر مطلقا ان أنافس الأستاذ « عيسى متولى » فى موالاة الكتابة الى الصحف ، ولكن عبارة وردت فى حديث الأستاذ الفاضل « حافظ محمود » تحتاج الى هذا الاستدراك الذى أستأذنه - عن طريقك - فى أن أرسله اليك .

فقد جاء فى حديثه عن شعور الملك السابق « فاروق » بصنيع « على ماهر باشا » نحوه قبل اعتلائه العرش : « ان ارتقاء الملك فاروق للعرش لم يخل من خدمة أداها له « على ماهر » حينما كان رئيسا للوزارة ، حين قرر أن ولى العهد ، أو الملك تحت الوصاية ، « فاروقا » سيبلغ سد الرشده التى تمكنه من ارتقاء العرش بالتاريخ الهجرى ، وليس بالتاريخ الميلادى ، خلافا لما هو معمول به دائما » .

وأستأذن فى التنويه بأنه كان لهذا رأى سابقة ، حينما عاد الأمير « عباس حلمي » من النمسا « حيث كان يدرس » - على اثر وفاة والده « الخديو توفيق » . وكان عمر الأمير أقل من ثمانية عشر عاما بالتاريخ الميلادى ، فصدرت فتوى بأن

ولى العهد - وهو أمير مسلم - تحسب سنه بالتاريخ الهجرى • وبذلك تمكن من
اعتلاء « الأريكة الخديوية » باسم « عباس حلمى الثانى » •

مع أخلص شكرى وتحياتى ، لك وللاستاذ الجليل « حافظ محمود » •

المخلص
مهدي علام

ورسالة من مخرج اذاعى

•• صبرى أبو المجد :

تحية واحتراما ، وبعد ••

فانى أتابع بشوق كل ما تكتبونه عن « سنوات ما قبل الثورة » وما تحويه
من وقائع وحقائق تدخل فى سجل التاريخ ، وكان الشباب فى مصر يجهل كل
ما كان يجرى فى أرض الوطن العزيز ، ولكنكم استطعتم أن توجهوا الأنظار
الى كل هذه الحقائق والوقائع ، مدعمة بالصور ، فوضعت صورة صادقة صريحة
وواضحة أمام الجميع •

وأعجبت جدا بشجاعتكم الأدبية حينما نشر اسم احدى الصور خطأ وأرسل
لكم أحد قرائكم يقول انه « خطأ مطبعى » وكان ردكم عليه أنه ليس خطأ مطبعيا ،
ولكنه خطأ الأرشيف ، وأخذت على نفسك عهدا بأن تراجع كل شئ حتى أسماء
الصور ، ونسبت الخطأ الى نفسك ، وهى شجاعة نادرة فى عالم الصحافة اليوم ،
وقد لمسنا ذلك بأنفسنا ، فلم نجد صورة خاطئة ، أو اسما خاطئا ، وهذا يدل
على الجهد الكبير الملموس الذى تبذلونه لخدمة كل قرائكم ، ولخدمة الوطن
العزيز ، وتبيان ما كان يجرى فى الماضى تحت ستار الملكية والأحزاب •

هذه كلمة حق رأيت أن أكتبها لكم تقديرا لجهودكم فى خدمة الوطن

محمود أبو طالب

مخرج باذاعة القرآن الكريم - القاهرة

تصويبات لغوية وتاريخية

صبرى أبو المجد ..

حرصى على قراءة ما تكتب يجعلنى أسأل لماذا استخدمت كلمة « دعاوة » بدل كلمة « دعاية » وهى صحيحة . وأكثر استعمالا . جاء فى القاموس المحيط للفريوز بادى ج ٤ مادة « دعا » فى آخر المادة « ودعيت لغة فى دعوت » . وعلى ذلك يكون الاسم « الدعاية » صوابا ، وهى كلمة خفيفة وأكثر استعمالا كما ذكرت .

وتحية لكم ..

فريد رمضان

مدير التوجيه المعنوى

« سابقا بوزارة التربية والتعليم »

● شكرا لأستاذنا « فريد رمضان » على كلمته وأحب أن أقول له أننى لا أستعمل الكلمات غير الشائعة ولكننى ، عندما أنقل نصا لكاتب معين أحرص على أن أنقل النص كما هو احتراما لهذا النص بل أننى أحرص على أن أبقى على ما به من أخطاء حتى لا أخرج على النص وإن كنت أفضل بعد نقل النص ، التعليق على ما به من أخطاء إن وجدت .

ص ١٠

الأستاذ صبرى أبو المجد ..

تحية طيبة واحتراما .. وبمسد .

لقد أسعدتنا بنشر المذكرات التاريخية وأعدت الى أذهاننا كثيرا من الحوادث السياسية الهامة التى عشناها فى العشرينات والثلاثينات وهى لا شك فكرة جميلة أنعشتنا نحن الذين جاوزنا السبعين من العمر . وفقك الله وسدد خطاك .

الأستاذ الكبير ..

لقد نشرت صورة فى عدد المصور الذى صدر فى ١١ يناير سنة ١٩٨٠ للمغفور له الزعيم العظيم سعد زغلول وبجواره الأمير السعودى « فيصل » كما جاء أسفل الصورة للتعريف .

والحقيقة أن الصورة المجاورة للزعيم الراحل هى صورة الأمير سعود ابن عبد العزيز « الملك سعود بن عبد العزيز فيما بعد » وقد حضر الأمير سعود

الى القاهرة للعلاج من مرض فى عينيه وسكن هو وحاشيته بحى المنيرة بالقرب من قصر العينى وبالتحديد شارع المواردى . بالقرب من فيلا المرحوم مصطفى منير أدهم بك الذى كان سكرتيرا عاما لمصلحة التنظيم فى هذا الوقت وقد كان سيادته المرافق والمشرف على شئون الأمير طيلة مدة اقامته بمصر وترى صورة سيادته المرافق والمشرف على شئون الأمير طيلة مدة اقامته بمصر وأطال الله حياتكم وجزاكم عن عملكم هذا خير الجزاء .
والسلام عليكم ورحمة الله ..

محمد حامد ابراهيم
المراقب العام السابق لمجمع اللغة العربية

اننى أسجل أحداثا وقعت منذ نصف قرن وهى ملك للتاريخ .. لا لأفراد أو هيئات

● الله وحده يعلم كم أتحمل ، وكم أقاسى من أجل كتابة تاريخ سنوات ما قبل الثورة بالصورة التى أكتبها بها . وخلال عملى بالصحافة ، لا أذكر أننى أجهدت نفسى فى عمل قدر اجهادى فى اعداد تأريخ سنوات ما قبل الثورة ولا أذكر أبدا ، أننى فى حياتى السياسية أوليت اهتماما بتأريخ مرحلة من مراحل تاريخنا اهتمامى بتأريخ تلك الفترة الهامة من تاريخ بلادنا .

وكل ما أبذله - ولله الحمد - من جهد ، واجهاد ، واهتمام ، أبذله راضيا سعيدا ، لاننى أقدم ما يرتاح اليه ضميرى ، وما أجد له استجابة سريعة عند القراء كل القراء ، الذين يشجعوننى من أجل الاستمرار فى أداء تلك المهمة الوطنية الهامة والحظيرة .

ولا يضايقنى شيء ما وأنا اؤدى هذا الواجب الوطنى على النحو الذى يرتضيه ضميرى الا بعض أولئك الذين يقولون أنهم ينتسبون الى الوفد المصرى ، فهذه القلة الضئيلة التى لا تتجاوز فى العدد بضعة أفراد قد دأبت على أن تشكرنى ، وتشيد بعملى اذا ما كتبت ، من وجهة نظرهم ، مع الوفد . كما أنها قد دأبت على أن تحاول الاساءة الى عن طريق رسائلها ، الغفل من الامضاء باستمرار بكل أسف اذا ما كتبت ، ومن وجهة نظرهم . نقدا ، ورغم اننى قلت مرات عديدة أننا نكتب للتاريخ ، والحوادث التى نتناولها بالتأريخ ، قد مضى عليها ما يقرب من نصف قرن ، وقد أصبحت تلك الاحداث ، ملكا للتاريخ ، وليست ملكا لأفراد ، أو لمجموعات صغيرة أو كبيرة وانه حتى لو وقعت فى تلك

الفترة جرائم ، فلقد سقطت بمضى المدة قانونا ، و . و . الخ . رغم كل ماكتبته حول هذا الموضوع من قبل الا أن بعض «الأفراد» لا يزالون يكتبون بل لا يزالون يهاجمون ويعنف كاتب هذه السطور اذا هو انتقد الوفد نقدا موضوعيا خالصا ورغم أن القيادات الوفدية القديمة – القيادات بحق – تولى كتابتنا لتاريخ تلك الفترة ، كل عناية ورعاية وتتقبل ، كل انتقاداتنا ، برحابة صدر . بل ان بعض هذه القيادات ، التي لعبت أدوارا هامة في رسم سياسة الوفد ، لا تتوانى عن الأخذ بوجهة نظرنا في كثير من الانتقادات التي نوجهها للوفد في الحكم . أو خارجه ، الا أن بعض هؤلاء الأفراد ، يواصلون ارسال رسائلهم ، الى كاتب هذه السطور ومن بين ما تلقينته كلمة جاءتنى بتوقيع « مصري منصف » .

ولقد سبق لي – في أكثر من مرة – أن دعوت هؤلاء . الى أن يقرأوا ما أكتبه كل ما أكتبه ، لا أن يقرأوا سطرًا ، ويتركوا سطرًا . يقرأون ما أكتبه بهدوء ، فكل شيء مضى ، وانقضى ، ونحن لا نكتب عن الماضي الا لنستفيد منه في الحاضر والمستقبل ، ويكفيني فخرا ، أنني من أوائل من تحدثوا عن الماضي بإيجابية وحيدة ، وقد كان ذلك الماضي القريب . قبل ان أكتبه مجهولا ، الا عند قلة من الذين عاشوا تلك الفترة وعاشوا أحداثها ، وما أكثر الشباب ، الذين يجيئون الى كل يوم ، ليقولوا لي انهم قبل ان أكتب ما أكتبه عن سنوات ما قبل الثورة لم يكونوا قد سمعوا ، باسم مصطفى النحاس ، أو اسماعيل صدقي ، أو محمد محمود !! كما أنهم لم يكونوا قد عرفوا كل تلك الأحداث التي أوليتها أهمية بالغة في دراستي عن سنوات ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ولقد سبق ، لي أن قلت لهؤلاء الاخوة – الاخوة رغم التجائهم الى التجني – انني أنتقد كل يوم ، أشخاصا عديدين ، بعضهم ، لا يزال على قيد الحياة ، أطال الله حياتهم ، وبعضهم قد انتقلوا ، الى رحاب الله تاركين العديد من الأبناء والأحفاد ، وهؤلاء ، الذين على قيد الحياة ، وأبناء وأحفاد من أنتقدتهم لا يفضيئون لما أكتبه بل على العكس يطلبون مني المزيد من الكتابة ، فالكتابة – ولو عن طريق النقد – تذكر ، الجماهير ، بما قام به هؤلاء ، من أجل بلدهم : ولقد سبق لي أن وجهت النقد المر الى بعض قيادات الحزب الوطني ، والى رئيس الحزب . الوطني ، حافظ رمضان باشا لاشتراكهم في الحكم والحزب الوطني بالنسبة الى حياتي فقد آمنت بمبادئه منذ أن كنت في العاشرة من عمري ، ودخلت من أجل تلك المبادئ السجن عشرات المرات ، بعشرات الشهور بناء على أوامر كانت تصدر من الوزارات المصرية ، الوفدية ، وغير الوفدية ، على أنني لم أجد رفيقا واحدا ، من رفاق شبابي في الحزب الوطني لأمني لأنني وجهت النقد ، الى حافظ رمضان ، أو عبد العزيز الصوفاني أو غيرهم من قيادات حزبنا الوطني العتيق .

الأخ ، المصرى ، المنصف يهاجمنى فى خطابه الأخير لا لأننى كتبت حرفا واحدا عن مصطفى النحاس وانما لأننى نشرت صورة له مع ليدى لامبسون فى إحدى الحفلات ، تصوروا نشر صورة سبق أن نشرت فى صحف الوفد عشرات المرات يصبح نشرها اليوم - بعد أربعين سنة - جريمة من الجرائم ، أنهم بسببها بكل ما فى القوانين ، المصرية ، وغير المصرية من جرائم ..

الطريف ، ان الاخ المصرى المنصف يقول فى رسالته : لقد كان مصطفى النحاس سيد محمد محمود وعدلى يكن وحسين سرى ، وعلى ماهر ، وسيدك أيضا وان لم تكن فى الحسبان وأقول للاخ المصرى المنصف اننى لا أوافقك على ان مصطفى النحاس كان سيد هؤلاء جميعا وان كنت أوافقك ، على انه « سيدى وتاج رأسى » وبلدياتى كمان ؟ والذي يجهله الاخ ، المصرى المنصف ، اننى كنت أول من أنصف مصطفى النحاس بعد مماته ويشرفنى ان أكون أول كاتب كتب عن مصطفى النحاس بعد ان زالت الرقابة على الصحف ، كتبت عنه بضع مقالات بدأت - لبضعة أعداد - فى عدد المصور الصادر فى ٢٨ أغسطس ١٩٧٥ ، تحت عنوان : « مقال تأخر نشره ١٠ سنوات مصطفى النحاس زعيم وطنى شجاع كان قائد مصر ، وضيرها » !!

وكان فى مقدمة ما تلقيته من خطابات من القيادات الوفدية كتهنئة على تلك المقالات ذلك الخطاب الرقيق ، الذى أعتر به الى أبعد حدود الاعتزاز ، والذى بعث به الى الأستاذ الكبير عبد الفتاح حسن المحامى ، والوزير الوفدى السابق : وفيما يلى نص ذلك الخطاب :

عزيزى الأستاذ صبرى أبو المجد ، مدير تحرير المصور ، القاهرة

هل تأذن لى فى ان أضيف قبلة جديدة الى جبينك ، سبقتها قبلات عديدة ، لا لانصافك تاريخ مصطفى النحاس بما سطرت فى عدد المصور الصادر فى ١٩٧٥/٨/٢٨ فحسب ، وانما للمنهج الذى التزمته فيما تكتب مستهدفا - دائما - رضوان الله والصالح العام - وانصاف الحقائق ، المظلومة ، بالكلمة الشريفة والرأى الصادق ، الأمين ، لتعلو برسالة الصحافة الى مستواها .

أسأل الله لك ولا مثالك دوام التوفيق

٣٠ - ٨ - ١٩٧٥

عبد الفتاح حسن

والى اللقاء قريبا - باذن الله - فى الجزء الثالث من
مسنوات ما قبل ثورة ١٩٥٢ ، والله ولى التوفيق ؟

سنوات ما قبل الثورة بالصور التاريخية النادرة



كما قلت في الجزء الأول من هذا الكتاب : إننى مدين لأولئك
الأخوة الأعزاء ، الذين أمدوني بما لديهم من وثائق ، ومذكرات
وصور لم يكن يتاح لغيرى أن يحصل عليها ما لم يتقدم بها إلى هؤلاء
الأخوة الأعزاء .

وقد حرصت في الجزء الأول من هذا الكتاب وفي هذا الجزء
وسأحرص في الأجزاء المقبلة ان شاء الله ، أن أخصص جزءا من
الكتاب للصور التاريخية النادرة حتى يستطيع القراء أن يتعرفوا
جيذا - بالكلمة وبالصورة - إلى حقيقة الحياة في سنوات ما قبل
الثورة فليس كالكلمة والصورة ما يمكن أن يجعلنا نعيش ونتعاش
مع الحياة في تلك السنوات .

وإني أنتهز هذه الفرصة لأتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من
أمدنى ، بوثيقة تاريخية أو صورة نادرة فلقد ساهموا بعملهم هذا في
إنجاح هذا الأثر التاريخي الذي نرجو الله جل وعلا ، أن ينفع به
جماهير شعبنا العربي العظيم في كل زمان ومكان



على أنني وقد حرصت في مدخل كل جزء من هذا الكتاب أن
أعود إلى الماضي البعيد حتى تكتمل الصورة من وجهة نظري فإني
حريص أيضا وأنا أقدم هذا الجزء المصور من سنوات ما قبل الثورة
أن أنشر صورا عديدة ، عن الماضي البعيد أيضا حتى تكتمل
الصورة جيدا وحتى يشعر/ القارئ أنه يعيش حقا – بالكلمة
والصورة – مع تاريخ الأجداد ، مع صور الأجداد ، أولئك الذين
حكموا مصر إما بالحق ، وإما بالباطل ، وأولئك الذين قادوا مصر
إلى ما فيه خير مصر فكانوا نعم الأبناء الأوفياء المخلصين وفيما يلي
الصور المختارة من بين مئات الصور التي يزخر بها أرشيفي عن
سنوات ما قبل الثورة ولست أرجو من ينقل بعض هذه الصور
سوى أن يشير إلى المصدر لا أكثر ولا أقل والله ولى التوفيق ،



١ - محمد علي باشا الكبير ، واحد من أكبر شخصيات القرن التاسع عشر : أخطأ وأصاب



٣ - وأحمد حراي باشا زعيم الثورة المصرية التي قامت في عام ١٨٨١ وسميت باسمه ،



٢ - صورة فريدة للخديوي اسماعيل باشا رسمها أحد كبار رسامي عصره



٤ - صورة أخرى لأحد عمال باشا ولكن في
المنفى



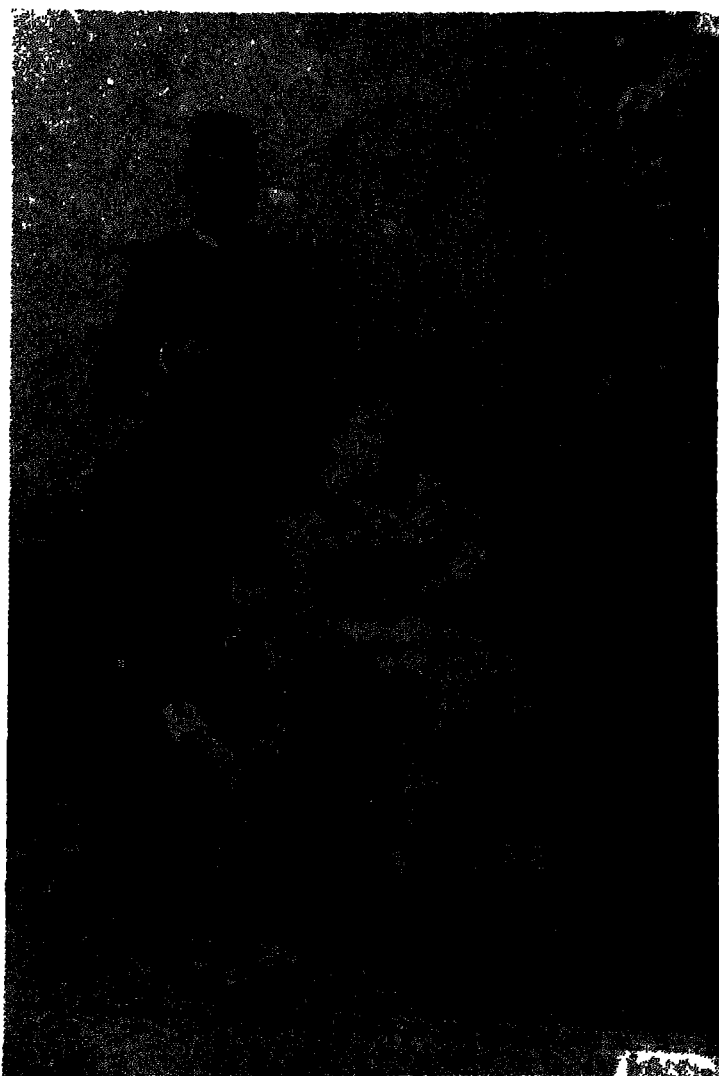
ه - صورة لأحمد عرابي وأولاده ، وأحفاده في
المنفى (سيرى لانكا) أو جزيرة سرنديب . سيلان



٦ - الخديوى عباس حلمى الثانى من أبرز
خديوى مصر ومن أكثرهم تأثيرا - بالسلب
أو بالإيجاب - على الحركة الوطنية المصرية فى بداية
هذا القرن



٧ - عطية الله كريمة الخديوى عباس حلمى باشا



٨ - الأمير محمد عبد المنعم ، طفلاً مع إحدى
الكلفاوات وأحد الاغوات حيث كان للكلفاوات
- الخادمان - كما كان للأغوات - شأن أى شأن



١١ - مصطفى كامل « في عز الشباب »



٩ - الأمير سيف الدين أحمد نجل الأميرة شويكار مطلقة الأمير أحمد فؤاد - الملك فيما بعد . كانت له قضية ! قضية محاولة اعتدائه على الأمير أحمد فؤاد ، وقضية طلب رفع الحجر عنه



١٠ - الحديوي عباس حلمي الثاني في أخريات أيامه وبعد أن أطاح الانجليز بعرشه بسنوات عديدة .

١٢ - مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية
المصرية .

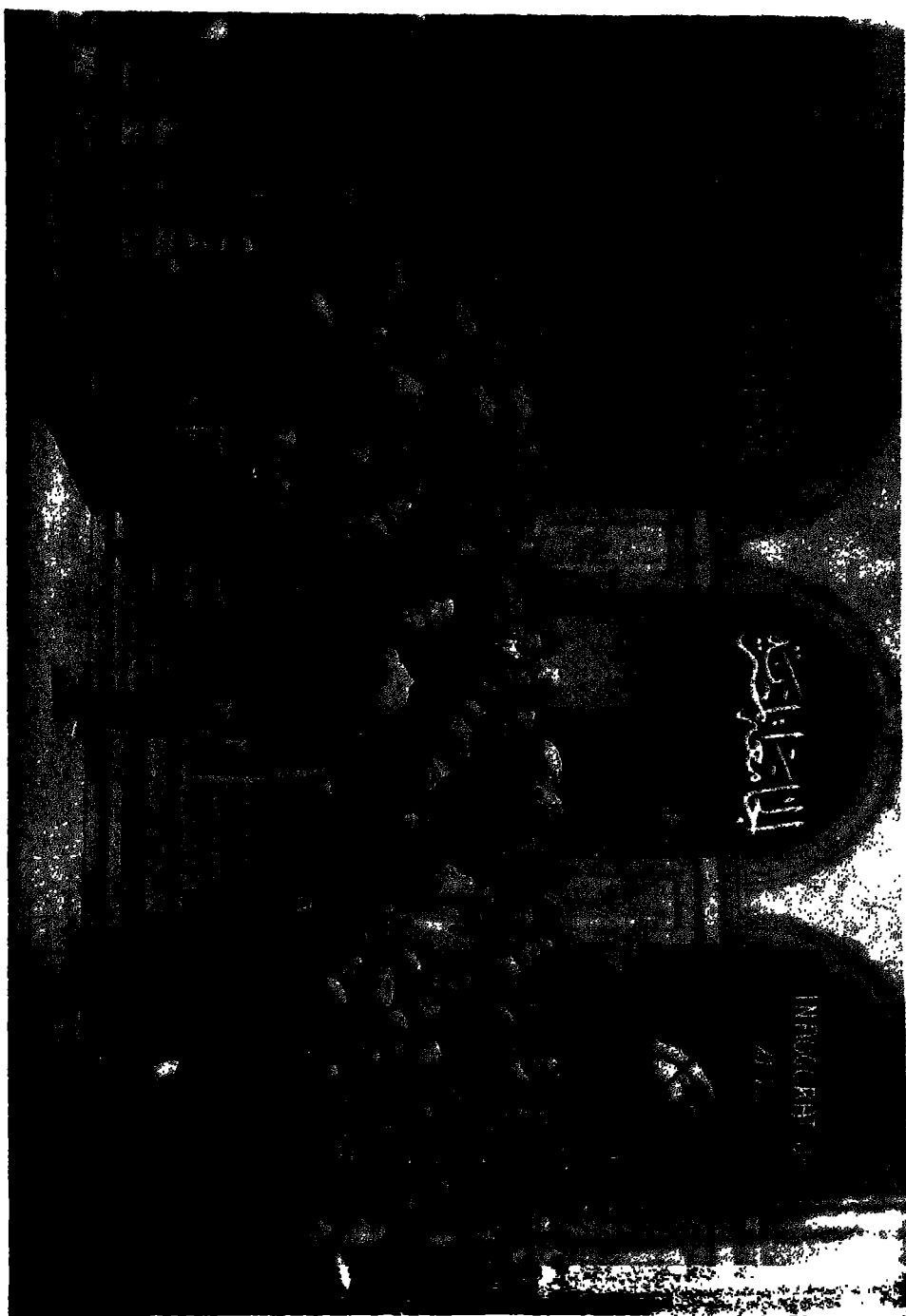


١٣ - واحدة من مشائق دنشواى التى أقيمت فى
قرية دنشواى ليرى أبناء القرية ، كيف يعدم أخوتهم
أمام أعينهم .





٢٤ - بطرس غالى باشا الذى رأس « المحكمة
المخصصة » التى حاكمت أبناء دنشواى واغتاله
ابراهيم ناصف الوردانى وكانت رئاسته لتلك
المحكمة من أسباب الاغتيال .



١٥ - الجامعة المصرية التي أنشأها المصريون
في أواخر القرن التاسع عشر

[illegible]



١٧ - محمد فريد قائد الحركة الوطنية المصرية
بعد مصطفى كامل بتوسط لفيفا من شباب مصر
الذين يتلقون العلم في بلجيكا وقتذاك (مارس
١٩١٤)

اورینٹ مہونہ نمبر ۳۰

رقم الدوسيه ٢٩٨
 محمية التبريد
 عمدة الدوسيه
 اسم مديره محمد فريدك
 مركز شبرا
 بلد شبرا
 تاريخ ١٩١١
 المحرر الانسطن
 المحرر الهان
 الاقراخ لواء المسند
 الاقراخ تحت شرط
 عدد السواقي
 الصحة
 درجة الاشغال
 المدة
 ألام شهر سنة
 محال الشحن
 غير
 اودة
 درجات
 نوع الشغل
 ١٨ يوليو ١٩١١
 ١٧ يوليو ١٩١١
 ١٨ يوليو ١٩١١

١٨ - تذكرة « المسجون » محمد فريد بك
« أودة ٤٤ » ليس له امانات التهمة : تحمين كتاب
وطنيتي ، الحكم النهائي في ٢٣ يناير ١٩١١



١٩ - الشيخ عبد العزيز جاش رئيس تحرير
جريدة اللواء



٢٠ - الشيخ عبد الميز جايوش عقب خروجه
من السجن في قضية مقال « ذكرى دنشواي »

(سنوات ما قبل الثورة - ٢)



٢١ - الشيخ عبد العزيز جاويز وبجانبه بعض الضباط المصريين (المتطوعين للحرب إلى جانب تركيا) في الصورة حافظ رمضان وسعيد طليعات ود . اسماعيل صدقي ، وحافظ رمضان وغيرهم



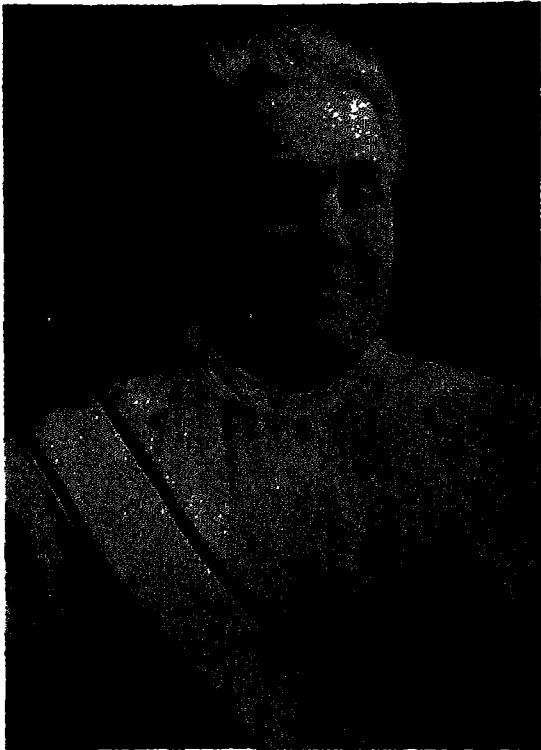
٢٣ - سعد زغلول في بداية عمله بالمحاماة
[١٨٨٦]



٢٢ - سعد زغلول في شبابه



٢٤ - سعد زغلول عندما اختير وزيرا
للمعارف ، أو بمعنى أدق ناظرا للمعارف



٢٥ - أصايشن هانم والدلة أم المصريين وقد
ازدان صدرها بالوشاح الخديوى المنعم به عليها من
الخديوى اسماعيل باشا بوصفها قرينة مصطفى باشا
قبل أن يرأس الوزارة المصرية بسنوات وسنوات
مصطفى فهمى قضى في رئاسة الوزارة رقبيا قيايسيا ،
لم يحطمه أحد حتى الآن



٢٦ - سعد زغلول واقفا وإلى يمينه فتحي
زغلول باشا وإلى يساره صهرة دولة مصطفى فهمي
باشا وقد جلست أمامهم صفية هانم زغلول أم
المصريين (فيما بعد) بجانب شقيقتها .



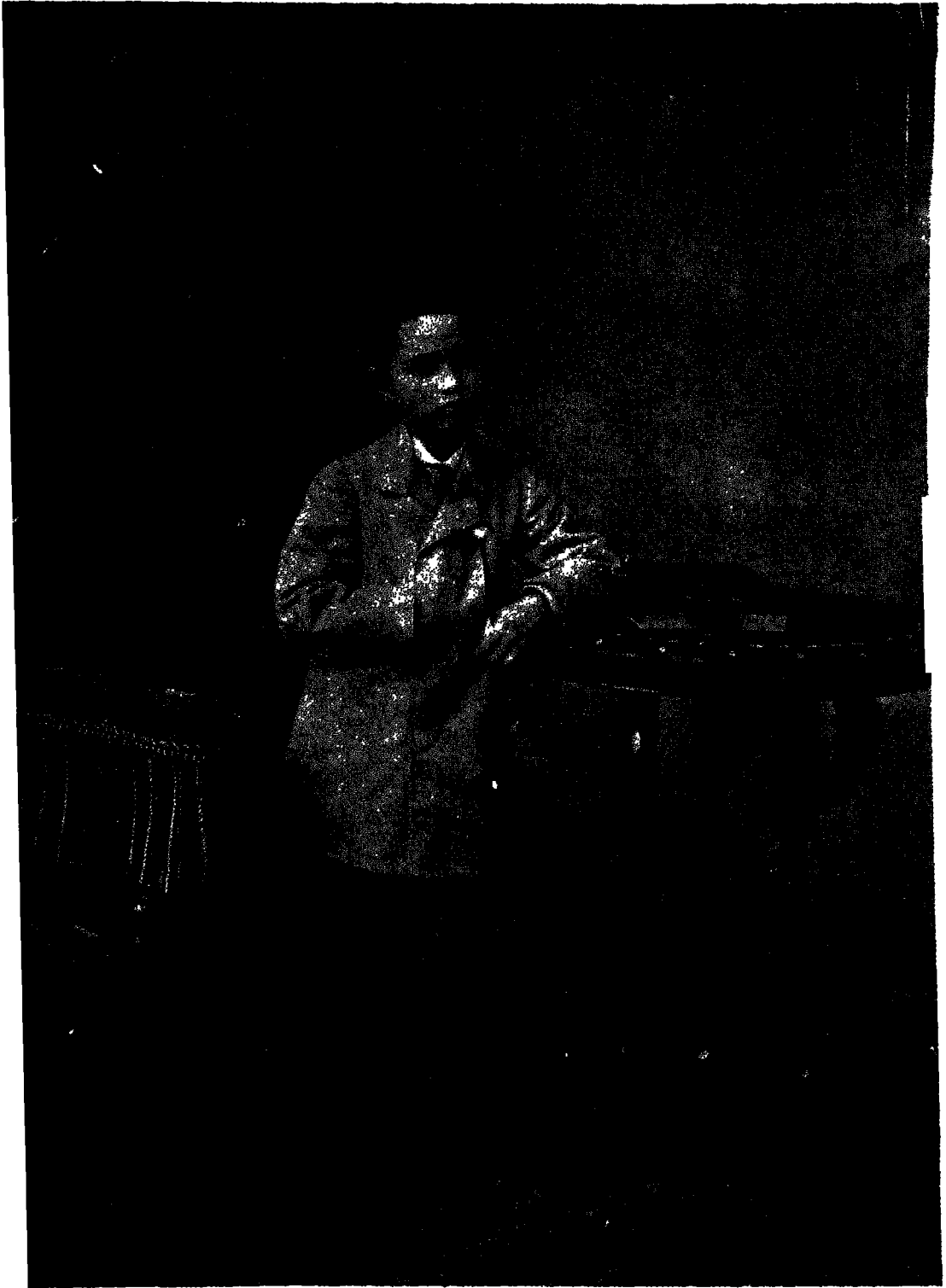
٢٧ - مصطفى النحاس في شبابه



٢٨ - مصطفى النحاس قاضى محكمة ميت غمر
الأهلية : الصورة مهداة لصديقه نصر فريد حليم
الميون



٢٩ - صورة نادرة للأمير حسين كامل
وزوجته ، قبل أن يصبح الأمير سلطانا على عرش
مصر ،



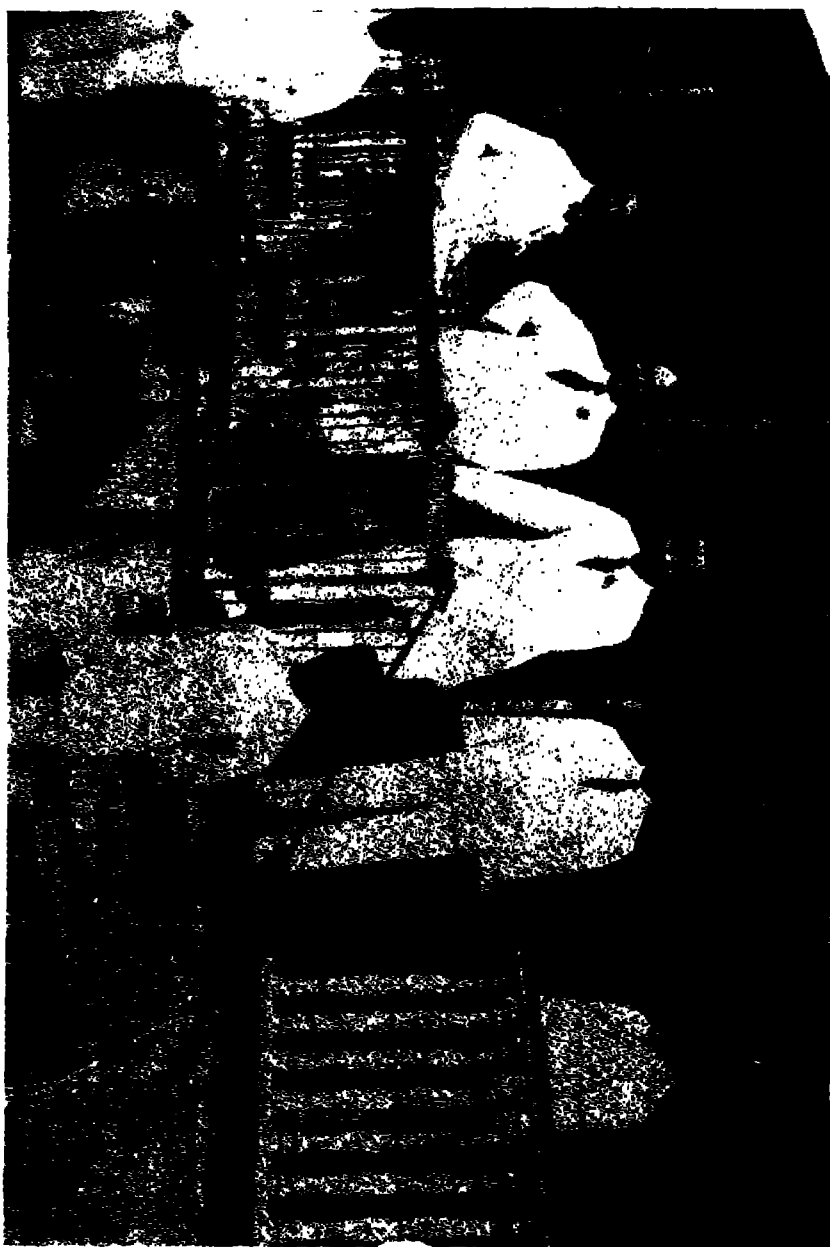
٣٠ - الأمير أحمد فؤاد قبل أن يصبح سلطاناً ثم
ملكاً على مصر



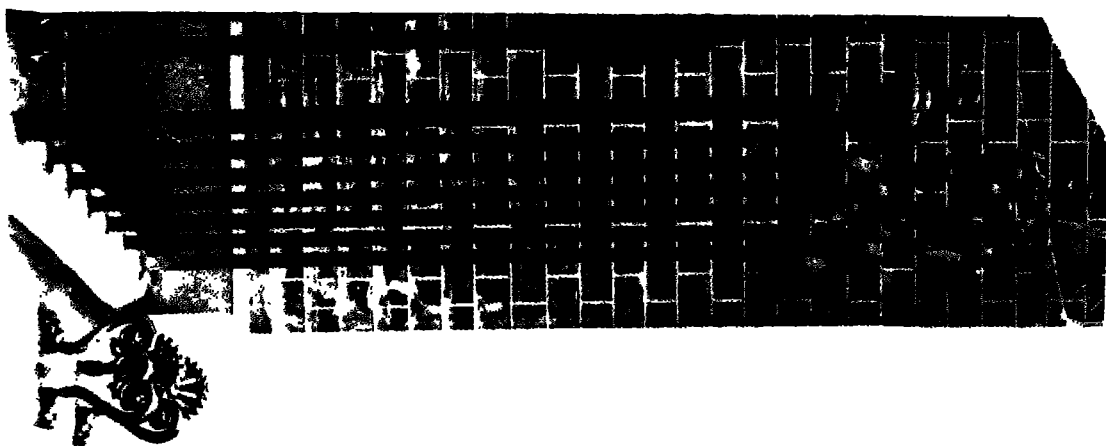
٣١ - الأمير الوطني عمر طوسون والزعيم
الوطني سعد زغلول فكر كل منهما عقب انتهاء الحرب
العالمية الأولى في تكوين وفد يفاوض الأنجليز



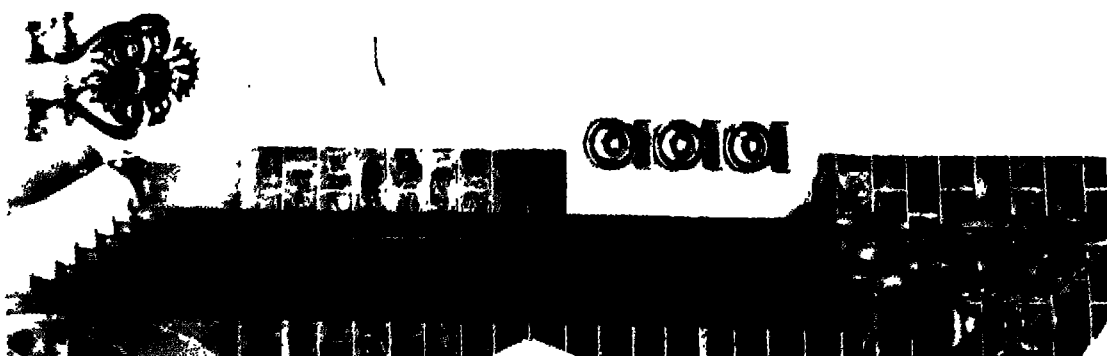
٣٢ — سید زکریا و اعضاء الوید الموری



٣٣ - مصطفى النحاس ومكرم هيبة وسينوت
حنان في مقامهم بجزيرة سينيل



٣٤ - سعد زغلول بعد الانتهاء من مساحاته





٣٥ - سيد زخلول وأم المصريين ، ومعتق
النحاس في باريس بعد احقاق المظاهرات المصرية
البريطانية



٣٦ - أم المصربين في أحد مواقعها الصحفية
الوطنية وبعض زميلاتها في الحركة النسائية الوطنية



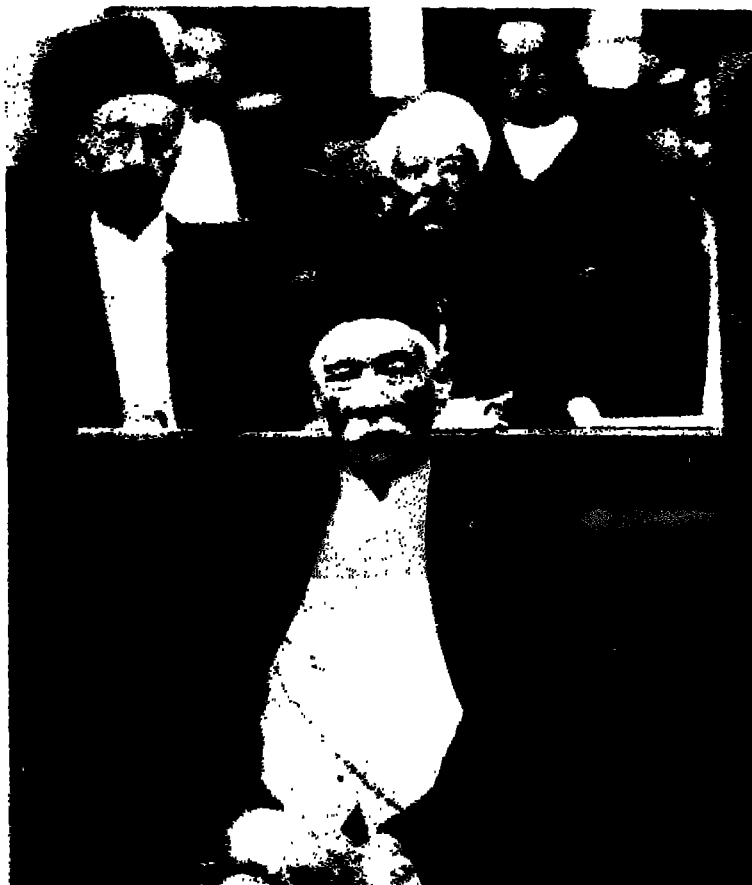
٣٧ - سعد زغلول في اجريبات أبامه ، ومعه
ممثلى النحاس وبعض الميجين والأخصار
الأكسات والسيدات وقد ضمن على صدورهم
صور سعد زغلول باشا



٣٨ - سعد زغلول باشا وتوفيق نسيم باشا
وبعض الوفدين الكبار



٣٩ - أم المصيرين في إحدى زياراتها



٤٠ - سعد زغلول باشا في جلسة من جلسات
مجلس النواب



٤١ - أم المصريين في مرادق اقيم بمناسبة الاحتفال
بذكرى الشهداء

(سنوات ما قبل الثورة - ٣)



٤٢ - علوى بك الجزار ، محمد الباسل
مراد الشريعى، جورجى خياط ويصا واصف
مرقص حنا واصف غالى فى صورة تذكارية



٤٣ - لعبت المرأة المصرية دورا هاما فى إنتاج
ثورة ١٩١٩ : الصورة لواحلة من المصريات
المتظاهرات تحمل العلم المصرى



٤٤ - هدى هانم شعراوى وأم المصريين كان
مثالا رائعا على عطاء المرأة المصرية



٤٥ - منيرة ثابت تزعمت حركة نسائية للمطالبة
بإعطاء المرأة المصرية حق الترشيح والانتخاب .
كانت تسمى عميدة المطالبات بحق الانتخاب .

نداء الى الامة المصرية

أبناء وطني الأعزاء

أرادوا أن يسكنوا سعد وصحبه فننوء. ثم أرادوا أن يسكنوا من بقي من أعضاء الوفد فاعتقلوه. ثم خافوا عادة ما يفعلون فافرجوا عن هؤلاء الأعضاء ولكنهم في الوقت نفسه أكرهوا الصحف على أن يحملهم ليعتصم عنهم أن يخاطبوا وبيننا سعد وصحبه منفيون وبيننا أعضاء الوفد محرومون هذا الحرمان من أن يخاطبوا كما تطير بينهم دعوة الوزير سابق بسد شروط قدمها لتأليف وزارة وإظهار بعض الذين أبدوا في الأشهر الماضية حزبه ضد الأمة نصر الدتوبه الجديدة بينهم يمشي لا يريدون إلا أن نغدعوا في ثباتكم بمرحواكم من موقفكم لدى يسوء الانجليز أن تظلموا فيه. يريدون أن يلهوكم بشور لامية لها عن الاهانة التي أصدكم وعن طلبكم الجلاء والاستقلال يريدون ذلك ويريدون للوظفون البرمانيون أيضا فلا عجب أن يكون هؤلاء وأولئك متضامنين

والآن لم يكفهم أن أبدوا عن سعد وصحبه بل يريدون فوق ذلك أن يكون نفهم إلى أرض مجورة قاصية

ظنوا أنهم كلهم أبعثوا الشقة بينهم وبينكم أنأوه عن قلوبكم وطرحوا إلى النسيان ذكراهم توهوا ذلك وأملوا أن تغمد الحاسة التي تتأجج في صدوركم ويهبط اليأس بينكم فبهووا خصاصكم ويسهل تسليمكم

لم يكفهم أن يزلوهم عنكم حتى يريدوا أن يزلوهم عن العاة كله - وماذا يولاي جريعة لأنهم نادوا بإسحقكم وذالبوا باستقلالكم واستعملوا ذلك لاقى السلاح السلمي سلاح الحق والاقناع

لأن كان سعد شجاعا فتتوا بأن هذا الشيء لا يهد من عزيتته انه لا يهد من عزيتته الا شيء واحد هو أن يدمر يوما ما أنكم اعتراكم العنف ونو خطة واحدة فتركم للاعبين أن يلعبوا بموقفكم وبحقوق هذا الوطن عليكم

فتتوا اذن أقدامكم وأتيدوا الطامعين من بين صفوفكم وفقدوا خوذ الابنة عن استقلالكم واضربوا فقد قاربتم نهاية الطريق غاتتم فيها بأذن الله غاتتموني فآزرون ما

صفية زغلول

٧ جمادى الثانية سنة ١٣٤٠

٤ فبراير سنة ١٩٢٢

صورة الاحتجاج الذي قدمته السيدات المحصيات الى قناصل الدول في مصر

يوم ٨ مارس سنة ١٩٢٢

ياجناب السفير

انكم تعلمون الحق . ومن العدل ان ينجأ اليكم صاحب الحق المعضوم
انكم لا تعلمون يا جناب السفير ان الانجليز لم يدخروا وسيلة من شأنها ان يخرج عزة الشعب المصري وكرامته ويثير
وجدانه ويهيج غنشه الا استعملوها
لقد صادروا كل انواع الحرية فردية كانت أو سياسية واذنوها صنوف العذاب في ظل الحكم الرفي . وما زالت
الاحكام العرفية بمد هي اعوام الحرب وثلاثة اعوام من السلم نقل كهل معه . وكثير أيتها . والجرائم ما بين مكة
وسقطه ان لم تكن مسخرة . وخير نصيرين بنون خازن البلاد لا يكونون في غياب السجون بطرقة تفسير مشروعة
وهم من وقعت عليه عقوبة الجلد الشنيعة . والاحكامات الدموية محرمة وللاءهات السليمة يمزق شملها برصاص البنادق
وأخيراً وضوا أيديهم على ممثل البلاد الاكبر رأس الحركة الوطنية وأبدوه الى بلدنسى ثم هم يريدون بعد ذلك ان
يشتموا بان هذا في صالح القضية المصرية . ويريدون كذلك أن يتنوكم انتم بان تكونوا الدهري وضي بالسيلة الخلداه :-
سياسة الكذب . سياسة الارهاب التي يجرون عليها في معاملتنا

وعندما ان الاحتلال والحكومة ومشروع ملتر ومشروع كرزون والتبرج لمصر سواء في الناية وهي تمكن انجلترا من
وضع يدها على مصر . يضيقون في الصغى ويجورون في البلبات بين بلاغ وبلاغ ولكن الطامع أو الضالعات باقية لا
تنتير . وان تثيرت قال ما هو أسوأ وأشد ظلماً .

لقد فرّ قرام على عملية البتر ولكن السلاح الذي اعمره لذلك نارة بخفوة لاية وطورا يظهره بقسوة امام أعين
المرضى . ولكن مصر تأتي كل الابه ان تخضع لعملية كهذه لانها بحسبة الجسم ولا يريد ان تعيش حيثما لم يرد ولا احتلال
ياجناب السفير

الا تستطيع دولكم العظيمة التي حاربت نصرة الحق أن تؤكد لانجلترا حسن نيتها آزادتها لهدى بذلك من دوحها
وأذنصرح لها انها لا تريد ان تمس استقلالنا بسوء . اذ ليس من العدالة ان يقع شعب بأكلو تحت يدي الاجئين القاصب
لمرد خشية وقوعه في قبضة دولة اخرى . وان نصرح دولكم لانجلترا ان لا تريد مطلقاً ان تترك ممة الداع من معاملها
في مصر لتبرها وانها تستطيع ان تدافع هي عنها ان لم تجد الكفاية من صداقة الشعب المصري واحترامه الشاوي
والسيدات المصريات اللاتي يعبرن عن اراده الشعب المصري بروجوكم يا جناب السفير ان تبغ حكومتكم وشعبكم
التبيل شعور مصر العام : وهو ارجاع سعد زقاول باشا رئيس الامة المظفر في الحال ولقاء الانكسار العربية وملك العتقال
جميع المسجونين السياسيين والقاء الرقابة وجميع الاجراءات الاستثنائية

واقتاب جمية وطنيه تتولى وضع دستور للبلاد وأليف وزارة عاجزة لائمة وممثلة لمصر لا السلطة الانجليزية
نريد الاستقلال التام معني لا لفظاً نريد صداقة الشعوب المحرة واحترامها وتفضل يا جناب السفير قبول تائق استرابتنا

هدى شعراوي

القاهرة في ٨ مارس سنة ١٩٢٢

الفت راتب منيرة علوى نعت حجازى استرويهما روجيته لحياط . لسان احمد . فريديسيوس
شريفه رياض عات سلطان برلتي واصف عزه فوزى تلييه واصف

٤٧ - صورة الاحتجاج الذى قدمته لجنة

السيدات المصريات إلى قناصل الدول بمصر في ٨
مارس ١٩٢٢ . الاحتجاج بتوقيع هدى شعراوي
وألفت رباص ومنيرة علوى ، ونعمت حجازى
واستر وبصا واخريات ، واخريات

نداء النساء

الى الشعب المصرى

أيها المواطنين :

لأن حرمت المرأة المصرية من مباشرة حقها في الانتخاب يجانبكم في هذا الوقت المصيب فليس في الوجود قوة تستطيع أن تحررها حقها الطبيعي في الاشتراك معكم في هذه المعركة الفكرية والقلب والمأطفة . فشارككم في هذه الحرب الانتخابية العاصفة التي أثارها السياسة الانجليزية ، بعد أن تبينت أسراركم الخفية على الوفوف في وجهها ومصادمتها (بالرفض) وبالاستخفاف لم بكل ما يمكن أن ينزله بكم خبروت القوة التي تركز عليها هذه السياسة الاستعمارية

فاليوم نشارككم (نحن نساء النيل) في اجتياز هذه العاصفة بكل ما أوتينا من قوة فكرية ومادية . ونحن كنا قد منعنا من مباشرة حق الانتخاب ، فالتنا نستطيع أن نهيم في أذنكم برأينا في (المرشحين) للنيابة عنكم ، حتى نتمكنوا في مباشرة عمالة الانتخاب . مسترشدين برأينا الى جانب رأيكم ولصبح بالتالي نوابنا معبرين عن رأى الجنسين من بنى الوطن

إن الموقف حقيق ، والساعة رهيبه ، فقد رمي نهر من أبناء مصر أن يساروا الناصب لتسليمه (كل ما يمكن تسليمه) ... من حقوق الوطن ، نعت شعار (انقاذ كل ما يمكن انقاذه) : وما أراد هذا التفريق كلمة (انقاذ) غير (التسليم) ، ويعد أن وقف في وجهه زعيمكم (سعد زغلول) معضدا بنوابك المنهزمين أيها المواطنون .

٤٩ — نداء النساء إلى الشعب المصرى لتشجيع
انتخاب الوفدين بعد استقالة سعد زغلول وبجىء
وزارة زيوار باشا (وزارة انقاذ ما يمكن انقاذه أو
اغراق ما يمكن اغراقه بمعنى أدق)



٥٠ - في مارس ١٩٢٥ تم افتتاح نادى الاتحاد
النسائى المصرى بقصر الدوبارة كما يظهر فى الصورة



٥٢ - عربان سعد واحد من قيادات العمل
الفدائى المصرى : كان عليه أن يقتل يوسف وهبة
باشا ويبقى فى مكان حتى لا يتهم مسلم باغتيال
وزير مسيحى



٥١ - لعبت الحركة الفدائية المصرية دورا هاما
فى تحرير مصر وكان للفدائين المصريين عطاؤهم
الكبير فى خدمة قضية مصر والسودان ، ابراهيم
موسى زعيم عمال العنابر أعدم فى قضية اغتيال
السيرى سناك سردار الجيش المصرى وكان مثالا
رائعا للرجولة والفداء ونكران الذات .

٥٣ - سيد باشا واحد من قيادات العمل الوطنى
فى ثورة ١٩١٩



٥٤ - أسعد مشرقى اخذ «تأييده» من أجل
مصر ، وزامل - فى السجن - الكثير من رؤساء
الوزارات والوزراء وعمل - بعد ٢٥ سنة سجننا
لأتهامه فى حوادث ديروط سنة ١٩١٩ - خفيرا
لكوبرى المعاهدة : نموذج رائع للعطاء وللتنضحية .

٥٥ - عبد الخالق عنایت عمل فی الحركة الفدائیة
ثم هرب ، واستطاع أن یصبح من أشهر أطباء
النمسا : دعوت إلى رجوعه إلى مصر فعاد فی
أغسطس ١٩٥٣ ولم یعرف فضله فعاد حیث لقی کل
تکريم من الشعب النمساوی العظیم .



٥٦ - علی عبد اللطیف قائد الحركة الوطنیة فی
السودان « اللواء الأبيض » اهتموه بالجنون وقضى
سنوات عدیده فی مستشفى الأمراض العقلیة
بالبغیة ، وكنت وحدی الذی ازوره وأجل إليه
عض ما استطیع من أطعمة وهدايا إلى أن لقی ربه



٥٧ - عبد القادر شحاته أحد قيادات العمل
الفدائي (١٩١٩) وأسرتة قمت بالتقاط الصورة
عندما زرتة في بلدته مركز ديروط وكنت أبحث عن
الشهداء الأحياء لأسجل مالا يعرفه الناس عن
تاريخهم وتاريخ الحركة الوطنية



٥٨ - لورد اللنبى المعتمد البريطان فى مصر ،
والذى واجه - فى مصر - ثورة ١٩١٩ وصاحب
فكرة إصدار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢



٥٩ - أحمد فؤاد السلطان الذي أصبح ملكاً على
مصر وشهد أعنف الأحداث التي مرت بمصر ابتداء
من ثورة ١٩١٩ حتى ثورة الشباب في ١٩٣٥



٦٠ - السير برسي لورين يصفح السير
ستيوارت القائد العام للجيش البريطاني

٢١ - برس لوردين في افتتاح البرلمان المصري ،
انه يعامل كملك



١٢ - السفير برسي لورين المندوب السامي
البريطاني ، في مصر والى جانبه أحمد حسين باشا





٦٣ - على أثر انتخاب النحاس باشا رئيسا للوفد
المصري أقام واصف غالي باشا حفلة خاصة بتلك
المناسبة حضرها زعماء الوفد من بينهم حمد الباسل
باشا ، علي الشامي باشا ، يحيى الدين بركات باشا
وأحمد ماهر ، وعُود القرائشي

٦٤ - محمد محمود باشا يفتح مستشفى الرمد
بالقازيق



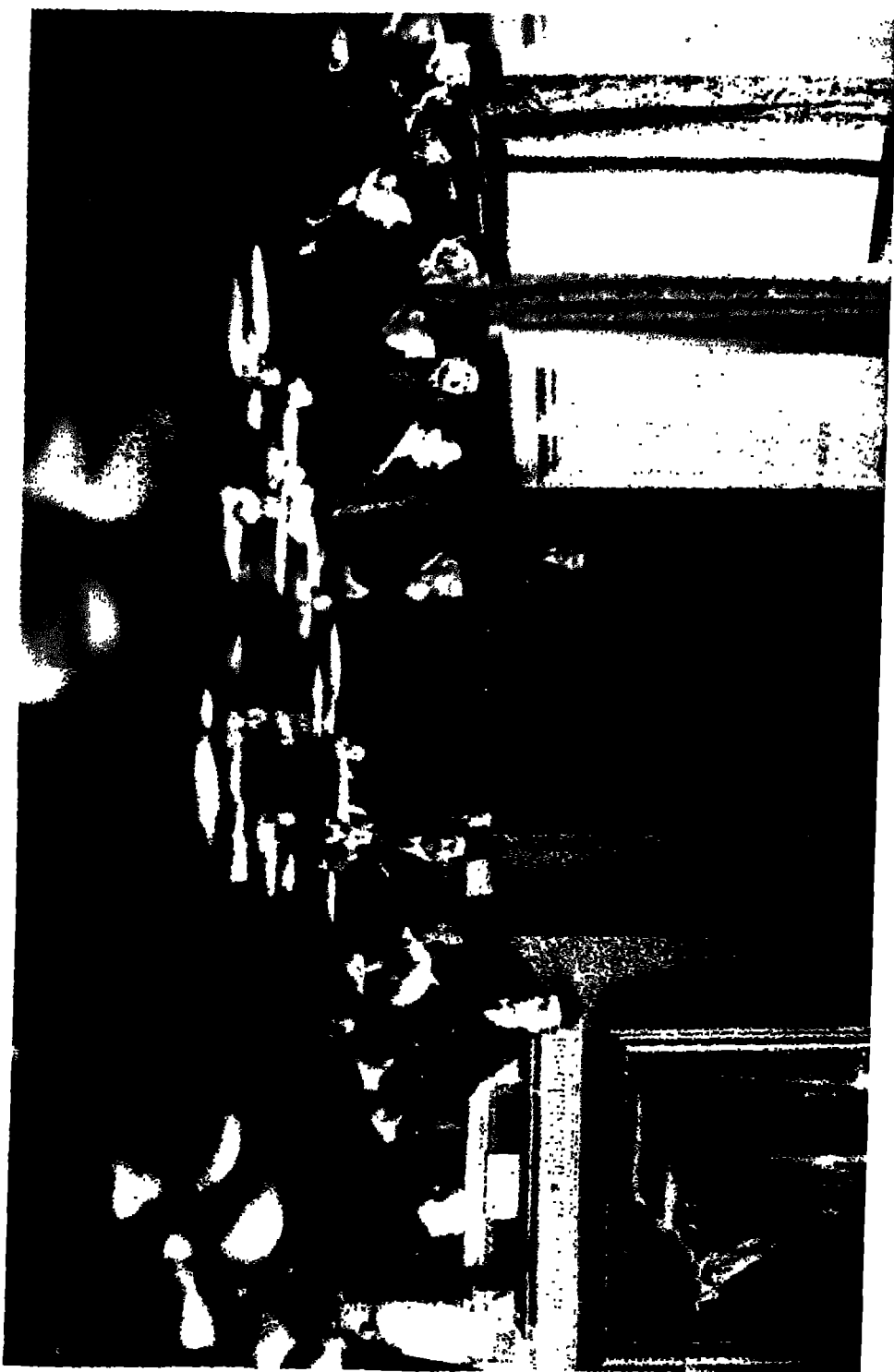
٦٥ - عبد الخالق ثروت باشا وأمين الرافعي بك
والاستاذ جمال مذكور في بوخارست



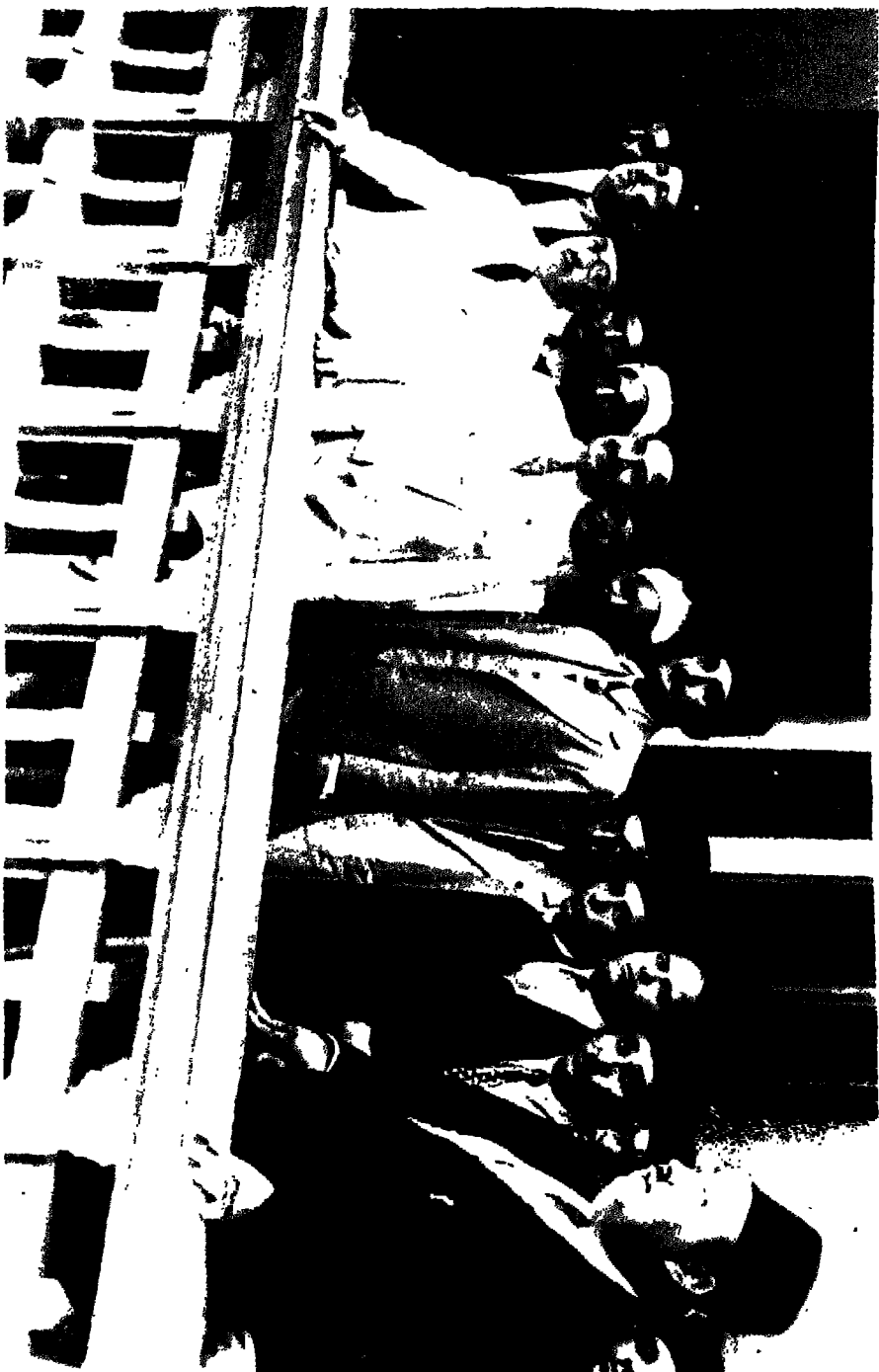
٦٦ - عدلى يكن باشا يرأس وفد المفاوضات مع
بريطانيا ومع يوسف سليمان باشا وتوفيق دوس باشا
وأحمد طلعت باشا



٦٧ - مصطفى الحواس ، مكرم عبيد ، وعثمان
عزم عند وصولهم إلى لندن في ١٩٣٠/٣/٢٦
للتفاوض مع مستر هندرسون وزير الخارجية
البريطانية



٦٨ - المفارقات المصرية البريطانية في قاعة
لوكارنو، بلندن : النحاس باشا يرأس الوفد
المصري ، مستر هندسون وزير الخارجية البريطانية
يرأس الوفد البريطاني (١٩٣٠/٣/٣١) .



٦٩ - عقب خروج عباس عمود المقاد من السجن بعد
انقضاء العقوبة التي حكم عليه بها بتهمة العيب في
الذات الملكة ، ذهب مباشرة الى ضريح سعد ولى
النادي السعودي حيث استقبله النحاس باشا رئيس



٧٠ - مكرم عبيد باشا بعد خروجه من الوزارة
في لندن : (١٩٣٠ / ٩ / ٣)



٧١ - صدقي باشا يخطب في حفل شاي أقامته
جمعية الصناعات (١٩٣١/٣/١٤)

٧٢ - كان جاس حليم زعيما لبعض تقنيات
التمال الموروثة له مع بعض القادات المالية





٧٣ - لقيف من رجال القضاء من بينهم يس
أحمد بك ، أمين حسي بك ، أمين زكي بك ، خليل
غزالات بك حسن زكي عماد بك ، أحمد تقيف
بك ، سليمان السيد سليمان بك ، علي زكي المرام
ومن بينهم بعض القضاة في قضية نراة الحكم ،



٧٤ - حسن صبري باشا يرأس بعثة مصرية
سافرت إلى بريطانيا من بين أعضاء البعثة طلعت باشا
وصديق حنون باشا ، وحافظ عفيفي باشا و يوسف
نحاس بك (أبريل ١٩٣٥)



٧٥ - طلعت حرب باشا في سينما ستوديو مصر
لمشاهدة فيلم « دنائير »



٧٦ - مراد سيد أحمد باشا وزير مصر القروض
بيرلين وعلى بك مرعي القائم بأعمال وزيرنا القروض
في برلين



٧٧ - توفيق نسيم باشا يستقبل وزير
خارجية الحبشة (أثيوبيا)



٧٨ - مصطفى النحاس باشا عند مغادرته
القطار في محطة اسكندرية ، بجانبه الأستاذ محمد
التابعي



٧٩ — محمد عبد الباقى ورفاقه

٨٠ - أحمد حسين باشا جعفر تباية عن الملك
(١٩٣٨ / ١ / ٢٥) مهران الأدب الذي أقيم
بالقصر الملكي إيتهاجا باركاف الملكي ،





٨١ - الدكتور محمد بلال في اجتماع وافي
يقف خطيبا

(سنوات ما قبل الثورة - ٥)



٨٢ - الشيخ حسن البنا في اجتماع للاخوان
المسلمين ورجالته الصناع عمود لبيب أحمد العياط
الأحرار ، القدامى

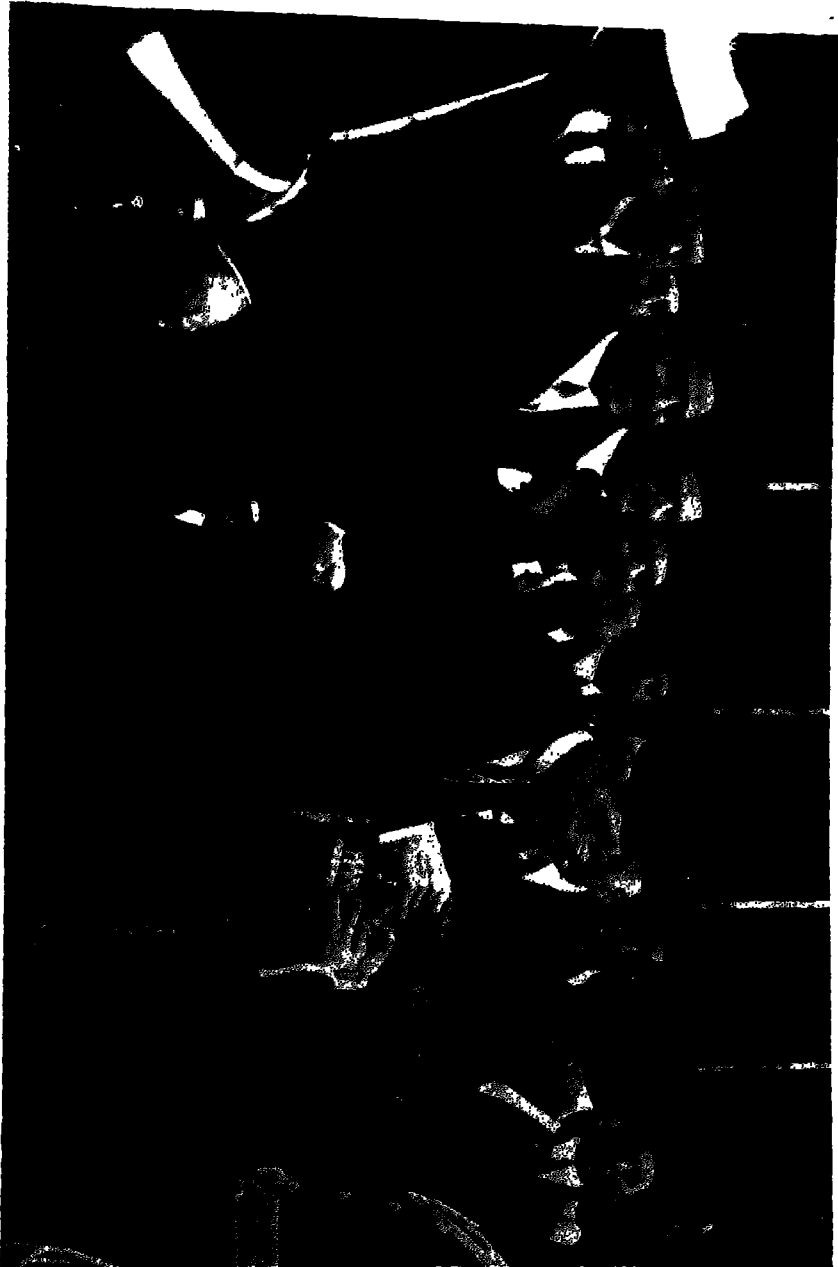
٨٣ - د . محمد حسين هيكل في اجتماع طرب
الأحرار المستورين



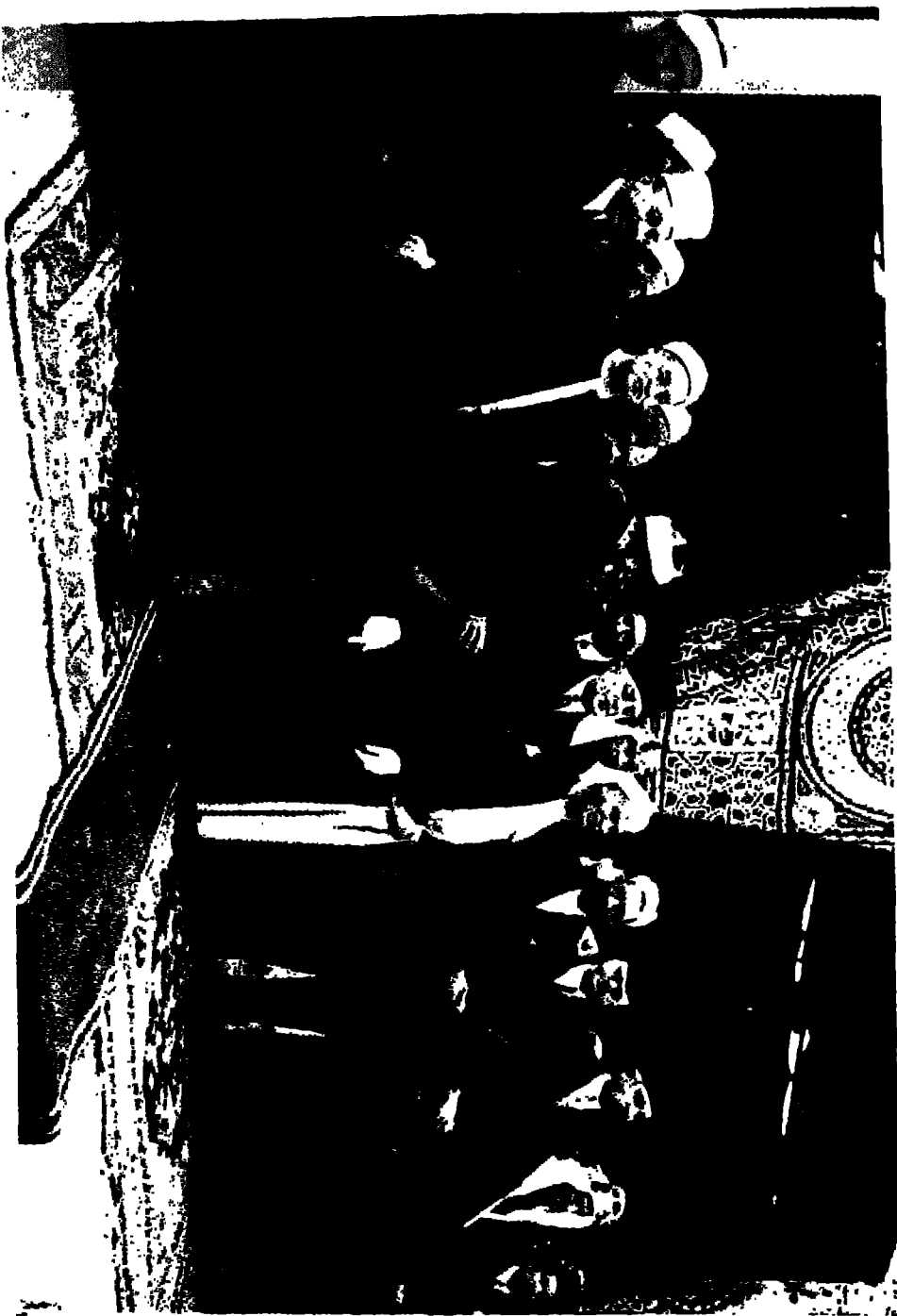
٨٤ - أحمد حسين في اجتماع يضم قادة الإخوان
المسلمين وبعض أعضاء مصر الفتاة

۸۵ - مکرم حیدر بانٹا بھٹی کی بعض انصاف کی





٨٦ - عزيز صريت باشا أحد الأوصياء على
الرشيد يسلم مفرد جمل الحمل لرئيس بركة الطنج
والى جانبه النحاس باشا .



٨٧ - مصر تحتل في فبراير عام ١٩٤١ بمودة
المحمل ، حين سرى بانسا والشيخ المراض في
مقدمة المحتالين



٨٨ - عزيز عزت باشا ، ومحمد شريف صبرى
باشا الوصيان على الملك فاروق إلى أن بلغ سن الرشد
كان مجلس الوصاية برئاسة الأمير محمد على ،



٨٩ - الأمير محمد علي باشا ، كان يتطلع إلى
عرش مصر . باستمرار في الصورة مع بعض الأمراء



٩٠ - النبيل عباس حلمي في حفل افتتاح البرلمان
وفي الصورة حسين سرى باشا



٩١ - القرائى وأحمد ماهر ، وعيسى سليم
وحامد عمود وحسن صبرى باشا فى انتظار النحاس
باشا قبل أن يخرج ماهر والقرائى من الوفد



٩٢ - عبد الفتاح يحيى باشا خلف اسماعيل
صدقي باشا في رئاسة الوزارة ، وفي رئاسة حزب
الشعب الذي كان اسماعيل صدقي باشا قد أنشأه ثم
أصبح - فيما بعد /وزيرا للخارجية .

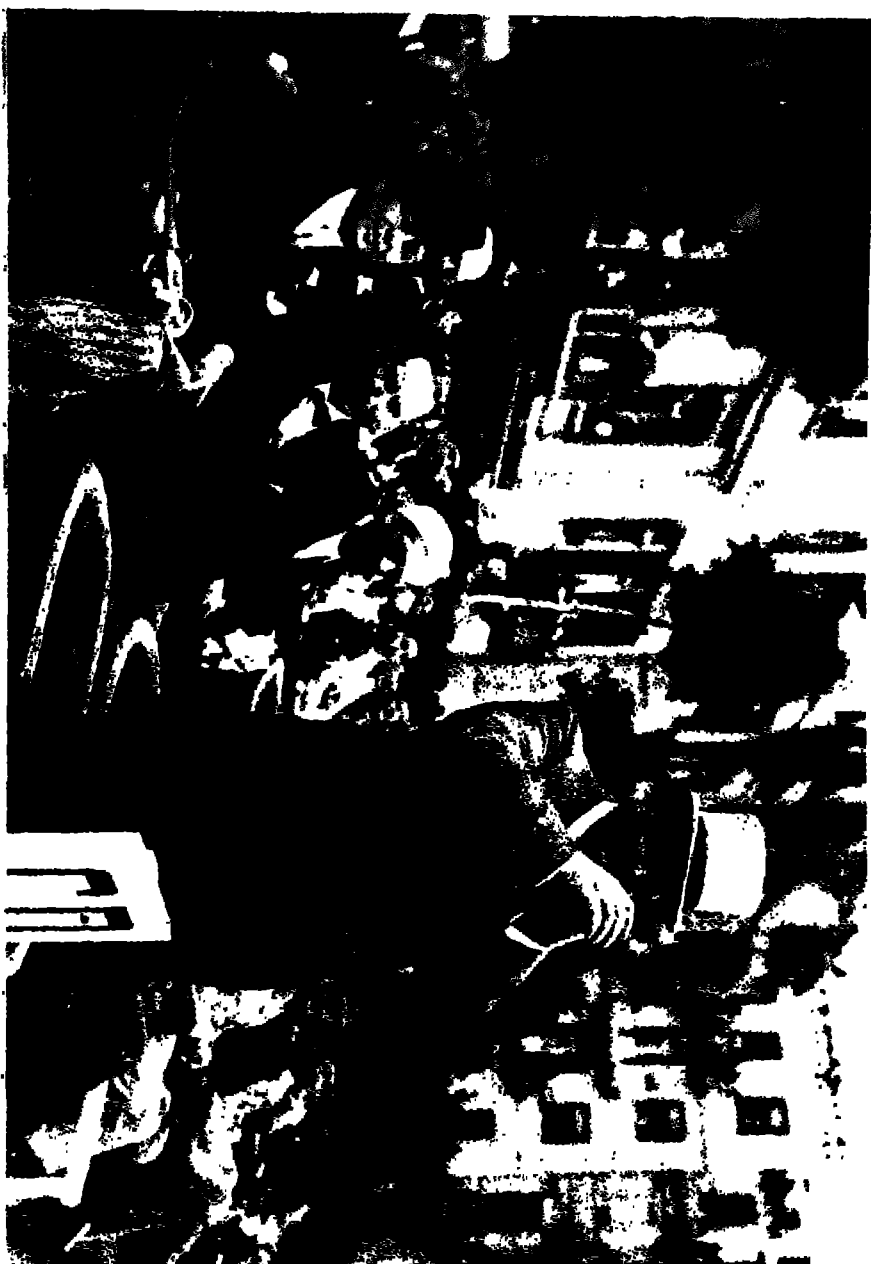


٩٣ - لورد كيلرن والأمير محمد علي توفيق
والممول الانجليزية للأمير محمد توفيق كانت هي التي
توجهه دائما



٩٤ - لورد كيلرن وحسين سرى باشا ، كان
حسين سرى باشا ميالا للسياسة البريطانية

٩٥ - لورد كيلرن يقيم بقتضيه | إحدى المظاهرات
المصرية

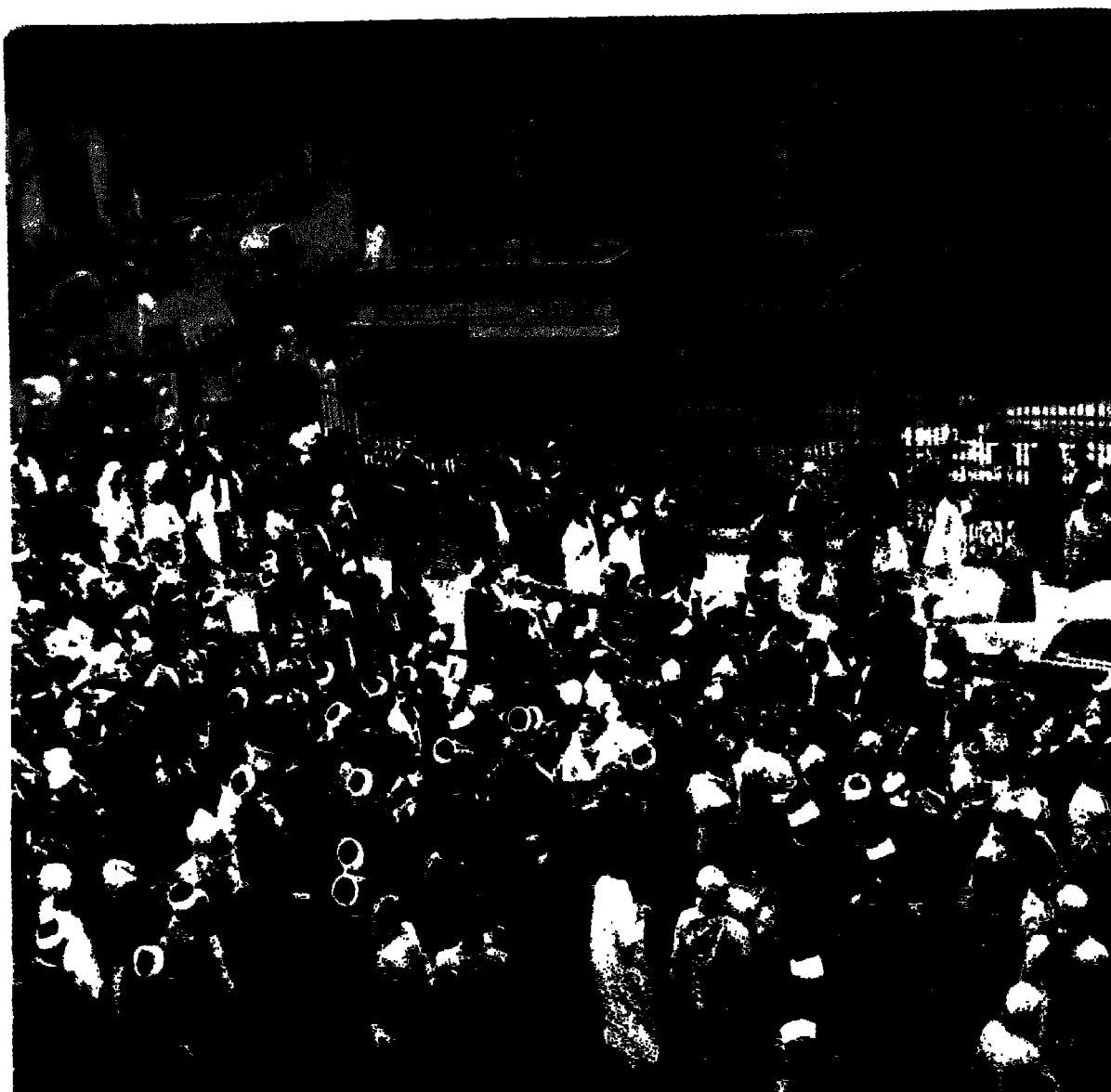




٩٦ - النحاس باشا ولورد كيلرن ، ويدا ، في
يد : صورة جنيّة

٩٧ - لسورد كيلرن في واحد من مطابخ
البحرية القديمة





٩٨ - مظاهرات ضد اسماعيل صدقي باشا

(سنوات ما قبل الثورة - ٦)



٩٩ سالنحاس باشا وقد أصيب في واحدة من
المظاهرات العنيفة



١٠٠ - في واحدة من المظاهرات المنعقدة التي
قامت بالتمهودة أصبح سبتوت حنا عندما أراد أن
يقفدى زعيمه النحاس باشا وفارقته روحه لأن الجرح
كان قاتلا



١٠١ - أصيب مكرم عبيد في واحدة من
الظواهرات النتيقة والنحاس باشا يزوره في المستشفى



١٠٢ - صورة لمكرم عبيد جريحا يرقد في
المستشفى



١٠٣ - ضففة شباف مفراف ألافف عام ١٩٣٥



١٠٤ - كانت أم المصريين رغم شيخوختها
تحرص على زيارة جرحى المظاهرات الوطنية في
المستشفيات



١٠٥ - من أوائل شهداء الجامعة في ثورة
١٩٣٥ .

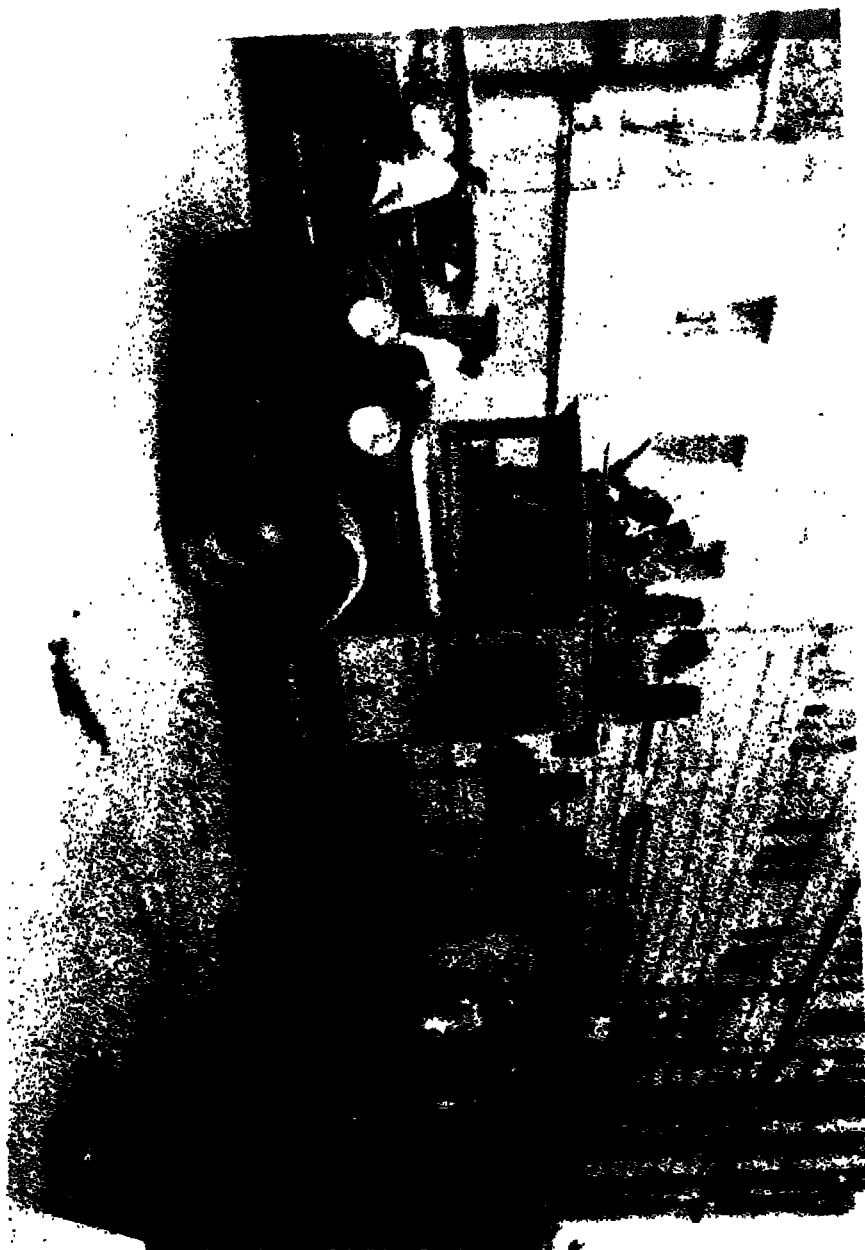


١٠٦ - عبد المجيد مرسى من أبرز شهداء ثورة
شباب ١٩٣٥ أن قافلة الشهداء طويلة .



١٠٧ - مظاهرة من مظاهرات حزب العمال
المصري - لقد كان للعمال حزبهم في الثلاثينيات .

١٠٨ - البوليس بأسلحته يترقب واحدة من
المظاهرات الشعبية .

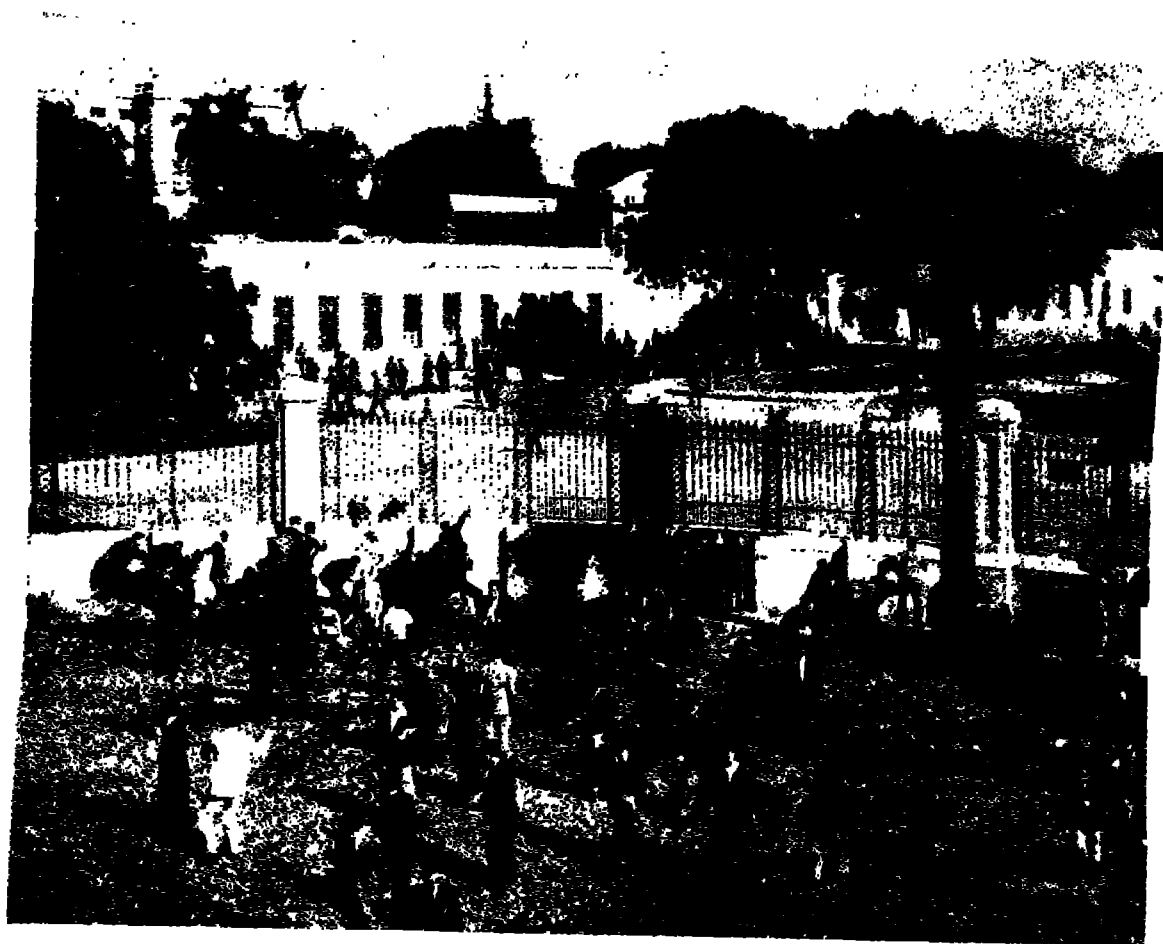




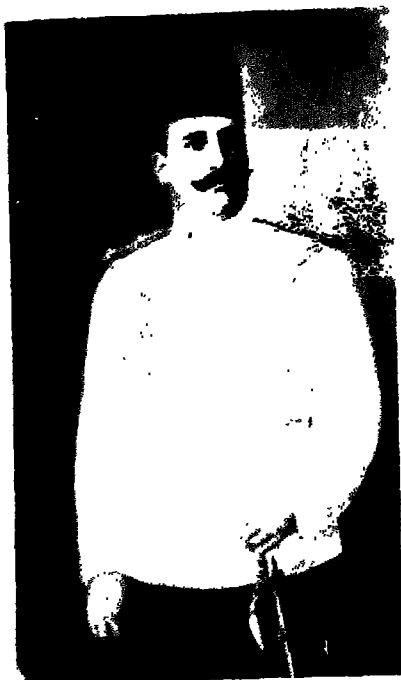
١٠٩ - البرليس عاصمة مصر في
باب الخلق ، بالقاهرة



١١٠ - جاهر الشعب في ميدان عابدين وقد
خرجت مظاهرة ، غاضية



١١١ - البوليس وقد اصطدم بمظاهرة قام بها
شباب الجامعة لتأييد قضية الشعب الفلسطيني



١١٢ - أحمد فؤاد ، الملك ، مات الملك ، ليحيى
الملك : ويحل محله فاروق



١١٣ - أحمد فؤاد صيبا ، وفاروق صيبا ، أيضا
والشبه بين الأب وابنه واضح في الصورة .



١١٤ - الملكة الأم نازلي والطفل فاروق ولي
العهد



١١٥ - فاروق كشافاً أعظم

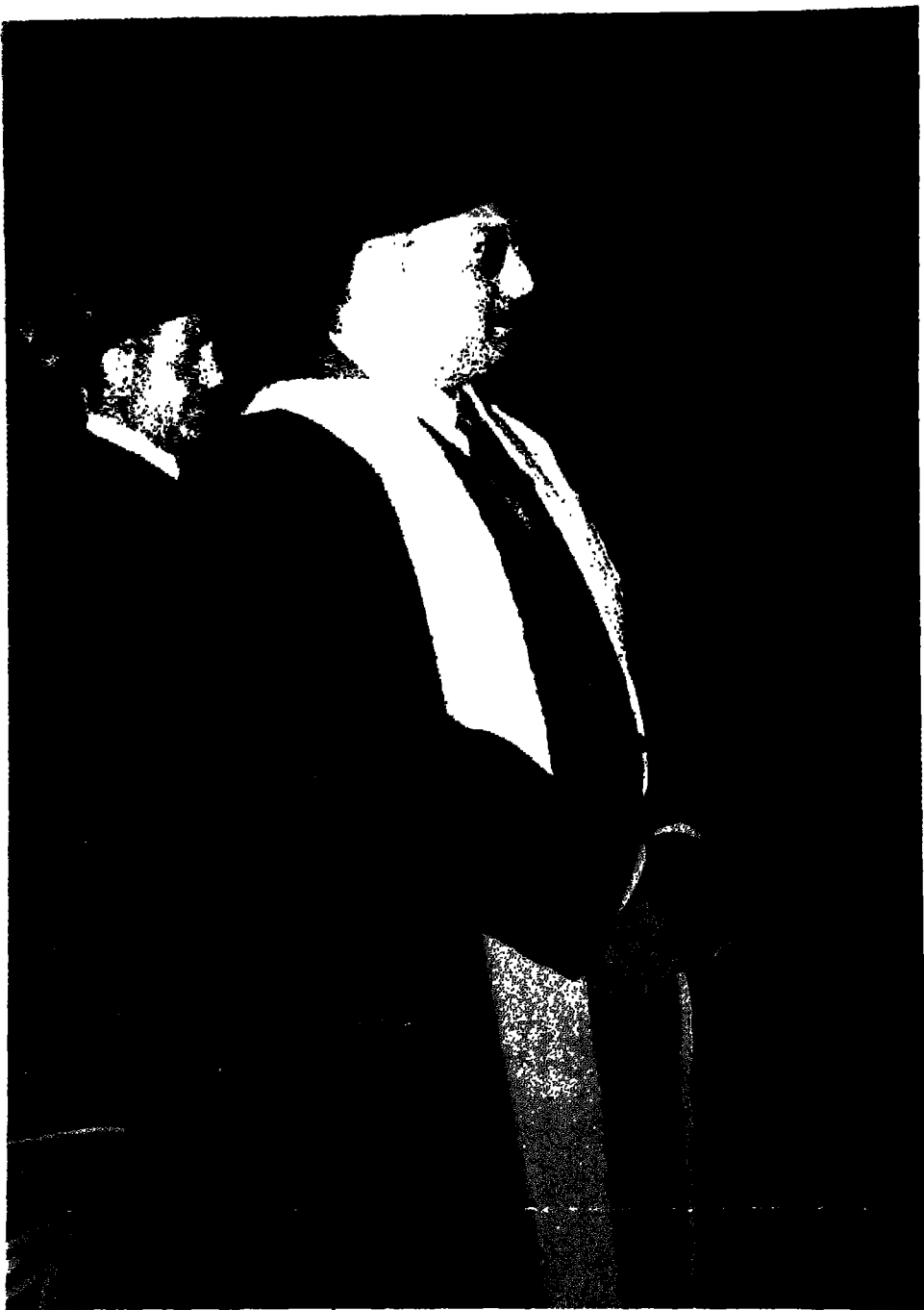


١١٦ - فاروق عندما تولى العرش ولم يكن قد
بلغ بعد سن الرشد

(سنوات ما قبل الثورة - ٧)



١١٧ - فاروق ووراءه دائما ، على ماهر باشا إلى
أن أبعدهما عن بعضهما الانجليز



١١٨ - فاروق ودرجة الدكتوراه الفخرية من
جامعة فؤاد



١١٩ - فاروق في إحدى جولاته بالغربية



١٢٠ - فاروق وقد أطلق لحيته



١٢١ - يقبل أحد الجنود يد الملك فاروق التي
مدها له ، في استرخاء واضح

١٢٢ - أحمد حسين باشا رائد الملك فاروق:
رئيس ديوانه .



١٢٣ - شريف صبرى باشا شقيق الملكة نازلى
وخال الملك فاروق



١٢٤ - الملكة نازلي بعد وفاة زوجها الملك أحمد
فؤاد



١٢٥ - الملكة نازلي والأميرة فوزية وزوجها ولي
عهد إيران وقتذاك



١٢٦ - الملكة فريدة والأميراطورة فوزية ،
وزوجها الأميراطور (شاهنشاه ايران) والأمير
يوسف كمال



١٢٧ - صلي ماسير باشا ينجي ليقيل يد
الامير اطوره فوزية والامير اطور يتسم



١٢٨ - العروسان الامبراطوريان وخلفهما والدة
« المريس » الايراني

١٢٩ - الملكة نازلي وزوج ابنتها برآن ورقه
هامة وفوزية وحامها يتطلران النتيجة





۱۳۰ - الملك فاروق وشقيقته فوزية بعد أن عادت من إيران
مطلعة !! والارض باد عليها



١٣١ - الأميرة شويكار في قمة أناقتها رغم
شبهخوتها



١٣٢ - الملكة نازلي ملكة على عرش الأناقة



١٣٣ - فاروق وفرينة قبل الانفصال

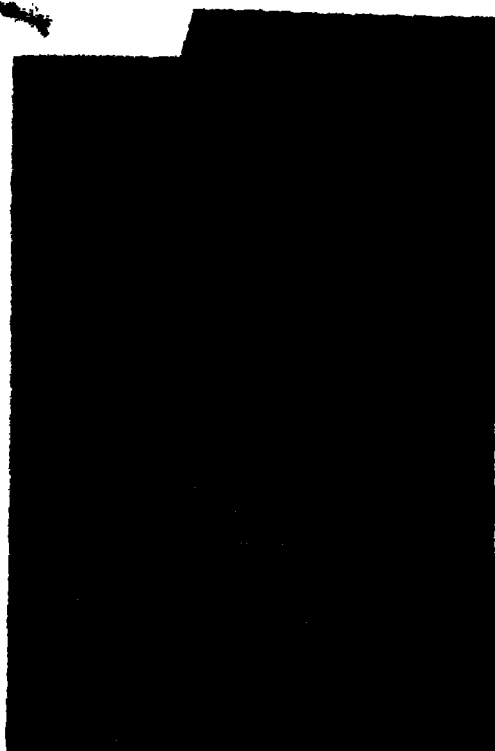


١٣٤ - فريال باكورة زواج فاروق من فريسة
وراء أسوار الغيب



١٣٥ - صورة لفريال تيسم للحياة

١٣٦ - فريلة وفريال





١٣٧ - الأميرة فوزية (الامبراطورة سابقا ،)
(سنوات ما قبل الثورة - ٨)



١٣٨ - الأميرة نسل شاه تفتتح دارا جديدة لمبرة
الأميرة فريال



١٣٩ - الملكة نازلي في الجمعية الزراعية الملكية
وفؤاد أباظة باشا رئيسها يتولى الشرح للملكة



١٤٠ - الأميرة شويكار وبعض المتطوعات على
ماكينات الخياطة للبر أو هكذا كانوا يقولون

١٤١ - شويكار أفق أميرات البيت / الملك مع
صورة للفقير المدقع في أحد شوارع الزمالك بالقاهرة





١٤٢ - ناهد رشاد عندما كانت وصيفة
للالامبراطورة فوزية فلما طلقت الامبراطورة بقيت
وصيفة في القصر ، وصيفة وصديقة ، لصاحب
القصر

١٤٣ - الملكة نازلي والأميرتان فائزه ونجيه في إحدى حفلات وزارة المعارف



۱۴۴ - هدی حاتم شمراوی فی إحدى الحفلات





١٤٥ - هدى شعراوي وسيمونا نبراوي على
الباخرة سفنكس في الطريق إلى فرنسا .



١٤٦ - هدى شعراوي وحواء إدريس في صورة
تذكارية نادرة



١٤٧ - هدى شعراوي وحواء إدريس في بيروت
(أغسطس ١٩٤٤ للتحرير لكونين) الاتحاد
النسائي العربي : الصورة في منزل السيدة أمسان
اللاذقية



١٤٨ - حواء ادريس في زي فولكلورى



١٤٩ - الكاتبة مى زيادة نموذج رفيع للادب
الربع



١٥٠ - أم كلثوم سيدة الغناء العربى فى شبابها



١٥١ - لجنة سيدات الهلال الأحمر برئاسة حرم
حسين سرى باشا ،

١٥٢ - طالبات السنة الخامسة علمي في واحدة
من مدارس البنات





١٥٣ - الأميرة نسل شاه في حفلة خيرية : زهرة
بين الزهور



١٥٤ - زينب الوكيل حرم النحاس باشا في
البخرة محاسن



١٥٥ - حرم النحاس باشا وحرم مكرم عبيد باشا
في صورة

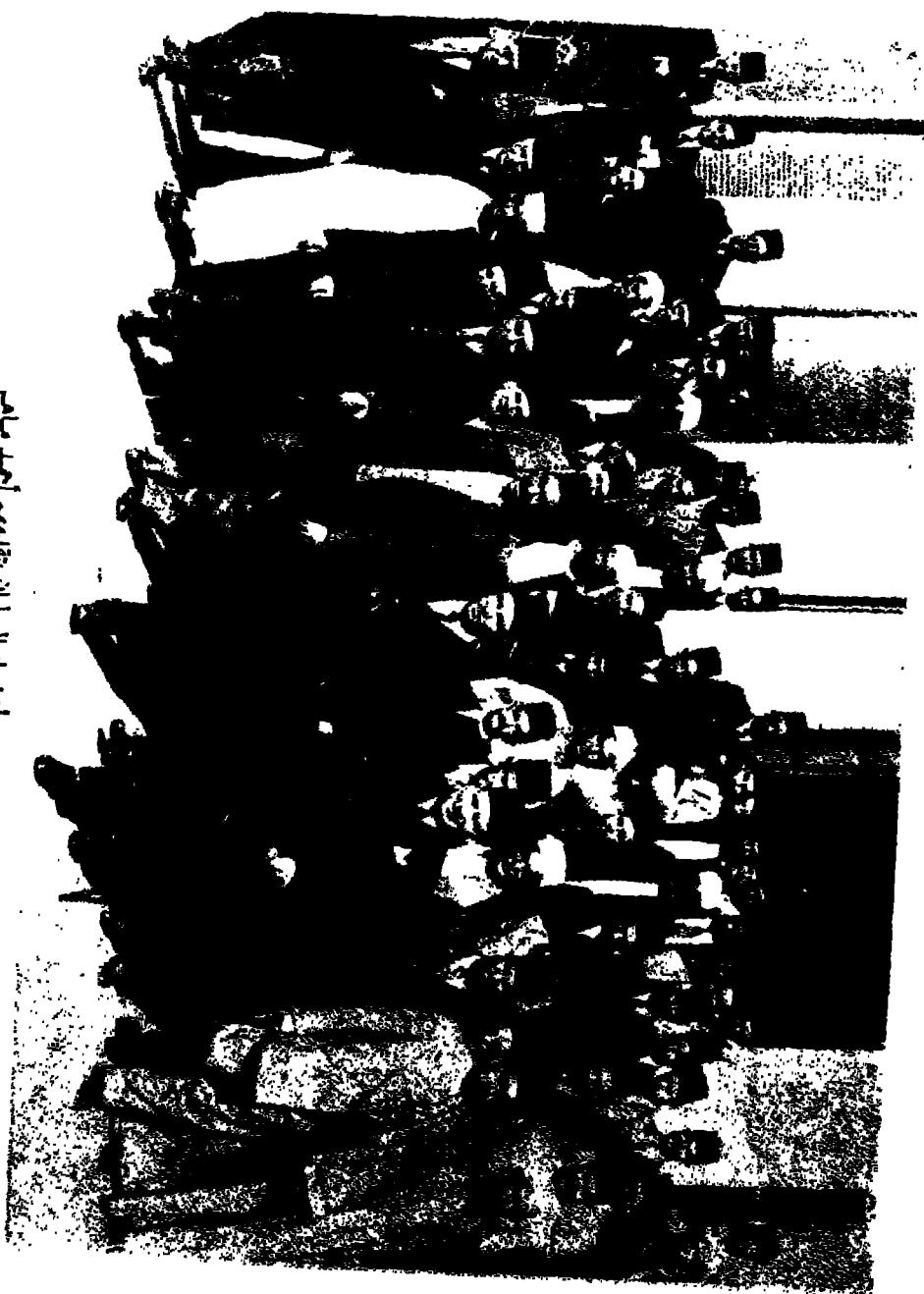


١٥٦ - زينب هانم الوكيل حرم مصطفى
النحاس باشا



١٥٧ - الملقى الأكبر المصلح أمين المصطفى رئيس
الهيئة العربية العليا وأبراهيم دسوقي أباظة باشا
والشيخ محمد عبداللطيف دراز في صلاة العيد

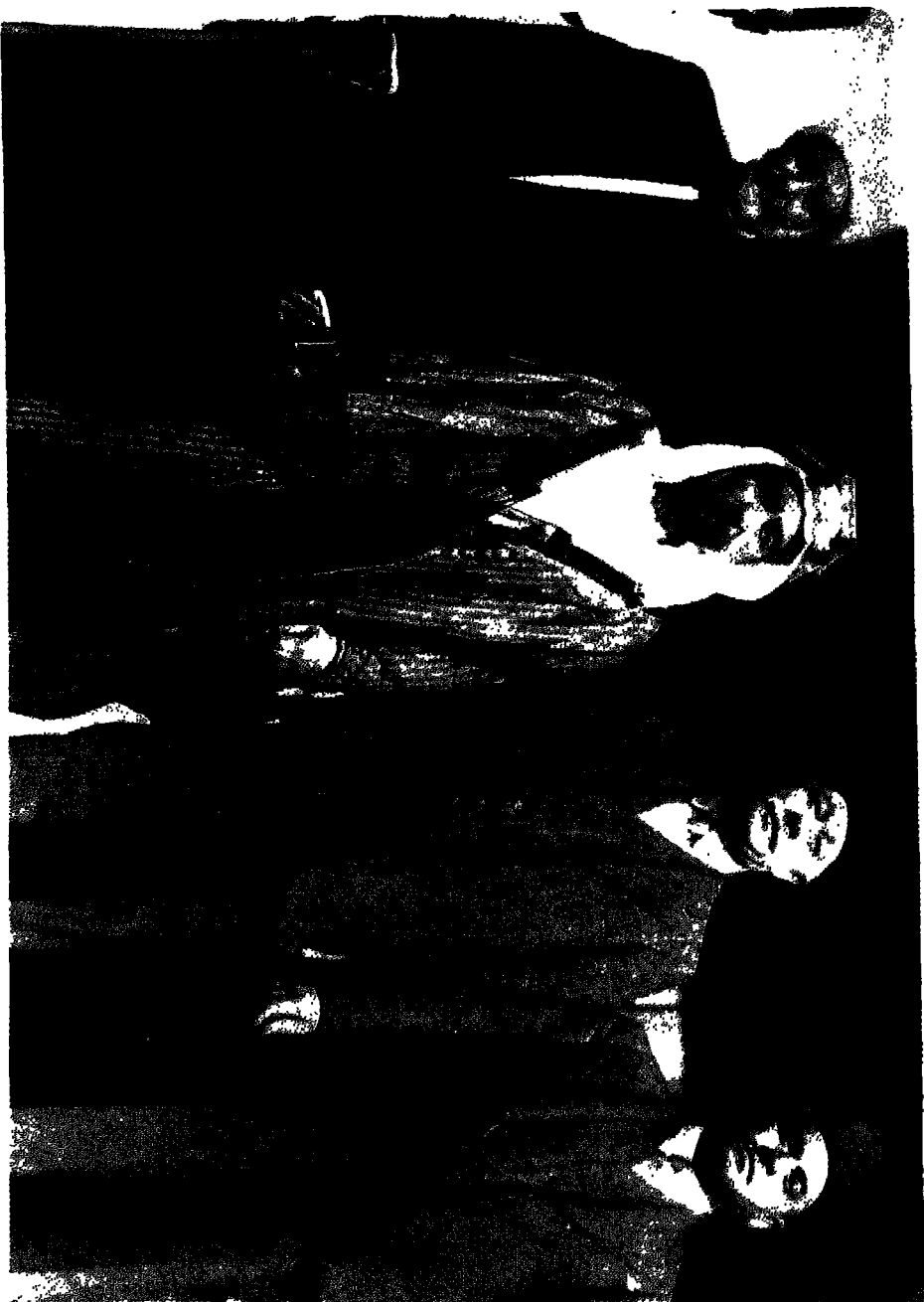
٧٥٨ - أعضاء البرلمان بتقديم أحمد ماهر
باشا ، في طريقهم إلى مصطفى النحاس باشا لتهنئته
بنتجته من عارلة أفتياه



(سنوات ما قبل الثورة - ٩)



١٥٩ - في الأسبوع الأول من يناير ١٩٣٩ شارك
النحاس باشا في حفل الذي أقيم لتكريم الزعماء
الفلسطينيين المائلين من مقامهم بجزيرة سيشل :
في الصورة أحمد حلمي باشا وبقيّة الزعماء



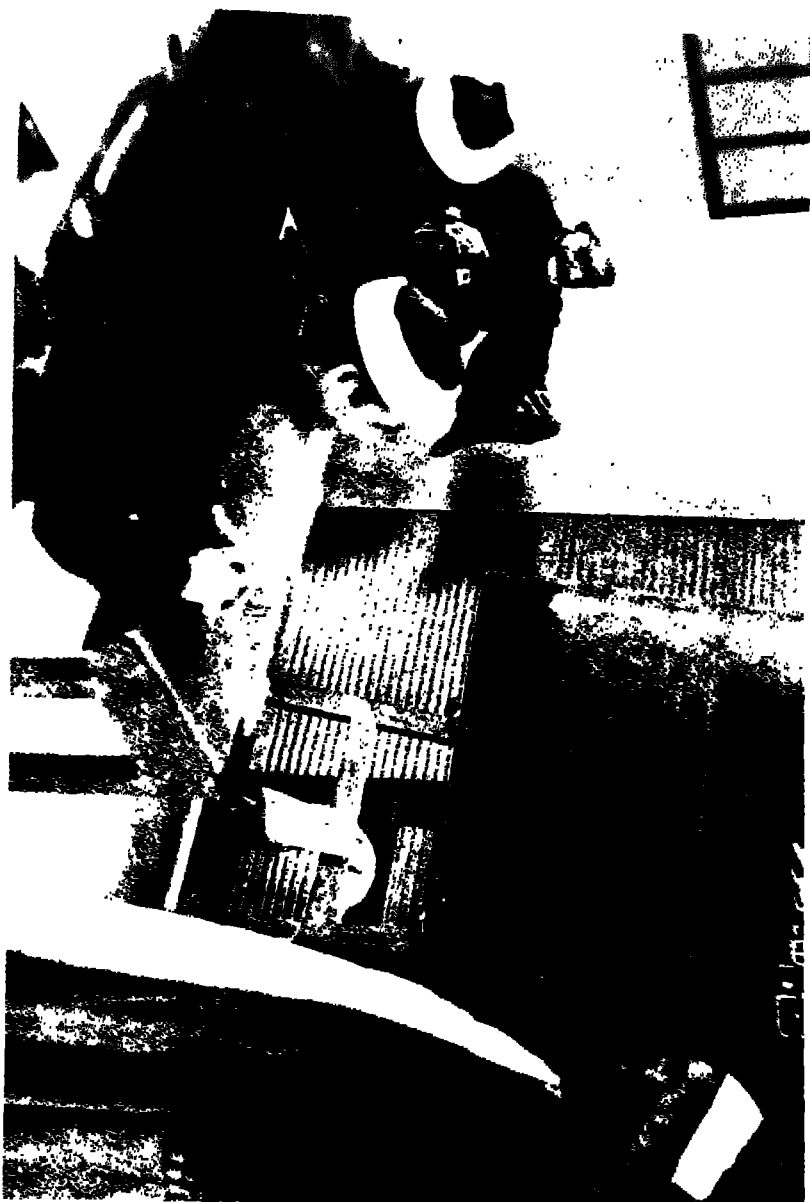
١٦٠ - الأمير عبد الله أمير شرق الأردن في زيارة
له بمصر قبل أن يصبح ملكا للأردن وإلى جانبه الشيخ
المرافق

١٦١ - حفل عرس في بيت شيخ العربية أحمد
مغنيق بائنا

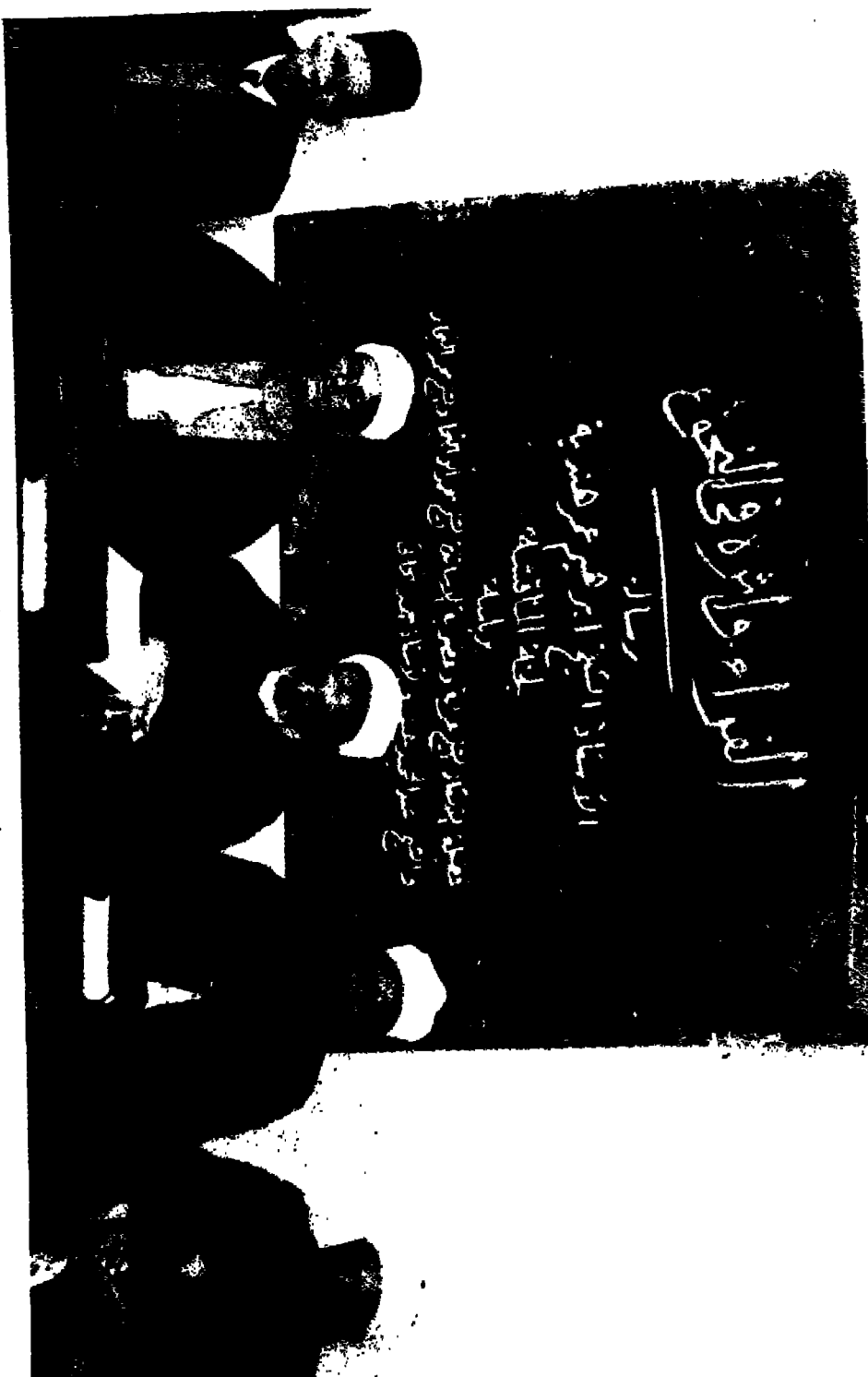




١٦٢ - سفير الأورطة المصرية إلى السودان في
١٩٣٧/١٢/٢٤ ويرى ادريس عبد الله الوظف
بالتيران المصري - وهو سوداني - وقد انتسج بالعلم
المصري



١٦٣ - الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
مصطفى الرافعي في أحد فصول جامعة الأزهر
يتحدث والأستاذ والطالب يستمعون



البراءة والبراءة في الفقه

رسالة

الشيخ ابراهيم عمر همداني

بإجازة المأذون

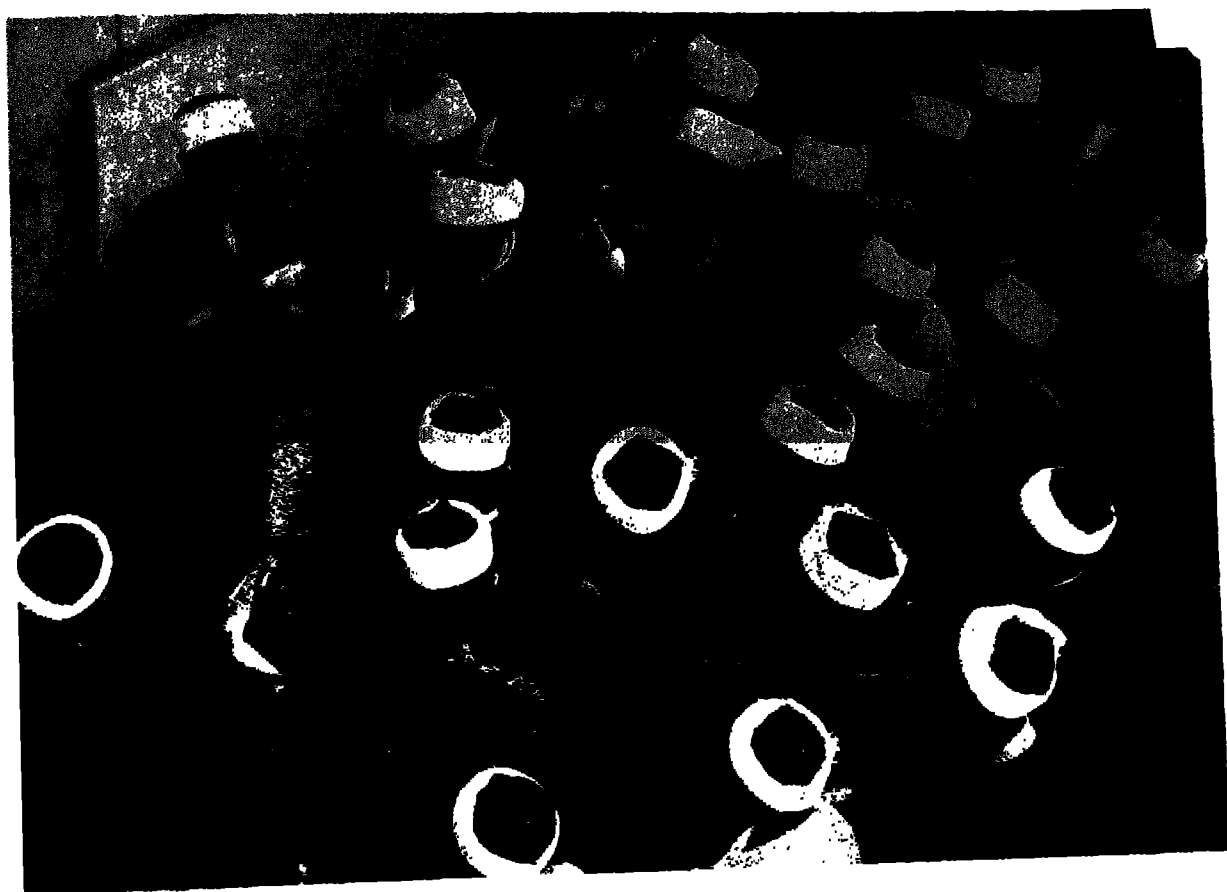
والله

تصنيفه: إمامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى
والشيخ عبد الوهاب بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

١٦٤ - رسالة عن البراءة وأثره في النص للاستاذ
الشيخ ابراهيم عمر همداني ، لجنة التأليف برئاسة
الشيخ غرابه وصفيية الشيخ ابو النجا والشيخ عبد
المعتمد عيسى والاستاذ أحمد نجاني



١٦٥ - الشيخ المرافي كان زعيما دينيا وزعيما
سياسيا



١٦٦ - الشيخ المرافي في الأزهر بين طلبته



١٦٧ - سليم حسن بك رائد علماء الآثار
المصريين وأكثرهم وطنية : كانت له مع السراي
خصومة عنيفة .



١٦٨ - محمود غالب باشا قاضيا ثم وزيرا ،



١٦٩ - محمد توفيق دياب من رئاسة تحرير الجهاد
إلى السجن وبالعكس



١٧٠ - عباس محمود العقاد : كاتب عملاق
وشاعر ، مجدد ، خلاق



١٧١ - محمد علي علوبة باشا واحد من أشهر
المحامين المصريين الذين تخصصوا في الدفاع عن
القضية الفلسطينية



١٧٢ - مصطفى النحاس وأحمد ماهر قبل
الانفصال

١٧٣ - عزيز المصري باشا وابنه الوحيد ، الذي
أقام في الولايات المتحدة الأمريكية لأن أمه أمريكية





۱۷۴ - مکرم عبید باشا و ابراهیم عبد الهادی
باشا



١٧٥ - الشيخ المراهى والنقراشى باشا



١٧٦ - ابراهيم عبد الهادى باشا وعمود غالب
باشا



١٧٧ - النحاس باشا ، والسفير صادق
المجدي ، سفير الأفغان المقيم دائما في مصر ، لقد
اتخذ المجدي من مصر وطننا دائما له ،



١٧٨ - مصطفى النحاس باشا وعبد السلام جمعه
إشفاقى كل منها رئاسة مجلس النواب

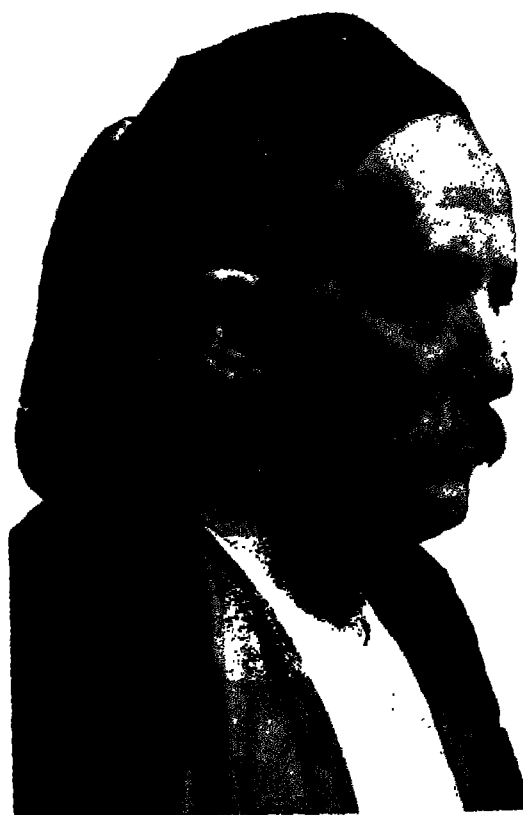


١٧٩ - الأمير عمر طوسون باشا من قيادات
مصر الوطنية وكان دائما سباقا لمعاونة المشروع
الوطني وخاصة الجانب الاقتصادي

(سنوات ما قبل الثورة - ١٠)



١٨٠ - الأمير يوسف كمال من أغنى أمراء
البيت المالكي وكان القطار يمشى ساعات في أراضيه
الواسعة ، ولم يكن يشغله في حياته سوى كلبه .



١٨١ - محمد الباسل باشا نموذج للمطاء الوطني
الخالص



١٨٢ - شريف صبرى باشا فى قصره



١٨٣ - عزيز المصرى باشا فى آخرىات أيامه



١٨٤ - د. طه حسين ومعاركه السياسية
والأدبية .



١٨٥ - لطفى السيد استاذ الجيل وكل الأجيال

١٨٦ - طلعت حرب باشا زعيم مصر
الاقتصادى



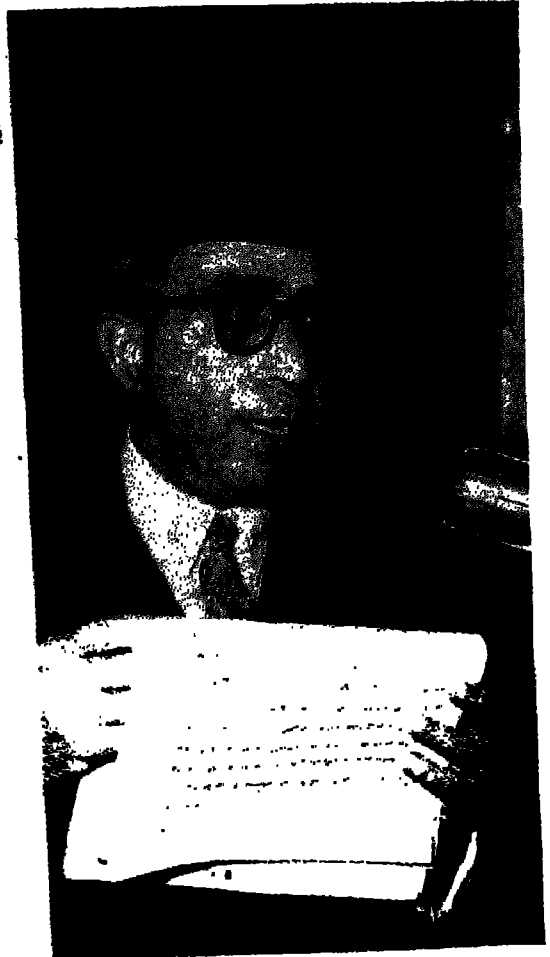
١٨٧ - عبد اللطيف طلعت باشا كان الانجليز
يكرهونه عندما كان وكيلا للديوان الملكى



١٨٨ - محمد التابعى رائد الصحافة العربية الحديثة



١٨٩ - صورة رسمية للدكتور محمد حسين
هيكل باشا



١٩٠ - د. محمد حسين هيكل رئيس حزب
الأحرار الدستوريين يخطب



١٩١ - الشيخ حسن البنا
المرشد العام للاخوان المسلمين



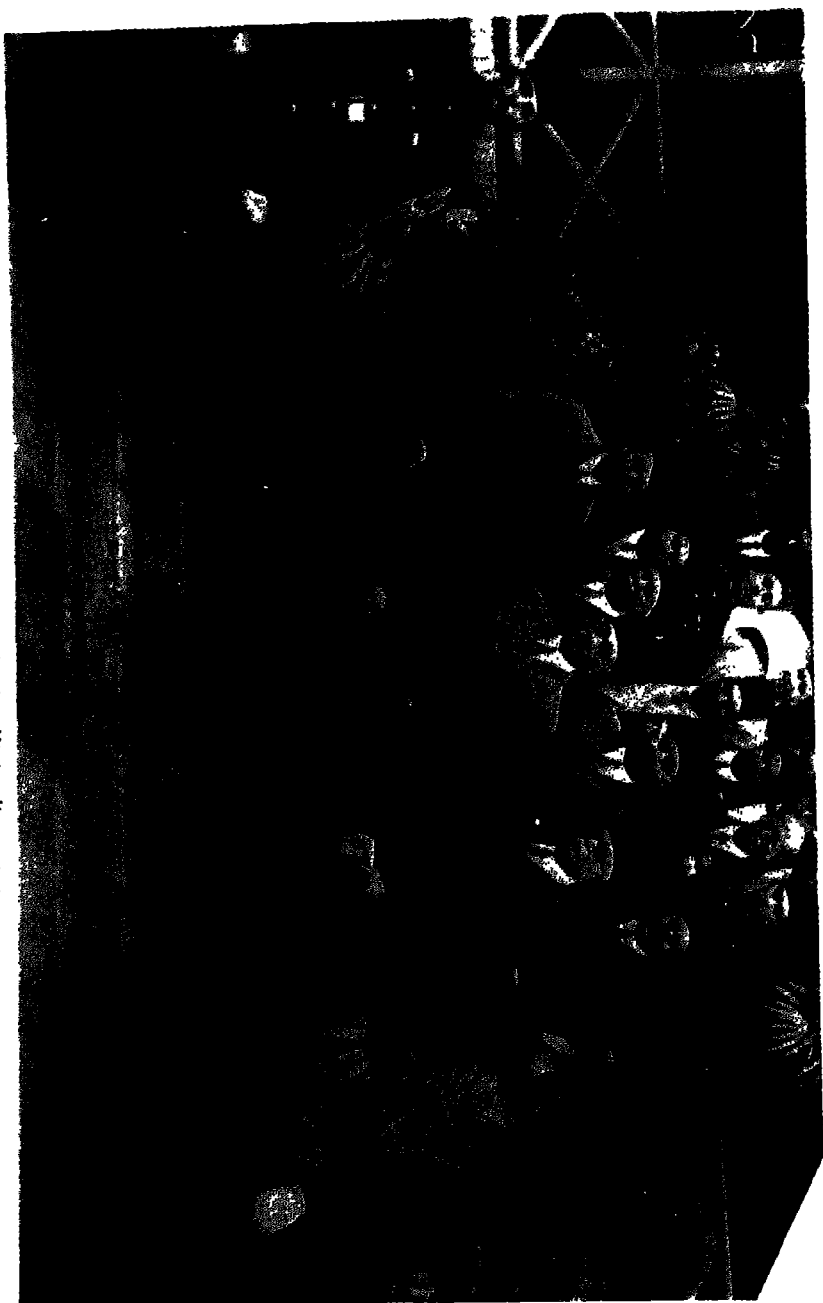
١٩٢ - محمد علي علوبة باشا خارجا من محطة
القدس عند وصوله اليها للمشاركة في مؤتمرها
الاسلامي ،



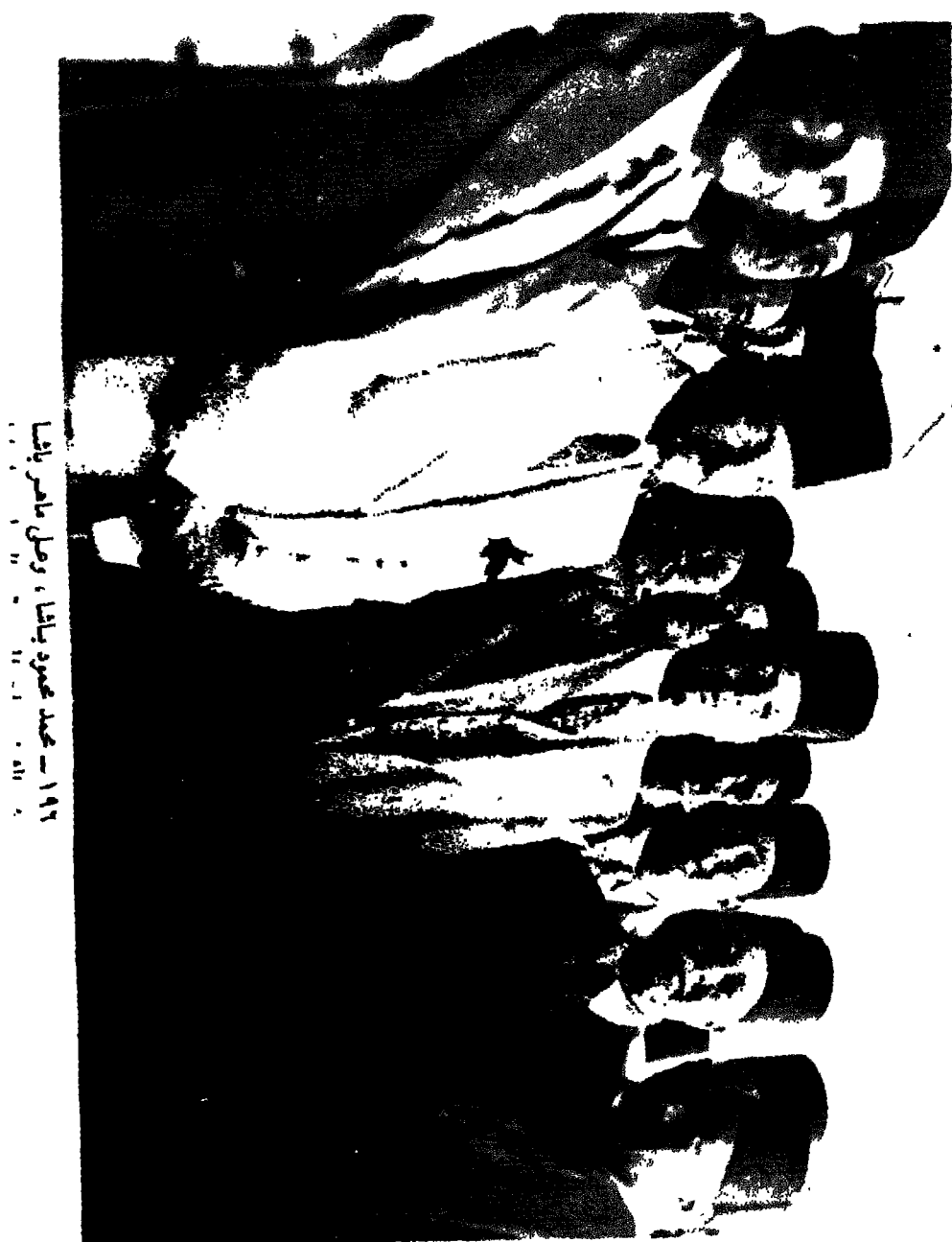
١٩٣ - الأمير محمد علي والنقراشي باشا مبتسما



١٩٤ - الأمير محمد علي وشريف صبري باشا .



١٩٥ من الزعماء الذين لم يتأثروا ببعض حقهم من التخليد
والدراسة ، على أن يكونوا رغم أنه من الشخصيات
التاريخية القوية



۱۹۶ - عبد الحمید بنیاشا ، وصل مامر باشا



١٩٧ - لئيف من زهاء مصر : مصطفى
النحاس باشا ، محمد محمود باشا ، حد الباسل باشا ،
اسماعيل صدقي باشا ، وحافظ عفيفي باشا



١٩٨ - في اخريات ايام وزارة محمد محمود باشا الاخيرة
قابل محمد باشا ، الملك فاروق ونصح رئيس الوزراء
الملك بأن يرعوى وكان قاسيا في نصائحه ، في نهاية
اللقاء : رجا الملك فاروق من محمد محمود أن يتشيم
وهو يقابل الصحفيين في أثر اللقائيه حتى لا يقال أن
هناك أزمة وزارية ، وقال محمد محمود باشا : أنا
محمد محمود ولست يوسف وهى هذه الواقعة جاءت
في مذكرات فاروق التى لم تنشر بعد : في الصورة مع
محمد محمود وحافظ عفيفى



١٩٩٩- في أزمة مع الملك فؤاد سنة ١٩٢٧ أيام وزارة محمد
عمود باشا : سئل محمد عمود من الصحفيين وهو في
روما : هل ستكون في مدينة الملك عند هوداك من
روما ؟ وقال محمد عمود للصحفيين : كلا ، ولكن
الملك فؤاد حيز حل الباشرة التي استقبلها ، وكانت
أزمة : محمد عمود يرافق الملك فؤاد في المرة الملكية



٢٠٠ - في أيام عهد عمود الأخيرة - وهو للمعلم واحد
من الشخصيات البارزة التي تختلف معها ولكنك
لا تفك إلا احترامها - عهد عمود ، يعود من
مرسى مطروح ، : الصورة في مجلة سبيل جابر
بالإسكندرية واحد أنصاه يحاول تقبل يده .

استدراك هام

سقط سهواً إسم المناضل القديم شوقي عبد
الوهاب تحت رسالته التشورية في الفصل الأخير
صفحة ٥٥٢ ونأسف لهذا الخطأ غير المقصود :
من . ٢

الفهرس

٣	• • • • •	اهداء
		مقدمة ومدخل الى الكتاب : مصر فى ٦٠ سنة (١٨٦٥ -
٥	• • • • •	١٩٢٥) ايجابيات وسلبيات : هالنا وما علينا
١٢٣	• • • • •	الباب الأول
		الفصل الأول : من تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٤ الى معاهدة ٢٦
١٢٥	• • • • •	أغسطس ١٩٣٦
		الفصل الثانى : معاهدة صداقة بين مصر والمملكة العربية
١٤٩	• • • • •	السعودية ٠٠ أول معاهدة بين دولتين عربيتين مستقلتين
		الفصل الثالث : انتخابات سنة ١٩٣٦ ومشكلة الوصاية على الملك
١٥٧	• • • • •	فاروق
		الفصل الرابع : مصطفى النحاس يؤلف وزارته الرابعة ويخرج
١٧٣	• • • • •	محمود فهمى النقراشى من الوفد
		الفصل الخامس : الصراع بين القصر ، والوفد يصل الى الذروة
٢٠٩	• • • • •	٢٠١
		الفصل السادس : روز اليوسف والبلاغ تسقطان وزارة النحاس
٢٤١	• • • • •	الباب الثانى
		الفصل الأول : محمد محمود يرأس وزارة جديدة تجرى
٢٤٣	• • • • •	الانتخابات
		الفصل الثانى : انشقاق فى الحزب الوطنى بسبب اشتراك
٢٦٥	• • • • •	رئيسه فى وزارة محمد محمود باشا
٢٧٥	• • • • •	الفصل الثالث : رئيس الديوان ضد رئيس الوزراء

— الباب الثالث ٣٩٩

الفصل الأول : مصر والقضية الفلسطينية وقضية الوحدة

العربية ٣٠١

الفصل الثاني : مؤتمر نسائي في القاهرة لنصرة القضية

الفلسطينية ٣١١

الفصل الثالث : محاولة في لندن لحل الصراع العربي الاسرائيلي

— مؤتمر هام في لندن ٣٢٩

— الباب الرابع ٣٤٧

الفصل الأول : عدو المرأة يفتح النار على المرأة ٣٤٩

الفصل الثاني : يدعى الزواج من أم كلثوم فتقاضيه أم كلثوم ٣٥٩

الفصل الثالث : قضية الراقصة امتثال فوزى وذبول الامتيازات

الأجنبية ٣٦٩

— الباب الخامس ٣٧٩

الفصل الأول : أزمة سياسية عنيفة حول مزرعة الجبل الأصفر ٣٨١

الفصل الثاني : عزيز المصرى ياشا مفجر الأزمات ٣٩٣

الفصل الثالث : محمد محمود يخوض أعنف معركة ضد الأمراء

والنبلاء ٤٠٧

الفصل الرابع : معركة حول خطابات فيكى باشا ٤١٣

— الباب السادس ٤٢١

الفصل الأول : عقبات أخرى في طريق محمد محمود ٤٢٣

الفصل الثاني : محمد محمود يخوض آخر معاركه ٤٣١

الفصل الثالث : اجبار محمد محمود على الرحيل !! ٤٤٧

— الباب السابع ٤٥٧

الفصل الأول : « على ماهر » يخلف « محمد محمود » ٤٥٩

الفصل الثاني : طلعت حرب يلقي جزاء سنمار القصر .. القصر

يقيل رئيس بنك مصر ٤٧١

•V•

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٨/٥٤١١

ISBN — ٩٧٧ — ٠١ — ١٨٨٠ — x

كما قلت في الجزء الأول من كتابي : سنوات ما قبل الثورة :
لعلها التجربة الأولى من نوعها في دنيا التأليف .

أن يكتب الشعب تاريخه بنفسه وأن يجمع الكتاب الواحد
بين دفتيه الرأي والرأى الآخر أقول في الجزء الثانى من هذه
السلسلة إننى كنت أتوقع هذا الإقبال الرائع على هذا الكتاب
من جماهير الشعب لأنهم يقبلون على تاريخهم .. هم الذين
كتبوه لا بل هم الذين صنعوه ولست سوى مسجل لصفحات
تاريخ مشرق صنعته شعب عظيم معطاء .

كالبحر يطره السحاب
وماله فضل عليه لأنه من مائه